الإنصاف

في مسائل الخلاف

بين النحويين: البصريين، والكوفيين

تأليف

الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات

عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الأنباري، النحوي

المولود في سنة ٥١٣ — والمتوفى في سنة ٥٧٧ من الهجرة

ومعه كتاب

الانتصاف، من الإنصاف

تأليف

محمد محيي الدين عبد الحميد

دار الفكر

تمتاز بدقة الضبط ، والزيادة فى الشرح والتفصيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذى بعثه الله بالحنيفية الواضحة والدين القويم ، فَهَدَى الناس من الضلالة وبَصَّرَهم من العمى وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وعلى آله مصابيح الظلام وهُـدَاة الأنام ، وصَحْبه القـادة المَغَاوير أولى الآراء الراجحة والحُجَج الواضحة والمنهاج المستقيم ، وعلى من سلك طريقه واقتفى أثره وتبع سُنَنَه إلى يوم الدين .

وأما بعد ؛ فإنى منذ أكثر من خمسة عشر عاما كنت قد عُنِيتُ بتخريج كتاب « الإنصاف ، فى مسائل الخلاف ، بين النحويين البصريين والكوفيين » الذى صنفه الإمام الحجة والعالم الثبت كال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ابن أبى سعيد ، الأنبارى ، النحوى ، المولود فى سنة ٥١٣ ، والمتوفى فى سنة ٥٧٧ من الهجرة ، بعدأن قرأت بعض مسائله لأبنائى من طلبة الدراسات العليا فى كلية اللغة العربية إحدى كليات الجامع الأزهر ، وعَلَّقت عليه تعليقات ذات شأن ، ثم رأيت أن أذيع الكتاب مع شرحى عليه الذى أسميته « الانتصاف ، من الإنصاف » ليكون بين يَدَىْ قراء العربية « كتاب لطيف ، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويِّى البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة »(١) ، وكان أن قَدَّمْتُ الكتاب للنَّشْرِ ، ولكن أزمة الورق فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وقفت حائلا منيعا بين نشر الكتاب مع شرحى عليه ، وكنت بين اثنتين : إما أن أنشر الكتاب وحده وأترك شرحى الذى

---

(١) من كلام مؤلف «الإنصاف» فى وصف كتابه .

كَابَدْتُ فيه ما لا يعلمه إلا الله من الجهد والعناء ، وإما أن أتركهما جميعاً حتى يأذن الله بنشرهما معا ، وترددت كثيراً فيما عسى أن أختار من هاتين الخلتين ، وصَحَّ العزم آخِرَ الأمر على أن أرضى بنشر كتاب «الإنصاف» غُفْلاً مما كتبته عليه؛ رغبة فى أن يعرفه قراء العربية وَيَرَوْا أنه من أفضل ما صنف علماؤنا فى فنون العربية ، فيقبلوا عليه ويرتاحوا له . وظهر الكتاب كما أراد الناشرون ، فإذا أماثل العلماء يَرْضَوْنَ عنه ويجدون فيه طلبة طالما تاقت إليها أنفسهم ، وإذا هم يقبلون على قراءته ويستنجزون الوعد بإخراج « الانتصاف » معه .

وهأنذا أعود إلى أوراقى التى كنت كتبتها يومئذٍ فأختار منها مالا أجد مَنَاصاً من إذاعته مما يؤيد رأياً أو يدفع رأياً ، ومما يشرح شاهداً أو يذكر شاهداً من أشباه ما ذكره المؤلف وأمثالِهِ ، أو مما يقوِّى حُجَّته ويؤيدها ، أو مما يقع حجة للخصم الآخر عليه ، أو مما يوجِّه الشاهد على غير ما رآه ، ونحو ذلك مما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، وقد تركْتُ كثيراً مما كنت أعددته وقت القراءة الأولى مخافة المَلاَل والسَّأم ، ولعلى عائد إلى هذا الذى تركته اليوم فَبَاسِطٌ فيه القولَ وناشره ، والله المسؤول أن يوفق إلى ذلك ويهيىء له أسبابه ، ويدفع عنه موانعه ، إنه ولىُّ الإجابة ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

وقد وضعت لكل مسألة عنواناً وجعلته بين قوسين معقوفين هكذا [ ] .

اللهم إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى عليك شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ربِّ اجعلنى ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ربِّ اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، ربِّ تقبل منى واقبلنى ، وتجاوز عنى ، إنك أنت البر الرؤوف الرحيم ؟

كتبه المعتز بالله

محمد محيى الدين عبد الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام ، العالم ، الزاهد ، كمال الدين عبد الرحمن بن أبى سعيد الأنبارى وَفَّقه الله :

الحمد لله الملِكِ الحق المبين ، والصلاة [والسلام] على صَفْوَته النبيّ العربى المبعوث بالدين الْمَتِينِ ، وعلى آله وأصحابه وعِتْرَته الْبَرَرَةِ المتقين .

و بعد ؛ فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين ، والأدباء المتفقهين ، المشتغلين علىّ بعلم العربية ، بالمدرسة النِّظَامية ــ عَمَرَ الله مبانيها ! ورحم الله بانيها ! ــ سألونى أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً ، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويِّى البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة ؛ ليكون أولَ كتابٍ(١) صُنِّفَ فى علم العربية على هذا الترتيب ، وأُلِّفَ على هذا الأسلوب ؛ لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السَّلَفِ ، ولا ألف عليه أحد من الخلف . فتَوَخَّيْتُ(٢) إجَابَتَهم على وَفْقِ مسألتهم ، وتَحَرَّيْتُ إسعافهم لتحقيق طَلِبَتِهِمْ ؛ وفتحت فى ذلك الطريق ، وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهْلُ التحقيق ، واعتمدت فى النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف ، لا التعصب والإسراف ، مستجيراً بالله ، مستخيراً له فيما قَصَدْتُ إليه ؛ فالله تعالى ينفع به ؛ إنه قريب مجيب .

---

(١) يذكر لنا التاريخ أن أبا جعفر النحاس المصرى ، تلميذ الأخفش الصغير وأبى العباس المبرد والزجاج ، والمتوفى فى سنة ٣٣٨ (أى قبل مولد المؤلف بنحو ١٦٥ عاما) قد ألف كتابا فى اختلاف البصريين والكوفيين ، وسماه « المبهج » ولعل المؤلف لم يطلع عليه ، ولم يسمع به .

(٢) توخيت : قصدت .

١ ــ مسألة

[الاختلاف فى أصل اشتقاق الاسم][1]

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوَسْمِ ــ وهو العلامة ــ وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السُّمُوِّ ــ وهو العُلُوّ ــ .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن [٢] قالوا : إنما قلنا إنه مشتق من الوَسْمِ لأن الوَسْمَ فى اللغة هو العَلاَمة ، والاُسْمُ وَسْمٌ على المسمَّى ، وعلامة له يعرف به ، ألا ترى أنك إذا قلت زيد أو عمرو دلَّ على المسمى ؛ فصار كالوَسْم عليه ؟ فلهذا قلنا : إنه مشتق من الوَسْمِ ، ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : الاسْمُ سِمَة تُوضَعُ على الشىء يعرف بها . والأصْلُ فى اسم وَسْم ، إلا أنه حذفت منه الفاء التى هى الواو فى وَسْمٍ ، وزيدت الهمزة فى أوله عِوَضاً عن المحذوف ، ووزنه إعْلٌ ؛ لحذف الفاء منه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مشتق من السُّمُوِّ لأن السُّمُوَّ فى اللغة هو العُلُوُّ ، يقال : سَمَا يَسْمُو سُمُوًّا ، إذا عَلاَ ، ومنه سميت السماء سَماءً لعلوّها ، والاسم يَعْلُو على المسمى ، ويدل على ما تحته من المعنى ، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يَزِيد المبرِّد : الاسم ما دلَّ على مسمًّى تحته ، وهذا القول كافٍ فى الاشتقاق ، لا فى التحديد ، فلما سَمَا الاسمُ على مُسَمَّاهُ وعَلاَ على ما تحته من معناه دلَّ على أنه مشتق من السُّمُوِّ ، لا من الوَسْم .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : لسان العرب (س م و) وشرح موفق الدين ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص٢٦ طأوربة) وكتاب « أسرار العربية » لصاحب الإنصاف (ص ٣ ليدن) وأوضح المسالك لابن هشام (شرح الشاهد رقم ٥ بتحقيقنا)

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا إنه مشتق من السُّمُوِّ وذلك لأن هذه الثلاثةَ الأقسامَ[(١)] — التى هى الاسم والفعل والحرف — لها ثلاثُ مَرَاتبَ ؛ فمنها ما يُخْبَرَ به ويُخْبَرَ عنه وهو الاسْمُ ، نحو « اللهُ رَبُّنَا ، ومحمدٌ نَبِيُّنَا » وما أشبه ذلك ، فأخبرتَ بالاسم [و] عنه ، ومنها ما يُخْبَرَ به ولا يُخْبَرَ عنه ، وهو الفعل ، نحو « ذَهَبَ زيد ، وانطلق عمرو » وما أشبه ذلك ، فأخبرتَ بالفعل ، ولو أخبرت عنه فقلت « ذَهَبَ ضَرَبَ ، وانْطَلَقَ كَتَبَ » لم يكن كلاماً ؛ ومنها مالا يخبر به ولا يخبر عنه ، وهو الحرف ، نحو « مِنْ ، ولَنْ ، ولَمْ ، وبَلْ » وما أشبه ذلك ؛ فلما كان الاسمُ يخبر به ويخبر عنه ، والفعل يخبر به ولا يخبر عنه ، والحرف لا يخبر به ولا يخبر عنه ، فقد سما [الاسمُ] على الفعل والحرف : أى عَلاَ ، فَدَلَّ على أنه من السُّمُوِّ . والأصلُ فيه سِمْوٌ على وزن فِعْلٍ[(٢)] — بكسر

(١) اقرأ كلمة « الثلاثة » بالنصب على أنها بدل من اسم الإشارة، واقرأ كلمة « الأقسام » بالنصب أيضا على أنها بدل من الثلاثة ، ولا تضف الثلاثة إلى الأقسام كما كنت تضيف لو قلت « ثلاثة الأقسام » فإن إضافة اسم العدد المقترن بأل إلى المعدود المقترن بها أيضا مذهب كوفى يرى المحققون من النحاة أنه بمعزل عن السماع والقياس

(٢) اعلم أولا أن العرب قد قالوا « اسم » بكسر همزة الوصل وبضمها أيضا ، وقالوا « سم » بكسر السين وضمها أيضا وجعل حركات الإعراب على الميم ، وقالوا « سما » مقصورا على مثال هدى وتقى وضحى ، وستأتى هذه اللغات مع الشواهد التى ساقها المؤلف ، ثم اعلم أن النحاة قد اختلفوا فى وزن « سمو » على مذهب البصريين ؛ فمنهم من قال : أصله سمو — بكسر السين وسكون الميم — ونظيره من الصحيح حمل وجذع، ومن المعتل قنو ، فمن حذف الواو ولم يعوض من المحذوف شيئا أبقى السين على كسرتها التى كانت لها ، ومن حذف الواو وعوض من المحذوف همزة الوصل ألقى كسرة السين على الهمزة فصارت السين ساكنة ، ومنهم من قال : أصله سمو — بضم السين وسكون الميم — ونظيره من الصحيح قفل وقرط ، ومن المعتل عضو ، فمن حذف الواو ولم يعوض أبقى ضمة السين على حالها، ومن حذف الواو وعوض منها همزة الوصل ألقى ضمة السين على =

الفاءِ وسكون العين – فحذفت اللام التى هى الواو وجعلت الهمزة عِوَضاً عنها ، ووزنه إفْعٌ ؛ لحذف اللام منه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « إنما قلنا إنه مشتق من الوَسْم لأن الوَسْم فى اللغة العلامة ، والاسم وَسْمٌ على المسمَّى وعلامة عليه يعرف به » قلنا : هذا و إن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة اللفظ [٣] ، وهذه الصناعة لفظية ؛ فلا بُدَّ فيها من مراعاة اللفظ . ووجه فساده من جهة اللفظ من خمسة أوجه :

الوجه الأول : أنا أجمعنا على أن الهمزة فى أوله همزة التعويض ، وهمزة التعويض إنما تقع تعويضاً عن حذف اللام ، لا عن حذف الفاء(١) ، ألا ترى

= الهمزة ، ثم اعلم أن جمع الاسم على «أسماء» لا يقوى أحدهذين الرأيين ولا يرشحه ، وذلك لأن أفعالا من أوزان الجموع يكون لفعل المكسور أوله الساكن ثانيه كما يكون لفعل المضموم أوله الساكن ثانيه الصحيح والمعتل فى ذلك سواء ، فأنت تقول : أحمال ، وأجذاع ، وأقناء ، وأقفال ، وأقراط ، وأعضاء

(١) اعلم أولا أن العرب قد حذفوا فاء الكلمة أحيانا ، وحذفوا لام الكلمة أحيانا أخرى ، وأن هذا الحذف قد يكون لعلة تصريفية ، وقد يكون اعتباطا لا لعلة تصريفية اقتضته ولا لسبب أوجبه إلا مجرد التخفيف ، وأنهم قد يحذفون ويعوضون من المحذوف شيئا ، وقد يحذفون ولا يعوضون من المحذوف شيئا أصلا ، فأما المحذوف لعلة تصريفية فلا نريد أن نتعرض له لأنه مبين فى كتب التصريف بعلله وأسبابه التى اقتضته ، وأما الحذف لغير علة تصريفية استوجبته فهو موضوع حديثنا الآن ؛ إذ كانت كلة « اسم» من هذا النوع ، فنقول : أما حذف الفاء لغير علة مع عدم التعويض عنها فنحو « سم» على مذهب الكوفيين الذين يقولون إن أصله « وسم » فحذفت الواو التى هى فاء الكلمة بدون علة اقتضت هذا الحذف ولم يعوض من هذا المحذوف شىء أصلا ، وأما حذف الفاء من غير عله تصريفية مع التعويض عنها فنحو « اسم » على مذهب الكوفيين أيضا ، فقد حذفت الواو التى هى فاء الكلمة وعوض عنها همزة الوصل فى مكانها ، ونحو «لدة» =

أنهم لما حذفوا اللام التى هى الواو من بَنَوٍ عوَّضوا عنها الهمزة فى أوله فقالوا : أُبْنٌ ، ولما حذفوا الفاء التى هى الواو من وِعْدٍ لم يُعَوِّضُوا عنها الهمزَةَ فى أوله فلم يقولوا إعْدٌ ، وإنما عوَّضوا عنها الهاء فى آخره فقالوا : عِدَةٌ ؛ لأن القياس فيما حُذِف منه لامُه أن يُعَوَّض بالهمزة فى أوله ، وفيما حذف منه فاؤه أن يُعَوَّض بالهاء فى آخره ، والذى يدل على صحة ذلك أنه لا يوجد فى كلامهم ما حذف فاؤه وعُوِّض بالهمزة فى أوله ، كما لا يوجد فى كلامهم ما حذف لامه

= للترب المساوى فى السن فإن أصله ولد بدليل أنه من الولادة ، و«حشة» اسم للأرض الموحشة التى لا أنيس فيها فإن أصله من الوحش ، و « رقة » اسم للفضة فإن أصله واوى الفاء بدليل الورق بفتح الواو وكسر الراء بمعناه ، ونحوه « جهة » اسم للمكان الذى تتوجه إليه ، فإن الاشتقاق يدل على أن أصله من واوى الفاء نحو الوجهة والتوجه وتوجهت تلقاء كذا ، وما أشبه ذلك . وأما ما حذفت لامه اعتباطا ولم يعوض منها شىء فنحو غد ، ويد ، ودم ، وأب ، وأخ ، وحم ، ومنه « سم » عند البصريين الذين يقولون : إن أصله « سمو » فحذفت الواو ولم يعوض منها شىء ، وأما ماحذفت لامه اعتباطا وعوض منها شىء فنحو «اسم» عند البصريين أيضا ؛ فقد حذفت لامه وهى الواو وعوض منها همزة الوصل ، ونظيره « ابن » فإن أصله « بنو » فحذفت لامه اعتباطا وعوض منها همزة الوصل ، ومن ذلك « سنة » و « شفة » و « عزة » و « ثبة » و« كرة» و«عضة» و«ثبة» و«إرة» وأخواتها ، فقد حذفت لامات هذه الكلمات وعوض من هذه اللام تاء التأنيث فى مكان المحذوف . وإنما بسطنا لك هذا الموضوع لتعلم أنه ليس هناك ضابط لاينخرم للحذف والتعويض ، ثم نقول : حاصل الوجه الأول مما رد به المؤلف على ماذهب إليه الكوفيون أنه إذا عوض حرف من حرف لزم أن يكون حرف العوض فى غير مكان الحرف المعوض منه ، وللكوفيين أن يمنعوا ذلك ، وأن يقولوا : لا ، بل يجوز الأمران جميعا : أن يكون العوض فى مكان المعوض منه ، وأن يكون حرف العوض فى غير مكان الحرف المعوض منه ، وقد عرفت أمثلة ذلك فى محذوف الفاء وفى محذوف اللام ، كما عرفت فساد قول المؤلف «كما لايوجد فى كلامهم ما حذف لامه وعوض بالهاء فى آخره».

وعُوِّض بالهاء فى آخره[1] ، فلما وجدنا فى أول « اسم » همزةَ التعويضِ علمنا أنه محذوف اللام ، لا محذوف الفاء ؛ لأن حَمْلَه على ماله نَظِيرٌ أوْلَىٰ من حَمْلِهِ على ما ليس له نظير ؛ فدلَّ على أنه مشتق من السُّمُوِّ لا من الوَسْم .

والوجه الثانى : أنك تقول « أَسْمَيْته » ولو كان مشتقا من الوَسْم لوجب أن تقول« وَسَمْتُهُ » فلما لم تقل إلا « أَسْمَيْتُ » دَلَّ على أنه من السُّمُوِّ ، وكان الأصل فيه « أَسْمَوْتُ »[2] ، إلا أن الواو التى هى اللام لمـا وقعت رابعةً قلبت ياء ، كما قالوا : أَعْلَيْتُ ، وأدعيت ، والأصل : أعلوت ، وأدعوت ، إلا أنه لمـا وقعت الواو رابعة قلبت ياء ، فـكذلك ها هنا .

وإنما وجب أن تُقْلَبَ الواو ياءرابعةً من هذا النحو حَمْلاً للماضى على المضارع، والمضارعُ يجب قلبُ الواو فيه ياء نحو « يُعْلِى ، ويُدْعِى ، ويُسْمِى » والأصل فيه « يُعْلِوْ ، ويُدْعِوْ ، ويُسْمِوْ » وإنما وجب قلبها ياء فى المضارع لوقوعها ساكنة

(١) قد علمت أنه وجد فى كلامهم ما حذف لامه وعوض بالهاء فى آخره ، وذلك مثل : عزة ، وعضة ، وإرة ـ بكسر أوائلهن وفتح ثانيهن مخففا ـ ومثل : كرة ، وقلة، وثبة ـ بضم أوائلهن وفتح ثانيهن مخففا ـ ومثل: سنة ، وشفة ـ بفتح أولهما وثانيهما ـ كما وجد فى كلامهم ماحذفت فاؤه وعوض منها التاء فى آخره نحو لدة ورقة وحشة وجهة من أسماء الأعيان ، ونحو عدة وزنة وهبة وصفة وجدة من المصادر .

(٢) للكوفيين أن يدعوا أن هذه الكلمة قد حصل فيها قلب مكانى ، وأنهم قالوا أول الأمر « أوسمت » على وزن أفعلت ، ثم نقلوا الواو التى هى فاء الكلمة إلى موضع اللام فقالوا « أسموت » على وزن أعلفت ، ثم قلبوا هذه الواو ـ بعد أن صارت فى آخر الكلمة ـ ياء ، فصارت « أسميت » وبهذه الطريقة نفسها يجيبون عن الوجوه الآتية الثالث والرابع والخامس ، وقد تنبه موفق الدين ابن يعيش إلى ذلك فقال « فإن ادعى القلب فليس ذلك بالسهل ؛ فلا يصار إليه وعنه مندوحة » اهـ .

مكسورا[١] ما قبلها ؛ لأن الواو متى وقعت ساكنة مكسورا ما قبلها وجب قلبها ياء ، ألا ترى أنهم قالوا : مِيقات ، ومِيعاد ، ومِيزان ، والأصل : موْقَات ، ومِوْعَاد، ومِوْزَان ؛ لأنه من الوَقْت ، والوَعْد ، والوَزْن ؛ إلا أنه لما وقعت الواو ساكنة مكسوراً ما قبلها وجب قلبها ياء ؛ فكذلك ها هنا . وإنما حملوا الماضى على المضارع مُرَاعاة لما بَنَوْا عليه كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة، والمحافظة على أن تجرى الأبوابُ على سَنَنٍ واحد ، ألا ترى أنهم حملوا المضارع [٤] على الماضى إذا اتصل به ضميرُ جماعةِ النسوة نحو « تَضْرِبْنَ » وحذفوا الهمزة من أخوات « أُكْرِمُ » نحو « نُكرم ، وتُكرم ، ويُكرم » والأصل فيه « نُؤَكرم ، وتُؤَكرم ، ويُؤَكرم » كما قال :

١ — * فإِنَّهُ أَهْلٌ لأَنْ يُؤَكْرَمَا *

(١) فى كلام المؤلف مايدل على أنه يشترط لقلب الواو ياء أن تكون هذه الواو ساكنة ، وليس ذلك بمستقيم على إطلاقه ؛ فان الواو المتطرفة ـ أى الواقعة فى آخر الكلمة ـ تنقلب ياء إذا انكسر ما قبلها ، مطلقا ، أىسواء أكانت ساكنة أم متحركة بل هى لا تكون ساكنة فى آخر الكلمة ـ إلا لعارض لا دخل له فى قلبها — وذلك ، من قبل أن آخر الكلم المتمكنة هو محل الإعراب ، وانظر إلى قولهم « رضى » وهو فعل ماض من الرضوان ، فإن أصل يائه واو مفتوحة ، وانظر إلى قولهم « غزى » و « دعى » بالبناء للمفعول؛ فإن أصل يائهما الواو ، بدليل قولهم : دعاه يدعوه،وغزاه يغزوه،وقد انقلبت واوهما ياء لمجرد كونهاطرفا مكسورا ماقبلها، ثم انظر بعدذلك إلىقولهم « الداعى،والغازى،والراضى» فإنكستجد أنأصلهذه الياءاتواو،بدليلالاشتقاق الذى أشرنا إليه ، وقد انقلبت الواو فىالكلمات ثلاثياءلوقوعهافى آخرالكلمة وكسرما قبلها وأما سكون هذه الكلمات فى حالة الرفع وحالة الجر فلعلة أخرى، وهى استثقال الضمة والكسرة على الواو والياء ، والذى يؤكد لك ذلك أن هذه الواوات تقلب ياء فى حالة النصب أيضا مع ظهور الفتحة على الواو وعلى الياء .

وإنما يشترط سكون الواو مع انكسار ما قبلها لقلبها ياء إذا كانت فى وسط الكلمة نحو ميعاد وميقات وميزان ، وقد بين المؤلف أصل هذه الكلمات .

١ — هذا البيت من الرجزالمشطور، وهو لأبى حيان الفقعسى ، ومع كثرة ترديد=

حملا على أُكْرِمُ . وإنما حذفت إحدى الهمزتين من « أُكرم » لأن الأصل فيه « أأُكرمُ » فلما اجتمع فيه همزتان كرهوا اجتماعهما ؛ فحذفوا إحداهما تخفيفاً، ثم حملوا سائر أخواتها عليها فى الحذف ، وكذلك حذفوا الواو من أخوات يَعِدُ ، نحو « أعِدُ ، ونَعِدُ ، وتَعِد » والأصل فيها : أوْعِدُ ، ونَوْعِدُ ، وتَوْعِدُ ، حملا على يَعِدُ ، وإنما حذفت الواو من « يعد » لوقوعها بين[1] ياء وكسرة ، ثم حملوا سائر

النحاة وأهل اللغة لهذا الشاهد فإنى لم أقف له على سوابق أو لواحق ، وقد استشهد به ابن هشام فى أوضحه (رقم ٥٨٠) والأشمونى (رقم ١٢٥٢) وانظره فى اللسان أيضا (ك رم) وقوله « أهل » معناه مستحق وذو أهلية ، و « يؤكرم » بالبناء للمجهول ، وأراد يكرم . والشاهدفيه قوله« يؤكرم» فإنهذه الكلمة قد جاءتعلى الأصل الأصيل، لكنهامخالفة للاستعمال المتلئب،لأنهم يحذفون الهمزة منمضارع أفعل كأكرموأورد وأوفى وذلك لأنهم استثقلوا وجود همزتين متواليتين فى أول الكلمة فى قولهم « أأكرم»وحملوا « نؤكرم»و«تؤكرم»و«يؤكرم»علىالمبدوءبهمزةالمضارعةقصداإلىالتجانس ومعاملةللأشباه معاملة واحدة ، وإنلم يكنفىالمبدوءبالنونوالياء والتاء منالثقل مثلمافى المبدوء بالهمزة ، وقد عاود هذا الراجز الأصل المهجور حين اضطر لإقامة الوزن ، ونظيره قول خطام المجاشعى ، وانظره فى اللسان (ث ف ى) :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آىٍ بِهَا يُحَلَّيْنْ غَيْرُ خِطَامٍ وَرَمَادٍ كِنْفَيْنْ
* وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ *

(١) جملة مايشترط لحذف الواو التى هى فاء الفعل من المضارع ثلاثة شروط :
الأول: أن تكون ياء المضارعة مفتوحة ، فلو كانت الياء مضمومة كما فى نحو يوافق ويوائم وكما فى نحو يوعد ويولد ويوزن ـ بالبناء للمجهول ـ لم تحذف الواو ؛ لأن ضمة الياء تجانس الواو فتشد أزرها وتمنعها من تسلط الياء عليها .
والشرط الثانى : أن تكون عين الفعل مكسورة ، فلو كانت العين مضمومة نحو يوجه ويوضؤ، أو كانت مفتوحة نحو يوهل،ونحو يوصل ويوعدويوفى ـ بالبناء للمجهول ـ لم تحذف الواو ؛ لأن الفتحة التى بعدها لاتجانس الياء التى قبلها فلا تتقوى بها الياء .
والشرط الثالث : أن يكون وقوع الواو بين ياء مفتوحة وكسرة فى فعل ، فلو كان وقوع ذلك فى اسم نحو يوعيد ـ على مثال يقطين من الوعد ـ لم تحذف الواو .

أخواتها عليها فى الحذف ، كُلُّ ذلك لتحصيل التشاكل والفرار من نَفْرة الاختلاف ، فكذلك ها هنا حملوا الماضى على المضارع ، و بل أولى ، وذلك لأن مراعاة المشاكلة بالقلب أقْيَسُ من مراعاة المشاكلة بالحذف ؛ لأن القلب تغيير يعرض فى نفس الحرف ، والحذف إسقاط لأصل الحرف ، والإسقاط فى باب التغيير أتمُّ من القلب ، فإذا جاز أن يُرَاعُوا المشاكلة بالحذف فبالقلب أولى .

وأما قلب الواو ياء فى الماضى فى نحو «تغازَيْتُ، وترجَّيت» و إن لم تقلب ياء فى المضارع لأن الأصل فى تغازيت : غازيت ، وفى ترجيت : رجَّيت ، فزيدت التاء فيهما لتدلَّ على المطاوعة ، وغازيت ورجَّيت يجب قلب الواو فيهما ياء فى المضارع، ألا ترى أنك تقول فى المضارع : أُغَازِى ، وأُرَجِّى ، فكذلك فى الماضى ،و إذا لزم هذا القلب قبل الزيادة فى «غازيت أغَازِى ،ورَجَّيت أرَجِّى» فكذلك بعد الزيادة فى تغازيت وترَجَّيْتُ ، حملا لتغازيت على غازيت ، وترَجَّيْتُ على رجَّيْتُ ، مراعاة للتشاكل ، وفراراً من نَفْرَةِ الاختلاف .

والوجه الثالث : أنك تقول فى تصغيره « سُمَىٌّ » ولو كان مشتقاً من الوَسْم لكان يجب أن تقول فى تصغيره « وُسَيْم » كما يجب أن تقول فى تصغير زِنَةٍ : وُزَيْنَة ، وفى تصغير عِدة : وُعَيْدَة ؛ لأن التصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها ، فلما لم يجز أن يقال إلا سُمَىّ دلَّ على أنه مشتق من السُّمُوِّ ، لا من الوَسْم .

والأصل فى سُمَىٍّ : سُمَيْو ، إلا أنه لما اجتمعت [٥] الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء ، وجعلوهما ياء مشددة ، كما قالوا : سيِّد وجَيِّد وهيِّن وميِّت . والأصل فيه : سَيْود وجَيْود وهَيْون ومَيْوِت؛ لأنه من السودد والجودة والهوان والموت ، إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء ، وجعلوهما ياء مشددة ، وكذلك أيضاً قالوا : طَوَيْتُ طَيًّا ، ولَوَيْتُ ليًّا ، وشَوَيْتُ شَيًّا ، والأصل فيه : طَوْيًا ولَوْيًا وشَوْيًا ، إلا أنه لما اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء ، وجعلوهما ياء مشددة ، و إنما وجب قلبُ الواو إلى الياء دون قلب الياء إلى

الواو لأن الياء أَخَفُّ من الواو ؛ فلما وجب قلب أحدهما إلى الآخر كان قلبُ الأثقَلِ إلى الأخَفِّ أولىٰ من قلب الأخف إلى الأثقل .

والوجه الرابع : أنك تقول فى تكسيره « أَسْماء[١] » ولو كان مشتقاً من الوَسْم لوجب أن تقول : أوسام ، وأواسيم ؛ فلما لم يجز أن يقال إلا أسماء دل على أنه مشتق من السمو ، لا من الوسم .

والأصل فى أَسْمَاء أَسْمَاو ، إلا أنه لما وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة كما قالوا : سَمَاء ، وكِساء ، ورَجَاء ، ونَجَاء . والأصل فيه : سماو ، وكساو ، ورجاو ، ونجاو ؛ لقولهم : سَمَوْت وكَسَوْتَ ورَجَوْتُ ونَجَوْتُ ، إلا أنه لما وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة .

ومنهم من قال[٢] : إنما قلبت ألفاً لأن الألف التى قبلها لما كانت ساكنة خفية زائدة ــ والحرف الساكن حاجِزٌ غيرُ حَصِينٍ ــ لم يعتدُّوا بها ، فقدَّروا أن الفتحة التى قبل الألف قد وليت الواو[٣] وهى متحركة ، والواو متى تحركت وانفتح ما قبلها وجب أن تقلب ألفاً ، ألا ترى أنهم قالوا : سَمَا ، وعَلاَ ، ودَعَا ، وغزَا ، والأصل فيها سَمَوَ وعَلَوَ ودَعَوَ وغَزَوَ ؛ لقولهم : سَمَوْتُ وعلوت ودعوت وغزوت ،

---

(١) وقد جمعوا « أسماء » على « أسامى » بتشديد الياء ــ وأصله على مذهب البصريين « أساميو » مثل قراطيس وعصافير ، أما الياء فهى منقلبة عن حرف اللين الذى هو الألف فى أسماء وقرطاس والواو فى عصفور ، وأما الواو فهى لام الكلمة على مذهبهم ، فلما اجتمعت الواو والياء فى كلة واحدة وكان السابق منهما ساكنا قلبوا الواو ياء ثم أدغموا الياء فى الياء ، وربما حذفوا الياء المنقلبة عن حرف اللين وأبقوا الواو فانقلبت ياء لتطرفها إثر كسرة فقالوا « الأسامى » وتحذف هذه الياء الخفيفة فى حالتى الرفع والجر ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولنا أســـام ماتليق بغيرنا ومشاهد تهتل حين ترانا

(٢) ينسب العلامة رضى الدين فى شرح الشافية هذا الرأى إلى حذاق الصرفيين

(٣) الصواب أن يقال « قد وليتها الواو »

إلا أنه لَمَّا تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ، فكذلك ها هنا قلبوا الواو فى أسْمَاوٍ ألفاً ، فاجتمع فيه ألفان : ألف زائدة ، وألف منقلبة عن لام الكلمة ، والألفان ساكنان ، وهما لا يجتمعان ، فقلبت الألف الثانية المنقلبة عن لام الكلمة همزةً لالتقاء الساكنين ، وإنما قلبت إلى الهمزة دون غيرها من الحروف لأنها أقربُ الحروفِ إليها ؛ لأن الهمزة هَوَائية كما أن الألف هَوَائية ، فلما كانت أقْرَبَ الحروف إليها ؛ كان قلبها إليها أولى من قلبها إلى غيرها .

[٦] والوجه الخامس : أنه قد جاء عن العرب أنهم قالوا فى اسم : سُمًى ، على مثال عُلًى ، والأصل فيه سُمَوٌ ، إلا أنهم قلبوا الواو منه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار سُمًى ، قال الشاعر :

٢ — واللهُ أسْمَاكَ سُمًى مُبَارَكَا آثَرَكَ اللهُ بِــــه إيثَارَكَا

---

٢ — هذا بيت من الرجز المشطور يقوله ابن خالد القنانى — نسبة إلى القنان بفتح القاف وهو جبل لبنى أسد فيه ماء يسمى العسيلة — وقد أنشده فى اللسان (س م و) وأنشده ابن يعيش ، وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥ بتحقيقنا) و« أسماك » أراد ألهم آلك أن يسموك ، و « سما » أى اسما « مباركا » أى ذا بركة « آثرك » ميزك واختصك ، و « إيثارك » هو مصدر مضاف إلى ضمير المخاطب ، ويجوز أن يكون هذا الضمير فاعل المصدر ، كما يجوز أن يكون مفعوله ؛ فعلى الأول يكون المعنى : آثرك الله بهذا الاسم المبارك إيثاراً مثل إيثارك أنت الناس بالمعروف والعطاء ، وعلى الوجه الثانى يكون المعنى : آثرك الله بالاسم المبارك إيثاراً مثل إيثاره إياك بالفضل ومكارم الأخلاق . والاستشهاد به فى قوله « سما » فقد زعم المؤلف أن هــذه الكلمة مقصورة مثل هدى وتقى وضحى ، وعلى هــذا يكون نصبها بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ، كما تقول : استيقظت ضحى ، واتقيت تقى ، واتبعت هدى ، ولكن هذا الذى ذكره المؤلف ليس بمتعين ، فإنه يجوز أن تكون كلة « سما » فى هذا البيت قد جاءت على لغة من يقول « سم » بكسر السين أو ضمها وآخره صحيح مثل غد ويد ودم وأب وأخ ، ويكون منصوبا منونا كما تقول : أزورك غداً ، واتخذت عندك يدا ، وقد أرقت =

وفيه خمس لغات : إِسم بكسر الهمزة ، وأُسم بضمها ، وسِمٌ بكسر السين ، وسُمٌ بضمها . قال الشاعر :

٣ — وَعَامُنَا أَعْجَبَنَا مُقَـــدَّمُهْ ۝ يُدْعَى أَبَا السَّمْحِ وَقِرضَابٌ سُمُهْ (٢)

* مُبْتَرِكاً لِـكُلِّ عَظْمٍ يَلْحُمُهْ *

وقال :

٤ — بِاسْمِ الَّذِى فى كلِّ سُورَةٍ سِمُهْ ۝ قَدْ وَرَدَتْ عَلَى طَرِيقٍ تَعْـــلَمُهْ (٣)

ويروى سُمُهْ بضم السين ، وسُمًى على وزن عُلًى ، على ما بينا . والله أعلم .

= دما ، وما أشبه ذلك ، ومتى جاز فى هذا الشاهد هذان الوجهان لم يصلح أن يكون دليلا على إحدى اللغتين بعينها ؛ لأن الدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، كما يقولون ، ونظير هذا البيت فى احتمال اللغتين ما أنشده أبو العباس :

فدع عنك ذكر اللهو ، واعمد بمدحة ۝ لخير معد كلها حيثما انتمى

لأعظمها قدراً ، وأكرمها أبا ، ۝ وأحسنها وجها ، وأعلنها سما

والذى يتعين أن يكون مقصوراً ما حكاه صاحب الإفصاح من قول بعضهم «ماسماك» فإنه قد أثبت الألف مع الإضافة ، وذلك يفيد كونه مقصوراً ؛ إذ لو كان عنده صحيح الآخر كيد وغد لقال « ماسمك » بضم الميم ، فتأمل ذلك .

٣ — هذه ثلاثة أبيات من الرجز المشطور أنشدها كلها صاحب اللسان (ق رض ب — برك — س م و) من غير عزو ، وأنشد موفق الدين ابن يعيش أولها وثانيها من غير عزو أيضاً ، وأنشدهما ابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١/٦٠) وتقول « قرضب الرجل فهو قرضاب » إذا أكل شيئاً يابسا ، وتقول « رجل مبترك » إذا كان معتمدا على الشىء ملحا فيه ، يريد أنهم ظنوا فى مقدم العام أنه سيكون عام رخاء ، فإذا هو يكون عام شدة وجدب ، يلح على أموالهم بالإفناء حتى يأتى عليها ، والاستشهاد فيه بقوله «سمه» وهو يروى بكسر السين وضمها ، فيكون دليلا على أن من العرب من يقول فى الاسم « سم » بحذف لامه من غير تعويض ومعاملته معاملة الصحيح الآخر كغد ويد ودم وأخ وأب ، وذلك ظاهر .

٤ — هذان بيتان من الرجز المشطور أنشدهما ابن منظور فى اللسان (س م و) ،

٢ــ مسألة

[الاختلاف فى إعراب الأسماء الستة][1]

ذهب الكوفيون إلى أن الأسماء الستة الْمُعْتَلَّةَ ــ وهى : أَبُوكَ ، وأَخُوكَ ، وحَمُوكَ ، وهَنُوكَ ، وفُوكَ ، وذو مال ــ مُعْرَبَةٌ من مكانين . وذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد ، والواو والألف والياء هى حروف الإعراب . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش فى أحد القولين . وذهب فى القول الثانى إلى أنها ليست بحروف إعراب ، ولكنها دلائلُ الإعرابِ ، كالواو والألف والياء فى التثنية والجمع ، وليست بلام الفعل . وذهب على بن عيسى الرَّبَعِىُّ إلى أنها إذا كانت مرفوعة ففيها نقل بلاقلب ، وإذا كانت منصوبة ففيها قلب بلا نقل ، وإذا كانت مجرورة ففيها نقل وقلب . وذهب أبو عثمان المازنى إلى أن الباء[2] حرفُ الإعراب ، وإنما الواو والألف والياء نشأت عن إشباع الحركات .

= وأنشدها موفق الدين ابن يعيش من غير عزو ، وأنشدها ابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١/٦٠) وحكى فى اللسان روايتهما عن ابن برى عن أبى زيد ، وقال : إنهما لرجل من كلب ، لكن الرواية هناك هكذا :

أَرْسَلَ فِيهَا بازلاً يُقَرِّمُهْ وَهْوَ بِهَا يَنْحُو طَرِيقاً يَعْلَمُهْ
* بِاسْمِ الَّذِى فِى كُلِّ سُورَةٍ سُمُهْ *

والاستشهاد به فى قوله « سمه » وهو نظير ما ذكرناه فى الشاهد السابق .

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (١/٣٦ — ٤٣ بتحقيقنا) وأوضح المسالك (الشواهد ٦ — ٩ بتحقيقنا) وشرح التوضيح للشيخ خالد (١/٧٢ — ٧٧ بولاق) وشرح موفق الدين ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص ٦٠ — ٦٣ أوربة) وشرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (١/٢٣ وما بعدها) .

(٢) الباء : أراد الباء التى فى قولك « جاء أبوك » ومعنى كونها حرف الإعراب أن الإعراب واقع عليها ، يعنى أنها مرفوعة بالضمة الظاهرة التى على الباء والواو للاشباع .

وقد يحكى عن بعض العرب أنهم يقولون : هذا أَبُكَ ، ورأيتُ أَبَكَ ، ومررت بأَبِكَ — من غير واو ولا ألف ولا ياء — كما يقولون فى حالة الإفراد من غير إضافة[1] .

وقد يحكى أيضاً عن بعض العرب أنهم يقولون : هذا أَبَاكَ ، ورأيت [٧] أَبَاكَ ، ومررت بأَبَاكَ — بالألف فى حالة الرفع والنصب والجر — فيجعلونه اسماً مقصوراً ، قال الشاعر :

٥ — إنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فى المَجْدِ غَايَتَاهَا

ويحكى عن الإمام أبى حنيفة أنه سئل عن إنسانٍ رَمَى إنساناً بحجر فقتله : هل يجب عليه القَوَدُ ؟ فقال : لا ، ولو رماه بِأَبَا قُبَيْسٍ — بالألف ، على هذه اللغة — لأن أصله أَبَوٌ ، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبوها ألفاً بعد إسكانها إضعافاً لها ، كما

(١) وقد جاء على هذه اللغة قول الشاعر :

بأبه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وقول الآخر :

سوى أبك الأعلى وأن محمداً علا كل عال يابن عم محمد

٥ — هذان بيتان من الرجز المشطور ينسبهما قوم إلى أبى النجم الفضل بن قدامة العجلى ، وينسبهما قوم آخرون إلى رؤبة بن العجاج ، وهما من شواهد الأشمونى (رقم ١٦) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٩) وابن عقيل (رقم ٦) وابن يعيش (ص ٦٢) والشاهد فيه قوله «أباها» وأنت ترى أنه قد ذكر الأب بالألف ثلاث مرات فى البيت الأول فأما فى المرتين الأولى والثانية فلا تتعين فى واحدة منهما لغة من يجىء بالأسماء الستة بالألف فى الأحوال كلها ، بل يجوز أن يكون الراجز قد جاء بالكلمتين على هذه اللغة ، ويجوز أن يكون قد جاء بهما على اللغة المشهورة عند جمهرة العرب ، وذلك لأن الكلمتين فى موضع النصب لكون الأولى اسم إن والثانية معطوفة على اسم إن ، وفى حالة النصب تستوى لغة التمام ولغة القصر ، أما الكلمة الثالثة فتتعين فيها لغة القصر بسبب كونها فى موضع الجر وقد أتى بها بالألف ، والأولى أن تحمل الأولى والثانية على لغة القصر بقرينة الكلمة الثالثة ؛ ليكون الكلام جاريا على منهج واحد .

قالوا : عَصاً ، وقَفاً ، وأصله عَصَوٌ وقَفَوٌ ، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبوها ألفا ، فكذلك ها هنا .

والذى يعتمد عليه فى النُّصْرَة أهلُ الكوفة والبصرة القولان الأولان ؛ فهذا منتهى القول فى تفصيل المذاهب واللغات ؛ فلنبدأ بذكر الحُجَجِ والاستدلالات :

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن هذه الحركات ـ التى هى الضمة والفتحة والكسرة ـ تكون إعرابا لهذه الأسماء فى حال الإفراد ، نحو قولك : هذا أبٌ لك ، ورأيت أباً لك ، ومررت بأبٍ لك ، وما أشبه ذلك ، والأصل فيه أَبَوٌ ، فاستثقلوا الإعراب على الواو ، فأوقَعُوه على الباء وأسقطوا الواو ؛ فكانت الضمة علامة للرفع ، والفتحة علامة للنصب ، والكسرة علامة للجر ، فإذا قلت فى الإضافة:هذا أبوكَ ، وفى النصب :رأيت أباكَ،وفى الجر: مررت بأبيك، والإضافة طارئةعلى الإفراد ـ كانت الضمة والفتحة والكسرة باقية على ما كانت عليه فى حال الإفراد ؛ لأن الحركة التى تكون إعراباً للمفرد فى حال الإفراد هى بعينها تكون إعراباً له فى حال الإضافة ، ألا ترى أنك تقول : هذا غلام ، ورأيت غلاما ، ومررت بغلام، فإذا أضفته قلت:هذا غلامُكَ ، ورأيتُ غلامَكَ، ومررت بغلامِكَ؛ فتكون الضمة والفتحةوالكسرة التى كانت إعراباً له فى حال الإفرادهى بعينها إعراباًله فى حال الإضافة ، فكذلك ها هنا ، والذى يدلُّ على صحة هذا تغيُّرُ الحركات على الباء فى حال الرفع والنصب والجر ، وكذلك الواو والألف والياء بعد هذه الحركات تجرى مجرى الحركات فى كونها إعراباً ؛ بدليل أنها تتغير فى حال الرفع والنصب والجر ؛ فدل على أن الضمة والواو علامة للرفع ، والفتحة والألف علامة للنصب ، والكسرة [٨] والياء علامة للجر ، فدل على أنه معرب من مكانين(١) .

(١) ونظير هذا ماقالوه فى امرىء وابنم ؛ فإنه يقال « جاء امرؤ » بضم كل من الراء والهمزة ، ومنه قوله تعالى : (إن امرؤ هلك) ويقال « رأيت امرأ » بفتح كل من =

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين لقلة حروفها ، تكثيراً لها ، وليزيدوا بالإعراب فى الإيضاح والبيان ؛ فوجَبَ أن تكون معربة من مكانين على ما ذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا « إنه معرب من مكان واحد » لأن الإعراب إنما دخل الكلام فى الأصل لمعنًى — وهو الفَصْلُ ، وإزالة اللَّبْسِ ، والفَرْقُ بين المعانى المختلفة بعضها من بعض ، من الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك — وهذا المعنى يحصل بإعراب واحد ؛ فلا حاجة إلى أن يجمعوا بين إعرابين ؛ لأن أحد الإعرابين يقوم مقام الآخر ، فلا حاجة إلى أن يجمع بينهما فى كلمة واحدة ؛ ألا ترى أنهم لا يجمعون بين علامتى تأنيث فى كلمة واحدة نحو مسلمات وصالحات، وإن كان الأصل فيه مسلمتات وصالحتات ؛ لأن كل واحدة من التاءين تدلُّ على ما تدل عليه الأخرى من التأنيث ، وتقوم مقامَهَا ، فلم يجمعوا بينهما ؛ فكذلك ها هنا .

والذى يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهبوا إليه أن ما ذهبنا إليه له نظير فى كلام العرب ؛ فإن كل معرب فى كلامهم ليس له إلا إعراب واحد ، وما ذهبوا إليه لا نظير له فى كلامهم؛ فإنه ليس فى كلامهم معرب له إعرابان(١)، فَبَانَ أن ما ذهبنا

= الراء والهمزة ، ومنه قول الله تعالى (ما كان أبوك امرأ سوء) وقول الشاعر :

إن امرأ غره منكن واحدة   بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور

ويقال « مررت بامرىء » بكسر كل من الراء والهمزة ، ومنه قول الله جل ذكره (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وكذلك يصنعون مع « ابنم »

(١) قد حدثناك حديث صنيع العرب فى « امرئ » و « ابنم » وأنهم — فى ظاهر الأمر — يعربونهما من مكانين : الحرف الآخر ، والحرف الذى قبل الآخر ، فللكوفيين أن يقولوا : لانسلم أن هذا لانظير له فى كلام العرب ، بل له نظير من الصحيح الآخر وهو امرؤ وابنم ، فإنا رأينا العرب تعربهما من مكانين

إليه له نظير فى كلامهم ، وما ذهبوا إليه لا نظير له فى كلامهم ، والمَصِيرُ إلى ماله نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير .

ومنهم من تمسك بأن قال : لو جاز أن يجتمع فى اسم واحد إعرابان متفقان لجاز أن يجتمع فيه إعرابان مختلفان ؛ فكما يمتنع أن يجتمع فيه إعرابان مختلفان فكذلك يمتنع أن يجتمع فيه إعرابان متفقان ؛ لامتناع اجتماع إعرابين فى كلمة واحدة .

والاعتمادُ على الاستدلالِ الأولِ ، وهذا الاستدلال عندى فاسد ؛ لأن الإعراب فى الأصل إنما دخل للفَصْل بين المعانى بعضها من بعض من الفاعلية والمفعولية على ما بَيَّنَّا ؛ فلو جوزنا أن يُجْمَع فى اسم واحد إعرابان مختلفان لأدَّى ذلك إلى التناقض ؛ لأن كل واحد من الإعرابين يدل على نقيض ما يدل عليه الآخر ؛ ألا ترى أنا لو قدرنا الرفع والنصب فى اسم واحد لدل الرفع على الفاعلية [٩] والنصب على المفعولية ، وكل واحد منهما نقيض الآخر ، بخلاف ما لو قدرنا إعرابين متفقين فإنه لا يدل أحدُ الإعرابين على نقيض ما يدل عليه الآخر ؛ فبان الفرقُ بينهما ، وأن الاعتماد على الاستدلال الأول .

وأما من ذهب إلى أنها ليست بحروف إعراب[1] ، ولكنها دلائل الإعراب ، فقال : لأنها لو كانت حروفَ إعرابٍ كالدالِ من « زيد » والراء من « عمرو » لما كان فيها دلالة على الإعراب ، ألا ترى أنك إذا قلت : « ذهب زيد ، وانطلق عمرو » لم يكن فى نفس الدال والراء دلالة على الإعراب ، فلما كان

---

(١) قد حكى المؤلف هذا القول أحد قولين لأبى الحسن الأخفش ، والعلامة أبو الحسن الأشمونى يحكى القولين وينسبهما إلى هشام ، وهو هشام بن معاوية أحد أصحاب الكسائى كما سماه المؤلف ابن الأنبارى فى المسألة الحادية عشرة من هذا الكتاب .

ها هنا هذه الأحرف تدلُّ على الإعراب دل على أنها دلائل الإعراب ، وليست بحروف إعراب .

وهذا القول فاسد ؛ لأنا نقول: لا يخلو أن تكون هذه الأحرفُ دلائلَ الإعرابِ فى الكلمة أو فى غيرها ؛ فإن كانت تدل على الإعراب فى الكلمة فوجَبَ أن يكون الإعرابُ فيها ؛ لأنها آخر الكلمة ، فيَئُولُ هذا القول إلى قول الأكثرين، وإن كانت تدل على إعرابٍ فى غير الكلمة فيؤدى إلى أن تكون الكلمة مبنية ، وليس من مذهب هذا القائل أنها مبنية ، فسنبين فساد مذهبه أن الواو والألف والياء فى التثنية والجمع ليست بحروف إعراب ، ولكنها دلائل الإعراب ، مستقصًى فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

فأما مَنْ ذهب إلى أنها إذا كانت مرفوعة ففيها نقل بلا قلب ، وإذا كانت منصوبة ففيها قلب بلا نقل ، وإذا كانت مجرورة ففيها نقل وقلب ؛ فقال : لأن الأصل فى قولك هذا أبوه « هذا أبَوُهُ » فاستثقلت الضمة على الواو ، فنقلت إلى ما قبلها(١) ، وبقيت الواو على حالها ، فكان فيه نقل بلا قلب ، والأصل فى قولك رأيت أباه « رأيت أبَوَهُ » فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفًا ؛ فكان فيه قلب بلا نقل ، والأصل فى قولك مررت بأبيك « مررت بأبَوِك » ، فاستثقلت الكسرة على الواو ، فنقلت إلى ما قبلها(١) ، فقلبت الواو ياء لسكونها(٢) وانكسار ما قبلها ، فكان فيه نقل وقلب .

---

(١) حكى العلامة ابن مالك فى شرح التسهيل أنك إذا قلت « هذا أبو زيد » فأصله « أبو زيد » بفتح الباء وضم الواو للاعراب ، ثم أتبعت الباء للواو فضمت ، فصار الباء والواو جميعا مضمومين ، ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت ، وهذا أدق مما ذكره المؤلف ؛ قالوا : لأن نقل الحركة إلى حرف متحرك غير معهود ، ويقال مثل ذلك فى حالة الجر . (٢) انظر الهامشة ١ فى ص ١١

وأما من ذهب إلى أن الباء حرف الإعراب ، و إنما الواو والألف والياء نشأت عن إشباع الحركات ؛ فقال : لأن الباء تختلف عليها الحركات فى حالة الرفع والنصب والجر كما تختلف حركات الإعراب على سائر حروف الإعراب ؛ فدل على أن الباء حرف الإعراب [١٠] ، وأن هذه الحركات ـ التى هى الضمة والفتحة والكسرة ـ حركات إعراب ، و إنما أشبعت فنشأت عنها هذه الحروف ـ التى هى الواو والألف والياء ـ فالواو عن إشباع الضمة ، والألف عن إشباع الفتحة ، والياء عن إشباع الكسرة ، وقد جاء ذلك كثيراً فى استعمالهم ، قال الشاعر فى إشباع الضمة :

٦ — اللهُ يَعْلَمُ أنَّا فى تَلَفُّتِنَــــا يَوْمَ الْفِرَاقِ إلى إخْوَانِنَا صُورُ(١)

٦ — أنشد ابن منظور هذين البيتين فى اللسان (ش ر ى) وأنشد أولهما فى (ص و ر) من غير عزو ، وأنشدهما ابن جنى فى سر الصناعة (١/٢٩) من غير عزو أيضا ،وأنشدهما الرضى ، وقد شرحهما البغدادى فى الخزانة (١ / ٥٨ بولاق) ولم يعزها ، وكلهم يروى البيتين ببعض اختلاف فى بعض ألفاظهما ،وسننبه عليه،وصور : جمع أصور ،وهو وصف فعله صور يصور صورا — على مثال فرح يفرح فرحا — ومعناه المائل العين ، وروى ابن منظور « وأنى حوثما يشرى الهوى بصرى » وحوثما : لغة فى حيثما ، و « يشرى » مضارع أشراه إلى ناحية كذا بمعنى أماله ، وهو بمعنى « يثنى » فى رواية المؤلف ، يريد أنه كان دائم التلفت إلى أحبابه يوم الفراق، وأنه كان يتجه فى التفاته إلى الجهة التى يسلكها أحبته ، ومحل الاستشهاد قوله « فأنظور » فإنه أراد « فأنظر » لكنه لما كان محتاجا إلى الواو فى القافية أشبع الضمة التى على الظاء فنشأت الواو .

وأقول : قال أبو الطيب المتنبى :

ويطعمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

وضبط الشراح قوله « التوراب » بفتح التاء وسكون الواو، ثم راحوا يندون بها ويقولون : إنه يخترع لكلام العرب أوزانا لم يقولوها ، ولو أنهم ضبطوا الكلمة بضم التاء لوجدوا لها مساغا ونظائر فى كلام من يحتجون بكلامه ويخرجونه ، فإن العرب يقولون « التراب » بضم التاء بزنة الغراب ، ثم إذا أشبعت التاء نشأت واو مثل واو « أنظور » .

وَأنَّنِي حَيْثُمَا يَثْنِي الْهَوَى بَصَرِى   مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أدْنُو فأنْظُورُ

أراد «فأَنْظُرُ» فأشبع الضم، فنشأت الواو، وقال الآخر:

٧ — هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِراً   مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ

أراد «لم تَهْجُ»، وقال الآخر:

٨ — * كَأَنَّ فى أنْيَابِهَا الْقَرَنْفُولُ *

---

٧ — نسب جماعة هذا البيت إلى أبى عمرو بن العلاء، يقوله للفرزدق الشاعر، وكان الفرزدق قد هجاه ثم اعتذر له، والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٤٤) و «زبان» بفتح الزاى وتشديد الباء اسم رجل، وقد ذكر المجد فى القاموس جماعة ممن تسموا بهذا الاسم منهم أبو عمرو بن العلاء المازنى النحوى اللغوى المقرىء قيل: هذا اسمه، وقيل: بل لقبه واسمه العريان أو يحيى، والاستشهاد به فى قوله «لم تهجو» فإن حق العربية عليه أن يقول «لم تهج» بحذف الواو التى هى لام الفعل، لأن الفعل المضارع المعتل اللام يجزم بحذف لامه، وللعلماء فى تخريج مثل ذلك رأيان: أولهما أن هذه الواو هى لام الفعل التى يحذفها جمهرة العرب من المضارع فى حالة الجزم، ولم يحذفها هذا الشاعر اكتفاء بحذف الحركة كما يصنع فى الفعل الصحيح الآخر، والرأى الثانى هو الذى ذكره المؤلف هنا، وتلخيصه أن الواو التى هى لام الكلمة قد حذفت، وأما هذه الواو فإنها واو أخرى نشأت عن إشباع ضمة الجيم، نظير الواو فى «أنظور» فى الشاهد السابق، وانظر الشاهدين ١١ و ١٧.

٨ — هذا بيت من الرجز المشطور، وقد أنشد ابن منظور فى اللسان (ق ر ن ف ل) رجزين كل واحد منها يشتمل على هذا البيت مع مغايرة طفيفة، أما أول الرجزين فقول الراجز:

وا، بأبى ثغرك ذاك المعسول   كأن فى أنيابه القرنفول

وأما الثانى فقول الآخر:

خود أناة كالمهاة عطبول   كأن فى أنيابها القرنفول

و «القرنفول» هو القرنفل الذى ورد فى قول امرىء القيس:

إذا قامتا تضوع المسك منهما   نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل =

أراد « القَرَنْفُلْ » وقال الشاعر فى إشباع الفتحة :

٩ — وَأنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ

أراد « بِمُنْتَزَحِ » فأشبع الفتحة فنشأت الألف ، وقال الآخر :

١٠— أقُولُ إذْخَرَّتْ عَلَى الْكَلْكَالِ يَا نَاقَتَا مَا جُلْتِ مِنْ مَجَالِ

= يريد الراجز أن يصف ثغر هذه الجارية الناعمة التى يتغزل فيها بأنه طيب الريح جميل النكهة ، ومحل الاستشهاد فيه قوله « القرنفول » فإن أصل الكلمة « القرنفل » فلما اضطر إلى الواو لإقامة الوزن الذى بنى عليه رجزه أشبع ضمة الفاء فنشأت الواو عن هذا الإشباع .

٩ — هذا البيت من كلام ابن هرمة ، واسمه إبراهيم بن على ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وهو من كلة يرثى فيها ابنه ، وقد أنشده ابن منظور (نزح) ونسبه إليه ، وأنشده ابن جنى فى سر الصناعة (٢٩/١) وقال قبل إنشاده « وأنشدنا أبو على لابن هرمة يرثى ابنه » اهـ ، و « منتزاح » مصدر ميمى فعله « انتزح ينتزح » أى بعد ، وتقول « أنت بمنتزح من كذا » تريد أنت ببعد منه ، أو أنت فى مكان بعيد منه ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « بمنتزاح » فإن أصله « بمنتزح » لكنه لما اضطر لإقامة وزن البيت أشبع فتحة الزاى فنشأت عن هذا الإشباع ألف .

١٠ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد أنشدهما ابن منظور (ك ل ل) من غير عزو . و « الكلكال » والكلكل : الصدر من كل شىء ، وقيل : هو باطن الزور ، وقيل : هو ما بين الترقوتين ، وقوله « ياناقتا » هو ناقة مضاف لياء المتكلم ، وقد قلب الكسرة التى قبل الياء فتحة ثم قلب الياء ألفا ، وقد جاء فى لسان العرب « ياناقتى » على الأصل ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « الكلكال » فإن أصله « الكلكل » كما هو الوارد فى قول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

لكن الراجز لما اضطر أشبع فتحة الكاف الثانية فنشأت عن هذا الإشباع ألف ، كما أن راجزا آخر — وهو منظور بن مرثد الأسدى — اضطر إلى تضعيف اللام الأخيرة فقال :

كأن مهواها على الكلكل موضع كفى راهب يصلى

أراد « الكَلْكَلَ » ، وقال الآخر :

١١ — إذَا العَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ ... وَلاَ تَرَضَّاهَا وَلاَ تَمَلَّقِ

أراد « ولا تَرَضَّها » ، وقال عنترة :

١٢ — يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ ... زَيَّافَةٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُكْدَمِ

---

١١ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد أنشدهما ابن منظور (ر ض ى) من غير عزو ، وقوله « لا ترضاها » معناه لا تتطلب رضاها ، وقوله « ولا تملق » أصله لا تتملق ، لحذف إحدى التاءين ، ومعناه لا تتكلف الملق لها ، والاستشهاد به فى قوله « ولا ترضاها » فقد كان من حق العربية عليه أن يقول « ولا ترضها » فيكون الفعل المضارع مجزوما بلا الناهية ،وعلامة جزمه حذف الألف ، وللعلماء فى هذه الألف قولان : أحدهما أن هذه الألف هى لام الكلمة التى كان يجب عليه حذفها للجازم ، لكنه اكتفى بحذف الحركة كما يكتفى بحذف الحركة فى الفعل الصحيح الآخر ، والقول الثانى : أن لام الفعل قد حذفت كما هو مقتضى الجزم ، وهذه الألف ناشئة عن إشباع فتحة الضاد ، فالفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها ، وقد ذكرنا هذين الرأيين فى شرح الشاهد (رقم ٧) وانظر أيضا الشاهد ١٧ .

ونظير هذين البيتين قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى :

وتضحك منى شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

فإن قوله « كأن لم ترى » يجرى فيه الرأيان اللذين ذكرناهما ، ويزيد هذا البيت وجها ثالثا ، وحاصله أن قوله « ترى » بفتح التاء والراء وسكون الياء ، وهذه الياء هى ياء المؤنثة المخاطبة ، وليست لام الكلمة ولا ألف إشباع ، وكأنه بعد أن ذكر ضحكها منه التفت إليها فقال مخاطبا لها : كأنك لم ترى قبل هذه المرة أسيرا يمانيا .

١٢ — هذا البيت — كما قال المؤلف — لعنترة بن شداد العبسى ، من قصيدته المعلقة المشهورة ، وهو من شواهد الرضى ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (١/٥٩) وقوله « ينباع » معناه ينبع ، تقول « نبع الماء ، والعرق ، ونحوهما ، ينبع » من باب فتح يفتح ، ويأتى أيضا من بابى نصر وضرب — إذا خرج ، والذفرى — بكسر الذال وسكون الفاء — العظم الذى خلف الأذن ، و « غضوب » هى الناقة =

أراد « يَنْبَع » . وقال الشاعر فى إشباع الكسرة :

١٣ — تَنْفِى يدَاها الْحَصَى فى كُلِّ هَاجِــرَةٍ
نَفْيَ الدَّرَاهِــيمِ تَنْقَادُ الصَّــيَارِيفِ

=و « جسرة » الطويلة العظيمة الجسم ، و «زيافة» هى السريعة السير ، و « الفنيق » الفحل المكرم الذى لايؤذى لكرامته على أهله ، و « المكدم» الفحل القوى ، وقالوا « بعير مكدم » يريدون أنه غليظ شديد ، وقالوا أيضا « قدح مكدم » يريدون أن زجاجه غليظ ، والاستشهاد به فى قوله « ينباع » فإن أصله — على ما قال المؤلف — ينبع ، مثل يقطع ويفتح ، فلما اضطر لإقامة الوزن أشبع فتحة الباء فنشأت عن هذا الإشباع ألف ، وعلى هذا يكون وزن ينباع يفعال ، وهذا أحد وجهين للنحاة فى هذه الكلمة ، والثانى أن الياء ياء المضارعة كما فى الرأى الأول ، لكن النون التى بعدها ليست أصلا ، ولكنها زائدة ، والحروف الأصلية هى الباء وما بعدها ، وأصل هذه الألف ياء ، فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فوزن ينباع على هذا ينفعل ، مثل ينقاد وينداح ، وهذا بعيد لا يقره الاشتقاق ولا المعنى المراد .

ونظير هذه الشواهد التى أثرها المؤلف لإشباع الفتحة حتى تنشأ ألف قول الراجز :

أعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الأذناب

أراد « العقرب » فأشبع فتحة الراء فنشأت ألف ، ومثله قول الراجز الآخر وأنشده ابن منظور (د ر ه م) .

لو أن عندى مائتى درهام لجاز فى آفاقها خاتامى

أراد « مائتى درهم » فأشبع فتحة الهاء فنشأت ألف ، ومثل ذلك فى قوله «خاتامى» فانه أراد « خاتمى » فأشبع فتحة التاء فتولدت ألف ، ونظيره قول الراجز الآخر ، وأنشده ابن منظور أيضا (خ ت م) لبعض بنى عقيل :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا أصم فى نهار القيظ للشمس باديا
وأركب حمارا بين سرج وفروة وأعرمن الخاتام صغرى شماليا

أراد أن يقول « وأعرمن الخاتم » فأشبع فتحة التاء فتولدت من ذلك الإشباع ألف

١٣ — هذا البيت من كلام الفرزدق همام بن غالب، وقد أنشده ابن منظور (ص ر ف — د ر ه م) منسوبا له ، وأنشده ابن جنى فى سر الصناعة (١/٢٨) وهو من شواهد=

أراد « الدراهم » و « الصيارف » فأشبع الكسرة فنشأت الياء ، ويحتمل أن يكون الدراهِيمُ جمعَ دِرْهامٍ ، ولا يحتمل الصياريف هذا الاحتمال ، وقال الآخر :

١٤ — كَأَنِّى بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ لَقْوَةٍ   عَلَى عَجَلٍ مِنِّى أُطَأْطِىءُ شِيمَالِى(١)

= سيبويه (١/١٠) وهو من شواهد ابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥٦٧ بتحقيقنا) والأشمونى (رقم ٦٨٩ بتحقيقنا) وابن عقيل (رقم ٢٥٣ بتحقيقنا) وقوله « تنفى » معناه تطرد وتبعد ، و« يداها » أى يدا الناقة التى يصفها ، و « هاجرة » هى الوقت حين ينتصف النهار ويشتد الحر،و « تنقاد » أحد مصادر نقد الدراهم ينقدها نقدا ؛ إذا ميز رديئها من جيدها،و « الصياريف » جمع صيرف ــ بوزن جعفر ــ وهو الخبير بالنقد الذى يبادل على بعضه ببعض . والاستشهاد به فى قوله « الدراهيم » و« الصياريف» فإن الأصل الدراهم والصيارف ، فأشبع كسرة الهاء فى الدراهم وكسرة الراء فى الصيارف فتولدت عن كل إشباع منهما ياء ، وهذا تام الدلالة فى الصياريف ، أما فى الدراهيم فقد يقال : إنه جمع درهام لادرهم ــ كما نبه إليه المؤلف ــ فالإشباع والتوليد فى المفرد ، والخطب فى ذلك سهل ، ونظير ذلك قول ابن مقبل .

قد كنت أحجو أبا عمرو أخاثقة   حتى ألمت بنا يوما ملمات

فقلت والمرء تخطيه عطيته   أوفى عطيته إياى ميثات

أراد أن يقول « مئات » فأشبع كسرة الميم فتولدت ياء ، وقد استباح الشعراء المحدثون لأنفسهم أن يرتكبوا مثل هذه الضرورات ، فقال أحد الخالديين شاعرى سيف الدولة الحمدانى :

خولتنا شمسا وبدرا أشرقت   بهما لدينا الظلمة الحنديس

فإنه أراد أن يقول « الحندس » فأشبع كسرة الدال فتولدت ياء ، والحندس : الشديد الظلام

١٤ ــ هذا البيت لامرىء القيس بن حجر الكندى ، وقد أنشده ابن منظور (ش م ل) . وقوله « فتخاء الجناحين » هى العقاب اللينة الجناح ، وذلك أسهل لطيرانها ، و « لقوة » بفتح اللام أو كسرها ، مع سكون القاف فيهما ــ هى الخفيفة السريعة . يصف ناقته التى ارتحلها بالسرعة ، فشبهها بالعقاب . والاستشهاد بالبيت فى قوله « شيمالى » فإن أصلها شمالى ، فلما اضطر لإقامة الوزن أشبع كسرة الشين فتولدت ياء ، وهذه إحدى روايتين فى هذه الكلمة فى هذا البيت ، والرواية الأخرى=

أراد « شِمَالِي » ، وقال الآخر :

١٥— لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ وَفَارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ

أراد « المراجِلَ » ، وقال الآخر :

١٦ — لا عَهْدَ لى بِنِيضَالْ أَصْبَحْتُ كالشَّنِّ الْبَالْ

أراد « بِنِضَالٍ »، وقال الآخر :

= « أطأطىء شملالى » والشملال لغة فى الشمال ، ومن العلماء من يجعل الشمال بالياء لغة أخرى فى الشمال ، ومن العلماء من ينكر أنها لغة ويذهب إلى ماذهب المؤلف إليه من أن الشاعر اضطر فأشبع الكسرة ، والخطب فى ذلك سهل ؛ فإن الذى أثبتها لغة اعتمد على قول هذا الشاعر أو مثله ممن يستشهد بقوله .

١٥ ـ هذا البيت لعبدة بن الطبيب،من قصيدة له ثابتة فى المفضليات (المفضلية٢٦)وقد أنشد هذا البيت ابن عبد ربه فى العقد الفريد (١/١٩٢) وله عنده قصة ، والأخبية:جمع خباء ــ بوزن كساء وأكسية ، ورداء وأردية ــ والمراجيل: جمع مرجل ، وهو القدر التى يطبخ فيها الطعام ، يقول : إنهم حين حطوا رحالهم أسرعوا فنحروا الذبائح وأوقدوا عليها ففارت قدورهم باللحم ، يصف أنفسهم بالكرم ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « المراجيل » فإن أصله المراجل ؛ لأنه جمع مرجل على وزن منبر ، ولكنه لما اضطر أشبع كسرة الجيم فتولدت عنها ياء .

١٦ ـ هذان بيتان من الرجز ، وقد أنشدهما ابن منظور (ن ض ل) غير معزو ، والنيضال : مصدر « ناضله يناضله » إذا باراه فى الرمى ، و « الشن » القربة الصغيرة ، والبال : أى البالى .

ومحل الاستشهاد بهذا الشاهد قوله « بنيضال» فإنه مصدر ناضله كما بينالك ،والأصل أن يقول « بنضال» كما تقول: قاتل قتالا ومقاتلة ، ولكنه لما اضطر أشبع كسرة النون فتولدت ياء ، وهذا الذى حكاه المؤلف فى هذه الكلمة هو رأى أبى العباس ثعلب ، وأما سيبويه فإنه ذهب إلى أن مصدر الفعل الذى على فاعل كقاتل وشارك يأتى على فعال بكسر الفاء غالبا ، وربما جاء على فيعال بزيادة ياء بعد الفاء تقابل الألف الزائدة فى الفعل لئلا يكونوا قد تركوا من حروف الفعل شيئاً .

١٧ — أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِى ... بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِى زِيَادِ

أراد «ألم يأتِكَ» فأشبع الكسرة فنشأت الياء.

وإشباعُ الحركات حتى تنشأ عنها هذه الحروفُ كثيرٌ فى كلامهم[1]، فكذلك ها هنا.

١٧ — هذا البيت من كلام قيس بن زهير بن جذيمة العبسى، وقد أنشده ابن منظور (أ ت ى) منسوبا إليه، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٤٣) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٢٠) وفى مغنى اللبيب (رقم ١٥٦ بتحقيقنا) والأنباء: جمع نبأ، وهو كالخبر وزنا ومعنى، وقيل: النبأ خاص بذى الشأن من الأخبار، وتنمى: تزيد وتكثر، وهو من بابى ضرب ونصر، واللبون: الإبل ذوات اللبن، وبنو زياد: هم الكملة من الرجال الربيع وعمارة وقيس وأنس، بنو زياد بن سفيان بن عبد الله العبسى، وأمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، وكان قيس بن زهير قد طرد إبلا للربيع بن زياد فى قصة مشهورة. والاستشهاد بالبيت فى قوله «ألم يأتيك» فإن «يأتى» فعل مضارع معتل الآخر، وقد دخل عليه الجازم، وجمهرة العرب يجزمونه بحذف حرف العلة — وهو هنا الياء — فيقولون «ألم يأتك» وللعلماء فى هذه الياء رأيان: أحدهما أنها لام الفعل، وأن الشاعر اكتفى بحذف الحركة كما يفعل مع الفعل الصحيح الآخر؛ فيكون «يأتى» مجزوما وعلامة جزمه السكون، والرأى الثانى أن الشاعر جزم «يأتى» بحذف حرف العلة كما يصنع جمهرة العرب، إلا أنه اضطر لإقامة الوزن فأشبع كسرة التاء فتولدت عنها ياء، فهذه الياء ياء الإشباع وليست لام الكلمة. وهذا الرأى الأخير هو الذى ذهب إليه المؤلف، قال ابن منظور «وأما قول قيس بن زهير العبسى ألم يأتيك ... فإنما أثبت الياء ولم يحذفها للجزم ضرورة، ورده إلى أصله، قال المازنى: ويجوز فى الشعر أن تقول: زيد يرميك برفع الياء، ويغزوك برفع الواو، وهذا قاضى بالتنوين، فتجرى الحرف المعتل مجرى الحرف الصحيح من جميع الوجوه فى الأسماء والأفعال جميعاً لأنه الأصل» اهـ. وكلام المازنى هو الرأى الأول الذى ذكرناه لك، وقد ذكرنا مثلهما فى شرح الشاهدين ٧ و١١ فتأمل والله يرشدك.

(١) وربما عكسوا ذلك، فقطعوا المدة وحذفوا حرف العلة اكتفاء بالحركة المناسبة له، ومن ذلك ما أنشده سيبويه (١ / ٩):

كنواح ريش حمامة نجدية ... ومسحت باللثتين عصف الإثمد

=

وهذا القول ظاهر الفساد ؛ لأن إشباع الحركات إنما يكون فى ضرورة الشعر كما أنشدوه من الأبيات، وأما فى حال اختيار الكلام فلا يجوز ذلك بالإجماع ، وها هنا بالإجماع تقول فى حال الاختيار : هٰذَا أبُوكَ ، ورأيْتُ أبَاكَ ، ومررت بأبِيكَ ؛ وكذلك سائِرُها ، فَدَلَّ على أنها ليست للإشباع عن الحركات ، وأن الحركات ليست للإعراب ، على ما سنبين فى الجواب عن كلمات الكوفيين .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن هذه الحركات تكون حركات إعراب فى حال الإفراد فكذلك فى حال الإضافة » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن حرف الإعراب فى حال الإفراد هو الباء ؛ لأن اللام التى هى الواو من « أبَو » لما حُذفت من آخر الكلمة صارت العين التى هى الباء بمنزلة اللام فى كونها آخر الكلمة ؛ فكانت الحركات عليها حركات إعراب ، فأما فى حال الإضافة فحرف الإعراب هو حرف العلة ؛ لأنهم لما أرادوا أن يجعلوا اختلاف الحروف بمنزلة اختلاف الحركات رَدُّوا اللام فى الإضافة ؛ ليدلوا على أن من شأنهم الإعراب بالحروف توطئة لما يأتى من باب التثنية والجمع ، وإذا كان حرف الإعراب هو حرف العلة لم تكن هذه الحركات على الباء فى حالِ الإضافة حركات إعراب ؛ لأن حركات الإعراب لا تكون فى حَشْو الكلمة ، وصار هذا بمنزلة تاء التأنيث إذا اتصلت ببناء الاسم نحو قائم وقائمة فإنها تصير حرف الإعراب ؛ لأنها صارت

= فإنه أراد أن يقول « كنواحى ريش حمامة » فحذف الياء اعتماداً على الكسرة التى قبلها أن تدل عليها ، ومثل قول الشاعر ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ١٨) :

فى كلت رجليها سلامى واحده كلتاهما قد قرنت بزائده

فإنه أراد أن يقول « فى كلتا رجليها » فحذف الألف ، واكتفى بالفتحة التى قبلها أن تكون مرشداً إليها ، وقد أنشد المؤلف هذا البيت لما قلنا فى المسألة (رقم ٦٢) وذكر معه نظائره ، وأعاده مع أمثاله فى المسألة (رقم ٧٢) فارتقب ما يجىء هناك .

آخر الكلمة وتخرج [١٢] ما قبلها عن تلك الصفة ؛ لأنه قد صار بمنزلة حَشْوِ الكلمة ؛ فكذلك ها هنا ، وبَلْ أولى ؛ فإن تاء التأنيث زائدة على بناء الاسم وليست أصلية ، وحرف العلة ها هنا أصْلِىٌّ فى بناء الاسم وليس زائداً ، وإذا تُرِكَ ما قبل الزائد حَشْوا فَلَأن يترك ما قبل الأصلىِّ حشواً كان ذلك من طريق الأولى .

وأما قولهم « إن الحركة التى تكون إعراباً للمفرد فى حال الإفراد هى بعينها تكون إعراباً له فى حال الإضافة نحو : هذا غلام ، وهذا غلامك » قلنا : إنما تكون الحركة فيهما واحدة إذا كان حرف الإعراب فيهما واحداً ، نحو « هذا غلام ، وهذا غلامك » وقد بينا اختلاف حرف الإعراب فيهما ؛ فلا يُقَاسُ أحدهما على الآخر ، وإن ادَّعَوْا أن حرف الإعراب فيهما واحد ــ على خلاف التحقيق من مذهبهم ــ وزعموا أن الحرف للاعراب وليس بلام الكلمة، وأنه والحركة مَزِيدَانِ للاعراب ، فقد بينا أن ذلك لا نظير له فى كلامهم ، وأن أحدهما زيادة بغير فائدة ، وأوضحنا فساده بما يغنى عن الإعادة .

وأما قولهم « تغير الحركات على الباء فى حال الرفع والنصب والجر يدلُّ على أنها حركات إعراب » قلنا : هذا لا يدل على أنها حركات إعراب؛ لأنها إنما تغيرت تَوْطِئة للحروف التى بعدها ؛ لأنها من جنسها ، كما قلنا فى الجمع السالم نحو « مسلمون ومُسْلِمِينَ » فإن ضمة الميم فى الرفع تتغير إلى الكسرة فى حال الجر والنصب ، وليس ذلك بإعراب ، وإنما جعلت الضمة تَوْطِئة للواو ، والكسرة توطئة للياء ، فكذلك ها هنا ، وإذا بطل أن تكون هذه الحركات حركات إعراب ، وأجمعنا على أن هذه الحروف ــ التى هى الواو والألف والياء ــ تدل على الرفع والنصب والجر الذى هو جملة الإعراب ؛ فلا حاجة إلى أن يكون معربا من مكان آخَرَ .

وأما قولهم « إنما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين لقلة حروفها » قلنا : هذا ينتقض بغَدٍ ويَدٍ ودَمٍ ؛ فإنها قليلة الحروف [و] لاتعرب فى حال الإضافة إلا من مكان واحد .

وأما قولهم « ليزيدوا بالإعراب فى الإيضاح والبيان » قلنا : الإيضاح والبيان قد حصل بإعرابٍ واحدٍ ، فصار الإعرابُ الزائد لغير فائدة ، والحكيم لايزيد شيئاً لغير فائدة ؛ فوجب أن تكون معربة من مكان واحد كسائر ما أعرب من الكلام ، والله أعلم .

[١٣] ٣ — مسألة

[القولُ فى إعراب المثنى والجمع على حَدِّه] (١)

ذهب الكوفيُّون إلى أن الألف والواو والياء فى التثنية والجمع بمنزلة الفتحة والضمة والكسرة فى أنها إعراب ، وإليه ذهب أبو على قُطْرُبُ بن المُسْتَنِير ، وزعم قوم أنه مذهب سيبويه ، وليس بصحيح . وذهب البصريون إلى أنها حروف إعراب . وذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو عثمان المازنى إلى أنها ليست بإعراب ولا حروف إعراب ، ولكنها تدل على الإعراب . وذهب أبو عمر الجَرْمى إلى أن انقلابها هو الإعراب . وحكى عن أبى إسحاق الزَّجَّاجِ أن التثنية والجمع مبنيان ، وهو خلاف الإجماع .

أما الكوفيُّون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها إعراب كالحركات أنها تتغير كتغير الحركات ، ألا ترى أنك تقول : قام الزَّيْدَانِ ، ورأيت الزيدَيْنِ ، ومررت

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الرضى على كافية ابن الحاجب (٢/١٦٠) وشرح موفق الدين ابن يعيش على المفصل (ص٦٣ و ٥٨٨ أوربة) وشرح الأشمونى (١/٤٤ — بتحقيقنا) وحاشية الصبان (١/٨٠ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (١/٧٧ بولاق)

بالزيدَيْنِ . وذهَبَ الزيدون ، ورأيت الزيدِينَ ، ومررت بالزيدِينَ ، فتتغير كتغير الحركات ، نحو « قام زيدٌ ، ورأيت زيداً ، ومررت بزيدٍ » وما أشبه ذلك ، فلما تغيرت كتَغير الحركات دل على أنها إعرابٌ بمنزلة الحركات ، ولو كانت حروفَ إعرابٍ لما جاز أن تتغير ذَوَاتُها عن حالها ؛ لأن حروف الإعراب لاتتغير ذَوَاتُها عن حالها ، فلما تغيرت تغير الحركات دلّ على أنها بمنزلتها ؛ ولهذا سماها سيبويه حروف الإعراب؛ لأنها الحروف التى أعرب الأسم بها ، كما يقال : حركات الإعراب ــ أى الحركاتُ التى أعرب الاسم بها ــ والذى يدلُّ على ذلك أنه جعل الألف فى التثنية رفعاً فقال : يكون فى الرفع ألفاً ، وجعل الياءفيها جراً فقال: يكون فى الجر ياء مفتوحا ماقبلها ، وجعل الياء أيضاً نصباً حملا على الجر فقال : ويكون فى النصب كذلك ، وهكذا جَعَلَ الواو والياء فى الجمع رفعا وجراً ونصباً ، والرفع والجر والنصب لايكون إلا إعرابا ؛ فدلّ على أنها إعراب .

قالوا : ولا يجوز أن يقال «إن هذا يؤدى إلى أن يكون معربا لاحرفَ إعراب له وهذا لانظير له، وذلك لايجوز» لأنا نقول هنا : إنما لايجوز فيما يكون إعرابه بالحركة لا بالحرف ؛ لأن الحركة تدخل فى الحرف ، بخلاف ماإذا كان معربا بالحرف ، لأن [١٤] الحرف لايدخل فى الحرف ، والذى يدل على ذلك الخمسة الأمثلة ــ وهى : يَفْعلاَن ، وتَفْعَلاَن ، ويفعَلُون ، وتَفْعَلُون ، وتَفْعَلِينَ يا امرأة ــ فإنها لمــا كانت معْرَبة بالحرف لم يكن لها حرف إعراب ، ألا ترى أن النون علامة الرفع كالضمة فى تَضْرِبُ ؟ وإذا جاز أن تــكون هذه الخمسة الأمثلة معربة ولا حرفَ إعرابٍ لها لأن إعرابها بالحرف فــكذلك هاهنا يجوز أن يكون الاسم فى التثنية والجمع معربا ولا حرف إعرابٍ له ؛ لأن إعرابه بالحرف .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنها حروف إعراب وليست بإعراب لأن هــذه الحروف إنما زيدت للدلالة عَلَى التثنية والجمع ؟ ألا ترى أن الواحد يدل على مفرد ؛ فإذا زيدت هذه الحروف دلت على التثنية والجمع ؟ فلما زيدت بمعنى التثنية والجمع صارت من تمام صيغة الــكلمة التى وُضِعَتْ لذلك المعنى ؛ فصارت بمنزلة التاء

فى قائمة والألف فى حُبْلَى ، وكما أن التاء والألف حرفاً إعرابٍ فكذلك هذه الحروف هاهنا .

وأما من ذهب إلى أنها ليست بإعراب ولا حروف إعراب ولكنها تدل على الإعراب فقال : لأنها لو كانت إعرابا لما اخْتَلَّ معنى الكلمة بإسقاطها كإسقاط الضمة من دال زيد فى قولك « قام زَيْدٌ » وما أشبه ذلك، ولو أنها حروف إعراب كالدال من « زيد » لما كان فيها دلالة على الإعراب ، كما لو قلت « قام زَيْدْ » من غير حركة ، وهى تدل على الإعراب ؛ لأنك إذا قلت « رجلان » علم أنه رفع ؛ فدل على أنها ليست بإعراب ولا حروف إعراب ، ولكنها تدل على الإعراب .

وهذا القول فاسد ، وذلك لأن قولهم « إن هذه الحروف تدل على الإعراب لايخلو : إما أن تدل على إعراب فى الكلمة ، أو فى غيرها ؛ فإن كانت تدل على إعراب فى الكلمة فوجب أن تقدر فى هذه الحروف ، لأنها أواخر الكلمة ، فيؤول هذا القول إلى أنها حروف الإعراب كقول أكثر البصريين ، وإن كانت تدل على إعراب فى غير الكلمة فوجب أن تكون الكلمة مَبْنِيَّةً ، وليس من مذهب أبى الحسن الأخفش وأبى العباس المبرد وأبى عثمان المازنى أن التثنية والجمع مبنيان .

وأما من ذهب إلى أن انقلابها هو الإعراب فقد أفسده بعضُ النحويين من وجهين ؛ أحدهما : أن هذا يؤدى إلى أن يكون الإعراب بغير [١٥] حركة ولا حرف ، وهذا لا نظير له فى كلامهم . والوجه الثانى : أن هذا يؤدى إلى أن يكون التثنية والجمع فى حال الرفع مبنيين ؛ لأن أولَ أحوالِ الاسم الرفعُ ولا انقلاب له ، وأن يكونا فى حال النصب والجر معربين ؛ لانقلابهما . وليس من مذهب أبى عمر الجَرْمى أن التثنية والجمع مبنيان فى حال من الأحوال .

وأما من ذهب إلى أنهما مبنيان فقال : إنما قلت ذلك لأن هذه الحروف زيدت

على بناء المفرد فى التثنية والجمع ، فنزّلا منزلة ماركب من الاسمين نحو «خمسةَ عشَرَ» وما أشبهه .

وهذا القول أيضاً يفسد من وجهين ؛ أحدهما : أن التثنية والجمع وضعا على هذه الصيغة لأن يَدُلاَّ على معنييهما من التثنية والجمع ، وإنما يفرد المفرد فى الحكم لوجود لفظه ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يُشَبَّهَا بما ركب من شيئين منفصلين كخمسة عشر وما أشبهه ، والوجه الثانى : أنهما لو كانا مبنيين لكان يجب أن لا يختلف آخرها باختلاف العوامل فيهما ؛ لأن المبنى مالا يختلف آخره باختلاف العوامل فيه ، فلما اختلف هاهنا آخر التثنية والجمع باختلاف العوامل فيهما دل على أنهما معربان لامبنيان .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنها هى الإعراب كالحركات بدليل أنها تتغير تَغَيُّرَ الحركاتِ » فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن القياس كان يقتضى أن لاتتغير كقراءة من قرأ : (إنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) على لغة بنى الحارث بن كعب ، إلا أنهم عَدَلُوا عن هذا القياس لإزالة اللَّبْسِ ، ألا ترى أنك لو قلت « ضرب الزيدان العمران » لوقَع الالتباسُ ، وليس هذا بمنزلة المقصور فى نحو « ضَرَب موسٰى عيسٰى » ؛ لأن المقصور يزول عنه اللبس بالوصف والتوكيد ؛ لأنه ليس من شرط وصف المقصور أن يكون مقصورا ، وكذلك التوكيد ؛ بخلاف المثنى والمجموع ؛ لأنه من شرط وصف المثنى أن يكون مثنى ، ومن شرط وصف المجموع أن يكون مجموعا[1] ، وكذلك التوكيد ، فَبَانَ الفرقُ بينهما ؛

(١) لكن لا يلزم أن يكون وصف جمع المذكر جمعا مذكرا ؛ بل يجوز أن يكون جمع تكسير نحو « هؤلاء الزيدون الأفاضل» فيزول عنه اللبس بالوصف ، وزواله بالتوكيد ظاهر ؛ فلم يتم الفرق .

والذى يدل على أن هذه الأحرف ليست إعرابا كالحركات أنها لو كانت هى الإعراب كالحركات لكان يجب أن لا يُخِلَّ سقوطُها بمعنى الكلمة كما لو سقطت الحركات؛ لأن سقوط الإعراب لا يخلُّ بمعنى الكلمة، ألا ترى أنك لو أسقطت الضمة والفتحة والكسرة من [١٦] الاسم نحو «قام زَيْدْ، ورأيت زَيْدْ، ومررت بزَيْدْ» لم يخلَّ بمعنى الاسم، ولو أسقطت الألف والواو والياء من التثنية والجمع لأخلَّ بمعنى التثنية والجمع؟ فلما أخَلَّ سقوطُ هذه الحروف بمعنى التثنية والجمع بخلاف الحركات دلَّ على أنها ليست بإعراب كالحركات.

والوجه الثانى: أن هذه الحروف إنما تغيرت فى التثنية والجمع؛ لأن لهما خاصية لا تكون فى غيرهما استحَقَّا من أجلها التغيير، وذلك أن كل اسم معتل لا تدخله الحركات ـ نحو «رَحًى، وعَصًا، وحُبْلَى، وبُشْرَى» ـ له نظير من الصحيح يدل على مثل إعرابه، فنظير رَحًى وعَصًا: جَمَل وجَبَل، ونظير حُبلى وبُشْرى: حمراء وصحراء، وأما التثنية وهذا الجمع الذى على حدها، فلا نظير لواحد منهما إلا بتثنية أو جمع، فعوضا من فقد النظيرِ الدالِّ على مثل إعرابها تَغَيُّرَ هذه الحروفِ فيهما.

والوجه الثالث: أن هذا ينتقض بالضمائر المتصلة والمنفصلة؛ فإنها تتغير فى حال الرفع والنصب والجر، وليس تغيرها إعرابا، ألا ترى أنك تقول فى المنفصلة «أنا، وأنت» فى حال الرفع، و«إياى، وإياك» فى حالِ النصب، وتقول فى المتصلة «مررت بك» فتكون الكاف فى موضع جر وهى اسم مخاطب، و«رأيتك» فتكون فى موضع نصب، وتقول «قمت، وقعدت» فتكون التاء فى موضع رفع، فتتغير هذه الضمائر فى هذه الأحوال وإن لم يكن تغيرها إعراباً.

وأما قولهم «إن سيبويه سماها حروفَ الأعرابِ» قلنا: هذا حجة عليكم؛ لأن حروف الإعراب هى أواخر الكلم، وهذه الحروف هى أواخر الكلم؛

فكانت حروف الإعراب ، قولهم « إنما سماها حروفَ الإعرابِ ، لأنها التى أُعْرِبَ الاسمُ بها ، كما تقول : حركات الإعراب » قلنا : هذا خلاف الظاهر ؛ فإن الظاهر فى اصطلاح النحويين أنه إذا أطلق حرف الإعراب إنما يطلق على آخر حرف من الكلمة ، نحو الدال من « زيد » والراء من «عمرو» لا على الحرف الذى يكون إعرابا للكلمة ، ألا ترى أن الخمسة الأمثلة أعربت بالحرف ، ولا حرفَ إعرابٍ لها ؟

وأما قولهم « إنه جعل الألف والواو والياء فى التثنية والجمع رفعاً وجراً ونصباً إلى آخر ما ذكروه » قلنا : معنى قوله « يكون فى الرفع ألفا ، ويكون فى الجر ياء ، وفى النصب كذلك » أى أنه يقع موقِعَ المرفوعِ ، وإن لم يكن مرفوعا ، [١٧] ويقع موقع المجرور وإن لم يكن مجرورا ، ويقع موقع المنصوب وإن لم يكن منصوبا ، كما يقال : ضمير المرفوع ، وضمير المنصوب ، وضمير المجرور ، وإن لم يكن شىء منها مرفوعا ولا منصوبا ولا مجرورا ، وإنما المرفوع والمنصوب والمجرور ما يقع موقعها من الأسماء المعربة ؛ فكذلك هذه الحروف تقع موقع ما يحلّ فيه الإعرابُ وإن لم يكن فيها إعراب لوقوعها موقع ما يحل فيه الإعراب إذا وجد ، وصار هذا كقول علماء العربية « حروف الزوائد عشرة يجمعها لا أنسيتموه » وإن كانت هذه الحروف قد تقع زائدة وأصلية ، ألا ترى أن اللام أصلية فى « جَبَلٍ ، وجَمَلٍ » كما هى زائدة فى « زَيْدَلٍ ، وعَبْدَلٍ » وكذلك سائرها ، ثم سُمِّيَتْ بذلك لأن الحروف الزوائد لا تخرج عنها ، فكذلك ها هنا ؛ فدلّ على أنها حروف الإعراب ، والذى يدل على أنها ليست هى الإعراب أنا لو قلنا إنها هى الإعراب لأدَّى إلى أن يكون معرب لا حَرْفَ إعراب له ، وهذا لا نظير له .

قولهم : « هذا إنما لا يجوز فيما يكون إعرابه بالحركة لا بالحرف » قلنا : لا نسلم ، بل الأصل فى كل معرب أن يكون له حرف إعراب ، سواء كان معربا بالحركة أو

معرباً بالحرف ، فأما الخمسة[١] أمثلة فمنهم من ذهب إلى أن لها حرف إعراب وهى الألف فى « يفعلان » والواو فى « يفعلون » والياء فى « تفعلين » فعلى هذا لا نسلم ، ولئن سلمنا على المذهب المشهور فإنما أعربت ولا حرف إعراب لها على خلاف الأصل ، وذلك لأنا لو قدَّرْنا لها حرف إعراب لم يَخْلُ : إما أن يكون اللام ، أو الضمير ، أو النون ؛ بطل أن يكون حرف الإعراب اللام؛ لأن من الإعراب الجزم؛ فلو جعلناه اللام لوجب أن يسكن فى حالة الجزم ؛ فكان يؤدى إلى أن يحذف ضمير الفاعل[٢] ، وذلك لا يجوز ، وبطل أيضاً أن يكون الضمير حرف الإعراب ؛ لأن الضمير فى الحقيقة ليس جزءاً من الفعل ، وإنما هو اسم قائم بنفسه فى موضع رفع ؛ لأنه فاعل ؛ فلا يجوز أن يكون إعراباً لكلمة أخرى ، وعلى هذا تخرج الألف والواو والياء فى تثنية الأسماء وجمعها ؛ فإنها حروف لا تقوم بنفسها ولا موضع لها من الإعراب ؛ فجاز أن تكون حروف الإعراب ، وبطل أن تكون النون حرف الإعراب ؛ لأنها ليست كحرف من الفعل ، وإنما هى بمنزلة [١٨] الحركة التى هى الضمة ، ولهذا تحذف فى الجزم والنصب ، ولا يُخِلّ حذفُها بمعنى الفعل ، ولو كانت حرف الإعراب لما حذفت مع تحركها ، ولأخلّ حذفها بمعنى الفعل ، ولكان الإعراب جارياً عليها ؛ فلذلك لم يجز أن تكون حرف الإعراب ، وعلى هذا تخرج الألف والواو والياء فى التثنية والجمع ؛ فإنها بمنزلة حروفها ، ويختلُّ معناها بحذفها ؛ فلذلك جاز أن تكون حروف الإعراب على ما بينّا ، والله أعلم .

---

(١) هذا التعبير غير جائز عند البصريين والكوفيين جميعا ؛ والصواب أن يقال « فأما خمسة الأمثلة » .

(٢) للتخلص من التقاء الساكنين : اللام حالة الجزم ، والألف أو الواو أو الياء اللائى هن ضمائر الفاعلين .

٤ — مسألة

[هل يجوز جَمْعُ العَلَمِ المؤنث بالتاء جَمْعَ المذكر السالم ؟][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الذى آخره تاء التأنيث إذا سميتَ به رجلا يجوز أن يجمع بالواو والنون ، وذلك نحو طَلْحة وطَلْحون ، وإليه ذهب أبو الحسن ابن كَيْسَان ، إلاَّ أنه يفتح اللام فيقول الطَّلَحُون — بالفتح — كما قالوا « أرَضُون » حملا على أرَضَاتٍ ، وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إنه يجوز جمعه بالواو والنون وذلك لأنه فى التقدير جمع طَلْح ؛ لأن الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرفٍ من الكلمة ، قال الشاعر :

١٨ — * وَعُقْبَةُ الْأَعْقَابِ فِي الشَّهْرِ الْأَصَمّْ *

فكسَّره عَلَى ما لا هاء فيه ، وإذا كانت الهاء فى تقدير الإسقاط جاز جمعه بالواو والنون كسائر الأسماء المجموعة بالواو والنون ؛ والذى يدل على صحة مذهبنا أنا أجمعنا على أنك لو سميت رجلا بحَمْرَاء أو حُبْلَى لجمعته بالواو والنون فقلت « حمراوُون ، وحُبْلَوْن » ولا خلاف أن ما فى آخره ألف التأنيث أشد تمكناً فى التأنيث مما فى آخره تاء التأنيث ؛ لأن ألف التأنيث صيغت الكلمة عليها ، ولم تُخْرِجِ الكلمةَ من تذكير إلى تأنيث ، وتاء التأنيث ما صيغت الكلمة عليها وأخرجَتِ الكلمةَ من التذكير إلى التأنيث ، ولهذا المعنى قام التأنيث بالألف فى منع الصرف مقام

---

(١) هذه المسألة تأتى فى أثناء مباحث جمع المذكر السالم فى المراجع التى ألمعنا إليها

١٨ — لم أقف لهذا البيت — مع طويل البحث — على نسبة ، ولا تكملة ، ولا وجدت أحداً أثر غيره المؤلف ، والاستشهاد به فى قوله « الأعقاب » فإنه جمع عقبة بعد تقدير سقوط التاء فيصير مثل قفل ، وهو يجمع على أقفال .

شيئين ، بخلاف التأنيث بالتاء ، و إذا [١٩] جاز أن يجمع بالواو والنون ما فى آخره ألف التأنيث ـ وهى أوْكَدُ من التاء — فَلأن يجوز ذلك فيما آخرُهُ التاء كان ذلك من طريق الأَوْلَى .

وأما ابن كَيْسَان فاحتج على ذلك بأن قال : إنما جَوَّزْنا جمعه بالواو والنون وذلك لأن التاء تسقط فى الطَّلَحَاتِ ، فإذا سقطت التاء و بقى الاسم بغير تاء جاز جمعه بالواو والنون ، كقولهم « أَرْض وأَرَضُونَ » وكما حركت العين من أَرَضُون بالفتح حملا على أَرَضَات فكذلك حركت العين من « الطَّلَحُون » حملا على الطَّلَحَات؛ لأنهم يجمعون ما كان على « فَعْلة » من الأسماء دون الصفات على « فَعَلَاتٍ » .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على امتناع جواز هذا الجمع بالواو والنون وذلك لأن فى الواحد علامةَ التأنيثِ ، والواو والنون علامة التذكير ، فلو قلنا إنه يجوز أن يجمع بالواو والنون لأدَّى ذلك إلى أن يجمع فى اسم واحد علامتان متضادتان ، وذلك لايجوز ، ولهذا إذا وَصَفُوا المذكر بالمؤنث فقالوا « رجل رَبْعَة » جمعوه بلا خلاف فقالوا « رَبْعَات » ولم يقولوا : رَبْعُونَ ، والذى يدل على صحة هذا القياس أنه لم يسمع من العرب فى جمع هذا الاسم أو نحوه إلا بزيادة الألف والتاء ، كقولهم فى جمع طلحة « طَلَحَات » وفى جمع هُبَيْرَةَ « هُبَيْرَات » قال الشاعر :

١٩ — رَحِمَ اللهُ أَعْظُماً دَفَنُوهَا ... بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ (١)

---

١٩ — هذا البيت من كلام عبيد الله بن قيس الرقيات، من كلمة له يقولها فى طلحة بن عبدالله ابن خلف الخزاعى ، وقد أنشده ابن منظور (ط ل ح) وقد اختلف فى سبب تسميته « طلحة الطلحات » فقيل : كان كريما وإنه زوج مائة عربي بمائة عربية وأمهرهن من ماله ، فولد لكل واحد ولد فسماه طلحة ، فأضيف إليهم ؛ لأن يده كانت السبب فيهم ، وقيل : بل لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة ، واسم عمها طلحة ، واسم أخيها طلحة ، فلما اكتنفه هؤلاء الطلحات أضافوه إليهم .

ولم يسمع عن أحد العرب أنهم قالوا الطلحون ولا الهبَيْرون ، ولا فى شىء من هذا النحو بالواو والنون ، فإذا كان هذا الجمع مدفوعا من جهة القياس معدوما من جهة النقل فوجب أن لا يجوز .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه فى التقدير جمع طَلْحٍ » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن الجمع إنما وقع عَلَى جميع حروف الاسم ، لأنا إيَّاهُ نَجْمَعُ ، وإليه نقصد ، وتاء التأنيث من جملة حروف هذا الاسم ؛ فلم ننزعها عنه قبل الجمع وإن كان اسماً لمذكر ؛ لئلا يكون بمنزلة ما سُمِّى به ولا علامة فيه ، فالتاء فى جمعه مكان التاء فى واحده .

وأما ما استشهدوا به من قوله :

* وعقبة الأعقاب فى الشهر الأصم * [١٨]

فهو مع شذوذه وقلته فلا تعلق له بما وقَعَ الخلافُ فيه ؛ لأن جمع التصحيح ليس على قياس جمع التكسير ليحمل عليه .

وأما قولهم « إنا أجمعنا على أنك لو سميت [٢٠] رجلا بحمراء وحُبْلَى لقلت فى جمعه : حَمْرَاوُون وحُبْلَوْنَ ــ إلى آخر ما قدَّروا » قلنا : إنما جمع ما فى آخره ألف التأنيث بالواو والنون لأنها يجب قلبها إلى بَدَلٍ ، لأنها صيغت عليها الكلمة ، فنزلت منزلة بعضها ، فلم تفتقر إلى أن تُعَوَّض بعلامة تأنيث الجمع ، بخلاف التاء ، فإنها يجب حذفها إلى غير بدل ، لأنها ما صيغت عليها الكلمة ، وإنما هى بمنزلة اسم ضُمَّ إلى اسمٍ ، فجعلت علامة تأنيث الجمع عوضاً منها .

وأما قول ابن كيسان « إن التاء تسقط فى الطَّلَحَاتِ ، فإذا سقطت التاء جاز أن تجمع بالواو والنون » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن التاء وإن كانت محذوفة لفظاً إلا أنها ثابتة تقديراً ؛ لأن الأصل فيها أن تكون ثابتة ، ألا ترى أن الأصل أن تقول فى جمع مسلمة « مسلمتات » وصالحة « صالحتات » إلا أنهم لما أدخلوا تاء التأنيث فى الجمع

حذفوا هذه التاء التى كانت فى الواحد؛ لأنهم كرهوا أن يجمعوا بينهما، لأن كل واحدة منهما علامة تأْنيث، ولا يجمع فى اسم واحد علامتا تأْنيثٍ، فحذفوا الأولى فقالوا «مسلمات، وصالحات» وكان حذف الأولى أَوْلَى لأن فى الثانية زيادة معنى، ألا ترى أن الأولى تدل على التأْنيث فقط، والثانية تدل على التأْنيث والجمع، وهى حرف الإعراب، فلما كان فى الثانية زيادة معنى كان تَبْقيتها وحذفُ الأولى أَوْلَى، فهى وإن كانت محذوفة لفظاً إلا أنها ثابتة تقديراً؛ فصار هذا بمنزلة ما حذف لالتقاء الساكنين؛ فإنه وإن كان محذوفاً لفظاً إلا أنه ثابت تقديراً، فكذلك هاهنا. وإذا كانت التاء المحذوفة هاهنا فى حكم الثابت فينبغى أن لا يجوز أن تجمع بالواو والنون كما لو كانت ثابتة.

والذى يدل على فساد ما ذهب إليه فتح العين من قوله «الطَّلَحُون» لأن الأصل فى الجمع بالواو والنون أن يَسْلَمَ فيه لفظُ الواحدِ فى حروفه وحركاته، والفتح قد أدْخَلَ فى جمع التصحيح تكسيراً.

فأما قوله «إن العين حركت من أرَضُونَ بالفتح حملا على أرَضَات» قلنا: لا نسلم، وإنما غُيِّر فيه لفظ الواحد؛ لأنه جمع على خلاف الأصل؛ لأن الأصل فى الجمع بالواو والنون أن يكون لمن يعقل، ولكنهم لما جمعوه بالواو والنون غَيَّرُوا فيه لفظَ الواحدِ تعويضاً عن حذف تاء التأنيث [٢١] منه تخصيصاً له بشىء لا يكون فى سائر أخواته، مع أن هذا التعويض تعويضُ جوازٍ، لا تعويضُ وجوبٍ، ألا ترى أنهم لا يقولون فى جمع شَمْس شَمْسُون ولا فى جمع قِدْرٍ قِدْرون، فلما كان هذا الجمع فى أرض على خلاف الأصل أدْخِلَ فيه ضربٌ من التغيير؛ ففتحت العين منه إشعارا بأنه جُمِعَ بالواو والنون على خلاف الأصل، فأما إذا جمع مَنْ يعقل بالواو والنون فلا يجوز أن يجعل بهذه المَثَابة؛ لأن جَمْعه بالواو والنون بحكم الأصل لا بحكم التعويض؛ فلا يجوز أن يدخله ضرب من التغيير كما كان ذلك فى

أرضون ، ويُخَرَّجُ على هذا حذفُ التاء وفتح العين من طَلَحات : أما حذف التاء فلأنَّ التاء الثانية صارت عوضاً عنها لأنها للتأنيث كما أنها للتأنيث ، وأما أنتم فحذفتم من غير عوض ، فَبَانَ الفرقُ ؛ وأما فتح العين فلأجل الفَصْل بين الاسم والصفة ، فإن ما كان على فَعْلة من الأسماء فإنه يفتح منه العين نحو قَصَعَات وجَفَنَات ، وما كان صفة فإنه لا تحرك منه العين نحو خَدْلَات وصَعْبَات . وأما جمع التصحيح بالواو والنون فلا يدخله شيء من هذا التغيير ، ألا ترى أنه لا يُفَرق فيه بين الاسم والصفة ؛ فلا يقال فى الأسم بالفتح نحو عَمَرَون وبَكَرَون ، وإنما يقال بالسكون نحو عَمْرُون وبَكْرُون ، كما يقال فى الصفة نحو خَدْلُون وصَعْبُون ؛ فَبَانَ الفرقُ بينهما ، والله أعلم .

٥ ـــ مسألة

[القولُ فى رافع المبتدأ ورافع الخبر](١)

ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر ، والخبر يرفع المبتدأ ؛ فهما يترافعان ، وذلك نحو « زيد أخوك ، وعمرو غلامك » . وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتَفِعُ بالابتداء ، وأما الخبر فاختلفوا فيه : فذهب قوم إلى أنه يرتفع بالابتداء وَحْدَه ، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معا ، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالابتداء .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأنا وجدنا [٢٢] المبتدأ لابد له من خبر ، والخبر لابد له من مبتدأ ، ولا

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد (١/١٨٩ بولاق) وشرح الأشمونى (١/٢٥٤ بتحقيقنا) وحاشية الصبان عليه (١/١٨٦ بولاق) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٣١ ليدن) وابن عقيل (١/١٧٤ بتحقيقنا) وقد قال بعد ذكر المذاهب : « وهذا الخلاف مما لا طائل فيه » .

ينفك أحدهما من صاحبه ، ولا يتم الكلام إلا بهما ، ألا ترى أنك إذا قلت « زيد أخوك » لا يكون أحدهما كلاما إلا بانضمام الآخر إليه ؟ فلما كان كل واحد منهما لا ينفك عن الآخر ويقتضى صاحبه اقتضاء واحدا عمل كل واحد منها فى صاحبه مثل ما عمل صاحبه فيه ؛ فلهذا قلنا : إنهما يترافعان ، كل واحد منهما يرفع صاحبه . ولا يمتنع أن يكون كل واحد منهما عاملا ومعمولا ، وقد جاء لذلك نظائر كثيرة ، قال الله تعالى : (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) فنصب أياما بتَدْعُوا ، وجزم تَدْعُوا بأياما ، فكان كل واحد منهما عاملا ومعمولا ، وقال تعالى : (أينما تكونوا يدرككم الموت) فأينما منصوب بتكونوا وتكونوا مجزوم بأينما ، وقال تعالى : (فأينما تُولوا فَثَمَّ وَجْهُ الله) إلى غير ذلك من المواضع(١) ، فكذلك ها هنا .

قالوا : ولا يجوز أن يقال إن المبتدأ يرتفع بالأُبتداء ، لأنا نقول : الأُبتداء لا يخلو : إما أن يكون شيئاً من كلام العرب عند إظهاره ، أو غير شىء ؛ فإن كان شيئاً فلا يخلو من أن يكون اسماً أو فعلا أو أداة من حروف المعانى ؛ فإن كان اسما فينبغى أن يكون قبله أُسم يرفعه ، وكذلك ما قبله إلى مالا غاية له ، وذلك محال ، وإن كان فعلا فينبغى أن يقال زيد قائما كما يقال « حضَرَ زيد قائما » وإن كان أداة فالأدوات لا ترفع الأسماء على هذا الحد . وإن كان غير شىء فالاسم لا يرفعه إلا رافع موجود غير معدوم ، ومتى كان غيرَ هذه الأقسام الثلاثة التى قدمناها فهو غير معروف .

قالوا : ولا يجوز أن يقال إنا نعنى بالابتداء التَّعَرِّىَ من العوامل اللفظية ،

---

(١) هى عند التأمل موضع واحد ، ولكن أمثلته متعددة ، ويجمع الكل أن بعض أسماء الشرط تعمل فى الشرط والجواب جميعا ، والجواب أو الشرط يعمل فيها .

لأنا نقول : إذا كان معنى الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية فهو إذا عبارة عن عدم العوامل ، وعدم العوامل لا يكون عاملا . والذى يدل على أن الأبتداء لا يوجب الرفع أنا نجدهم يبتدئون بالمنصوبات والمسكنات والحروف ، ولو كان ذلك مُوجباً للرفع لوجب أن تكون مرفوعة ، فلما لم يجب ذلك دَلَّ على أن الأبتداء لا يكون مُوجِباً للرفع .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن العامل هو الابتداء وإن كان الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية [٢٣] لأن العوامل فى هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقَطْع للسيف ، وإنما هى أمارات ودلالات ، وإذا كانت العوامل فى محل الإجماع إنما هى أمارات ودلالات فالأمارة والدلالة تكون بعدم شىء كما تكون بوجود شىء ، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغْتَ أحدَهما وتركت صبغ الآخر لكان تَرْكُ صبغ أحدهما فى التمييز بمنزلة صبغ الآخر ؟ فكذلك ها هنا . وإذا ثبت أنه عامل فى المبتدإ وجب أن يعمل فى خبره ، قياسا على غيره من العوامل ، نحو « كَان » وأخواتها و « إنَّ » وأخواتها و « ظننت » وأخواتها ، فإنها لما عملت فى المبتدإ عملت فى خبره ، فكذلك ها هنا .

وأما مَنْ ذهب إلى أن الابتداء والمبتدأ جميعاً يعملان فى الخبر فقالوا : لأنا وجدنا الخبر لا يقع إلا بعد الابتداء والمبتدإ ؛ فوجب أن يكونا هما العاملين فيه ، غير أن هذا القول وإن كان عليه كثير من البصريين إلا أنه لا يخلو من ضعف ، وذلك لأن المبتدأ اسم ، والأصل فى الأسماء أن لا تعمل ، وإذا لم يكن له تأثير فى العمل ، والابتداء له تأثير ، فإضافة مالا تأثير له إلى ماله تأثير لا تأثير له .

والتحقيق فيه عندى أن يقال : إن الابتداء هو العامل فى الخبر بواسطة المبتدأ ؛ لأنه لا ينفكُّ عنه ، ورتبتُه أن لا يقع إلا بعده ، فالابتداء يعمل فى الخبر عند

وجود المبتدأ ، لا به ، كما أن النار تُسَخِّن الماء بواسطة القِدْرِ والحطب ، فالتسخين إنما حصل عند وجودها ، لا بهما ؛ لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها ، فكذلك ها هنا ، الابتداء وحده هو العامل فى الخبر عند وجود المبتدإ ، إلا أنه عامل معه ؛ لأنه اسم ، والأصلُ فى الأسماء أن لا تعمل .

وأما مَنْ ذهب إلى أن الابتداء يعمل فى المبتدإ ، والمبتدأ يعمل فى الخبر ، فقالوا : إنما قلنا إن الابتداء يعمل فى المبتدإ ، والمبتدأ يعمل فى الخبر دون الابتداء ؛ لأن الابتداء عامل معنوى ، والعامل المعنوى ضعيف ؛ فلا يعمل فى شيئين كالعامل اللفظى .

وهذا أيضاً ضعيف ؛ لأنه متى وجب كونه عاملا فى المبتدإ وجب أن يعمل فى خبره ؛ لأن خبر المبتدأ يتنزل منزلَةَ الوَصْفِ ، ألا ترى أن الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، كقوله [٢٤] « زيد قائم ، وعمرو ذاهب » أو مُنَزَّلٌ مَنْزِلَتَهُ ، كقوله « زيد الشمسُ حُسْناً ، وعمرو الأسدُ شدةً » أى يتنزل منزلته ، وكقولهم « أبو يوسف أبو حنيفة » أى يتنزَّل مَنْزِلته فى الفقه ، قال الله تعالى : (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) أى تَتَنَزَّل منزلتهن فى الحرمة والتحريم ؛ فلما كان الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، أو منزلا منزلته تنزل منزلَةَ الوَصْفِ ؛ لأن الوصف فى المعنى هو الموصوف ؟ ألا ترى أنك إذا قلت « قام زيدٌ العاقلُ ، وذهب عمرٌو الظريفُ » أن العاقل فى المعنى هو زيد ، والظريف فى المعنى هو عمرو ، ولهذا لما تنزل الخبر منزلة الوصف كان تابعاً للمبتدإ فى الرفع ؛ كما تتبع الصفةُ الموصوفَ ، وكما أن العامل فى الوصف هو العامل فى الموصوف ، سواء كان العامل قويًّا أو ضعيفاً ، فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « إن المبتدأ يعمل فى الخبر » فسنذكر فساده فى الجواب عن كلمات الكوفيين

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنهما يترافعان ؛ لأن كل واحد منهما لا بُدَّ له من الآخر ولا ينفكُّ عنه» قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أن ما ذكرتموه يؤدِّى إلى مُحَال ، وذلك لأن العامل سبيله أن يُقَدَّر قبل المعمول ، وإذا قلنا إنهما يترافعان وجب أن يكون كل واحد منهما قَبْلَ الآخر ، وذلك مُحَال ، وما يؤدى إلى المحال محال .

والوجه الثانى : أن العامل فى الشىء ما دام موجوداً لا يدخل عليه عامل غيره ؛ لأن عاملا لا يدخل على عامل ، فلما جاز أن يقال : «كان زيد أخاك ، وإن زيداً أخوك ، وظننت زيداً أخاك» بطل أن يكون أحدهما عاملا فى الآخر .

وأما ما استشهدوا به من الآيات فلا حجة لهم [فيه] من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنا لا نسلم أن الفعل بعد أيَّاماً وأينما مجزوم بأياما وأينما ، وإنما هو مجزوم بإنْ ، وأياما وأينما نابا عن إنْ لفظاً ، وإن لم يعملا شيئاً .

والوجه الثانى : أنا نسلم أنها نابت عن إنْ لفظاً وعملا ، ولكن جاز أن يعمل كل واحد منهما فى صاحبه لاختلاف عملهما ، ولم يعملا من وجه واحد ؛ فجاز أن يجتمعا ويعمل كل واحد منهما فى صاحبه ، بخلاف ما هنا .

والوجه الثالث : إنما عمل كل واحد منهما فى صاحبه لأنه عامل ؛ فاستحق أن يعمل ، وأما ها هنا فلا خلاف أن المبتدأ والخبر نحو [٢٥] : « زيد أخوك » اسمان باقيان على أصلهما فى الاسمية ، والأصلُ فى الأسماء أن لا تعمل ؛ فبان الْفرقُ بينهما .

وأما قولهم « إن الابتداء لا يخلو من أن يكون اسماً أو فعلا أو أداة ــ إلى آخر ما قرروا » قلنا : قد بينا أن الابتداء عبارة [عن التعرى] عن العوامل اللفظية .

قولهم « فإذا كان معنى الابتداء هو التعرّى عن العوامل اللفظية فهو إذاً

عبارة عن عدم العوامل ، وعدم العوامل لا يكون عاملا » قلنا : قد بينا وجه كونه عاملا فى دليلنا بما يُغْنِي عن الإعادة ها هنا ، على أن هذا يلزمكم فى الفعل المضارع ؛ فإنكم تقولون « يرتفع بتَعَرِّيهِ من العوامل الناصبة والجازمة » ، وإذا جاز لكم أن تجعلوا التعرِّيَ عاملا فى الفعل المضارع جاز لنا أيضاً أن نجعل التعرى عاملا فى الاسم المبتدإ .

* وحكى أنه اجتمع أبو عمر الجَرْمِيُّ وأبو زكريا يحيى بن زياد الفَرّاء ، فقال الفراء للجَرْمى : أخبرنى عن قولهم «زيد منطلق» لم رفعوا زيدا[1] ؟ فقال له الجرمى: بالابتداء ، قال له الفراء : ما معنى الابتداء ؟ قال : تَعْرِيته من العوامل ، قال له الفراء : فأظهره ، قال له الجرمى : هذا معنى لا يُظْهَر ، قال له الفراء : فمثله إذاً ، فقال الجرمى : لا يتمثل ، فقال الفراء : ما رأيت كاليوم عاملا لا يُظْهَر ولا يتمثل ! فقال له الجرمى : أخبرنى عن قولهم : «زيد ضربته» لم رفعتم[1] زيداً ؟ فقال: بالهاء العائدة على زيد ، فقال الجرمى : الهاء اسم فكيف يرفع الاسم ؟ فقال الفراء : نحن لا نبالى من هذا ؛ فإنا نجعل كل واحد من الاسمين إذا قلت « زيد منطلق » رافعاً لصاحبه ، فقال الجرمى : يجوز أن يكون كذلك فى « زيد منطلق » لأن كل اسم منهما مرفوع فى نفسه فجاز أن يرفع الآخر ، وأما الهاء فى « ضربته » ففى محل النصب ، فكيف ترفع الاُسم ؟ فقال الفراء : لا نرفعه بالهاء ، وإنما رفعناه بالعائد على زيد ، قال الجرمى : مامعنى العائد ؟ قال الفراء : معنى لايظهر ، قال الجرمى : أظهره ، قال الفراء : لايمكن إظهاره ، قال الجرمى : فمثله ، قال : لايتمثل ، قال الجرمى : لقد وقعت فيما فَرَرْتَ منه . فحكى أنه سئل الفراء بعد ذلك فقيل له : كيف وجدت الجرمى ؟ فقال : وجدته آية ، وسئل الجرمى ، فقيل له : كيف وجدت الفراء ؟ فقال : وجدته شيطاناً .

---

(١) لعل أصل العبارة « بم رفعوا زيدا ؟ » وكذلك « بم رفعتم زيدا ؟ »

وأما قولهم « إنا نجـدهم يبتدئون بالمنصوبات والمسكنات والحروف ولو كان ذلك [٢٦] موجباً للرفع لوجب أن تـكون مرفوعة» قلنا : أما المنصوبات فإنها لايتصور أن تـكون مبتدأة ؛ لأنها وإن كانت متقدمة فى اللفظ إلا أنها متأخرة فى التقدير ؛ لأن كل منصوب لايخلو إما أن يكون مفعولا أو مشبهاً بالمفعول ، والمفعول لابد أن يتقدمه عامل لفظاً أوتقديراً ،فلاتصح له رتبة الابتداء ، وإذا كانت هذه المنصوبات متقدمة فى اللفظ متأخرة التقدير لم يصح أن تـكون مبتدأة ؛ لأنه لااعتبار بالتقديم إذا كان فى تقدير التأخير ، وأما المسكنات إذا ابتدىء بها فلا يخلو إما أن تقع مُقَدَّمة فى اللفظ دون التقدير أو تقع مقدمة فى اللفظ والتقدير : فإن وقعت متقدمة فى اللفظ دون التقدير كان حكمها حكم المنصوبات ؛ لأنها فى تقدير التأخير .

وإن وقعت متقدمـة فى اللفظ والتقدير فلا تخلو : إما أن تستحق الإعراب فى أول وضعها ، أو لا تستحق الإعراب فى أول وضعها :

فإن كانت تستحق الإعراب فىأول وضعها نحو « مَن، وكم » وماأشبه ذلك من الأسماء المبنية على السكون فإنا نحكم على موضعها بالرفع بالابتداء ، وإنما لم يظهر فى اللفظ لعلة عارضة منعت من ظهوره ، وهى شَبَهُ الحرف[١] أو تضُمّن معنى الحرف .

وإن كانت لاتستحق الإعراب فى أول وضعها ـ نحو الأفعال والحروف المبنية على السكون ـ فإنا لانحـكم على موضعها بالرفع بالابتداء ؛ لأنها لاتستحق شيئاً من الإعراب فى أول الوضع ، فلم يكن الابتداء موجباً لها الرَّفعَ ؛ لأنه نوع منه .

وهذا هو الجواب عن قولهم : « إنهم يبتدئون بالحروف ، فلو كان ذلك موجباً للرفع لوجب أن تكون مرفوعة » وعَدَمُ عَمَلِهِ فى محل لايقبل العمل لايدل على عدم

---

(١) المراد بشبه الحرف ههنا الشبه الوضعى ، بدليل ذكره الشبه المعنوى بعده .

عمله فى محل يقبل العمل ، ألا ترى أن السَّيْف يقطع فى محلٍّ ولا يقطع فى محلٍّ آخَرَ؟ ! وعدم قطعه فى محل لا يقبل القَطْعَ لا يدل على عدم قطعه فى محل يقبل القطع ؛ لأن عدم القطع فى محل لا يقبل القطع إنما كان لنُبُوِّهِ فى المحل ، لا لأن السيف غير قاطع ، فكذلك ها هنا : عدمُ عمل الابتداء فى محل لا يقبل العمل إنما كان لعدم استحقاق المعمول ذلك العَمَلَ ، لا لأن الابتداء غير صالح أن يعمل ذلك العمل ، والله أعلم .

[٢٧] ٦ — مسألة

[فى رافع الاسم الواقع بعد الظرف والجار والمجرور][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن الظرف يرفع الاُسم إذا تقدم عليه ، ويسمون الظرف المحلَّ ، ومنهم من يسميه الصفة ، وذلك نحو قولك « أمَامَكَ زيدٌ ، وفى الدار عمرو » وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش فى أحَدِ قوليه وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد من البصريين ، وذهب البصريون إلى أن الظرف لا يرفع الاسم إذا تقدم عليه ، وإنما يرتفع بالابتداء .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل فى قولك «أمَامَكَ زيدٌ ، وفى الدار عمرٌو » حَلَّ أمامك زيدٌ ، وحلَّ فى الدار عمرٌو ، فحذف الفعل واكتفى بالظرف منه ، وهو غير مطلوب ، فارتفع الاسم به كما يرتفع

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ٤٢٣ بتحقيقنا) وانظر فى بعض ما ذكره المؤلف شروح الألفية فى مبحث وقوع الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا (التصريح للشيخ خالد ١ / ١٩٨ وحاشية الصبان على الأشمونى ١ / ١٩٣ بولاق) وشرح الرضى على الكافية (١ / ٨٣) وشرح موفق الدين ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص ١٠٨ أوربة) .

بالفعل . والذى يدل على صحة ما ذهبنا إليه أن سيبويه يساعدنا على أن الظرف يرفع إذا وقع خبراً لمبتدإ ، أو صفةً لموصوف ، أو حالا لذى حال ، أو صلة لموصول ، أو معتمداً على همزة الاستفهام أو حرف النفى ، أو كان الواقع بعده « أنَّ » التى فى تقدير المصدر ؛ فالخبر كقوله تعالى : (فأولئك لهم جزاء الضِّعْفِ) فجزاء مرفوع بالظرف ، والصفة كقولك « مررت برجل صالح فى الدار أبوه » ، والحال كقولك « مررت بزيد فى الدار أبوه » وعلى ذلك قوله تعالى : (وآتيناه الإنجيل فيه هُدًى ونورٌ) [فهدى ونور] مرفوعان بالظرف لأنه حال من الإنجيل ، ويدل عليه قوله تعالى : (ومصدقاً لما بين يديه) فعطف (مصدقاً) على حال قبله ، وما ذاك إلا الظرف ، والصلة كقوله تعالى : (ومَنْ عنده علمُ الكتاب) والمعتمد على الهمزة كقوله تعالى : (أفى الله شَك) ، وحرف النفى كقولك : « مافى الدار أحَدٌ » وأنَّ كقوله تعالى : (ومن آياته أنَّكَ ترى الأرض) فأنَّ وما عملت فيه فى موضع رفع بالظرف ، وإذا عمل الظرف فى هذه المواضع كلها فكذلك فيما وقع الخلاف فيه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الاسم بعده يرتفع بالابتداء لأنه قد تَعَرَّى من العوامل اللفظية ، وهو معنى الابتداء ، فلو قُدِّرَ هاهنا عامل لم يكن إلا الظرف ، وهو لا يصلح هاهنا أن يكون عاملاً لوجهين :

أحدهما : أن الأصل فى الظرف أن لا[٢٨]يعمل، وإنما يعمل لقيامه مقام الفعل ، ولو كان ها هنا عاملاً لقيامه مقام الفعل لما جاز أن تدخل عليه العوامل فتقول « إن أمامَكَ زيداً ، وظننت خَلْفَكَ عمراً » ، وما أشبه ذلك ؛ لأن عاملا لا يدخل على عامل ؛ فلو كان الظرف رافعاً لزيد لما جاز ذلك ، ولما كان العامل يتعداه إلى الاسم ويُبْطِلُ عمله ، كما لا يجوز أن تقول « إنَّ يقوم

عمرا ، وظننت ينطلق بكرا » فلما تعداه العامل إلى الاسم كما قال تعالى : (إنَّ لدينا أنــكالا وجحيما) ولم يُرْو عن أحد من القراء أنه كان يذهب إلى خلاف النصب دل على ما قلناه .

والثانى : أنه لو كان عاملا لوجب أن يُرْفَعَ به الاسمُ فى قولك « بك زيد مأخوذ » و بالإجماع أنه لا يجوز ذلك .

اعترضوا على هذين الوجهين من وجهين :

أما الوجه الأول فاعترضوا عليه بأن قالوا : قولــكم « إن العامل يتعدَّاه إلى الاسم بعده » ليس بصحيح ؛ لأن المحل عندنا اجتمع فيه نَصْبَانِ : نصب المحل فى نفسه ، ونصب العامل ، ففاض أحدهما إلى « زيد » فنصبه .

وأما الوجه الثانى فاعترضوا عليه بأن قالوا : قولــكم « إنه لو كان عاملا لوجب أن يرفع الاسم فى قولك : بك زيد مأخوذ » ليس بصحيح ، وذلك لأن « بك » مع الإضافة إلى الاسم لا يفيد ، بخلاف قولنا « فى الدار زيد » إذا أضيف إليه الاسم فإنه يفيد ويكون كلاما .

وما اعترضوا به على الوجهين باطل :

أما اعتراضهم على الوجه الأول : قولهم « إنه اجتمع فى المحــل نصبان : نصب المحل فى نفسه ، ونصب العامل » قلنا : هذا باطل من وجهين :

أحدهما : أن هذا يؤدى إلى أنه يجوز أن يكون الاسم منصوبا من وجهين ، وذلك لا يجوز ، ألا ترى أنك لو قلت « أكرمت زيدا وأعطيت عمرا العاقلين » لم يجز أن تنصبه على الوصف ؛ لأنك تجعله منصوبا من وجهين ، وذلك لا يجوز ، فــكذلك ها هنا .

والوجه الثانى : أن النصب الذى فاض من المحل إلى الاسم لا يخلو : إما أن يكون نصب المحل ، أو نصب العامل ؛ فإن قلتم نصب الظرف فقولوا إنه منصوب

بالظرف ، وهذا مالا يقول به أحد ؛ لأنه لادليل عليه ، و إن قلتم إنه نَصْبُ العامل فقد صح قولنا : إن العامل يتعدّاه إلى مابعده ويُبْطل عمله .

وأما اعتراضهم على الوجه الثانى : قولهم « إن بِكَ مع [٢٩] الإضافة إلى الاسم لايفيد ، بخلاف قولك فى الدار إذا أضيف إليه الاسمُ فإنه يفيد » فباطل أيضاً ؛ وذلك لأنه لو كان عاملا لما وقع الفَرْقُ بينهما فى هذا المعنى ، ألا ترى أن قولك « ضَارَبَ زَيْدٌ » لايفيد ، و« سار زيد » يفيد ، ومع هذا فكل منهما عامل كالآخر ، فكذلك كان ينبغى أن يكون ها هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الأصل فى قولك أمامك زيد وفى الدار عمرو: حَلَّ أمامك زيد،وحلَّ فى الدار عمرو ؛فحذف الفعل ، واكتفى بالظرف منه » قلنا : لانسلم ؛ أنَّ التقدير فى الفعل التقديم ، بل الفعل وماعمل فيه فى تقدير التأخير ؛ وتقديم الظرف لايدل على تقديم الفعل ؛ لأن الظرف معمول الفعل ، والفعل هو الخبر ، وتقديم معمول الخبر لايدل على أن الأصل فى الخبر التقديم ، ولأن المبتدأ يخرج عن كونه مبتدأ بتقديمه ، ألا ترى أنك تقول « عمراً زيدٌ ضَارِبٌ » ولايدل ذلك على أن الأصل فى الخبر التقديمُ وإن كان يجوز تقديمه على المعمول ، فكذلك هاهنا ، والذى يدل على أن الفعل هاهنا فى تقدير التأخير والاسم فى تقدير التقديم مسألتان؛ إحداهما : أنك تقول « فى داره زيد» ولو كان كما زعمتم لأدَّى ذلك إلى الإضمار قبل الذكر ، وذلك لايجوز ، والثانية : أنا أجمعنا على أنه إذا قال « فى داره زيد قائم » فإن زيداً لايرتفع بالظرف ، وإنما يرتفع عندكم بقائم ، وعندنا يرتفع بالابتداء ، ولو كان مقدماً على زيد لوجب أن لايلغى .

وأما قولهم « إنَّ الفعل غير مطلوب » قلنا : لو كان الفعل غير مطلوب ولا مقدر لأدَّى ذلك إلى أن يبقى الظرف منصوباً بغير ناصب ، وذلك لايجوز ، وسنبين فساد ذلك فى موضعه .

وأما قولهم « إنِ سيبويه يساعدنا على أن الظرف يَرْفَعُ إذا وقع خبراً لمبتدإ، أو صفة لموصوف،أو حالا لذى حال،أو صلة لموصول، أو معتمداً على همزة الاستفهام — إلى غير ذلك » فإنما كان كذلك لأن هذه المواضع أولى بالفعل من غيره ، فَرَجَحَ جانبُه على الابتداء ، كما قلنا فى اسم الفاعل إذا جرى خبراً لمبتدإ ، أو صفة لموصوف، أو حالا لذى حال ، أو صلة لموصول ، أو معتمداً على همزة الاستفهامِ أو حرفِ النفى ، فالخبر كقولك « زيد قائم أبوه » والصفة كقولك « مررت [٣٠] برجل كريم أخوه » والحال كقولك « جاءنى زيد ضاحكا وَجْهُه » والصلة كقولك « رأيت الذاهِبَ غلاَمُه » والمعتمد على الهمزة نحو « أَذَاهِبٌ أَخَوَاكَ » وحرف النفى نحو « ما قائم غُلاَمُكَ » وإنما كان ذلك لأن هذه الأشياء أولى بالفعل من غيره ؛ فلهذا غَلَبَ جانبُ تقديره ، بخلاف ما وقع الخلاف فيه ، والله أعلم .

٧ — مسألة

[القول فى تحمُّلِ الخبر الجامِدِ ضميرَ المبتدأ][1]

ذهب الكوفيون إلى أن خبر المبتدأ إذا كان اسماً محْضاً[2] يتضمن ضميراً

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (١/ ٢٦٠ بتحقيقنا) وحاشية الصبان عليه (١/١٩١ بولاق) والتوضيح للشيخ خالد (١/١٩١ بولاق) وشرح موفق الدين ابن يعيش (ص ١٠٦ أوربة) وشرح رضى الدين على الكافية (١/٨٦) .

(٢) أراد المؤلف بالاسم المحض : الاسم الجامد ، ووجهه أن الاسم المشتق يتضمن معنى الفعل ، فهو مشوب برائحة الفعل ، أما الجامد فخالص للاسمية لا تشوبه شائبة الفعل ولا يتضمن معناه ،وسيتضح ذلك من كلام المؤلف غاية الاتضاح، وقد جاءت هذه العبارة فى كلام موفق الدين ابن يعيش وفسرها بما ذكرنا ، فى الموضع الذى دللناك عليه ، ونصه «وأما القسم الثانى — وهو مالا يتحمل الضمير من الأخبار — وذلك إذا كان الخبر اسما محضا غير مشتق من فعل ، نحو زيد أخوك وعمرو غلامك؛فهذا لا يتحمل الضمير، لأنه اسم محض عار من الوصفية » اهـ .

يرجع إلى المبتدأ ، نحو « زيد أخوك ، وعمرو غُلَامُكَ » وإليه ذهب على بن عيسى الرُّمَّانِيُّ من البصريين . وذهب البصريون إلى أنه لا يتضمن ضميراً .

وأجمعوا على أنه إذا كان صفة أنه يتضمن الضميرَ ، نحو « زيد قائم ، وعَمْرو حَسَنٌ » وما أشبه ذلك .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يتضمن ضميراً ــ وإن كان اسماً غير صفة ــ لأنه فى معنى ما هو صفة ، ألا ترى أن قولك « زيد أخوك » فى معنى زيد قريبك ، و « عمرو غلامك » فى معنى عمرو خادمك ، وقريبك وخادمك يتضمن كل واحد منهما الضمير ، فلما كان خبر المبتدإ هاهنا فى معنى ما يتحمل الضمير وجب أن يكون فيه ضمير يرجع إلى المبتدإ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يتضمن ضميراً ، وذلك لأنه اسم مَحْضٌ غير صفة ، وإذا كان عارياً عن الوصفية فينبغى أن يكون خالياً عن الضمير ؛ لأن الأصل فى تضمن الضمير أن يكون للفعل ، وإنما يتضمن الضميرَ من الأسماء ما كان مُشَابِهاً له ومتضمناً معناه كاسم الفاعل والصفة المشبهة به نحو « ضارب ، وقاتل ، وحَسَن ، وكريم » وما أشبه ذلك ، وما وقع الخلافُ فيه ليس بينه وبين الفعل مشابهة بحال ، ألا ترى أنك إذا قلت « زَيْدٌ أَخُوكَ » كان أخوك دليلا على الشخص الذى دل عليه زيد ، وليس فيه دلالة على الفعل ، فكذلك إذا قلت « عمرو غلامك » كان غلامك دليلا على الشخص الذى دَلَّ عليه عمرو ، وليس فيه دلالة على الفعل ؛ فوجب أن لا يجوز الإضمار فيه [٣١] ، كما لا يجوز فى زيد وعمرو .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « إنما قلنا إنه يتضمن الضمير وإن كان اسماً مَحْضاً لأنه فى معنى ما يتضمن الضمير لأن أخوك فى معنى قريبك ، وغلامك فى معنى خادمك » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه إنما جاز أن يكون قريبك

وخادمك متحملا للضمير لأنه يشابه الفعلَ لفظاً ويتضمنه مَعْنًى ، وهو الأصلَ فى تحمل الضمائر ، ولا شُبْهَةَ فى مشابهة اسمِ الفاعل والصفة المشبهة به للفعل ، ألا ترى أن « خَادِم » على وزن « يَخْدِم » فى حركته وسكونه وأن فيه حروف خَدَمَ الذى هو الفعل ، وكذلك « قريب » فيه حروف قَرُبَ الذى هو الفعل ؛ فجاز أن يتضمن الضميرَ ، فأما أخوكَ وغلامك فلا شبهة فى أنه لا مشابهة بينه وبين الفعل بحالٍ ؛ فينبغى أن لا يتحمل الضمير ، وكونه فى معنى ما يشبه الفعل لا يوجب شبهاً بالفعل ، ألا ترى أن حروف « أخوكَ ، وغلامك » عارية من حروف الفعل الذى هو قَرُبَ وخَدَمَ ؛ فينبغى أن لا يتحمل الضمير ، ألا ترى أن المَصْدَرَ إنما عَمِلَ عَمَلَ الفِعْلِ نحو « ضَرْبِي زيداً حَسَنٌ » لتضمنه حُرُوفَهُ ، فلو أقمت ضمير المصدر مقامه فقلت « ضربى زيداً حسن وهو عمراً قبيح » لم يجز وإن كان ضمير المصدر فى معناه[1]؛ لأن المصدر إنما عمل عمل الفعل لتضمنه حروفه ، وليس فى ضمير المصدر لفظ الفعل ؛ فلا يجوز أن يعمل عمله ، فكذلك هاهنا : إنما جاز أن يتحمل نحو « قريبك ، وخادمك » الضميرَ لمشابهته للفعل وتضمنه لفظه ، ولم يجز ذلك فى نحو « أخوكَ » و « غلامك » لأنه لم يشابه الفعل ولم يتضمن لفظه ، والله أعلم .

٨ — مسألة

[القول فى إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير صاحبه][2]

ذهب الكوفيون إلى أن الضمير فى اسم الفاعل إذا جَرَى على غير مَنْ هو له نحو قولك « هند زيدٌ ضاربتُهُ هى » لا يجب إبرازه . وذهب البصريون إلى أنه

(١) هذه مسألة خلافية بين الفريقين ، وماكان ينبغى أن يحتج عليهم بما هو مذهبه دون مذهبهم

(٢) انظر نفس المراجع التى ذكرناها لك فى المسألة السابقة ؛ فإن هذه المسألة من تتمة المسألة السابقة .

يجب إبرازه . وأجمعوا على أن الضمير فى اسم الفاعل إذا جرى على مَنْ هو له لايجب إبرازه .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه لايجب [٣٢] إبرازه فى اسم الفاعل إذا جَرَى على غير مَنْ هو له أنه قد جاء عن العرب أنهم قد استعملوه بترك إبرازه فيه إذا جرى على غير مَنْ هو له ، قال الشاعر :

٢٠ — وَ إِنَّ امْرَأً أَسْرَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ... من الْأَرْضِ مَوْمَاةٌ وَ بَيْدَاء سَمْلَقُ

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي دُعَاءَهُ ... وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ

فترك إبراز الضمير ، ولو أبرزه لقال « محقوقة أنْتِ » وقال الآخر :

---

٢٠ — هذان البيتان من كلام الأعشى ميمون بن قيس، وقد أنشد أولهما رضى الدين فى باب الحال، وأنشدهما معا فى باب الضمير، وانظر الخزانة(١/٥٥١)وقد أنشدهما ابن منظور (ح ق ق) منسوبين إليه .و«أسرى » سار ليلا ،وموماة: أى صحراء واسعة،والبيداء : هى الصحراء أيضا ،سموها بذلك لأن سالكها يبيدفيها، أى يهلك ،وسموها أيضامفازة من الفوز تفاؤلا لسالكها بأن ينجو من الهلكة، وسملق:أى قفر لانبات فيها،ويقال للرجل: أنت حقيق أن تفعل كذا ، وأنت محقوق أن تفعله،ويقال للمرأة :أنت حقيقة لذلك،وأنت محقوقة أن تفعلى ذلك،ومعنى ذلك أنت جديرة وخليقة وحرية،والمراد أنه يلزمك فعله لأن فعله حق من الحقوق التى لزمتك . والاستشهاد به فى قوله « لمحقوقة » فإن هذه الكلمة وقعت خبرا لإن فى أول البيتين ، وهذا الخبر جار على غير مبتدئه ، نعنى أنه وصف لغير المبتدأ الذى وقع هو خبرا عنه ، ومع ذلك لم يبرز الضمير معه ، ولو أبرزه لقال : لمحقوقة أنت ، وما أشبه ذلك ، فلما لم يبرزه دل على أن إبرازه ليس بضربة لا زب ، وسيأتى للمؤلف فيما يلى إخراج هذا الشاهد عن أصل المسألة فيجعل قوله لمحقوقة مبتدأ خبره المصدر المؤول من « أن تستجيبى » أو مبتدأ و « أن تستجيبى » فاعل أغنى عن خبر المبتدأ وسننبه على ذلك هناك .

٢١ — يَرَى أَرْبَاقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا كَمَا صَدِىءَ الْحَدِيدُ عَلَى الْكُمَاةِ

فترك إبرازه ، ولو أبرزه لقال « متقلديها هُمْ » فلما أضمره ولم يبرزه دلَّ على جوازه ، ولأن الإضمار فى اسم الفاعل إنما جاز إذا جرى على مَنْ هو له لشبهِ الفعل ، وهو مُشَابِه له إذا جرى على غير من هو له ، كما إذا جرى على مَنْ هو له ؛ فكما جاز الإضمار فيه إذا جرى على من هو له فكذلك يجوز إذا جرى على غير مَنْ هو له .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجب إبرازه فيه إذا جرى على غير مَنْ هو له أنا أجمعنا على أن اسم الفاعل فَرْعٌ على الفعل فى تحمل الضمير ؛ إذ كانت الأسماء لا أصل لها فى تحمل الضمير ، وإنما يُضْمَر فيما شَابَهَ منها الفعلَ كاسم الفاعل نحو « ضارب ، وقاتل » والصفة المشبهة به نحو « حَسَن ، وشَدِيد » وما أشبه ذلك ؛ فإذا ثبت أن اسم الفاعل فرع على الفعل فلا شك أن المشبه بالشيء يكون أضْعَفَ منه فى ذلك الشيء ، فلو قلنا إنه يتحمل الضمير فى كل حالة — إذا جرى على مَنْ هو له ، وإذا جرى على غير مَنْ هو له — لأدَّى ذلك إلى التسوية

---

٢١ — لم أقف لهذا الشاهد على نسبة ولا تكملة ، ولا وجدت من أنشده غير المؤلف ، والأرباق : جمع ربق — بكسر الراء وقد تفتح ، والباء ساكنة — وأصله الحبل والحلقة التى تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع ، ومتقلديها : أى جاعليها فى أعناقهم فى موضع القلادة ، والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع المتكمى ، أى المستتر الذى غطى وجهه ، وكانوا يفعلون ذلك إذا كان عليهم ثارات ، مخافة أن يتلمس أحد أعدائهم غفلتهم فيفتك بهم ، والاستشهاد فى البيت بقوله « متقلديها » فإن هذه الكلمة قد وقعت فى هذا البيت مفعولا ثانيا لترى ، وأنت خبير أن أصل المفعول الثانى لأرى خبر مبتدأ ، وأن المفعول الأول هو مبتدأ ذلك الخبر ، وأنت ترى أن الخبر جار على غير مبتدئه ، لأن « متقلديها » وصف للابسى ماعبر عنه بالأرباق ، لا للأرباق نفسها ، ومع ذلك لم يبرز معه الضمير ، ولو أبرزه لقال « متقلديها هم » فدل ذلك على أن إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير من هوله ليس واجبا لامعدى عنه .

بين الأصل والفرع ، وذلك لايجوز ؛ لأن الفروع أبدا تَنْحَطُّ عن درجة الأصول ، فقلنا : إنه إذا جرى على غير مَنْ هو له يجب إبراز الضمير ؛ ليقع الفَرْقُ بين الأصل والفرع .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا يجب إبراز الضمير فيه إذا جرى على غير مَنْ هو له لأنا لو لم نبرزه لأدى ذلك إلى الالتباس ، ألا ترى أنك لو قلت « زيد أخوه ضارب » وجعلت الفعل لزيد ولم تبرز الضمير لأدى ذلك إلى أن يسبق إلى فَهْمِ السامع أن الفعل للأخ دون زيد ، ويلتبس عليه ذلك ؟ ولو أبرزت الضمير لزال هذا الالتباس ؛ فوجب إبرازه ؛ لأنه به يحصل إفهامُ السامع ورفع الالتباس ؛ ويخرج [٣٣] على هذا إذا جرى على مَنْ هو له ؛ فإنه إنما لم يلزمه إبراز الضمير لأنه لا التباس فيه ، ألا ترى أنك لو قلت « زيد ضاربٌ غلامَهُ » لم يسبق إلى فهم السامع إلا أن الفعل لزيد؛ إذ كان واقعاً بعده فلا شيء أولى به منه ، فبان بما ذكرنا صحة ماصرنا إليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما البيت الأول وهو قوله :

* لَمَحْقُوقَةٌ أن تَسْتَجيبى دُعَاءَهُ * [٢٠]

فلا حُجَّة لهم فيه ؛ لأنه محمول عندنا على الاتِّساع والحذف ، والتقدير فيه : لمحقوقة بك أن تستجيبى دعاءه(١) ، وإذا جاز أن يُحْمَلَ البيت على وجه سائغ فى العربية فقد سقط الاحتجاج به .

---

(١) يريد أن قول الشاعر « لمحقوقة » ليس خبر « إن » على ما ذكر الكوفيون حتى يكون جاريا على غير من هوله وليس معه ضمير بارز ، وإنما هو مبتدأ ، وقوله « أن تستجيبى » يحتمل وجهين : الأول أن يكون خبر ذلك المبتدأ ، فتكون هذه الجملة فى محل رفع خبر إن ، وكأن الشاعر قد قال : لجدير بك استجابة دعائه ، فليس فى « لمحقوقة » ضمير عائد على غير من جرى عليه ، والوجه الثانى : أن يكون قوله«أن تستجيبى» فى=

وأما البيت الثانى ، وهو قول الآخر :

* تَرَى أرْبَاقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا * [٢١]

فلا حُجَّةَ لهم فيه أيضاً ؛ لأن التقدير فيه ترى أصحاب أرباقهم ، إلا أنه حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مُقَامَه ، كما قال تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) أى : أهْلَ القريةِ ، وقال تعالى : (وأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) ومنه قولهم « الليلَةَ الهِلاَلُ » أى : طلوعُ الهلالِ ؛ لأن ظروف الزمان لاتكون أخبارا عن الْجُثَثِ .
قال الشاعر :

٢٢ — وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسْطَ أهْلِهِ
كَهُلْكِ الْفَتَى قَدْ أسْلَمَ الْحَىَّ حَاضِرُهْ

= تأويل مصدر مرفوع يقع نائب فاعل لمحقوقة أغنى عن خبره ، ويكون «لمحقوقة » خبر إن ، لكنه غير متحمل للضمير أصلا ، لابارزا ولا مستتراً ، لأنه قد رفع اسما ظاهراً ، غير أن هذا الاسم الظاهر ليس صريحا ، بلى هو اسم مؤول من الحرف المصدرى والفعل .

٢٢ — هذا البيت من كلام الحطيئة ، وهو من شواهد سيبويه (١٠٩/١) . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت ، وأصلها فعيلة بمعنى مفعولة ، وفعلها « منى الله الأمر يمنيه » على مثال قضاه يقضيه ، ومعناه قدره وهيأ له الأسباب ، سمى الموت بذلك لأنه من تقدير الله تعالى ، والحاضر : الحى العظيم أو القوم ، وقال ابن سيده : هو الحى إذا حضروا الدار التى بها مجتمعهم ، ومنه قول الشاعر :

فى حاضر لجب بالليل سامره فيه الصواهل والرايات والعكر

والاستشهاد بالبيت فى قوله « ميت وسط أهله » فإن هذه الكلمة خبر عن قوله « شر المنايا » وأنت تعلم أن الخبر يجب أن يكون عين مبتدئه ، وهذا الخبر ليس عين مبتدئه ، فوجب أن يكون الكلام على تقدير مضاف يصح معه الكلام ويتم به للخبر ما وجب فيه ، والتقدير : وشر المنايا منية ميت وسط أهله ، هذا أصل الكلام ، فحذف المبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فارتفع ارتفاعه .

أى منيةُ ميتٍ . وقال الآخر :

٢٣ — وَكَيْفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبِ ؟

أى : كخلالة أبى مَرْحَب ، وقال الآخر :

٢٤ — أَكُلَّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتِجُونَهُ ؟

---

٢٣ — هذا البيت من كلام النابغة الجعدى ، وهو من شواهد سيبويه (١/١١٠) وقد أنشده ابن منظور (خ ل ل) ثالث ثلاثة أبيات ونسبها إليه ، والبيتان قبله هما :

أدوم على العهد ما دام لى إذا كذبت خلة المخلب

وبعض الأخلاء عند البلا ء والرزء أروغ من ثعلب

والخلة — بضم الخاء — والخلالة — بفتح الخاء أو كسرها أو ضمها — والخلولة ، كل ذلك يقال على الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل ، تكون فى عفاف الحب ودعارته ، والمخاب : من الخلابة — بكسر الخاء — وهى الخديعة باللسان ، والأخلاء : جمع خليل ، وهو الصديق ، وأبو مرحب : كنية الظل ، وهو سريع التحول ، وقيل : هى كنية عرقوب الذى يضرب به المثل فى خلف الوعد ، والذى قيل فيه : مواعيد عرقوب .

والاستشهاد بالبيت فى قوله « كأبى مرحب » فإن هذا الجار والمجرور خبر لأصبح ، واسمها هو قوله خلالته ، وأصل معمولى أصبح مبتدأ وخبر ، ولا يصلح أن يكون « كأبى مرحب » خبرا عن الخلالة التى هى الصداقة ؛ لأن هذا الخبر ليس هو عين المبتدأ ، فلزم أن يكون ثمة مضاف محذوف وأن أصل الكلام : أصبحت خلالته كخلالة أبى مرحب ، على نحو ما بيناه فى البيت السابق .

٢٤ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٦٥) ولم ينسب فى أصل الكتاب ولا فى شرح شواهده للأعلم ، وهو أيضا من شواهد الرضى (١/٨٤) وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (١ / ١٩٦) والأشمونى (رقم ١٤٥) وقد نسبه قوم إلى رجل من ضبة ، ولم يعينوه ، وقال البغدادى : هو لقيس بن حصين بن يزيد الحارثى ، والنعم — بفتح النون والعين جميعا — اسم جنس لفظه مفرد ومعناه جمع ، ونظيره غنم وبقر ، قال الفراء : هو مفرد لا يؤنث ، يقال : هذا نعم وارد ، وقال الهروى : النعم والأنعام يذكران ويؤنثان ، وقال الراغب : النعم مختص بالإبل ، والأنعام =

أى : إحْرَازُ نَعَمٍ . وقال الآخر :

٢٥ — كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سِلّى نَعَامٌ قَاقَ فى بَلَدٍ قِفَارِ

= يقال للابل والبقر والغنم ، ويلقحه: مضارع ألقح الفحل الناقة ؛ إذا أحبلها، وتنتجونه: أى تستولدونه ، يريد أنهم يكثرون من شن الغارات فيأخذون ممن يغيرون عليه النوق الحوامل فتلد عندهم . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أكل عام نعم » فإن قوله « كل عام » ظرف زمان متعلق بمحذوف يقع خبرا مقدما ، وقوله « نعم » مبتدأ مؤخر ، والنعم : اسم من الأسماء الدالة على الذات ، ومن المقرر عند النحاة أن ظرف الزمان لا يكون خبرا عن اسم الذات ، وللتخلص من ذلك قدر المؤلف مضافا هو اسم معنى يكون هو المبتدأ وأصل الكلام عنده : أكل عام إحراز نعم ، وقد تبعه فى هذا التقدير ابن صاحب الألفية ، وقدره الرضى : أكل عام حواية نعم ، وقوم يقدرونه : أكل عام نهب نعم ، والخطب فى ذلك سهل ؛ فإن هؤلاء جميعا يسيرون فى فلك واحد ، وخلاصته أنه لا بد من تقدير مضاف يكون اسم معنى ، وهذا أحد وجهين فى هذا البيت ، والوجه الثانى لأبى العباس المبرد ، وخلاصته أنه يتعين تقدير المضاف إذا كان اسم الذات الواقع مبتدأ مخبرا عنه بظرف زمان ليس له تجدد وحدوث مرة بعد مرة ، أما إذا كان له تجدد وحدوث مرة بعد مرة فلا يلزم تقدير مضاف يكون اسم معنى ، والكلام هنا من هذا القبيل ، وانظر إلى قول ابن مالك فى التسهيل « ولا يغنى ظرف زمان غالبا عن خبر اسم عين ، مالم يشبه اسم المعنى بالحدوث وقتا دون وقت ، أو تنو إضافة اسم معنى إليه ، أو يعم واسم الزمان خاص أو مسئول به عن خاص ، ويغنى عن خبر اسم معنى مطلقا » ا هـ .

٢٥ — أنشد ابن منظور هذا البيت (س ل ل) ولم ينسبه، وأنشده فى (ق و ق) ونسبه إلى النابغة، وحكى عن ابن برى نسبته إلى شقيق بن جزء بن رباح الباهلى. وهو من شواهد سيبويه (١/١٠٩) والغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل، أى يتركها، فهو فعيل بمعنى مفعول مشتق من المغادرة على تقدير طرح الحروف الزائدة، والعذير ــ بالعين المهملة والذال المعجمة ــ الحال، وسلى ــ بكسر السين وتشديد اللام ــ اسم موضع بالأهواز كثير التمر، وقاق : أى صوت ، وبلد قفار : أى خالية موحشة ، وأصل اقفار جمع قفر ــ بالفتح ــ لكنه توهم سعة البلد وجعل كل جزء منها بلدا فوصف البلد ــ وهو فى الأصل مفرد ــ بالجمع على هذا . والاستشهاد بالبيت فى قوله « كأن عذيرهم نعام » فإن الخبر فى هذه الجملة ليس =

أى : كأن عذيرَهم عذيرُ نعامٍ . والعذير : الحالُ ، والحَالُ لا يُشَبَّه بالنعام — وقال الآخر :

٢٦ — قَلِيلٌ عَيْبُهُ ، والعَيْبُ جَمٌّ وَلَـكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

[٣٤] أى : ولـكن الغنى غنى رب غفور ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

والشواهد على هذا النحو أكثر من أن تُحْصَى ؛ فعلى هــذا يكون قد أجرى قوله « متقلديها » — وهو اسم الفاعل — على ذلك المحذوف ، فلا يفتقر إلى إبراز الضمير .

= هو عين المبتدأ ، ولهذا كان الـكلام على تقدير مضاف يتم به كون الخبر هو المبتدأ ، وأصل الـكلام : كأن عذيرهم عذير نعام ، قال ابن منظور بعد أن أنشد البيت « أراد عذير نعام ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، ومعناه أى كأن حالهم فى الهزيمة حال نعام تغدو مذعورة » اهـ .

٢٦ — لم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به . والجم — بفتح الجيم وتشديد الميم — الـكثير . وقد زعم المؤلف أن قول الشاعر « ولـكن الغنى رب » على تقدير مضاف ، وأصل الـكلام : ولـكن الغنى غنى رب ، وهذا كلام فاسد من وجهين : الأول أن كلمة « رب » ههنا معناها المصلح ، فإنك تقول « رب فلان الشىء يربه » تعنى أنه أصلحه ، ومن ذلك قول الشاعر :

يرب الذى يأتى من العرف أنه إذا سئل المعروف زاد وتمما

ومعنى قول الشاعر « ولـكن الغنى رب غفور » ولـكن الغنى مصلح لفسدا أموره ساتر لمساويه ، وهذا معنى مستقيم من غير تقدير ، والوجه الثانى : أنا نسلم جدلا أن كلمة الرب على المعنى الذى تبادر إلى ذهن المؤلف ، لـكن لا نسلم مع ذلك أن الـكلام يحتاج إلى تقدير المضاف ، بل تقدير المضاف يفسد المعنى ، وذلك لأن الشاعر يريد تشبيه الغنى بالرب الغفور ، والمعنى على هذا أن الناس يرون عيوب الرجل الغنى قليلة ولو كانت أكثر من زبد البحر ، وذلك لأن غناه يغطى عليها ويسترها ، وتأمل ذلك جيدا ، ولا تـكن أسير التقليد .

وأما قولهم « إن الإضمار فى اسم الفاعل إنما كان لشبه الفعل وهو يشابه الفعل إذا جرى على غير مَنْ هو له » قلنا : فلكونه فَرْعاً على الفعل وجب فيه إبراز الضمير هاهنا ؛ لئلا يؤدى إلى التسوية بين الأصل والفرع ، ولما يؤدى إليه تركُ الإبراز من اللَّبْسِ على مابينا ، والله أعلم .

٩ — مسألة

[القولُ فى تقديم الخبر على المبتدأ][١]

ذهب الكوفيون إلى أنه لايجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان أو جملة ؛ [فالمفرد] نحو « قائم زيد ، وذاهب عمرو » والجملة نحو « أبوه قائم زيد ، وأخوه ذاهب عمرو » . وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه المفرد والجملة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لايجوز تقديم خبر المبتدإ عليه مفرداً كان أو جملة لأنه يؤدى إلى أن تُقَدِّمَ ضميرَ الاسمِ على ظاهره ، ألا ترى أنك إذا قلت « قائم زيد » كان فى قائم ضمير زيد ؟ وكذلك إذا قلت « أبوه قائم زيد » كانت الهاء فى أبوه ضمير زيد ؛ فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره ، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره ؛ فوجب أن لايجوز تقديمهُ عليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جَوَّزْنَا ذلك لأنه قد جاء كثيرا فى كلام العرب وأشعارهم ؛ فأما ما جاء من ذلك فى كلامهم فقولهم فى المثل

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٢ ومايليهاطأوربة) وشرح الرضى على الكافية (١/٨٧ وما يليها)وحاشية الصبان على الأشمونى(١/٢٠٢بولاق) وشرح الأشمونى (١/٢٨١ وما بعدها بتحقيقنا) والتوضيح (١/٢٠٣ ومابعدهابولاق)

« فى بيته يُؤْتَى الحَكَمُ » وقولهم « فى أكفانه لُفّ الميتُ » و « مَشْنُوءٌ مَنْ يَشْنؤك » وحكى سيبويه « تميمىٌّ أنا » فقد تقدم الضمير فى هذه المواضع كلها على الظاهر ؛ لأن التقدير فيها : الحَكَمُ يؤتَى فى بيته ، والميت لف فى أكفانه ، ومَنْ يَشْنَؤُكَ مَشْنُوء ، وأنا تميمىٌّ ، وأما ماجاء من ذلك فى أشعارهم فنحو ماقال الشاعر :

٢٧ — بَنُونَا بَنُو أبْنَائِنَا ، وَبنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَباعِدِ

[٣٥] ويروى « الأكارم » وتقديره : بنو أبنائنا بنونا . وقال الآخر :

٢٨ — فَتًى مَا ابْنُ الْأَغَرِّ إذا شَتَوْنَا وَحُبّ الزَّادُ فى شَهْرَىْ قُمَاحِ

---

٢٧ — ينسب قوم هذا البيت للفرزدق همام بن غالب ، والأكثرون على أنه لايعرف قائله مع كثرة استشهاد العلماء به فى كتب النحو والبلاغة والفرائض ، وألفاظه ومعناه فى غاية الوضوح . وقد استشهد به الرضى فى شرح الكافية (٨٧/١) والأشمونى فى شرح الألفية (رقم ١٥٣) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٧١ بتحقيقنا) وفى مغنى اللبيب (رقم ٧٠٢ بتحقيقنا) والاستشهاد به فى قوله « بنونا بنو أبنائنا » فإن هذه الجملة اشتملت على مبتدأ وخبر ، وقد تقدم الخبر — وهو قوله بنونا — على المبتدأ — وهو قوله بنو أبنائنا — وقد استساغ الشاعر تقديم الخبر على المبتدأ مع كونهما فى رتبة واحدة من التعريف وكل واحد منهما صالح للابتداء به لوجود قرينة معنوية مرشدة إلى المبتدأ وإلى الخبر ، معينة أحدهما للابتداء به والآخر للاخبار به ، وذلك أنه يريد تشبيه أبناء الأبناء بالأبناء ، فى المحبة والعطف عليهم ، ولا يمكن أن يتسرب إلى فهم أحد أن غرضه تشبيه الأبناء بأبناء الأبناء ، فإن أصل المحبة والحنان والعطف للأبناء والغرض إثبات أن أبناء الأبناء مثلهم فى هذه الخلال ، لا العكس .

٢٨ — هذا البيت من كلام مالك بن خالد الهذلى ، وقد أنشده ابن منظور (ق م ح) ونسبه إليه . وقوله «فتى ما» معناه فتى أى فتى ، فما هذه صفة لفتى ، والشتاء عندهم زمن الجدب والقحط ، ولهذا يكون الكرم فيه نادرا ، ومن يطعم قليلا ، وهو ممدوح أشد المدح ، وقوله «حب» هو بضم الحاء — مثل نعم فى المدح ، وشهرا قماح — بضم القاف بزنة غراب أو بكسرها بزنة كتاب — هما كانون الأول وكانون الثانى ، سموها بذلك لأنها يكره فيها =

وتقديره : ابنُ الأغر فَتًى ما إذا شَتَوْنَا ، وقال الشَّمَّاخ :

٢٩ — كِلاَ يَوْمَىْ طُوَالَةَ وَصْلُ أَرْوَى ظَنُونٌ ، آنَ مُطَّرَحُ الظُّنُونِ

ووجه الدلالة من هذا البيت هو أن قوله « وَصْلُ أَرْوَى » مبتدأ ، و « ظَنُون » خَبَرُه ، و « كِلاَ يومى طوالة » ظرف يتعلق بـ « ظَنُون » الذى هو خبر المبتدأ ، وقد تقدم مَعْمُوله على المبتدإ ؛ فلو لم يجز تقديم خبر المبتدإ عليه وإلا لما جاز تقديم معمول خبره عليه ؛ لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل ، ألا ترى

= شرب الماء ، وقد قالوا « قمح البعير ، وقامح » إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب ، والاستشهاد به فى قوله « فتى ما ابن الأغر » فإن هذه جملة من مبتدأ وخبر ، وقد تقدم فيها الخبر على مبتدئه ، ولا يجوز لك أن تجعل المتقدم — وهو قوله فتى ما — مبتدأ ، والمتأخر — وهو قوله ابن الأغر — خبرا عنه ، وذلك لأن المتقدم نكرة والمتأخر معرفة ، والأصل فى المبتدأ أن يكون معرفة ولا يكون نكرة إلا بمسوغ ، والأصل فى الخبر أن يكون نكرة ؛ لأنه يكون مجهولا للمخاطب حتى يفيده الكلام فائدة جديدة لم تكن عنده قبل الكلام .

٢٩ — هذا البيت للشماخ بن ضرار الغطفانى — كما قال المؤلف — وقد أنشده ابن منظور (ط و ل) وأنشده ياقوت فى معجم البلدان (طوالة) . وطوالة — بضم الطاء وفتح الواو مخففة — قال ياقوت : موضع ببرقان فيه بئر ، وقال نصر : بئر فى ديار فزارة لبنى مرة وغطفان ، وأروى : من أسماء النساء ، وظنون : مظنون غير مقطوع به ، ومطرح — بضم الميم وتشديد الطاء مفتوحة — مصدر ميمى بمعنى الاطراح . والاستشهاد به فى قوله « كلا يومى طوالة وصل أروى ظنون » فإن قوله « وصل أروى » مبتدأ ، وقوله « ظنون » خبر المبتدأ ، وقد تقدم المبتدأ وتأخر الخبر على ماهو الأصل فيهما ، ولكن قوله « كلا يومى طوالة » ظرف متعلق بظنون الذى هو الخبر ، وقد تقدم هذا الظرف على المبتدأ كما هو ظاهر ، وقد استقر عند النحاة أن تقديم المعمول يدل على أن العامل فيه يجوز أن يتقدم فيكون فى موضع هذا المعمول ، فلما تقدم الظرف وهو معمول للخبر دل على أن الخبر العامل فى هـــذا الظرف يجوز أن يقع فى الموضع الذى وقع فيه الظرف .

أنك لو قلت « القتال زيداً حين تأتى » فنصبت زيداً بتأتى لم يجز ؛ لأنه لا يجوز أن تقدم تأتى على « حين » فتقول : القتال تأتى حين ؛ فلو كان تقديم خبر المبتدإ ممتنعاً كما امتنع هاهنا تقديم الفعل لامتنع تقديم معموله على المبتدإ ؛ لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل ؛ لأن المعمول تَبَعٌ للعامل ، فلا يفوقه فى التصرف ، بل أَجْمَلُ أَحْوَالِهِ أن يقع مَوْقِعَهُ ؛ إذ لو قلنا إنه يقع حيث لا يقع العامل لقدَّمْنَا التابع على المتبوع ؛ ومثال ذلك أن يجلس الغلام حيث لا يجلس السيد ، فتجعل مرتبته فوق مرتبة السيد ، وذلك عدول عن الحكمة ، وخروج عن قضية الْمَعْدَلَة ، وإذا ثبت بهذا جواز تقديم معمول خبر المبتدإ على المبتدإ فَلَأَنْ يجوز تقديم خبر المبتدإ عليه أولى ؛ لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول ، وهذا لا إشكال فيه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « لو جوَّزنا تقديمه لأدَّى ذلك إلى أن تُقَدِّمَ ضميرَ الاسمِ على ظاهره » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأن الخبر وإن كان مقدما فى اللفظ إلا أنه متأخر فى التقدير ، وإذا كان مقدما لفظا متأخراً تقديراً ، فلا اعتبار بهذا التقديم فى منع الإضمار ؛ ولهذا جاز بالإجماع « ضَرَبَ غُلاَمَهُ زَيْدٌ » إذا جعلت زيداً فاعلا وغلامه مفعولا ؛ لأن غلامه وإن كان متقدماً عليه فى اللفظ إلا أنه فى تقدير التأخير ؛ فلم يمنع ذلك من تقديم الضمير ، قال الله تعالى : (فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) فالهاء عائدة إلى موسى وإن كان متأخراً [٣٦] لفظا ؛ لأن موسى فى تقدير التقديم ، والضمير فى تقدير التأخير ، قال زهير :

٣٠ — مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِماً يَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

---

٣٠ — هذا البيت لزهير بن أبى سلمى المزنى — كما قال المؤلف — من قصيدة يمدح =

وقال الأعشى :

٣١ — أَصَابَ الْمُــــلُوكَ فَأَفْنَاهُمُ وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ذَا جَدَنْ

ويروى « ذَا يَزَنْ » .

وكذلك أجمعنا على جواز تقديم خبر « كان » على اسمها ، نحو « كان قائما زيد » وإن كان قد قُدِّمَ فيــه ضميرُ الاسمِ على ظاهره ، إلا أنه لمـا كان فى تقدير التـأخير لم يمنع ذلك من تقديم الضمير ، ولهذا لو فقد هـذا التقدير

= فيها هرم بن سنان المرى . وقوله « على علاته » المراد منه على كل حال ، ومن ذلك قول زهير أيضا :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكن الجواد على علاته هرم

و « السماحة » الجودوالعطاء ، تقول : سمح — بوزن كرم — سماحا ، وسماحةوسموحة وهورجل سمح : أى جواد كريم . والندى : الكرم، والخلق : الطبيعة والسجية . والاستشهاد بالبيت فى قوله « علاته » فإن هذه الهاء ضمير غيبة يعود إلى هرم ، وهو متأخر فى اللفظ عن الضمير، ونظير ذلك فى البيت الآخر الذى أنشدناه ، وذلك يدل على أن العرب ما كانوا يرون بأسا فى الإتيان بضمير الغيبة قبل مرجعه فى بعض المواضع ، وقد جاءوا بذلك فى النثر أيضا ، ومنه قولهم فى مثل « فى بيته يؤتى الحكم » وقولهم « فى أكفانه لف الميت » وقد ذكرها المؤلف

٣١ — هذا البيت من كلام أبى بصير صناجة العرب الأعشى ميمون بن قيس — كما قال المؤلف — من كلمة له ثابتة فى ديوانه (ص١٣ ط فينا) وذو يزن — بفتح الياء والزاى جميعا — ملك من ملوك حمير ، وإليه تنسب الرماح اليزنية ، ويقال : يزن اسم موضع فى اليمن ، أضيف إليه ذو ، فصار معناه صاحب يزن ، وأطلق على هذا الملك ، ونظيره : ذو رعين — بزنة المصغر — وذوجدن ، أى صاحب رعين وصاحب جدن ، وهما قصران . والاستشهاد بالبيت فى قوله « بيته » فإن هذه الهاء ضمير غيبة يعود إلى ذى يزن ، وهو متأخر عن الضمير ، وذلك يدل على أن العرب كانوا يرون أنه يجوز فى بعض المواضع أن يكون مرجع ضمير الغائب متأخرا عن ذلك الضمير ، ومتى كانوا يرون ذلك جائزا بطل قول الكوفيين إن تقدم الخبر يشتمل على محظور وهو تقدم ضمير الغائب على مرجعه ؛ لأن الخبر يشتمل على ضمير يعود إلى المبتدأ ، وهذا واضح إن شاء الله

من التقديم والتأخير لما جاز تقديم الضمير ، ألا ترى أنه لا يجوز « ضَرَبَ غُلَامُهُ زيداً » إذا جعلت غلامه فاعلا وزيداً مفعولاً ؛ لأن التقدير إنما يخالف اللفظ إذا عُدِلَ بالشىء عن الموضع الذى يستحقه ، فأما إذا وقع فى الموضع الذى يستحقه فمحال أن يقال إن النية به غير ذلك . وها هنا قد وقع الفاعل فى رتبته والمفعول فى رتبته ، فلم يمكن أن تجعل الضمير فى تقدير التأخير ، بخلاف ما إذا قلت : « ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدٌ » فجعلت غلامه مفعولا وزيداً فاعلا ، فأما قوله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) فإنه وإن كان بتقدير التأخير يصير إلى قولك وإذ ابتلى ربه إبراهيم ، فيكون إضماراً قبل الذكر كقولك : « ضَرَبَ غُلَامُهُ زيداً » إلا أن بينهما فرقاً ، وذلك لأن قولك « ضرب غلامه زيداً » تقدَّم فيه ضميرُ الاسمِ على ظاهره لفظا وتقديرا ، وقوله تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه) تقدم فيه ضمير الاسم على ظاهره تقديراً لا لفظا ، والضمير متى تقدم تقديراً لا لفظا أو تقدم لفظا لا تقديراً فإنه يجوز ، بخلاف ما إذا تقدم عليه لفظاً وتقديراً ، والله أعلم .

١٠ ـــ مسألة

[القولُ فى العامل فى الاسم المرفوع بعد لَوْلَا][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « لَوْلَا » ترفع الاسم بعدها ، نحو « لَوْلَا زَيْدٌ لأَكْرَمْتُكَ » ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشمونى (١/٢٠٧ و ٤/٤٠ بولاق) والتصريح للشيخ خالد (١/٢١٢ و ٢/٣٣٠ بولاق) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ٢٧٢ بتحقيقنا) وشرح موفق الدين ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص١١٦ أوربة) وشرح الرضى على الكافية (١/٩٣)

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : [٣٧] إنما قلنا إنها ترفع الاسمَ بعدها لأنها نائبة عن الفعل الذى لوظَهَرَ لرفَع الاسمَ ؛ لأن التقـــدير فى قولك « لولا زَيْدٌ لأكرمتك » لو لم يمنعنى زيد من إكرامِكَ لأكرمتك ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً ، وزادوا « لاَ » على « لَوْ » فصار بمنزلة حرفٍ واحدٍ ، وصار هـذا بمنزلة قولهم « أمَّا أنْتَ منطلقاً انْطَلَقْتُ معك » والتقدير فيه : أن كنْتَ مُنْطَلِقاً انْطَلَقْتُ معك ، قال الشاعر :

٣٢ — أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِىَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

والتقدير فيه : أن كُنْتَ ذا نفر ، فحذف الفعل ، وزاد « ما » على أنْ عِوَضاً عن الفعل ، كما كانت الألف فى الْيَمَانى[١] عوضا عن إحدى ياءى النسب ، والذى يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لايجوز ذكر الفعل معها ؛ لئلا يُجْمَع بين العوض

---

٣٢ — هذا البيت للعباس بن مرداس السلمى ، وقد أنشده سيبويه (١/١٤٨) وابن منظور (ض ب ع) ونسبه له ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٢٠٧) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٩٧) وابن عقيل (رقم ٧٤) وأبو خراشة : كنية خفاف بن ندبة أحد أغربة العرب ، وقد أسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا ، وقيل : شهد فتح مكة . وذا نفر : يريد به ذا رهط كثير العدد ، وأصل الضبع الحيوان المعروف ثم استعير للسنة المجدبة ، يقول : إن كنت تفخر علينا بكثرة عدد قومك ، فإنه لا فخر لك فى ذلك ؛ لأن قومى لم تكن قلتهم بسبب موتهم فى القحط والمجاعة ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « أما أنت » فإن أصل هذه العبارة « أن كنت » فحذفت كان ثم عوض عنها « ما » وأدغمت ميم ما فى نون أن ، فناب هذا الحرف الذى هو ما مناب فعل هو كان ، قالوا : وإذا ناب منابه أدى ما كان الفعل يؤديه ،وقد كان هذا الفعل يرفع الاسم الذى بعده ، فما رافعة له ، وقد أوضح المؤلف هذا الكلام .

(١) اليمانى : نسبة إلى اليمن ، وأصل القياس أن يقال « يمنى » بلفظ المنسوب إليه مضافا إليه ياء مشددة ، ولكنهم حذفوا إحدى الياءين وعوضوا منها ألفا بعد الميم ، ونظيره قولهم شآم فى النسبة إلى الشأم

والمعوض ، ونحن و إن اختلفنا فى أنَّ « أنْ » هاهنا هل هى بمعنى إن الشرطية أو أنها فى تقدير لأنْ فما اختلفنا فى أن « ما » عوض عن الفعل ، وكذلك أيضاً قولهم «إمَّا لا فافعل هذا» تقديره : إن لم تفعل مايلزمك فافعل هذا ؛ لأن الأصل فى هذا أن الرجل تلزمه أشياء ، فيطالَبُ بها ، فيمتنع منها ، فيُقْنَعُ منه ببعضها ، فيقال له « إمَّا لا فافعل هـذا » أى : إن لم تفعل مايلزمك فافْعَلْ هذا ، ثم حذف الفعل لـكثرة الاستعمال و زيدت « ما » على « إنْ » عوضاً عنه فصارا بمنزلة حرف واحد ، والذى يدل على أنها صارت عوضاً عن الفعل أنه يجوز إمالَتُهَا فيقال « إما لا » بالإمالة كما أمالوا « بلى » و « يا » فى النداء ، فلو لم تكن كافية من الفعل و إلا لما جازت إمالتها ؛ لأن الأصل فى الحروف أن لا تدخلها الإمالة ، فلما جاز إمالتها هاهنا دل على أنها كافية من الفعل ، كما كانت « بلى » و « يا » كذلك ، وكذلك أيضا قالوا «مَنْ سَلَّمَ عليك فسلِّم عليه ومَنْ لا فَلاَ تَعْبَأْ بِهِ » وتقديره : ومن لا يسلم عليك فلا تعبأ به ، وقال الشاعر :

٣٣ — فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لها بِنِدٍّ ... وَإلاَّ يَعْلُ مَفْرِقَكَ الْحُسَامُ

أراد : و إلاَّ تطلقها يَعْلُ ، وكذلك قالوا «حِينَئِذٍ الآنَ» تقديره : واسْمَعِ الآن ،

---

٣٣ — هذا البيت من كلام الأحوص ، واسمه محمد بن عبد الله الأنصارى ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ١٠٩٠) وأوضح المسالك (رقم ٥١٦) ومغنى اللبيب (رقم ٩٠٥) وابن عقيل (رقم ٣٤٥) وقوله « طلقها » أمر من التطليق وهو فصم عروة الزواج وحل العصمة « ند » أى مكافىء ، ويروى « بكفء » وهو بضم الكاف وسكون الفاء وآخره همزة — المساوى فى نسب وغيره مما تعتبره الشريعة صفات لازمة للتكافؤ بين الزوجين « مفرقك » المفرق ـ بزنة المجلس والمقعد ـ وسط الرأس «الحسام» السيف ، والاستشهاد به فى قوله «وإلا» فإن هذه الكلمة مؤلفة من حرفين أولهما إن الشرطية ، والثانى لا النافية ، وقد حذف فعل الشرط ، وأصل الكلام : وإن لا تطلقها يعل — إلخ .

ومعناه أن ذاكرا ذكر شيئا فيما مضى يستدعى فى الحال مِثْلَه فقال له المخاطب « حينئذٍ الآنَ » أى : كان الذى تذكره حينئذٍ ، واسمع الآنَ ، أو دَعِ الآن ذكره أو [٣٨] نحو ذلك من التقدير ، وكذلك قالوا « ماأغفله عنك شيئا » وتقديره : انظر شيئاً ، كأن قائلا قال « ليس بغافل عنى » فقال المجيب : ماأغفله عنك شيئاً ، أى انظر شيئاً ، فحذف . والحذفُ فى كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثرُ من أن يُحْصَى ؛ فدل على أنَّ الفعل محذوف هاهنا بعد « لولا » وأنه اكتفى بلولا ، على مابينا ؛ فوجب أن يكون مرفوعا بها .

والذى يدل على أن الاسم يرتفع بها دون الابتداء أن « أنَّ » إذا وقعت بعدها كانت مفتوحة نحو قولك « لولا أن زيداً ذاهب لأكرمتك » ولو كانت فى موضع الابتداء لوجب أن تكون مكسورة ؛ فلما وجب الفتح دل على صحة مما ذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يرتفع بالابتداء دون « لَوْلاَ » وذلك لأن الحرف إنما يعمل إذا كان مختصاً ، ولولا لاتختص بالاسم دون الفعل ، بل قد تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم ، قال الشاعر :

٣٤ — قَالَتْ أُمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا: هَلاَّ رَمَيْتَ بِبَعْضِ الأَسْهُمِ السُّودِ

---

٣٤ — أنشد ابن يعيش هذين البيتين ، ونسبها إلى الجموح ، وأنشدها الرضى من غيرعزو، وشرحها البغدادى فى الخزانة ١/٢٢١، وأنشدها ابن منظور (ع ذر) ونسبها للجموح الظفرى ، ثم قال: « يقال: هذا الشعر لراشد بن عبد ربه ، وكان اسمه غاويا ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم راشدا »اهـ ، وأمامة: اسم امرأة ، والأسهم السود: يقال هى كناية عن الأسطر المكتوبة ، يعنى هلا كتبت لى كتابا ، ويقال: الأسهم السود نظر مقلتيه، وكلا هذين التفسيرين مما لا أستسيغه ، ولاهو مما يلتئم مع البيت التالى ، وحددت : معناه حرمت ومنعت وفارقنى الجد والحظ ، والعذرى — بضم العين وسكون الذال — المعذرة ، واستشهاد المؤلف بهذا البيت للبصريين فى قوله «لولا حددت » حيث دخلت لولا على الفعل ، وقد دخلت على الاسم فى شواهد كثيرة ، وذلك يدل على أنها ليست مختصة بالاسم ولاهى مختصة =

لَا دَرَّ دَرُّكِ ؛ إِنِّى قَدْ رَمَيْتُهُمُ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرَى لِمَحْدُودِ

فقال « لولا حُدِدْتُ » فأدخَلَهَا على الفعل ؛ فدلَّ على أنها لاتختص ؛ فوجب أن لاتـكون عاملةً ، وإذا لم تكن عاملةً وجب أن يكون الاسمُ مرفوعا بالابتداء .

والذى يدل على أنه ليس مرفوعاً بلولا بتقدير لو لم يمنعنى زيدٌ لأكرمْتُكَ أنه لو كان كذلك لـكان ينبغى أن يُعْطَف عليهـا بِوَلاَ ؛ لأن الْجَحْـدَ يُعْطَفُ عليه بِوَلاَ ، قال الله تعـالى : (وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِيرُ ، ولا الظلماتُ ولا النُّورُ ، ولا الظِّلُّ ولا الْحَرُور ، وما يستوى الأحياء ولا الأمواتُ) ثم قال الشاعر :

= بالدخول على الفعل ، بل تدخل على كل واحد من القبيلين ، ومتى سلم أنها ليست مختصة بأحد القبيلين لم تـكن عاملة ؛ لأن من المقرر عندهم أن كل حرف مشترك لايعمل فى أحد القبيلين ، وهذا الـكلام منقوض من ثلاثة أوجه : الأول أنا لا نسلم أن «لولا» فى هذا الشاهد هى لولا التى نقول نحن يا معشر الـكوفيين إنها ترفع الاسم الذى يليها ، بل هى مؤلفة من حرفين الأول لو التى هى حرف امتناع لامتناع والثانى لا النافية ، وهذا هو الوجه الذى ذكره المؤلف ، وسيأتى فى شرح الشاهد ٣٧ كلام على هذا الوجه ، والوجه الثانى : نسلم أن « لولا » التى فى هذا الشاهد هى لولا التى وقع الخلاف بيننا وبينـكم بشأنها ، لـكن لا نسلم أنها داخلة على الفعل فى اللفظ والتقدير جميعا ، بل هى داخلة على الاسم عند التحقيق ، وذلك أن الـكلام على تقدير أن المصدرية التى تنسبك مع هذا الفعل بالاسم ، وأصل الـكلام لولا أن حددت ، فحذف الشاعر أن وهو ينويها ، والتقدير : لولا الحد ، أى لولا المنع والحرمان ، وحذف أن المصدرية مع نيتها واقع فى كلام العرب ، والوجه الثالث : أنا لا نسلم ما أصلتموه من القاعدة القائلة إن الحرف المشترك لا يعمل فى أحد القبيلين ، فـكم من الحروف المشتركة وهو عامل ، مثل ما ولا النافيتين ، وبعض الحروف المختصة لا يعمل شيئاً مثل أل ، فالقاعدة غير مطردة ولا منعكسة .

٣٥ — فَمَا الدُّنْيَا بِبَاقَاةٍ لِحَىٍّ وَلاَ حَىٌّ عَلَى الدُّنْيَا بِبَاقِ

قوله « بباقاة » أراد بباقية ؛ فأبدل من الكسرة فتحة ، فانقلبت اليـاء ألفاً ، وهى لغة طيىء ، وقال الآخر :

٣٦ — وَمَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ بِحُزْنٍ أَجَلْ ، لا ، لا ، وَلا بِرَخَاء بَالِ

فلما لم يجز أن يقال « لولا أخوك ولا أبوك » دَلَّ على فساد ماذهبوا إليه .

والصحيحُ ماذهب إليه الكوفيون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما [٣٩] قولهم « إن الحرف إنما يعمل إذا كان مختصاً ، ولولا حرف غير مختص » قلنا : نسلم أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان

---

٣٥ — قول الشاعر « بباقاة » أراد بباقية ، اسم فاعل من البقاء ، ولغة جمهرة العرب تقتضى بقاء هذه الياء على حالها مثل راغية وثاغية وراضية وحامية ؛ لأنهم لايقلبون الواو والياء المتحركتين ألفا إلا أن يكون ماقبلهما مفتوحا نحو سما وعدا وغدا وبدا ونحو الندى والهدى والتقى ؛ فإن انكسر ما قبلهما أو انضم سلمتا نحو العوض والحيل والسور ، وإنما يقلبها لمجرد تحركها طيىء وحدهم ، وقد ورد عنهم فى كل فعل واوى اللام أو يائى اللام وهو مكسور العين قلب واوه أو يائه ألفا فيقولون : رضا وبقى وحيا بفتح العين وقلب اللام ألفا ، وجمهور العرب يقولون : رضى وبقى وحيي بكسر العين وبقاء الياء إن كانت اللام ياء أو قلب الواو ياء لتطرفها وانكسار ما قبلها كما فى نحو رضى . والاستشهاد بالبيت فى قوله « ولاحى — إلخ » فإن هذه الكلمة معطوفة على قوله « فما الدنيا — إلخ » والمعطوف عليه منفى بما ؛ فلزم إدخال حرف النفى الذى هو لا على المعطوف بعد واو العطف .

٣٦ — أصل الرخاء سعة العيش ، وفعلهمن أبواب كرم ودعا وسعى ورضى ، وهو راخ ورخى ، ويقولون « فلان رخى البال » يريدون أنه فى نعمة وأنه واسع الحال ، والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « ولا برخاء بال » فإن هذه الكلمة معطوفة على قوله « بحزن » وقد قرن بواو العطف حرف النفى كما ترى .

مختصاً ، ولكن لانسلم أن لولا غير مختص . قولهم « إنه يدخل على الفعل كما يدخل على الاسم ، كما قال الشاعر :

* لَوْلا حُدِدْتُ وَلا عُذْرَى لِمَحْدُودِ *[٣٤]

فأدخلها على الفعل » قلنا : لو التى فى هذا البيت ليست مركبة مع « لا » كما هى مُرَكبة مع لا فى قولك « لولا زيد لأكرمتك » وإنما لو حرفٌ باقٍ على أصله من الدلالة على امتناع الشيء لامتناع غيره ، و «لا» معها بمعنى لم ؛ لأن لا مع الماضى بمنزلة لم مع المستقبل ، فكأنه قال : قد رميتهم لو لم أحدّ ، وهذا كقوله تعالى : (فلا اقتحم العَقَبَةَ) أى : لم يقتحم العقبة ، وكقوله تعالى : (فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى) أى : لم يصدق ولم يصل ، وكقول الشاعر :

٣٧ — إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وَأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا

---

٣٧ — أنشد هذا البيت ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٤٠٦) وقال قبل إنشاده « وقال أبو خراش الهذلى وهو يطوف بالبيت » وأنشده ابن منظور (ل م م) ونسبه إلى أمية بن أبى الصلت ، ثم قال « قال ابن برى : الشعر لأمية بن أبى الصلت ، قال : وذكر عبد الرحمن عن عمه (الأصمعى) عن يعقوب عن مسلم بن أبى طرفة الهذلى ، قال : مر أبو خراش يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول :

لا هم هذا خامس إن تما أتمه الله ، وقد أتما

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما » اهـ

وتقول « ألم الرجل » إذا أتى بصغار الذنوب ، مأخوذ من اللمم وهو صغار الذنوب ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « لا ألما » فإن المؤلف زعم أن لا فى هذا البيت بمعنى لم ، والماضى بمعنى المضارع ، وكأن الشاعر قد قال « وأى عبد لك لم يأت بصغار الذنوب ، والسر فى ذلك هو أن النحاة يرون أن لا النافية إذا دخلت على فعل ماض لفظا ومعنى وجب تكرارها ، مثل ما فى قوله تعالى : (فلا صدق ولا صلى) ومثل ما جاء فى الحديث « فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » ومثل قول الهذلى « كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل » :

وكقول الآخر :

٣٨ — * وَأَىُّ أَمْرٍ سَيِّءٍ لا فَعَلَهْ *

= فإن كان الفعل ماضى اللفظ دون المعنى لم يجب التكرار ، نحو قول الشاعر :

حسب المحبين فى الدنيا عذابهم　　تالله لا عذبتهم بعدها سقر

فإن عذاب سقر مستقبل لا سابق ، ومن هذا الباب فعل الدعاء نحو قولهم « لافض الله فاك » وقول الشاعر :

لابارك الله فى الغوانى! هل　　يتن إلا لهن مطلب ؟

فلما ورد على النحاة بيت الشاهد والبيت الذى يليه (رقم ٣٨) وقول السفاح ابن بكير اليربوعى :

من يك لاساء فقد ساءنى　　ترك أبينيك إلى غير راع

وذلك من قبل أن لا النافية فى قوله الشاعر « لا ألما » وقول الآخر « لافعله » وقول الثالث « لا ساء » قد دخلت على أفعال ماضية فى اللفظ والمعنى — لما رأى النحاة ذلك انطلقوا يلتمسون لأنفسهم مخرجا ، فأما المؤلف فقد سمعت كلامه ، وأما قوم آخرون فقد زعموا فى بعض ذلك أن «لا» مكررة فى المعنى وإن لم تتكرر فى اللفظ ، ومن أمثلة ذلك ما قاله الزمخشرى فى قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) قال « فإن قلت : قلما تقع لا الداخلة على الماضى إلا مكررة ؛ فمالها لم تكرر فى الكلام الأفصح ؟ قلت : هى متكررة فى المعنى ؛ لأن المعنى : فلافك رقبة ولا أطعم مسكينا ، ألا ترى أنه فسر العقبة بذلك » اه ، وتفسير العقبة هو قوله تعالى (وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما) وذهب قوم فى الشواهد التى ذكرناها إلى أنها شاذة لا يقاس عليها ولا تنبنى عليها قاعدة .

٣٨ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وقد أنشده ابن منظور (ز ن ى) ولم يعزه ، وقد استشهد به رضى الدين فى شرح الكافية فى باب حروف الجر ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢٢٨/٤) ونسبه لشهاب بن العيف ، وهو أيضا من شواهد الكشاف فى تفسير سورة البلد ، ومن شواهد مغنى اللبيب (رقم ٤٠٥) وقبله قول الراجز :

لاهم إن الحارث بن جبله　　زنى على أبيه ثم قتله

* وكان فى جاراته لا عهد له *

=

أى : لم يفعله ، فكذلك ها هنا قولهُ « لولا حُدِدْتُ » أى لو لم أُحدّ ؛ فدلّ على أن «لولا» هذه ليست لولا التى وقع فيها الخلاف ، فدلّ على أنها مختصة بالأسماء دون الأفعال ، فوجب أن تكون عاملة على ما بينا .

وأما قولهم « لو كانت لولا هى العاملة لأن التقدير لو لم يمنعنى زيد لكان فيها معنى الجَحْدِ ، فكان ينبغى أن يعطف عليها بولا ؛ لأن الجحد يعطف عليه بولا إلى آخر ماقرروه » قلنا : إنما لم يجز ذلك لأن «لولا» مركبة من لو ولا ، فلما ركبتا خرجت لو من حدها ولا من الْجَحْدِ ؛ إذ ركبتا فصُيِّرتا حرفاً واحداً ؛ فإن الحروف إذا ركب بعضها مع بعض تغيَّر حكمها الأول ، وحدث لها بالتركيب حكم آخر ، كما قلنا فى « لولا » بمعنى التحضيض ، ولَوْمَا وألاَّ وما أشبهه ، وكذلك هاهنا ؛ فلهذا لم يجز العطف عليها بولا ، والله أعلم .

[٤٠] ١١ — مسألة

[القول فى عامل النَّصْبِ فى المفعول][١]

ذهب الكوفيون إلى أن العامل فى المفعول النصبَ الفعلُ والفاعلُ جميعاً ، نحو « ضربَ زيدٌ عمراً » . وذهب بعضهم إلى أن العامل هو الفاعل ، ونَصَّ هشام

= وقوله « زنى على أبيه » يروى بتخفيف النون ويروى بتشديدها ، ومعناها ضيق على أبيه ، وقال ابن هشام « أصله زنى بامرأة أبيه ، فحذف المضاف ، وأناب على عن الباء » اه ، وهو تكلف لامبرر له ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « لافعله » حيث دخلت لا النافية على الفعل الماضى لفظا ومعنى ولم تتكرر ، والمؤلف يذكر أن لا بمعنى لم والماضى بمعنى المضارع ، على نحو ما أسلفناه لك فى شرح الشاهد السابق .

(١) انظر فى شرح هذه المسألة : شرح المفصل (ص ١٥٣) وشرح الكافية (١ / ١١٥) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٣٧ ط ليدن) والتصريح للشيخ خالد الأزهرى (١/٣٧٤ بولاق) .

ابن معاوية صاحب الكسائى على أنك إذا قلت « ظننت زيداً قائماً » تنصب زيداً بالتاء وقائماً بالظن . وذهب خَلَفٌ الأحمرُ من الكوفيين إلى أن العامل فى المفعول معنى المفعولية ، والعامل فى الفاعل معنى الفاعلية .

وذهب البصريون إلى أن الفعل وحده عمل فى الفاعل والمفعول جميعاً .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن العامل فى المفعول النصبَ الفعلُ والفاعلُ وذلك لأنه لا يكون مفعول إلا بعد فعل وفاعل ، لفظا أو تقديراً ، إلا أن الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد ، والدليل على ذلك من سبعة أوجه :

الأول : أن إعراب الفعل فى الخمسة الأمثلة يقع بعده نحو « يفعلان ، وتفعلان ، ويفعلون ، وتفعلون ، وتفعلين يا امرأة » ولولا أن الفاعل بمنزلة حرف من نفس الفعل وإلا لما جاز أن يقع إعرابُهُ بعدَهُ .

والوجه الثانى : أنه يُسَكَّنُ لامُ الفعلِ إذا اتصل به ضميرُ الفاعلِ ، نحو « ضَرَبْتَ ، وذَهَبْتَ » لئلا يجتمع فى كلامهم أربعُ حركاتٍ متواليات فى كلمة واحدة ، ولولا أن ضمير الفاعل بمنزلة حرف من نفس الفعل وإلا لما سكنت لامُ الفعل لأجله .

والوجه الثالث : أنه يلحق الفعلَ علامةُ التأنيث إذا كان الفاعل مؤنثاً ، فلولا أنه يتنزل منزلةَ بعضِهِ وإلا لما أُلحق علامةَ التأنيثِ ؛ لأن الفعل لا يؤنَّثُ ، وإنما يؤنث الاسم .

والوجه الرابع : أنهم قالوا « حَبَّذَا » فركبوا حَبَّ وهو فعل مع ذا وهو اسم ؛ فصارا بمنزلة شيء واحد ، وحُكِم على موضعه بالرفع على الابتداء .

والوجه الخامس : أنهم قالوا فى النسب إلى كُنْتُ « كُنْتِيٌّ » فأثبتوا التاء[١]

---

(١) مثل ما فى قول الشاعر :

فأصبحت كنتيا ، وأصبحت عاجنا وشر خصال المرء كنت وعاجن

ولو لم يتنزل ضميرُ الفاعلِ منزلَةَ حرفٍ من نفس الفعل وإلا لما جاز إثباتها .

والوجه السادس : أنهم قالوا « زيد ظننت منطلق » فألغوا ظننت ، ولولا أن الجملة من الفعل [٤١] والفاعل بمنزلة المفرد وإلا لمـا جاز إلغاؤها ؛ لأن العمل إنما يكون للمفردات لا للجمل .

والوجه السابع : أنهم قالوا للواحد « قِفَا » على التثنية ؛ لأن المعنى قِفْ قِفْ ، قال الله تعالى : (أَلْقِيَا فى جهنم) فثَنَّى وإن كان الخطابُ لملَكٍ واحد وهو مالكٌ خازِنُ النار ؛ لأن المعنى : أَلْقِ أَلْقِ ، والتثنية إنما تكون للأسماء لا للأفعال ؛ فدل على أن الفاعل مع الفعل بمنزلة الشىء الواحد .

وإذا كان الفعل والفاعل بمنزلة الشىء الواحد ، وكان المفعول لا يقع إلا بعدهما ؛ دَلَّ على أنه منصوب بهما ، وصار هذا كما قلتم فى الابتداء والمبتدإ إنهما يعملان فى الخبر ؛ لأنه لا يقع إلا بعدهما . والذى يدل على أنه لا يجوز أن يكون الناصبُ للمفعول هو الفعلَ وحده أنه لو كان هو الناصبَ للمفعول لـكان يجب أن يليه ، ولا يجوز أن يُفْصَلَ بينه وبينه ؛ فلما جاز الفصل بينهما دل على أنه ليس هو العامل فيه وحده ، وإنما العاملُ فيه الفعل والفاعلُ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الناصب للمفعول هو الفعل دون الفاعل وذلك لأنا أجمعنا على أن الفعل له تأثير فى العمل ، أما الفاعل فلا تأثير له فى العمل ؛ لأنه اسم ، والأَصْلُ فى الأسماء أن لا تعمل ، وهو باقٍ على أصله فى الاسمية ؛ فوجب أن لا يكون له تأثير فى العمل ، وإضافة مالا تأثير له فى العمل إلى ماله تأثير ينبغى أن يكون لا تأثير له .

وأما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قولهم « إن الناصب للمفعول الفعل والفاعل لأنه لا يكون إلا بعدهما — إلى آخر ما قرروا » قلنا : هذا لا يدل على أنهما العاملان فيه ؛ لمـا بينا أن الفاعل اسم ، والأصل فى الأسماء أن لا تعمل ،

وبهذا يبطل قول من ذهب منهم إلى أن الفاعل وحده هو العامل ، والكلام عليه كالكلام على مَنْ ذهب من البصريين إلى أن الابتداء والمبتدأ يعملان فى الخبر لهذا المعنى ، وقد بينا فساد ذلك مستقصى فى مسألة المبتدأ والخبر ؛ فلا نعيده ها هنا .

وأما قولهم « لو كان الفعل هو العاملَ فى المفعول لكان يجب أن يَلِيَهُ ولا يفصل بينه و بينه » قلنا : هذا يبطل بإنَّ ؛ فإنا أجمعنا على أنه يجوز أن يقال « إن فى الدار لزيدا ، وإن عندك لَعمْراً » قال الله سبحانه : (إن فى ذلك لآيَةً) وقال [٤٢] تعالى : (إن لَدَيْنَا أنْكَالاً) فنصب الاسم بإنَّ وإن لم تَلِهِ فكذلك ها هنا ؛ وإذا لم يلزم ذلك فى الحرف ــ وهو أضعف من الفعل ؛ لأنه فرع عليه فى العمل ــ فَلأَنْ لا يلزم ذلك فى الفعل وهو أقوى كان ذلك من طريق الأولى ، على أنا نقول : إن الفعل قد وَلِىَ المفعولَ ؛ لأن الفعل لما كان أقوى من حرف المعانى صار يعمل عملين ؛ فهذا بذاته رافع للفاعل وناصب للمفعول ؛ لزيادته على حروف المعانى ؛ فتقديرهُ تقدير ماعمل وليس بينه و بين معموله فاصل، وإذا لم يكن بينه و بين معمولِهِ فاصل بَانَ أنه قد وليه العامل(١) ، فدل على أن العامل هو الفعل وحده .

وأما ما ذهب إليه الأحمر من إعمال معنى المفعولية والفاعلية فظاهر الفساد ؛ لأنه لو كان الأمر كما زعم لوجَبَ أن لا يرتفع مالم يُسَمَّ فاعله نحو « ضُرِبَ زيدٌ » لعدم معنى الفاعلية ، وأن يُنْصَبَ الاسم فى نحو « مَاتَ زيدٌ » لوجود معنى المفعولية ، فلما ارتفع ما لم يُسَمَّ فاعله مع وجود معنى المفعولية وارتفع الاسم فى نحو « مات زيد » مع عدم معنى الفاعلية ؛ دل على فساد ما ذهب إليه . والله أعلم .

---

(١) كذا ، ولعل الصواب « بان أنه قد وليه المعمول » .

١٢ — مسألة

[القول فى ناصب الاسم المشغول عنه][1]

ذهب الكوفيون إلى أن قولهم « زَيْدًا ضَرَبْتُهُ » منصوبٌ بالفعل الواقع على الهاء ، وذهب البصريون إلى أنه منصوب بفعل مقدر ، والتقدير فيه : ضربت زيداً ضربته .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه منصوب بالفعل الواقع على الهاء ، وذلك لأن المَكْنِيَّ — الذى هو الهاء العائد — هو الأولُ فى المعنى ؛ فينبغى أن يكون منصوبا به ، كما قالوا « أكرمت أباك زيداً ، وضربت أخاك عَمْراً » .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه منصوب بفعل مقدر وذلك لأن فى الذى ظهر دلالة عليه ، فجاز إضماره استغناء بالفعل الظاهر عنه ، كما لو كان متأخرا وقبله ما يدل عليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « إنما قلنا إنه منصوب بالفعل الواقع على الهاء لأن المكنىّ هو الأول [٤٣] فى المعنى ، فينبغى أن يكون منصوبا به كقولهم : أكرمت أباك زيدا » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأن انتصاب زيد فى قولهم « أكرمت أباك زيداً » على البدل ، وجاز أن يكون بدلا لأنه تأخر عن المبدل منه ؛ إذ لا يجوز أن يكون البدل إلا متأخرا عن المبدل منه ، وأما هاهنا فقد تقدم

---

(١) انظر فى هذه المسألة : التصريح للشيخ خالد (١/٣٥٠ بولاق) وحاشية الصبان على الأشمونى (٢/٥٧ وما بعدها) وشرح المفصل (ص ١٩٨ وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (١/١٤٨) .

زيد على الهاء ؛ فلا يجوز أن يكون بَدَلا منها ؛ لأنه لا يجوز أن يتقدم البدل على المبدل منه ، على أنَّا نقول : إن العامل فى البدل عندنا غير العامل فى المبدل منه ، وإن العامل فى المبدل منه على تقدير التكرير فى البدل ، والذى يدل على ذلك إظهاره فى البدل كما أظهر فى المبدل منه ، قال الله تعالى : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم) فقوله (لمن آمن منهم) بدل من قوله (للذين استضعفوا) فأظهر العامل فى البدل كما أظهره فى المبدل منه ، وقال تعالى : (ولولا أن يكون الناسُ أُمَّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرَّحْمٰنِ لبيوتهم سقفا من فضة) فقوله (لبيوتهم) بدل من قوله (لمن يكفر بالرحمن) فأظهر العامل فى البدل كما أظهره فى المبدل منه ، فدلَّ على أنه فى تقدير التكرير ، وأن العامل فى البدل غير العامل فى المبدل منه ، والله أعلم .

١٣ — مسألة

[القول فى أوْلىٰ العاملين بالعمل فى التنازع][1]

ذهب الكوفيون فى إعمال الفعلين ، نحو « أكْرَمَنِي وأكْرَمْتُ زَيداً ، وأكْرَمْتُ وأكْرَمَنِي زَيْدٌ » إلى أن إعمال الفعلِ الأولِ أوْلىٰ ، وذهب البصريون إلى أن إعمال الفعل الثانى أولى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أن إعمال الفعلِ الأولِ أوْلىٰ النقلُ ، والقياسُ .

أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيراً ، قال امرؤ القيس :

---

(١) انظر فى شرح هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشمونى (٢/٨٧ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (١/٣٨٦ بولاق) وشرح الأشمونى (٢/٣١٠ بتحقيقنا) ، وشرح المفصل لابن يعيش (ص ٩٤ أوربة) وشرح الرضى على الكافية (١/٧٠)

٣٩ — فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ
كَفَانِى ، وَلَمْ أَطْلُبْ ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

---

٣٩ — البيت كما قال المؤلف من قصيدة لامرىء القيس بن حجر الكندى ؛ مطلعها قوله :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى؟

وقد استشهد بالبيت رضى الدين فى باب التنازع، وشرحه البغدادى (١/١٥٨) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٤١٧ بتحقيقنا) وفى شرح قطر الندى (رقم ٨١) والأشمونى (رقم ٤٠٧) وسيبويه (١/٤١) وابن يعيش (ص ٩٥) وسيذكر المؤلف فيما يلى البيت التالى لهذا البيت من القصيدة ، و«لو» حرف شرط يدل على امتناع الشرط ، وفهم الامتناع منه كالبديهى ، فإن كل من سمع قائلا يقول « لو كان كذا » أو « لو فعل فلان كذا » فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ،ولهذا يصح فى كل موضع استعملت فيه لو أن تعقبه بحرف الاستدراك داخلا على فعل الشرط منفيا لفظا أو معنى ، تقول « لو جاءنى أكرمته ، لكنه لم يجىء » ومنه قول الشاعر :

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

وقول الحماسى :

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ، ولكنه لم يطر

ومثلها قول الحماسى أيضا ، وهو قريط بن أنيف أحد بنى العنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ثم قال بعد ذلك :

لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا

وذلك أن معنى هذا البيت الأخير : لكننى لست من مازن ، ونظير هذا قول الله تعالى : (ولو أراكهم كثيراً لفشلتم وتنازعتم فى الأمر ، ولكن الله سلم) ومن هنا تعلم أن قول الشلوبين وابن هشام الخضراوى: إن «لو» لا يدل على امتناع شرط ولا جوابه ولكنه يدل على التعليق فى الماضى — كلام غير مستقيم ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « كفانى ولم أطلب قليل من المال » فإن المؤلف نقل عن الكوفيين أنهم زعموا أن هذا البيت من باب التنازع لتقدم فعلين على اسم واحد ، وقد أعمل الشاعر أول=

فأَعْمَلَ الفعلَ الأولَ ، ولو أعمل الثانى لنصب « قليلا » وذلك لم يروه أحد ، وقال رجل من بنى أسد :

٤٠ — [٤٤] فَرَدَّ عَلَى الْفُؤَادِ هَوًى عَمِيداً
وَسُوئِلَ لَوْ يُبِينُ لَنَا السُّؤَالاَ

= الفعلين — وهو قوله « كفانى » — فى الاسم المتأخر فرفعه به ، والدليل على ذلك أنه لو أعمل الثانى وهو أطلب لنصب الاسم به ؛ لأنه يطلب مفعولا ، وهذا الكلام غير صحيح ؛ لأن شرط التنازع أن يكون كل واحد من العاملين المتقدمين طالبا للمعمول مع صحة المعنى على فرض عمل أيهما فيه ، وفى هذا البيت لا يتم ذلك ؛ فإنك لو قلت : لو ثبت كون سعيي لأدنى معيشة كفانى قليل من المال ولم أطلب ذلك القليل ، لكان كلاما متناقضا لا محصول له ، وإنما يتم معنى بيت امرىء القيس إذا قدرت لقوله « ولم أطلب » مفعولا يدل عليه البيت بعده ، وتقديره « ولم أطلب الملك » وإذا انحل البيت إلى قولك : ولو ثبت كون سعيي لأدنى معيشة كفانى قليل من المال ولم أطلب الملك ، كان كلاما صحيحا مقبولا ، ولم أجد من المؤلفين من بين ذلك بيانا شافيا كافيا كابن هشام فى كتابه شرح قطر الندى ، فارجع إليه إن شئت .

٤٠ — هذان البيتان من كلام المرار الأسدى ، وهما من شواهد سيبويه (١/٤٠) والهوى : العشق ، وعميد : أى فادح يبهظ صاحبه ويدنفه ويسقمه ، فعيل بمعنى فاعل ، وأصله قولهم « عمده المرض » أى أضناه وأوجعه ، و « نغنى » مضارع « غنى بالمكان » من مثال رضى ؛ أى أقام فيه وتوطنه ، ومنه سمى منزل القوم ومحل إقامتهم المغنى ، والخرد — بضم الخاء والراء جميعا — جمع خريدة ، وهى المرأة الحيية الطويلة السكوت ، أو هى البكر التى لم تمسس ، والخدال — بكسر الخاء — جمع خدلة — بفتح فسكون — وهى الغليظة الساق المستديرتها ، والاستشهاد بالبيتين فى قوله « ونرى يقتدننا الخرد الخدالا » حيث كانت هذه العبارة من باب التنازع لتقدم فعلين هما نرى ويقتاد ، وتأخر معمول هو الخرد الخدال ، وقد أعمل الشاعر الفعل الأول فى هذا المعمول بدليل أنه نصبه وأتى بضميره معمولا للفعل الثانى وهو نون النسوة ، ولو أنه أعمل الفعل الثانى لقال : نرى يقتادنا الخرد الخدال ، فيرفع المعمول على أنه فاعل ليقتاد ويحذف ضميره لكون الأول يطلب =

وَقَدْ نَغْنَى بِهَا وَنَرَى عُصُوراً بِهَا يَقْتَدْنَنَا الْخُرُدَ الْخِدَالاَ

فأَعْمَلَ الأول ، ولذلك نَصَبَ « الخرد الخدالا » ولو أعمل الفعل الثانى لقال : « تقتادنا الخردُ الخدالُ » بالرفع ، وقال الآخر :

٤١ — وَلَمَّا أَنْ تَحَمَّلَ آلُ لَيْلَى سَمِعْتُ بِبَيْنِهِمْ نَعَبَ الْغُرَابَا

فأَعْمَلَ الأول ، ولذلك نصب الغراب ، ولو أعمل الثانى لوجب أن يرفع .

وأما القياس فهو أن الفعل الأول سابقُ الفعلِ الثـانى ، وهو صالح للعمل كالفعل الثانى ، إلا أنه لما كان مَبْدُوءاً به كان إعْمَالُهُ أَوْلَى ؛ لقوة الابتداء

= معمولا فضلة، وهذا يدل على أن إعمال العامل الأول أولى ،وهو مذهب الـكوفيين ، والحق أن هذه الشواهد كلها لا تدل على أكثر من أن إعمال العامل الأول جائز، وهو مالا يختلف فيه أحد ، فأما أولويته فلا .

٤١ — تحمل آل ليلى : وضعوا حمولهم وهموا بالارتحال ، والبين — بالفتح — البعد والفراق . والاستشهاد بالبيت فى قوله « سمعت ببينهم نعب الغرابا » فإن هذه العبارة من باب الاشتغال،حيث تقدم عاملان — وهما سمعت ، ونعب — وتأخر عنهما معمول واحد وهو قوله الغراب — والأول يطلبه مفعولا لأنه استوفى فاعله، والثانى يطلبه فاعلا لانه فعل لازم ولم يستوف فاعله ظاهرا ،وقد أعمل الشاعر العامل الأول فى هذا المعمول فنصبه به، ولو أنه أعمل العامل الثانى لرفعه،فكان يقول«سمعت ببينهم نعب الغراب»وقد زعم الـكوفيون أن هذا يدل على أن إعمال العامل الأول أولى من إعمال العامل الثانى ، ولـكن الحقيقة أن هذا الشاهد ونحوه يدل على جواز إعمال العامل الأول ، فأما الدلالة على أولوية ذلك فلا دلالة للبيت ولا لغيره عليه ، وورود شواهد أخرى فيها إعمال العامل الثانى دون الأول يدل على جواز إعمال الثانى ، ولا يستطيع أحد أن يدعى أنها تدل على أولويته ، فليكن المقرر أن إعمال الأول جائز وإعمال الثانى جائز أيضا ، وليس إعمال أحدهما بأولى من إعمال الآخر ، وستأتى لهذا الـكلام بقية مع الشواهد ٤٢ و ٤٤ و ٤٨

ونظير هذا قول رياح الزنجى :

إن الفرزدق صخرة عادية طالت ، فليس تنالها الأجبالا

يريد طالت الأجبال ، أى غلبتها فى الطول ، فليس تنالها الأجبال

والعناية به ؛ ولهذا لا يجوز إلغاء « ظننت » إذا وقعت مبتدأة ، نحو « ظننت زيداً قائماً » بخلاف ما إذا وقعت متوسطة أو متأخرة ، نحو « زيد ظننت قائم ، وزَيْدٌ قائم ظننت » وكذلك لا يجوز إلغاء « كان » إذا وقعت مبتدأة نحو « كان زيد قائماً » بخلاف ما إذا كانت متوسطة ، نحو « زيد كان قائم » فدل على أن الابتداء له أثر فى تقوية عمل الفعل .

والذى يؤيد أن إعْمَال الفعل الأول أوْلىٰ من الثانى أنك إذا أعملت الثانى أدَّى إلى الإضمار قبل الذِّكر ، والإضمار قبل الذِّكر لا يجوز فى كلامهم .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أن الاختيار إعمالُ الفعلِ الثانى النقلُ ، والقياسُ .

أما النقل فقد جاء كثيراً ، قال الله تعالى : (آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) فأعمل الفعل الثانى ، وهو أفرغ ، ولو أعمل الفعل الأول لقال : أفرغه عليه ، وقال تعالى : (هاؤم اقرؤا كتابيه) فأعمل الثانى وهو اقرؤا ، ولو أعمل الأول لقال : اقرؤه ، وجاء فى الحديث « وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ » فأعمل الثانى ، ولو أعمل الأول لأظهر الضمير بُدًّا ، وقال الشاعر وهو الفرزدق :

٤٢ — وَلٰكِنَّ نَصْفاً لَوْ سَبَبْتُ وَسَبَّنِى
بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنَافٍ وَهَاشِمِ

---

٤٢ — هذا البيت كما قال المؤلف للفرزدق همام بن غالب ، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٩) وابن يعيش (ص ٩٤) وهو فى ديوان الفرزدق (ص ٨٤٤) ثانى بيتين ، والبيت الذى قبله هو قوله :

وليس بعدل أن سببت مجاشعا بآبائى الشم الكرام الخضارم

وقوله فيما روى المؤلف « ولكن نصفا » أى إنصافا وعدلا ، وفى الديوان « ولكن عدلا » وقوله « بنو عبد شمس من مناف وهاشم » لبس بمستقيم ؛ فإن هاشما ليس بابن عبد شمس ، وإنما هو ابن عبد مناف ، وقد جاء الفرزدق بهذه العبارة على وجهها الصحيح مرارا ، من ذلك قوله من قصيدة يمدح فيها يزيد بن عبد الملك : =

فأَعْمَلَ الثانى ، ولو أعمل الأول لقال « سببت وسبونى بنى عبد شمس » بنصب « بنى » وإظهار الضمير فى سبنى ، وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِى :

٤٣ — وَكُمْتًا مُـــدَمَّاةً كَأَنَّ مُتُونَهَا
جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ

= وإن لكم عيصا ألف غصونه له ظل بيتى عبد شمس وهاشم

ومن ذلك قوله من قصيدة يهجو فيها أحد بنى باهلة :

وهل فى معد من كفاء نعده لنا غير بيتى عبدشمس وهاشم

ومن ذلك قوله من قصيدة يهجو فيها باهلة وبنى عامر بن صعصعة وجريرا :

ولو سُئِلَتْ مَنْ كُفْؤُ الشَّمْسُ أومأت إلى ابنى مناف عبد شمس وهاشم

والاستشهاد بالبيت فى قوله « سببت وسبنى بنو عبد شمس » فإن هذه العبارة من باب الاشتغال حيث تقدم فيها عاملان ــ وهما قوله سببت وقوله سبنى ــ وتأخر عنهما معمول واحد هو قوله « بنو عبد شمس » والأول يطلبه مفعولا والثانى يطلبه فاعلا ، وقد أعمل فيه الثانى ، ولو أنه أعمل الأول لقال« سببت وسبونى بنى عبد شمس» وهذا يدل على أن إعمال العامل الثانى فى باب التنازع جائز ، ولكنه كما قلنا من قبل لا يدل على أنه أولى من إعمال العامل الأول ؛ وإذا كانت الشواهد الواردة عن العرب المحتج بكلامهم قد أعمل العامل الأول فى بعضها وأعمل العامل الثانى فى بعضها الآخر، فقد تكافأ العاملان فى جواز الإعمال ، ولم يبق أحدهما أولى من أخيه ، فأما سبق الأول صاحبه وقرب الآخر من المعمول فلا يفيد ، فإنا نعلم أن الأفعال تعمل متقدمة على المعمول ومتأخرة عنه ، وتعمل متصلة بمعمولها ومنفصلة منه ، وذلك كله واقع فى أفصح كلام ، ولهذا نرى أن الخلاف فى هذه المسألة مما لا طائل له

٤٣ ــ هذا البيت ــ كما قال المؤلف ــ من قصيدة لطفيل بن كعب الغنوى ، وهو من شعراء الجاهلية ، وقد اشتهر بوصف الخيل ، حتى قال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل ، والبيت الشاهد فى وصف الخيل أيضا ، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٩) وشرح المفصل (ص ٩٤) والأشمونى (رقم٤١٦) والكمت : جمع أكمت وإن لم يكن هذا المفرد مستعملا ، وإنما المستعمل « كميت » =

[٤٥] وقال الآخر ، وهو رجل من بَاهِلَةَ :

٤٤ — وَلَقَدْ أَرَى تَغْنَى بِهِ سَيْفَانَةٌ ... تُصْبِي الْحَلِيمَ وَمِثْلُهَا أَصْبَاهُ

= بزنة المصغر ـ قال شارح الجمل: الكميت من الأسماء المصغرة التى لا تكبير لها ، وهو مصغر أكمت تصغير الترخيم بمنزلة حميد من أحمد غير أن أكمت لم يستعمل ، والكميت: الذى لونه الحمرة يخالطها سواد ، ومدماة : شديدة الحمرة حتى كأنها قد طليت بالدم ، والمتون : جمع متن ، وهو الظهر ، وجرى : سال ، واستشعرت لون مذهب : جعلت هذا اللون شعارها ، وأصل الشعار ـ بزنة الكتاب ـ العلامة يتخذها المحارب ليعرف بها ، أو هو ما يلى الجسد من الثياب ، والمذهب ـ بزنة المكرم ـ المموه بالذهب . والاستشهاد به فى قوله « جرى فوقها واستشعرت لون مذهب » فإن هذا الكلام من باب التنازع؛ فقد تقدم عاملان ـ وهما قوله جرى وقوله استشعرت ـ وتأخر عنهمامعمول واحد ـ وهو قوله لون مذهب ـ وكل واحد من هذين العاملين يطلب هذا المعمول ، وقد أعمل الشاعر العامل الثانى منهما فى لفظ المعمول ، ولو أعمل الأول منهما لرفع « لون مذهب » لأن الأول يطلبه فاعلا ، ولأتى بضمير المعمول بارزا مع العامل الثانى ، فكان يقول : جرى فوقها واستشعرته لون مذهب .

٤٤ — هذا البيت من شواهد سيبويه أيضا (١/٣٩) ولم يزد فى نسبته عما نقله المؤلف ، وتغنى به : مضارع « غنى بالمكان يغنى ـ على مثال رضى يرضى » أى أقام ، وتصبي الحليم : تورثه الصبوة ، وهى الميل إلى شهوات الصبا وملذاته. والاستشهاد به فى قوله « أرى تغنى به سيفانة » فإن هذه العبارة من باب التنازع لتقدم عاملين ـ وهما قوله أرى وقوله تغنى به ـ وتأخر عنهما معمول واحد ـ وهو قوله سيفانة ـ وأول العاملين يطلب هذا المعمول مفعولا ، وثانيهما يطلبه فاعلا ، وقد أعمل الشاعر العامل الثانى فى هذا المعمول ؛ بدليل مجيئه مرفوعا ، ونظير هذه الشواهد فى إعمال العامل الثانى قول الشاعر:

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب ... جهارا فكن فى الغيب أحفظ للود

وقول الآخر :

هويننى وهويت الغانيات إلى ... أن شبت فانصرفت عنهن آمالى

وقول الآخر :

جفونى ولم أجف الأخلاء ؛ إننى ... لغير جميل من خليلى مهمل =

وقال الآخر :

٤٥— قَضَى كُلُّ ذِى دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا

= ثم نقول : قد تبين لك أن كلام العرب قد جاء بإعمال أول العاملين فى لفظ المعمول المتأخر عنهما، وبإعمال العامل الثانى فى لفظه أيضا، ومن إعمال العامل الأول الشواهد التى استدل بها الكوفيون، ومن إعمال الثانى الشواهد التى استدل بها البصريون؛ فليس لواحد من الفريقين أن يدعى أن الاستعمال العربى يؤيده وحده؛ لأن الاستعمال العربى يؤيد كل واحد منهما، وكل ماهناك أنه يبقى سؤال، وهو هل العامل الأول أولى بالعمل لكونه متقدما وقد طلب المعمول قبل أن يطلبه الثانى، أم العامل الثانى أولى لكونه أقرب إلى المعمول ومجاورا له، وأما العامل الأول فهو مفصول من المعمول بالعامل الثانى على الأقل؟ ولا نرى لك أن تحاول ترجيح إحدى هاتين القضيتين؛ فإن لكل منهما مستندا من التعليل والقياس، لا من الاستعمال العربى.

٤٥ — هذا البيت لكثير بن عبد الرحمن المشهور بكثير عزة، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٤١١) وأوضح المسالك (رقم ٢٤١) وممطول: اسم المفعول من قولك «مطل المدين دائنه يمطله — من باب نصر —» وذلك إذا لواه بدينه وسوف فى قضائه ولم يؤده، و «معنى» اسم المفعول من قولك «عنى الأمر الفلانى فلانا — بتضعيف عين الفعل وهى النون هنا —» وذلك إذا شق عليه الأمر وكان سببا فى عنائه وشقوته، والاستشهاد فى هذا البيت فى موضعين: الأول فى قوله «قضى كل ذى دين فوفى غريمه» فإن هذه العبارة من باب التنازع، فقد تقدم عاملان — وهما قوله «قضى» وقوله «وفى» — وتأخر عنهما معمول واحد — وهو قوله «غريمه» — وكل واحد من العاملين المتقدمين يطلب المعمول المتأخر مفعولا، وقد أعمل الشاعر العمول الثانى منهما فى لفظ المعمول، والدليل على أنه أعمل الثانى هنا أنه لم يصل ضمير المعمول بالعامل الثانى، لأنه لو كان قد أعمل الأول لوجب أن يقول «قضى كل ذى دين فوفاه غريمه» على أن يكون تقدير الكلام: قضى كل ذى دين غريمه فوفاه، والموضع الثانى من موضعى استشهاد المؤلف بالبيت قوله «ممطول معنى غريمها» فإن ظاهر هذه العبارة أنها من باب التنازع؛ لتقدم عاملين — وهما قوله «ممطول» وقوله «معنى» — وتأخر عنهما معمول واحد — وهو قوله «غريمها» — وكل واحد من هذين العاملين=

. . . .

= يطلبه نائب فاعل ؛ لأن كل واحد منهما اسم مفعول على ما بينا ، وأنت تعلم أن اسم المفعول يعمل عمل الفعل المبنى للمجهول . وقد اغتر المؤلف بهذا الظاهر ؛ فخيل إليه أن العبارة من باب التنازع، وأن الشاعر قد أعمل العامل الثانى ، لأنه لو كان قد أعمل العامل الأول لوجب عليه أن يقول : وعزة ممطول معنى هو غريمها ؛ فيكون « هو » نائب فاعل معنى ، وغريمها : نائب فاعل ممطول ، فإن قلت : فلماذا لا يكون فى «معنى» ضمير مستترجوازا تقديره هو ويكون هذا الضمير نائب فاعل معنىعلى تقدير إعمال ممطول فى لفظ المعمول المتأخر ؟ فالجواب على هذا أن نقول : إن قوله «وعزة» مبتدأ ، وخبره قوله «ممطول»والممطول وصف الغريم لاوصف عزة،فقدجرى ضمير الخبر على غيرمبتدئه، وإذا جرى ضمير الخبر على غير المبتدأ وجب إبراز ذلك الضمير ،هكذا خيل للمؤلف،وهو كلام منقوض من ثلاثة أوجه ؛ الوجه الأول : أن وجوب إبراز الضمير من الخبر إذا جرى هذا الضمير على غير مبتدئه هو مذهب البصريين ، ومذهب الكوفيين أنه لا يجب إبراز الضمير من الوصف إذا جرى على غير موصوفه ، كما بينه المؤلف نفسه فى المسألة رقم ٨ السابقة ، وإذا كان الأمر كذلك لم يجز أن يحتج على مذهب قوم بمذهب قوم آخرين كما هو مقرر فى علم الجدل ، والوجه الثانى : أن الشاعر لو كان قد أعمل العامل الثانى لوجب عليه أن يقول : وعزة ممطول هو معنى غريمها ، فيبرز الضمير المستكن فى الخبر الأول لنفس السبب الذى احتج به على الكوفيين ، وهو أن الضمير المستكن فى الخبر جار على غير مبتدئه ، وهذا الاحتجاج ملزم للبصريين لأنه مذهبهم وغير ملزم للكوفيين لأنهم لا يذهبون إليه كما قدمنا ، والوجه الثالث — وهو مترتب على الوجهين السابقين — أن النحارير من العلماء كابن مالك رحمه الله ذهبوا إلى أن هذه العبارة ليست من باب التنازع أصلا ؛ لأنه لا يصح أن يكون الشاعر قد أعمل العامل الأول كما لا يصح أن يكون قد أعمل العامل الثانى ؛ لأنه لو أعمل أحدهما أيا كان لوجب على مذهب البصريين أن يبرز ضمير المعمول مع العامل الذى لم يعمله فى لفظ المعمول لكونه جاريا على غير من هو له ، وعلى هذا يكون قوله « عزة » مبتدأ أول وقوله « غريمها » مبتدأ ثانيا ، وقوله « ممطول » خبر المبتدأ الثانى تقدم عليه ، وقوله « معنى » خبرا ثانيا للمبتدأ الثانى ، وجملة المبتدأ الثانى وخبريه فى محل رفع خبر المبتدأ =

فأعمل الثانى فى هذا البيت فى مكانين : أحدها « وَفّى » ولو أعمل الأول لقال : وَفَّاهُ ، والثانى « مُعَنًّى » ولو أعمل الأول لوجب إظهار الضمير بعد مُعَنًّى ؛ فيقول « وعزة ممطول معنى هو غريمها » وتقديره : وعزة ممطول غريمها مُعَنًّى هو ؛ لأنه قد جرى على عزة ، وهو فعل الغريم ؛ فقد جرى على غير مَنْ هو له ، واُسْم الفاعل إذا جرى على غير مَنْ هو له وَجَبَ إظهار الضمير فيه ، فلما لم يظهر الضمير دَلَّ على أنه قد أعمل الثانى ، إلا أنهم يقولون على هذا : يجوز أن يكون قد أعمل الأول ولم يظهر الضمير وذلك جائز عندنا ، وقد بيَّنا فساد ذلك فى اسم الفاعل إذا جرى على غير مَنْ هو له مستقصًى فى موضعه .

وأما القياس فهو أن الفعل الثانى أقربُ إلى الاسم من الفعل الأول ، وليس فى إعماله دون الأول نَقْضُ معنًى ، فكان إعمالُه أوْلَىٰ ، ألا ترى أنهم قالوا : « خشنت بصدره وصَدْرِ زيد » فيختارون إعمال الباء فى المعطوف ، ولا يختارون إعمال الفعل فيه ؛ لأنها أقربُ إليه منه ؛ وليس فى إعمالها نَقْضُ معنًى ؛ فكان إعْمَالها أوْلَىٰ .

والذى يدل على أن للقرب أثراً أنه قد حملهم القربُ والجوارُ حتى قالوا : « جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » فأجروا خَرِبٍ على ضَبٍّ ، وهو فى الحقيقة صفة للجحر ؛ لأن الضبَ لا يوصف بالخراب ؛ فهاهنا أوْلَىٰ .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قول امرىء القيس :

فَلَوْ أنَّ مَا أسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ
كَفَانِى ، وَلَمْ أطْلُبْ ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ [٣٩]

= الأول ، ومن هذا تعلم أن الاسمين المتقدمين — وهما قوله « ممطول » وقوله « معنى » — ليسا عاملين لأنهما خبران ، والاسم المتأخر — وهو قوله « غريمها » — ليس معمولا ؛ لأنه مبتدأ ، والمبتدأ ليس معمولا لخبره إلا على قول ضعيف ، وكأن الشاعر قد قال : وعزة غريمها ممطول معنى .

فنقول : إنما أعمل الأول منهما مراعاة للمعنى ؛ لأنه لو أعمل الثانى لكان الكلام متناقضا ، وذلك من وجهين ؛ أحدهما : أنه لو أعمل الثانى لكان التقدير فيه : كفانى قليل ولم أطلب قليلا من المال ، وهذا متناقض ؛ لأنه يخبر تارة بأن سعيه [٤٦] ليس لأدنى معيشة ، وتارَةً يخبر بأنه يطلب القليل ، وذلك متناقض ؛ والثانى : أنه قال فى البيت الذى بعده :

وَلٰكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الَمجْدَ الُمؤَثَّلَ أَمْثَالِى

فلهذا أعمل الأول ولم يعمل الثانى . وأما قول الآخر :

وقد نغنى بهـا ونرى عصورا بها يَقْتَدْننا الخردَ الخِدالاَ [٤٠]

فنقول : إنما أعمل الأول مراعاة لحركة الروىّ ؛ فإن القصيدة منصوبة ، وإعمال الأول جائز ، فاستعمل الجائز ليخاص من عيب القافية ، ولا خلاف فى الجواز ، وإنما الخلاف فى الأَوْلٰى ، وكذلك أيضاً قول الآخر :

[وَلَمَّا أَنْ تَحَمَّلَ آلُ لَيْلٰى] سمعت ببينهم نعب الغرابا [٤١]

يدل على الجواز ، وهو مُعَارِض بأمثاله .

وأما قولهم « إن الفعل الأول سابق فوجب إعماله للعناية به » قلنا : هم وإن كانوا يُعْنَوْنَ بالابتداء إلا أنهم يعنون بالمقاربة والجِوَارِ أكثر ، على ما بينا فى دليلنا .

وأما قولهم « لو أعملنا الثانى لأدَّى إلى الإضمار قبل الذكر » قلنا : إنما جوزنا ها هنا الإضمارَ قبلَ الذكرِ لأن ما بعده يفسره ؛ لأنهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض إذا كان فى الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب ، قال الله تعالى : (والحافظين فروجَهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبلُ ، ولعلم المخاطب أن الثانى قد دخل فى حكم الأول ، وقال الله تعالى : (أن الله برىء من المشركين ورسولُه)

فاستغنى بذكر خبر الأول عن ذكر خبر الثانى ؛ لعلم المخاطب أن الثانى قد دخل فى ذلك ، قال ضابِىء البُرْجُمِىُّ .

٤٦ — فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّى وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

---

٤٦ — هذا البيت — كما قال المؤلف — لضابىء بن الحارث البرجمى ، وقد استشهد به سيبويه (١/٣٨) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٣٥) وفى أوضح المسالك (رقم ١٤٢) والأشمونى (رقم ٢٧٤) وقوله « رحله » هو هنا بمعنى منزله ، ويروى فى مكانه « رهطه » ورهط الرجل : أهله وقومه الأقربون ، و « قيار » ذكر أبو زيد فى نوادره أنه اسم جمل الشاعر ، ونقل عن الخليل بن أحمد أنه اسم فرس الشاعر ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « إنى وقيار لغريب » حيث ذكر الشاعر إن واسمها ، ثم ذكر مبتدأ مرفوعا ، وهو قوله « وقيار » وذكر بعد ذلك خبر إن وهو قوله «لغريب» وحذف خبر المبتدأ — وهو قوله « وقيار » — لأن معرفة هذا الخبر المحذوف لا تعسر على سامع هذا الكلام ، بل هو متبادر إلى ذهنه من غير تكلف ولا مشقة ، وأصل الكلام : فإنى لغريب وقيار كذلك ، أو غريب ، أو مثلى ، أوما أشبه هذا ، ولا يجوز فى هذا البيت أن يكون قوله « لغريب » خبرا لقوله « وقيار » لوجود لام الابتداء فى هذا الخبر ، ولام الابتداء تدخل فى خبر إن ، ولا تدخل فى خبر المبتدأ إلا شذوذا ، كما لا يجوز أن يكون قوله « وقيار » معطوفا على اسم إن ، وذلك من ثلاثة أوجه : الأول أن اسم إن منصوب ، وهذا مرفوع ، ومن شرط صحة العطف اتفاق المتعاطفين فى الإعراب ، والوجه الثانى : أن الذين صح رأيهم ممن جوزوا عطف الاسم المرفوع على اسم إن المنصوب لكون اسم إن مبتدأ فى الأصل والمبتدأ مرفوع ، إنما جوزوا ذلك إذا وقع الاسم المرفوع بعد استكمال إن معموليها الاسم والخبر كما فى قول الشاعر :

فمن يك لم ينجب أبوه وأمه فإن لنا الأم النجيبة والأب

فقد جاء بالاسم المرفوع — وهو قوله « والأب » — بعد أن أوفى جملة إن حقها ، والوجه الثالث : أنا لو جرينا على القول المرجوح الذى يجوز مجىء الاسم المرفوع معطوفا على اسم إن باعتبار أصله ولو لم تستوف إن معموليها ؛ لم يجزلنا فى هذا البيت أن نعطف قوله « وقيار » على اسم إن؛ لأنه لو عطف على اسم إن لوجب أن يقال : فإنى وقيار بها لغريبان ، لأنه حينئذ يكون خبرا عن اثنين .

فاستغنى بذكر خبر الآخر عن خبر الأول ، وقال دِرْهَمُ بن زيد الأنصارى :

٤٧ — نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا ، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ ، وَالرَّأْىُ مُخْتَلِفُ

[٤٧] واستغنى بذكر خبر الآخر عن ذكر خبر الأول ، وقال الفرزدق :

٤٨ — إِنِّى ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِى مَاجَنَى وَأَبِى، فَكُنْتُ وَكَانَ غَيْرَ غَدُورِ

---

٤٧ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٣٨/١) و مغنى اللبيب لابن هشام (رقم ٨٧٣) وشواهد إيضاح القزوينى (رقم ٩٥ بتحقيقنا) وليس هو لدرهم بن زيد الأنصارى كما ذكر المؤلف ، ولكنه من كلام قيس بن الخطيم ، والاستشهاد به فى قوله « نحن وأنت راض » فإن قوله « نحن » مبتدأ ، وخبره محذوف ، وقوله « وأنت » مبتدأ آخر ، وخبره هو قوله « راض » وقد حذف الشاعر خبر المبتدأ المتقدم لدلالة خبر المبتدأ الذى بعده عليه ، وتقدير الكلام : نحن راضون بما عندنا وأنت راض بما عندك ، ولا يجوز أن يكون قوله « راض » خبرا عن المبتدأ المتقدم وحده ، ولا أن يكون خبرا عن « نحن » و « أنت » جميعا ، لكون هذا الخبر مفردا ، ولا يخبر بالمفرد عن الجمع ، ونظير هذا البيت فى حذف خبر السابق وذكر خبر الثانى قول الشاعر :

خليلى هل طب فإنى وأنتما — وإن لم تبوحا بالهوى — دنفان؟

فإن قوله « دنفان » يتعين أن يكون خبرا عن « أنتما » ولا يجوز أن يكون خبرا لإن وحدها ، ولا أن يكون خبرا لإن والاسم المرفوع بعدها معا ، وذلك لأن « دنفان » مثنى واسم إن مفرد ، وهو مع الاسم المرفوع بعده جمع ، ولا يجوز أن يخبر بالمثنى عن المفرد ولا عن الجمع .

٤٨ — لم أجد هذا البيت فى نسخ ديوان الفرزدق المطبوعة ، وهو من شواهد سيبويه (٣٨/١) ومفرداته ومعناه مما لا يحتاج إلى شرح ، والاستشهاد به فى قوله « فكنت وكان غير غدور » فإن المؤلف قد زعم أن قوله « غير غدور » خبر لكان الثانية ، وأن الشاعر قد حذف خبر كان الأولى ارتكانا على انفهام المعنى وأن السامع سيفهم أن أصل الكلام فكنت غير غدور وكان غير غدور ، فحذف خبر كان الأولى لدلالة خبر كان الثانية عليه ، فصار كما جاء فى كلام الشاعر ، لكن الذى ذكره للؤلف ليس بلازم ، بل يجوز أن يكون المذكور هو خبر كان الأولى ، وأن الشاعر قد حذف خبر =

فاستغنى بخبر الثانى عن الأول ، والشواهدُ على هذا النحو كثيرةٌ ؛ فدَلَّ على جواز الإضمار ها هنا قبل الذكر ؛ لأن ما بعده يفسره ، وإذا جاز الإضمار مع عدم تقدم ذكر المظهر لدلالة الحال عليه كما قال تعالى : (حتى تَوَارَتْ بالحجاب) يعنى الشَّمْسَ وإن لم يَجْرِ لها ذكر ، وكما قال تعالى : (كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ) يعنى الأرض ، وكما قال الشاعر :

٤٩ — عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إذَا قَالَ صَاحِبِي: أَلاَ لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

يعنى الفلاة وإن لم يجر لها ذكر ؛ لدلالة الحال ، فَلَأَنْ يجوز ها هنا الإضمار قبل الذكر لشريطة التفسير ودلالة اللفظ كان ذلك من طريق الأَوْلَى ، ثم إن كان هذا ممتنعاً فينبغى أن لا يجوز عندكم ، ولا خلاف بين جميع النحويين أنه جائز ، إلا فيما لا يعدُّ خلافا ، فدلَّ على فساد ما ذكرتموه ، والله أعلم .

= كان الثانية لدلالة خبر الأولى عليه، بل هذا — وهو أن يكون المذكور خبر كان الأولى والمحذوف هو خبر كان الثانية — هو الأولى ؛ لأنه هو الأكثر دورانا على ألسنة العرب وهذا فى المواضع التى يحتمل الكلام فيها الوجهين جميعا كما فى هذا البيت ، أما المكان الذى يتعين فيه أحد الأمرين كالشواهد السابقة فإن الكلام يحمل على ما يتعين فيه ، وهذه اللفتة ترجح مذهب الكوفيين فى كون العامل المتقدم أولى بالإعمال فى لفظ المعمول ، نعنى فيما لو احتمل الكلام إعمال كل منهما ، فتنبه لذلك .

٤٩ — هذا البيت هو البيت التاسع والثلاثون من معلقة طرفة بن العبد البكرى ، وهو من أبيات فى وصف ناقته . وقوله «على مثلها» يريد على مثل هذه الناقة الموصوفة، وأمضى : أى أسير ، وقوله « ألا ليتنى أفديك منها » الضمير عائد إلى الفلاة أى الصحراء وقد أتى بضمير الفلاة وإن لم يجر لها ذكر فى الكلام قبل هذا ؛ لأن المراد يفهم من سياق الكلام ، ونظيره كما قال المؤلف قوله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) فإن المراد والله أعلم حتى توارت الشمس وراء الأفق ، فأضمر فى الفعل ضميرا يعود إلى الشمس وإن لم يجر لها ذكر فى الكلام ارتكانا على أن السامع سيفهم المقصود ويعرف المراد من سياق الكلام ، وقول طرفة « ألا ليتنى — إلخ » واقع موقع قوله : إنا هالكون لأن السير فى هذه الصحراء شاق عسير لا يتيسر لأحد أن يمضى فيه ويستمر عليه

١٤ — مسألة

[القول في نعم وبئس ، أفِعْلَانِ هما أم اسْمَانِ ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « نِعْمَ ، وبِئْسَ » اسمان مُبْتَدَآن . وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرَّفَانِ ، وإليه ذهب على بن حمزة الكسائى من الكوفيين :

أما الكوفيون فاحْتَجُّوا بأن قالوا : الدليلُ على أنهما اسمان دخولُ حرف الخفض عليهما ؛ فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول « ما زيد بِنِعْمَ الرجُلُ » قال حسان بن ثابت :

٥٠ — ألسْتُ بِنِعْمَ الْجَارُ يُؤْلِفُ بَيْتَهُ أخَاقِلَّةٍ أوْ مُعْدِمَ الْمَالِ مُصْرِمَا

---

(١) انظر فى هذه المسألة : التصريح للشيخ خالد(٢/١١٧ بولاق) وشرح الأشمونى (٤/١٩٢ وما بعدها بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٣/٢٣ بولاق) وشرح رضى الدين على الكافية (٢/٢٨٩ وما بعدها) وشرح موفق الدين بن يعيش على المفصل (ص ١٠٢٨ أوربة) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٤١ ط ليدن) وشرحنا على شرح قطر الندى لابن هشام (ص ٢٧ ط سنة ١٩٥٩) وشرح ابن عقيل على الألفيـــة (٢/١٢٧ بتحقيقنا)

٥٠ — هذا البيت كما قال المؤلف ـ لحسان بن ثابت الأنصارى ، والجار : أراد به ههنا الذى يستجير به الناس من الفقر والحاجة فينزلون فى حماه ويستظلون بظله ويجعلون عليه قضاء حاجاتهم ، ويؤلف بيته ـ ببناء الفعل للمعلوم : أى يجعل المقل يألف بيته ، وذلك ببسط الكف وبذل العرف وبشاشة الوجه ونحو ذلك ، وأخو القلة : الفقير الذى لا يجد كفايته ، والمصرم : أراد به المعدم الذى لا يجد شيئا ، وأصله من الصرم الذى هو القطع ، ومنه قالوا : ناقة صرماء ، وناقة مصرمة ، للتى انقطع لبنها وجف ، وذلك أن يصيب الضرع شىء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبدا . والاستشهاد بالبيت فى قوله « بنعم الجار » فإن الكوفيين استندوا إلى ظاهر هذه العبارة فزعموا أن « نعم » =

وحُكى عن بعض فُصَحَاء العرب أنه قال « نِعْمَ السَّيْرُ على بِئْسَ الْعَيْرُ » وحكى أبو بكر بن الأنبارى عن أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن سلمة عن الفراء

= اسم بمعنى الممدوح بدليل دخول حرف الجر عليه ، وقد علمنا أن حرف الجر لا يدخل إلا على الأسماء ، وربما استدلوا بقول الراجز :

صبحك الله بخير باكر بنعم طير وشباب فاخر

والبصريون يقولون : إن نعم وبئس فعلان جامدان ، بدليل دخول تاء التأنيث عليهما ، فى نحو قوله صلى الله عليه وسلم « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت » وأنت تقول : بئست المرأة حمالة الحطب ،وبدليل اقتران ضمائر الرفع المتصلة بهما ، تقول : نعما، ونعموا ، وضمائر الرفع المتصلة لا تقترن بغير الأفعال ، وأما حرف الجر فقد يدخل فى اللفظ على الفعل وعلى الحرف أيضا ، لـكنه فى التقدير داخل على الاسم ، فمثال دخوله على الفعل المتفق على فعليته قول الراجز (انظر الشاهد رقم ٦٤ الآتى) :

والله ما ليلى بنام صاحبه ولا مخالط الليان جانبه

ومثال دخوله على الحرف قولك « عجبت من أن تلعب » والفريقان متفقان على مجىء مثل ذلك عن العرب ، وهما أيضا متفقان على أن هذا الظاهر غيرمرضى،وأنالباء فىقول الراجز «بنامصاحبه»لابدأن تكون داخلةفىالتقديرعلى اسممحذوف،وتقديرالـكلام والله ماليلى بليل مقول فيه نام صاحبه ، فمدخول الباء فى البيت جملة تقع مقول قول محذوف ، وهذا القول المحذوف صفة لموصوف محذوف أيضا ، وهذا الموصوف المحذوف هو مدخول الباء عند التحقيق ، فإذا كان هذا تأويل الفريقين فى قول الراجز « بنام صاحبه » فليكن هو تأويل قول حسان « بنعم الجار » أى بجار مقول فيه نعم الجار ، وليـكن هو تأويل قول الآخر « بنعم طير » إن سلمنا صحة هذه الرواية ، أى بطير مقول فيه نعم طير ، لـكن هذه الرواية غير صحيحة ، والرواية الصحيحة«بنعم طير»بضم النون وسكون العين– وهى رواية الـكسائى، وإذا كان دخول حرف الجرفى ظاهراللفظ على كلمة لا يدلدلالةقاطعة على كونها اسما،وكذلك غير حرف الجر من الحروفالتى قلنا : إنها منخصائص الأسماء كحروف النداء، وقدرأينا الاستعمالالعربىالذائعيصل تاء التأنيث وضمائر الرفع الساكنة بكلمتى نعم وبئس من غير ضرورة ولاحاجة إلى تأويل؛ فليـكن الصحيح فى هذه المسألة هو مذهب البصريين ، فاعرف ذلك .

أن أعرابيا بُشِّرَ بمولودة فقيل له : نعم المولودة مولودتك ! فقال « والله ما هى بنعم المولودة : نُصْرَتُهَا بكاء ، وبِرُّها سرقة » فأدخلوا عليهما حرف [٤٨] الخفض ، ودُخُولُ حرفِ الخَفْضِ يدل على أنهما اسمان ؛ لأنه من خصائص الأسماء .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما اسمان أن العرب تقول : « يا نِعْمَ المولى ويا نِعْمَ النصير » فنداؤهم نعم يدل على الاسمية ؛ لأن النداء من خصائص الأسماء ، ولو كان فعلا لما تَوَجَّهَ نحوهُ النداء . قالوا : ولا يجوز أن يقال : إن المقصود بالنداء محذوف للعلم به ــ والتقدير فيه : يا ألله نعم المولى ونعم النصير أنت ــ فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه كما حذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه ؛ لأنا نقول : الجواب عن هذا أن المنادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرفَ النداء فعلُ أمرٍ وما جرى مَجْرَاه ، كقراءة الكسائى وأبى جعفر المدنى و يعقوب الحضرمى وأبى عبد الرحمن السلمى والحسن البصرى وحميد الأعرج : (ألاَ يَا اسْجُدُوا لله) أراد يا هؤلاء اسجدوا ، وكما قال الأخطل :

٥١ — أَلاَ يَا أَسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وَإِنْ كَانَ حَيًّا نَاعِدًى آخِرَ الدَّهْرِ

---

٥١ — هذا البيت كما قال المؤلف من كلام الأخطل التغلبى ، واسمه غياث بن الغوث ، وقد أنشده ابن منظور (ع د ى) ونسبه إليه ، وقوله « عدى » أراد به متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف ، وقد روى فى بيت الأخطل هذا اللفظ بكسر العين وبضمها ، وأنكر الأصمعى الضم إلا أن تقول « عداة » بالتاء فى آخره ، وقوله « آخر الدهر » منصوب على تقدير نزع الخافض ، وأصله إلى آخر الدهر ، فحذف الحرف وأوصل الاسم الذى يشبه الفعل إلى المجرور فنصبه ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « ألا يا اسلمى » فإن الفريقين الكوفيين والبصريين متفقون على أن « يا » حرف نداء ، وعلى أن حرف النداء مما يختص بالدخول على الاسم ، وقد دخل فى هذا البيت على ما هو فعل أمر بالاتفاق ، فوجب أن يكون التقدير دخوله على اسم محذوف ، وكأنه قد قال : ألا ياهند ، اسلمى ، يا هند هند بنى بكر ، ونظير ذلك مما لم ينشده المؤلف قول الآخر :

ألا يا اسلمى ذات الدماليج والعقد وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد =

وقال الآخر ، وهو ذو الرُّمَّةِ :

٥٢ — أَلاَ يَاأَسْلَمِي يَا دَارَمَيَّ عَلَى الْبِلَى وَلاَ زَالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

وقال الآخر ، وهو المرقش :

٥٣ — أَلاَ يَا أَسْلَمِي لاَ صَرْمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا
وَلاَ أَبَداً مَا دَامَ وَصْلُكِ دَائِمَـــا

=وقول الكوفيين «إن هذا خاص بما إذا وقع بعد حرف النداء فعل أمر» غير صحيح فقد دخلت «يا» فى اللفظ على أفعال غير فعل الأمر، وعلى الحرف أيضا ، نحو قول الراجز :

يا ليتنى وأنت يالميس فى بلدة ليس بها أنيس

وقول الآخر :

ياليت زوجك قد غدا متقلداً سيفا ورمحا

وقول الآخر :

يا ليت أنا ضمنا سفينه حتى يعود الوصل كينونه

وقول الآخر :

يا رب مثلك فى النساء غريرة بيضاء قد متعتها بطلاق

وقد ورد مثل ذلك فى أفصح الكلام ، فمن دخول « يا » على فعل الامر قول الله تعالى : (ألا ياسجدوا لله) ومن دخول « يا » على الحرف قوله سبحانه : (ياليتنى مت قبل هذا) وقوله (يا ليتنا نرد ولا نكذب) وقوله : (يا ليتنى كنت معهم) وقوله : (يا ليت قومى يعلمون) .

٥٢ — هذا البيت من كلام ذى الرمة ، واسمه غيلان بن عقبة ، وهو من شواهد الاشمونى (رقم ١١) وابن هشام فى المغنى (رقم ٤٠٢) وفى أوضح المسالك (رقم ٨٢) وابن عقيل (رقم ٦٢) والبلى — بكسر الباء مقصورا — مصدر بلى الثوب ونحوه يبلى بلاء وبلى ؛ إذا رث وقدم ، ومنهلا : اسم الفاعل من قولك انهل المطر ، أى انسكب وانصب ، والجرعاء : رملة مستوية لا تنبت شيئاً ، والقطر : المطر ، والاستشهاد به فى قوله « يا اسلمى » حيث دخل حرف النداء فى اللفظ على الفعل المتفق على فعليته ، ولم يخرجه ذلك عن الفعلية ؛ لأن الكلام على تقدير اسم يدخل يا عليه ، وأصل الكلام : ألا يادار مية اسلمى دارمى — إلخ ، وهو نظير ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق .

٥٣ — هذا البيت كما قال المؤلف للمرقش، والصرم — بالفتح وبالضم أيضا — الهجران والقطيعة وبت أواصر المحبة والألفة ،و«فاطما» أراد يا فاطمة ، فحذف حرف النداء=

وقال الآخر :

٥٤ — أَلاَ يَا اَسْلَمِي قَبْلَ الْفِرَاقِ ظَعِينَا تَحِيَّةَ مَنْ أَمْسَى إِلَيْكِ حَزِينَا

وقال الآخر ، وهو الكُمَيْتُ :

٥٥ — أَلاَ يَا اُسْلَمِي يَا تِرْبَ أَسْمَاءَ مِنْ تِرْبِ
أَلاَ يَا اُسْلَمِي حُيِّيتِ عَنِّي وَعَنْ صَحْبِي

= ورخم المنادى بحذف التاء ، والاستشهاد به فى قوله «ألا يا اسلمى» حيث دخل حرف النداء — وهو « يا » — فى اللفظ على فعل متفق على فعليته ، وقد اتفق الفريقان على أن حرف النداء مما يختص به الاسم . فلزمهم أن يقدروا اسما يكون حرف النداء داخلا عليه ، وأصل الكلام : ألا يا فاطمة اسلمى لا صرم لى — إلخ ، وهذا مما يؤنس بان يكون قول حسان بن ثابت « ألست بنعم الجار » الذى استدل به الكوفيون على أن نعم اسم — ليس مما يصح التمسك به ؛ لان الباء داخلة على اسم مقدر ، وأصل الكلام : ألست بجار مقول فيه نعم الجار ، على ما قررناه سابقا .

٥٤ — لم أقف لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، وظعين : أراد يا ظعينة ، فحذف حرف النداء ورخم الاسم المنادى بحذف التاء ، وجاء به على لغة من ينتظر الحرف المحذوف فأبقى فتحة النون التى كانت لها قبل الحذف ، وهذه الألف للاطلاق ، والظعينة: المرأة ما دامت فى الهودج، وقد تطلق على المرأة مطلقا ، وتحية : يجوز فيه النصب على أن يكون مفعولا مطلقا عامله محذوف يدل عليه سابق الكلام ، وكأنه قال :أحييك تحية، ويجوز فيه الرفع على أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، وكأنه قال : هذه تحية — إلخ ، والاستشهاد به فى قوله «يا اسلمى» حيث اقترن حرف النداء — وهو « يا »— بكلمة وقع الإجماع على أنها فعل ؛ فدل على أن اقتران حرف النداء فى اللفظ بكلمة ما لا يقطع بأنها اسم ، ويكون نظير ذلك أن اقتران حرف الجر بالكلمة لا يدل دلالة قاطعة على أن هذه الكلمة اسم ؛ لجواز أن يكون مدخول حرف الجر محذوفا من اللفظ ، كما أن مدخول حرف النداء فى هذا البيت محذوف .

٥٥ — هذا البيت — كما قال المؤلف — من كلام الكميت بن زيد الأسدى ،والترب —بكسر التاء وسكون الراء — الذى يساويك فى سنك . والاستشهاد بالبيت فى قوله « يا اسلمى » والقول فيه كالقول فى الأبيات السابقة .

وقال الآخر، وهو العَجَّاجُ:

٥٦ — يَا دَارَ سَلْمَى يَا اُسْلَمِي ثُمَّ اُسْلَمِي بِسَمْسَمٍ وَعَنْ يَمِينِ سَمْسَمِ

وقال الآخر:

٥٧ — أَمَسْلَمَ يَا اُسْمَعْ يَا بْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبَلَ الأَرْضِ

[٤٩] أراد «يا هٰذَا اُسمع». وقال الآخر:

٥٨ — وَقَالَتْ: أَلَا يَا اُسْمَعْ نَعِظْكَ بِخُطَّةٍ فَقُلْتُ: سَمِيعاً فَانْطِقِي وَأَصِيبِي

أراد «وقالت يا هذا اسمع» فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه.

---

٥٦ — هذان بيتان من الرجز المشطور للعجاج بن رؤبة، الراجز المشهور، وقد أنشدهما ابن منظور (س م م) ونسبهما إليه، ووقع عنده «بسمسم أو عن يمين سمسم» وسمسم: اسم موضع بعينه، وقال ابن السكيت: هو رملة معروفة، وفيها يقول طفيل الغنوى:

أسف على الأفلاج أيمن صوبه وأيسره يعلو مخارم سمسم

وموطن الاستشهاد قوله «ياسلمى» حيث اقترن حرف النداء بكلمة اتفق الفريقان على أنها فعل، فكان مما لا بد منه تقدير اسم يقترن به حرف النداء ليصح قولهم: إن حرف النداء مما يختص بالأسماء، وقد أرشد العجاج نفسه إلى هذا الاسم المقدر، فأنت تراه قد قال فى صدر الشاهد «يادار سلمى» ثم قال «ياسلمى» فكأنه قال: يادارسلمى يادارسلمى اسلمى ثم اسلمى» والكلام فيه كالكلام فيما مر من الأبيات

٥٧ — ورد هذا البيت فى اللسان (ن ف ض) منسوبا إلى أبى نخيلة، وقوله «أمسلم» الهمزة فيه لنداء القريب، ومسلم - بفتح الميم الأولى - مرخم مسلمة، وقوله «ياجبل الأرض» أراد به أنه الذى يحفظ توازن هذه الأرض من أن ترجف بها الراجفة وتزعزعها أعاصير الاضطرابات، أخذه من قوله تعالى: (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم). والاستشهاد بالبيت فى قوله «يا اسمع» فإن حرف النداء - وهو «يا» - قد اقترن فى هذه العبارة بكلمة اتفق الطرفان جميعا على أنها فعل - وهى قوله «اسمع» - والكلام فيه نظير ما قلناه فيما قبله، ورواية اللسان «أمسلم إنى يا ابن - إلخ» ولا شاهد فيها.

٥٨ — وهذا البيت مما لم نعثر له على نسبة إلى قائل معين، وقوله «نعظك» مجزوم فى جواب الأمر السابق عليه، وكأنه قال: إن تسمع نعظك، والخطة - بضم =

وإنما اختص هذا التقدير بفعل الأمر دون الخبر لأن المنادَى مخاطَبٌ ، والمأمور مخاطَبٌ ، فحذفوا الأول من المخاطَبَيْنِ اكتفاء بالثانى عنه ، وإذا كان هذا المنادى إنما يقدر محذوفا فيما إذا ولى حرفَ النداء فعلُ أمرٍ فلا خلاف أن « نعم المولى » خبر ؛ فيجب أن لا يقدَّر المنادى فيه محذوفاً ، يدل عليه أن النداء لا يكاد ينفكُّ عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهى ، ولذلك لا يكاد يُوجَدُ فى كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء بعده الخبر فى قوله تعالى : (يا أيها الناس ضُرِبَ مثلٌ) شَفَعه الأمرَ فى قوله : (فاستمعوا له) فلما كان النداء لا يكاد ينفكُّ عن الأمر وهما جملتا خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك « يا نعم المولى ونعم النصير » لأن نِعْمَ خَبَر ؛ فلا يجوز أن يقدَّر المنادى فيه محذوفا .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، ألا ترى أنك لا تقول « نعم الرجل أمْسِ »

= الخاء وتشديد الطاء ـ شبه القصة ، وهو أيضا الأمر ، ويقال : سمته خطة سوء ، وقل تأبط شرا :

هما خطتا إما إسار ومنة   وإمادم ، واقتل بالحر أجدر

وقوله « فقلت سميعا » ينتصب على أنه مفعول ثان لفعل محذوف أو على أنه حال حذف عامله ، وتقدير الكلام : وجدتنى سميعا ، أو لقيتنى سميعا ، ونحوذلك. والاستشهاد بالبيت فى قوله « ألا ياسمع » والقول فيه كالقول فى نظائره من الأبيات السابقة ونحوها. وكلها يدل على أن اقتران علامة من العلامات الدالة على اسمية الكلمة فى اللفظ لا يدل دلالة قاطعة على اسميتها فى اللفظ وفى التقدير جميعا ، فالاقتران فى اللفظ وحده غير كاف فى القطع باسمية الكلمة ؛ لجواز أن يكون قد حذف من الكلام شيء يكون هو المقترن بهذه العلامة ، كما كان اقتران حرف النداء فى هذه الشواهد واقتران حرف الجر فى بيت حسان غير دليل على اسمية ما دخل عليه حرف النداء وحرف الجر ؛ لأن الكلام على تقدير محذوف البتة .

ولا « نعم الرجل غَداً » وكذلك أيضاً لا تقول « بئس الرجل أمس » ولا « بئس الرجل غَداً » فلما لم يحسن اقتران الزمان بهما عُلِم أنهما ليسا بفعلين .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليلُ على أنهما ليسا بفعلين أنهما غيرُ متصرفين ؛ لأن التصرف من خصائص الأفعال ؛ فلما لم يتصرَّفَا دل على أنهما ليسا بفعلين .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه قد جاء عن العرب « نَعِيمَ الرجُلُ زيدٌ » وليس فى أمثلة الأفعال فَعِيلٌ ألبتة ، فَدَلَّ على أنهما اسمان ، وليسا بفعلين .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنهما فعلان اتصالُ الضمير المرفوع بهما على حَدِّ اتصاله بالفعل المتصرف ؛ فإنه قد جاء عن العرب أنهم قالوا « نِعْمَا رجلين ، ونِعِمُوا رجالا » وحكى ذلك الكسائى ، وقد رفعا مع ذلك المظْهَرَ فى نحو « نعم الرجلُ ، وبئس الغلامُ » والمضمر فى نحو « نعم رجلاً زيد ، وبئس غلاماً [٥٠] عمرٌو » فدلَّ على أنهما فعلان .

ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أنهما فعلان اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لا يقلبها أحَدٌ من العرب فى الوقف هاء كما قلبوها فى نحو رحمة وسنة وشجرة ، وذلك قولهم « نعمتِ المرأةُ ، وبئست الجاريةُ » لأن هذه التاء يختص بها الفعلُ الماضى لا تَتَعَدَّاه ، فلا يجوز الحكم باسمية ما اتصلت به .

اعترضوا على هذا بأن قالوا : قولكم « إن هذه التاء يختص بها الفعلُ » ليس بصحيح؛ لأنها قد اتصلت بالحرف فى قولهم « رُبَّتَ ، وثُمَّتَ ، ولَاتَ » فى قوله تعالى : (فَنادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال الشاعر :

٥٩ — مَاوِيَّ بَلْ رُبَّتَمَا غَارَةٍ شَعْوَاءَ كَاللَّذْعَةِ بِالْمِيسَمِ

---

٥٩ — هذا البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي ،ويروى صدره * ماوى يا ربتما غارة * وهو من شواهد ابن عقيل (رقم ٢١٦) وأنشده ابن منظور (ر ب ب) . والغارة : الاسم من قولك « أغار القوم » أى أسرعوا السير إلى الحرب ، وقوله « شعواء » يريد متفرقة منتشرة ، و « اللذعة » مأخوذ من قولك « لذعته النار تلذعه » من باب قطع – أى أحرقته ، و « الميسم » بكسر الميم أوله : اسم الآلة من الوسم ، وبها توسم الإبل ، توضع فى النار ثم تمس بها الإبل لتكون علامة على أصحابها ، وكان لكل قبيلة ميسم على هيئة وشكل مخصوص يعلمون بها إبلهم حتى يعرفها الناس ويفسحوا لها المجال لتشرب الماء . وموطن الاستشهاد بهذا البيت هنا قوله « ربتما » حيث اقترنت تاء التأنيث برب ، وقد علم أن تاء التأنيث لا تقترن إلا بالأفعال ، وقد اتفق الفريقان على أن رب ليس فعلا ، فيكون اقتران رب بتاء التأنيث كاقتران حرف النداء بالفعل وبالحرف فيما مضى من الشواهد ، ونظير اقتران تاء التأنيث برب فى هذا البيت اقترانها بها فى قول الآخر وأنشده ابن منظور :

وربت سائل عنى حفى أعارت عينه أم لم تعارا

وبعض الكوفيين ينشد هذه الأبيات ونحوها لنقض دليل البصريين الذى استدلوا به على أن نعم وبئس فعلان ، فيقولون: أنتم تستدلون على أن نعم وبئس فعلان باقتران كل واحدة من هاتين الكلمتين بتاء التأنيث، وتزعمون أن تاء التأنيث مختصة بالدخول على الأفعال، ولكننا لا نسلم أن كل ما تدخل عليه تاء التأنيث يكون فعلا، بدليل أن هذه التاء قد دخلت على « ثم » وهو حرف عطف بالإجماع ، كما دخلت على « لا » وهو حرف نفى بالإجماع ، ودخلت على « رب » ونحن وأنتم متفقون على أنه ليس فعلا ، فيكون هذا نظير ما نقضتم به مذهبنا حيث قلتم : إن دخول حرف الجر على الكلمة لا يكون دليلا قاطعا على اسمية الكلمة ؛ لأن حرف الجر قد دخل فى اللفظ على الفعل وعلى الحرف وإن حرف النداء الذى هو من خصائص الأسماء قد دخل فى اللفظ على الفعل المتفق على فعليته وعلى الحرف المتفق على حرفيته ، وإذن فلم يتم دليلكم كما لم يتم دليلنا ، فما المرجح لمذهبكم على مذهبنا ؟ . وهذا كلام ظاهره صحيح ، ولكنه عند البحث والتحقيق لا ينهض ولا يستقيم ، وبيان ذلك من ثلاثة أوجه : الوجه الأول أن تاء التأنيث =

وقال الآخر :

٦٠ — ثُمَّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لأَيْدِينَا مَنَادِيلُ(١)

=التى تلحق الفعل والتى هى خاصة من خصائصه ساكنة ، تقول : قامت ، وقعدت ، وأقامت ، وسافرت ، فتجد تاء التأنيث اللاحقة لهذه الأفعال ساكنة ، بخلاف تاء التأنيث فى ثمت وفى ربت وفى لات ، فإنها متحركة مفتوحة ، فلما اختلفت التاء فى هذه الكلمات عن التاء اللاحقة للأفعال دل على أنها ليست هى التاء التى نجعلها خاصة من خصائص الأفعال، بدليل أننا نقول : إن تاء التأنيث المختصة بالأفعال هى تاء التأنيث الساكنة ، والوجه الثانى : أن تاء التأنيث اللاحقة للأفعال والتى هى خاصة من خصائص الفعل الماضى إنما تلحق الفعل لتدل على أن فاعله مؤنث؛ فأنت تقول : قامت هند ، وقعدت فاطمة ، وأقامت سلمى ، وسافرت سعدى ، فتأتى بهذه التاء ألبتة مع الفاعل المؤنث للفرق بين فعل المذكر وفعل المؤنث؛ لأن بعض الأسماء يشترك فى التسمية بها المذكر والمؤنث فلا يكفى ذكر هذه الأسماء من غير تأنيث الفعل للدلالة على أن المراد بها مؤنث ،أما التاء اللاحقة لرب وثم ولا فليست بهذه المنزلة ، بل المراد بها تأنيث اللفظ، فلتكن التاء التى هى من خصائص الأفعال هى التاء الدالة على تأنيث الفاعل الذى يسند الفعل المقترن بها إليه ، والوجه الثالث : أنا نقول : إن لحاق هذه التاء لهذه الحروف شاذ عن القياس بالإجماع منا ومنكم ، والحكم فيما عدا هذه الكلمات المحفوظة المعروفة باق على أصله لا ينقضه شىء .

٦٠ — هذا البيت من قصيدة مستجادة لعبدة بن الطبيب ، وهو شاعر مخضرم ، وقصيدته التى منها بيت الشاهد هى المفضلية رقم ٢٦ ، والجرد : جمع أجرد أو جرداء ، والأجرد من الخيل : القصير الشعر ، والمسومة : المعلمة ، والأعراف : جمع عرف — بالضم — وهو الشعر الذى فى عنق الفرس ، والمناديل : جمع منديل ، وهو الذى تمسح به يديك من وضر الطعام ونحوه ، يقول : إنهم بعد أن طعموا ركبوا الخيل الجرداء المعلمة ومسحوا أيديهم من آثار الطعام بأعرافها ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « ثمت » حيث اتصلت تاء التأنيث بثم ، ومن المتفق عليه بين الفريقين أن ثم حرف من حروف العطف ، وقد بينا وجه الاستشهاد بذلك فى شرح البيت السابق ، ونظير بيت عبدة هذا فى اقتران ثم بتاء التأنيث قول شمر بن عمرو الحنفى ، وهو من شعر الأصمعيات :

ولقد مررت على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت : لا يعنينى =

فلحاقها بالحرف يُبْطِل ما ادعيتموه من اختصاص الفعل بها ، و إذا بطل الاختصاص جاز أن تـكون نعم و بئس اسمين لحقتهما هذه التاء كما لحقت رُبَّتَ وثُمَّتَ . هـــذا على أن نعم و بئس لا تلزمهما التاء بوقوع المؤنث بعدهما كما تلزم الأفعال ، ألا ترى أن قولك « قام المرأة ، وقعد الجارية » لا يجوز فى سَعَـــة الـكلام ، بخلاف قولك « نعم المرأة ، و بئس الجارية » فإنه حَسَن فى سَعَـــة الـكلام ؟ فبان الفرق بينهما .

وهذا الاعتراض الذى ذكروه ساقط ، وأما التاء التى اتصلت برُبَّتَ وثُمَّتَ و إن كانت للتأنيث إلا أنها ليست التاء التى فى نعمت و بئست ، والدليل على ذلك من وجهين ؛ أحدهما : أن التاء فى « نعمت المرأة ، و بئست الجارِيَةُ » لحقت الفعل لتأنيث الاسم الذى أســـند إليه الفعلُ ، كما لحقت فى قولهم « قامَت المرأةُ » لتأنيث الاسم الذى أسند إليه الفعلُ ، والتاء فى « ربت ، وثمت » لحقت لتأنيث الحرف ؛ لا لتأنيث شىء آخر ، ألا ترى أنك تقول « رُبَّتَ رجلٍ أَهَنْتُ » كما تقول « رُبَّتَ امرأة أكرمت » ولو كانت كالتاء فى نعمت و بئست لما جاز أن تثبت مع المذكر كما لا يجوز أن تثبت مع المذكر فى قولك « نعمت الرجل ، و بئست الغلام » فلما جاز أن تثبت التاء فى رُبَّتَ [٥١] مع المذكر دل على الفرق بينهما ، والوجه الآخر : أن التاء اللاحقة للفعل تـكون ساكنة ، وهذه التاء التى تلحق هذين الحرفين تـكون متحركة ، فبان الفرق بينهما ،وأما « لاَتَ » فلا نسلم أن التاء مزيدة فيها ، بل هى كلمة على حيالها ، و إن سلمنا أن التاء مزيدة فيها فالجواب

= وقول الآخر وأنشده ابن منظور (ب ى ع — ث م م) :

* ثمت ينباع انبياع الشجاع *

وقول عمر بن أبى ربيعة (د ٢٥٨ بتحقيقنا) :

اسأليه ثمت استمعى أينا أحق بالظلم ؟

من أربعة أوجه : وجهان ذكرناهما فى ربت وثمت ، ووجهان نذكرهما الآن؛ أحدهما : أن الكسائى كان يقف عليها بالهاء ؛ فاحتجَّ بأنه سأل أبا فَقْعَسٍ الأسدىَّ عنها فقال: « وَلاَهْ » فإذا لا تكون بمنزلة التاء فى رُبَّتَ وثُمَّتَ ، ولا بمنزلة التاء فى نعمت وبئست ، والوجه الثانى : أن تكون التاء فى (لات حين) متصلة بحين ، لا بلا ، كذلك ذكره أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سَلاَّم ، وحكى أنهم يزيدون التاء على حين وأوان والآن ؛ فيقولون : « فعلت هذا تَحِينَ كذا ، وتأوَانَ كذا ، وتالْآنَ »أى: حين كذا ، وأوان كذا ، والآن . وقال الشاعر وهو أبو وَجْزَةَ السعدى :

٦١ — الْعَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانَ أَيْنَ الْمُطْعِمُ

---

٦١ — هذا البيت لأبى وجزة كما قال المؤلف ، وقد أنشده ابن منظور (ح ى ن) عن ابن سيده وعن الجوهرى ، ونسبه فى المرتين لأبى وجزة ، وقد لفق كل واحد من هؤلاء الأئمة البيت من بيتين ، وصواب الإنشاد هكذا :

العاطفون تحين مامن عاطف والمسبغون يدا إذا ما أنعموا
والمانعون من الهضيمة جارهم والحاملون إذا العشيرة تغرم
واللاحقون جفانهم قمع الذرى والمطعمون زمان أين المطعم

والاستشهاد بالبيت فى قوله « العاطفون تحين » وللعلماء فى هذه العبارة رأيان : أحدهما ــ وهو الذى ذكره المؤلف ههنا ــ أن هذه التاء زائدة فى أول كلمة « حين » وأصل هذا الرأى لأبى زيد ، زعم أنه سمع من بعض العرب زيادة التاء فى أوائل بعض الظروف مثل الحين والآن ، قال أبو زيد « سمعت من يقول : حسبك تلان ، يريد الآن ، فزاد التاء » ا هـ . والرأى الثانى : أن هذه التاء زائدة فى قوله « العاطفون » وأصلها هاء الوقف ، ثم أجرى الكلمة فى حال الوصل مجراها فى حال الوقف ، ثم قلب الهاء تاء مبسوطة ، وعلى ذلك ينبغى أن تكتب « العاطفونت حين ــ إلخ » وقد ذكر هذا الرأى ابن سيده بعد أن ذكر الرأى الأول عن أبى زيد، قال : « وقيل : أراد العاطفونه ، فأجراه فى الوصل على حد ما يكون عليه فى الوقف ، وذلك أنه يقال فى الوقف : هؤلاء مسلمونه ، وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون كما أنشدوا :

أهكذا ياطيب تفعلونه أعللا ونحن منهلونه =

وقال أبو زبيد الطائى :

٦٢ — طَلبُوا صُلْحَنَا وَلاَ تَأَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاء

═ فصار التقدير : العاطفونه ، ثم إنه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها تاء ، كما تقول : هذا طلحة ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت : هذا طلحتنا ، فعلى هذا قال : العاطفونة ، وفتحت التاء كما فتحت فى آخر ربت وثمت وذيت وكيت » اهـ . وقال ابن برى فى بيت أبى وجزة : « هذه الهاء هى هاء السكت اضطر إلى تحركها ، قال : ومثله :

هم القائلون الخير والآمرونه إذا ماخشوا من محدث الأمر معظما » اهـ

ونريد أن نبين لك أن هذه الهاء فى قول أبى وجزة « العاطفونه » وفى تمثيل ابن سيده بقوله « هؤلاء مسلمونه » و « ضاربونه » ليست هاء ضمير الغائب على ما قد يتسرب إلى ذهنك ، وذلك أن هذه الهاءات لو كانت ضمائر لكان الاسم مضافا إليها ، فكان يجب أن تحذف النون التى تلى علامة الإعراب وهى الواو فى كل هذه الأمثلة ، لما تعرف من أنه يحذف للاضافة تنوين الاسم المفرد ونون المثنى وجمع المذكر السالم ، فتنبه لهذا ، على أن من هذه المثل ما لا يتعدى بنفسه مثل« الآمرونه » فى البيت الذى أنشده ابن برى ، وإنما يتعدى بالباء إلى المأمور به ، فتقول : أمرته بكذا ، ولا تقول : أمرته كذا ، إلا على التوسع كما جاء فى قول الشاعر :

أمرتك الخير ، فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

٦٢ — هذا البيت من قصيدة لأبى زبيد الطائى ، كماقال المؤلف ، وهو من شواهد مغنى اللبيب (رقم ٤١٦) وشواهد الأشمونى (رقم ٢٢٩) والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « ولات أوان » وفى هذه التاء رأيان للنحاة ؛ أحدهما : أنها مزيدة على لا النافية ، وأنها نظير التاء فى ربت وثمت ، وقد مضى بيان ذلك ، والرأى الثانى أن هذه التاء مزيدة فى أول كلة « أوان » كما زيدت فى أول الآن فقيل : تالآن ، وقيل : تلان ، على ما رواه أبو زيد ، وقد ذكرنا ذلك فى شرح الشاهد السابق (رقم ٦١) وهذا هو الوجه الذى روى المؤلف البيت فى هذا الموضع لتقريره . ثم إن فى جر « أوان » أربعة آراء للعلماء ، الاول : أن « لات » فى هذا ونحوه عاملة الجر ، وكلة « أوان » مجرورة بالكسرة الظاهرة ، وتنوينها تنوين التمكين الذى يلحق الأسماء المعربة ، وهذا رأى الفراء ، ولا يجرى إلا على أن التاء متصلة بلا ، والرأى الثانى : أن « لات »═

وقال الآخر :

٦٣ — نَوِّلِي قَبْلَ يَوْمِ نَأْيِي جمَانَا   وَصِلِينَا كَمَا زَعَمْتِ تَلاَنَا

واحتجَّ بحديث ابن عمر حين ذكر لرجل مَنَاقِبَ عثمان فقال له « اذهب بها تَالْآنَ إلى أصحابك » واحتجَّ بأنه وجدها مكتوبة فى المصحف الذى يقال له الإمام (تَحِينَ) فدلَّ على ما قلناه .

= ههنا حرف نفى يعمل عمل إن ويدل على نفى الجنس ، و « أوان » فى هذا البيت مبنى لا معرب ، وبناؤه على السكون الذى هو الأصل فى المبنيات ، ولكنه لما اجتمع ساكنان : سكون البناء ، وسكون الألف السابقة ، كسر آخره على الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين ، ثم نون للضرورة ، والرأى الثالث : أن « لات » حرف نفى ، و « أوان » مبنى على الكسر تشبيها له بنزال ونحوه لأنه على وزنه ، وتنوينه للضرورة أيضا ، وهذان الرأيان يجريان على أن التاء مزيدة على « لات » ويجريان أيضا على أن التاء مزيدة على أوان ، وعليه يكون العامل هو « لا » النافية للجنس ، والرأى الرابع : أن تكون « لا » نافية ، والتاء مزيدة على « أوان » وتأوان : مجرور بحرف جر محذوف ، وحرف الجر هو من الاستغراقية ، وكأنه قال : لا من أوان صلح لهم ، وفى هذا القدر كفاية ومقنع .

٦٣ — لم أقف لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، وقد أنشده ابن منظور (ح ى ن) ولم يعزه لقائل معين ، و « نولى » أصل معناه أعطى وامنحى ، وأراد هنا صلينى وكفى عن الهجر ، وما يؤدى هذا المعنى ، والنأى : البعد والفراق ، و « جمانا » اسم امرأة ، وهو منادى بحرف نداء محذوف ، وأصله « جمانة » فرخمه الشاعر بحذف التاء ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « تلانا » حيث زاد على « الآن » تاء فى أوله وفى حديث ابن عمر « اذهب بها تالآن معك » قال أبو زيد : سمعت من يقول « حسبك تلان » يريد الآن ، فزاد التاء ، وقال ابن سيده فى بيت الشاهد : أراد الآن ، فزاد التاء ، وألقى حركة الهمزة على ما قبلها . ا هـ .

وقولهم « إن التاء لا تلزم نعم و بئس إذا وقع المؤنث بعدهما » فليس بصحيح ؛ لأن التاء تلزمهما فى لغة شَطْرِ العرب ، كما تلزم فى قام ، ولا فرق عندهم بين « نعمت المرأة » ، و« قامت المرأة » و إنما جاز عند الذين قالوا « نعم المرأة » ولم يجز عندهم « قام المرأة » لأن المرأة فى قولهم « نعم المرأة هند » واقعة على الجنس كقولهم « الرجل أفضل من المرأة » أى جنسُ الرجال أفضلُ من جنس النساء ، وكقولهم « أهلك الناسَ الدينارُ والدرهم » أى [٥٢] الدراهم والدنانير ، وكوقوع الإنسان على الناس ، قال الله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) أراد الناس ، وإذا كان المراد بالمرأة استغراق الجنس فلا خلاف أن أسماء الأجناس والجموع يجوز تذكيرُ أفعالها وتأنيثُها ؛ فلهذا المعنى حَذَفَ تاء التأنيث مَن حذفها من « نعم المرأة » وإذا كانوا قد حذفوها فى حال السعة من فعل المؤنث الحقيقى من قولهم « حضر القاضىَ اليومَ امرأةٌ » فلا يبعد أن يحذفوها من فعل المؤنث الواقع على الجنس . وقد قالوا « ما قعد إلا المرأة ، وما قام إلا الجارية » فحذفوا تاء التأنيث ألبتة ، ولم تأت مثبتة إلا فى ضرورة .

فإن قالوا : إنما حذفت تاء التأنيث ها هنا تنبيها على المعنى ؛ لأن التقدير : ما قعد أحد إلا المرأة ، وما قام أحد إلا الجارية .

قلنا : هذا مُسَلَّم ، ولكن اللفظ يدل على أن المرأة والجارية غير بدل من أحد ، وإن كان المعنى يدل على أنهما بدل ، كما أن اللفظ يدل على أن « شَحْماً » فى قولك « تَفَقَّأَ الكبشُ شَحْماً » غيرُ فاعلٍ ، وإن كان المعنى يدل على أنه فاعل ، فكما أنهم حذفوا تاء التأنيث من قولهم « ما قَعدَ إلا المرأةُ » تنبيهاً على المعنى فكذلك حذفوها من قولهم « نعم المرأة » تنبيها على أن الاسم يراد به الجنس .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما فعلان ماضيان أنهما مبنيان على الفتح ، ولو كانا اسمين لما كان لبنائهما وجه ؛ إذ لا علة ها هنا

توجب بناءهما . وهذا تمسكٌ باسْتِصْحَابِ الحال ، وهو من أضعف الأدلة ، والمعتمد عليه ما قدمناه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « الدليل على أنهما اسمان دخولُ حرف الجر عليهما فى قوله :

* ألستُ بِنِعْمَ الجارُ يُؤْلِفُ بَيْتَهُ *[٥٠]

وقول بعض العرب : نعم السير على بئس العير ، وقول الآخر : والله ما هى بنعم المولودة » فنقول : دخول حرف الجر عليهما ليس لهم فيه حجة ؛ لأن الحكاية فيه مقدَّرة ، وحرف الجر يدخل مع تقدير الحكاية على ما لا شُبْهة فى فعليته ، قال الراجز :

٦٤ — وَاللهِ مَا لَيْلِى بِنَامَ صَاحِبُهْ   ولاَ مُخَالِطِ اللّيَانِ جَانِبُهْ

٦٤ — لم أقف لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، وقد أنشده ابن منظور (ن و م) ولم يعزه ، وهو من شواهد الأشمونى فى باب نعم وبئس (رقم ٧٤٤) وابن هشام فى شرح قطر الندى (رقم٨) والرضى فى باب أفعال المدح، وانظر الخزانة (٤/١٠٦) ويروى صدره :

* والله مازيد بنام صاحبه *

والليان — بفتح اللام والياء جميعا — أحد مصادر « لان » تقول : لان فلان يلين لينا وليانا ؛ إذا سهل . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « بنام » حيث دخل حرف الجر — وهو الباء — على الفعل ، فى اللفظ ، وقد علم أن حرف الجر مختص بالدخول على الأسماء فلزم تقدير اسم يكون معمولا لحرف الجر ، وتقدير الكلام : ماليلى بليل مقول فيه نام صاحبه ، وقد روى البصريون هذا البيت لإبطال حجة الكوفيين القائلين إن نعم وبئس اسمان بدليل دخول حرف الجر عليهما ، ووجه الإبطال أنه لا يلزم من دخول حرف الجر فى اللفظ على كلة ما أن تكون هذه الكلمة اسما ؛ لأن حرف الجر قد يدخل فى اللفظ على كلمة قد اتفقنا على أنها فعل مثل نام فى هذا البيت. وهذا الذى ذكرناه وذكره مؤلف الكتاب فى هذا البيت أحد رأيين للعلماء فى هذا الشاهد ، والرأى الآخر حكاه ابن منظور ، وخلاصته أن « نام » ليس فعلا باقيا على فعليته ، ولكنه صار مع مابعده علما ، فهو من باب الأعلام المحكية عن الجمل، وأنت خبير أن الأعلام المحكية عن الجمل تدخل عليها عوامل الأسماء ، ويجوز أن تضاف إليها الأسماء كما قال الشاعر : =

[٥٣] ولو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يحكم لنام بالاسمية ؛ لدخول الباء عليه ، وإذا لم يجز أن يحكم له بالأسمية لتقدير الحكاية فكذلك هاهنا لا يجوز أن يحكم لنعم وبئس بالاسمية لدخول حرف الجر عليهما لتقدير الحكاية ، والتقدير فى قولك :

* أَلَسْتُ بِنِعْمَ الْجَارُ يُؤْلِفُ بَيْتَهُ * [٥٠]

ألست بجارٍ مقولٍ فيه نعم الجار ، وكذلك التقدير فى قول بعض العرب « نعم السير على بئس العير » [نعم السير على عَيْرٍ مقولٍ فيه بئس العير] وكذلك التقدير فى قول الآخر « والله ما هى بنعم المولودة » والله ما هى بمولودةٍ مقولٍ فيها نعم المولودة ، وكذلك أيضاً التقدير فى البيت الذى ذكرناه « والله ما ليلى بنايل مقول فيه نام صاحبه » إلا أنهم حذفوا منها الموصوفَ وأقاموا الصفة مُقَامه ، كقوله تعالى : (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) أى دُرُوعاً سابغاتٍ ، وكقوله تعالى : (وذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ) أى المِلَّة القيمة ؛ فصار التقدير فيها ألست بمقولٍ فيه نعم الجار ، ونعم السير على مقول فيه بئس العير ، وما هى بمقول فيها نعم المولودة ، وما ليلى بمقول فيه نام صاحبه ، ثم حذفوا الصفة التى هى « مقول » وأقاموا المحكىَّ بها مُقَامَهَا ؛ لأن القول يحذف كثيراً كما يذكر كثيراً ، قال الله تعالى : (وَالذينَ اتخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياَء

= كذبتم وبيت الله لاتنكحونها بنى شاب قرناها تصر وتحلب

فقول الشاعر هنا « نام صاحبه » مثل قول الشاعر « شاب قرناها » وهذا التخريج إنما ذهب إليه من روى فى بيت الشاهد * والله مازيد بنام صاحبه * فكأنه قال : مازيد بهذا الرجل المسمى نام صاحبه ، إلا أن قوله بعد ذلك « ولا مخالط الليان » لا يلتئم مع الكلام السابق ، على هذا التخريج ، فإنه يسأل : على م يعطف قوله « ولا مخالط الليان » ؟ فإنه لا يجوز حينئذ أن يعطف على « نام صاحبه » لكونه فى هذه الحالة ليس صفة ، إلا إذا لحظت معناه الأول قبل أن يصير علما ، ولهذا استبعد جماعة من العلماء أن يكون « نام صاحبه » فى هذا البيت علما .

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى) أى يقولون : ما نعبدهم ، وقال تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً) أى : يقولون ربنا ، وقال تعالى : (وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ) أى يقولون : سلام عليكم ، وقال تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) أى يقولون : ربنا ؛ وقال تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أى يقال لهم : أكفرتم ، وقال تعالى : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) أى تقولون : إنا لمغرمون .

وهذا فى كلام الله تعالى وكلام العرب كثير جداً ، فلما كثر حَذْفه كثرة ذكره حذفوا الصفة التى هى مقول ؛ فدخل حرف الجر على الفعل لفظاً وإن كان داخلا على غيره تقديراً ، كما دخلت الإضافة على الفعل لفظاً وإن كانت [٥٤] داخلةً على غيره تقديراً فى قوله :

٦٥ — مَالَكَ عِنْدِى غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرْ ،
وَغَيْرُ كَبْدَاءَ شَدِيدَةِ الْوَتَرْ

---

٦٥ — لم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، وهو من شواهد مغنى اللبيب (رقم ٢٦٦) والأشمونى (رقم ٧٩١ بتحقيقنا) وشواهد الرضى، وقال البغدادى (٢/٣١٢) «لم يعرف له قائل » والسهم : واحد السهام ، وهى النبال، وهو أيضا حجر يوضع فوق باب بيت يبنى لاصطياد الأسد فإذا دخل الأسد هذا البيت وقع الحجر فسد الباب عليه ، والكبداء — بفتح فسكون — القوس إذا كانت واسعة المقبض، والوتر : مجرى السهم من القوس، والضمير المستتر فى «ترمى» راجع على الكبداء التى هى القوس، وأرمى البشر : أشدهم رمياً وأكثرهم إصابة للهدف ، والاستشهاد بالبيت فى قوله «بكفى كان من أرمى البشر » حيث حذف =

* جَادَتْ بِكَفَّىْ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ *

أى : بِكَفَّىْ رَجُلٍ كان من أرمى البشر ، فحذف الموصوف الذى هو « رجل » وأقام الجملة مقامه ، فوقعت الإضافة إلى الفعل لفظاً وإن كانت داخلة على غيره تقديراً ، فكذلك ها هنا : دخل حرفُ الجر على الفعل لفظاً ، وإن كان داخلا على غيره تقديراً .

ونحوُ هذا من الاتِّساع مجىء الجملة الاستفهامية وَصْفاً فى نحو قوله :

٦٦ — * جاءوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ *

= الموصوف وأبقى صفته ، وأصل الكلام : بكفى رجل كان من أرمى البشر ، أما الموصوف فهو « رجل » الذى يضاف قوله « بكفى » إليه ، وأما الصفة فهى جملة « كان من أرمى البشر » ويجوز لك أن تعتبر « كان » زائدة لا تعمل شيئاً ؛ لوقوعها بين شيئين متلازمين ليسا جاراً ومجروراً وهما النعت ومنعوته ، وعلى هذا يكون قوله « من أرمى البشر » جارا ومجرورا متعلقا بمحذوف نعت للمنعوت المحذوف .

٦٦ — ينسب بعض الناس هذا الرجز إلى العجاج بن رؤبة الراجز المشهور ، ولكن الأكثرين على أنه لراجز لا يعلم ، وكان قد نزل بقوم وانتظر طويلا عساهم أن يجيئوه بقراه ، ثم جاءوه بلبن مشوب بكثير من الماء ، فقال فيهم :

بتنا بحسان ومعزاه تئط   تلحس أذنيه ، وحينا تمتخط

مازلت أسعى بينهم وألتبط   حتى إذا جن الظلام واختلط

* جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط *

وقد أنشده ابن منظور (ض ى ح) ولم يعزه إلى معين ، والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٨٧٤) وابن عقيل (رقم ٢٨٧) وأوضح المسالك (رقم ٢٩٤) ومغنى اللبيب (رقم ٤٠٨) والرضى فى باب المبتدأ والخبر وفى باب النعت ، وشرحه البغدادى (٢٧٥/١) . وحسان : جعله البغدادى اسم رجل ، وقيل : هو موضع بين دير العاقول وواسط ، والصواب ما قاله البغدادى ؛ لقوله فيما بعد « تلحس أذنيه » وتئط : تصوت ، وجن الظلام : ستر كل شىء ، والمذق : اللبن إذا كثر خلطه بالماء ، ويروى « بضيح » وهى الرواية التى حكاها المؤلف ، والضيح — بفتح الضاد وسكون الياء —

فقوله « هَلْ رأيتَ الذِّئْبَ قط » جملةٌ استفهامية فى موضع وَصْفٍ لضَيْحٍ ، وإن كانت لا تحتمل صدقاً ولا كذباً ، ولكنه كأنه قال: جاءوا بضَيْحٍ يقولُ مَنْ رآه هل رأيت الذئب قط ، فإنه يشبهه .

ونحو ذلك أيضاً من الاتساع مجىء الجملة الأمرية حالا فى قوله :

٦٧ — بِئْسَ مَقَامُ الشَّـــيْخ أمْرِسْ أمْرِسِ
إمَّا عَلَى قَعْـــوٍ ، وَإمَّا اقْعَنْسِـــسِ

= هو اللبن الرقيق الذى خلط كثيراً بالماء ، ومحل الاستشهاد بالبيت فى قوله « بضيح هل رأيت — إلخ » فإن ظاهر هذه العبارة يفيد أن الجملة الإنشائية — وهى جملة الاستفهام التى هى قوله « هل رأيت الذئب قط » — قد وقعت نعتا للنكرة التى هى قوله « مذق » أو « ضيح » ولما كان العلماء جميعا متفقين على أن الجملة الإنشائية لا يجوز أن تقع نعتا للنكرة فإنهم اتفقوا جميعا على أن هذا الظاهر فى هذا البيت ونحوه غير مراد ، ومن أجل ذلك اتفقوا على أن جملة الاستفهام معمولة لعامل مقدر هو الذى يقع نعتا لهذه النكرة ، وأصل الكلام : جاءوا بضيح مقول عند رؤيته هل رأيت الذئب قط .

٦٧ — أنشد ابن منظور هذين البيتين (ق ع س — م ر س) ولم يعزهما إلى معين والمقام : اسم مكان الإقامة ، و « أمرس » فعل أمر أصله المرس ، والمرس : مصدر « مرس الحبل يمرس مرسا » وهو أن يقع الحبل فى أحد جانبى البكرة بين الخطاف والبكرة ، وتقول « أمرس الحبل يمرسه ، مثل أكرمه يكرمه » إذا أعاده إلى موضعه وتأمر من ذلك فتقول « أمرس حبلك ، على مثال أكرم ضيفك » أى أعده إلى مجراه ، والقعو — بفتح القاف وسكون العين المهملة — هو أحد خشبتين يكتنفان البكرة وفيهما المحور ، وهما قعوان ، وقيل : القعوان الحديدتان اللتان تجرى البكرة بينهما ، وقال الأصمعى : إذا كان ما تجرى البكرة وتدور فيه من حديد فهو خطاف ، وإن كان من خشب فهو القعو ، واقعنسس : تأخر وارجع إلى خلف ، ومعنى قوله « إما على قعو وإما اقعنسس » قال ابن منظور : إن استقى المستقى ببكرة فوقع حبلها فى غير موضعه قيل له : أمرس ، أى أعد حبلك إلى موضعه ، وإن كان يستقى بغير البكرة ومتح حتى أوجعه ظهره فيقال له : اقعنسس واجذب الدلو ، والاستشهاد =

أراد بئس مقام الشيخ مقولا فيه أمرس أمرس ، ذَمَّ مقاما يقال له ذلك فيه ، و « أمرس » أعِدِ الحبل إلى موضعه من البكرة .

وإنما جاءت هذه الأشياء فى غير أماكنها لسَعَةِ اللغة ؛ وحَسَّنَ ذلك ما ذكرناه من إضمار القول ؛ فدلّ على أن ماتمسكوا به من دخول حرف الجر عليهما ليس بحجة يُسْتَند إليها ، ولا يعتمد عليها .

وأما قولهم « إن العرب تقول : يا نعم المولى ويا نعم النصير » فنقول : المقصود بالنداء محذوف للعلم به ، والتقدير فيه : يا ألله نعم المولى ونعم النصير أنت .

وأما قولهم : « إن المنادى إنما يقدر محذوفاً إذا ولى حرفُ النداء فعلَ أمر » فليس بصحيح ؛ لأنه لا فرق بين الفعل الأمرىّ والخبرىّ فى امتناع مجىء كل واحد منهما بعد حرف النداء ، إلا أن يقدَّر بينهما اسمٌ يتوجه النداء إليه ، والذى

= بالبيت فى قوله «بئس مقام الشيخ أمرس أمرس» فإن قوله «أمرس» جملة إنشائية لكونها مؤلفة من فعل أمر وفاعله وهو الضمير المستتر فيه وجوباً ، وقد وقعت هذه الجملة حالا فى ظاهر الأمر ، ولما كان العلماء لا يجيزون مجىء الجملة الإنشائية حالا ، إلا من لا يعتد بقوله ، فقد جعلوا هذه الجملة معمولة لعامل محذوف هو الذى يقع حالا ، وتقدير الكلام : بئس مقام الشيخ مقولا فيه : أمرس أمرس ، وصاحب الحال هو قوله « الشيخ » المضاف إليه ، وفى كلام ابن منظور ما يفيد أن هذه الجملة الإنشائية معمولة لعامل محذوف يقع نعتا لمخصوص بالذم ، وكأنه قال : بئس مقام الشيخ مقام مقول له فيه أمرس أمرس ، وهو كلام مستقيم ؛ فإن مجىء بئس وفا لها فى أول الكلام يرشح لمجىء المخصوص بالذم ؛ لأنه هو الذى جرت عادتهم فى هذا الأسلوب أن يأتوا به ، ولو قلت: إن هذه الجملة معمولة لقول محذوف يقع تمييزا ، وإن التقدير : بئس مقام الشيخ مقاما مقولا له فيه أمرس أمرس ، لم تكن قد أبعدت ، والاستشهاد على أية هذه الأحوال الثلاثة جار مؤد للغرض الذى يريده المؤلف ، فإنه يقصد إلى أن يقول : إن من سنن العرب فى كلامهم أن يحذفوا الكلمة من الكلام ـ وخاصة ما كان من مادة القول ـ وهم يريدونها ، وإن ذلك واقع فى أساليب كثيرة من أساليبهم .

يدلُّ على أنه لافرق بينهما مجىء الجملةِ الخبرية بعد حرف النداء بتقدير حذف المنادى كما تجىء الجملة الأمرية بعد حرف النداء [٥٥] بتقدير حذف المنادى ، قال الشاعر :

٦٨ ـ يَا لَعْنَةُ اللهِ وَالأَقْوَامِ كُلِّهِمُ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سِمْعَانَ مِنْ جَارِ

أراد : ياهؤلاء لعنة الله على سمعان ، وقال الآخر :

٦٩ ـ يَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى أهلِ الرَّقَمْ أَهْلِ الْحَمِيرِ وَالْوَقِيرِ وَالْخُزُمْ

---

٦٨ ـ هذا البيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٢٠) وهو من شواهد سيبويه (٣٢٠/١) وابن يعيش (ص ١١٧٣) . والاستشهاد به فى قوله « يالعنة الله » فقد وقع بعدحرف النداءجملة مؤلفة من مبتدأ هوقوله« لعنة الله» وخبر وهو الجار والمجرور الذى هو قوله « على سمعان » وذلك مبنى على أن الرواية برفع « لعنة الله » فلو رويته بنصب اللعنة كان الكلام على تقدير عامل يعمل النصب وعلى تقدير المنادى بيا أيضا ، وتقدير الكلام على هذا : ياهؤلاء أستدعى لعنة الله ، ويكون الجار والمجرور متعلقا باللعنة ، وهذا أحد تخريجات ثلاثة فى البيت ، والتخريج الثانى : أن تعتبر « يا » لمجرد التنبيه ، والثالث ـ ولا يتم إلا على رواية النصب ـ أن تكون اللعنة نفسها هى المنادى ، وكأنه قال : يالعنة الله انصبى على سمعان ، كما نودى الأسف فى قوله تعالى : (يا أسفا على يوسف) وكما نوديت الحسرة فى قوله تعالى : (ياحسرة على العباد) وفى قوله سبحانه (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله)

٦٩ ـ هذا البيت لا بن دارة ، واسمه سالم بن مسافع ، ودارة أمه ، وقد أنشده ابن منظور (خ ز م) ونسبه إليه . والرقم ـ بفتح الراء والقاف جميعا ـ جمع رقمة، والرقمة: نبات يقال إنه الخبازى ، وقيل : الرقمة من العشب العظام تنبت متسطحة وهى من أول العشب خروجا ، تنبت فى السهل ، ولا يكاد المال يأكلها إلا من حاجة ، والحمير : جمع حمار ، وهو معروف ، والوقير : صغار الشاء ، وقال أبو النجم :

* نبح كلاب الشاء عن وقيرها *

والخزم ـ بضم الخاء والزاى جميعا ـ جمع خزومة ، وهى البقرة ، والاستشهاد به فى قوله « يالعنة الله » وهو نظير ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق.

وقال الآخر :

٧٠ — يَا لَعَنَ اللهُ بَنِي السِّعْلَاتِ عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ شِرَارَ النَّاتِ

أراد بالنات الناسَ لحول السين تاء ، وقال الآخر :

٧١ — يَا قَاتَلَ اللهُ صِبْيَانًا تَجِيءُ بِهِمْ أُمُّ الْهُنَيْبِرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي

٧٠ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما لعلباء بن أرقم اليشكرى أحد شعراء الجاهلية ، وهما من شواهد شرح الرضى على شافية ابن الحاجب (رقم ٢٢٣) وشرح المفصل لموفق الدين ابن يعيش (ص ١٣٨٠ أوربة) وقد أنشدهما مع ثالث ابن منظور تبعا للجوهرى (ن و ت — س ى ن) ونسبهما فى المرتين لعلباء بن أرقم ، والرواية عنده — وهى المشهورة فى كتب الصرف — هكذا :

ياقبح الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات

* غير أعفاء ولا أكيات *

و« قبح الله فلانا » أى نحاه وأبعده عن الخير ، ويروى « يا قاتل الله » وهو دعاء بالهلكة ، و « السعلاة » بكسر السين وسكون العين المهملة — أنثى الغول ، ويقال : هى ساحرة الجن ، وقد زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج سعلاة فأقامت دهرا فى بنى تميم وأولدها عمرو أولادا ، و« عمرو بن يربوع » قالوا : هو بدل من السعلاة ، ولو جعلته معطوفا عليه بعاطف محذوف لم تكن قد أبعدت ، و « النات » أراد به الناس ، و « أكيات » أراد به الأكياس : جمع كيس ، وهو الحاذق الفطن . ومحل الاستشهاد به ههنا قوله «ياقبح الله» حيث اقترن حرف النداء بجملة فعلية دعائية ، وقد اتفق الفريقان على أن المنادى لا يكون جملة ؛ فلزمهما جميعا أن يقدرا اسما مفردا ليكون هو المنادى بهذا الحرف ، وأصل الكلام عندهم : ياقوم قبح الله ، أو ياهؤلاء قبح الله ، وما أشبه ذلك . وهذا أحد توجيهين فى هذا البيت ونحوه ، والثانى أن «يا» ههنا حرف تنبيه ، لا حرف نداء ، وحرف التنبيه يدخل على الجمل الفعلية والاسمية ، ونظير هذا البيت قول جرير :

يا حبذا جبل الريان من بلد وحبذا ساكن الريان من كانا

وقول الفرزدق :

يا أرغم الله أنفا أنت حامله ياذا الخنى ومقال الزور والخطل

٧١ — هذا البيت للقتال الكلابى ، واسمه عبيد بن المضرحى ، وقد أنشده ابن منظور (هـ ن ب ر) ونسبه إليه ، وأنشد بعده :

=

وهى جملة خبرية ، فدلَّ على أنه لا فرق فى ذلك بين الجملة الأمرية والخبرية ، فوجب أن يكون المنادى محذوفاً فى قولهم « يا نِعْمَ المَوْلَى وَيَا نِعْمَ النَّصِيرُ » .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهبوا إليه أنا أجمعنا على أن الْجُمَلَ لا تُنَادى ؛ وأجمعنا على أن « نِعْمَ الرَّجُلُ » جملة ، وإن وقع الخلاف فى نعم هل هى اسم أو فعل ، وإذا امتنع للاجماع قولُنا «يا زيد منطلق» فكذلك يجب أن يمتنع « يا نعم الرجل» إلا على تقدير حذف المنادى على ما بينَّا .

وأما قولهم « إن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه ، ولذلك لا يكاد يوجد فى كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهى » قلنا : لا نسلم ، بل يكثر مجىء الخبر والاستفهام مع النداء كثرةَ الأمرِ والنهى، أما الخبر فقد قال الله تعالى : (ياعِبادِى لا خَوْفٌ عليكُمُ اليوم ولا أنتمْ تحزنون) ، وقال تعالى فى موضع آخر : (يا أَبَتِ إنى أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ مِنَ الرحْمٰن) ، وقال تعالى فى موضع آخر : (يا أَبَتِ إنى رَأَيْتُ أحَدَ عشَرَ كَوْكباً) ، وقال تعالى فى موضع آخر : (يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) وقال تعالى فى موضع آخر : (يا أيُّها النَّاسُ إنَّما بغيُكُمْ عَلَى أنفُسِكُمْ) وقال تعالى فى موضع آخر : (يَا أَيُّهَا الناسُ أنتُمُ الْفُقَرَاء إلَى الله) إلى غير ذلك من المواضع ، وأما الاستفهام فقد قال الله تعالى : (يا أَيُّها النَّبىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ ؟) ، وقال تعالى فى موضع آخر : (يا أيُّهَا الَّذِينَ

= من كل أعلم مشقوق وتيرته لم يوف خمسة أشبار بشبار

وقال بعد إنشاد البيتين « ويروى ياقبح الله ضبعانا ، وفى شعره : من زند لها حارى ، والحارى : الناقص ، والوارى : السمين ، والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، والوتيرة : إطار الشفة ، وأبو الهنبر : الضبعان ، ثم قال : وأم الهنبر : الضبع ، وقيل : هى الحمارة الأهلية ، والهنبر ــ بوزن الخنصر ، بكسر أول وثالثه ــ ولد الضبع ، ويقال الهنبر الجحش » اهـ . ومحل الاستشهاد قوله « ياقاتل الله ــ إلخ » وأقول فيه كالقول فى الشاهد السابق .

آمنُوا لِمَ تقُولونَ ما لا تَفْعَلون ؟) ، وقال تعالى فى موضع آخر : (يا أَبتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا [٥٦] يَسمعُ وَلا يُبصِرُ)،وقال تعالى فى موضع آخر : (وَيَا قَوْم مالِى أَدْعُوكم إلَى النَّجَاةِ وَتدعُونَنِى إلى النارِ) إلى غير ذلك من المواضع ؛ فإذا كثر مجىء الخبر والاستفهام كثرة الأمر والنهى فقد تكافآ فى الكثرة ؛ فلا مزية لأحدهما عن الآخر .

وأما قولهم « إنه لا يحسن اقتران الزمان بهما ؛ فلا يقال : نعم الرجل أمس ، ولا بئس الغلام غداً ، ولا يجوز تصرفهما » فنقول : إنما امتنعا من اقترانهما بالزمان الماضى، وما جاء التصرف لأن « نعم » موضوع لغاية المدح و « بئس » موضوع لغاية الذم ؛ فجعل دلالتهما مقصورة على الآن ؛ لأنك إنما تمدح وتذم بما هو موجود فى الممدوح أو المذموم ، لا بما كان فزال ، ولا بما سيكون ولم يقع .

وأما قولهم « إنه قد جاء عن العرب نَعِيمَ الرَّجُلُ » فهذا مما ينفرد بروايته أبو على قُطرُبٌ ، وهى رواية شاذة ، ولئن صحت فليس فيها حجة ؛ لأن نِعْمَ أصله نَعِمَ على وزن فعِلَ ـ بكسر العين ـ فأشبع الكسرة فنشأت الياء كما قال الشاعر :

تَنْفِى يَدَاها الْحَصَى فى كُلِّ هاجِرَةٍ
نَفْىَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقادُ الصَّيَارِيفِ [١٣]

أراد الدراهِمَ والصيارِفَ ، والذى يدلُّ على أن أصل نِعْمَ نَعِمَ أنه يجوز فيها أربع لغات : نَعِمَ ـ بفتح النون وكسر العين ـ على الأصل ، ونَعْمَ ـ بفتح النون وسكون العين ـ ونِعِمَ ـ بكسر النون والعين ـ ونِعْمَ ـ بكسر النون وسكون العين .

فمن قال نَعِمَ ـ بفتح النون وكسر العين ـ أتى بها على الأصل كقراءة ابن عامر وحمزة والكسائى والأعمش وخلفٍ (فَنَعِمَّا) ـ بفتح النون وكسر العين ـ وكما قال طرفة :

٧٢ — مَا أَقَلَّتْ قَدَمْ نَاعِلَهَا نَعِمَ السَّاعُونَ فى الأَمْرِ الْمُبِرّْ

---

٧٢ — هذا البيت من كلام طرفة بن العبد البكرى (د ٧٣) وقد أنشده الرضى فى شرح الكافية (٢/٢٩٠) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/١٠١) وابن منظور فى اللسان (ن ع م) وقد اختلفت الرواية فى صدر هذا البيت اختلافا كثيرا ؛ فيروى :

* ما أقلت قدم ناعلها *

وهى رواية المؤلف هنا ، ويروى :

* ما أقلت قدماى إنهم *

وهى رواية ابن منظور ، ويروى :

* ما أقلت قدمى إنهم *

وعلى الروايتين الأخيرتين يكون مفعول أقلت محذوفا ، والتقدير : ما أقلتنى قدماى ، أو ما أقلتنى قدمى ، و« ما » مصدرية ظرفية ، وأقلت : معناه حملت أورفعت، والقدم — بالتحريك — الرجل ، والناعل : لابس النعل ، وجملة « إنهم نعم الساعون — الخ » للتعليل ، والساعون : جمع ساع ، والأمر المبر : الذى يعجز الناس عن دفعه ؛ لأنه يفوق طاقتهم ويزيد على قدر ما يحتملونه ، ويروى :

* نعم الساعون فى القوم الشطر *

والشطر — بضم الشين والطاء جميعا — جمع شطير ، ويراد به هنا الغرباء ، وأصل الشطير الناحية ، وسمى الغريب به لأن كل من بعد عن أهله يأخذ فى ناحية من نواحى الأرض ، والاستشهاد به فى قوله « نعم الساعون » حيث استعمل هذا الفعل على ماهو الأصل فيه بفتح النون وكسر العين ، على مثال علم وفهم وضحك ، وإنما قالوا فيه « نعم » بكسر النون وسكون العين للتخفيف ، وذلك أن حرف الحلق فى ذاته ثقيل ،والكسرة ثقيلة أيضا ، ولهذا يفر العرب فى كل كلمة ثلاثية مفتوحة الأول مكسورة الثانى إذا كان الحرف الثانى من حروف الحلق — وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء — إلى تغيير هذه الزنة إلى واحد من ثلاثة أوزان : الأول أن يسكنوا الحرف المكسور ويبقوا ماعداه على حاله ، فيقولون : نعم ، وضحك ، وفهم ، وبأس — بفتح أوائل هذه الأفعال وسكون ثانيها ، والثانى : أن يسكنوا الحرف المكسور بعد أن ينقلوا كسرته إلى الحرف الأول ، فيقولون : نعم ، وضحك ، وفهم ، وبئس — بكسر أوائل هذه الكلمات وسكون ثانيها — والثالث:أن يبقوا الثانى مكسورا على حاله ، ويكسروا =

ومَنْ قال نَعْمَ – بفتح النون وسكون العين – حذف كسرة العــين ، كقراءة يحيى بن وَثَّابٍ (فَنَعْمَ عُقْبَى الدارِ) بفتح النون وسكون العين ، وكما قال الشاعر :

٧٣ — فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كَمَا ضَجْرَ بَازِلٌ
مِنَ ٱلْأُدْمِ دَبْرَتَ صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُهْ

=الأول إتباعا لثانيه ، فيقولون : نعم ، وضحك ، وفهم ، وبئس – بكسر أوائل هذه الكلمات وكسر ثانيها أيضا ، فإن قلت : فقد ذكرت أن الكسرة ثقيلة ، وهم إنما خرجوا بهذا النوع من الكلمات عن أوزانها الأصلية إلى أوزان أخرى غير أصلية قصدا إلى التخفيف ،وفرارا من الثقل الذى جلبه أمران: كون ثانى الكلمة من حروف الحلق المستفلة التى يشبه النطق بها التهوع ، وكون هذا الحرف مكسورا ، فكيف يجيئون بكسرة أخرى وهى ثقيلة فيزيدوا الكلمة ثقلا ؟ فالجواب عن هذا أن من أسباب الثقل الخروج من الشىء إلى ما يخالفه ؛ ففى « نعم » بكسر النون والعين جميعا نوع من الثقل ونوع من التخفيف ، أما الثقل فناجم عن الكسر ، وأما التخفيف فمنشؤه أن اللسان حين ينطق بالنون مكسورة ثم يأتى بالعين مكسورة أيضا قد خرج من شىء إلى مايشبهه ويوائمه فليس بحاجة إلى تغيير ضغطه وحركته ، أما حين ينتقل من النون المفتوحة إلى العين المكسورة فإنه ينتقل من الشىء إلى ما يغايره ويخالفه فهو مضطر إلى أن يغير ضغطه وحركته ؛ فلهذا كان نعم بكسر أوله وثانيه أخف من نعم بفتح أوله وكسر ثانيه، فاعرف ذلك وتنبه له والله يرشدك .

٧٣ — هذا البيت للأخطل التغلبى ، من قصيدة يهجو فيها كعب بن جعيل ، وقد أنشده صاحب اللسان (ض ج ر) وصاحب الكشاف فى تفسير سورة النساء (١/١٨٣ بولاق) وضجر – بوزن علم فى الأصل ، وخفف هنا بإسكان ثانيه – أى قلق وتبرم وضاقت نفسه ، والبازل : من الجمـال الذى انشقت نابه وذلك إذا بلغ سنه التاسعة ، والأدم : جمع آدم أو أدماء ، والآدم : الأسمر اللون ، ودبرت : أصله بوزن فرح ، وخفف هنا بإسكان ثانيه ، ومعناه جربت ، والدبر والجرب واحد فى الوزن وفى المعنى ، وصفحتاه : جانباه ، وغاربه : أعلاه ، والاستشهاد به فى قوله « ضجر » وقوله « دبرت » فإن أصل كل واحد من هذين الفعلين مفتوح الاول مكسور الثانى، وقد خففه الشاعر بإسكان ثانيه ؛ لأن الكسرة كما قلنا ثقيلة وهم يطلبون التخفيف=

أراد « ضَجِرَ ، وَدَبِرَت » فخذف ، وقال الآخر :

٧٤ — إِذَا هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَنَشْبَتْ لَهُ الأَظْفَارُ تُرْكَ لَهُ الْمَدَارُ

أراد « نَشِبَتْ ، وتُرِكَ » ، وقال الآخر وهو أبو النجم :

٧٥ — * هَيَّجَهَا نَضْحٌ مِنَ الطَّلِّ سَحَرْ *

[٥٧] وَهَزَّتِ الرِّيحُ النَّدَى حِينَ قَطَرْ

لَوْ عُصْرَ مِنْهَا الْبَانُ وَالْمِسْكُ انْعَصَرْ

= ما أمكن ، ولهذا لو كان ثانى الكلمة الثلاثية مفتوحا مثل كتب وضرب ونصر لم يلجئوا إلى تخفيفها بإسكان ثانيها ؛ لأن الفتحة فى نفسها خفيفة وأول الفعل مفتوح فالخفة حاصلة ، فلا يرون أن بهم حاجة إلى تغيير زنة الكلمة .

٧٤ — لم أقف لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، وهدرت : أصله قولهم « هدر البعير » إذا ردد صوته فى حنجرته ، والشقاشق : جمع شقشقة — بكسر الشينين جميعا — وأصله شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، ويقولون للفصيح البليغ الذى يخطب فيجيد : هدرت شقشقته ، وهدرت شقاشقه ، وخطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب خطبة مشتملة على كثير من الحكم ، فقال له ابن عباس : لو اضطردت خطبتك من حيث أفضيت ، فقال له : هيهات ، تلك شقشقة هدرت ثم قرت ، وسموا هذه الخطبة « الشقشقية » بسبب هذه العبارة ، وقالوا « فلان شقشقة قومه » يريدون أنه شريفهم وفصيحهم ، ونشبت : أصله بفتح النون وكسر الشين ـ ومعناه علقت ، وقد خففه ههنا بإسكان شينه ، والمدار : أراد مدار الأمر ، وهو ما يجرى عليه غالبا . والاستشهاد بالبيت فى قوله « ونشبت » وقوله « ترك » فإن أصل الفعل الأول مكسور الشين مبنيا للمعلوم فسكن الشاعر شينه قصدا إلى التخفيف ، وأصل الفعل الثانى «ترك» بضم أوله وكسر ثانيه مبنيا للمجهول ، فسكن الراء للتخفيف أيضا .

٧٥ — هذه ثلاثة أبيات من الرجز المشطور قائلها أبو النجم العجلى كما قال المؤلف وقد أنشد ثالثها — وفيه محل الاستشهاد — ابن منظور (ع ص ر) ونسبه إلى أبى النجم ، والنضح — بالفتح — أصله رشاش الماء ، والطل : المطر الضعيف ، والندى — بفتح النون مقصورا — المطر ، والبان : شجر سبط القوام لين الورق يشبه به =

أراد « عُصِرَ » وقال الآخر :

٧٦ — * رُجْمَ به الشَّيْطَانُ مِنْ هَوَائِهِ *

أراد « رُجِمَ » وقال الآخر :

٧٧ — * وَنُفْخُوا فى مَدَائِنِهِمْ فَطَارُوا *

أراد « ونُفِخُوا » .

ومن قال نِعِمَ – بكسر النون والعين – كسر النون اتباعاً لكسرة العين ، كقراءة زيد بن على والحسن البصرى ورؤبة (الحمدِ لِله) بكسر الدَّال إتباعاً لكسرة اللام ، وكقراءة إبراهيم بن أبى عبلة (الحمدُ لُله) بضم اللام إتباعاً لضمة الدال ، وكقولهم «مِنْتِنٍ» بكسر الميم إتباعاً لكسرة التاء ، وكقولهم أيضاً «مُنْتُن» بضم التاء إتباعاً لضمة الميم .

= قدود الحسان ، له زهرة طيبة الريح ، والمسك معروف ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « عصر » فإن أصله بضم العين وكسر الصاد ، ولكن الشاعر خففه بإسكان الصاد .

٧٦ — لم أقف لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، ورجم : فعل ماض مبنى للمجهول ، وأصله بضم الراء وكسر الجيم ، ولكن الشاعر خففه بتسكين الجيم ، على نحو ما ذكرنا فى شرح الشواهد السابقة ، ومعنى الرجم الرمى بالحجارة ، وكانوا فى جاهليتهم إذا أرادوا أن يقتلوا رجلا رموه بالحجارة حتى يقتلوه ، ثم قيل لكل قتل رجم ، وقد ورد فى القرآن الكريم الرجم بمعنى القتل فى مواضع كثيرة ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله «رجم» وقد بينا وجهه .

٧٧ — هذا عجز بيت من كلام القطامى ، وصدره قوله :

* ألم يخز التفرق جند كسرى *

وقد أنشده ابن منظور (ن ف خ) ونسبه للقطامى ، والمدائن : جمع مدينة ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « ونفخوا » فإن أصله فعل ماض مبنى للمجهول بضم النون وكسر الفاء ، ولكن الشاعر خففه بإسكان الفاء .

ومن قال نِعْمَ ـ بكسر النون وسكون العين ـ نقل كسرة العين من نَعِمَ ـ بفتح النون وكسر العين ـ إلى النون ، وعليها أكثر القراء ؛ فلما جاز فيها هذه الأربع اللغات دلَّ على أن أصلها نَعِم عَلَى وزن فَعِل ؛ لأن كل ما كان على وزن فَعِلَ من الاسم والفعل وعينُه حرفٌ من حروف الحلق فإنه يجوز فيه أربع لغات ، فالاسم نحو : فَخِذ وفِخِذ وفَخْذ وفِخْذ ، والفعل نحو : قد شَهِدَ وشِهِدَ وشَهْدَ وشِهْدَ ، على ما بينا فى نعم ، وإذا ثبت أن الأصل فى نِعْمَ نَعِمَ كانت الياء فى « نَعِيمَ الرجلُ » إشباعاً ؛ فلا يكون فيه دليل على الأسمية ؛ فدل على أنهما فعلان لا اسمان ، والله أعلم .

١٥ ــ مسألة

[القول فى « أفْعَلَ » فى التعجب ، اسمٌ هو أو فعل ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن أفْعَلَ فى التعجب نحو « ما أحْسَنَ زيداً » اسمٌ .
وذهب البصريون إلى أنه فعلٌ ماضٍ ، وإليه ذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى من الكوفيين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنه اسمٌ أنه جامد لا يتصرف ، ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف ؛ لأن التصرف من خصائص الأفعال ، فلما لم يتصرف وكان جامداً وجب أن يلحق بالأسماء .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : لسان العرب (م ل ح) وشرح موفق الدين ابن يعيش على المفصل (١٠٤١) وشرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (٢/٢٨٥) وشرح الأشمونى (٤/١٦٧ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٣/١٦ بولاق) والتصريح للشيخ خالد (٢/١٠٨ بولاق) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ٦٨٢ بتحقيقنا) وسر العربية (٤٧)

[٥٨] ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه اسم أنه يَدْخُله التصغير ، والتصغير من خصائص الأسماء ، قال الشاعر :

٧٨ — يَامَا أُمَيْلِحَ غِزْلاَنًا شَدَنَّ لَنَا مِنْ هَاؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ

فأميلح : تصغير أملح ، وقد جاء ذلك كثيراً فى الشعر وسَعَةِ الكلام .

---

٧٨ — استشهد بهذا البيت كثير من النحاة وأهل اللغة منهم ابن منظور (م ل ح) وابن يعيش (ص ١٠٤٢) والأشمونى (رقم ٧٣٥) وابن هشام فى المغنى (رقم ٩٣٧) والرضى، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٤٥ و٩٥/٤)، وقد عثرت به ثانى ثلاثة أبيات فى دمية القصر للباخرزى (ص ٢٩ ط حلب) وقد نسبها إلى بدوى اسمه كاهل الثقفى . والغزلان : جمع غزال ، وأصله ولد الظبية ، ويشبه العرب به حسان النساء ، وشدن : أصله قولهم « شدن الظبي يشدن شدونا — من باب قعد » إذا قوى وترعرع واستغنى عن أمه ، وهؤلياء : تصغير هؤلاء على غير قياس ، والضال : السدر البرى، واحدته ضالة، والسمر — بفتح السين وضم الميم — شجر الطلح ، واحدته سمرة ، والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله « أميلح » فإنه تصغير أملح ، وأصل التصغير من خصائص الأسماء ، ولهذا قال الكوفيون إن صيغة أفعل فى التعجب اسم بدليل مجيئها مصغرة فى هذا البيت ، والبصريون لا يرتضون ذلك ، ويقولون إن تصغير « أملح » فى هذا البيت شاذ ، ألا ترى هذا الشاعر قد صغر هؤلاء فى نفس البيت مع أننا متفقون على أن التصغير من خصائص الأسماء المعربة ؟ فهذا وجه ، ومنهم من يسلك فى الرد مسلكا آخر ، فيقول : إن صيغة التعجب لما أشبهت صيغة التفضيل فى الوزن وكان فعل التعجب — مع ذلك — جامدا أعطوا فعل التعجب حكم اسم التفضيل ؟ فأجازوا تصغيره ، وقد ذكر ذلك ابن منظور فى اللسان وابن هشام فى المغنى — قال ابن هشام فى المغنى ، « الثالث — مما أعطى حكم الشىء لمشابهته له لفظا ومعنى — نحو اسم التفضيل وأفعل فى التعجب ؟ فإنهم منعوا التفضيل أن يرفع الظاهر لشبهه بأفعل فى التعجب وزنا وأصلا وإفادة للمبالغة ، وأجازوا تصغير أفعل فى التعجب لشبهه بأفعل التفضيل فيما ذكرنا ، وقال :

* ياما أميلح غزلانا . . . *

ولم يسمع ذلك إلا فى أحسن وأملح، ذكره الجوهرى، ولكن النحويين مع هذا قاسوه » اه.

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن فعل التعجب لزم طريقةً واحدةً، وضارع الاسم ، فلحقه التصغير » لأنا نقول : هذا ينتقض بليس وعسى فإنهما لزما طريقة واحدة ، ومع هذا لايجوز تصغيرهما ، وأبلغُ من هذا النقض وأوْكَدُ مثال «أَفْعِلْ بهِ» فى التعجب فإنه فعل لزم طريقة واحدة ، ومع هذا فإنه لايجوز تصغيره .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه اسم أنه تَصِحُّ عينه نحو « ماأَقْوَمَهُ ، وماأَبْيَعَهُ » كما تصح العين فى الاسم فى نحو « هذا أَقْوَمُ منك ، وأَبْيَعُ منك » ولو أنه فعلٌ كما زعمتم لوجب أن تُعَلَّ عينه بقلبها ألفاً ، كما قلبت من الفعل فى نحو : قَامَ و بَاعَ وأَقَامَ وأَبَاعَ فى قولهم « أَبَعْتُ الشىء » إذا عَرَّضْتَه للبيع ، و إذا كان قد أُجْرِىَ مُجْرَى الأسماء فى التصحيح مع مادخـله من الجمود والتصغير وجب أن يكون اسما .

والذى يدلُّ على أنه ليس بفعل وأنه ليس التقدير فيه : شىء أَحْسَنَ زَيْداً قولهم « ماأَعْظَمَ الله » ولو كان التقدير فيه مازعمتم لوجَبَ أن يكون التقدير : شَىْءٌ أَعْظَمَ اللهَ ، والله تعالى عظيمٌ لا بِجَعْلِ جاعلٍ ، وقال الشاعر :

٧٩ ــ مَاأَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُدْنِىَ عَلَى شَحَطٍ مَنْ دَارُهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ

---

٧٩ ــ هذا البيت من كلة لحندج بن حندج المرى يصف فيها طول ليله وما يقاسيه من فرقة أحبابه ، وهى من شعر حماسة أبى تمام (انظر شرح المرزوقى ص ١٨٢٨)، والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٤١) والشحط ــ بفتح الشين والحاء جميعا ــ هو البعد ، و « الحزن» بفتح الحاء وسكون الزاى ــ موضع بعينه ، وفى بلاد العرب موضعان بهذا الاسم : أحدهما حزن بنى يربوع، والثانى ما بين زبالة فما فوق ذلك مصعدا فى بلاد نجد، وصول: مدينة من بلاد الخزر فى نواحى باب الأبواب، والاستشهاد بههنا فى قوله «ما أقدر الله » فإن بعض الـكوفيين زعم أن مثل هذه العبارة تدل على أن أفعل فى التعجب ليس فعلا ؛ إذ لو كان فعلا لـكان فيه ضمير مستتر يكون هو فاعله ، ويكون لفظ الجلالة منصوبا بهذا الفعل ، فيـكون المعنى : شىء أقدر (هو، أي ذلك الشىء) الله تعالى ، أى جعله قادرا =

ولو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يكون التقدير فيه : شَيْءٌ أَقْدَرَ اللّهَ ، والله تعالى قادر لا بِجَعْلِ جاعل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه فعل أنه إذا وُصِلَ بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية، نحو « ما أَحْسَنَنِي عندك، وما أَظْرَفَنِي فى عينك ، وما أَعْلَمَنِي فى ظنك » ونونُ الوقاية إنما تدخل على الفعل لا على الاسم ، ألا ترى أنك تقول فى الفعل « أَرْشَدَنِي ، وأَسْعَدَنِي ، وأَبْعَدَنِي » ولا تقول فى الاسم « مُرْشِدُنِي » ولا « مُسْعِدِنِي » فأما قوله :

٨٠ — * وَلَيْسَ حَامِلَنِي إلاَّ ابْنُ حَمَّالِ *

= وقد قام الدليل العقلى والنقلى على أن الله تعالى قادر من غير جعل جاعل؛ فيكون هذا المعنى باطلا ، وإنما أدى إلى هذا المعنى الباطل ذهابكم إلى أن أفعل فى باب التعجب فعل ، فوجب ألا نصير إليه .

٨٠ — هذا عجز بيت من البسيط ، وصدره قوله :

* ألا فتى من بنى ذبيان يحملنى *

وقد استشهد بهذا البيت رضى الدين فى شرح الكافية ، فى باب الإضافة ، وفى باب المضمرات ، وشرحه البغدادى فى خزانة الأدب (٢/١٨٥ بولاق) وأنشده أبو العباس المبرد فى الكامل ثالث خمسة أبيات ، وقال قبل إنشادها « أنشدنا أبو محلم السعدى » . و « ألا » فى أول البيت حرف دال على العرض ، و « فتى » منصوب بفعل محذوف ، والتقدير : ألا ترونى فتى ، و « بنى ذبيان » أراد بنى ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، و « يحملنى » أراد يعطينى دابة تحملنى إلى المكان الذى أقصده ، و « حمال » صيغة مبالغة لحامل . ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله : « حاملنى » حيث لحقت نون الوقاية الاسم عند إضافته إلى ياء المتكلم ، وذلك شاذ ، والقياس أن يقترن الاسم بياء المتكلم من غير توسيط النون بينهما ، سواء أكان هذا الاسم جامداً نحو : غلامى وكتابى ودارى، أم كان مشتقا نحو : حاملى وضاربى ومكتوبى ومضروبى وما أشبه ذلك ؛ لأن النون إنما توسطت بين الفعل وياء المتكلم لأن ياء المتكلم تستوجب كسر ما قبلها، ولما كان الفعل لا يدخله الجر، وكان الكسر أخا الجر؛ تحاموا =

فمن الشاذ الذى لا يُلْتَفَتُ إليه ولايقاس عليه ، و إنما دخلت هذه النون على [٥٩] الفعل لِتَقِيَ آخره من الكسر ؛ لأن ياء المتكلم لايكون ما قبلها إلا مكسورا ، و إذا كانوا قد منعوه من كسرة الإعراب لثقلها وهى غير لازمة فَلأَنْ يمنعوه من كسرة البناء وهى لازمة كان ذلك من طريق الأولى ، فلما منعوه من الكسر أدخلوا هذه النون لتكون الكسرة عليها ؛ فلو لم يكن أفعل فى التعجب فعلا و إلا لما دخلت عليه نون الوقاية كدخولها على سائر الأفعال .

اعترضوا على هذا بأن قالوا : نونُ الوقاية قد دخلت على الاسم فى نحو « قَدْنِي وقَطْنِي » أى حَسْبِي ، قال الشاعر :

٨١ — امْتَلأَ الْحَوْضُ وَقَالَ : قَطْنِي مَهْلاً ، رُوَيْدًا ، قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي

ولا يدل ذلك على الفعلية ، فكذلك ها هنا .

=أن يقرنوا الفعل بياء المتكلم؛ لئلا ينكسر آخره فيدخلوا عليه ما ليس منه فى شيء ، لكن الجر يدخل على الأسماء بغير نكير ، فلم يجدوا أنفسهم محتاجين إلى نون الوقاية معه حين يضيفونه إلى ياء المتكلم ، هذا ، والرواية عند أبى العباس المبرد « وليس يحملنى . . . » وعلى ذلك يكون البيت مستقيما لاشذوذ فيه ؛ لأن نون الوقاية حينئذ متوسطة بين الفعل والياء كما هو الأصل .

٨١ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، ولم أجد أحدا نسبهما إلى قائل معين ، وقد استشهد به ابن منظور وشارح القاموس (قطط) ،ومن النحاة : الأشمونى (رقم ٦٣) وابن الناظم، وابن يعيش (ص ٣١٨ و ٤٤٣). وقوله «امتلأ الحوض وقال» أطلق القول ههنا على ما يشهد به الحال وتدل عليه الطبيعة ، و «قطنى» هو اسم بمعنى حسب، أو اسم فعل بمعنى يكفى ، و «مهلا» هو مصدر نائب عن الفعل، تقول :مهلا يا رجل، ومهلا يارجلان، ومهلا يارجال ، وتقول فى التأنيث كذلك ، بلفظ واحد ، والمرادُ أمهل وتريث ولاتعجل و « رويداً » يأتى على واحد من أربعة أوجه : الأول أن يكون اسم فعل بمعنى أرود ، أى أمهل ، والثانى أن يكون مصدراً نائبا عن فعله كالذى قلناه فى مهلا ، والثالث أن يقع صفة كما تقول: ساروا سيرا رويداً، والرابع أن يقع حالا كما تقول: ساروا رويدا=

وما اعترضوا فيه ليس بصحيح ؛ لأن « قَدْنِي ، وقَطْنِي » من الشاذ الذى لايعرج عليه ؛ فهو فى الشذوذ بمنزلة مِنِي وعَنِي ، وإنما حَسُنَ دخول هذه النون على قد وقط لأنك تقول « قَدْكَ من كذا ، وقَطْكَ من كذا » أى اكْتَفِ به ، فتأمر بهما كما تأمر بالفعل ؛ فلذلك حَسُنَ دخولهذه النون عليهما ، على أنهم قالوا «قَطِي وقَدِي» من غير نون كما قالوا « قَطْنِي وقَدْنِي » بالنون ، قال الشاعر :

٨٢ — قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

= بحذف المصدر الذى نصبته على المفعولية المطلقة فى الاستعمال الثالث . ومحل الاستشهاد بالبيت ههناقوله «قطنى»حيثوصل نون الوقاية بقط عندما أراد أن يضيفه إلى ياء المتكلم وليس « قط » فعلا ؛ فيدل ذلك على أن نون الوقاية قد تلحق بعض الأسماء لغرض من الأغراض ، والغرض ههنا المحافظة على سكون « قط » حتى لا يذهب ما بنى عليه اللفظ وهو السكون ، وإذا كان الأمر كذلك لم يكن لحاق نون الوقاية لكلمة من الكلمات دالا على أن هذه الكلمة فعل ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

٨٢ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد رواهما الجوهرى فى الصحاح (ل ح د) ونسبهما لحميد بن ثور الهلالى ، وقال ابن منظور (ل ح د) بعد أن رواهما عن الجوهرى : «قال ابن برى : البيت المذكور لحميد بن ثور هو لحميد الأرقط ، وليس هو لحميد بن ثور كما زعم الجوهرى » اهـ . ورواهما ابن منظور (خ ب ب ـ ق د د) منسوبين لحميد الأرقط،وأنشدهما ابن يعيش فى شرح المفصل(ص٤٤٢)ونسبهما لأبى بحدلة ، وهما من شواهد سيبويه (٣٨٧/١) وشواهد رضى الدين فى شرح الكافية ، والأشمونى (رقم ٦٢) وقد قال البغدادى فى خزانة الأدب (٤٥٣/٢) : « قال ابن المستوفى : ولم أر البيت الأول فى ديوانه (يريد ديوان حميد الأرقط) وكذلك أورد الأبيات القالى فى أماليه ، ولم يورد بيت :

* قدنى من نصر الخبيبين قدى * »

اهـ . المقصود من كلام البغدادى ،وقد: تأتى اسما بمعنى حسب،وتأتى اسم فعل بمعنى يكفى ، مثل قط فى الوجهين ، و « الخبيبين » يروى بصورة المثنى وبصورة جمع المذكر السالم ، فأما روايته بصورة المثنى فقيل : عنى عبدالله بن الزبير بن العوام الذى كان قد خرج على دولة مروان بن الحكم وتملك الحجازين وابنه خبيب بن عبدالله بن الزبير ، وقيل :=

ولا خلاف أنه لايجوز أن يقال « ماأ كْرَمِى » بحذف النون كما يقال « ماأ كرمنى » كما يقال « قَدْنِى، وقَدِى » فلما لم يجز ذلك بَانَ الفرقُ بينهما .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن أفْعَلَ فى التعجب فعلٌ أنه ينْصِب المعارف والنكرات ، وأفعَلُ إذا كان اسما لاينصب إلا النكرات خاصة على التمييز ، نحو قولك «زيدأ كْبَرُ منك سنًّا ، وأ كثر منك علماً » ولو قلت « زيدأ كبر منك السنَّ ، أو أ كثر منك العلم » لم يجز ،ولما جاز أن يقال « ماأ كبرالسن له ، وما أ كثر العلم له » دل على أنه فعل .

اعترضوا على هـذا بأن قالوا : قد ادعيتم أن أفْعَلَ إذا كان اسما لاينصب إلا النـكرة ، وقد وجدنا العربَ قد أعملته فى المعرفة ، قال الحارث بن ظالم :

= عنى عبدالله وأخاه مصعب بن الزبير ، وأما روايته بصورة جمع المذكر السالم فالمعنى به عبدالله وشيعته كلهم ، وقوله :

* ليس الإمام بالشحيح الملحد *

روى فى مكانه :

* ليس أميرى بالشحيح الملحد *

والشحيح : البخيل ، وكان عبدالله بن الزبير متهما بالبخل ، والملحد : مأخوذ من قولهم : « ألحد فلان فى الحرم » إذا استحل حرمته وانتهكها . والاستشهاد بالبيت فى قوله « قدنى » وقوله : « قدى » فقد وصل الشاعر «قد » بنون الوقاية فى المرة الأولى عندما أضاف الـكلمة إلى ياء المتكلم ، ولم يأت بهذه النون فى المرة الثانية، وهذا يدل على أن الوجهين جائزان فى هذه الـكلمة ، أما اقترانها بالنون فلقصد المحافظة على مابنيت عليه الـكلمة وهو السكون ، وأما حذف النون فلـكون الـكلمة اسما ، وفى هذا الـكلام مقال لنا ذكرناه فى شرحنا المطول على شرح أبى الحسن الأشمونى (١/١٠١٢ ومابعدها) فارجع إليه هناك .

٨٣ — فَمَا قَوْمِى بِثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرٍ
وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا

[٦٠] فنصب الرِّقَابَ بالشُّعْرِ ، وهو جمع أشْعَرَ ، ولا خلاف أن الجمع فى باب العمل أضْعَفُ من واحدِهِ ؛ لأن الجمع يُبَاعده عن مشابهة الفعل ؛ لأن الفعل لا يجمع ، وإذا بَعُد عن مشابهة الفعل بَعُد عن العمل ، وإذا عمل جمع أفْعَلَ مع بُعده عن العمل ؛ فالواحد أوْلَى أن يعمل ، وقال الآخر :

---

٨٣ — هذا البيت من قصيدة للحارث بن ظالم المرى ، وكان قد فتك بخالد بن جعفر بن كلاب وهو فى جوار النعمان بن المنذر ثم هرب يستجير القبائل ، والبيت من شواهد سيبويه (١/١٠٣) وابن يعيش (ص ٨٤٣) والأشمونى (رقم ٧٢٩) وقوله « بثعلبة بن بكر » المحفوظ « بثعلبة بن سعد » وكذلك هو فى رواية سيبويه وابن يعيش ، وكذلك هو فى نسب ثعلبة ؛ فإنه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وفزارة هو فزارة بن ذبيان أخو سعد بن ذبيان أبى ثعلبة ، والشاعر فى هذا البيت ينتفى من بنى سعد بن ذبيان ، والشعر — بضم الشين وسكون العين — جمع أشعر ، والأشعر : الكثير الشعر ، والرقاب : جمع رقبة ، والعرب ترى من علامات الغباء أن يكون الرجل كثير شعر القفا ، ويسمون ذلك الغمم ، وقال فى ذلك شاعرهم :

ولا تنكحى إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « الشعر الرقابا » حيث نصب قوله « الرقابا » بقوله « الشعر » والشعر جمع أشعر وهو هنا صفة مشبهة ، واتفق الفريقان الكوفيون والبصريون على أنه يجوز أن يكون انتصابه على التشبيه بالمفعول به ، وزاد الكوفيون أنه يجوز أيضا أن يكون انتصابه على التميز ، وذلك لأن الكوفيين يجوزون أن يجىء التميز معرفة ، فأما علماء البصرة فلكونهم يوجبون كون التميز نكرة لم يجيزوا انتصاب « الرقاب » فى هذا البيت على التميز ، فاعرف هذا ، ويروى فى هذه العبارة « الشعرى رقابا » بتجريد المعمول من أل ، والبصريون لا يرون بأسا فى نصبه حينئذ على التميز ، وقد روى سيبوية البيت بالروايتين جميعا .

٨٤ — وَنَأْخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

فنصب الظَّهْرَ بأجبَّ ، وقال الآخر :

٨٥ — وَلَقَدْ أَغْتَدِي وَمَا صَقَعَ الدِّيـــكُ عَلَى أدْهَمٍ أجَشَّ الصَّهِيلاَ

فنصب الصَّهِيلَ بأجَشَّ ، فبطل ما أدعيتموه .

---

٨٤ — هذا البيت من كلام النابغة الذبياني ، وهو من شواهد سيبويه (١/١٠٠) وابن يعيش (ص ٨٤١) و الأشمونى (رقم ٧٢٢) والرضى ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤ / ٩٥) وقبل بيت الشاهد قوله :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام

وقوله « ربيع الناس » شبه الملك النعمان بالربيع الذى تترادف فيه الخيرات لكثرة عطائه ووفرة بره ، و « البلد الحرام » شبهه أيضا بالبلد الحرام لأن رحابه موضع الأمن من كل مخافة وفى كنفه يلجأ الاجئون فلا تجسر يد على أن تمتد إليهم بسوء ، وقوله « بذناب عيش » ذناب كل شىء — بكسر الذال المعجمة — عقبه وما يأتى فى أواخره، و « أجب الظهر » مقطوع الظهر كأنه جمل قد قطع سنامه ، ويقال : بعير أجب ، وناقة جباء ؛ إذا كان قد قطع سنامهما . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أجب الظهر » وهذه العبارة تروى على ثلاثة أوجه : برفع الظهر، وتخريج هذه الرواية أن تجعل الظهر فاعلا لأجب ، وبنصب الظهر ، وتخريج هذه الرواية أن تجعل فاعل الصفة التى هى أجب ضميرا مستترا وتنصب الظهر على أنه مشبه بالمفعول به ، وهذه الرواية هى محل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، وبجر الظهر ،وتخريج هذه الرواية أن يكون أجب مضافا والظهر مضافا إليه . والوجه الأول قبيح ، والثانى ضعيف ، والثالث حسن .

٨٥ — لم أعثر على نسبة هذا البيت إلى قائل معين ، وقوله « أغتدى » معناه أخرج فى وقت الغداة ، والغداة — بفتح الغين — ما بين انبثاق الفجر وطلوع الشمس ، ويقال « غدية » بوزن قضية، و «غدوة» بضم فسكون ، وربما قيل« غدية » بضم الغين وفتح الدال ، وهو تصغير الغدوة أو الغداة ، ومراد الشاعر أنه يخرج من داره مبكرا ، وقوله « وما صقع الديك » معناه صاح ، وهذا تأكيد لما استفيد من معنى « أغتدى » وقوله « على أدهم » أراد على فرس أدهم ، وهو الذى لونه الدهمة ، والدهمة — بضم الدال وسكون الهاء — لون قريب من الأسود ، و « أجش » الغليظ الصوت من الإنسان والخيل ، وقال النجاشى :

=

وما اعترضوا به ليس بصحيح : أما بيتُ الحارث بن ظالم :

* وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا *[٨٣]

فقد روى « الشُّعْرَى رِقَابَاً » حكى ذلك سيبويه عن أبى الخطاب عن بعض العرب أنهم ينشدون البيت كذلك ، على أنا وإن لم ننكر صحة ما رويتموه ، فلا حجة لكم فيه ؛ لأنه من باب « الحسن الوَجْهَ ، والحسان الوُجُوهَ » وقد قالوا « الحسن الوجهَ » بنصب الوجه تشبيهاً بالضارب الرجُلَ ، كما قالوا « الضاربُ الرجلِ » بالجر تشبيها بـ« الحسَنِ الوَجْهِ » وقد ذهب بعضُ البصريين إلى زيادة الألف واللام فيه ، فلما كان فى تقدير التنكير جاز نصبُه على التمييز ، فبان أن ما عارضتم به ليس بشىء .

= ونجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم ، والرماح دوانى

ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « أجش الصهيلا » حيث نصب الصهيل بقوله أجش ، وأجش هذا صفة مشبهة ، ومعمولها مقترن بالألف واللام ، وبه استدل الكوفيون على أنه يجوز أن ينتصب بعد « أفعل » كل من المعرفة والنكرة ، وقد سوى المؤلف فى التمثيل والاستشهاد بين أفعل الذى هو اسم تفضيل وأفعل الذى هو صفة مشبهة ؛ فهو يمثل أولاً بقوله « زيد أكبر منك سنا ، وأكثر منك علما » ثم يستشهد بأجب الظهر ، والشعر الرقابا ، وأجش الصهيلا ، ثم يلزم الكوفيين الحجة بأن المنصوب فى هذه الشواهد منصوب على التشبيه بالمفعول به ، لا على التمييز ، وكأنه ينكر أن يكون التمييز مقترنا بأل ، وقد ورد التمييز مقترنا بأل من غير أن يكون العامل أفعل التفضيل ولا أفعل الصفة المشبهة ، وذلك فى قول الشاعر :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

ولكن البصريين لم يرقهم أن يجىء هذا البيت ونحوه على غير ما أصلوا من القواعد ، فذهبوا إلى أن « ال » فى « طبت النفس » زائدة ، وليست معرفة ؛ فيكون على ما ذهبوا إليه مدخول أل نكرة كالمجرد منها ، وهذا هو المسلك الذى سلكوه فى هذه الشواهد .

وأما قولُ النابغة :

* أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ *[٨٤]

بفتحهما فقد رُوِىَ « أَجَبِّ الظَّهْرِ » بجرهما ، ورُوِى « أَجَبَّ الظَّهْرُ » برفع الظهر لأنه فاعل ، والتقدير فيه عندنا : أَجَبَّ الظهرُ منه ، وعندكم الألف واللام قامتاَ مَقَامَ الضمير العائد ؛ فلا حجة لكم فى هذا البيت ، والجرّ فيهما هو القياس ، و إن صحت رواية النصب ؛ فيكون على التشبيه بالمفعول على ما بينا فى البيت الأول ، لا على تقدير زيادة الألف واللام ونصبه على التمييز على ما ذهبتم إليه ، ولئن سلمنا على قول بعض البصريين ، وهو الجواب عن جميع ما احتججتم به ؛ لأنكم إذا قدرتم أن الألف واللام فيه زائدة فهو عندكم نكرة ، فإذن ما عمل [٦١] فى معرفة ، و إنما عمل فى نكرة ، والخلاف ما وقع فى أنَّ « أَفْعَلَ » تعمل فى النكرة ، و إنما وقع الخلاف فى أنها تعمل فى المعرفة .

وأما قول الآخر :

* عَلَى أَدْهَمَ أَجَشِّ الصَّهِيلاَ * [٨٥]

فالوجه جرّ « الصهيلا » إلا أنه نَصَبَه على التشبيه بالمفعول ، أو على زيادة الألف واللام على ما قَدَّمْنا .

ثم لو سلمنا لكم صحة ما ادَّعيتموه فى هذه الأبيات ، وأجريناها فى ذلك مُجْرَى « ما أحسنَ الرجُلَ » فهل يمكنكم أن توجدونا أفْعَلَ وصفا نَصَبَ اسما مضمرا أو علما أو اسما من أسماء الإشارة ؟ وإذا لم يمكن ذلك ووجدنا أفعل فى التعجب تعمل فى جميع أنواع المعارف النصبَ دلَّ على بطلان ما ذهبتم أليه من دعوى الأسمية .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه فعلٌ ماضٍ أنا وجدناه مفتوحَ الآخر ، ولولا أنه فعل ماض لم يكن لبنائه على الفتح وجه ؛ لأنه لو كان

أُسْمًا لارتفع لـكونه خبرا لِـ«ما» على كلا المذهبين ، فلما لزم الفتح آخرُهُ دل على أنه فعل ماض .

اعترضوا على هذا من وجهين ؛ أحدهما : أنهم قالوا : ما احتججتم به من فتح آخره ليس فيه حجة ؛ لأن التعجب أصله الاستفهام ، ففتحوا آخر أفْعَلَ فى التعجب ونصبوا زيداً فرقا بين الاستفهام والتعجب . والثانى : أنهم قالوا : إنما فتح آخر أفْعَلَ فى التعجب لأنه مبنى لتضمنه معنى حرف التعجب ؛ لأن التعجب كان يجب أن يكون له حرف كغيره من الاستفهام والشرط والنفى والنهى والتمنى والترجي والتعريف والنداء والعطف والتشبيه والاستثناء ، إلى غير ذلك ، إلا أنهم لـمـا لم ينطقوا بحرف التعجب وضَمَّنوا معناه هذا الـكلامَ استحقَّ البناء ، ونظير هذا أسماء الإشارة ؛ فإنها بنيت لتضمنها معنى حرف الإشارة ، و إن لم ينطق به فـكذلك هاهنا .

وما اعترضوا به ليس بصحيح : أما قولهم « إن التعجب أصله الاستفهام ففتحوا آخر أفْعَلَ فى التعجب للفرق بين الاستفهام والتعجب » فمجردُ دعوى لا يقوم عليها دليل ، إلا بوحى وتنزيل ، وليس ذلك سبيل ، مع أنه ظاهر الفساد والتعليل ؛ لأن التفريق بين المعانى لاتوجب إزالة الإعراب عن وجهه فى موضع ما ، فكذلك هاهنا ولأن التعجب إخبار يحتمل الصدق والـكذب ، [٦٢] والاستفهام استخبار لايحتمل الصدق والـكذب ؛ فلا يصح أن يكون أصلا له .

وأما قولهم « إنه بنى لتضمنه معنى حرف التعجب و إن لم ينطق به » ؛ فـكذلك نقول : كان يجب أن يوضع له حرف كما وضع لغيره من المعانى ، ولـكن لـما لم يفعلوا ذلك ضَمَّنوا « ما » معنى حرفه فبنوها ، كما ضمنوا « ما » الاستفهامية معنى الهمزة ، وضَمَّنوا « ما » الشرطية معنى إنِ التى وضعت للشرط ، و بنوها و إن لم يكن للكلمة

التى بعدها تعلق بالبناء ؛ فكذلك مابعد « ما » التعجبية لايكون له تعلق بالبناء ، فبان بذلك فسادُ اعتراضهم ، وأنه إنما فتح لأنه فعلٌ ماضٍ على مابينا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « الدليل على أنه اسم أنه لايتصرف » قلنا : عدم تصرفه لايدل على أنه اسم ؛ فإنا أجمعنا على أن « ليس ، وعَسَى » فعلان ، ومع هذا فإنهما لايتصرفان ، و إنما لم يتصرف فعل التعجب لوجهين: أحدها : أنهم لما لم يَضَعُوا للتعجب حرفا يدل عليه جعلوا له صيغة لاتختلف؛ لتكون أمارةً للمعنى الذى أرادوه ، وأنه مُضَمن معنى ليس فى أصله، والثانى ـ وهو الصحيح ـ إنما لم يتصرف لأن المضارع يحتمل زمانين الحال والاستقبال ، والتعجب إنما يكون مما هو موجود مشاهد ، وقد يتعجب من الماضى ، ولا يكون التعجب ممـــا لم يكن ، فكرهوا أن يستعملوا لفظاً يحتمل الاستقبال ؛ لئلا يصير اليقين شكا ، وأما قولهم « ما أملح مايَخْرُجُ هذا الغلام ، وما أطْوَلَ مايكون هذا » فلا يقال ذلك حتى يُرَى فيه مَخِيلَةُ ذلك ، فدلَّكَ مارأيتَ فى وقتك على مايكون بعد ذلك ، فكأنك قد شاهدته موجوداً ، ولما كرهوا استعمال المضارع كانوا لاستعمال اسم الفاعل أكْرَهَ لأنه لايختص زماناً بعينه ؛ فلهذا مَنَعُوه من التصرف، وعدم التصرف لايدل على أنه اسم كما قلنا فى « ليس ، وعسىء » .

وأما قولهم « إنه يصغر ، والتصغير من خصائص الأسماء » فنقول : الجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن التصغير فى هذا الفعل ليس على حد التصغيرفى الأسماء ؛ فإن التصغير على اختلاف ضروبه : من التحقير كقولك رُجَيْل ، والتقليل كقولك دُرَيْهمات ، والتقريب كقولك قُبَيْل المغرب ، والتعطف كقوله صلى الله عليه وسلم « أُصَيْحَابِى أُصَيْحَابِى » والتعظيم [٦٣] كقول الشاعر :

٨٦ — وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَــــا الأَنَامِـــلُ

يريد الموت ، ولا داهية أعظم من الموت ، والتمدُّح كقول الْحُبَابِ بن المنذر يوم السَّقِيفَةِ : « أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ » فإنه يتناول الاسم لفظا ومعنى ، والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظا لامعنى ، من حيث كان متوجِّهاً إلى المصدر ، وإنمـــا رَفَضُوا ذكر المصدر هاهنا لأن الفعل إذا أزيل عن التصرف لايؤكد بذكر المصـدر ؛ لأنه خرج عن مذهب الأفعـال ، فلما رَفَضُوا المصدر وآثروا تصغيره صَغَّروا الفعـــل لفظاً ، ووجَّهُوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله ؛ لأن الفعل يقوم فى الذكر مقام مصدره ؛ لأنه يدل عليه بلفظه ، ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله ، وإن لم يَجْرِ له ذكر ، قال الله تعالى : (ولا يحسَبَنَّ الذين يبخلون بمـا آتاهم الله

---

٨٦ — هذا البيت من كلام لبيد بن ربيعة العامرى ، وقد استشهد به ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٧٠٩) والمحقق رضى الدين فى شرح شافية ابن الحاجب (رقم ٣٨) . والأناس : هو أصل الناس ، وحذفت الهمزة من الأناس للتخفيف ، وهذا عند من يرى أن الناس مأخوذ من الأنس ، ومن العلماء من يذهب إلى الناس مأخوذ من النوس ومعناه الحركة ، ومنهم من يذهب إلى أن الناس مأخوذ من النسيان ، و « سوف » فى هذا الموضع للتحقيق والتأكيد ، و « دويهية » تصغير داهية ، وأصل الداهية المصيبة من مصائب الدهر ، وأراد بها ههنا الموت ، ويروى فى مكانه « خويخية » وهو مصغر الخوخة — بفتح الخاءين وسكون الواو بينهما — والمراد بالمصغر الداهية أيضا ، وقوله « تصفر منها الأنامل » أراد بالأنامل ههنا الأظفار ؛ لأنها هى التى تصفر بالموت ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « دويهية » فإن تصغير هذه الكلمة عند علماء الكوفة للتعظيم ، لا للتحقير ، وقد حقق العلامة رضى الدين أن تصغير هذه الكلمة للتحقير ، لا للتعظيم كما زعمه الكوفيون ، وكذلك قال ابن يعيش وفسره بقوله « فالمراد أن أصغر الأشياء قد يفسد الأصول العظام » اهـ

من فضله هو خيراً لهم) قوله (هو) ضمير للبخل و إن لم يكن مذكوراً ؛ لدلالة (يبخلون) عليه ، ومنه قولهم « مَنْ كذب كان شراً له » أى كان الكَذِبُ شراً له ، ومنه قول الشاعر :

٨٧ — إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ ، وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ

---

٨٧ — هذا البيت من الشواهد التى لم أقف لها على نسبة إلى قائل معين ، وقد أنشده رضى الدين فى شرح الكافية (٢/٤) وذكر البغدادى فى الخزانة (٢/٣٨٤) أن جماعة من النحاة أنشدوه منهم ابن جنى فى إعراب الحماسة والفراء فى معانى القرآن وثعلب فى أماليه ، ولم يعزه واحد منهم ، وزجر — بالبناء للمجهول — ويروى « إذا نهى السفيه » ومتعلق الزجر أو النهى عام ، والتقدير : إذا زجر عن شىء ما ، أو إذا نهى عن شىء ما ، والسفيه : وصف من السفه ، وهو الطيش والحمق ورقة العقل ، وجرى : سارع ، ومفعول « خالف » محذوف للعلم به ، وتقدير الكلام : خالف زاجره أو خالف ناهيه ، وجملة « والسفيه إلى خلاف » للتذييل ، والمعنى : ومن شأن السفيه وديدنه وطبعه مخالفة ناصحه . والاستشهاد بالبيت فى قوله « جرى إليه » فإن مرجع الضمير المجرور محلا بإلى لم يتقدم صريحا فى الكلام ، ولكن تقدم الوصف الدال عليه وهو قوله « السفيه » فإن هذه الكلمة دالة على الذات والحدث الذى تتصف به وهو السفه ، فاكتفى الشاعر بتقدم المرجع فى ضمن الوصف ، ونظيره قوله تعالى : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) فإن « هو » فى هذه الآية راجع إلى البخل المستفاد من « يبخلون » ولم يتقدم ذكر البخل صراحة ، وقوله تعالى : (اعدلوا هو أقرب للتقوى) فإن «هو» راجع إلى العدل، ولم يتقدم ذكر العدل صراحة ولكنه تقدم فى ضمن قوله « اعدلوا » لأن الفعل يدل على الحدث والزمان كما هو معلوم ، ونظيرهما قوله جلت كلمته : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا) فإن فاعل «زادهم» ضمير مستتر جوازا تقديره هو يعود إلى قول الناس ولم يتقدم صراحة ، وإنما تقدم فى ضمن الفعل الذى هو قوله « قال لهم الناس » ونظير ذلك أيضا قوله تباركت أسماؤه : (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر ، ولم يتقدم ذكر الشكر صراحة ، ولكنه تقدم فى ضمن قوله سبحانه (وإن تشكروا) .

يريد جَرَى إلى السَّفَه ، وهذا كثير فى كلامهم ؛ فكما أنه يجوز أن يعود الضمير إلى المصدر وإن لم يَجْرِ له ذكر استغناء بذكر فعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظَ الفعل إلى مصدره وإن لم يَجْرِ له ذكر ، ونظيرُ هذا إضافتهم أسماء الزمان إلى الفعل نحو قوله تعالى : (هذا يَوْمُ ينفعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) وإن كانت الإضافة إلى الأفعال غير جائزة ، وإنما جاز ذلك لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره من حيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ؛ فالتقدير فيه : هذا يومُ نَفْعِ الصادقين صدقُهم ، وإنما خصوا أسماء الزمان[1] بهذه الإضافة لما بين الزمان والفعل من المناسبة ، من حيث اتفقا فى كونهما عَرَضين ، وأن الزمان حركات الفلك كما أن الفعل حركة الفاعل ، وكما أن هذه الإضافة لفظية ، فكذلك التصغيرُ اللاحقُ فعلَ التعجبِ لفظىٌّ ، وكما أن هذه الإضافة لا اعتداد [٦٤] بها ، فكذلك هذا التصغير لا اعتداد به .

والوجه الثانى : إنما دخله التصغير حملا على باب أفْعَلَ الذى للمفاضَلَة ؛ لاشتراك اللفظين فى التفضيل والمبالغة ، ألا ترى أنك تقول « ما أحْسَنَ زيداً » لمن بلغ الغايَةَ فى الحسن ، كما تقول « زيد أحْسَنُ القومِ » فتجمع بينه وبينهم فى أصل الحسن وتفَضِّله عليهم ؛ فلوجود هذه المشابهة بينهما جاز « ما أُحيسن زيداً ، وما أميلح غزلاناً » كما تقول : « غلمانك أُحَيْسِنُ الغلمان ، وغزلانك أُمَيْلِحُ الغزلان » ولهذه المشابهة حملوا « أفْعَلَ منك » و « هو أفْعَلُ القوم » على قولهم « ما أفْعَلَه » فجاز فيهما ما جاز فيه ، وامتنع منهما ما امتنع منه ، ألا ترى أنك لا تقول « هو أعْرَجُ منك » ولا « أعْرَجُ القومِ » لأنك لا تقول « ما أعْرَجَهُ » وتقول « هو أقبح عَرَجاً منك » و « هو أقبح القوم عَرَجاً » كما تقول « ما أقبح

(١) أضيف بعض أسماء المكان أيضا إلى الجملة الفعلية ، ومنه قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) .

عَرَجَهُ » وكذلك لا تقول « هو أحسن منك حسنا » فتؤكده بذكر المصدر ؛ لأنك لا تقول « ما أحسن زيدا حسنا » فأما قولهم « ألجُّ لَجَاجَةً منَ الْخُنْفُسَاءِ » وما أشبهه فمنصوب على التمييز .

والوجه الثالث : إنما دخله التصغير لأنه أُلْزِمَ طريقةً واحدة ، فأشبه بذلك الأسماء ، فدخله بعضُ أحكامها ، وحَمْلُ الشيء على الشيء فى بعض أحكامه لا يخرجه عن أصله ، ألا ترى أنَّ اسم الفاعل محمول على الفعل فى العمل ، ولم يخرج بذلك عن كونه اسما ، وكذلك الفعلُ المضارعُ محمولٌ على الاسم فى الإعراب ، ولم يخرج بذلك عن كونه فعلا ؛ فكذلك تصغيرهم فعل التعجب تشبيهاً بالاسم لا يخرجه عن كونه فعلا .

وأما ما ذكروه من « ليس ، وعسى » فالكلام عليه من أربعة أوْجُهٍ :

أحدها : أن « ليس ، وعسى » وإن كانا قد أشبها فعل التعجب فى سَلْبِ التصرف فإنهما قد فارقاه من وجهين ؛ أحدها : أنهما يرفعان الظاهر والمضمر ، كما ترفعهما الأفعال المتصرفة ، فبَعُدَا عن شبه الاسم ، وأفعل فى التعجب إنما يرفع المضمر دون الظاهر ، فقرب من الاسم الجامد ؛ فلهذا دخله التصغير دونهما .

والثانى : أنَّ « ليس ، وعسى » وُصِلاَ بضمائر المتكلمين والمخاطبين والغائبين ، نحو : لست ولستم وليسوا ،وعسيت وعسيتُمْ وعَسَوْا ، كما تتصل بالأفعال المتصرفة ، وأفعل فى التعجب أُلْزِمَ ضمير الغيبة لا غير ، فلما تصرف ليس وعسى فى الاتصال بضمائر الأفعال الماضية هذا التصرف وألزم [٦٥] هذا الفعل فى الإضمار وجها واحداً جاز أن يدخله التصغير دونهما .

والثالث : أن «ليس ، وعسى» لامصدر لهما من لفظهما ، فتنزل اللفظ بهما منزلة اللفظ به ، والتصغير هاهنا فى الحقيقة للمصدر ، فإذا لم يكن لهما مصدرمن لفظهما بطل تصغيرهما ، بخلاف فعل التعجب؛ فإن له مصدرا من لفظه نحو الحسن والملاحة وإن

لم يكن جاريا عليه على مايقتضيه القياس ، فقام تصغيرُهُ مَقَامَ تصغير مصدره ، فبان الفرق بينهما .

والرابع : أن « ليس ، وعسى » لانظير لهما من الأسماء يحملان عليه كما حمل ما أَفْعَلَهُ على أفْعَلَ الذى للمفاضلة ؛ فيحمل « ما أحسنهم » على قولهم «هو أحسنهم» فبان الفرق بينهما .

فإن قالوا : هذا يبطل بنعم و بئس ؛ فإنهما للمبالغة فى المدح والذم ، كما أن التعجب موضوع للمبالغة ، و إنهما لايتصرفان ، ومع هذا فلا يجوز تصغيرهما .

قلنا : هذا الإلزام على مذهبكم ألزم ؛ لأنهما عندكم اسمان كأفعل فى التعجب ؛ فهلا جاز فيهما التصغير كما جاز فيه ؟ فإن قلتم « إن ذلك لم يسمع من العرب » قلنا : كما قلتم ، ثم فرقنا بينهما ، وذلك أنهما و إن كانا لايتصرفان فهما أشبه منه بالأفعال المتصرفة ، وذلك من ثلاثة أوجه ؛ أحدها : اتصالُ الضميرِ بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف نحو قولهم « نعما رجلين ، ونعموا رجالا » والثانى : اتصالُ تاء التأنيث الساكنة بهما نحو « نعمت المرأة ، و بئست الجارية » والثالث : أنهما يرفعان الظاهر والمضمر كالفعل المتصرف ، فلما قربا من الفعل المتصرف هذا القرب بَعُدَا من الاسم ؛ فلهذا لم يجز تصغيرهما ، بخلاف فعل التعجب على مابينا ، وأما مثال « أَفْعِلْ به » فإنما لم يجز تصغيره لأنه لانظير له فى الأسماء إلا أَصْبِع ؛ وهى لغة رديئة فى إصْبَع ـ وفيها سبع لغات : فُصْحَاهن إصبع ـ بكسر الهمزة وفتح الباء ـ ثم أُصْبَع ـ بضم الهمزة وفتح الباء ـ ثم أَصْبَع ـ بفتح الهمزة والباء ـ ثم أُصْبُع ـ بضم الهمزة والباء ـ ثم إصْبِع ـ بكسر الهمزة والباء ـ ثم أَصْبِع ـ بفتح الهمزة وكسر الباء ـ ثم أصبوع ـ وإذا لم يكن له فى كلامهم نظير سوى هذا الحرف فى لغة رديئة باعَدَه ذلك من الاسم ، فلم يجز فيه التصغير . ألا ترى أن وزن الفعل الذى يغلب عليه أو يَخُصُّه أحَدُ الأسباب المانعة من الصرف ، فإذا كان الاسم يقرب من الفعل [٦٦]

لمجيئه على بعض أبنيته حتى يكون ذلك علة مانعة له من الصرف فكذلك الفعلُ يبعد من الاسم لمخالفته له فى البناء ، هذا مع أن لفظه لفظ الأمر ، والأمر يختص به الفعل ، فأما ماجاء من الأسماء مضمناً معنى الأمر نحو «صَهْ،ومَهْ» وما أشبه ذلك فإنه أقيم مقام الأفعال وهى الأصل فى الأمر ، وإنما فعلوا ذلك توخِّياً للاختصار لئلا يفتقر إلى إظهار ضمير التثنية والجمع والتأنيث الذى يظهر فى الفعل نحو « اسْكُتَا ، واسْكُتُوا ، واسْكُتْنَ » وما أشبه ذلك .

وأما قولهم « الدليل على أنه اسم تصحيح عينِهِ فى « ما أقْوَمَهُ ، وما أبْيَعَهُ » قلنا : التصحيح حصل له من حيث حصل له التصغير ، وذلك بحَمله على باب أفْعَلَ الذى للمفاضلة ، فصحح كما صحح من حيث إنه غلب عليه شبَهُ الأسماء بأن ألزم طريقة واحدة ، والشبه الغالب على الشىء لايخرجه عن أصله ، ألا ترى أن الأسماء التى لاتنصرف لما غلب عليها شبه الفعل منعت الجر والتنوين كما منعهما الفعل ، ولم تخرج شبهها للفعل عن أن تكون أسماء ؛ فكذلك هاهنا : تصحيح العين فى نحو : ماأقْوَمَهُ ، وما أبْيَعَهُ » لايخرجه عن أن يكون فعلا، على أن تصحيحه غير مستنكر فى كلامهم ؛ فإنه قد جاءت أفعال متصرفة مصححة فى نحو قولهم : أغْيَلَتِ المرأة ، وأغْيَمَتِ السماء ، واسْتَنْوَقَ الجمل ، واسْتَتْيَسَتِ الشاة ، واسْتَحْوَذَ يستحوذُ . قال الله تعالى : (اسْتَحْوَذَ عليهم الشيطان) وقال تعالى : (ألم نَسْتَحْوِذْ عليكم ونمنعكم من المؤمنين) وقد قرأ الحسن البصرى : (حتى إذا أَخَذَتِ الأرْضُ زخرفهَا وأزْيَنَتْ) على وزن أفْعَلَتْ ، ونحو قولهم : اسْتَصْوَبْتُ ، وأجْوَدْتُ ، وأطْيَبْتُ ، وأطْوَلْتُ ، قال الشاعر :

٨٨ — صَدَدْتِ وَأَطْوَلْتِ الصُّدُودَ ، وَقَلَّمَا
وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يدُومُ

---

٨٨ — هذا البيت للمرار الفقعسى،وقد أنشده ابن منظور فى اللسان (ط و ل)=

. . . .

= ولم يعزه ، وقد استشهد به سيبويه (١/١٢و٤٥٩) وقد نسب فى صدر الكتاب إلى عمر بن أبى ربيعة ، ونسب فى شواهد الأعلم إلى المرار الفقعسى كما ذكرنا ، وممن استشهدبه ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم٥١٤) ورضى الدين فى شرح الكافية(٢/٣٢٠) وانظر خزانة البغدادى (٤/٢٨٧)وابن يعيش (ص ١٤١٧) وقوله « صددت » معناه أعرضت،و«أطولت» كان قياسه أن يقول «أطلت» بحذف العين التى هى الواو؛لأن هذه الواو تنقلب ألفا فى الفعل،تقول:أطال،وأقام، وأفاء ،وأقاد،وأنال،وأمال ،وما أشبه ذلك، فإذا وصلت تاء الضمير بالفعل حذفت هذه الألفات فقلت: أطلت،وأقمت،وأفأت،وأقدت، وأنلت ، وأملت ، وذلك لأن آخر الفعل يسكن عند اتصال الضمائر المتحركة به ، فيلتقى ساكنان : الألف المنقلبة عن الواو أو الياء ، وآخر الفعل ،فتحذف الألف للتخلص من التقاء الساكنين ، هذه لغة جمهرة العرب ، ومن العرب من لا يقلب حرف العلة ألفا ، بل يبقيه على أصله فى صيغة أفعل وصيغة استفعل ، فيقول : أغيمت السماء ،وأغيل الصبى ، واستتيست الشاة ، واستنوق الجمل ، فإذا اتصل الفعل بالضمير المتحرك على هذه اللغة لم يلتق ساكنان فيبقى الفعل على حاله ، وعلى هذه اللغة جاءت هذه الكلمة ، وانظر كتابنا « دروس التصريف ص ١٦٤» . والاستشهاد بالبيت هنا فى قوله « أطولت » حيث صحت عين الفعل مع أن قياس نظائرها أن تعتل بقلبها ألفا ثم تحذف الألف عند الاتصال بالضمائر المتحركة ، فى لغة جمهرة العرب ، على ما بينا ، وقد أتى الشاعر بهذا الفعل على أصله من غير أن يقلب أو يحذف ، والعلماء يختلفون فى هذا وأشباهه ؛ فمنهم من يقول : هو شاذ يحفظ ماسمع منه ولا يقاس عليه ، ومنهم من يقول : هو لغة لجماعة من العرب ، يجوز القياس عليها ، وفى قول الشاعر « وقلما وصال — إلخ » شاهد آخر للنحاة ، وذلك حيث اتصلت « ما » بقل ، واعلم أولا أن « ما » هذه تتصل بثلاثة أفعال — وهى قل ، وطال ، وكثر — تقول : قلما كان ذلك ، وطالما نهيتك عن الشر ، وكثر ما أرشدتك ، هذا هو الأصل ، نعنى أنه إذا اتصلت « ما » بواحد من هذه الأفعال الثلاثة كفته عن طلب الفاعل ووليه الفعل ، وربما وليه الاسم المرفوع كما فى هذا البيت ، وللعلماء فى ذلك الأسلوب أربعة أقوال : الأول أن « ما » كافة على أصلها ولا يحتاج الفعل المقترن بها إلى فاعل،والاسم المرفوع بعدها مبتدأ خبره مابعده ، وهذا =

وإذا جاء التصحيح فى هذه الأفعال المتصرفة تنبيها على الأصل مع بُعدها عن الاسم فما ظنك بالفعل الجامد الذى لا يتصرف ؟

فإن قالوا : التصحيح فى هذه الأفعال إنما جاء عن طريق الشذوذ ، وتصحيح أفْعَلَ فى التعجب قياس مطرد .

قلنا : قد جاء التصحيح فى الفعل المتصرف على غير طريق الشذوذ ، وذلك نحو تصحيح « حَوِلَ ، وعَوِرَ ، وصَيِدَ » حملا على « احْوَلَّ ، واعْوَرَّ ، واصْيَدَّ » وكذلك جاء [٦٧] التصحيح أيضاً فى قولهم « اجْتَوَروا ، واعْتَوَنوا » حملا على « تجاوَروا ، وتعاوَنوا » فكذلك أيضاً ها هنا : حمل « ما أقْوَمَهُ وما أبْيَعَهُ » على « هذا أقْوَمُ منك ، وأبْيَعُ منك » ومع هذا فلا ينبغى أن تحكموا له بالأسمية لتصحيحه ؛ لأن أفْعِلْ به قد جاء مصححاً وهو فعل ، كما أن التصحيح فى قولهم « أقْوِمْ بِهِ ، وأبْيِعْ به » لا يخرجه عن كونه فعلا ، فكذلك التصحيح فى ما أفْعَلَه لا يخرجه عن كونه فعلا .

وأما قولهم « لو كان التقدير فيه شىء أحْسَنَ زيداً لوجب أن يكون التقدير فى قولنا ما أعْظَمَ الله شىء أعظم الله ، والله تعالى عظيم لا بجَعل جاعل » قلنا : معنى قولهم شىء أعظم الله أى وَصَفَه بالعظمة ، كما يقول الرجل إذا سمع الأذان : كَبَّرْتَ كبيراً ، وعَظَّمْتَ عظيما ، أى وَصَفْتَه بالكبرياء والعظمة ، لا صَيَّرته

= هو ما ذهب إليه سيبويه ، وجعل ذلك من ضرورات الشعر ، والثانى أن «ما» هذه زائدة لا كافة ، والاسم المرفوع بعدها فاعل ، وكأن الشاعر قد قال : وقل وصال يدوم على طول الصدود ، والثالث : أن « ما » كافة أيضا ، والاسم المرفوع بعدها فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل الآخر ، وكأنه قد قال: قلما يدوم وصال على طول الصدود ، وهو مذهب ذهب إليه الأعلم الشنتمرى ، والرابع أن «ما» حينئذ كافة أيضا ، والاسم المرفوع بعدها فاعل بنفس الفعل المتأخر ، وهذا مذهب كوفى ؛ لأنهم هم الذين يجوزون تقدم الفاعل على ما هو معلوم .

كبيراً عظيما ، فكذلك ها هنا ، ولذلك الشىء ثلاثة معَانٍ : أحدها أن يُعْنَى بالشىء مَنْ يعظمه من عباده ، والثانى : أن يُعْنَى بالشىء ما يدل على عظمة الله تعالى وقدرته من مصنوعاته ، والثالث : أن يُعْنَى به نفسه ، أى أنه عظيم لنفسه لا لشىء جعله عظيما ، فرقا بينه و بين خلقه .

وحُكِىَ أنَّ بعض أصحاب أبى العباس محمد بن يزيد المبرد قَدِمَ من البصرة إلى بغداد قبل قدوم المبرد إليها ، فحضر فى حلقة أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، فسئل عن هذه المسألة ، فأجاب بجواب أهل البصرة ، وقال : التقدير فى قولهم « ما أحْسَنَ زيداً » شىء أحسن زيداً ، فقيل له : ما تقول فى قولنا « ما أعظم الله ؟ » فقال : شىء أعظم الله ، فأنكروا عليه ، وقالوا : هذا لا يجوز ؛ لأن الله تعالى عظيم لا بجَعْلِ جاعل ، ثم سَحَبُوه من الحلقة وأخرجوه ، فلما قدمَ المبرد إلى بغداد أوردوا عليه هذا الإشكال ، فأجاب بما قدمنا من الجواب ، فبان بذلك قبح إنكارهم عليه ، وفساد ما ذهبوا إليه .

وقيل : يحتمل أن يكون قولنا « شىء أعظم الله » بمنزلة الإخبار أنه عظيم ، لا على معنى شىء أعظمه ؛ فإن الألفاظ الجارية عليه سبحانه يجب حملها على ما يليق بصفاته ، ألا ترى أن « عسى ، ولعل » فيها طَرَفٌ من الشك ، ولا يحمل فى حقه سبحانه على الشك ، وكذلك الامتحان يحمل منا على معان تستحيل فى حقه سبحانه ، إلى غير ذلك مما لا يُحْصَى كثرةً ، فكذلك ها هنا : يكون المراد بقولهم « ما أعْظَمَ الله » الإخبار أنه [٦٨] عظيم ، لا شىء جعله عظيماً لاستحالته ؛ و إن كان ذلك يقدَّر فى غيره لجوازه وعدم استحالته .

وأما قول الشاعر :

مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُدْنِى عَلَى شَحَطٍ
مَنْ دَارُهُ الحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ [٧٩]

فإنه وإن كان لفظه لفظ تعجب فالمراد به المبالغة فى وصف الله تعالى بالقدرة ، كقوله تعالى : (فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا) لجاء بصيغة الأمر ، وإن لم يكن فى الحقيقة أمراً ؛ لامتناع ذلك فى حق الله تعالى ، وإن شئت قَدَّرته تقدير : « ما أعْظَمَ اللهَ » على ما بينا ، والله أعلم .

١٦ — مسألة

[القول فى جواز التعجب من البياض والسواد ، دون غيرهما من الألوان][1] .

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يستعمل « ما أفْعَلَه » فى التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان ، نحو أن تقول : هذا الثوب ماأبْيَضَهُ ، وهذا الشَّعْرُ ما أسْوَدَهُ . وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز فيهما كغيرهما من سائر الألوان .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جوزنا ذلك للنقلِ ، والقياسِ :

أما النقلُ فقد قال الشاعر :

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل لابن يعيش (ص ٨٤٧ و١٠٤٦) وشرح كافيه ابن الحاجب للرضى (٢/١٩٨) وأسرار العربية لصاحب الإنصاف (ص ٥١ ليدن) وقد بنى رضى الدين الكلام على أنه لا يبنى اسم التفضيل من فعل الألوان ، جعل «أبيضهم، وأسودهم » أفعل تفضيل ، وأنت ترى المؤلف يبنى الكلام على أنه لا يبنى فعل التعجب من الفعل الدال على الألوان ، ثم يستشهد بالشواهد التى تشتمل على أفعل التفضيل ، والخطب فى ذلك سهل ؛ لأنك تعلم أن كل ما يشترط فى صوغ أفعل التفضيل هو بعينه يشترط فى اشتقاق صيغ التعجب ، وقد ذكر المؤلف نفسه ذلك ، ثم انظر شرح الأشمونى (٤/٢٥٤ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٣/١٩ و٣٧) والتصريح للشيخ خالد (٢/١١٣ — ١١٦ بولاق) ولسان العرب (ب ى ض)

٨٩ — إِذَا الرِّجَالُ شَتَوْا وَاشْتَدَّ أَكْلُهُمُ
فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

وَجْهُ الاحتجاج أنه قال « أَبْيَضُهُمْ » وإذا جاز ذلك فى « أفعلهم » جاز فى « ما أفعَلَه، وأفعِلْ به » لأنهما بمنزله واحدة فى هذا الباب ، وقد قال الشاعر :

٩٠ — جَارِيَةٌ فى دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ تُقَطِّعُ الْحَدِيثَ بِالْإِيمَاضِ

---

٨٩ — روى صاحب اللسان (ب ى ض) هذا البيت كما رواه المؤلف ، ولم يعزه لقائل معين ، ورواه ابن يعيش (ص ٨٤٧و١٠٤٦) كذلك من غير عزو ، ورواه فى مجمع الأمثال (٨١/١بتحقيقنا) ونسب قوم هذا البيت إلى طرفة بن العبد البكرى من أبيات يهجو فيها عمرو بن هند الملك ، لكننى رجعت إلى ديوان طرفة فوجدت فيه (ص ١٥) أبياتا يهجو فيها عمرو بن هند فيها كلته التى يستشهد بها المؤلف ، لكن رواية هذا البيت على غير ماجاء فى اللسان وفى كلام المؤلف ، وهى هكذا :

أنت ابن هند فأخبر من أبوك إذا لا يصلح الملك إلا كل بذاخ
إن قلت نصر فنصر كان شر فتى قدما ، وأبيضهم سربال طباخ

وقوله «إذا الرجال شتوا» أى صاروا فى زمان الشتاء ، والشتاء عندهم هو زمان القحط والجدب ، وفيه يظهر كرم الكرام وبخل البخلاء ، وقوله « واشتد أكلهم » أراد أنه تعسر على أكثرهم الحصول على ما يأكلون ، وقوله « فأنت أبيضهم سربال طباخ » معناه أن ثياب طباخك تكون فى هذا الوقت بيضاء شديدة البياض نقية من الوضر ودهن اللحم وغيره ، يريد أنه لا يطبخ فلا تتدنس ثيابه ، وهذه العبارة كناية عن شدة البخل . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أبيضهم » حيث اشتق أفعل التفضيل من البياض ، وهذا مما يجيزه الكوفيون ، ويأباه البصريون ، وقد اختلفوا فى التعليل للمنع ؛ فمنهم من ذهب إلى أن السر فى منع صوغ أفعل التفضيل وصيغتى التعجب من الألوان أن الألوان من المعانى اللازمة التى تشبه أن تكون خلقة كاليد والرجل ، ومنهم من ذهب إلى أن سبب المنع هو كون أفعال الألوان ليست ثلاثية مجردة . وإنما تأتى أفعال الألوان على أحد مثالين : أولهما افعلّ ـ بتشديد اللام ـ نحو ابيض واسود ، والثانى افعالّ ـ بزيادة ألف بعد العين وبتشديد اللام ـ نحو ادهام وابياض واسواد وما أشبه ذلك .

٩٠ — نسب البغدادى نقلا عن ابن هشام اللخمى (٤٨٣/٣) هذا الرجز إلى=

* أبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أبَاضِ *

فقال « أبيض » وهو أفعل من البياض ، وإذا جاز ذلك فى أفعل من كذا جاز فى ما أفْعَلَه وأفْعِلْ به ؛ لأنهما بمنزلة واحدة فى هـذا الباب ، ألا ترى أن ما لا يجوز فيه ما أفعله لا يجوز فيه أفعل من كذا ، وكذلك بالعكس منه : ماجاز فيه ما أفعله جاز فيه أفعل من كذا ، فإذا ثبت أنه يمتنع فى كل واحد منهما ما يمتنع فى الآخر ، ويجوز فيه ما يجوز فى الآخر ، دَلَّ على أنهما بمنزلة واحدة ، [٦٩] وكذلك القول فى « أفْعِلْ به » فى الجواز والامتناع ، فإذا ثبت هـذا فوجب أن يجوز استعمال ما أفعلَهُ من البياض .

وأما القياس فقالوا : إنما جوزنا ذلك من السواد والبياض دون سائر الألوان لأنهما أصْلاَ الألوانِ ، ومنهما يتركب سائرها من الحمرة والصفرة والخضرة والصُّهْبة

= رؤبة بن العجاج، وقد أنشده رضى الدين فى شرح الكافية (٢/١٩٩) وابن يعيش (٨٤٧ و ١٠٤٦) وابن منظور (ب ى ض) والميدانى فى مجمع الأمثال (١/٨١ بتحقيقنا) ولم يعزه أحد منهم إلى قائل معين، والدرع ـ بكسر فسكون ـ القميص ، والفضفاض : الواسع ، ويروى بدل البيت الأول

* جارية فى رمضان الماضى *

ومعنى قوله « تقطع الحديث بالإيماض » أن القوم إذا كانوا يتحدثون فأومضت تركوا الحديث واشتغلوا بالنظر إليها لبراعة جمالها ، وبنو أباض ـ بفتح الهمزة ـ قوم اشتهروا ببياض ألوانهم . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أبيض » حيث جاء بأفعل التفضيل من البياض ، وهو يشهد للكوفيين الذين يجيزون مجىء أفعل التفضيل وصيغتى التعجب من خصوص البياض والسواد دون سائر الألوان لكونهما أصلا الألوان كلها، والبصريون يمنعون ذلك ، ويحكمون على ما جاء من كلام العرب مما ظاهره ذلك بأنه شاذ ، أو يكون « أفعل » فى مثل قول هذا الراجز صفة مشبهة لا أفعل تفضيل ، وقد ذكر ذلك المؤلف وابن يعيش فى الموضعين اللذين أرشدناك إليهما من شرحه على المفصل

ونظير ذلك قول أبى الطيب المتنبى يذم الشيب :

ابعد بعدت بياضا لا بياض له   لأنت أسود فى عينى من الظلم

والشُّهْبَة والكُهْبَة إلى غير ذلك ، فإذا كانا هما الأصلين للالوان كلها جاز أن يثبت لهما مالا يثبت لسائر الألوان ؛ إذ كانا أصلين لها ومتقدمين عليها .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه لا يجوز استعمال « ماأفْعَلَه » من البياض والسواد أنا أجمعنا على أنه لا يجوز أن يستعمل مما كان لونا غيرهما من سائر الألوان ؛ فكذلك لا يجوز منهما ، وإنما قلنا ذلك لأنه لا يخلو امتناع ذلك : إما أن يكون لأن باب الفعل منهما أن يأتى على أُفْعَلّ نحو أُحمرَّ واصفرَّ واخضرَّ وما أشبه ذلك ، أو لأن هذه الأشياء مستقرة فى الشخص لا تكاد تزول فجرت مَجْرى أعضائه ، وأى العلتين قدرنا وجدنا المساواة بين البياض والسواد وبين سائر الألوان فى علة الامتناع ؛ فينبغى أن لا يجوز فيهما كسائر الألوان .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقول الشاعر :

* فأنت أبيضهم سربال طباخ * [٨٩]

فلا حجة فيه من وجهين ؛ أحدهما : أنه شاذ فلا يؤخذ به ، كما أنشد أبو زيد :

٩١ — يَقُولُ الْخَنَا وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً إِلَى رَبِّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدَّعُ

---

٩١ — هذان البيتان من كلام ذى الخرق الطهوى ، وليسا متتاليين فى كلامه كما قد يظن من صنيع المؤلف ، بل بين أولهما وثانيهما بيتان ، وقد استشهد بالبيت الأول رضى الدين فى شرح الكافية، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/١٥ و٢/٤٨٨) وأنشده ابن منظور (جدع) مع بيت سابق عليه ونسبهما لذى الخرق، وأنشده مرة أخرى(لوم) وذكر له نظائر كثيرة ، وأنشده الأشمونى (١/١٧١ بتحقيقنا)واستشهد به ابن هشام فى المغنى (رقم ٦٨) وقد روى أبو زيد فى نوادره (ص ٦٦و٦٧) سبعة أبيات يقع أول هذين البيتين ثانيها ، ويقع ثانى البيتين خامسها، والخنى: الفاحش من الكلام ، وأبغض : أفعل تفضيل من البغض، وفعله بغض فلان إلى، وتقول: ما أبغضنى إلى فلان؛ إذا كان هو المبغض لك، وقالوا: ما أبغضنى لفلان؛ إذا كنت المبغض له، والعجم: جمع أعجم أو عجماء، والأعجم: الحيوان=

وَيَسْتَخْرِجُ الْيَرْبُوعَ مِنْ نَافِقَائِهِ وَمِنْ جُحْرِهِ بِالشِّيخَةِ الْيَتَقَصَّعُ

فأدْخَلَ الألف واللام على الفعل ، وأجمعنا على أن استعمال مثل هـــذا خطأ لشذوذه قياساً واستعمالا ، فـكذلك ها هنا ، وإنمـا جاء هذا لضرورة الشعر ، والضرورة لا يقاس عليها ، كما لو اضطر إلى قصر الممدود على أصلنا وأصلـكم أو إلى مَدِّ المقصور على أصلـكم ، وعلى ذلك سائر الضرورات ، ولا يدل جوازه فى الضرورة على جوازه فى غير الضرورة ، فـكذلك ها هنا ، فسقط الاحتجاج به . وهذا هو الجواب عن قول الآخر :

* أبيض من أخت بنى أباض * [٩٠]

[٧٠] والوجه الثانى : أن يكون قوله « فأنت أبيضهم » أفعل الذى مؤنثه فَعْلَاء كقولك أبيض و بيضاء ، ولم يقع الـكلام فيه ، وإنما وقع الـكلام فى أفعل الذى يراد به المفاضلة نحو « هـذا أحسنُ منه وجها ، وهو أحسنُ القوم وجها » فـكأنه قال مُبْيَضّهِمْ ، فلما أضافه انتصب ما بعده عن تمام الاسم ، وهذا هو

= الذى لا ينطق ؛ والأعجم من الإنسان الذى فى كلامه عجمة، شبهوه بالحيوان الأعجم، واليجدع : الذى يقطع أنفه ، أو أذنه ، أو يده ، أو شفته ، كل ذلك يقال ، واليربوع : دويبة تحفر الأرض ، والنافقاء : جحر يكتمه اليربوع ويستره ويظهر جحرا آخر غيره ، وقوله « بالشيخة » هو بالخاء المعجمة رملة بيضاء فى بلاد بنى أسد وحنظله ، واليتقصع : أراد الذى يتقصع ، وتقول « تقصع اليربوع » إذا دخل فى قاصعائه ، والقاصعاء : جحر آخر من جحرة اليربوع . والاستشهاد بالبيت الأول فى قوله « اليجدع » والاستشهاد بالبيت الثانى فى قوله « اليتقصع » فإنه أراد الذى يجدع والذى يتقصع ، فوصل أل الموصولة بالفعل المضارع ، وقد اتفق الفريقان على أن وصل ال الموصولة بالفعل المضارع شاذ ، هكذا قال المؤلف، لـكن الذى نعرفه أن من الـكوفيين قوما يجيزون ذلك فى الاختيار ، وقد ذهب ابن مالك إلى مذهب وسط بين المذهبين ، فقال : إن ذلك قليل لا شاذ ، وانظر التصريح للشيخ خالد الأزهرى (١/١٦٩) وشرح الأشمونى بتحقيقنا (١/١٧١) فقد ذكرنا ثمة كثيرا من الشواهد ، وحاشية الصبان (١/١٦١ بولاق)

الجواب عن قول الآخر * أبْيَضُ مِنْ أختِ بنى أباض * [٩٠] ومعناه : فى درعها جسد مُبيض من أخت بنى أباض ، ويكون « مِنَ أختِ » ها هنا فى موضع رفع ؛ لأنها صفة لأبيض ، كأنه قال أبيضُ كائنٌ من أخت ، كقولهم « أنتَ كريمٌ من بنى فلان » ونحوه قول الشاعر :

٩٢ — وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهْ

---

٩٢ — أنشد البغدادى هذا البيت فى الخزانة (٣ / ٤٨٥ بولاق) والشريف المرتضى فى أماليه (٣١٧/٢) وذكر أن ابن جنى استشهد به ، ولم يعزه أحدهما إلى معين ، والشهاب : النجم ، وبدا : أى ظهر ، والليل داج : أى مظلم . والاستشهاد بالبيت فى قوله « وأبيض من ماء الحديد » فإن « أبيض » فى هذه العبارة ليس أفعل تفضيل ، لكنه صفة مشبهة ، و « من » التالية له ليست من التى تدخل على المفضول فى نحو قولك: فلان أكرم خلقا من فلان ، وأشرف نفساً منه ، وأطهر قلباً منه ، وما أشبه ذلك ، وعلى ذلك لا تكون «من» هذه متعلقة بأبيض ، بل هى متعلقة بمحذوف يقع صفة لأبيض ، وكأنه قد قال : وأبيض كائن من ماء الحديد ، أى مأخوذ ومصنوع من ماء الحديد ، والكلام فى وصف سيف ، وإذا كان لفظ « أبيض » يأتى صفة مشبهة كما فى هذا البيت وفى الشاهد الذى يليه فإنه لا يمتنع أن يكون أبيض فى قول الراجز :

* أبيض من أخت بنى أباض *

وفى البيت المنسوب إلى طرفة :

* . . . أبيضهم سربال طباخ *

وأسود فى قول المتنبى الذى أنشدناه لك :

* . . . أسود فى عينى من الظلم *

صفة مشبهة أيضاً ، وكأن المتنبى قد قال : لأنت مسود فى عينى، ولأنت من الظلم ؛ وكأن طرفة قد قال : أنت مبيضهم سربال طباخ ، وكأن الراجز قد قال : جسد مبيض كائن من أخت بنى أباض ، وقد اتفق مع المؤلف على هذا التخريج ابن يعيش والشريف المرتضى والحريرى فى درة الغواص، وكلهم تابعون لابن جنى. ويقول أبو رجاء : إنه ليس من=

فقوله « مِنْ ماء الحديدِ » فى موضع رفع ؛ لأنه صفة أبيض ، وتقديره وأبيض كائنٌ من ماء الحديد ، ونحوه أيضاً قول الآخر :

٩٣ — لَمَّا دَعَانِى السَّمْهَرِىُّ أَجَبْتُهُ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاء الْحَدِيد صَقِيلِ

= المنكر أن يجىء وزن أفعل من البياض والسواد وغيرهما من الألوان ومن غير الألوان صفة مشبهة ، تقول : فلان أبيض اللون ، وفلان أسود ، أو أخضر ، أو أصفر ، وتقول : فلان أهيف البطن ، وفلان أجب الظهر ، وفلان أوحد دهره ، ومالا يحصى من المثل ، ومن ذلك قول أبى الطيب المتنبى أيضاً :

يلقاك مرتديا بأحمر من دم ذهبت بخضرته الطلى والأكبد

ومن ذلك قول أبى تمام :

له منظر فى العين أبيض ناصع ولـكنه فى القلب أسود أسفع

وقد قال المفسرون فى قوله تعالى : (وهو أهون عليه) : إن « أهون » فى هذه الآية بمعنى هين ، كما قالوا فى قول معن بن أوس :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل على أينا تغـــدو المنية أول

إن « أوجل » هنا صفة مشبهة وليست أفعل تفضيل ، أقول: نحن لاننـكر أن هذا الوزن يأتى صفة مشبهة خالية من معنى تفضيل شىء على شىء ، كما لاننـكر أن من هذه البابة قول الشاعر :

* وأبيض من ماء الحديد كأنه *

ومامعه من الأبيات ، لـكنا لانستطيع أن نستسيغ أن يـكون من هذه البابة قول الراجز :

* أبيض من أخت بنى أباض *

مع قول الرواة الموثوق بهم : إن نساء بنى أباض مشهورات ببياض ألوانهن؛ وعلى هذا يكون هذا الجواب غير مستقيم، ولو كان القائل به ابن جنى ومن تبعه من فحولة النحاة .

٩٣ — أنشد ابن يعيش (ص ١٠٤٦) عجز هذا البيت ، ولم يعزه إلى قائل ، والظاهر أن « السمهرى » هنا اسم رجل ، وأصل السمهرى الرمح ، منسوب إلى رجل كان يبيع الرماح بالخط، واسم امرأته ردينة ، فأحيانا ينسبون الرماح إليه هو فيقولون: رمح سمهرى ، ورماح سمهرية ، وأحيانا يضيفونها إلى امرأته فيقولون : ردينى ، أو =

وأما قولهم « إنمـا جَوَّزْنَا ذلك لأنهما أصلان للألوان وَيجوز أن يثبتَ للأصل ما لا يثبتُ للفرع » قلنا : هذا لا يستقيم ، وذلك لأن سائر الألوان إنمـا لم يجز أن يستعمل منها «ما أفعلَهُ ، وأفْعَلُ منه » لأنها لا زمت مَحَالها ، فصارت كعضو من الأعضاء ، فإذا كان هذا هو العلة فنقول : هذا على أصلكم ألْزَمُ ، وذلك لأنكم تقولون : إن هـــذه الألوان ليست بأصل فى الوجود ، على ما تزعمون ، بل هى مركبة من البياض والسواد ؛ فإذا لم يجز مما كان متركباً منها لملازمته المحل فلأن لا يجوز مما كان أصلا فى الوجود وهو ملازم للمحل كان ذلك من طريق الأولى ، والله أعلم

١٧ — مسألة

[القول فى تقديم خبر « ما زال » وأخواتها عليهن][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم خبر « ما زَالَ » عليها ، وما كان فى معناها من أخواتها ، وإليه ذهب أبو الحسن بن كَيْسَانَ ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك ، وإليه ذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء من [٧١] الكوفيين ، وأجمعوا على أنه لا يجوز تقديم خبر « ما دَامَ » عليها

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن « ما زَالَ » ليس بنفى للفعل ، وإنمـــا هو نفى لمفارقة الفعل ، وَبَيَانٌ أن الفاعل حالُه فى الفعل

=رماح ردينية ، وأحيانا ينسبونه إلى مكانهم فيقولون : خطى ، والقول فى الاستشهاد بهذا البيت كالذى ذكرناه فى الشاهد السابق .

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص ٥٧) وشرح الأشمونى (١ / ٣٥٢ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (١/٢٢٤) والتصريح للشيخ خالد(١/٢٣٦بولاق) وشرح موفق الدين بن يعيش على المفصل (ص ١٠١٥) وشرح رضى الدين على الكافية (٢ / ٢٦٧) .

متطاولة ، والذى يدل على أنه ليس بنفى أنّ « زَالَ » فيه معنى النفى ، و « ما » للنفى ، فلما دخل النفى على النفى صار إيجابا ، والذى يدل على أن النفى إذا دخل على النفى صار إيجابا أنك إذا قلت « انتفى الشىء » كان ضدا للاثبات ، فإذا أدخلت عليه النفى نحو « ما انْتَفى » صار مُوجَباً ؛ فدل على أن نفى النفى إيجاب ، وإذا كان كذلك صار « مازال» بمنزلة « كان» فى أنه إيجاب ، وكما أن « كان » يجوز تقديم خبرها عليها نفسها ، فكذلك « ما زالَ » ينبغى أن يجوز تقديم خبرها عليها ، ولذلك لم يقولوا « ما زال زيدٌ إلا قائما » كما لم يقولوا « كان زيد إلا قائما » لأن « إلا » إنما يؤتى بها لنقض النفى ، كقولك « ما مَرَرْتُ إلا بزيد ، وما ضَرَبْتُ إلا زيداً » نفيت المرور والضرب أولا ، وأدخلت « إلا » فأثبتهما لزيد ، وأبطلت النفى ونقضته ، ولهذا إذاً قلتم إنها إذا دخلت على « ما » التى ترفع الاسم وتنصب الخبر أبطلت عملها ؛ لأنها إنما عملت لشبهها بليس فى أنها تنفى الحال ، كما أن ليس تنفى الحال ؛ فإذا دخلت « إلا » عليها أبطلت معنى النفى ، فزال شبهها بليس ، فبطل عملها ؛ فإذا كان الكلام ثابتا فلا يفتقر إلى إثباته ؛ ألا ترى أنك لو قلت « مررتُ إلا بأحد » لم يجز ؛ لأن إثبات الثابت ونقض النفى مع تعرى الكلام منه محال ، فدلَّ على أن « ما زال » فى الإثبات بمنزلة « كان » فكما لا يقال « كان زيد إلا قائما » فكذلك لا يقال « ما زال زيد إلا قائما » فأما قول الشاعر :

٩٤ — حَرَاجِيجُ مَا تَنْفَكُّ إلاَّ مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِى بِهَا بَلَداً قَفْرَا

---

٩٤ — هذا البيت من كلام ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وقد استشهد به سيبويه (٤٢٨/١) والزمخشرى وابن يعيش (١٠١٠) والرضى (٢٧٥/٢) والأشمونى (رقم ٢١٠) وانظر خزانة الأدب (٤٩/٤ بولاق) والحراجيج: جمع حرجوج، أو حرجيج وهى هنا الناقة الضامرة الهزيلة، ومناخة : اسم المفعول المؤنث من قولك «أناخ الرجل=

. . . .

= بعيره أو ناقته » إذا أبركها ، والخسف ـ بالفتح ـ الجوع ، وذلك أن يبيت على غير علف ، وكان الأصمعى وأبو عمرو بن العلاء يخطئان ذا الرمة فى هذا البيت ؛ لأنه أدخل حرف الاستثناء ـ وهو إلا ـ على خبر تنفك ، وقد خلص العلماء ذا الرمة من هذا الخطأ ، ولهم فى ذلك التخلص خمسة أوجه ؛ الأول أن الرواية ليست كما زعم أبو عمرو والأصمعى ، وليس التالى لقوله « ما تنفك » هو إلا التى هى حرف استثناء ، بل هو « آلا » بمد الألف ، والآل : الشخص ، وذلك نظير قول ذى الرمة نفسه فى كلمة أخرى :

فلم نهبط على سفوان حتى طرحن سخالهن وصرن آلا

ويروى أن ذا الرمة لما نبه إلى الخطأ فطن له وقال : أنا لم أقل « إلا مناخة » وإنما قلت « ما تنفك آلا مناخة » وعلى هذا الوجه يكون قوله « آلا » خبر تنفك ، ومناخة صفة ، وحينئذ يسأل عن وجه تأنيث الصفة مع أن الموصوف مذكر ، والجواب عن ذلك أن الآل ـ وهو الشخص ـ يطلق على المذكر والمؤنث كالشخص الذى هو بمعناه ، ولما كان المراد هنا النوق أنث الصفة ، وهذا التخريج قد ذكره كثير من العلماء ، وقد سمعت أنه يروى عن ذى الرمة نفسه ، والتخريج الثانى : أن « تنفك » ههنا تامة ، وليست ناقصة ، والتى يمنع دخول إلا عليها هى الناقصة ، وهذا تخريج ذكره الفراء فى معانى القرآن ، ونسبه المؤلف إلى الكسائى ، وذكره الأعلم فى شرح شواهد سيبويه ، والتخريج الثالث : أن تجعل تنفك ناقصة لكن لا يكون « مناخة » خبرها ، بل خبرها هو متعلق الجار والمجرور الذى هو قوله « على الخسف » وعلى هذا الوجه يكون قوله « مناخة » حالا ، وكأنه قد قال : ما تنفك كائنة على الخسف إلا فى حال كونها مناخة ، وقد ذكر هذا التخريج الأعلم أيضا ، والتخريج الرابع : أن تكون تنفك ناقصة أيضا ، ولكن يكون خبرها محذوفا ، و « مناخة » حال ، و « على الخسف » يتعلق بمناخة ، وتقدير الكلام على هذا الوجه : ما تنفك مقيمة فى أوطانها إلا فى إحدى حالتين : الأولى أن تكون مناخة على الخسف والثانية أن نرمى بها بلداً قفراً ، وهذا التوجيه قد ذكره الزمخشرى ، والتوجيه الخامس : أن تجعل « تنفك » ناقصة ، و « مناخة » خبرها ، ولكن « إلا » ليست للاستثناء ، بل هى حرف زائد لا يدل على معنى ، والممتنع إنما هو دخول إلا الدالة على الاستثناء على خبر « تنفك » وهذا التخريج ـ كما قال ابن يعيش ـ للمازنى ، وتبعه أبو على الفارسى فى بعض كتبه ، ونسبه ابن هشام فى مغنى اللبيب إلى الأصمعى وابن جنى ، وفى هذا القدر غناء أى غناء .

فالكلام عليه من أربعة أوجه ؛ فالوجه الأول : أنه يروى « ما تنفك آلاً مناخة » والآلُ : الشخص ؛ يقال « هذا آلٌ قد بَدَا » أى شَخْصٌ ؛ و به سمى الآل؛ لأنه يرفع الشخوص أول النهار وآخره ؛ قال الشاعر :

٩٥ — * كَأَنَّنَا رَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الآلاَ *

---

٩٥ — هذا عجز بيت من كلام النابغة الجعدى ، وصدره قوله :

* حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا *

وتعدى فوارسنا : أى تحمل أفراسها على العدو ، وهو السير السريع ، والرعن — بفتح الراء وسكون العين — أنف الجبل ، والقف — بضم القاف وتشديد الفاء — الجبل، غير أنه ليس بطويل فى السماء ، والآل : الذى تراه فى أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص ، وليس هو السراب ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « الآل » ومعناه ماذكرنا يريد المؤلف أن الذى فى بيت ذى الرمة هو « الآل » كالذى فى هذا البيت ، وقد تقدم بيانه ، وقد تبين لك من تفسيرنا للآل وجه قول المؤلف « وهو من المقلوب » يعنى أن المعروف أن الآل هو الذى يرفع الشخوص ، وقد جاء فى هذا البيت أن رعن القف يرفع الآل ، فرعن القف فى ظاهر هذا البيت رافع ، والآل مرفوع ، والجارى على ألسنة العرب أن تجعل الآل رافعا والشخوص التى منها رعن القف مرفوعة ، قال ابن منظور بعد أن أنشد البيت «أراد يرفعه الآل ، فقلبه » وقد أنكر ابن سيده القلب فى هذا البيت، وزعم أن كل واحد من رعن القف والآل يصلح أن يكون رافعا ويصلح كذلك أن يكون مرفوعا ، قال : « وجه كون الفاعل فيه مرفوعا والمفعول منصوبا باسم صحيح مقول به ، وذلك أن رعن هذا القف لما رفعه الآل فرؤى فيه ظهر به الآل إلى مرآة العين ظهورا لولا هذا الرعن لم يبن للعين بيانه إذا كان فيه ، ألا ترى أن الآل إذا برق للبصر رافعا شخصه كان أبدى للناظر إليه منه لو لم يلاق شخصا يزهاه فيزداد بالصورة التى حملها سفورا ، وفى مسرح الطرف تجليا وظهورا ؟ فإن قلت : فقد قال الأعشى :

* إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا *

فجعل الآل هو الفاعل والشخص هو المفعول ، قيل : ليس فى هذا أكثر من أن هذا جائز،وليس فيه دليل على أن غيره ليس بجائز ، ألا ترى أنك إذا قلت:ما جاءنى=

أى يرفَعُهُ الآلُ ؛ وهو من المقلوب . والوجه الثانى : أنه يروى « ما تنفك إلا مناخَةٌ » [٧٢] بالرفع ، فلا يكون فيه حجة . والوجه الثالث : أنه قد رُوى بالنصب ، ولكن ليس هو منصوبا لأنه خبر « ما تنفك » وإنما خبرها « على الخسف » فكأنه قال : ما تنفك على الخسف ، أى تُظْلَم إلا أن تناخ . والوجه الرابع : أنه جعل « ما تنفك » كلمة تامة ؛ لأنك تقول « انفكت يده » فتوهم فيها التمام ، ثم استثنى ، وهذا الوجه رواه هشام عن الكسائى .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر « ما زال » عليها لأن « ما » للنفى ، والنفى له صَدْرُ الكلام ؛ فجرى مَجْرَى حرف الاستفهام فى أن له صَدْرَ الكلام ، والسر فيه هو أن الحرف إنما جاء لإفادة المعنى فى الاسم والفعل ؛ فينبغى أن يأتِيَ قبلهما ، لا بعدهما ، وكما أن حرف الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله فكذلك ها هنا ، ألا ترى أنك لو قلت فى الاستفهام « زيدا أضَرَبْتَ » لم يجز ؛ لأنك تقدم ما هو متعلق بما بعد حرف الاستفهام عليه ؛ فكذلك ها هنا ؛ إذا قلت « قائما ما زال زيدٌ » ينبغى أن لا يجوز لأنك تقدم ما هو متعلق بما بعد حرف النفى عليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن ما زالَ ليس بنفى للفعل ، وإنما هو نفى لمفارقة الفعل ، والنفى إذا دخل على النفى صار إيجاباً » قلنا : هذا حجة عليكم ، فإنا كما أجمعنا على أن « ما زالَ » ليس بنفى للفعل أجمعنا على أن « ما » للنفى ، ثم لو لم تكن « ما » للنفى لما صار الكلام بدخولها إيجاباً ، فالكلام إيجاب ، و « ما » نفى ؛ بدليل أنا لو قدرنا زوال النفى عنها لما كان

= غير زيد ، فإنما فى هذا دليل على أن الذى هو غيره لم يأتك ، فأما زيد نفسه فلم يعرض للاخبار بإثبات مجىء له أو نفيه عنه ؛ فقد يجوز أن يكون قد جاء وأن يكون أيضا لم يجىء » اهـ كلامه بحروفه .

الـكلام إيجاباً ، وإذا كانت للنفى فينبغى أن لا يتقدم ما هو متعلق بما بعدها عليها ؛ لأنها تستحق صَدْرَه الـكلام كالاستفهام .

وأما « ما دامَ » فلم يجز تقديم خبرها عليها نفسها لأن «ما» فيها مصدرية لا نافية، وذلك المصدر بمعنى ظرف الزمان؛ ألا ترى أنك إذا قلت «لا أفعل هذا ما دام زيد قائما » كان التقدير فيه : زَمَنَ دوام زيدٍ قائما ، كقولك « جئتكَ مَقْدَمَ الحاجِّ ، وخُفُوقَ النجم » أى زمن مقدم الحاج وزمن خُفُوق النجم ، إلا أنه حُذِفَ المضاف الذى هو الزمن ، وأقيم المصدر الذى هو المضاف إليه مُقَامه ، وإذا كانت « ما » فى « ما دام » بمنزلة المصدر فما كان من صلة المصدر لا يتقدم عليه ، والله أعلم .

[٧٣] ١٨ — مسألة

[القول فى تقديم خبر « ليس » عليها][١]

ذهب الـكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر « لَيْسَ » عليها ، وإليه ذهب أبو العباس المبرد من البصريين ، وزعم بعضهم أنه مذهب سيبويه ، وليس بصحيح ، والصحيح أنه ليس له فى ذلك نص[٢] . وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر « ليس » عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها[٣] .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص ٥٨ ليدن) وشرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (٢/٢٧٦) وشرح موفق الدين بن يعيش على المفصل (ص ١٠١٦) والأشمونى (١/٣٥٥ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (١/٢٢٥) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٢٢٥ بولاق) .

(٢) يريد أنه لا يوجد فى كتاب سيبويه نص فى هذا الموضوع ، لا بالجواز ولا بالمنع .

(٣) الذى ذكره النحاة أن القائلين بامتناع تقديم خبر ليس عليها هم جمهور الـكوفيين ، والمتأخرون من البصريين ، وقد اختار هذا الرأى شيخ المحققين ابن مالك فقال فى الخلاصة (الألفية) :

=

أما الكوفيُّون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لايجوز تقديم خبر ليس عليها وذلك لأن « ليس » فعل غير متصرِّف ؛ فلا يجرى مجرى الفعل المتصرف كما أجريت « كان » مجراه لأنها متصرفة ، ألا ترى أنك تقول : كان يكون فهو كائن وكُنْ ، كما تقول : ضرب يضرب فهو ضارب ومضروب واضرب ، ولا يكون ذلك فى ليس ، وإذا كان كذلك فوجب أن لايجرى مجرى ما كان فعلا متصرفا ، فوجب أن لايجوز تقديم خبره عليه كما كان ذلك فى الفعل المتصرف ؛ لأن الفعل إنما يتصرف عملُه إذا كان متصرفا فى نفسه . فأما إذا كان غير متصرف فى نفسه فينبغى أن لايتصرف عملُه ؛ فلهذا قلنا : لايجوز تقديم خبره عليه ، والذى يدل على هذا أن «ليس» فى معنى ما ؛ لأن ليس تنفى الحال كما أن ماتنفى الحال ، وكما أن مالاتتصرف ولا يتقدم معمولها عليها فكذلك ليس ، على أن من النحويين مَنْ يُغَلِّبُ عليها الحرفية ، ويحتج بما حكى عن بعض العرب أنه قال : « ليس الطِّيبُ إلا المسكُ » فرفع الطيب والمسك جميعا ، وبما حكى أن بعض العرب قيل له : فلان يتهدَّدك ، فقال : « عليه رَجُلاً لَيْسِى » فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ، ولو كان فعلا لوجب أن يأتى بها كسائر الأفعال ، ولأنها لو كانت فعلا لكان ينبغى أن يرد إلى الأصل إذا اتصلت بالتاء فيقال فى لست « لَيِسْتُ » ألا ترى أنك تقول فى صَيِدَ البعيرُ « صَيْدَ البعير » فلو أدخلت عليه التاء لقلت « صَيِدْتَ » فرددته إلى الأصل وهو الكسر ، فلما لم يردَّ هاهنا إلى الأصل ــ وهو الكسر ــ دل على أن المغلَّبَ عليه الحرفية ، لا الفعلية ، وقد حكى سيبويه فى كتابه أن بعضهم يجعل ليس بمنزلة ما فى

= * ومنع سبق خبر ليس اصطفى *

وأن الذين يجيزون تقديم خبر ليس عليها هم قدماء البصريين ، والفراء ، وتبعهم ابن برهان ، والزمخشرى ، والشلوبين ، وابن عصفور ، وهم من المتأخرين الذين يؤيدون مذهب أهل البصرة غالباً .

اللغة التى لا يعملون فيها « ما »؛ فلا [٧٤] يعملون ليس فى شىء ، وتكون كحرف من حروف النفى ؛ فيقولون : ليس زيد منطلق ، وعلى كل حال فهذه الأشياء وإن لم تكن كافية فى الدلالة على أنها حرف فهى كافية فى الدلالة على إيغالها فى شبه الحرف ، وهذا مالا إشكال فيه ، وإذا ثبت أنها لا تتصرف وأنها مُوغلة فى شبه الحرف فينبغى أن لا يجوز تقديم خبرها عليها ، ولأن الخبر مجحود فلا يتقدم على الفعل الذى جحده على مابيَّنَّا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على جواز تقديم خبرها عليها قوله تعالى : (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) وَجْهُ الدليل من هذه الآية أنه قَدَّمَ معمولَ خبرليس على ليس ،فإن قوله (يوم يأتيهم) يتعلق بمصروف، وقد قَدَّمه على ليس، ولو لم يجز تقديم خبر ليس على ليس وإلا لما جاز تقديم معمول خبرها عليها ؛لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل ، ألا ترى أنه لم يجز أن تقول « زيداً أكرمت » إلا بعد أن جاز « أكرمت زيدا » فلو لم يجز تقديم « مصروف » الذى هو خبر ليس على ليس ، وإلا لما جاز تقديم معموله عليها ، والذى يدل على ذلك أن الأصل فى العمل للأفعال ، وهى فعل ، بدليل إلحاق الضمائر وتاء التأنيث الساكنة بها ، وهى تعمل فى الأسماء المعرفة والنكرة والظاهرة والمضمرة كالأفعال المتصرفة ، فوجب أن يجوز تقديمُ معمولها عليها، وعلى هذا تخرج « نعم و بئس، وفعلُ التعجب وعسى » حيث لا يجوز تقديم معمولها عليها ، أما « نعم ، و بئس » فإنهما لا يعملان فى المعارف الأعلام ، بخلاف «ليس» فنقصتَا عن رتبتها ، وأما فعل التعجب فأجروه مجرى الأسماء لجواز تصغيره فبعُد عن الأفعال ، ومع هذا فلا يتصل به ضمير الفاعل ، وإنما يضمر فيه ، ولا تلحقه أيضاً تاء التأنيث ، بخلاف « ليس » فنقص عن رتبتها ، وأما «عسى» وإن كانت تلحقها الضمائر وتاء التأنيث كليس، إلا أنها لا تعمل فى جميع الأسماء ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون معمولها إلا «أنْ» مع الفعل نحو « عسى زيد أن يقوم » ولوقلت « عسى زيد القيام » لم يجز ؛ فأما قولهم فى المثل « عسى الغُوَيْرُ

أبؤساً » فهو من الشاذ الذى لا يقاس عليه ، فلما كان مفعولها مختصاً بخلاف « ليس » نقصت عن رتبة ليس ؛ فجاز أن يمنع من تقديم معمولها عليها ، ولا يجوز أن تقاس « ليس » على [٧٥] ما فى امتناع تقديم خبرها عليها ؛ لأن ليس تخالفُ ما ، بدليل أنه يجوز تقديم خبر ليس على اسمها نحو « ليس قائما زيد » ولا يجوز تقديم خبر ما على اسمها ؛ فلا يقال : « ما قائما زيد » وإذا جاز أن تخالف ليس « ما » فى جواز تقديم خبرها على اسمها جاز أن تخالفه فى جواز تقديم خبرها عليها ، وتلحق بأخواتها .

والصحيح عندى ما ذهب إليه الكوفيّون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما قوله تعالى : (ألا يوم يأتيهم ليس مَصْرُوفاً عنهم) فلا حجة لهم فيه ؛ لأنا لا نسلم أن (يوم) متعلق بمصروف ، ولا أنه منصوب ، وإنما هو مرفوع بالابتداء ، وإنما بنى على الفتح لإضافته إلى الفعل ، كما قرأ نافع والأعرج قوله تعالى : (هذا يومَ ينفعُ الصادقين صدقُهُمْ) فإن (يوم) فى موضع رفع ، و بنى على الفتح لإضافته إلى الفعل ، فكذلك ها هنا . وإن سلمنا أنه منصوب إلا أنه منصوب بفعل مقدر دل عليه قوله تعالى : (ليس مصروفا عنهم) وتقديرهُ : يلازمهم يوم يأتيهم العذاب ؛ لقوله تعالى : (وَلئنْ أخرنا عنهمُ العذابَ إلى أمَّةٍ معدودةٍ ليقولُنَّ ما يحبسهُ) .

وأما قولهم « إن الأصل فى العمل للأفعال ، وهى فعل يعمل فى الأسماء المعرفة والنكرة والمظهرة والمضمرة » قلنا : هذا يدل على جواز إعمالها ؛ لأنها فعل ، والأصل فى الأفعال أن تعمل ، ولا يدل على جواز تقديم معمولها ؛ لأن تقديم المعمول على الفعل يقتضى تصرفَ الفعلِ فى نفسه ، و « ليس » فعلٌ غير متصرف ، فلا يجوز تقديم معموله عليه ؛ فنحن عملنا بمقتضى الدليلين : فأثبتنا لها أصلَ العملِ لوجود أصل الفعلية ، وَسَلَبناها وصفَ العملِ لعدم وصف الفعلية وهو التصرف ؛

فاعتبرنا الأصل بالأصل ، والوصف بالوصف . والذى يشهد لصحة ذلك الأفعال المتصرفة نحو ضرب وقتل وشتم ، فإنها لمـا كانت أفعالا متصرفة أثْبِتَ لها أصلُ العمل ووصْفُهُ ؛ فجاز إعمالها ، وجاز تقديم معمولها عليها نحو « عمرا ضَرَبَ زيدٌ » وكذلك سائرها ، والأفعال غير المتصرفة نحو عسى ونِعْمَ و بِئْسَ وفعل التعجب خصوصاً على مذهب البصريين ؛ فإنها لمـا كانت أفعالا غير متصرفة أثبت لها أصل العمل فجاز إعمالها ، وسلبت وصف العمل ؛ فلم يجز تقديم معمولها عليهـا فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « إنه لا يجوز أن تقاس ليس على ما » قلنا : قد [٧٦] بيناوجه المناسبة بينهما واتفاقهما فى المعنى ؛ لأن كل واحد منهما لنفى الحال كالآخر .

وقولهم « إن ليس تخالف ما ؛ لأنه يجوز تقديم خبر ليس على اسمها ، بخلاف ما» قلنا : ليس من شرط القياس أن يكون المقيس مساويا للمقيس عليه فى جميع أحكامه، بل لا بد أن يكون بينهما مُغَايرة فى بعض أحكامه .

قولهم « فإذا جاز أن تخالفها فى تقديم خبرها على اسمها جاز أن تخالفها فى تقديم خبرها عليها » قلنا : هذا لا يلزم ؛ لأن « ليس » أخـذت شبها من كان ؛ لأنها فعل كما أنها فعل ، وشبها من ما لأنها تنفى الحال كما أنها تنفى الحال ، وكان يجوز تقديم خبرها عليها ، وما لا يجوز تقديم خبرها على اسمها ، فلما أخذت شبها من كان وشبها من ما صار لها منزلة بين المنزلتين ، فجاز تقديم خبرها على اسمها ؛ لأنها أقوى من ما ؛ لأنها فعل وما حرف ، والفعل أقْوَى من الحرف ، ولم يجز تقديم خبرها عليها ؛ لأنها أضعف من كان ؛ لأنها لا تتصرف وكان تتصرف ، وهذا فى غاية الوضوح والتحقيق ، والله أعلم .

١٩ — مسألة

[القول فى العامل فى الخبر بعد « ما » النافية النَّصْبَ][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن « ما » فى لغة أهل الحجاز لا تعمل فى الخبر ، وهو منصوب بحذف حرف الخفض . وذهب البصريون إلى أنها تعمل فى الخبر ، وهو منصوب بها .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنها لا تعمل فى الخبر ، وذلك لأن القياس فى« ما » أن لا تكون عاملة البتة ؛ لأن الحرف إنما يكون عاملا إذا كان مختصا ، كحرف الخفض لما اختص بالأسماء عمل فيها ، وحرف الجزم لما اختص بالأفعال عَمِلَ فيها ، وإذا كان غير مختص فوجب أن لا يعمل كحرف الاستفهام والعطف ؛ لأنه تارة يدخل على الاسم ، نحو « ما زيد قائم » وتارة يدخل على الفعل ، نحو « ما يقوم زيد » فلما كانت مشتركة بين الاسم والفعل وجب أن لا تعمل ؛ ولهذا كانت مهملة غير معملة فى لغة بنى تميم ، وهو القياس ، وإنما أعملها أهلُ الحجازِ لأنهم شَبَّهوها بليس من جهة المعنى ، وهو [٧٧] شَبَهٌ ضعيف فلم يَقْوَ على العمل فى الخبر كما عملت ليس ؛ لأن ليس فعل ، وما حرف ، والحرف أضعف من الفعل ، فبطل أن يكون منصوباً بما ، ووجب أن يكون منصوباً بحذف حرف الخفض ؛ لأن الأصل « ما زيد بقائم » فلما حذف حرف الخفض وجب أن يكون منصوباً ؛ لأنْ الصِّفَات منتصبات الأنفس ، فلما ذهبت أبقت خلفاً منها ، ولهذا لم يجز النصب إذا قُدِّمَ الخبر ، نحو « ما قائم زيد » أو دخل حرف الاستثناء

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص ٥٩) وتصريح الشيخ خالد (٢/٢٣٦) وكتاب سيبويه (١/٢٨) وحاشية الصبان على الأشمونى (١/٢٣٤ بولاق)

نحو « ما زيد إلا قائم » لأنه لا يحسن دخول الباء معهما ؛ فلا يقال « ما بِقَائِمٍ زَيْدٌ ، وما زَيْدٌ إلا بِقَائِمٍ » فدل ذلك على ما قلناه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن « ما » تنصب الخبر وذلك أن ما أشبهت ليس ؛ فوجب أن تعمل عمل ليس ، وعَمَلُ ليس الرفعُ والنصبُ ، ووجه الشبه بينها و بين ليس من وجهين ؛ أحدهما : أنها تدخل على المبتدأ والخبر ، كما أن ليس تدخل على المبتدأ والخبر ، والثانى : أنها تنفى ما فى الحال ، كما أن ليس تنفى ما فى الحال . ويُقَوِّى الشبه بينهما من هذين الوجهين دخولُ الباء فى خبرها كما تدخل فى خبر ليس ؛ فإذا ثبت أنها قد أشبهت ليس من هذين الوجهين فوجب أن تجرى مجراه ؛ لأنهم يُجْرُون الشيء مُجْرَى الشيء إذا شابهه من وجهين ، ألا ترى أن ما لا ينصرف لما أَشْبَهَ الفعل من وجهين أُجرى مُجْرَاه فى منع الجر والتنوين ، فكذلك ها هنا : لما أشبهت ما ليس من وجهين وجب أن تعمل عملها ؛ فوجب أن ترفع الاسم وتنصب الخبر كليس على ما بَيَّنَّا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن القياس يقتضى أن لا تعمل » قلنا : كان هذا هو القياس ، إلا أنه وُجد بينها و بين ليس مشابهة اقتضت أن تعمل عملها ، وهى لغة القرآن ، قال الله تعالى : (مَا هَذَا بَشَراً) وقال تعالى : (مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) .

قولهم « إن أهل الحجاز أعملوها لشبه ضعيف ، فلم يقو أن تعمل فى الخبر » قلنا : هذا الشبه قد أوجب لها أن تعمل عملها ، وهى ترفع الاسم وتنصب الخبر ، على أنا قد عملنا بمقتضى هذا الضعف ؛ فإنه يبطل عملها إذا تقدم خبرها على اسمها ، أو إذا دخل حرف الاستثناء ، أو إذا فُصِلَ بينها و بين معمولها بإنِ الخفيفة ، ولولا ذلك الضعف لوجب [٧٨] أن تعمل فى جميع هذه المواضع .

وأما دعواهم أن الأصل « ما زيد بقائم » فلا نسلم ، وإنما الأصل عدمها ، وإنما أُدخلت لوجهين ؛ أحدهما : أنها أُدخلت توكيداً للنفى ، والثانى : ليكون فى خبر ما بإزاء اللام فى خبر إنَّ ؛ لأن ما تنفى ما تثبته إنَّ ، فجعلت الباء فى خبرها نحو « ما زيد بقائم » لتكون بإزاء اللام فى نحو « إنّ زيداً لقائم » كما جعلت السين جوابَ لَنْ ، ألا ترى أنك تقول « لَنْ يفعل » فيكون الجواب « سيفعلُ » وكذلك جُعلت قَدْ جوابَ لَمَّا ، ألا ترى أنك تقول « لَمَّا يَفْعَلْ » فيكون الجواب « قَدْ فَعَلَ » ولو حذفت لما فقلت « يَفْعَلُ » لكان الجواب « فَعَلَ » من غير قد ؛ فدل على أن قد جوابُ لمَّا ، فكذلك ها هنا .

وقولهم « إنه لما حذف حرف الخفض وجب أن يكون منصوبا ؛ لأن الصفات منتصباتُ الأنْفُسِ ، فلما ذهبت أبقت خلفاً منها » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن الباء كانت فى نفسها مكسورة غير مفتوحة ، وليس فيها إعرابٌ ؛ لأن الإعراب لا يقع على حروف المعانى ، ثم لو كان حذف حرف الخفض يوجب النصب كما زعموا لكان ذلك يجب فى كل موضع يحذف فيه ، ولا خلاف أن كثيراً من الأسماء تدخلها حروف الخفض ولا تنتصب بحذفها ، كقولك « كفى بالله شهيدا ، وكفى بالله نصيرا » ولو حذفت حرف الخفض لقلت : كفى اللهُ شهيداً ، وكفى اللهُ نصيراً ، بالرفع ، كما قال رجل من الأزد :

٩٦ ـــ لَمَّا تَعَيَّا بِالْقَلُوصِ وَرَحْلِهَا كَفَى اللهُ كَعْباً مَا تَعَيَّا بِهِ كَعْبُ

---

٩٦ ـــ لم أعثر لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق ، وتعيا ـ بوزن تقضى وتزكى ـ ومثله تعايا ـ مثل تغاضى وتقاضى ـ وأعيا ـ مثل أهدى وأبقى ـ وتقول : أعيا عليه الأمر ، وتعيا ، وتعايا ؛ إذا بهظه وأثقله وأعجزه والقلوص ـ بفتح القاف ـ الناقة ، ومحل الاستشهاد به قوله « كفى الله كعبا » فإن المؤلف قد زعم أن « كفى » فى هذه العبارة هى التى يقترن فاعلها بالباء الزائدة غالبا ، وقد يجىء فاعلها غير مقترن بالباء كما فى هذا البيت والذى يليه ، وهو انتقال نظر من =

وقال عَبْدُ بنى الَحسْحَاسِ :

٩٧ — عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيا

=المؤلف ، وبيان ذلك أن « كفى » على ثلاثة أضرب : الأول أن يكون بمعنى حسب ، وهذه قاصرة لاتتعدى وهى التى يغلب اقتران فاعلها بالباء الزائدة ، نحو قوله تعالى : (كفى بالله شهيداً) والثانى أن تكون بمعنى وقى فتتعدى إلى اثنين ، ولا يقترن فاعلها بالباء ، نحو قول الله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال) ونحو قوله سبحانه : (فسيكفيكهم الله) والثالث أن تكون بمعنى أجزأ وأغنى ، فتتعدى إلى واحد ولايقترن فاعلها بالباء الزائدة ، نحو قول الشاعر :

قليل منك يكفينى ، ولكن قليلك لا يقال له قليل

وأنت إذا تأملت أدنى تأمل تبين لك أن « كفى » فى البيت الذى استشهد به المؤلف من الضرب الثانى الذى تكون فيه بمعنى وقى وتتعدى إلى مفعولين ، وهذه — كما قلنا لك — لا يقترن فاعلها بالباء الزائدة لا فى الغالب ولا فى القليل ، وسبحان الذى تنزه عن السهو والغفلة ، وانظر — بعد ذلك — شرح الشاهد ١٠٢ الآتى .

٩٧ — هذا البيت لسحيم عبد بنى الحسحاس ، وهو من شواهد ابن يعيش (ص ١٠٨٦ و١١٤٨) والأشمونى (رقم ٧٣٦ بتحقيقنا) ومغنى اللبيب (رقم ١٥٣ بتحقيقنا) وأوضح المسالك لابن هشام (رقم ٣٧٩) وعميرة : اسم امرأة ، وتجهزت : أى اتخذت جهاز سفرك وأعددته وهيأته ، وغاديا : اسم فاعل فعله غدا يغدو غدوا — مثل سما يسمو سموا — وذلك إذا سار فى وقت الغداة ، والغداة — ومثلها الغدوة — الوقت من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ويروى فى مكانه « غازيا » وقوله « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » يروى أن عمر بن الخطاب سمع هذا البيت فقال : لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك ، والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « كفى الشيب » حيث أسقط الباء من فاعل « كفى » التى هى فعل قاصر لا يتعدى إلى مفعول وتدل على معنى حسب ، وسقوطها فى هذه العبارة يدل على أن الباء ليست واجبة فى فاعل هذا الفعل ، بخلاف اقتران الباء بفاعل « أفعل » فى التعجب نحو « أكرم بزيد ، وأعظم به » فإنها لازمة لا يجوز سقوطها .

وقال الآخر :

٩٨ — أَعَانَ عَلَىَّ الدَّهْرَ إِذْ حَلَّ بَرْكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِى كَافِيَا

وكذلك قالوا « بحسبك زيد ، وما جاءنى مِنْ أَحَدٍ » وقال الشاعر :

٩٩ — بِحَسْبِكَ أَنْ قَدْ سُدْتَ أَخْزَمَ كُلَّهَا
لِكُلِّ أُنَاسٍ سَادَةٌ وَدَعَائِمُ

---

٩٨ — لم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، وأعان على الدهر : كان معه ينصره ويناوئنى ، وأصل البرك — بفتح الباء وسكون الراء — الإبل الكثيرة ، أو الباركة ، ومنه قول متمم بن نويرة :

إذا شارف منهن قامت ورجعت حنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا

والاستشهاد بالبيت فى قوله « كفى الدهر كافيا » حيث جاء بفاعل كفى التى بمعنى حسب غير مقترن بالباء الزائدة على نحو ما أوضحناه لك فى البيتين السابقين .

٩٩ — هذا البيت ثالث أربعة أبيات رواها أبو تمام فى ديوان الحماسة ، ولم يعزها ولا عزاها التبريزى ولا المرزوقى فى شرحيهما، وحسبك : أى كافيك ومجزئك ومغنيك، وسدت : فعل ماض من السيادة ، وهى الرياسة ، وأخزم : رهط حاتم ، قال المرزوقى (ص ١٤٦٨) : « والمعنى : كافيك أن ترأست على أخزم — وأخزم رهط حاتم — ثم أزرى برياسته وبهم فقال : ولكل طائفة من الناس رؤساء وعمد ، وهذا يجرى مجرى الالتفات ، كأنه بعد ما قال ذلك التفت إلى من حوله يؤنسهم ويقول : ليس ذا بمنكر فلكل قوم من يسوسهم ويدعمهم » اهـ . والاستشهاد بالبيت فى قوله « بحسبك » حيث زيدت الباء فى المبتدأ الذى هو حسب الذى بمعنى كافيك ، وخبره هو المصدر المؤول من أن المخففة وما وليها ، وكأنه قال : كافيك سيادتك أخزم كلها ، والباء لا تزاد فى المبتدأ إلا أن يكون المبتدأ هو لفظ حسب ، ولهذا البيت نظائر كثيرة فى النثر والنظم ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « بحسب المرء إذا رأى منكرا لا يستطيع له تغييرا أن يعلم الله أنه له منكر » وقوله « بحسب امرىء من الإيمان أن يقول : رضيت بالله ربا ، وبمحمد رسولا ، وبالإسلام دينا » وقوله صلوات الله عليه : « بحسب امرىء من الشر أن يشار إليه بالأصابع فى دين أو دنيا إلا من عصمه الله » وفى مثل من أمثال العرب « بحسبها أن تمذق رعاؤها » .

وقال الآخر :

١٠٠ — بِحَسْبِكَ فِى الْقَوْمِ أَن يَعْلَمُوا   بأَنَّكَ فِيهِمْ غَـــنِيٌّ مُضِرّْ

[٧٩] وقال الآخر :

١٠١ — وَقَفْتُ فيهَا أُصَيْلاَنًا أُسَائِلُها   أَعْيَتْ جَوَابًا ، وَمَابِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

١٠٠ — هذا البيت من كلام الأشعر الرقبان الأسدى ـ وهو أحد شعراء الجاهلية ـ يهجو ابن عمه واسمه رضوان ، وقد رواه ثانى أربعة أبيات ابن منظور فى لسان العرب (ض رر) وأنشده ابن يعيش (ص ١٠٨٦ و ١١٩٠) وأنشده الميدانى فى مجمع الأمثال (٦٦/١ بتحقيقنا) والمضر ـ بضم الميم وكسر الضاد ـ الذى يروح عليه ضرة من المال ، والضرة ـ بفتح الضاد وتشديد الراء ـ الكثير من المال ، وقيل : هو الكثير من الماشية خاصة ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « بحسبك أن يعلموا » ومعناه كافيك علم القوم ، وذلك حيث زاد الباء فى المبتدأ الذى هو لفظ حسب ، على نحو ما ذكرناه فى الشاهد السابق ، وانظر فى هذا الموضوع بحثا وافيا لنا فى شرحنا على شرح الأشمونى (٢٣٧/١)

١٠١ — هذا البيت من كلام النابغة الذبيانى من قصيدته التى مطلعها :

يادارمية بالعليــاء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقوله « وقفت فيها أصيلانا » الأصيلان : تصغير الأصلان الذى هو جمع أصيل ، والأصيل : هو الوقت قريب غروب الشمس ، ويروى فى مكان هذا « وقفت فيها أصيلا كى أسائلها » كما يروى « وقفت فيها طويلا » وقوله « أعيت جوابا » يروى فى مكانه « عيت جوابا » بتضعيف الياء ، والمراد على كل حال أنها عجزت عن الجواب ولم تجب عما سألها عنه ، والربع : الدار ، أو هو خاص بما ينزل فيه القوم أيام الربيع ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « وما بالربع من أحد » فإن هذه جملة من مبتدأ وخبر ؛ أما الخبر فهو الجار والمجرور المقدم الذى هو قوله « بالربع » وأما المبتدأ فهو قوله « أحد » وقد أدخل على هذا المبتدأ من الزائدة ، ونظير ذلك قول الله تعالى : (فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقوله جلت كلمته : (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنـا) وقول وجيهة بنت أوس الضبية :

ومالى إن أحببت أرض عشيرتى   وأبغضت طرفاء القصية من ذنب =

وقال الآخر :

١٠٢ — أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
بِأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا

= فإن قولها « ذنب » فى آخر البيت مبتدأ دخلت عليه « من » الزائدة ، وخبره هو الجار والمجرور فى أول البيت الذى هو قولها « لى » ونظير ذلك قول شاعر الحماسة:

ومالى من ذنب إليهم علمته سوى أننى قد قلت : ياسرحة اسلمى

و « من » تزاد على المبتدأ بشرطين : الأول أن يكون المبتدأ نكرة ، والثانى أن يتقدم عليها نفى أو استفهام بهل خاصة ، وهذان الشرطان مستكملان فيما ذكرنا لك من الشواهد ، وانظر بحثا مستفيضا لنا فى شرحنا على شرح الأشمونى (١/٢٤٠)

١٠٢ — قد استشهد بهذا البيت الزمخشرى فى المفصل وابن يعيش فى شرحه (ص ١٠٨٦) والرضى فى شرح الكافية ، وشرحه البغدادى (٤ / ١٦١) وابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١/٨٤) وابن منظور فى لسان العرب (ب ق ر) وكل واحد منهم نسبه إلى امرىء القيس ، وقد راجعت نسخ ديوان امرىء القيس بن حجر الكندى برواية الأصمعى وشرح الأعلم الشنتمرى فلم أجد هذا البيت فى قصيدته التى مطلعها :

سمالك شوق بعد ماكان أقصرا وحلت سليمى بطن قوفعرعرا

ولكننى وجدته فى زياداته التى زادها الطوسى والسكرى وابن النحاس فى هذه القصيدة، وقوله « بيقرا » مأخوذ من قولهم « بيقر الرجل » إذا هاجر من أرض إلى أرض، أوخرج إلى حيث لايدرى، أو نزل الحضر وأقام هناك وترك قومه بالبادية ، وخص بعضهم به العراق قاله ابن منظور ، وفى شرح المفصل « وقيل : إذا ذهب إلى الشام» اهـ ، وقال ابن منظور بعد أن ذكر هذه المعانى كلها «وقول امرىء القيس يحتمل جميع ذلك» اهـ . والاستشهاد بالبيت فى قوله « بأن امرأ القيس — إلخ » فإن المصدر المنسبك من أن المؤكدة واسمها وخبرها فى موضع رفع على أنه فاعل أتى فى قوله « أتاها » وقد زاد الباء فى هذا الفاعل وزيادة الباء فى الفاعل على ثلاثة أضرب : الأول زيادة واجبة ، وذلك فى فاعل أفعل فى التعجب نحو أجمل بكرم الأخلاق، والثانى زيادة غالبة، وذلك فى فاعل كفى القاصر الذى بمعنى حسب ، وقد أوضحنا ذلك فى شرح الشاهد رقم ٩٦، والثالث زيادة شاذة كما فى الشاهد =

وإذا حذفوا حرف الخفض قالوا « حسبُكَ زيد ، وما جاءنى أحَدٌ » بالرفع لا غير ، وكذلك جميع ما جاء من هذا النحو ، ولو كان كما زعموا لوجب أن يكون منصوبا ؛ فلما وقع الإجماع على وجوب الرفع دَلَّ على فساد ما ادَّعَوْهُ ، والله أعلم .

٢٠ — مسألة

[القول فى تقديم معمول خبر « ما » النافية عليها]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز « طَعَامَكَ ما زَيْدٌ آكِلاً » . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز . وذهب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين إلى أنه جائز من وجه فاسد من وجه ؛ فإن كانت « ما » رَدًّا لخبر كانت بمنزلة لم ولا يجوز التقديم ، كما تقول لمن قال فى الخبر « زَيْدٌ آكِلٌ طَعَامَكَ » فتردُّ عليه نافياً « ما زيد آكلا طعامَكَ » فمن هذا الوجه يجوز التقديم ؛ فتقول « طعامَكَ ما زيد آكلا » فإن كان جواباً للقسم إذا قال « والله ما زيد بآكِلٍ طَعَامَكَ » كانت بمنزلة اللام فى جواب القسم ؛ فلا يجوز التقديم .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جوزنا ذلك لأن ما بمنزلة لم ولَنْ ولا ؛ لأنها نافية كما أنها نافية ، وهذه الأحرف يجوز تقديم معمول ما بعدها عليها ، نحو « زَيْداً لم أضرب ، وعمراً لن أُكْرِمَ ، وبشراً لا أخْرِجُ » فإذا جاز التقديم مع هذه الأحرف فكذلك مع ما .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأن

= الذى نحن بصدد شرحه وكما فى قول قيس بن زهير العبسى وهو الشاهد رقم ١٧ السابق :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

«ما» معناها النفى ، ويليها الاسم والفعل ؛ فأشبهت حرف الاستفهام ، وحرف الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله ، فكذلك ها هنا : «ما» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن ما بمنزلة لم ولن ولا » قلنا [٨٠] لا نسلم ؛ لأن « ما » يليها الاسمُ والفعلُ ، وأما لم ولن فلا يليهما إلا الفعل ؛ فصارا بمنزلة بعض الفعل ، بخلاف ما فإنها يليها الاسم والفعل ، وأما لا فإنما جاز التقديم معها — وإن كانت يليها الاسم والفعل — لأنها حرف متصرف فعمل ما قبله فيما بعده ، ألا ترى أنك تقول : « جئت بلاشيء » فيعمل ما قبله فيما بعده ؛ فإذا جاز أن يعمل ما قبله فيما بعده جاز أن يعمل ما بعده فيما قبله ، فبَان الفرق بينهما .

وأما ما ذكره أبو العباس ثعلب من التفصيل — من أنه إذا كانت رداً لخبر جاز التقديم ، وإن كانت جواباً للقسم لم يجز — ففاسد ؛ لأن ما فى كلا القسمين نافية ؛ فينبغى أن لا يجوز التقديم فيهما جميعاً ؛ لما بينا ، والله أعلم .

٢١ — مسألة

[القول فى تقديم معمول الفعل المقصور عليه][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز « مَا طَعَامَكَ أَكَلَ إلا زَيْدٌ » . وذهب البصريون إلى أنه يجوز ، وإليه ذهب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد (١ / ٣٤٢) وحاشية الصبان على الأشمونى (٢ / ٤٤ ومابعدها) .

أما الـكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل فى « زيد » أن لا يكون هو الفاعل ، وإنما الفاعل فى الأصل محذوف قبل إلاَّ ؛ لأن التقدير فيه : ما أَكَلَ أحَدٌ طعامَكَ إلا زيدٌ ، والذى يدل على ذلك قولهم « مَا خَرجَ إلا هِنْدٌ ، وَمَا ذَهَبَ إلا دَعْدٌ » ولو كان الفعل لدعد وهند فى الحقيقة لأثبتوا فيه علامةَ التأنيث ؛ لأن الفاعل مؤنث حقيقى ، فلما لم يثبتوا فى الفعل علامةً دل على أن الفاعل هو « أحد » المحذوف ، ويدل عليه أيضاً أن « إلا » بابُهَا الاستثناء ، والاستثناء يجب أن يكون من الجملة ، ولا بد أن يقدر قبلها ما يصح أن يكون الذى بعدها مستثنى منه ؛ فوجب أن يكون التقدير : ما أكل أحدٌ طعامَكَ إلا زيد ، إلا أنه اُكتفى بالفعل من « أحـد » فصار بمنزلته ، والاسم لا يتقدم صلته عليه ، ولا يفرق بينها وبينه ، فـكذلك الفعل الذى قام مقامه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جوزنا ذلك لأن « زيد » مرفوع بالفعل ، والفعل متصرف؛ فجاز تقديم معموله عليه كقولهم « عَمْراً ضَرَبَ زَيْدٌ » [٨١] وكذلك سائر الأفعال المتصرفة .

وأما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قولهم « إن الأصل ألا يكون زيد هو الفاعل ؛ لأن التقدير : ما أَكلَ أَحَدٌ طَعامَكَ إلا زَيْدٌ » قلنا : لا نسلم أن « أحداً » مقدَّر من جهة اللفظ ، وإنما هو مقدر من جهة المعنى ، كما أن المعنى يدل على أن « عَرَقًا » فى قولهم « تَصبَّبَ زيد عَرَقًا » فاعلٌ معنًى ، وإن لم يكن فاعلا لفظا ، ولهذا لم تثبت علامة التأنيث فى قولهم « مَاخرج إلا هند ، ومَا ذَهبَ إلا دعد » وما أشبه ذلك، على أنه قدحذف علامة التأنيث الحقيقى مع الفَصْل فى قولهم « حَضَرَ القاضىَ اليومَ أمرأةٌ » وقال الشاعر :

١٠٣ — إنَّ أمْرَأً غَرَّهُ مِنْـكُنَّ وَاحِدَةٌ بَعْدِى وَبَعْدَكِ فِى الدُّنْيَا لَمغْرُورُ

١٠٣ — هذا البيت من شواهد الأشمونى (رقم ٣٦٥) وقد استشهد به ابن الناظم فى باب الفاعل من شرحه على ألفية والده ابن مالك، وابن هشام فى شرح شذور الذهب=

وقال الآخر :

١٠٤ — لَقَدْ وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سَوْءٍ عَلَى قِمَعٍ اسْتِهَا صُلُبٌ وَشَامُ

فقال « وَلَدَ » ولم يقل « ولدت » .

وأما قولهم « إنه اكتفى بالفعل من أحَد » قلنا : لا نسلم أن الفعل اكتفى به من الاسم ؛ لأن الفعل لا بُدَّ له من فاعل ، وإنما الاسم بعد « إلا » قام مقامه واكتفى به منه ؛ لأنه لما حذف المستثنى منه قبل « إلا » قام ما بعد « إلا » حين حذفته مَقَامَه ، كما يقوم المفعول مقام الفاعل إذا حذف نحو « ضُرِبَ زَيْدٌ » ،

= (رقم ٧٩) وقد ذكر العينى أنه من شواهد سيبويه ، ولكنى بحثت كتاب سيبويه من أوله إلى آخره فلم أجده فيه . والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « غره واحدة » حيث لم يصل تاء التأنيث بالفعل الذى هو «غره» مع أن فاعله — وهو قوله «واحدة» — مؤنث حقيقى التأنيث ؛ فإنه فى الأصل صفة لموصوف محذوف ، وتقدير الكلام : غرة منكن امرأة واحدة ، والأصل فى الفاعل الحقيقى التأنيث أن تلزم فى فعله التاء ، والذى جرأ هذا الشاعر على حذف التاء هو الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول الذى هو الضمير المتصل وبالجار والمجرور — وهو قوله « منكن » — وهذا مما يجيزه جماعة من النحاة منهم ابن مالك الذى يقول فى الألفية :

وقد يبيح الفصل ترك التاء فى نحو «أتى القاضى بنت الواقف»

١٠٤ — هذا البيت من قصيدة طويلة لجرير بن عطية بن الخطفى يهجو فيها الأخطل التغلبى وقومه ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٣٦٤) وأوضح المسالك (رقم ٢١٣) والأخيطل : تصغير الأخطل ، وأصل الأخطل وصف بمعنى الفحاش الكثير الخطل ، ثم لقب به الشاعر المشهور ؛ وقوله « على قمع استها » يروى فى مكانه « على باب استها » والصلب — بضم الصاد واللام جميعاً — جمع صليب ، ووزانه وزان سرير وسرر «وشام» جمع شامة ، وهى العلامة ، والاستشهاد به فى قوله «ولد الأخيطل أم سوء» فإن هذه جملة من فعل ماض هو « ولد » وفاعل مؤنث وهو « أم » ولم يصل به تاء التأنيث ، وقد علم أن الفعل الذى يسند إلى فاعل مؤنث حقيقى التأنيث يجب أن يؤنث لفظ الفعل بأن توصل به التاء التى للتأنيث إذا كان ماضيا ، لكنه ترك التاء فى هذه الجملة لكون الفعل قد فصل بينه وبين فاعله بالمفعول الذى هو قوله « الاخيطل » وقد بينا مثل ذلك فى الشاهد السابق .

وأعْطِيَ عَمْرو درهمًا ، وكُسِيَ عَمْرو قميصاً » وما أشبه ذلك ، وهذا لا يوجب أن يجرى الفعلُ مَجْرَى الاسم فى امتناع تقديم معموله عليه ، ألا ترى أنك تقول : « دِرهمًا أُعْطِيَ زَيْد ، وقميصاً كُسِيَ عمرو » .

ثم لو سلمنا أن الأمر على ما زعمتم فالفعل إنما جاز تقديم معموله عليه لتصرفه فى نفسه ، وهذا المعنى الذى ادعيتموه لم يوجب تغير الفعل عن تصرفه فى نفسه ؛ فينبغى أن يجوز تقديمُ معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، والله أعلم .

٢٢ — مسألة

[القول فى رافع الخبر بعد « إنَّ » المؤكدة][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « إنَّ » وأخواتها لا ترفع الخبر ، نحو « إنَّ زَيْداً قائم » وما أشبه ذلك . وذهب البصريون إلى أنها ترفع الخبر .

أما الكوفيون [٨٢] فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن الأصل فى هذه الأحرف أن لا تنصب الاسمَ ، وإنما نصبته لأنها أشبهت الفعلَ ؛ فإذا كانت إنما عملت لأنها أشبهت الفعل فهى فَرْعٌ عليه ، وإذا كانت فرعاً عليه فهى أضْعَفُ منه ؛ لأن الفرع أبداً يكون أضْعَفَ من الأصل ؛ فينبغى أن لا يعمل فى الخبر ، جَرْياً على القياس فى حَطّ الفروع عن الأصول ؛ لأنا لو أعملناه عَمَلَه لأدَّى ذلك إلى التسوية بينهما ، وذلك لا يجوز ؛ فوجب أن يكون باقياً على رفعه قبل دخولها . والذى يدلُّ على ضعف عملها أنه يدخل على الخبر ما يدخل على الفعل لو ابْتُدِيء به ، قال الشاعر :

---

(١) انظر فى هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشمونى (١/ ٢٥٠) والتصريح للشيخ خالد (١ / ٢٥٣ بولاق) .

١٠٥ — لاَ تَتْرُكَنِّى فِيهِمُ شَطِيرَا إنِّى إذَنْ أهْلِكَ أوْ أطِيرَا

فنصَبَ بـ « إذَنْ ».

والذى يدلُّ على ذلك أيضاً أنه إذا اعترض عليهـا بأدنى شىء بطل عملها واكتفى به ، كقولهم « إنَّ بِكَ يَـكْفُلُ زَيْدٌ » كأنها رضيت بالصفة لضعفها ، وقد روى أن ناساً قالوا : « إنَّ بِكَ زَيْدٌ مأخوذٌ » فلم تعمل « إنَّ » لضعفها ؛ فدلَّ على ما قلناه .

وأما البصريون فاحتجُّوا بأن قالوا : إنما قلنا إن هذه الأحرف تعمل فى الخبر ، وذلك لأنها قويَتْ مشابهتها للفعل ؛ لأنها أشبهته لفظا ومعنى ، ووجه المشابهة بينهما

---

١٠٥ — لم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، وقد أنشده ابن منظور (ش ط ر) ولم يعزه ، وأنشده الرضى فى شرح الـكافية فى نواصب المضارع ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٥٧٤) والأشمونى (رقم ١٠١٣) وابن هشام فى المغنى (رقم ٢١) وفى أوضح المسالك (رقم ٤٩٦) . والشطير ــ بفتح الشين ــ مثل الغريب والبعيد فى الوزن وفى المعنى ، وأهلك : معناه أموت ، وأطير : معناه الأصلى أذهب بعيدا ، أو أحلق فى الجو . والاستشهاد به فى قوله « إنى إذن أهلك » حيث نصب الفعل المضارع الذى هو قوله « أهلك » بعد إذن الذى هو حرف جواب ، مع أن إذن فى ظاهر اللفظ غير واقعة فى صدر الـكلام ، بل هى مسبوقة بإنى ، وقد أخذ جماعة من النحاة بظاهر اللفظ وحكموا بأن جملة « إذن أهلك » فى محل رفع خبر إن ، وقالوا : إن نصب المضارع بعد إذن هنا ضرورة من ضرورات الشعر ، فأما المحققون من النحاة فقد أجروا نصب المضارع فى هذا البيت على القياس ، وذكروا أن شرط النصب متحقق ، وأن « إذن » واقعة فى صدر الجملة ، وبيان ذلك أن خبر إن محذوف ، وأن جملة « إذن أهلك » مستأنفة وتقدير الـكلام : إنى لا أستطيع ذلك إذن أهلك أو أطيرا ، وقد ذكر الفراء فى عدة مواضع من تفسيره أن « إذن » إذا وقعت بعد « إن » ووقع بعدها مضارع جاز فى هذا المضارع الرفع والنصب ، وأن كل واحد منهما لغة من لغات العرب ، وأن ذلك مختص بوقوعها بعد إن ، وقد ذكر المؤلف فى رده تقدير خبر إن محذوفا .

من خمسة أوجه ؛ الأول : أنها على وزن الفعل ، والثاني : أنها مبنية على الفتح كما أن الفعل الماضيَ مبنيٌّ على الفتح ، والثالث : أنها تقتضي الاسم كما أن الفعل يقتضي الاسم ، والرابع : أنها تدخلها نون الوقاية نحو « إنني ، وكأنني » كما تدخل على الفعل نحو « أعْطَانِي ، وأكرمَنِي » وما أشبه ذلك ، والخامس : أن فيها معنى الفعل ؛ فمعنى « إنَّ ، وأنَّ » حَقَّقت ، ومعنى « كأن » شَبَّهت ، ومعنى « لكن » استدرَكْتُ ، ومعنى « ليت » تَمَنَّيت ، ومعنى « لعل » تَرَجَّيت ، فلما أشبهت الفعل من هذه الأوجه وجب أن تعمل عمل الفعل ، والفعل يكون له مرفوع ومنصوب ، فكذلك هذه الأحرف ينبغي أن يكون لها مرفوع ومنصوب ؛ ليكون المرفوعُ مشبهاً بالفاعل والمنصوب مشبهاً بالمفعول ، إلا أن المنصوب هاهنا قُدِّمَ على المرفوع لأن عمل « إنَّ » فرعٌ ، وتقديم المنصوب على المرفوع فرع ؛ فألزموا الفرع الفرع ، أو لأن هذه الحروف لما أشبهت الفعل لفظا ومعنًى ألزموا فيها تقديمَ المنصوب على المرفوع ليعلم أنها حروف أشبهت الأفعال ، وليست أفعالا ، وعدمُ التصرف فيها لا يدل [٨٣] على الحرفية ؛ لأن لنا أفعالا لا تتصرف ، نحو « نعم ، وبئس ، وعسى ، وليس ، وفعل التعجب ، وحَبَّذا » .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن هذه الأحرف إنما نصبَتْ لشبه الفعل ؛ فينبغي أن لا تعمل في الخبر ؛ لأنه يؤدي إلى التسوية بين الأصل والفرع » قلنا : هذا يبطل باسم الفاعل ؛ فإنه إنما عَمِلَ لشبه الفعل ، ومع هذا فإنه يعمل عَمَلَه ، ويكون له مرفوع ومنصوب كالفعل ، تقول : زَيْدٌ ضَارِبٌ أبوه عمراً ، كما تقول : يضرب أبوهُ عمراً .

والذي يدل على فساد ما ادعيتموه من ضعف عملها أنها تعمل في الاسم إذا فَصَلْتَ بينها وبينه بظرف أو حرف جر ، نحو قوله تعالى : (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا) و (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) وما أشبه ذلك ، على أنا قد عملنا بمقتضى

كونها فَرْعاً ؛ فإنا ألزمناها طريقــة واحدَة ، وأوجبنا فيهــا تقديمَ المنصوب على المرفوع ، ولم نُجَوِّزْ فيها الوجهين كما جوزنا مع الفعل ؛ لئلا يجرى مَجْرَى الفعل فيُسَوَّى بين الأصل والفرع ، وكان تقــديمُ المنصوب أوْلى ليفرق بينها وبين الفعل ؛ لأن الأصل أن يذكر الفاعل عقيب الفعل قبل ذكر المفعول ، فلما قُدِّمَ ها هنا المنصوبُ وأخر المرفوعُ حصلت مخالفةُ هــذه الأحرف للفعل وانحطاطها عن رتبته .

وقولهم « إن الخبر يكون باقياً على رفعه قبل دخولها » فاسدٌ ، وذلك لأن الخبر على قولهم مرفوع بالمبتدأ ، كما أن المبتــدأ مرفوع به ؛ فهما يترافعان ، ولا خلاف أن الترافع قد زال بدخول هذه الأحرف على المبتدأ ونَصْبها إياه ؛ فلو قلنا « إنه مرفوع بما كان يرتفع به قبل دخولها مع زواله » لــكان ذلك يؤدى إلى أن يرتفع الخبر بغير عامل ، وذلك محال .

وأما قولهم « الدليل على ضعف عملها أنه يدخل على الخبر ما يدخل على الفعل لو ابتدىء به كقول الشاعر :

* إنِّى إذَنْ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرَا * » [١٠٥]

قلنا : الجواب عن هذا من ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن هذا شاذ ؛ فلا يكون فيه حجة ، والثانى : أن الخبر ها هنا محذوف ، كأنه قال : لا تتركنى فيهم غريباً بعيداً ، إنى أذِلُّ ، إذن أهْلِكَ أو أطِيرَا ، وحُذِفَ الفعلُ الذى هوالخبر ؛ لأن فى الثانى دلالة على الأول المحذوف ، فإذَنْ ما دخلت على الخبر ، والثالث : أن يكون جعل [٨٤] « إذَنْ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرَا » فى موضع الخبر ، كقولك « إنِّى لَنْ أذْهَبَ » فشبَّهَ إذَنْ بلَنْ ، وإن كانت لن لا يلغى فى حال بخلاف إذن .

وأما قولهم « إن بك يكفل زيد ، وإن بك زيد مأخوذ » فالتقدير فيه : إنه بك يكفل زيد ، وإنه بك زيد مأخوذ ، كما قال الراعى :

١٠٦ — فَلَوْ أَنَّ حُقَّ الْيَوْمَ مِنْكُمْ إِقَامَةً
وَإِنْ كَانَ سَرْحٌ قَدْ مَضَى فَتَسَرَّعَا

أراد فلو أنه حُقَّ ، ولو لم يرد الهاء لكان الكلام محالا ، وقال الأعشى :

١٠٧ — إِنَّ مَنْ لَامَ فِى بَنِى بِنْتِ حَسَّا
نَ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِى الْخُطُوبِ

---

١٠٦ — هذا البيت للراعى كما قال المؤلف ، وقد أنشده سيبويه (٤٣٩/١) وكذلك أنشده ابن منظور (س ر ح) وأنشده البغدادى فى الخزانة (٣٨١/٤) نقلا عن ابن عصفور فى كتاب الضرائر ، و«لو» ههنا للتمنى ، وحق : أى ثبت ، و« سرح » فى هذا البيت اسم رجل ، والاستشهاد بالبيت فى قوله «ولو أن حق اليوم منكم» حيث وقع الفعل الماضى — الذى هو قوله « حق » — بعد إن المؤكدة الناصبة للاسم الرافعة للخبر ، فى ظاهر اللفظ ، ولو أبقى الكلام على ظاهره لكان كلاما فاسدا ؛ لأن « إن » المشددة وأخواتها مختصة بالدخول على الجمل الاسمية وأن تعمل فيها النصب والرفع ، إلا إذا اقترنت بهن «ما» فإن اقترنت بهن «ما» جاز دخولها على الجمل الفعلية . ولم تقترن «ما» بإن فى هذا البيت، فوجب أن يكون ثمت محذوفا يقدر دخول إن عليه لكى يصح الكلام ، وقد قدر بعض العلماء أن المحذوف فى هذا البيت ضمير الشأن والقصة ، وعلى هذا يكون تقدير الكلام : ولو أنه (أى الحال والشأن) حق اليوم منكم إقامة ، فيكون اسم إن هو هذا الضمير وخبرها هو الجملة الفعلية ، وقدره جماعة آخرون ضمير خطاب ، وعلى هذا يكون أصل الكلام : ولو أنكم حق اليوم منكم إقامة ، والعلماء يجعلون التقدير الثانى خيرا من التقدير الأول

ونظير هذا البيت قول الشاعر ، وهو من شواهد الرضى :

كأن على عرنينه وجبينه أقام شعاع الشمس أو طلع البدر

أراد كأنه (أى الحال والشأن) أقام على عرنينه وجبينه شعاع الشمس ، ومثلها قول الآخر :

فلا تشتم المولى وتبلغ أذاته فإن به تثأى الأمور وترأب

أراد فإنه (أى الحال والشأن) تثأى به الأمور — أى تصلح — وترأب ، ونظير ذلك البيتان الآتيان برقمى ١١٠و١١١ .

١٠٧ — هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس من قصيدة يمدح فيها =

وقال أميَّة بن أبي الصَّلْتِ :

١٠٨ — وَلٰـكِنَّ مَنْ لاَ يَلْقَ أَمْراً يَنُوبُهُ
بِعُدَّتِهِ يَنْزِلْ بِهِ وَهْوَ أَعْـــزَلُ

=أبا الأشعث بن قيس الـكندى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٤٣٩ وشواهد الرضى فى شرح الـكافية ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٤٦٣) وشواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٣٥ أوربة) وحسان : أحد تابعة اليمن ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « إن من لام — إلخ » فإن « من » التى دخلت عليها « إن » فى هذا البيت شرطية تطلب فعلين أحدها فعل الشرط والثانى جوابه وجزاؤه ؛ والدليل على أنها شرطية أن الجواب الذى هو قوله « أله » وما عطف عليه مجزومان ، ومن المعلوم أن أسماء الشرط لها صدر الـكلام ، نعنى أنه لا يجوز أن تقع إلا فى أول الجملة التى هى منها ، وعلى هذا لا يجوز أن تـكون « من » هذه اسما لأن ، وقد خرج العلماء هذا الـكلام على تقدير ضمير الشأن والحال ، وعلى أن يكون هذا الضمير المقدر هو اسم إن ، وتكون « من » الشرطية مبتدأ ، وخبره هو جملة الشرط وحدها أو جملة الجواب وحدها أو الجملتان معا ، ونحن نرجح الثالث ، وجملة المبتدأ والخبر فى محل رفع خبر إن .

ونظير هذا البيت قول الأخطل التغلبى :

إن من يدخل الـكنيسة يوما يلق فيهـــا جآذرا وظباء

والتقدير فيه : إنه (أى الحال والشأن) من يدخل الـكنيسة — إلخ .

هذا وبيت الأعشى يروى :

* من يلمنى على بنى بنت حسان *

وهذا هو الموجود فى ديوانه ، وعلى هـــذا لا يكون فى البيت شاهد لما جاء به المؤلف من أجله .

١٠٨ — هذا البيت كما قال المؤلف لأمية بن أبى الصلت ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٤٣٩) وينوبه : مضارع نابه الأمر ، أى نزل به ، والأعزل : الذى ليس معـه سلاح . يقول : من لم يتخذ لنوازل الدهر العدة قبل أن تنزل به ، فإنها ستدهمه وتنزل به فى الوقت الذى لا يكون معه من عدد الدفاع شىء فلا ينجو منها ، يرغب فى أن يتبصر =

وقال الآخر :

١٠٩ — فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًّا عَرَفْتَ قَرَابَتِي
وَلَـٰكِنَّ زَنْجِيٌّ عَظِـيمُ الْمَشَافِرِ

= الإنسان العواقب ويهيء نفسه لملاقاة المصاعب وهو قادر على حلها. والاستشهاد بالبيت في قوله « ولـكن من لايلق أمرا — إلخ » فإن « من » في هذا الـكلام شرطية ، بدليل أنها جزمت الشرط الذي هو قوله « يلق » بحذف الألف وجزمت الجواب الذي هو قوله « ينزل به » بالسكون ، وقد علمنا أن أسماء الشرط لايعمل فيها ماقبلها ، نعني أنها لابد أن تتصدر جملتها فلا يتقدم عليها شيء من جملتها ولا العامل فيها ، وقد تقدم على « من » الشرطية في هذا البيت « لـكن » ومن أجل هذا قال العلماء : إن اسم لـكن في هذا البيت ضمير الشأن محذوفا ، وإن « من » مبتدأ خبره مابعده على مابيناه في شرح الشاهد السابق ، وجملة المبتدأ والخبر في محل رفع خبر لـكن ، وعلى هذا تـكون «من» واقعة في صدر جملتها نظير ماذكرناه في الشاهد ١٠٧ .

١٠٩ — هذا البيت من كلام الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة ، وقد أنشده ابن منظور (ش ف ر) وسيبويه (١/ ٢٨٢) ورضي الدين في باب إن وأخواتها من شرح الـكافية ، وهو باب الحروف المشبهة بالفعل ، وشرحه البغدادي في الخزانة (٤ / ٣٧٨) ورواه ابن يعيش في شرح المفصل (ص ١١٣٨) وابن هشام في مغني اللبيب (رقم ٤٨٦) وكلهم يروي قافيته على الوجه الذي رواها المؤلف عليه ، والصواب في إنشاده :

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولـكن زنجيا غلاظا مشافره

والمشفر — بوزن المنبر أو المقعد — للبعير مثل الشفة للانسان ، والاستشهاد بالبيت على الرواية التي ذكرها النحاة في قوله « ولـكن زنجي » حيث حذف اسم لـكن ، وهو غير ضمير الشأن ، والتقدير : ولـكنك زنجي غليظ المشافر ، وحذف اسم لـكن وأخواتها لايجوز إلا أن يكون هذا الاسم ضمير الشأن ، والاسم المقدر في هذا البيت ضمير المخاطب على ماعرفت ، ولهذا رأى العلماء أن الحذف في هذا البيت ضرورة ، وقد رواه ابن منظور « ولـكن زنجيا » بالنصب فيـكون المحذوف هو خبر لـكن ، والتقدير : ولـكن زنجيا عظيم المشافر لايعرف قرابتي ، قال الأعلم : « الشاهد فيه رفع زنجي على الخبر ، وحذف اسم لـكن ضرورة ، والتقدير : ولـكنك زنجي ، ويجوز نصب زنجي بلـكن على إضمار =

وقال الآخر :

١١٠ — فَلَيْتَ دَفَعْتَ الْهَمَّ عَنِّى سَاعَةً
فَبِتْنَا عَلَى مَا خَيَّلَتْ نَاعِمَىْ بَالِ

= الخبر ، وهو أقيس ، والتقدير : ولكن زنجيا عظيم المشافر لا يعرف قرابتى » اهـ كلامه.

ونظير هذا البيت ما أنشده سيبويه :

فما كنت ضفاطا ، ولكن طالبا أناخ قليلا فوق ظهر سبيل

والضفاط : الذى يقضى حاجته من جوفه ، وهو أيضا المسافر على الحمير من قرية إلى قرية ، والطالب : الذى يطلب الإبل الضالة ، كأنه نزل عن راحلته لأمر فظن قوم أنه يقضى حاجته ، فقال ذلك . والاستشهاد به فى قوله « ولكن طالبا » حيث حذف خبر لكن وذكر اسمها ، وتقدير الكلام : ولكن طالبا أناخ قليلا أنا ، قال سيبويه « النصب أجود ؛ لأنه لو أراد إضمارا لخفف وجعل المضمر مبتدأ ، كقولك : ما أنت صالحا ، ولكن طالح » اهـ ، والكلام واضح إن شاء الله .

ومثل هذا البيت قول الآخر وهو من شواهد الأشمونى (رقم ١٤١) :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيرا فى عراض المواكب

التقدير : ولكن سيرا فى عراض المواكب لكم ، مثلا ، ومن العلماء من يجعل التقدير : ولكنكم تسيرون سيرا فى عراض المواكب ، ولا داعى له ؛ لأنه يلزم عليه تكثير المحذوف ، ومتى أمكن تقليل المحذوف كان هو الأمثل ، ومثله قول الآخر :

فأما الصدور لا صدور لجعفر ولكن أعجازا شديدا صريرها

تقديره على ما نرجح : ولكن لهم أعجازا — إلخ

١١٠ — أنشد ابن منظور (ب ول) عجز هذا البيت ، ولم يعزه إلى قائل معين ، والبال : الحال والشأن ، ومحل الشاهد فيه قوله « فليت دفعت الهم » حيث وقع الفعل بعد ليت ، وقد علمنا أن « ليت » من الأدوات المختصة بالدخول على الجمل الاسمية فتنصب المبتدأ وترفع الخبر ، ومن أجل هذا جعل النحاة اسم ليت فى هذا البيت محذوفا ، وتقدير الكلام : فليتك دفعت الهم — إلخ ؛ فيكون هذا الفعل مع فاعله جملة فى محل رفع خبر ليت ، ولا يكون الفعل واقعا عند التحقيق بعد ليت ؛ لأن الواقع بعد ليت هو =

وقال الآخر :

١١١ — فَلَيْتَ كَفَافًا كَانَ خَــيْرُكَ كُلُّهُ
وَشَرُّكَ عَــنِّى مَا ارْتَوَى الْمَاءَ مُرْتَوِى

= اسمها المقدر ، ويجوز أن يكون الضمير المحذوف هو ضمير الشأن والحال ، وتقدير الكلام حينئذ : فليته (أى الحال والشأن) دفعت الهم — إلخ ، ولكن ماذكرناه أولا أمثل من هذا ، للعلة التى ذكرناها فى شرح الشاهد رقم ١٠٦ ، ومن العلماء من يجعل نظير هذا قول جميل بن معمر :

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهر تولى يابثين يعود

وذلك إذا رويت « أيام » بالرفع على الابتداء ، وخبره قوله « جديد » فإن اسم ليت حينئذ يكون محذوفا مقدرا بضمير الشأن ، وكأنه قال : ألا ليته (أى الحال والشأن) أيام الصفاء جديد ، فاعرف ذلك .

١١١ — هذا البيت من قصيدة جيدة ليزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى يقولها فى عتاب ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاص ، وقد روى هذه القصيدة أبو على القالى فى أماليه (٦٨/١ ط دار الكتب) وأبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى (١٠٠/١١ بولاق) والبغدادى فى خزانة الأدب (٤٩٦/١) نقلا عن أبى على الفارسى فى المسائل البصرية ، وقد استشهد الرضى بعدة أبيات من هذه القصيدة ، واستشهد بالبيت الذى استشهد به المؤلف ههنا فى باب « الحروف المشبهة بالفعل » وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣٩٠/٤) والكفاف — بفتح الكاف بزنة السحاب — الذى لا يزيد عن قدر الحاجة ، و « ما » مصدرية ظرفية ، وارتوى : أراد به شرب ، ومرتوى : اسم الفاعل من قولهم « ارتوى فلان » إذا طلب الرى وذهاب العطش ، ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « ليت كفافا كان خيرك » فإن هذه العبارة — على ماذكر المؤلف — تحتمل وجهين : الأول أن يكون قوله كفافا خبر كان تقدم عليها وعلى اسمها جميعا ، وأصل الكلام : ليت كان خيرك كفافا ، وعلى هذا الوجه يكون الشاعر قد أولى « ليت » فى الظاهر الفعل الذى هو كان ، وقد علمنا أن « ليت » مختصة بالجمل الاسمية ، ولهذا يجب على هذا الوجه تقدير اسم ليت إما ضمير شأن وإما ضمير مخاطب ؛ فعلى الأول يكون تقدير الكلام : =

أراد « ليته » إن جعلتَ « كَفَافًا » خبرَ كان مقدماً عليها ، والتقدير فيه : ليته كان خيرك وشرك كفافاً عنى ، أو مكفوفين عنى ؛ لأن الكفاف مصدر فيقع على الواحد والاثنين والجميع ، كقولهم : رجل عَدْلٌ ورِضاً ، ورجلان عَدْل ورِضاً ، وقوم عَدْل ورِضاً ، وما أشبه ذلك ، وإن جعلت « كفافاً » منصوباً بليت لم يكن من هذا الباب ، والأول أجود .

والذى يدل على فساد ما ذهبوا إليه أنه ليس فى كلام العرب عامل يعمل فى الأسماء النصب إلا ويعمل الرفع ؛ فما ذهبوا إليه يؤدى إلى ترك القياس ومخالفة الأصول لغير فائدة ، وذلك لا يجوز ، فوجب أن تعمل فى الخبر الرفع كما عملت فى الاسم النصب على ما بينا ، والله أعلم .

[٨٥] ٢٣ — مسألة

[القول فى العطف على اسم « إنَّ » بالرفع قبل مجىء الخبر](١)

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع « إنَّ » قبل تمام الخبر ،

= ليت هو (أى الحال والشأن) كان خيرك كفافا ، وعلى الثانى يكون التقدير : فليتك كان خيرك كفافا ، والوجه الثانى من الوجهين اللذين تحتملهما العبارة أن يكون قوله « كفافا » اسم ليت ، وجملة كان فى محل رفع خبر ليت ، واسم كان على هذا الوجه ضمير مستتر فيها يعود على كفاف ، ويكون « خيرك » بالنصب على أنه خبر كان ، وقوله « عنى » على هذا الوجه جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من قوله « خيرك » أى : ليت كفافا يكون (هو) خيرك منفصلا عنى ، ولا يجوز لك أن ترفع « خيرك » على أنه فاعل كان وهى تامة ، وتجعل « كفافا » اسم ليت وخبرها جملة كان وفاعلها ؛ لأن جملة كان حينئذ تصير خالية من رابط يربطها باسم ليت ، فاعرف ذلك كله وتنبه له ، وللعلماء فى شرح هذا البيت كلام طويل أعرضنا عنه

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد وحاشية يس الحمصى عليه (١ / ٢٧٢ وما بعدها) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (١ / ٢٦٥ وما بعدها) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٢٢ — ١١٢٧) وشرح الكافية لرضى الدين (٢/ ٣٢٧ — ٣٣٠)

واختلفوا بعد ذلك : فذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى إلى أنه يجوز ذلك على كل حال ، سواء كان يظهر فيه عمل « إنَّ » أو لم يظهر ، وذلك نحو قولك : « إن زَيْداً وعمرو قائمان ، وإنك وبَكْرٌ منطلقان » . وذهب أبو زكرياء يحيى ابن زياد الفراء إلى أنه لايجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عملُ إنَّ . وذهب البصريون إلى أنه لايجوز العطفُ على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على جواز ذلك النقلُ والقياسُ :

أما النقل فقد قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى) وَجْهُ الدليل أنه عَطَفَ (الصابئون) على موضع « إنَّ » قبل تمام الخبر — وهو قوله : (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) — وقد جاء عن بعض العرب فيما رواه الثقات « إنَّكَ وَزَيْد ذَاهِبَانِ » وقد ذكرهُ سيبويه[1] فى كتابه ؛ فهذان دليلان من كتاب الله تعالى ولغة العرب .

وأما من جهة القياس فقالوا : أجمعنا على أنه يجوز العطفُ على الموضع قبل تمام الخبر مع لا ، نحو « لارَجُلَ وامْرَأَةٌ أَفْضَلُ منكَ » فكذلك مع « إنَّ » لأنها بمنزلتها ، وإن كانت إنَّ للاثبات ولا للنفى ؛ لأنهم يحملون الشىء على ضده كما يحملونه على نظيره ، يدل عليه أنا أجمعنا على أنه يجوز العطفُ على الاسم بعد تمام الخبر ، فكذلك قبل تمام الخبر ؛ لأنه لافرق بينهما عندنا ، وأنه قد عرف من مذهبنا أن « إنَّ » لاتعمل فى الخبر لضعفها ، وإنما يرتفع بما كان يرتفع به قبل دخولها ، فإذا كان الخبر يرتفع بما كان يرتفع به قبل دخولها ؛ فلا إحالة إذَنْ ؛ لأنه إنما كانت المسألة تَفْسُد أنْ لو قلنا إن « إنَّ» هى العاملة فى الخبر فيجتمع عاملان فيكون محالا ، ونحن لانذهب إلى ذلك ؛ فصحَّ ماذهبنا إليه .

(١) قال سيبويه « واعلم أن ناسا من العرب يغلطون فيقولون : إنهم أجمعون ذاهبون ، وإنك وزيد ذاهبان » فذكر سيبويه لهذا المثال لا يدل على جوازه ، وكيف يدل على ذلك وهو ينص على غلطه ؟ وسيذكر ذلك المؤلف فى ص ١٩١ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن ذلك لايجوز أنك إذا قلت « إنَّكَ وَزَيْدٌ قَائِمَانِ » وجب أن يكون « زيد » مرفوعا [٨٦] بالابتداء ، ووجب أن يكون عاملا فى خبر « زيد » وتكون « إنَّ » عاملة فى خبر الكاف ، وقد اجتمعا فى لفظ واحد ؛ فلو قلنا « إنه يجوز فيه العطف قبل تمام الخبر » لأدى ذلك إلى أن يعمل فى اسم واحد عاملان ، وذلك محال .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ) فلا حجة لهم فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنا نقول : فى هذه الآية تقديم وتأخير ، والتقدير فيها : إن الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والصابئون والنصارى كذلك ، كما قال الشاعر :

١١٢ — غَدَاةَ أَحَلَّتْ لِابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ حُصَيْنٍ عَبِيطَاتِ السَّدَائِفِ وَالْخَمْرُ

---

١١٢ — هذا البيت من كلام الفرزدق ، وقد استشهد به ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٢٧) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٢٠٥ بتحقيقنا) ، وابن أصرم : هو حصين كما سيذكره بعد ، والعبيطات : جمع عبيطة — بفتح العين — وهى القطعة من اللحم الطري غير النضيج ، والسدائف : جمع سديف ، وهو السنام ، ومحل الاستشهاد فى قوله « والخمر » . واعلم أولا أن قوله « أحلت لابن أصرم طعنة عبيطات السدائف والخمر » يروى على وجهين : الأول بنصب « طعنة » ورفع كل من « عبيطات » و« الخمر » والوجه الثانى : برفع « طعنة » ونصب عبيطات بالكسرة نيابة عن الفتحة ورفع « الخمر » وهذه الرواية هى التى يقصدها المؤلف ههنا ، فأما الرواية الأولى فتخرج على أن « طعنة » مفعول به فى اللفظ وإن كان فاعلا فى المعنى ، و« عبيطات » فاعل فى اللفظ وإن كان مفعولا به فى المعنى ، و« الخمر » معطوف على عبيطات السدائف ، وقد أتى الشاعر — على هذه الرواية — بالفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا على طريقة من قال : خرق الثوب المسمار ، وكسر الزجاج الحجر ، وقد صرح ابن مالك بأن العرب قد يدعوهم ظهور المعنى إلى أن يغيروا من إعراب الفاعل فينصبوه وإعراب المفعول فيرفعوه ، وأما تخريج الرواية الثانية فقد اختلف النحاة فيه ، فمنهم من ذهب إلى أن « طعنة » فاعل أحلت مرفوع بالضمة الظاهرة ، و« عبيطات » =

فرفع « الْخَمْرُ » على الاستئناف ، فكأنه قال : والخمرُ كذلك . وقال الآخر :

١١٣ — وَعَضُّ زَمَانٍ يَاابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ الْمَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أوْ مُجَلَّفُ

= مفعول به ، و« الخمر » فاعل بفعل محذوف يدل عليه الفعل السابق ، وتقدير الكلام : أحلت الطعنة عبيطات السدائف وحلت الخمر ، ويروى أن الكسائى سئل فى حضرة يونس بن حبيب عن توجيه رفع الخمر فى هذا البيت ، فقال الكسائى : يرتفع بإضمار فعل ، أى وحلت له الخمر ، فقال يونس : ما أحسن والله توجيهك ، غير أنى سمعت الفرزدق ينشده بنصب طعنة ورفع عبيطات ، على جعل الفاعل مفعولا فى اللفظ . ومنهم من جعل قوله « الخمر » مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : والخمر كذلك ، وهذا هو الذى أراده المؤلف ههنا ، وهو الذى وجه به البيت ابن يعيش فى شرح المفصل .

١١٣ — وهذا البيت أيضاً من كلام الفرزدق ، وقد استشهد به رضى الدين فى شرح الكافية فى باب حروف العطف ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢ / ٣٤٧ بولاق) وأنشده ابن منظور (س ح ت — ج ل ف) ونسبه إليه فى المرتين ، وأنشده ابن جنى فى الخصائص (١/٩٩) ، وهو من قصيدة من قصائد النقائض ، وأولها قوله :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ويروى أن الفرزدق أنشد هذه القصيدة لعبد الله بن إسحاق ، فلما بلغ البيت المستشهد به قال له عبد الله : علام رفعت « أو مجلف » فقال الفرزدق : على ما يسوءك وينوءك ! علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا . ولم يدع : أى لم يترك ، والمسحت — بضم أوله على زنة اسم المفعول — هو المستأصل الذى فنى كله ولم يبق منه شىء ، والمجلف — بالجيم ، على زنة المعظم — الذى قد ذهب أكثره وبقى منه شىء يسير . واعلم قبل كل شىء أن أصل الرواية فى هذا البيت على ما رواها المؤلف بنصب « مسحتا » ورفع « مجلف » وقد تكلم العلماء فى ذلك فأطالوا وقالوا فأكثروا وتعبوا فى طلب الحيلة ولم يأتوا بشىء يرتضى ، هكذا قال ابن قتيبة ، وقال الزمخشرى كلاما قريبا منه ، ونحن نذكر لك أربعة تخريجات لهذه الرواية الأصلية ، التخريج الأول : أن قوله « مجلف » مبتدأ حذف خبره وتقدير الكلام : أو مجلف كذلك ، والثانى : أن « مجلف » فاعل بفعل محذوف دل عليه سابق الكلام ، والتقدير : أو بقى مجلف ؛ لأن قوله « لم يدع إلا مسحتا » معناه =

فرفع « مجلف » على الاستئناف ، فكأنه قال : أو مجلف كذلك ، وهذا كثير في كلامهم .

والوجه الثانى : أن تجعل قوله تعالى : (مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخرِ) خبراً للصابئين والنصارى ، وتضمر للذين آمنوا والذين هادوا خبرا مثل الذى أظهرت للصابئين والنصارى ؛ ألا ترى أنك تقول « زَيْدٌ وَعَمْرٌو قَائِم » فتجعل قائماً خبراً لعمرو ، وتضمر لزيد خبراً آخر مثل الذى أظهرت لعمرو ، وإن شئت أيضاً جعلته خبراً لزيد وأضمرت لعمرو خبراً آخر .

= بقى مسحت ، وهذان التخريجان مثل التخريجين اللذين ذكرناهما فى شرح البيت السابق ، والتخريج الثالث : أن قوله « مجلف » معطوف على قوله « عض زمان » فى أول البيت وهو مصدر ميمى بمعنى التجليف ، وليس اسم مفعول ، وتقدير الكلام على هـــذا : وعض زمان وتجليفه لم يدع من المال إلا مسحتا ، وهذا توجيه أبى على الفارسى ، والتخريج الرابع : أن قوله « مسحتا » اسم مفعول منصوب على أنه مفعول به لقوله لم يدع ، وفيه ضمير مستتر نائب فاعل ، وقوله « أو مجلف » معطوف على الضمير المستتر فى مسحت ، وهذا توجيه الكسائى .

ومن العلماء من ذهب يغير فى رواية البيت أو فى تفسير كلماته ؛ فمن ذلك ما حكاه الفراء من أن بعضهم روى البيت هكذا :

وعض زمان يا ابن مروان مابه من المال إلا مسحت أو مجلف

ومن ذلك أن أبا جعفر بن حبيب روى البيت فى كتابه النقائض برفع مسحت ومجلف جميعا من غير تغيير فى صدر البيت ، وخرجها ابن الأعرابى على أن التقدير : لم يدع من المال إلا أن يكون مسحت أو مجلف ، قال : وهو نظير قول شعيب بن البرصاء .

ولا خير فى العيدان إلا صلابها ولا ناهضات الطير إلا صقورها

برفع « صلابها » على تقدير : إلا أن يكون صلابها ، ورفع « صقورها » على أن يكون التقدير : إلا أن يكون صقورها . ومن ذلك أن عيسى بن عمر روى البيت بكسر الدال من « لم يدع » على أن معناه يقر ويمكث ، وبرفع مسحت ومجلف على أن الأول فاعل والثانى معطوف عليه، وخرجه على ذلك ابن جنى فى الخصائص .

وبعد ؛ فقد قال ابن قتيبة : ومن ذا الذى يخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به احتيال وتمويه .

وقال الشاعر ، وهو بشر بن أبى خازم :

١١٤ — وإلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّا وأَنْتُمْ بُغَاةٌ ، مَا بَقِينَا فى شِقَاقِ

فإن شئت جعلت قوله : « بغاة » خبراً للثانى وأضمرت للأول خبراً ، ويكون التقدير : وإلا فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة ، وإن شئت جعلته خبراً للأول وأضمرت للثانى خبرا ، على ما بينا .

والوجه الثالث : أن يكون عطفاً على المضمر المرفوع فى « هادوا » وهادوا بمعنى تابوا . وهذا الوجه عندى ضعيف ؛ لأن العطف على المضمر المرفوع قبيح وإن كان لازماً للكوفيين ؛ لأن العطف على المضمر المرفوع عندهم [٨٧] ليس بقبيح ، وسنذكر فساد ماذهبوا إليه فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

---

١١٤ — هذا البيت — كما قال المؤلف — لبشر بن أبى خازم ، وقد أنشده سيبويه (١/٢٩٠) واستشهد به ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٢٦) وأنشده رضى الدين فى شرح الكافية فى باب الحروف المشبهة بالفعل ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٣١٥) وبغاة : جمع باغ ، وهو هنا بمعنى طالب ، تقول : بغيت الشىء أبغيه بغيا ، تريد طلبته ، و « ما » مصدرية ظرفية، وفى شقاق : أى فى اختلاف ، والاستشهاد بالبيت فى قوله «أنا وأنتم بغاة» حيث وقع الضمير المنفصل الذى يكون فى محل الرفع بعد اسم أن وقبل ذكر خبرها ، وقد تمسك بظاهر هذا الفراء وشيخه الكسائى فقالا : يجوز أن يعطف بالرفع على اسم إن قبل أن يذكر الخبر ، فتقول : إنى ومحمد على وفاق، ولم يرتض سيبويه ذلك ، وقال : إن الكلام مؤلف من جملتين : إحداهما إن واسمها وخبرها ، والثانية هذا الاسم المرفوع المتوسط بين اسم إن وخبرها فهو مبتدأ وخبره محذوف ، والجملة معطوفة على جملة إن واسمها وخبرها ، وأصل مكان هذا الاسم المرفوع بعد خبر إن ، لكن الشاعر فى هذا البيت قد قدمه ، وأصل الكلام : وإلا فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك ، وأجاز الأعلم وجها آخر ، وهو أن يكون خبر إن محذوفا لدلالة ما بعده عليه ، و « بغاة » المذكور خبر المبتدأ الذى هو « أنتم » فيكون الشاعر قد حذف من الجملة الأولى لدلالة ما فى الجملة الثانية على المحذوف ، وعلى الوجه السابق يكون الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه ، وهو أفضل من تقدير الحذف من الأول .

وأما ماحكوه عن بعض العرب « إنك وزيد ذاهبان » فقد ذكر سيبويه أنه غلط من بعض العرب ، وهذا لأن العربي يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضربٌ من الغلط فيعدل عن قياس كلامه ، كما قالوا « ماأغفله عنك شيئاً » ، وكما قال زهير ، ويقال صِرْمَةُ الأنصارى :

١١٥ — بَدَا لِيَ أَنِّى لَسْتُ مُدْرِكَ مَامَضَى
وَلاَ سَابِقٍ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِيَا

فقال « سابقٍ » على الجر ؛ وكان الوجه « سابقاً » بالنصب !

وقال الآخر :

١١٦ — أَجِدَّكَ لَسْتَ الدَّهْرَ رَائِىَ رَامَةٍ
وَلاَ عَاقِلٍ إِلاَّ وأَنْتَ جَنِيبُ

---

١١٥ — هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى ، وهو ثابت فى ديوانه بشرح الأعلم الشنتمرى ، وهو من شواهد سيبويه ، أنشده فى (١/٨٣و٤١٨و٤٥٢) ونسبه فى هذه المرات إلى زهير ، وأنشده فى (١/١٥٤) ونسبه إلى صرمة الأنصارى ، والبيت من شواهد مغنى اللبيب لابن هشام (ص٩٦ و٢٨٨ و٤٦٠ و٤٧٦ و٤٧٨ و٥٥١ و٦٧٨ بتحقيقنا) وشواهد الأشمونى (رقم ٥٨٤) وأنشده فى اللسان (نمش) ونسبه إلى زهير ، وأنشده ابن جنى فى الخصائص (٢/٣٥٣و٤٢٤) والاستشهاد بالبيت فى قوله « ولا سابق » حيث جاء به مجروراً مع كونه معطوفا على مدرك المنصوب لكونه خبر ليس ، وإنما جاء به مجرورا لأن الباء تدخل فى خبر ليس كثيراً ، فلما قال الشاعر « أنى لست مدرك ما مضى » توهم أنه أدخل الباء على خبر ليس لكونه مما يجرى على لسانه كثيراً ؛ فجر المعطوف على هذا التوهم ، قال سيبويه بعد أن أنشده « فجعلوا الكلام على شيء يقع هنا كثيراً » اه . وقال الأعلم : « حمل قوله ولا سابق على معنى الباء فى مدرك ؛ لأن معناه لست بمدرك ، فتوهم الباء وحمل عليها » اه .

١١٦ — لم أعثر لهذين البيتين على نسبة إلى قائل معين ، ورامة وعاقل ومنعج =

وَلا مُصْمِدٍ فى الْمُصْعِدِينَ لِمَنْعِجٍ
ولا هَابِطٍ مَاعِشْتَ هَضْبَ شَطِيبِ

= وشطيب : أسماء أماكن بأعينها ، والاستشهاد بالبيتين فى قوله «ولا مصعد» فإنه مجرور وهو معطوف على قوله « رائى رامة » المنصوب لكونه خبر ليس ، وسهل ذلك أن خبر ليس يكثر دخول الباء الزائدة عليه فتجر لفظه ، فكأن الشاعر بعد أن قال « لست رائى رامة » توهم أنه أدخل الباء فقال : لست برائى رامة ، فجر المعطوف لهذا التوهم .

وربما عكسوا ذلك فجاءوا بخبر ليس مقترنا بالباء الزائدة فجروا لفظه ، ثم عطفوا عليه اسما منصوبا ، ومن شواهد ذلك قول عدى بن خزاعى ، وقد أنشده فى اللسان (ن ر ب) وهو الشاهد رقم ٢٠٧ الآتى فى المسألة ٤٥ .

ولست بذى نيرب فى الكلام ومناع قومى وسبابها
ولا من إذا كان فى معشر أضاع العشيرة واغتابهـا

عطف قوله « ومناع قومى » بالنصب على قوله « بذى نيرب » المجرور بالباء الزائدة ومثله قول عقيبة الأسدى ، وأنشده سيبويه (٣٤/١) وهو الشاهد ٢٠٨ الآتى :

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا
أديروها بنى حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا

ووجه ذلك أن الباء الداخلة على خبر ليس زائدة ، تجر لفظ الخبر ليس غير ، ويبقى محله نصبا كما يكون لو لم تدخل عليه الباء ، وليس لهذه الباء متعلق ، فإذا عطفت على هذا الخبر جاز لك من غير ضرورة أن تعطف عليه بالنصب نظرا إلى محله ، وجاز لك أن تعطف عليه بالجر نظرا إلى لفظه ، ولذلك نظائر كثيرة : منها الوصف المضاف إلى معموله ، كاسم الفاعل والمصدر مثلا إذا أضيف إلى مفعوله أو فاعله فإن المعمول يكون مجرورا لفظا بإضافة اسم الفاعل إليه ، فإذا عطفت عليه جاز لك أن تجىء بالمعطوف مجرورا نظرا إلى لفظ المعطوف عليه ، وجاز لك أن تجىء بالمعطوف منصوبا إن كان المعطوف عليه مفعولا ومرفوعا إن كان المعطوف عليه فاعلا ، ومن ذلك قول زياد العنبرى ، وقد نسبوه فى كتاب سيبويه (٩٨/١) إلى رؤبة بن العجاج :

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الإفلاس والليـانا =

وقال الأَحْوَصُ الرِّيَاحِيُّ :

١١٧ — مشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً
ولا نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَـــــا

= فقد عطف « الليان » بالنصب على « الإفلاس » المجرور ، لكون هذا المجرور مفعولا به للمصدر ، ومثل ذلك قول لبيد بن ربيعة العامرى ، وهو الشاهد رقم ١٤٦ الآتى :

حتى تهجر فى الرواح ، وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم

فقد وصف بالمظلوم المرفوع قوله « المعقب » المجرور بإضافة المصدر الذى هو « طلب » إليه ، لكون هذا المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعلا لذلك المصدر ، ونظير ذلك قول الأعشى ميمون :

الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا تزجى بينها أولادها

عطف « عبدها » بالنصب على « المائة » المجرور بإضافة اسم الفاعل الذى هو « الواهب » إليه ، ومثله قول الشاعر وأنشده سيبويه (١/٨٧) :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عمرو بن مخراق

ومثله قول رجل من قيس عيلان ، وأنشده سيبويه أيضا (١/٨٧) :

فبينـــا نحن نطلبـــه أتـــانـــا معلق وفضـــة وزناد راع

عطف قوله « زناد راع » بالنصب على قوله « وفضة » المجرور بإضافة « معلق » إليه ، لكون المعطوف عليه مفعولا به لاسم الفاعل الذى هو معلق ، وفى هذا القدر كفاية .

١١٧ — هذا البيت — كما قال المؤلف — للأحوص الرياحى ، وهو من شواهد سيبويه ، وقد أنشده سيبويه فى كتابه ثلاث مرات نسبه فى واحدة (١/٤١٨) للفرزدق وقد بحثت ديوان الفرزدق فلم أعثر عليه فيه ، ونسبه فى المرتين الأخريين (١/٧٣ و ١٥٤) إلى الأحوص ، وقد استشهد به الأشمونى (رقم ٥٨٦ بتحقيقنا) ورواه أبو عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ فى البيان (٢/٢٦٠) ثالث ثلاثة أبيات ، ونسبها للأحوص ، واستشهد به رضى الدين فى شرح الكافية (١/٤٢٨) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/١٤٠) والمشائيم : جمع مشئوم ، وتقول : شأم فلان قومه يشأمهم — من باب فتح — إذا =

فقال « ناعبٍ » بالجر ، وكان الوجه أن يقول « ناعباً » بالنصب ، وقد تُؤُوِّلَ ذلك بما لا يلتفت إليه ولا يقاس عليه؛ فإذا كان كذلك فلا يجوز الاحتجاج بما رَوَوْهُ مع قلته فى الاستعمال وبُعْدِهِ عن القياس على ماوقع فيه الخلاف .

وأما قولهم « أجمعنا على أنه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع لا؛ فكذلك مع إن » قلنا الجواب على هذا من وجهين :

أحدهما : إنما جاز ذلك مع « لا » لأن لا لاتعمل فى الخبر ، بخلاف «إن» فلم يجتمع فيه عاملان ، فجاز معها العطف على الموضع قبل تمام الخبر ، دون «إن» على ما بينا

= جر عليهم الشؤم ، وعشيرة الرجل : بنو أبيه الأدنون ، وناعب : اسم فاعل من النعيب ، وهو صوت الغراب ، وهم يتشاءمون به ويجعلونه نذيراً بالفرقة وتصدع الشمل والاستشهاد بالبيت فى قوله « ولا ناعب » حيث جاء به مجرورا مع أنه معطوف على خبر ليس المنصوب الذى هو قوله «مصلحين» وذلك لأنه بعد أن قال « ليسوا مصلحين عشيرة » توهم أنه قرن خبر ليس بالباء الزائدة من قبل أن لسانهم كثيرا ما يجرى بذلك من غير نكير ، وقد بينا ذلك فى شرح الشاهدين السابقين .

ونظير هذه الشواهد قول عبد الله بن الدمينة ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٣٥٤ بتحقيقنا) :

أحقا عباد الله أن لست صاعدا ولا هابطا إلا على رقيب
ولا سالك وحدى ولا فى جماعة من الناس إلا قيل :أنت مريب

فقد جاء بالمعطوف ــ وهو قوله « ولا سالك » ــ مجرورا ، مع أن المعطوف عليه وهو قوله « صاعدا » منصوب ، وبعد أن عطف عليه اسما منصوبا وهو قوله «ولا هابطا».

وربما جر بعض الشعراء المعطوف على خبر كان المنفية المنصوب لأن الباء الزائدة تدخل على خبر كان المنفية ، وإن كان ليس من الكثرة فى لسانهم كخبر ليس ، ومن هذا قول الشاعر ، وأنشده ابن منظور (ن م ش)

وما كنت ذا نيرب فيهم ولا منمش فيهم منمل

ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ولا منمش » حيث جاء به مجرورا وهو معطوف على قوله « ذا نيرب » الذى هو خبر كان المسبوقة بما النافية، وذلك ظاهر إن شاء الله .

والوجه الثانى : أنا نسلم أن «لا» تعمل فى الخبر كإن ، ولـكن إنما جاز ذلك مع « لا » دون « إن » ، وذلك لأن « لا » ركبت مع الاسم النـكرة بعدها فصارا شيئاً واحداً ؛ فـكأنه لم يجتمع فى الخبر عاملان ، وأما « إن » فإنها لا تركب مع الاسم بعدها ؛ فيجتمع فى الخبر عاملان ، وذلك لا يجوز ، فبان الفرق بينهما .

وأما قولهم « إنَّ إنَّ لا تعمل فى الخبر » فقد بينا فساد ذلك مُسْتَوْفًى فى المسألة التى قبل هذه المسألة ؛ فلا يفتقر إلى الإعادة ، والله أعلم .

[٨٨] ٢٤ — مسألة

[القول فى عمل « إنِ » المخففة النَّصْبَ فى الاسم][(١)]

ذهب الـكوفيون إلى أن « إنِ » المخففة من الثقيلة لا تعمل النصب فى الاسم . وذهب البصريون إلى أنها تعمل .

أما الـكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنها لا تعمل لأنَّ المشددَةَ إنما عملت لأنها أشبهتِ الفعلَ المـاضىَ فى اللفظ ؛ لأنها على ثلاثة أحرف كما أنه على ثلاثة أحرف ، وإنها مبنية على الفتح كما أنه مبنى على الفتح ، فإذا خففت فقد زال شَبَهُها به ؛ فوجب أن يبطل عملها .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا ذلك لأن « إنَّ » المشددة من عوامل الأسماء ، و « إنِ » المخففة من عوامل الأفعال ؛ فينبغى ألاّ تعمل المخففة فى الأسماء

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل لموفق الدين ابن يعيش (ص ١١٢٨) وشرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (٢/٣٣٣) والتصريح للشيخ خالد الأزهرى (١/٢٧٨ بولاق) وحاشية الصبان على الأشمونى (١/٢٦٧ بولاق)

كما لا تعمل المشددة فى الأفعال ؛ لأن عوامل الأفعال لا تعمل فى الأسماء ، وعوامل الأسماء لا تعمل فى الأفعال .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على صحة الإعمال قولُه تعالى : (وإنْ كُلا لَمَا ليوفينهم ربك أعمالهم) فى قراءة من قرأ بالتخفيف ، وهى قراءة نافع وابن كثير ، وروى أبو بكر عن عاصم بتخفيف « إن » وتشديد « لما » .

قالوا : ولا يجوز أن يقال بأن « كلا » منصوب بليوفينهم ، لأنا نقول : لا يجوز ذلك ؛ لأن لام القسم تمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول « زيداً لأكرمنَّ ، وعمراً لأضربنَّ » فتنصب زيداً بلأكرمن وعمراً بلأضربن ، فكذلك ها هنا : لا يجوز أن يكون « كلا » منصوباً بليوفينهم .

قالوا : ولا يجوز أيضاً أن يقال إن « إنْ » بمعنى ما ، ولَمَا بمعنى إلاَّ ؛ لأنا نقول : إن إن التى بمعنى ما لا يجىء معها اللام بمعنى إلا ، كما قال تعالى (إنْ كلُّ مَنْ فى السموات والأرض إلاَّ آتى الرحْمٰنِ عبدا) وأما « لما » فلا يجوز أن يجعل ها هنا بمعنى إلا ؛ لأنه لو جاز أن تجعل « لما » بمعنى إلا لجاز أن يقال : ما قام القوم لما زيداً ، وقام القوم لما زيداً ، بمعنى إلا زيداً ، وفى امتناع ذلك دليل على فساده ، وإنما جاءت لما بمعنى إلاَّ فى الأيمان خاصة نحو قولهم : « عَمْرَكَ اللهَ لَمَا فعلت كذا » أى إلاَّ ، ثم لو جعلت « لما » فى قوله تعالى : (وإنْ كُلاًّ لَمَا ليوفينهم) بمعنى إلا لما كان لكل ما ينصبه ؛ لأن إلا لا يعمل ما بعدها [٨٩] فيما قبلها ، فدلَّ على صحة ما ذكرناه .

والذى يدل على صحة ذلك أيضاً أنه قد صَحَّ عن العرب أنهم يقولون « إلاَّ أنْ أخَاكَ ذاهب » بمعنى أنَّ المشددة ، وقد قال الشاعر :

١١٨ ــ وَصَدْرٍ مُشْرِقِ النَّحْرِ كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ

فنصب « ثدييه » بكأن المخففة من الثقيلة ، وأصلها أنْ أضيف إليها الكافُ للتشبيه ، والأصل فى الكاف أن تكون مؤخرة ؛ كما أن الأصل فى اللام أن تكون مقدمة ؛ فإذا قلت « كأنَّ زيداً الأسَدُ » كان الأصل فيه : إن زيداً كالأسد ، كما إذا قلت « إن زيدا لقائم » كان الأصلُ فيه : لإنَّ زيدا قائم ، إلا أنه قدمت الكاف على « أن » عنايةً بالتشبيه ، وأخرت اللام عن « إن »

---

١١٨ ــ أنشد سيبويه هذا البيت (١/٢٨١) وأنشده ابن يعيش (ص ١١٣٨) ولم يعزواه ، وأنشده رضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٣٥٨) وقال عنه : « هو أحد أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لهـا قائل » اهـ . وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٢٨٦) وأوضح المسالك (رقم ١٥٢) وابن عقيل (رقم ١٠٨) ويروى صدره :

* ووجه مشرق اللون *

وهى رواية سيبويه ، ويروى :

* ونحر مشرق اللون *

وعلى هاتين الروايتين يكون قوله « كأن ثدييه » على تقدير مضاف بين المضاف والمضاف إليه ، أى كأن ثديى صاحبه ، ومشرق : أى مضىء ، وحقان : مثنى حق ، بضم الحاء وتشديد القاف ـ وهو ما ينحت من خشب أو عاج أو نحوهما ، والعرب تشبه الثديين بالحق فى اكتنازهما ونهودهما ، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم :

وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من أكف اللامسينا

والاستشهاد بالبيت فى قوله « كأن ثدييه » حيث خفف الشاعر كأن الدالةعلى التشبيه ثم أعملها فى الاسم والخبر ؛ فنصب بها الاسم الذى هو قوله « ثدييه » ورفع بها الخبر الذى هو قوله « حقان » ويرويه بعض العلماء « كأن ثدياه حقان » برفع الاسمين جميعا على أن يكون اسمها ضمير شأن محذوف ، وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر فى محل رفع خبر كأن ، والرواية التى أثرها المؤلف تدل على أن تخفيف الحرف الذى يعمل لمشابهته الفعل لا يمنع إعماله فى اللفظ .

لئلا يجمعوا بين حرفى تأكيد ، فلما نصب بها مع التخفيف دل على أنها بمنزلة فعل قد حذف بعض حروفه .

وقال الآخر :

١١٩ — * كَأَنْ وَرِيدَيْهِ رِشَاءَا خُلُبِ

١١٩ — نسب جماعة من النحاة — منهم الشيخ خالد الأزهرى فى التصريح (١/٢٨٢ بولاق) تبعا للعينى — هذا البيت إلى رؤبة بن العجاج ، وقد أنشده سيبويه (١/٤٨٠) وابن يعيش (ص ١١٣٨) وابن منظور (خ ل ب) ولم يعزه واحد منهم إلى قائل معين ، وأنشده رضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٣٥٦) وروى بيتين من الرجز المشطور أحدهما قبل البيت المستشهد به والآخر بعده على هذا الوجه :

ومعتد فظ غليظ القلب كأن وريديه رشاءا خلب

* غادرته مجدلا كالكلب *

والمعتدى : المتجاوز الحد فى الظلم ، والفظ : الغليظ ، وغليظ القلب : قاس لارحمة عنده ، والوريدان: مثنى وريد وهوعرق فى الرقبة ،والرشاء — بكسرأوله بزنةالكتاب— الحبل ، والخلب — بزنة القفل والقرط — فسره قوم بالبئر ، وعليه تكون إضافة الرشاءين إلى الخلب على معنى لام الاستحقاق مثل قولهم:مصابيح المسجد وحصيره، وفسرقوم الخلب بالليف ، وعليه تكون الإضافة على معنى من مثل قولهم: خاتم فضة وثوب قطن ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله «كأن وريديه» حيث خفف كأن التى تدل على التشبيه ، ثم أتى بعدها باسمها منصوبا وبخبرها مرفوعا كما كان يفعل ذلك وهى مثقلة ، فيدل ذلك على أن الحرف الذى يعمل لشبهه بالفعل إذا خفف لم يجب أن يبطل عمله ، وقد روى سيبويه البيت بنصب وريديه ورفع «رشاءا» كما رواه المؤلف هنا ، وقال قبل إنشاده «وينصبون فى الشعر إذا اضطروا بكأن إذا خففوا ، يريدون معنى كأن (بالتشديد) ولم يريدوا الإضمار ، وذلك قوله

* كأن وريديه . . . * »

ثم قال بعد كلام «وإن شئت رفعت فى قول الشاعر

* كأن وريديه . . . * »

وقد بينا وجه الروايتين فى شرح الشاهد السابق .

فنصب « وريديه » بكأن المخففة من الثقيلة ؛ فدل على ما قلناه .

ولا يجوز أن يقال : إن الإنشاد فى البيتين « كأن ثدياه ، وكأن وريداه » – بالرفع – لأنا نقول : بل الرواية المشهورة « كأن ثدييه ، وكأن وريديه » – بالنصب – وإن صح مارويتموه فيكونُ الرفعُ على حذف الضمير مع التخفيف كما قال الأعشى :

١٢٠ — فِى فِتْيَــةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا
أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

---

١٢٠ — هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس ، وقد أنشده سيبويه ثلاث مرات (١ / ٢٨٢ و ٤٤٠ و ٤٨٠) وأنشده ابن يعيش (ص ١١٢٨) ورضى الدين فى باب نواصب المضارع وفى باب الحروف المشبهة بالفعل من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/ ٥٤٧) والفتية : جمع فتى ، وهو الشاب ، والسيوف : جمع سيف ، وإضافة السيوف إلى الهند لأنها كانت تصنع هناك ، وكانوا يجلبونها من الهند ، ووجه الشبه إما المضاء وقوة العزم وإما البريق واللمعان ويراد بهما صباحة أوجههم ونضارتها ، ويحفى : مضارع حفى — مثل رضى — حفاء ، وذلك إذا مشى بغير نعل ولا خف ، ويراد به هنا الفقير ، وينتعل :أى يلبس النعل ، ويراد به الغنى، يريد أن هؤلاء الفتيان قد أيقنوا أن الموت لا يفرق بين الغنى والفقير فهم ينتهزون فرص اللذات ويسارعون إليها . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أن هالك كل من يحفى » حيث خففت أن المفتوحة الهمزة وأتى بعدها باسمين مرفوعين ، فيتوهم من لا معرفة له أنه أهملها ، ولكنها عند التحقيق عاملة النصب والرفع كما كانت تعمل وهى مشددة ، واسمها ضمير شأن محذوف ، وقوله « هالك » خبر مقدم ، و « كل » مبتدأ مؤخر ، وكل مضاف و « من » مضاف إليه ، و « يحفى » جملة لا محل لها من الإعراب صلة من ، وتقدير الكلام : أنه (أى الحال والشأن) كل من يحفى وينتعل هالك ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل رفع خبر أن المخففة من الثقيلة ، ويروى عجز البيت :

* أن ليس تدفع عن ذى الحيلة الحيل *

وهو صالح للاستشهاد به على هذه الرواية أيضاً لهذه المسأله عينها .

كأنه قال : أنه هالك .

وقال الآخر :

١٢١ — أَمَا وَاللهِ أَنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا وَمَا بِالْحُرِّ أَنتَ وَلاَ الْعَتِيقِ

---

١٢١ — هذا البيت من شواهد مغنى اللبيب (رقم ٤١ بتحقيقنا) وقد أنشده الرضى فى باب خبر الحروف المشبهة بليس، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/ ١٣٣) وفى شرحه لشواهد المغنى ، ولم ينسبه فى أحدهما إلى قائل معين ، وقد ذكر أن الفراء أنشده فى تفسير سورة الجن عند تفسير قوله تعالى : (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم) ويروى صدر البيت :

* لو انك ياحسين خلقت حرا *

بتشديد « أن » وإلقاء حركة همزتها على الواو ، والعتيق: الكريم الأصيل ، ويقال لمن كان رقيقاً نخلص من الرق : عتيق ، وفى هذا البيت شاهدان للنحاة : الأول فى قوله « أن لو كنت حرا » وعبارة المؤلف تدل على أنه يعتبر « أن » فى هذه العبارة مخففة من الثقيلة ، وعليه يكون اسمها ضمير شأن محذوف ، وجملة « لو » وشرطها وجوابها المحذوف لدلالة المقام عليه فى محل رفع خبر أن ، وتقدير الكلام : أنه (أى الحال والشأن) لو كنت حراً لقاومتك ، أو لسهل على نفسى منازلتك ، وما أشبه ذلك ، لكن المحققين من العلماء لايرون هذا ، و«أن» عندهم زائدة ، ذكر ذلك ابن هشام فى مغنى اللبيب ؛ قال « الثانى من مواضع زيادة أن المخففة المفتوحة الهمزة أن تقع بين «لو» وفعل القسم ، سواء أكان الفعل مذكورا كقول الشاعر :

فأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لكم يوم من الشر مظلم

أم كان فعل القسم متروكا ، كقوله :

* أما والله أن لو كنت حراً *

البيت ، هذا قول سيبويه وغيره » اه . وقد ذكر البغدادى أن نسبة القول بزيادة « أن » فى هذا البيت إلى سيبويه ليست بصحيحة ؛ والصواب أن القائل بزيادتها فى هذا البيت هو الفراء ، وذهب ابن عصفور إلى أنها حرف جىء به لربط الجواب بالقسم ، قال ابن هشام بعد أن حكى عن ابن عصفور ذلك «ويبعده أن الأكثر =

وقال الآخر :

١٢٢ — أُكَاشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلاَنَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ

= تركها ، والحروف الرابطة ليست كذلك » اه . ونازعه فى ذلك الدمامينى فقال : إن من الحروف الرابطة اللام ؛ وذلك نحو قول الشاعر :

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالى

ولا يلزم ذكر هذه اللام ، بل يجوز تركها كما فى قوله تعالى : (ولو شاء ربك مافعلوه) فلم يتم قول ابن هشام : إن الحروف الرابطة لاتترك من الكلام . والشاهد الثانى من البيت فى قوله « وما بالحر أنت » حيث دخلت الباء الزائدة على خبر « ما » الذى هو قوله « الحر » مع كونه متقدما على الاسم الذى هو قوله « أنت » وقد اختلف العلماء فى الباء الزائدة بعدما النافية : أهى مختصة بما الحجازية العاملة عمل ليس أم غير مختصة بها ويجوز دخولها بعد ما التميمية المهملة ؟ فذهب الأخفش إلى أنها تدخل بعدما التميمية كما تدخل بعد ما الحجازية،وذهب قوم منهم الزمخشرى وأبو على إلى أن الباء الزائدة لاتدخل إلا فى خبر ما الحجازية ، وانبنى على هذا الخلاف اختلاف آخر حاصله هل يجوز أن يتقدم خبر «ما» الحجازية العاملة أو لا يجوز؟ فأما الذين ذهبوا إلى أن الباء لاتدخل على الخبر بعد ما التميمية فقالوا : يجوز أن يتقدم خبر ما الحجازية على اسمها ويبقى لها عملها واستدلوا بهذا البيت ونحوه ، ووجه الاستدلال أن الباء هنا قد دخلت على الخبر وهو متقدم، وحيث جاز تقديمه وهو مقترن بالباء يجوز تقديمه وهو عار منها ، والذى نرجحه أنه يجوز دخول الباء على خبر المبتدأ الواقع بعدما التميمية ، بدليل قول الفرزدق وهو تميمى :

لعمرك ما معن بتارك حقه ولا منسىء معن ، ولا متيسر

وبدليل دخولها حيث لا عمل لما ، وذلك كما فى قول الشاعر :

لعمرك ما إن أبو مالك بوان ولا بضعيف قواه

فإن « ما » ههنا غير عاملة لاقترانها بإن الزائدة ، والباء لم تدخل فى الخبر بعد ما إلا لكونه منفيا ، فلا يلزم أن يكون منصوبا ، وفى هذا القدر كفاية وغناء .

١٢٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٤٤٠) ولم ينسبه ولا نسبه الأعلم فى شرح شواهده ، قال الأعلم « ومعنى أكاشره أضاحكه ، ويقال : كشر عن نابه ؛ إذا كشف عنه » هـ . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أن كلانا حريص » حيث خفف أن المؤكدة ، وأتى بعدها بالاسمين مرفوعين ، فيتوهم من لا معرفة له أنه أهمل أن ، ولكنها عند التحقيق عاملة النصب والرفع كما تعمل وهى مشددة، واسمها ضمير شأن محذوف، =

وقال زيد بن أرْقَمَ :

١٢٣ — وَيَوْماً تُلاَقِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمْ

= وكلانا : مبتدأ ومضاف إليه ،وحريص : خبر المبتدأ ،وجملة المبتدأ والخبر فى محل رفع خبر أن ، قال سيبويه (١/٤٣٩) : « وتقول : قد علمت أن من يأتنى آته ؛ من قبل أن أن ههنا فيها إضمار الهاء ، ولا تجىء مخففة ههنا إلا على ذلك ، كما قال :

* أكاشره وأعلم أن كلانا *

البيت، وقال الأعلم « الشاهد فى حذف الضمير من أن ، وابتداء ما بعدها على نية إثبات الضمير » ا هـ .

١٢٣ — نسب المؤلف هذا البيت لزيد بن أرقم ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢٨١ و٤٨١) ونسبه لابن صريم اليشكرى ، ووافقه الأعلم على هذه النسبة ، وأنشده ابن منظور (ق س م) أول أربعة أبيات ، ونسبه إلى باعث بن صريم اليشكرى ثم قال « ويقال : هو كعب بن أرقم اليشكرى ، قاله فى امرأته ، وهو الصحيح » ا هـ . والبيت من شواهد ابن يعيش (ص ١١٣٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٤٢) وفى أوضح المسالك (رقم ١٥١) والأشمونى (رقم ٢٨٧) وأنشده رضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/ ٣٦٤) ونقل خلافا فى نسبته، ويوما ــ بالنصب لا غير ــ ظرف زمان يتعلق بقوله « توافينا » الذى بعده ، وتوافينا : تأتينا وتزورنا ، ووجه مقسم : جميل ، مأخوذ فى الأصل من القسام ــ بفتح القاف ، بزنة السحاب ــ وهو الجمال ، والاستشهاد به فى قوله « كأن ظبية تعطو » واعلم أولا أن كلمة « ظبية » فى هذه العبارة تروى على ثلاثة أوجه : الجر ، والنصب ، والرفع ، فأما رواية الجر فتخرج على أن الكاف حرف جر ، وأن زائدة بين الجار والمجرور وظبية : مجرور بالكاف ، وكأنه قال : كظبية تعطو إلى وارق السلم ، وأما رواية النصب فتخرج على أن كأن مخففة من الثقيلة عاملة، وقوله « ظبية » اسم كأن ، وجملة «تعطو» صفة لظبية ، وخبر كأن محذوف ، والتقدير : كأن ظبية عاطية إلى وارق السلم هــذه المرأة ، وأما رواية الرفع فتخرج على أن «كأن» حرف تشبيه مخفف،واسم كأن محذوف، وظبية : خبره ، وتقدير الكلام : كأنها ظبية عاطية إلى وارق السلم ، والتشبيه على وجه النصب من التشبيه المقلوب،وعلى وجه الرفع من التشبيه الجارى على أصله. وقد ذكر=

وقال الآخر :

١٢٤ — [٩٠] عَبَأْتُ لَهُ رُمْحًا طَوِيلاً وَأَلَّةً
كَأَنْ قَبَسٌ يُعْلَى بِهَا حِينَ تُشْرَعُ

= هذا التفصيل الأعلم حيث قال : « الشاهد فيه رفع ظبية على الخبر وحذف الاسم مع تخفيف كأن ، والتقدير : كأنها ظبية ، ويجوز نصب الظبية بكأن تشبيها بالفعل إذا حذف وعمل نحو لم يك زيد منطلقا ، والخبر محذوف لعلم السامع ، والتقدير : كأن ظبية تعطو هذه المرأة ، ويجوز جر الظبية على تقدير كظبية ، وأن زائدة » اهـ .

١٢٤ — هذا البيت من كلام مجمع بن هلال ؛ وهو تاسع عشرة أبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (انظر شرح المرزوقى ص ٧١٣) وقد استشهد بالبيت رضى الدين فى شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣٦١/٤) وعبأت :أعددت وهيأت، والرمح معروف ، والألة ــ بفتح الهمزة وتشديد اللام ــ السنان ، وأصله من الأليل وهو البريق واللمعان ، وفسر ابن منظور الألة بالحربة العظيمة النصل ، وفرق قوم بين الألة والحربة فخصوا الألة بما كانت كلها من حديد ، والحربة بما كانت يدها من خشب ، والقبس ــ بالتحريك ــ الجذوة من النار ، وتشرع ــ بالبناء للمجهول ــ أى تصوب للطعن ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « كأن قبس يعلى بها ــ إلخ » وقبس يجوز فيه الرفع والنصب والجر ، وهى الوجوه التى ذكرناها فى كلمة « ظبية » فى البيت السابق ، فالجر على أن تكون الكاف حرف جر ، وأن زائدة ، وقبس مجرور بالكاف ، والنصب على أن يكون كأن حرف تشبيه مخفف من الثقيل ، وقبسا : اسم كأن ،وخبره محذوف، والتقدير : كأن قبسا هذه الألة ، ويكون من التشبيه المقلوب ، ويجوز أن يكون خبر كأن هنا هو جملة يعلى بها ، وأما الرفع فعلى أن يكون كأن حرف تشبيه مخفف من الثقيل، واسمه محذوف ، وقبس خبره ، وتقدير الكلام : كأنها أى هذه الألة قبس ،وجعل الرضى اسم كأن ــ على رواية رفع قبس ــ ضمير شأن محذوف، وعليه يكون قبس مبتدأ ، وجملة يعلى صفة لقبس ، وفى يعلى ضمير مستتر يعود على قبس وهو نائب فاعل يعلى ، وهو الذى يربط جملة الصفة بالموصوف ، وبها : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل رفع خبر كأن ، لكن هذا الوجه الذى ذهب إليه الرضى ضعيف ، من جهة أن ضمير الشأن إنما يقدر حين لا يكون من الممكن تقدير مرجع ، وههنا أمكن تقدير المرجع ــ وهو ضمير الغائب ــ وهو مع ذلك أيسر وأهون .

وقال الآخر :

١٢٥ — وَخَيْفَاءَ أَلْقَى اللَّيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ
فَسَرَّتْ وَسَاءَتْ كُلَّ مَاشٍ وَمُصْرِمِ
تُمَشِّى بِهَا الدَّرْمَاءُ تَسْحَبُ قُصْبَهَا كَأَنْ بَطْنُ حُبْلَى ذَاتِ أَوْنَيْنِ مُتْئِمِ

فيمن روى بالرفع ، ومن روى بالجر جعل « أن » زائدة ، ومن روى بالنصب أعملها مع التخفيف .

ومن كلامهم « أول ما أقول أنْ بِسْمِ اللهِ » كأنهم قالوا : أنَّهُ بسم الله ، وقال تعالى : (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً) كأنه قال : أنه لا يرجع إليهم قولا ، إلاَّ أنها لا تخفف مع الفعل إلا مع أحد أربعة أحرف ، وهى : لا ، وقَدْ ، وَسَوْفَ ، والسين ، كقوله تعالى : (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى) وكذلك : « علمت أن سوف يخرجُ زيد ، وعلمت أنْ قَدْ خَرَجَ عمرٌو » ، قال أبو صَخْرٍ الهذلى :

١٢٥ — هذان البيتان من كلام ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وقد أنشدها ابن منظور (أون) ونسبهما إليه ، وقال: إنهما من أبيات المعانى، وقد أنشد رضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل من شرح الكافية ثانى هذين البيتين ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٣٦٣) غير أنه نسب البيتين نقلا عن أبى زيد عن أبى عثمان سعيد بن هرون الأشناندانى لرجل من بنى سعد بن زيد مناة . والخيفاء ههنا : الأرض المختلفة ألوان النبات قد مطرت بنوء الأسد فسرت من له ماشية وساءت من كان مصرما لا إبل له ، والدرماء : الأرنب ، يقول : سمنت حتى سحبت قصبها ، كأن بطنها بطن حبلى متئم ، والقصب ـ بضم القاف وسكون الصاد ـ المعى، وأراد البطن ، ومتئم: قد حبلت فى توأمين والاستشهاد بالبيتين فى قوله « كأن بطن حبلى » حيث خفف كأن الدالة على التشبيه ، وجاء بعدها بالاسم مرفوعا على أنه خبرها واسمها محذوف . والتقدير : كأن بطنها بطن حبلى . ولو أنك نصبت « بطنها » أو جررته لجاز . وتوجيه النصب والجر على مثل ما ذكرناه فى شرح الشاهدين السابقين ، فتأمل ذلك . والله يرشدك .

١٢٦ — فَتَعَلَّمِى أنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ افْعَلِى مَا شِئْتِ عَنْ عِلْمِ

ولا تُخَفَّفُ من غير وَاحِدٍ من هذه الأحْرُفِ ؛ لأنهم جعلوها عوضاً مما لحق « أنْ » من التغيير ، وكان التعويضُ مَعَ الفعلِ أوْلَى من الاسمِ ، وذلك لأن « أنْ » لحقها مع الاسم ضربٌ واحد من التغيير ، وهو الحذف ، ولحقها مع الفعل ضربان : الحذف ، ووقوع الفعل بعدها ؛ فلهذا كان التعويض مع الفعل أوْلَى من الاسم .

والذى يدل على صحة ما ذهبنا إليه من إعمالها مع التخفيف ما حكى بعض أهل اللغة من إعمالها فى المضمر مع التخفيف نحو قولهم : أظُنُّ أنْكَ قائم ، وأحسب أنْهُ ذاهبٌ ، يريدون أنك وأنه بالتشديد ، قال الشاعر :

١٢٧ — فَلَوْ أَنْكِ فى يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتِنِى

فِرَاقَكِ لَمْ أَبْخَلْ وَأنتِ صَدِيقُ

---

١٢٦ — نسب المؤلف هذا البيت لأبى صخر الهذلى ، وكذلك نسبه ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٣٢) وقد روى ابن منظور صدره (ع ل م) ونسبه إلى الحارث بن وعلة ، وتعلمى : أى اعلمى واستيقنى . وهو ملازم لصيغة الأمر ، والشواهد عليه كثيرة (انظر شرح الشاهد ٣٢٥ فى شرح الأشمونى بتحقيقنا) وكلفت : أولعت واشتد غرامى . والاستشهاد بالبيت فى قوله « فتعلمى أن قد كلفت » حيث جاء بأن المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن محذوف ، وخبرها جملة « كلفت بكم » ولكون هذه الجملة فعلية فعلها متصرف غير دعاء فصل بينها وبين أن بقد ، وتقدير الكلام : فتعلمى أنه (أى الحال والشأن) قد كلفت بكم ، ونظير هذا البيت فى الفصل بين أن المخففة وجملة خبرها بقد قول الله تعالى : (ونعلم أن قد صدقتنا) وقول الشاعر ، وهو من شواهد ابن مالك فى شرح كافيته وشواهد الأشمونى (رقم ٢٨٢) :

شهدت بأن قد خط ماهو كائن وأنك تمحو ما تشاء وتثبت

١٢٧ — أنشد رضى الدين فى باب الضمير من شرح الكافية هذا البيت، وقدشرحه البغدادى فى الخزانة (٤٦٥/٢) ولم يعزه ، وكذلك أنشده ابن يعيش فى شرح المفصل=

وقال الآخر :

١٢٨ — وَقَدْ عَلِمَ الصِّبْيَةُ الْمُرْمِلُونَ إذا اُغْبَرَّ أفْقٌ وهَبَّتْ شَمَالاَ

= (ص ١١٢٨) ولم يعزه إلى قائل معين ، وكذلك أنشده الفراء ولم يعزه ، وأنشده ابن منظور (ص د ق) ولم يعزه أيضا ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٢٨٠) وشواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٣٨) وابن عقيل (رقم ١٠٥) وصديق : مما يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع ، المذكر والمؤنث ، وإن كان فعيلا بمعنى فاعل ؛ لأنهم حملوه على ضده وهو العدو ، ومن إطلاقه على الأنثى بيت الشاهد وقول كثير عزة :

ليالى من عيش لهونا بوجهه زمانا ، وسعدى لى صديق مواصل

ومن ذلك أيضا قول جميل بن معمر :

كأن لم نقاتل يا بثين لو انها تكشف غماها وأنت صديق

ومن إطلاقه على جمع المذكرين قول الشاعر :

لعمرى لئن كنتم على النأى والنوى بكم مثل مابى إنكم لصديق

وقول قعنب بن أم صاحب :

ما بال قوم صديق ثم ليس لهم دين ، وليس لهم عقل إذا ائتمنوا

ومن إطلاقه على جمع المؤنث قول جرير :

نصبن الهوى ، ثم ارتمين قلوبنا بأعين أعداء ، وهن صديق

أوانس ، أما من أردن عناءه فعان ، ومن أطلقنه فطليق

وقال يزيد بن الحكم فى مثله :

* ويهجرن أقواما وهن صديق *

ومحل الاستشهاد بالبيت الذى أثره المؤلف قوله « فلو أنك سألتنى » حيث خفف «أن» المؤكدة ، وأعملها فى الاسم والخبر ، فجاء باسمها ضميرا من ضمائر النصب المتصلة وهو الكاف ، وجاء بخبرها جملة فعلية وهى قوله «سألتنى طلاقك» وأكثر العلماء يرون مجىء اسم أن المخففة ضمير مخاطب شاذا .

١٢٨ — أنشد ثالث هذه الأبيات رضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل من =

وَخَلَّتْ عَنَ أُوْلاَدِهَاالمُرْضِعَاتُ ... ولَمْ تَرَ عَـيْنٌ لِمُزْنٍ بِلاَلاَ

بِأَنْكَ الرَّبِيعُ وغَيْثٌ مَرِيعٌ ... وقِدْماً هُنَاكَ تَـكُونُ الثِّمَالاَ

=شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٣٥٢) وأنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٣١) وهو من شواهد ابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ١٤٨) وفى مغنى اللبيب (رقم ٣٩) وأنشد أول هذه الأبيات فى شذور الذهب (رقم ١١٢) وأنشد الأشمونى ثالثها (رقم ٢٨١ بتحقيقنا) والأبيات من كلمة لأخت عمرو بن العجلان الكاهلى الملقب بذى الكلب ، ومن الرواة من يسمى أخته عمرة ، ومنهم من يسميها جنوب . ويروى صدر أولها « لقد علم الضيف والمرملون » ويروى صدر ثالثها « بأنك ربيع وغيث مريع » والضيف : يطلق على الواحد والاثنين والجمع ، والصبية : جمع صبى ، والمرملون : جمع مرمل ، وهو الذى نفد زاده ، ويروى بدله « والمجتدون » وهو جمع المجتدى ، وهو طالب الجداء ، وهو كالعطاء وزنا ومعنى ، وقوله « وهبت شمالا » نصب شمالا على الظرفية وأضمر فى هبت ضمير الريح وإن لم يجر لها ذكر لانفهام المعنى وسياقته إلى ذهن السامع ، ونظيره ما أنشده سيبويه من قول جرير (١/١١٣و٢٠١) :

هبت جنوبافذكرى ما ذكرتكم ... عند الصفاة التى شرقى حورانا

وقوله « وخلت عن أولادها المرضعات » يريد أن الزمان قد اشتد حتى ذهلت كل مرضعة عن ولدها الذى ترضعه « بأنك ربيع » أى أنه كثير النفع واصل السيب والعطاء بمنزلة الربيع « وغيث مريع » بفتح الميم أو ضمها — أى مكلىء خصيب « الثمالا » بكسر الثاء المثلثة — هو الذخر والغياث . والاستشهاد فيه بقوله « بأنك ربيع » وقوله « وأنك تكون الثمالا » حيث خفف أن المؤكدة ، وأعملها فى الاسم والخبر ، واسمها فى الموضعين ضمير مخاطب مذكور ، وخبرها فى الموضع الأول مفرد وهو قوله ربيع ، وفى الموضع الثانى جملة فعلية مؤلفة من تـكون واسمها وخبرها ، وذلك شاذ ، والـكثير المستعمل أن يكون اسمها ضميرا محذوفا ؛ لتـكون عاملة كلا عاملة ، بسبب زوال بعض وجوه الشبه بينها وبين الفعل بالتخفيف ، كما أن الأكثر عند جمهرة العلماء أن يكون الضمير المحذوف ضمير الشأن ، وخالف فى هذا ابن مالك فقال « إذا أمكن جعل الضمير ضمير غائب غير الشأن أو ضمير حاضر فهو أولى »

أراد بأنَّكَ بالتشديد ، إلا أن الاستدلال على إعمالها فى المضمر مع التخفيف [٩١] عندى ضعيف ؛ لأن ذلك إنما يجوز فى ضرورة الشعر لا فى إختيار الكلام إلا فى رواية شاذة ضعيفة غير معروفة فلا يكون فيه حجة .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما عَمِلت لِشبهِ الفعل لفظاً ؛ فإذا خُففت زال شبهها به فبطل عملها » قلنا : هذا باطل ؛ لأن إن إنما عملت لأنها أشبهت الفعل لفظاً ومعنى ؛ وذلك من خمسة أوجه ، وقد قدمنا ذكرها فى موضعها فإذا خففت صارت بمنزلة فعل حُذِفَ منه بعضُ حروفِهِ ، وذلك لايبطل عمله ، ألا ترى أنك تقول : « عِ الكلامَ ، وشِ الثوبَ ، وَلِ الأمْرَ » وما أشبه ذلك ، ولا تُبْطِلُ عمله ؛ فكذلك هاهنا .

وأما قولهم « إنَّ إنَّ المشددة من عوامل الأسماء ، وإن المخففة من عوامل الأفعال » قلنا : هذا الاستدلال ظاهر الاختلال ، فإنا إذا قدرنا أنها مخففة من الثقيلة ؛ فهى من عوامل الأسماء ، وإذا لم نقدر أنها مخففة من الثقيلة ؛ فليست من عوامل الأسماء ، وإن الخفيفة فى الأصل غير إن المخففة من الثقيلة ؛ لأن تلك الخفيفة من عوامل الأفعال ، وهذه المخففة من الثقيلة من عوامل الأسماء ، ولم يقع الكلام فى إن الخفيفة فى الأصل ، وإنما وقع فى إن المخففة من الثقيلة ، وقد بينا الفرق بينهما ، والله أعلم .

٢٥ ـــ مسألة

[القول فى زيادة لام الابتداء فى خبر لكنَّ](١)

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز دخول اللام فى خبر « لكنَّ » كما يجوز فى خبر

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (١/٤٨٧ بتحقيقنا) وحاشية الصبان عليه (١/٢٦٠ بولاق) والتصريح للشيخ خالد الأزهرى (١/٢٦٧ بولاق) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٣٥) ومغنى اللبيب (ص ٢٣٣ و٤٩٢) وشرح ابن عقيل على الألفية (١/٣١٠ بتحقيقنا) وشرح الرضى على الكافية (٢/٣٣٢).

إنَّ ، نحو « مَاقَامَ زَيْدٌ لكِنَّ عَمْراً لقائم» وذهب البصريون إلى أنه لايجوز دخول اللام فى خبر لكنَّ .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنه يجوز دخول اللام فى خبر « لكنَّ » النقلُ والقياسُ :

أما النقل فقد جاء عن العرب إدخال اللام على خبرها ، قال الشاعر :

١٢٩ — ✿ ولكِنَّنِى مِن حُبِّها لَكَمِيدُ(١) ✿

وأما القياس فلأن الأصل فى « لكنَّ » إنَّ ، زيدت عليها لا والكاف ؛ فصارتا جميعاً حرفاً واحدا ، كما زيدت عليها اللام والهاء فى قول الشاعر :

١٣٠ — [٩٢] لَهِنَّكِ مِنْ عَبْسِيَّةٍ لَوَسِيمَةٌ
عَلَى هَنَوَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا

---

١٢٩ — قد استشهد بهذا البيت ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٢١و١١٣٥) ورضى الدين فى شرح كافية ابن الحاجب (٢ / ٣٣٢) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤ / ٣٤٣) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٣٨٦) والأشمونى (رقم ٢٦٥) وابن عقيل (رقم ٩٩) وينص أكثر هؤلاء العلماء على أن هذا الشاهد لايعلم قائله ولا تعرف له تتمة ولا سوابق أو لواحق ، إلا ابن عقيل فإنه رواه بيتا كاملا من غير عزو ، هكذا:

يلومونى فى حب ليلى عواذلى   ولكننى من حبها لعميد

والاستشهاد بالبيت فى قوله « ولكننى لعميد » حيث قرن خبر «لكن» باللام التى تدخل فى بعض المواضع لتفيد الكلام فضل توكيد ، والبصريون يرون هذا شاذا لا يجوز القياس عليه ، والكوفيون يرونه سائغا جائزا ، وتفصيل مقالة الفريقين فى أصل الكتاب

١٣٠ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ل ه ن) ثانى بيتين ، ونسب روايتها إلى الكسائى ، ولم يعزهما إلى قائل معين ، والبيت السابق عليه قوله :

وبى من تباريح الصبابة لوعة   قتيلة أشواقى ، وشوقى قتيلها =

---

(١) رواية النحاة ، ومنهم من نقلها عن المؤلف « ولكننى من حبها لعميد » .

. . . .

= وأنشد بيتا آخر يشترك مع بيت الشاهد فى صدره ، ولم يعزه إلى معين أيضا ،وهو بتمامه هكذا :

لهنك من عبسية لو سيمة على كاذب من وعدها ضوء صادق

والاستشهاد بالبيت فى قوله « لهنك لوسيمة » وللعلماء ثلاثة آراء فى تخريج هذه العبارة

الأول: أنها فى الأصل « لإنك» بلام توكيد مفتوحة ثم إن المكسورة الهمزةالمشددة النون ،والأصل أن لام التوكيد التى تدخل على إن المكسورة تتأخرعن إن وما يليها؛ فتدخل على خبرها كما تقول « إن زيدا لمنطلق » أو على اسمها بشرط أن يتأخرعن الخبر كما فى قوله تعالى : (وإن لكم فى الأنعام لعبرة) أو على ضمير الفصل الواقع بين اسمها وخبرها نحو قوله سبحانه : (إن هذا لهو القصص الحق) ولا يجوز أن تقترن اللام بإن ، لكنه لما أبدل الهمزة من إن هاء توهم أنها كلة أخرى غير إن ، واللام فى «لوسيمة» زائدة،وهذا معنى قول الجوهرى : « وقولهم لهنك ــ بفتح اللام وكسر الهاء ــ فكلمة تستعمل عند التوكيد ، وأصله لإنك ، فأبدلت الهمزة هاء ، كما قالوا فى « إياك » : هياك ، وإنما جاز أن يجمع بين اللام وإن وكلاهما للتوكيد لأنه لما أبدلت الهمزة هاء زال لفظ إن فصار كأنه شىء آخر » اه كلامه بحروفه ، وهذا المذهب ينسب إلى سيبويه .

الرأى الثانى : ذهب جماعة من النحاة إلى أن أصل « لهنك » لاه إنك ، أى والله إنك ، على نحو ما جاء فى قول ذى الإصبع العدوانى :

لاه ابن عمك، لاأفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى

أى لله ابن عمك ، ثم حذفت الالف والهمزة من «إن» فصار لهنك ، وهذا مذهب ينسب إلى الكسائى وكان أبو على الفارسى يرجحه، قال ابن جنى تلميذه «وفيه تعسف» قال الجوهرى : « وأنشد الكسائى :

* لهنك من عبسية لوسيمة *

وقال : أراد لله إنك من عبسية ، فحذف اللام الأولى (يريد لام الجر) والألف من إنك » اه ، وقد نسب المؤلف هذا الرأى إلى المفضل .

الرأى الثالث : أن أصله « والله إنك » فحذف الواو وإحدى اللامين من « والله » وحذف الهمزة من إن،وهو رأى الفراء على ماقاله المؤلف ، وفيه من التعسف أكثر =

فزاد اللام والهاء على إن ، فكذلك هاهنا : زاد عليها لا والكاف ؛ فإن الحرف قد يُوصَلُ فى أوله وآخره ، فما وصل فى أوله نحو « هٰذا وهَذاكَ » وما وصل فى آخره نحو قوله تعالى : (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا) وكذلك نقول : إن قول العرب « كم مَالُكَ » إنها « ما » زيدت عليها الكاف ، ثم إن الكلام كثر بها فحذفت الألف من آخرها وسُكِّنَتْ ميمُها ، كما زيدت اللام على « ما » ثم لما كثر الكلام بها سكنت ميمها فقالوا : « لِمْ فَعَلْتَ كذا ؟ » قال الشاعر :

١٣١ — يا أبا الْأَسْوَدِ لِمْ أَسْلَمْتَنِى   لِهُمُومٍ طَارِقَاتٍ وَذِكَرْ

= مما فى الرأى الثانى. والصواب الأول. وقد ورد كثيراً فى شعر العرب المحتج بهم ، من ذلك قول محمد بن مسلمة ، وأنشده ابن منظور ، وهو من شواهد الرضى ، وابن يعيش (١١٢٠) :

ألا ياسنا برق على قلل الحمى   لهنك من برق على وسيم

وقال تليد الضبى ، وكان أحد اللصوص على عهد عمر بن عبد العزيز :

لهنى لأشقى الناس إن كنت غارما   قلائص بين الجلهتين ترود

وقال خداش بن زهير العامرى ، وهو صحابى شهد حنينا مع الرسول صلى الله عليه وسلم

لهنى لأشقى الناس إن كنت غارما   لعاقبة قتلى خزيمة والخضر

وقال الشاعر :

لهنى لاشقى الناس إن كنت غارما   لدومة بكرا ضيعته الأراقم

وقال الشاعر :

وقالت: ألا هل تقصم الحب موهنا   من الليل ، إن الكاشحين حضور
فقلت لها : ما تطعمينى أقتلد   لهن الذى كلفتنى ليسير

وقال الآخر :

ثمانين حولا لا أرى منك راحة   لهنك فى الدنيا لباقية العمر

وأنشد أبو زيد :

أبائنة حبى ؟ نعم وتماضر   لهنا لمقضى علينا التهاجر

١٣١ — أولا : انظر المسألة ٤٠ ، ثم نقول: أنشد ابن هشام هذا البيت فى مغنى اللبيب (رقم ٤٩٩ بتحقيقنا) ولم يتكلم السيوطى عليه مطلقا ، وأنشده البغدادى فى خزانة الأدب (٢/٥٣٨) أثناء شرحه للشاهد رقم ٤٣٦ من شواهد الكافية ، والبيت من شواهد ابن يعيش (ص ١٢٨٧) وشرح الكافية للرضى (ش ٥١٦) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/١٩٧) وهو أيضاً من شواهد الرضى فى شرح الشافية (ش ١١٠) وشرحه البغدادى بإيجاز (ص ٢٢٤ بتحقيقنا) و « أسلمتنى » هو من =

. . . .

= قولهم « أسلم فلان فلانا » بمعنى خذله وتركه لأعدائه ، ويروى فى مكانه « خليتنى » أى تركتنى ، ويروى « خلفتنى » والهموم : جمع هم ، وهو الحزن ، وطارقات : أصلها من الطروق ، وهو المجيء ليلا ، وإنما خص الهموم بالطارقات لأنها فى أكثر الأحوال تكون فى الليل ، إذ هو الوقت الذى يخلو فيه بنفسه وأفكاره وهواجسه ، والذكر ـ بكسر الذال وفتح الكاف ـ جمع ذكرة ، وهى ضد النسيان . والاستشهاد بالبيت فى قوله « لِمْ » فإن هذه اللام حرف جر ، والميم أصلها « ما » الاستفهامية حذفت ألفها ثم سكنت الميم ، وللعلماء فى كل واحد من حذف الألف وتسكين الميم كلام نلخصه لك فيما يلى : الأصل أن تبقى الكلمات ـ وبخاصة غير المتمكنة ـ على حالها ، فلا يتصرف فيها بحذف ولا غيره ، إلا أنهم رأوا « ما » تكون موصولة أحيانا واستفهامية أحيانا أخرى ، وأن إحداهما قد تلتبس بالأخرى ؛ فلا يتبين للسامع إن كانت « ما » موصولة فيكون الكلام خبرا ، أو استفهامية فيكون الكلام إنشاء ، ورأوا أن أكثر ما يكون الالتباس فى موضع الجر ، فأرادوا أن يفرقوا بين الحالين ، فحذفوا ألف « ما » الاستفهامية فى موضع الجر نحو قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها) وقوله جلت كلمته (فناظرة بم يرجع المرسلون) وقوله تباركت أسماؤه : (لم تؤذوننى) وقوله : (لم تقولون مالا تفعلون) وأبقوا ألف « ما » الموصولة ، نحو قوله سبحانه : (لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) وقوله : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقوله : (يؤمنون بما أنزل إليك) وهل حذف ألف « ما » الاستفهامية حينئذ واجب أو غالب ؟ وهل هو عام فى كل موضع وقعت فيه مجرورة أو خاص بما إذا كان الجار حرفا من حروف الجر ، فإن كان الجار اسما متمكنا ـ نحو « مجيء م جئت » ـ اختلف الحكم ؟ ظاهر عبارة الرضى أن حذف ألف ما الاستفهامية المجرورة غالب لا لازم ، وهو ما صرح به الزمخشرى فى موضع من تفسيره ، وعبارة ابن هشام فى المغنى صريحة فى أن حذف هذه الألف واجب ؛ وذكرها شاذ ، وصرح بمثل هذا جار الله الزمخشرى فى موضع آخر من تفسيره ، وذكر اللبلى فى شرح أدب الكاتب أن الحذف خاص بما إذا كان الجار حرفا ، وذكر ابن قتيبة أن الحذف خاص بما إذا ذكر مع ما لفظ شئت ـ نحو سل عم شئت ـ والمعول عليه من هذا الكلام أن حذف الألف من « ما » الاستفهامية أكثر من ذكرها متى كانت مجرورة المحل ، سواء أكان الجار حرفا أم اسما ، وقد ورد ذكرها فى جملة من الأبيات ، منها قول حسان بن ثابت الأنصارى :

على ما قام يشتمنى لئيم كخنزير تمرغ فى رماد ؟ =

وقال بعض العرب فى كلامه ـ وقد قيل له : منذ كم قَعَدَ فلانٌ ؟ ـ فقال : « كمنذ أَخَذْتَ فى حديثك » فزاد الكاف فى « منذ » ؛ فدل على أن الكاف فى كم زائدة ، وقيل لبعضهم : كيف تصنعون الأقِطَ ؟ فقال : كَهَيِّنٍ ، أى : يسير سَهْل ، فيزيدون الكاف ، فكذلك ها هنا : زيدت لا والكاف على إنَّ وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت حرفاً واحداً ، كما قالوا « لن» وأصلها لا أن ، فحذفوا الألف والهمزة لكثرة الاستعمال ، فصارتا حرفا واحدا ، فكذلك هاهنا ، و بل أولى، فإنه إذا جاز حذف الألف والهمزة لكثرة الاستعمال فلأن يجوز حذف الهمزة كان ذلك من طريق الأَوْلَى .

وقالوا : ولا يجوز أن يقال « إنه لو كان أصلها لا أنْ ؛ لما جاز أن يقال : أما زَيدا فلنْ أَضْرِبَ ؛ لأن مابعد أنْ لايجوز أن يعمل فيما قبلها » ؛ لأنا نقول : إنما جاز ذلك لأن الحروف إذا ركبت تغير حكمها بعد التركيب عما كان عليه قبل التركيب ، ألا ترى أن « هَلْ » لايجوز أن يعمل مابعدها فيما قبلها ، وإذا ركبت مع « لا » ودخلها معنى التحضيض تغير ذلك الحكم عما كان عليه قبل التركيب ؛ فجاز أن يعمل مابعدها فيما قبلها ، فيقال « زَيْدًا هَلاَّ ضَرَبْتَ » ؟ فكذلك هاهنا .

والذى يدل على أن أصلها إنَّ على مابينا أنه يجوز العطف على موضعها كما يجوز

= ومن ذلك قول كعب بن مالك الأنصارى:

إما قتلنا بقتلانا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل ؟

وقرىء به فى قوله تعالى : (عما يتساءلون) وأما إسكان الميم فهو حذف لفتحتها ، إجراء للوصل مجرى الوقف ، ونظيره قول ابن مقبل :

أأخطل لم ذكرت نساء قيس فما روعن عنك ولا سبينا

وقد ذهب الفراء إلى أن « كم » مركبة من الكاف الجارة و«ما» الاستفهامية ، وقد حذفت ألف « ما » لدخول الجار عليها ، وسكن آخرها إجراء للوصل مجرى الوقف كما فعل ابن مقبل فى قوله « لم ذكرت » وكما فعل صاحب البيت المستشهد به فى قوله « لم أسلمتنى » .

العطف على موضع إنَّ ؛ فدل على أن الأصل فيها إنَّ زيدت عليها لا والكاف ؛ فكما يجوز دخول اللام فى خبر إنَّ ؛ فكذلك يجوز دخولها فى خبر لكن .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما [٩٣] قلنا إنه لايجوز ذلك لأنه لايخلو إما أن تكون هذه اللام لام التأكيد أو لام القسم ، على اختلاف المذهبين ، وعلى كلا المذهبين فلا يستقيم دخول اللام فى خبر لكن ، وذلك لأنها إن كانت لام التأكيد فلام التأكيد إنما حسنت مع إنَّ لاتفاقهما فى المعنى ؛ لأن كل واحدة منهما للتأكيد وأما لكنَّ فمخالفة لها فى المعنى ، وإن كانت لام القسم فإنما حسنت مع إنَّ لأن إنَّ تقع فى جواب القسم ، كما أن اللام تقع فى جواب القسم ، وأما لكن فمخالفة لها فى ذلك ؛ لأنها لاتقع فى جواب القسم ؛ فينبغى أن لاتدخل اللام فى خبرها .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قوله :

* ولٰكِنَّنِى مِن حبها لكميد * [١٢٩]

فهو شاذ لايؤخذ به لقلته وشذوذه ، ولهذا لايكاد يعرف له نظير فى كلام العرب[١] وأشعارهم ، ولو كان قياساً مطرداً لكان ينبغى أن يكثر فى كلامهم وأشعارهم ، كما جاء فى خبر إنَّ ، وفى عدم ذلك دليل على أنه شاذ لايقاس عليه .

وأما قولهم « إن الأصل فى لكنَّ إنَّ زيدت عليها لا والكاف فصارتا حرفاً واحداً » قلنا : لا نسلم ؛ فإن هذا مجرد دعوى من غير دليل ولا معنى .

قولهم « كما زيدت اللام والهاء فى قوله :

* لَهِنَّكِ من عبسية لَوَسِيمَةٌ * [١٣٠]

قلنا : ولا نسلم أن الهاء فى قوله « لهنك » زائدة ، وإنما هى مبدلة من ألف

(١) بل لا يعرف أوله ولاقائله .

إنَّ ؛ فإن الهاء تبدل من الهمزة فى مواضع كثيرة من كلامهم ، يقال : هَرَقْتُ الماء ، والأصل فيه أرقت ، وهَرَحْتُ الدابة ، والأصل فيه أرحت ، وهَنَرْتُ الثوب ، والأصل فيه أنرت ، وهِبْرِيَة ، والأصل فيه إبرية وهو الحَزَاز فى الرأس ، وهَرَدْتُ والأصل أردتُ ، وهِيَّاكَ ، والأصلُ إياك ، وقد قرأ بعض القراء : (هِيَّاكَ نعبد) وقال الشاعر :

١٣٢ ــ فَهِيّاكَ وَالأمْرَ الَّذِى إنْ تَوَسَّعَتْ
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ المَصَادِرُ

وقال الآخر :

١٣٣ ــ يَا خَالِ هَــــلاّ قُلْتَ إذْ أعْطَيْتَنِى
هِيَّاكَ هِيَّاكَ وَحَنْــــوَاءَ الْعُنُقْ

---

١٣٢ ــ هذا البيت أول بيتين رواهما أبو تمام فى ديوان الحماسة ،ولم يعزهما ولا عزاهما أحد شراحه، والبيت الذى بعده هو قوله:

فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

وقوله « إن توسعت موارده » وقع فى رواية المرزوقى (ص ١١٥٢) « إن توسعت مداخله » والاستشهاد بالبيت فى قوله « فهياك » فإن أصل هذا اللفظ « فإياك » فأبدل من الهمزة هاء ، ونظيره قول الآخر . وأنشده ابن منظور (أيا) :

فانصرفت وهى حصان مغضبه ورفعت بصوتها هيا أبه

أراد أن يقول « أيا أبه » « وأيا » و « هيا » كلاهما حرف نداء ، إلا أن « أيا » أكثر استعمالا من « هيا » فيدل كثرة استعمال «أيا» على أنها الأصل

١٣٣ ــ هذا بيت من الرجز ، وقد أنشده ابن منظور (ح ن و) عن اللحيانى عن الكسائى ، والحنواء ــ ومثلها الحانية ــ من الغنم : التى تلوى عنقها لغير علة ، وكذلك هى من الإبل ، وقد يكون ذلك عن علة ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « هياك هياك » وأصله « إياك إياك » فأبدل من الهمزة هاء ، وهو نظير ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق ، ونظيره قول الآخر وهو من شواهد مغنى اللبيب (رقم ١٨) :

فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح : هيا ربا

[٩٤] أراد إياك ، وقد قال الله تعالى : (ومُهيمناً عَليهِ) قيل : أصله مؤيمن فقلبت الهمزة هاء ، ولهذا قيل فى تفسير (ومهيمناً عليه) حافظا عليه ، وقيل : شاهدا ، وقيل : رقيبا عليه ، وقيل : قَفَّاناً عليه ، وكل هذه الألفاظ متقاربة فى المعنى ؛ فدل على أن الهاء فى « لِهنَّكِ » مبدلة من همزة ، ولهذا المعنى جاز أن يجمع بين اللام و بينها لتغير صورتها ، وقد حكى عن أصحابكم فيه وجهان : أحدها قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك لوسيمة ، فحذفت الهمزة من إنَّ ، والواو من والله ، و إحدى اللامين ، فبقى لهنك ، والوجه الثانى ــ وهو قول المفضل بن سلمة ــ إن أصله لِلهِ إنَّكِ لَوَسِيمة ، فحذفت لامان من لله ، والهمزة من إن ، فبقى « لهنك » فسقط الاحتجاجُ به على كلا المذهبين .

وأما قولهم « إن الحرف قد يوصل فى أوله نحو هذا » قلنا : هذا إنما جاء قليلا على خلاف الأصل لدليلٍ دل عليه ؛ فبقينا فيما عداه على الأصل ، ولا يدخل هذا فى القياس فيقاس عليه .

وأما قولهم « إن كم مَالُكَ أصلها ما زيدت عليها الكاف » قلنا : لا نسلم ، بل هذا شيء تَدَّعُونه على أصلكم ، وسنبين فساده فى موضعه إن شاء الله تعالى :

وأما قولهم « إن لَنْ أصلها لا أنْ » قلنا : لا نسلم ، بل هو حرف غير مركب ، وقد نص سيبويه على ذلك ، والذى يدل على أنه غير مركب من لا [وأن] أنه يجوز أنْ يقال : أما زيدا فَلَنْ أضربَ ، ولو كان كما زعموا لما جاء[1] ذلك ؛ لأن ما بعد أنْ لا يجوز أن يعمل فيما قبلها .

قولهم « إن الحروف إذا رُكبت تغيرَ حكمها عما كانت عليه قبل التركيب كهَلاَّ » قلنا : إنما تغير حكم هَلاَّ لأن هَلاَّ ذهب منها معنى الاستفهام ؛ فجاز أن يتغير حكمها ، وأما لَنْ فمعنى النفى باقٍ فيها ؛ فينبغى أن لا يتغير حكمها ، فبَانَ الفرق بينهما .

(١) ربما كان أصل العبارة « لما جاز ذلك » .

وأما قولهم « إنه يجوز العطف على موضع لـكِنَّ كما يجوز العطف على موضع إنَّ ؛ فدلّ على أنَّ الأصل فيها إنَّ » قلنا : لا نسلم أنه إنما جاز العطف على موضع لـكن لأن أصلها إن ، وإنما جاز ذلك لأن لـكن لا تغير معنى الابتداء ؛ لأن معناها الاستدراك ، والاستدراك لا يزيل معنى الابتداء والاستئناف ؛ فجاز أن يعطف على موضعها كإنَّ ؛ لأن إنَّ إنما جاز أن يعطف على موضعها دون سائر أخواتها لأنها لم تغير معنى الابتداء ، بخلاف كأن وليت ولعل ؛ لأن كأن أدْخَلَتْ فى الـكلام معنى [٩٥] التشبيه ، وليت أدخلت فى الـكلام معنى التمنى ، ولعل أدخلت فى الـكلام معنى الترجِّى ، فتغير معنى الابتداء ، فلم يجز العطف على موضع الابتداء لزواله ، فأما لـكن لما كان معناها الاستدراك وهو لا يزيل معنى الابتداء والاستئناف جاز العطف على موضعها كإنَّ ، على أنه من النحويين من يذهب إلى زوال معنى الابتداء مع لـكن فلا يجوز العطف على موضعها .

والذى يدل على أن لـكن مخالفة لإنَّ فى دخول اللام معها أنه لم يأت فى كلامهم دخولُ اللام على اسمها إذا كان خبرُها ظرفا أو حرف جر نحو « لـكنَّ عندك لزيداً ، أو لـكنَّ فى الدار لعمرا » كما جاء ذلك فى إنَّ ، فلما لم يأت ذلك فى شىء من كلامهم ولا نُقِلَ فى شىء من أشعارهم دل أنه لا يجوز دخول اللام فى خبرها ؛ لأن مجيئه فى اسمها مقدم فى الرتبة على مجيئه فى خبرها ، وإذا لم تدخل اللام فى اسمها فأنْ لا تدخل فى خبرها كان ذلك من طريق الأوْلى .

وبيانُ هذا وهو أن الأصل فى هذه اللام أن تـكون متقدمة فى صَدْر الـكلام ؛ فـكان ينبغى أن تكون مُقَدَّمة على إنَّ ، إلا أنه لما كانت [اللامُ] للتأكيدِ وإن للتأكيد لم يجمعوا بين حرفى تأكيد ؛ فـكان الأصل يقتضى أن تنقل عن صَدْرِ الـكلام وتدخل الاسم ؛ لأنه أقرب إليه من الخبر ، إلا أنه لما كان الاسم يَلِي

إنَّ كرهوا أن يدخلوها على الاسم كراهيةً للجمع بين حرفَىْ تأكيدٍ ، فنقلوها من الاسم وأدخلوها على الخبر .

والذى يدل على أن الأصل فيها أن تكون مقدمة على إنَّ أنها لامُ الابتداء ، ولام الابتداء لها صدر الكلام .

والذى يدل على أن الأصل فيها أن تدخل على الاسم قبل الخبر أنه إذا فصل بين إنَّ واسمها بظرف أو حرف جر جاز دخولها عليه ، نحو « إن عِندكَ لزَيداً ، وَإنَّ فى الدَّارِ لعمراً » قال الله تعالى (إنَّ فى ذلك لآيَةً) .

فإذا ثبت أن هذا هو الأصل ، وأنه لا يجوز دخول اللام على اسم « لكنَّ » إذا كان خبرها ظرفا أو حرف جر ؛ دل على أنه لا يجوز أن تدخل على خبرها ؛ لأنه لو كان دخول اللام مع لكن كدخولها مع إن لجاز أن تدخل على اسمها إذا كان خبرها ظرفا أو حرف جر ، كما تدخل على خبرها ؛ فلما لم يجز ذلك دل على فساد ما ذهبوا إليه ، والله أعلم .

[٩٦] ٢٦ — مسألة

[القول فى لام « لعل » الأولى ، زائدة هى أو أصلية ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن اللام الأولى فى « لعلى » أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرحنا على شرح الأشمونى (٣/١٨٨ ش ٥٢٢) وشرح التصريح للشيخ خالد (٢/٣) ولسان العرب (ع ل ل ــ ل ع ل) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ١١٤٢) وشرح الرضى على الكافية (٢/٣٣٥) وخزانه الأدب للبغدادى (فى شرح الشواهد ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨) (ج ٤/٣٦٨ – ٣٧٨)

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن اللام أصلية لأن « لعل » حرف ، وحروف الحروف كلها أصلية ؛ لأن حروف الزيادة التى هى الهمزة والألف والياء والواو والميم والتاء والنون والسين والهاء واللام والتى يجمعها قولك « اليوم تنساه » و « لا أنسيتموه » و « سألتمونيها » إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الحروف فلا يدخلها شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال ، ألا ترى أن الألف لا تكون فى الأسماء والأفعال إلا زائدة أو منقلبة ، ولا يجوز أن يحكم عليها فى ما ولا ويا بأنها زائدة أو منقلبة ، بل نحكم عليها بأنها أصلية ؛ لأن الحروف لا يدخلها ذلك ، فدلَّ على أن اللام أصلية .

والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصةً لا تكاد تزاد فيما يجوز فيه الزيادة إلا شاذاً ، نحو « زَيْدَلٍ ، وعَبْدَلٍ ، وفَحْجَلٍ » فى كلمات معدودة ، فإذا كانت اللام لا تزاد فيما يجوز فيه الزيادة إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنها زائدة لأنا وجدناهم يستعملونها كثيرا فى كلامهم عاريَةً عن اللام ، قال نافع بن سعد الطائى :

١٣٤ — وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الأَمْرِ بَعْدَ مَا
يَفُوتُ ، وَلَـٰكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

---

١٣٤ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ل ع ل) عن ابن برى ، ونسبه لنافع ابن سعد الغنوى ، واستشهد به موفق الدين بن يعيش (ص ١١٤٢) ولم يعزه ، والاستشهاد به فى قوله « عل » حيث جاء بهذا الحرف ساقط اللام الأولى التى فى « لعل » وقد ذكر المؤلف — نقلا عن البصريين — أن سقوط اللام فى هذا البيت ونحوه يدل على أن هذه اللام زائدة فى لعل ، وأن الأصل هو « عل » ولا يتم هذا الكلام لهم ؛ لأن الحروف بأنواعها ليست محلا للتصريف بالحذف أو الزيادة أو غيرها ، ولأنه يجوز أن =

أراد لعل، وقال المُجَيْر السَّلُولى :

١٣٥ — لَكَ الْخَيْرُ عَلِّلْنَا بِهَا ، عَلَّ سَاعَةً
تَمُرُّ ، وَسَهْوَاءُ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ

وقال الآخر :

١٣٦ — عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولَاتِهَا
تُدِلْنَنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا

= يكون الأمر على عكس ماذهبوا إليه، وأن الأصل هولعل فحذفت لامها الأولى فى عل، ويجوز أن يكون كل واحد منهما أصلا برأسه ، ولأن العرب قد تلعبت فى لعل كثيرا ، فقد أبدلوا من عينها غينا فقالوا : لغن ، وأبدلوا عينها همزة ولامها الأخيرة نونا فقالوا : لأن ، وأبدلوا اللام الأخيرة نونا مع حذف اللام الأولى فقالوا : عن ، وزادوا على ذلك فأبدلوا العين همزة فقالوا : أن ، فلم يبق من حروفها الأصلية شىء ، وهذه كلها لغات من لغات العرب ، وليست إحداهن بأن تكون أصلا أولى من غيرها .

١٣٥ — نسب المؤلف هذا البيت للعجير السلولى ، والسهواء — بفتح السين ، ممدودا — ساعة من الليل وصدر منه ، قاله ابن منظور ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « عل » وهو نظير ما ذكرناه فى البيت السابق .

١٣٦ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وقد أنشدهما ابن جنى فى الخصائص (١ / ٣١٦) وابن منظور (ع ل ل) ولم يعزها ، وأنشدها فى (ل م م) ونسب الإنشاد للفراء وزاد بعدهما :

* فتستريح النفس من زفراتها *

والاستشهاد هنا فى قوله « عل » فقد جاء به المؤلف لمثل ماجاء بالبيتين السابقين من أجله شاهدا لمجىء عل ساقطة اللام الأولى مدعيا أن ذلك يدل على أن أصل لعل هو عل ، وقد بينا مافى ذلك فى شرح الشاهد ١٣٤ ، والعجب العاجب ماحكاه ابن منظور عن الكسائى أنه يروى قول الراجز « عل صروف الدهر » بجر صروف، ويخرجه على أن العين واللام الأولى أصلهما « لعا » وهى الكلمة التى تقال للعاثر دعاء له بان ينتعش ، حذفت اللام الأولى ، فصار « عا » فأبدل من التنوين لاما فصار «عل» بفتح العين وسكون اللام ، واللام الثانية هى لام الجر ، وكأن الراجز قد قال =

وقال الآخر :

١٣٧ — وَلاَ تُهِينَ الْفَقِيرَ ؛ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

= « لعا لصروف الدهر » وهو كلام يشبه الأحاجى . وهاك كلام ابن منظور : « قال الكسائى : العرب تصير لعل مكان لعا ، وتجعل لعا مكان لعل ، وقال فى قوله :

* على صروف الدهر أو دولاتها *

معناها : عالصروف الدهر ، فأسقط اللام من لعا لصروف الدهر ، وصير نون لعا لاما لقرب مخرج النون من اللام ، هذا على قول من كسر صروف ، ومن نصبها جعل عل بمعنى لعل ، فنصب صروف الدهر ، ومعنى لعا لك أى ارتفاعا ، قال ابن رومان : وسمعت الفراء ينشد على صروف الدهر (أى بالجر) فسألته : لم تكسر على صروف ؟ فقال : إنما معناه لعا لصروف الدهر ودولاتها ، فانخفضت صروف باللام ، والدهر بإضافة الصروف إليها ، أراد : أو لعا لدولاتها ليدلننا من هذا التفرق الذى نحن فيه اجتماعا ولمة من اللمات . قل : دعا لصروف الدهر ولدولاتها ؛ لأن لعا معناه ارتفاعا وتخلصا من المكروه ، وألقى اللام وهو يريدها ، كقوله

* لئن ذهبت إلى الحجاج يقتلنى *

أراد ليقتلنى » اهـ . وهو كما ترى .

١٣٧ — هذا البيت من كلة للأضبط بن قريع ،وقد رواها أبو على القالى فى أماليه ، وهو من شواهد مغنى اللبيب (رقم ٢٥٧) والأشمونى (رقم ٩٦٨) وأوضح المسالك (رقم ٤٧٦) وشرح المفصل (ص ١٢٤٢) وشرح الكافية فى باب نونى التوكيد ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٥٨٨ بولاق) والاستشهاد به ههنا فى قوله « علك أن تركع » حيث أسقط اللام الأولى من لعل ، على نحو ما بيناه فى الشواهد السابقة ، والنحاة يستشهدون من هذا البيت أيضا بقوله «لاتهين الفقير» فإن أصله عندهم: لا تهينن الفقير ، بنون توكيد خفيفة ، فحذف هذه النون الخفيفة تخلصا من التقاء الساكنين اللذين هما نون التوكيد ، ولام التعريف فى«الفقير» والعرب تحذف نون التوكيد الخفيفة الساكنة وهى تريدها ، فتبقى الكلمة على ما كانت عليه والنون متصلة بها ، سواء أكان بعدها ساكن أم لم يكن ، ولذلك نظائر كثيرة فى كلام العرب ، منها قول الشاعر ، وأنشده أبو زيد فى نوادره : =

[٩٧] وقال الآخر :

١٣٨ — * يَا أَبَتَا عَلّكَ أَوْ عَسَاكَا *

= اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

فإنه أراد أن يقول : اضر بن عنك الهموم ، فحذف النون تخفيفا وإن لم يكن بعدها ساكن ، ومثله ما أنشده الجاحظ فى البيان :

خلافا لقولى من فيالة رأيه كما قيل قبل اليوم : خالف تذكرا

فقد أراد أن يقول : خالفن تذكر ، فحذف نون التوكيد من « خالفن » وإن كان بعدها متحرك ، وأبقى الفتحة على الفاء لتدل على النون ، ومثله ما أنشده أبو على الفارسى :

إن ابن أحوص مغرور فبلغه فى ساعديه إذا رام العلا قصر

فقد أراد أن يقول « فبلغنه » فحذف نون التوكيد للتخفيف وهو يريدها ، بدليل أنه أبقى الفتحة ، ومثله قول الآخر :

يا راكبا بلغ إخواننا من كان من كندة أو وائل

أراد أن يقول « بلغن إخواننا » فحذف نون التوكيد لقصد التخفيف وهو يريدها ؛ بدليل إبقائه الفتحة على الغين ، وليس سبب الحذف هو قصد التخلص من التقاء الساكنين لأن ما بعد الغين متحرك كما ترى ، ونظيره أيضا ما أنشده أبو زيد :

فى أى يومى من الموت أفر فى يوم لم يقدر أم يوم قدر

فقد أراد أن يقول : فى يوم لم يقدرن ــ بتوكيد الفعل المضارع المبنى للمجهول المنفى بلم ــ لكنه حذف نون التوكيد الخفيفة وهو يريدها ، ولولا ذلك لسكن « يقدر » لكونه مسبوقا بلم . وفى هذا القدر كفاية .

١٣٨ ــ هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٣٨٨) ونسبه إلى رؤبة ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى ، ولكنه لا يوجد فى ديوانه . وهو من شواهد شرح المفصل (ص ١١٤٢) والأشمونى (رقم ٢٥٢) ومغنى اللبيب (رقم ٢٤٨) وشرح رضى الدين على الكافية فى باب الضمير، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٤١) وابن جنى الخصائص (٢/٩٦) والاستشهاد به ههنا فى قوله «علك» حيث أسقط اللام الأولى من لعل، على نحو ماذكرناه فى شرح الشواهد السابقة، والنحاة يستشهدون من هذا البيت أيضا بقوله «عساكا» ولهم فى ذلك ثلاثة آراء : أولها مذهب أبى العباس المبرد وأبى على الفارسى، وتلخيصه أن =

وقالت أُم النُّحَيْفِ وهو سعد بن قُرْطٍ :

١٣٩ — تَرَبَّصْ بهَا الأيامَ علَّ صُرُوفَها   سَتَرْمِي بهـــا فِي جَاحِمٍ مُتَسَعِّرِ

أراد لعل . فلما وجدناهم يستعملونها عارِيَةً عن اللام فى معنى إثباتها دَلَّنَا ذلك على أنها زائدة ، ألا ترى أنا حكمنا بأن اللام فى « زَيْدَلٍ ، وعَبْدَلٍ ، وأولالِك » وما أشبه ذلك زائدة لأنا نقول فى معناه « زيد ، وعبد ، وأولاك » وحكمنا بأن الهمزة فى « النِّئْدُ لاَن » وهو الـكابوس زائدة لأنا نقول فى معناه

= « عسى » ههنا هى عسى الدالة على رجاء الخبر الرافعة للاسم الناصبة للخبر، وهى فعل ماض ، والضمير المتصل بها باق على أصله من كونه ضمير نصب ، لـكن هذا الضمير هو خبر عسى فهو مبنى على الفتح فى محل نصب ، واسمها محذوف أو هو ما يذكر بعدالضمير فى بعض التراكيب نحو قولك « عساك أن تزورنا » فالاسم هو الصدر المنسبك من أن المصدرية ومدخولها . والمذهب الثانى : مذهب يونس بن حبيب وأبى الحسن الأخفش ، وتلخيصه أن الضمير المتصل بعسى هو اسمها ، وهى عاملة الرفع والنصب ، وهذا الضمير فى هذا الموضع ضمير رفع لا ضمير نصب ، والمذهب الثالث : مذهب شيخ النحاة سيبويه ومن تابعه ، وتلخيصه أن عسى فى هذا البيت ونحوه ليست هى عسى التى ترفع الاسم وتنصب الخبر ، بل هى ههنا حرف ترج ونصب مثل لعل ، والضمير المتصل بها فى محل نصب اسمها ، وخبرها محذوف ، أى عساك تبقى ، مثلا . وقد أشبعنا القول فى هذه المسألة فى شرحنا على الأشمونى .

١٣٩ — قد نسب المؤلف هذا البيت لأم النحيف ، وتربص : ارتقب وانتظر ، والجاحم : الشديد الاشتعال ، يقولون : جمر جاحم ، ونار جاحمة ، ومتسعر : ملتهب متوقد . والاستشهاد من هذا البيت فى هذا الموضع بقوله « عل صروفها » حيث أسقط اللام الأولى من لعل ، على نحو ما ذكرناه فى شرح الشواهد السابقة .

ونظير هذه الشواهد التى أثرها المؤلف ما أنشده موفق الدين بن يعيش (١١٤٢):

عل الهوى من بعيد أن يقربه   أم النجوم ومن القوم بالعيس

وما أنشده ابن منظور ونسبه لمجنون بنى عامر :

يقول أناس : عل مجنون عامر   يروم سلوا ، قلت : إنى لمابيا

« النيدلان » من غير همز ، وكذلك بأن النون فى « عَرَنْتِنٍ » زائدة لأنا نقول فى معناه « عَرْتَن » بغير النون الأولى ، إلى غير ذلك من الشواهد ؛ فكذلك ها هنا .

والذى يدل على أنها زائدة أن هذه الأحرف — نعنى إنَّ وأخواتها — إنما عملت النصب والرفع لشبه الفعل ؛ لأنّ أنَّ مثل مَدّ ، وليت مثل لَيْسَ ، ولكن أصلها كِنَّ ركبت معها لا كما ركبت لو مع لا فقيل : لٰكنّ ، وكأن أصلها أنَّ أدخلت عليها كاف التشبيه ، فكذلك لعل أصلها عَلَّ وزيدت عليها اللام ؛ إذ لو قلنا إن اللام أصلية فى لعل لأدى ذلك إلى أن لا تكون لَعَلَّ على وزن من أوزان الأفعال الثلاثية أو الرباعية ؛ لأن الثلاثية على ثلاثة أضرب : فَعَلَ كضرب ، وفَعُلَ كمَكُثَ ، وفَعِل كَعَلِمَ ، وأما الرباعية فليس لها إلا وزن واحد ، وهو فَعْلَلَ نحو دَحْرَجَ وسَرْهَفَ ، فكان يؤدى إلى أن يبطل عملها فوجب أن يحكم بزيادتها ؛ لتكون على وزن الفعل كسائر أخواتها ، فصارت بمنزلة زيادة لا والكاف فى لكنَّ عندكم ، فإنه إذا جاز أن تحكموا بزيادة لا والكاف فى لكن وهما حرفان وأحدهما ليس من حروف الزيادة فلأن يجوز أن يحكم ها هنا بزيادة اللام وهى حرف من حروف الزيادة كان ذلك طريق الأولى .

والصحيح فى هذه المسألة ما ذهب إليه الكوفيون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما قولهم « إنا وجدناهم يستعملونها كثيرا فى كلامهم بغير لام ؛ بدليل ما أنشدوه من الأبيات » قلنا : إنما حذفت اللام من « لعلَّ » كثيراً فى أشعارهم لكثرتها فى استعمالهم ، ولهذا [٩٨] تلعبت العربُ بهذه الكلمة ، فقالوا : لعلَّ ، ولَعَلْنَ ، ولَعَنَّ — بالعين غير معجمة — قال الشاعر :

١٤٠ — حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ الْمُنَطَّقُ لَعَنَّ هٰـــذَا مَعَهُ مُعَلَّقُ

ولَغَنَّ — بالغين معجمة — وأنشدوا :

١٤١ — أَلاَ يَاصَاحِبَيَّ قِفَا لَغَنَّا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الْخِيَامِ

ورَعَنَّ ، وَعَنَّ ، وَغَنَّ ، وَلَغَلَّ ، وَغَلَّ ؛ فلما كثرت هذه الكلمة فى استعمالهم حذفوا اللام لكثرة الاستعمال . و كان حَذْفُ اللام أولى من العين — و إن كان أبعد من الطَّرَفِ — لأنه لو حذف العين لأدى ذلك إلى اجتماع ثلاث لامات فيؤدى ذلك إلى الاستثقال ؛ لأجل اجتماع الأمثال ، أو لأن اللام تكون فى موضع ما من

---

١٤٠ — نقل البغدادى فى الخزانة (٣٦٨/٤) تلخيص هذه المسألة عن كتاب الإنصاف ، وقد ورد ذكر هذا البيت عنده محرفا ، والمنطق — بزنة المعظم — لابس المنطقة ، والمنطقة والمنطق والنطاق : كل شىء شد الرجل به وسطه ، والمعلق — بزنة المعظم أيضا — لعله أراد به التعويذة ، وفى الحديث « من تعلق شيئا وكل إليه » ومعناه : من علق على نفسه شيئا من التعاويذ والتمائم وأشباهها معتقدا أنها تجلب إليه نفعا أو تدفع عنه ضرا لم ينظر الله إليه . والاستشهاد بالبيت فى قوله « لعن » فإن هذه لغة من لغات العرب فى « لعل » أبدلوا لامها الأخيرة المشددة نونا ، لكثرة ما تلعبوا بهذه الكلمة .

١٤١ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ل غ ن) ونسبه للفرزدق ، إلا أنه روى صدره هكذا :

* قفا يا صاحبى بنا لغنا *

والبيت مطلع قصيدة للفرزدق يمدح بها هشام بن عبد الملك بن مروان ، وهى ثابتة فى ديوانه (٨٣٥) وفى النقائض (ص ١٠٠٤ ط ليدن) ولكن رواية البيت فيهما هكذا :

ألستم عائجين بنــا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام

وعائجين : عاطفين ومائلين ، والعرصات : جمع عرصة ، وهى وسط الدار ، ويقال لها أيضا : ساحة ، وباحة ، وبالة ، والخيام : جمع خيمة ، وهى بيت من خشب يظلل بالثمام فى المرتبع لأنها أبرد ظلالا من الأبنية ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « لغنا » فإنها لغة فى « لعلنا » وقد وقعت هذه الكلمة فى لسان العرب بالغين المعجمة ، وفى النقائض بالعين المهملة ، والخطب فى ذلك سهل ؛ لأن الوجهين صحيحان ، وكل واحد منهما لغة .

حروف الزيادة وليس العين كذلك ، والذى يدل على اعتبار ذلك أنهم جَوَّزُوا فى تـكسير فَرَزْدَقٍ وتصغيره فَرَازِقَ وفُرَيْزِقَ ـ بحذف الدال ـ ولم يجوزوا فى تكسير جَحْمَرِش وتصغيره : جَحَامِشَ وجُحَيْمِشَ ـ بحذف الراء ـ لأن الدال تشبه حروف الزيادة لمجاورتها التاء ومجيئها بدلا منها فى مُزْدَان ومُزْدَجر ، بخلاف الراء فإنها ليست كذلك ، و إذا اعتبروا ذلك فيما يقرب من حروف الزيادة وليس منها فلأن يعتبروه فيما هو من حروف الزيادة فى الجملة كان ذلك من طريق الأَوْلَىٰ ؛ فلهذا كان حذف اللام الأولى أَوْلَىٰ .

وأما قولهم « إنا لما وجدناهم يستعملونها مع حذف اللام فى معنى إثباتها دلّ على أنها زائدة كاللاَّم فى زَيْدَلٍ وعَبْدَل وأولالك » قلنا : إنما يعتبر هذا فيما يجوز أن تدخل فيه حروف الزيادة ، فأما الحروف فلا يجوز أن تدخل عليها حروف الزيادة على ما بينا .

وأما قولهم « إن هذه الأحرف إنما عملت لشبه الفعل فى لفظه » قلنا : لانسلم أنها عملت لشبه الفعل فى لفظه فقط ، و إنما عملت لأنها أشبهته فى اللفظ والمعنى ، وذلك من عدة وجوه ؛ أحدها : أنها تقتضى الاسم كما أن الفعل يقتضى الاسم ، والثانى أن فيها معنى الفعل لأن أن و إن بمعنى أكدت، وكأن بمعنى شبهت، ولـكن بمعنى استدركت ، وليت بمعنى تمنيت ، ولعل بمعنى ترجيت ، [والثالث] أنها مبنية على الفتح كما أن الفعل الماضى مبنى [٩٩] على الفتح ، إلى غير ذلك من الوجوه التى تقدم ذكرها قبلُ ، وهذه الوجوه من المشابهة بين لعل والفعل لا تَبْطُل بأن لا تـكون على وَزْنٍ من أوزانه ، وهى كافية فى إثبات عملها بحكم المشابهة ، على أنه قد ظهر نَقْصُها عن سائر أخواتها لعدم كونها على وزنٍ من أوزان الفعل وأنه لا يجوز أن تدخل عليها نون الوقاية كما يجوز فى سائر أخواتها ، فلا يكاد يقال « لعَلَّنِي » كما يقال « إنَّنِي ، وكأنَّنِي ، ولَـكِنَّنِي ، ولَيْتَنِي » إلا أن يجىء ذلك قليلاً كما قال عُرْوَة بن الوَرْدِ :

١٤٢ — دَعِينِي أُطَوِّفْ فى الْبِلاَدِ لَعَلَّنى أُفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِى الْحَقِّ مَحْمِلُ

وذلك قليل .

وأما قولهم « إذا جاز لكم أن تحكموا بزيادة لا والكاف فى لكنَّ وهما حرفان فَلأَنْ يجوز أن يحكم بزيادة اللام وهى حرف واحد كان ذلك من طريق الأولى » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنكم لا تقولون بصحة مذهبهم ، فكيف يجوز لكم أن تقيسوا عليه ؟ فإن القياس على الفاسد فاسد ، وقد بينا فساد ما ذهبوا إليه فى زيادة لا والكاف هناك كما بينا فساد زيادة اللام هاهنا ، وكلاهما قول باطل ، ليس له حاصل ، والله أعلم .

* * *

---

١٤٢ — البيت — كما قال المؤلف — لعروة بن الورد ، المعروف بعروة الصعاليك . وقوله « دعينى » معناه اتركينى ، ويروى « ذرينى » وهو بمعناه ، وقوله « أطوف » أى أكثر الطواف والجولان ، ويروى فى مكانه « أسير » بتشديد الياء — ومعناه أكثر السير ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « لعلنى » حيث وصل نون الوقاية بلعل حين أراد أن يعملها فى ياء المتكلم ، وقد زعم المصنف أن ذلك قليل ، وأن الكثير « لعلى » بترك النون ، وقد وردت عدة أبيات كبيت الشاهد ، من ذلك قول حاتم الطائى ، وأنشده ابن منظور (ع ل ل) :

أرينى جوادا مات هزلا لعلنى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

ومن ذلك قول الآخر ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٥٩) وابن عقيل (رقم ١٩) وابن الناظم فى باب الضمير :

فقلت : أعيرانى القدوم لعلنى أخط بها قبرا لأبيض ماجد

نعم حذف النون أعرف وأشهر ، وبه وحده ورد فى القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : (لعلى أبلغ الأسباب) وقوله : (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) وقوله : (لعلى آتيكم منها بخبر) وقوله : (لعلى أطلع إلى إله موسى)

٢٧ ــ مسألة

[القول فى تقديم معمول اسم الفعل عليه][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « عَلَيْكَ ، ودُونَكَ ، وعِنْدَكَ » فى الإغراء يجوز تقديم معمولاتها عليها ، نحو « زَيْدًا علَيْك ، وَعَمْراً عِندك ، وبكراً دونك » . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز تقديم معمولاتها عليها ، وإليه ذهب الفراء من الكوفيين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنه يجوز تقديم معمولاتها عليها النقلُ والقياسُ .

أما النقل فقد قال الله تعالى : (كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ) والتقدير فيه : عليكم كتابَ الله : أى الْزَمُوا كتابَ الله ، فنصب كتاب الله بعليكم ، فدل على جواز تقديمه . واحتجوا أيضاً بالأبيات المشهورة :

١٤٣ ــ يَاأَيُّهَا الْمَائح دَلْوِى دُونَكَا إنى رَأيتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكا
* يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكا *

---

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢٥٢ بولاق) وحاشية الصبان على الأشمونى (٣/١٧٧ بولاق) وشرح رضى الدين على الكافية (٢/٦٤)

١٤٣ ــ هذا الشاهد قد أنشده رضى الدين فى باب أسماء الأفعال ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/١٥) وأنشده ابن يعيش (ص ١٤٤) وأنشده ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٨٥٩) وفى أوضح المسالك (رقم ٤٦٤) وأنشده الأشمونى (رقم ٩٣٨) وهو من كلام راجز جاهلى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، ونسبه الشيخ خالد لجارية من مازن ، والصواب ما قدمناه وأن الجارية روته وليس لها . والمائح ــ بالهمزة ــ هو الرجل يكون فى جوف البئر يملأ الدلاء ، فإن كان وقوفه على شفير البئر ينزع الدلاء ويجذبها فهو ماتح ــ بالتاء ــ ودونكا : معناه خذ ، والاستشهاد به فى قوله «دلوى دونكا» فإن ظاهره أن «دلوى» =

[١٠٠] والتقدير فيه : دُونَكَ دلْوِى ؛ فدلْوِى فى موضع نصب بدونك ؛ فدلَّ على جواز تقديمه .

وأما القياس فقالوا : أجمعنا على أنَّ هذه الألفاظ قامت مقام الفعل ، ألا ترى أنك إذا قلت « عَلَيْكَ زَيداً » أى الْزم زيداً ، وإذا قلت « عِنْدَكَ عَمْراً » أى تَنَاوَلْ عمراً ، وإذا قلت « دُونَكَ بكراً » أى خذ بكراً ، ولو قلت « زَيْداً الْزَمْ ، وعمراً تَنَاوَلْ ، وبكراً خُذْ » فقدمت المفعول لكان جائزاً ، فكذلك مع ما قام مقامه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه لا يجوز تقديم معمولاتها عليها أن هذه الألفاظَ فرعٌ على الفعل فى العمل ؛ لأنها إنما عملت عملَهُ لقيامها مقامه ؛ فينبغى أن لا تتصرف تصرفَهُ ؛ فوجب أن لا يجوز تقديم معمولاتها عليها وصار هذا كما نقول فى الحال إذا كان العامل فيها غير فعل ؛ فإنه لا يجوز تقديمها عليه لعدم تصرفه ، فكذلك ها هنا ؛ إذ لو قلنا إنه يَتَصَرَّفُ عَمَلُهَا ، ويجوز تقديم معمولاتها عليها لأدَّى ذلك إلى التسوية بين الفرع والأصل ، وذلك لا يجوز ؛ لأن الفروع أبدا تنحطُّ عن درجات الأصول .

= مفعول به مقدم لدونك ، وبهذا الظاهر أخذ الكسائى وجماعة من الكوفيين وبنوا عليه قاعدة حاصلها أنه يجوز تقديم معمول اسم الفعل عليه، حملا على الفعل؛ لأن اسم الفعل إنما عمل لكونه تضمن معنى الفعل ، والفعل يجوز تقديم معموله عليه ، ومن تمام حمل اسم الفعل على الفعل أن يجوز فى اسم الفعل ما جاز فى الفعل خصوصا أنه قد ورد عن العرب فى مثل هذا الشاهد، ولم يرتض البصريون هذا ، وقالوا : إن البيت يحتمل وجوها أخرى من الإعراب ؛ منها أن يكون «دلوى» مفعولا به لفعل محذوف يفسره اسم الفعل، ومنها أن يكون « دلوى » مبتدأ وخبره الجملة من اسم الفعل وفاعله ، والرابط ضمير منصوب بدونك محذوف، والتقدير : دلوى دونكه ، كما تقول : دلوى خذه ، ولم يذكر المؤلف هذا التخريج لأنه لا يجيزه ، ومنها أن يكون دلوى خبر مبتدأ محذوف ، ثم قالوا : إن البيت الواحد لا تثبت به قاعدة، فليكن هذا البيت شاذا إن لم تقبلوا تأويله .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ) فليس لهم فيه حجة ؛ لأن (كتاب الله) ليس منصوباً بعليكم ، وإنما هو منصوب لأنه مصدر ، والعامل فيه فعل مقدر ، والتقدير فيه : كتب كتاباً اللهُ عليكم ، وإنما قُدِّرَ هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ما تقدم عليه ، كما قال الشاعر :

١٤٤ — مَا إنْ يَمَسُّ الأرْضَ إلاَّ مَنْكِبٌ
مِنْهُ ، وَحَرْفُ السَّاقِ ، طَيَّ الْمِحْمَلِ

١٤٤ — هذا البيت لأبى كبير الهذلى ، يقوله فى تأبط شرا وكان أبو كبير زوج أمه يصفه بالضمور ، والبيت من شواهد سيبويه (١/١٨٠) والأشمونى (رقم ٣٢٥) وأوضح المسالك (رقم ٢٥١) والبيت من قصيدة لأبى كبير ثابتة فى شعر الهذليين (٢/٨٨) وقد اختار أبو تمام فى أوائل ديوان الحماسة أبياتا من هذه القصيدة يقع بيت الشاهد ثامنها ، وانظر بعد ذلك خزانة الأدب للبغدادى (٣/٤٦٦ و ٤/١٦٥) و« إن » فى قوله « ما إن يمس » زائدة ، ومعنى البيت : ما يمس الأرض منه — إذا نام — إلا جانبه وحرف ساقه ، وذلك لأنه مطوى ضامر غير سمين وهضيم الكشح غير ثقيل ؛ فهو لا ينبسط على الأرض ولا يضع أعضاءه كلها عليها ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « طى المحمل » حيث نصبه بعامل محذوف يدل عليه سابق الكلام ، والمؤلف رحمه الله يقدر هذا العامل فعلا ، وكأن الشاعر على هذا قد قال : قد طوى هذا الفتى طى المحمل ، وهو تابع فى هذا لشيخ النحاة سيبويه وشراح كلامه ، قال سيبويه : « وقد يجوز أن تضمر فعلا آخر كما أضمرت بعد قولك له صوت ، يدلك عليه أنك لو أظهرت فعلا لا يجوز أن يكون المصدر مفعولا عليه صار بمنزلة له صوت ، وذلك قوله :

* ما إن يمس الأرض . . . البيت *

صار ما إن يمس الأرض بمنزلة له طى ؛ لأنه إذا ذكر ذا عرف أنه طيان » اهـ . وقال الأعلم : « الشاهد فيه نصب طى المحمل بإضمار فعل دل عليه ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق ؛ لأن ذلك لا نطواء كشحه وضمر بطنه ، فكأنه قال : طوى طيا مثل طى المحمل ؛ فشبهه فى طى كشحه وإرهاف خلقه بحمالة السيف ، وهى المحمل ، وزعم أنه إذا اضطجع نائما نبا بطنه عن الأرض ، ولم ينلها منه إلا منكبه وحرف ساقه » اهـ بحروفه .

فقوله « طَيَّ الْمِحْمَلِ » منصوب لأنه مصدر ، والعامل فيه فعل مُقَدَّر ، والتقدير فيه : طُوِىَ طَيَّ الْمِحْمَلِ ، وإنما قدر ولم يظهر لدليل ما تقدم عليه من قوله « مَا إِنْ يَمَسُّ الأَرْضَ إِلاَّ مَنْكِبٌ مِنْهُ » ، فكذلك ها هنا : قُدِّرَ هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ما تقدم عليه من قوله : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ) فإن فيه دلالة على أن ذلك مكتوب عليهم ؛ فلما قدر هذا الفعل ولم يظهر بقي التقدير فيه : كتاباً اللهُ عليكم ، ثم أضيف المصدر إلى الفاعل كقوله : (وتَرَى الجبالَ تحسبها جَامِدَةً وَهِيَ تمرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ) فنَصَبَ (صُنْعَ) على المصدر بفعل مُقَدَّر ، وإنما قدر هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ما تقدم [١٠١] عليه من الكلام ، والتقدير فيه : صَنَعَ صنعاً اللهُ ، وحُذِفَ الفعل وأُضيف المصدر إلى الفاعل ؛ لأنه يضاف إلى الفاعل كما يضاف إلى المفعول ، وقال الراعي :

١٤٥ — دَأَبْتُ إِلَى أَنْ يَنْبُتَ الظِّلُّ بَعْدَمَا
تَقَاصَرَ حَتَّى كَادَ فِي الآلِ يَمْصَحُ
وَجِيفَ الْمَطَايَا ، ثُمَّ قُلْتُ لِصُحْبَتِي
وَلَمْ يَنْزِلُوا : أَبْرِدْتُمُ فَتَرَوَّحُوا

١٤٥ — هذان البيتان من شواهد سيبويه (١/١٩١و ١٩٢) وقد نسبهما في صدر الكتاب إلى الراعي ، وكذلك نسبهما الأعلم إليه ، ودأبت : أراد لزمت السير وجددت فيه ، ومصح الظل : أي ذهب ، والوجيف : سرعة السير ، قال الأعلم : « الشاهد فيه نصب وجيف المطايا على المصدر المؤكد لمعنى قوله دأبت ؛ لأنه بمعنى واصلت السير وأوجفت المطى ، أي سمتها الوجيف وهو سير سريع ، وصف أنه واصل السير إلى الهاجرة ثم نزل مبردا بأصحابه ثم راح سائرا ، ومعنى قوله إلى أن ينبت الظل إلى أن يأخذ في الزيادة بعد زوال الشمس وينمو ، يقال : نبت لفلان مال ، إذا نما وزاد ، والآل : الشخص ، ومعنى يمصح يذهب ، يريد عند قائم الظهيرة ، والمطايا: الرواحل؛ لأنها تمطى أي تستعمل =

فنصب « وَجِيفَ » على المصدر بفعل مُقَدَّرٍ على ما تقدم ، وأضاف المصدرَ إلى الفاعل ، وقال لَبِيدٌ :

١٤٦— حَتَّى تَهَجَّرَ فِي الرَّوَاحِ وَهَاجَهَا طَلَبَ الْمُعَقِّبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ

كأنه قال : طلباً المعقبُ حَقَّهُ ، ثم أضاف المصدر إلى المعقب وهو فاعل بدليل أنه قال « المظلومُ » بالرفع حملا للوصف على الموضع ، وإضَافَةُ المصدر إلى الفاعل أكثر من أن تُحْصَى ، قال الله تعالى : (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ) فأضاف المصدر

=ظهورها ، والمطا : الظهر ، ومعنى أبردتم : دخلتم فى برد العشى ، وتروحوا : سيروا رواحا » اهـ كلامه .

١٤٦ — هذا البيت من كلام لبيد بن ربيعة العامرى — كما قال المؤلف — وهو فى وصف حمار وحش وأتنه شبه به ناقته ، وقد أنشده الجوهرى فى الصحاح وابن منظور فى اللسان (ع ق ب) وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٦٩٠) وأوضح المسالك (رقم ٣٦٩) وابن عقيل (رقم ٢٥٤) ورضى الدين فى باب المصدر ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٤٤١) وتهجر : سار فى وقت الهاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد الحر ، والرواح : الوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهاجها : أزعجها ، والضمير المستتر يعود إلى حمار الوحش ، والضمير البارز المتصل يعود إلى الأتن ، والمعقب : الذى يطلب حقه مرة عقب مرة ولا يتركه ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « طلب المعقب » فإن هذا مصدر تشبيهى منصوب على أنه مفعول مطلق مضاف إلى فاعله ، وأصل الكلام : وهاجها طالبا إياها طلبا غير منقطع مثل طلب المعقب حقه ، فأضاف المصدر إلى فاعله ثم جاء بمفعوله بعد ذلك ، بدليل أنه رفع « المظلوم » لكونه نعتا للمعقب ، وقد ورد نظير ذلك فى أفصح الكلام ، فى قول الله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) فدفع مصدر ، وقد أضيف إلى فاعله وهو لفظ الجلالة ، ثم أتى بعد ذلك بمفعوله ، وهو الناس

ونظير هذا البيت — فى إضافة المصدر إلى فاعله والإتيان بعد ذلك بمفعوله — قول ابن الإطنابة وفيه ماذكر ثلاث مرات .

أبت لى عفتى ، وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح

إلى اسم الله تعالى وهو الفاعل ، ونحوه قولهم « ضربى زيداً قائماً ، وأكثرُ شُرْبِى السويقَ مَلْتُوتاً » وقال الشاعر :

١٤٧ — فَلاَ تُكْثِرَا لَوْمِى ؛ فَإِنَّ أَخَاكُمَا
بِذِكْرَاهُ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ مُولَعُ

فأضاف المصدر إلى الضمير فى « ذكراه » وهو فاعل ، وقال الآخر :

١٤٨ — أَفْنَى تِلاَدِى وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ
قَرْعُ الْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهَ الأَبَارِيقِ

---

١٤٧ — الذكرى — بكسر الذال المعجمة وسكون الكاف — اسم مصدر بمعنى التذكر ، ويجوز أن يحمل عليه قوله تعالى: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ومولع : هو الوصف من «أولع فلان بكذا — بالبناء للمجهول» إذا لج به وأغرى به ، والمصدر الإيلاع ، والاسم الولوع — بفتح الواو — والاستشهاد بهذا البيت ههنا فى قوله « بذكراه ليلى العامرية » فإن الذكرى ههنا اسم مصدر يدل على معنى المصدر ويعمل عمله ، وقد أضافه الشاعر إلى فاعله وهو ضمير الغيبة المتصل العائد على الأخ ، ثم أتى بعد ذلك بمفعول المصدر — وهو قوله ليلى العامرية — ونظيره قول حسان بن ثابت الأنصارى :

لأن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

فإن « ثواب » اسم مصدر بمعنى الإثابة ويعمل عمل المصدر ، وقد أضافه إلى فاعله وهو لفظ الجلالة ، وأتى بعد ذلك بمفعوله وهو قوله «كل موحد» ومن يروى «جنانا» بالنصب يجعله مفعولا ثانيا ويكون خبر «إن» محذوفا ، أى لأن ثواب الله كل موحد جنانا موصوفة بأنها من الفردوس وبأنه يخلد فيها حاصل ؛ ومن رفع «جنان» فهو خبر إن .

١٤٨ — هذا البيت من كلام الأقيشر الأسدى ، واسمه المغيرة بن عبد الله ، أحد بنى عمرو بن أسد ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٦٨٨) وقد أنشده ابن منظور (ق ق ز) أول ثلاثة أبيات . والتلاد — بزنة الكتاب — كل مال ورثته عن آبائك ، ومثله التالد ، والتليد ، ويقابله الطارف والطريف ، ويقال كل منهما على ما استحدثته من المال ، والنشب — بفتح النون والشين جميعا — العقار ، أو المال الأصيل من ناطق وصامت ، والقرع : الضرب ، والقواقيز : جمع قاقوزة ، وهى القدح الذى يشرب فيه ، ويروى «القوارير» وهو جمع قارورة ، وهى الزجاجة ، ويراد بها هنا الكأس المتخذة =

فأضاف المصدر إلى « القواقيز » وهو فاعل فيمن روى « أفْوَاهَ » منصوباً ، ومن روى « أفْوَاهُ » بالرفع جعله مضافاً إلى المفعول ، والشواهد على هذا النحو كثيرة جداً .

وأما البيت الذى أنشدوه :

* يَا أَيُّهَا المَـائِحُ دَلْوِى دُونَـكَا * [١٤٣]

فلا حُجَّةَ لهم فيه من وجهين ؛ أحدهما : أن قوله « دَلْوِى » ليس هو فى موضع نصب ، وإنما هو فى موضع رفع ؛ لأنه خبر مبتدإ مُقَدَّر(١) ، والتقدير فيه : هذا دَلْوِى دُونَـكَا . والثانى : أنا نسلم(٢) أنه فى موضع نصب ، ولـكنه لا يكون

= من الزجاج ، والأباريق : جمع إبريق ، وهو ما كان له عروة ، فإن لم يكن له عروة فهو كوز ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « قرع القواقيز أفواه » وهذه العبارة تروى بنصب « أفواه » وبرفعها ؛ فمن نصب فقد جعل القرع مصدرا مضافا إلى فاعله ثم بعدذلك أتى بمفعوله ، ومن رفع فقد جعل القرع مصدرا مضافا إلى مفعوله ثم أتى بعد ذلك بفاعله ، وكل من الوجهين صحيح من جهة العربية ومن جهة المعنى ؛ فقد أضيف المصدر إلى فاعله ثم أتى بمفعوله كثيرا كما فى الشواهد السابقة وما أثرناه معها ، وأضيف إلى مفعوله ثم أتى بفاعله كما فى قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) فإن الحج مصدر مضاف إلى مفعوله الذى هو البيت وقد جىء بعده بفاعله وهو قوله سبحانه من استطاع .

ومن الأول — زيادة على ما أثرناه — قول الشاعر ، وهو الأشجعى :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيترب

وقد جاء فى القرآن الـكريم من ذلك قول الله تعالى : (كذكركم آباءكم) ومنه قوله سبحانه : (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) ومن شواهد ذلك فى اسم المصدر قول القطامى :

أكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة الرتاعا

(١) ويجوز أن يكون مبتدأ خبره الجملة من اسم الفعل وفاعله المستتر فيه وجوبا ، لـكن المؤلف لا يجيز هذا الوجه ، لأن الإخبار بالجملة الإنشائية لا يصح عنده ؛ لذلك لم يذكر هذا الوجه ، وقد نبهناك إلى ذلك فى شرح الشاهد .

(٢) فى ر « أنا لا نسلم — إلخ » ولا يصح مع مابعده .

منصوباً بدُونَكَ ، وإنما هو منصوب بتقدير فعل ؛ كأنه قال : خُذْ دلوى دُونَكَ ، و « دونك » مفسر لذلك الفعل المقدر .

وأما قولهم « إنها قامت مقام الفعل فيجوز تقديمُ معمولها [١٠٢] عليها كالفعل » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأن الفعل(١) الذى قامت هذه الألفاظُ مقامه يستحق فى الأصل أن يعمل النصب ، وهو متصرف فى نفسه فَتَصَرَّفَ عَمَله ، وأما [هذه] الألفاظ فلا تستحق فى الأصل أن تعمل النصب ، وإنما أُعْمِلَتْ لقيامها مقام الفعل، وهى غير متصرفة فى نفسها ؛ فينبغى أن لا يتصرف عملها ؛ فوجب أن لا يجوز تقديمُ معمولها عليها ، والله أعلم .

٢٨ — مسألة

[القول فى أصل الاشتقاق ، الفعل هو أو المصدر ؟](٢)

ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفَرْعٌ عليه ، نحو « ضَرَبَ ضَرْباً ، وقَامَ قِيَاماً » وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفَرْعٌ عليه .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنَّ المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى أنك تقول « قَاوَمَ قِوَاماً »

---

(١) فى ر « الفعل التى » وليس بشىء .

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرحنا على شرح الأشمونى (٢/ ٣٤١) وحاشية الصبان (٩٦/٢ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٣٩٣/١ بولاق) وشرح الرضى على الكافية (١٧٨/٢) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٣٥) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٦٩ ليدن)

فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول « قَامَ قِيَامًا » فيعتل لاعتلاله ؛ فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليلُ على أن المصدر فرع على الفعل أنَّ الفعل يعمل فى المصدر، ألا ترى أنك تقول « ضَرَبْتُ ضَرْبًا » فتنصب ضربا بضربت ؟ فوجب أن يكون فرعا له ؛ لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول ؛ فوجب أن يكون المصدر فرعا على الفعل .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليلُ على أن المصدر فرع على الفعل أن المصدر يُذْكَر تأكيداً للفعل ، ولا شك أن رتبة المؤكَّدِ قبل رتبة المؤكِّدِ ؛ فدل على أن الفعل أصل ، والمصدر فرع . والذى يؤيد ذلك أنا نجد أفعالا ولا مصادر لها ، خصوصا على أصلكم ، وهى نعم وبئس وعسى وليس وفعل التعجب وحَبَّذَا ، فلو لم يكن المصدر فرعا لا أصلا لما خلا عن هذه الأفعال ؛ لاستحالة وجود الفرع من غير أصل .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر فرع على الفعل أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعلَ فاعلٍ ، والفاعل[1] وضع له فَعَلَ ويَفْعلُ ؛ فينبغى أن يكون الفعل الذى يعرف به المصدر أصلا للمصدر .

[١٠٣] قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنَّ المصدر إنما سُمى مصدراً لصُدُورِ الفعل عنه ، كما قالوا للموضع الذى تصدر عنه الإبل مَصْدَرا لصدورها عنه » لأنا نقول : لا نسلم ، بل سمى مصدراً لأنه مَصْدُور عن الفعل ، كما قالوا « مَرْكَبٌ فَارِه ، ومَشْرَبٌ عَذْب » أى : مركوب فاره ، ومشروب عذب ، والمراد به المفعول ، لا الموضع ، فلا تَمَسُّكَ لكم بتسميته مصدراً .

---

(١) كذا ، ونرجح أن الأصل « والفعل وضع له — إلخ »

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمانٍ مُطْلَقٍ ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

و بيان ذلك أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وَجَدُوه يشترك فى الأزمنة كلها ، لا اختصاصَ له بزمانٍ دون زمانٍ ، فلما لم يتعين لهم زمانُ حدوثِهِ لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمْثِلَةً تدل على تعين الأزمنة ، ولهذا كانت الأفعال ثلاثة : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ؛ لأن الأزمنة ثلاثة ؛ ليختص كل فعل منها بزمانٍ من الأزمنة الثلاثة ؛ فدل على أن المصدر أصل للفعل .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليلُ على أن المصدر هو الأصل أن المصدر اسم ، والاسم يقوم بنفسه و يستغنى عن الفعل ، وأما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه و يفتقر إلى الاسم ، وما يستغنى بنفسه ولا يفتقر إلى غيره أولى بأن يكون أصلا مما لا يقوم بنفسه و يفتقر إلى غيره .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على شيئين : الحدث ، والزمان المحصل ، والمصدر يدل بصيغته على شىء واحد وهو الحدث ، وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر هو الأصل أن المصدر له مثال واحد نحو الضَّرْبِ والقَتْل ، والفعل له أمثلة مختلفة ، كما أن الذهب نوع واحد ، وما يوجد منه أنواع وصُوَر مختلفة .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر ، والمصدر لا يدل على ما يدل عليه الفعل ، ألا ترى أن « ضَرَبَ » يدل على ما يدل عليه الضَّرْب ، والضرب لا يدل على ما يدل عليه « ضَرَبَ » وإذا كان كذلك دلَّ على أن المصدر أصل [١٠٤] والفعل

فرع ؛ لأن الفرع لابد أن يكون فيه الأصل ، وصار هذا كما تقول فى الآنية المَصُوغة من الفضة فإنها تدل على الفضة ، والفضة لا تدل على الآنية ، وكما أن الآنية المَصُوغة من الفضة فرع عليها ومأخوذة منها فكذلك ها هنا : الفعلُ فرعٌ على المصدر ومأخوذ منه .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر ليس مشتقًّا من الفعل أنه لو كان مشتقًّا منه لكان يجب أن يجرى على سَنَنٍ فى القياس ، ولم يختلف كما لم يختلف أسماء الفاعلين والمفعولين ؛ فلما اختلف المصدر اختلافَ الأجناسِ كالرجل والثوب والتراب والماء والزيت وسائر الأجناس دل على أنه غير مشتق من الفعل .

ومنهم من تمسك بأن قال : لو كان المصدر مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على ما فى الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به(١) ؛ فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقًّا من الفعل .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر ليس مشتقًّا من الفعل قولهم « أَكْرَمَ إِكْرَاماً » بإثبات الهمزة ، ولو كان مشتقاً من الفعل لوجب أن تحذف منه الهمزة كما حذفت من اسم الفاعل والمفعول نحو « مُكْرِم ، ومُكْرَم » لمَّا كانا مشتقين منه ؛ فلما لم تحذف ها هنا كما حذفت مما هو مشتق منه دل على أنه ليس بمشتق منه .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن المصدر هو الأصل تسميته مصدراً ؛ فإن المصدر هو الموضع الذى يُصْدَرُ عنه ، ولهذا قيل للموضع الذى تصدر عنه الإبل « مَصْدَر » فلما سمى مصدراً دل على أن الفعل قد صَدَرَ [عنه] وهذا دليل لا بأس

(١) فى الأصل « وذات الفعل والمفعول به » وليس بشىء

به فى المسألة ، وما اعترض به الكوفيون عليه فى دليلهم فسنذكر فساده فى الجواب عن كلماتهم فى موضعه إن شاء الله تعالى .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتلُّ لاعتلاله » قلنا : الجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن المصدر الذى لا عِلَّةَ فيه ولا زيادة لا يأتى إلا صحيحا نحو « ضَرَبْتُهُ ضَرْباً » وما أشبه ذلك ، وإنما يأتى معتلا ما كانت فيه الزيادة ، والكلام إنما وقع فى أصول المصادر ، لا فى فروعها .

الثانى : أنا [١٠٥] نقول : إنما صح لصحته واعتلَّ لاعتلاله طلباً للتشاكل ، وذلك لا يدل على الأصلية[١] والفرعية ، وصار هذا كما قالوا « يَعِدُ » والأصل فيه يَوْعِدُ ؛ فحذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، وقالوا : « أَعِدُ ، ونَعِدُ ، وتَعِدُ » والأصلُ فيها أَوْعِدُ ونَوْعِدُ وتَوْعِدُ ، فحذفوا الواو — وإن لم تقع بين ياء وكسرة — حملا على يَعِدُ ، ولا يدل ذلك على أنها مشتقة من يَعِدُ ، وكذلك قالوا « أُكرِمُ » والأصل فيه أُأَكْرِمُ ، فحذفوا إحدى الهمزتين استثقالا لاجتماعهما ، وقالوا : « نُكرِمُ ، وتُكرِمُ ، ويُكرِمُ » ، والأصل فيها : نُؤَكرِم ، وتُؤَكْرِم ، ويُؤَكْرِم ، كما قال الشاعر :

* فإنَّه أَهْلٌ لأنْ يُؤَكْرَمَا *[١]

فحذفوا الهمزة — وإن لم يجتمع فيها[٢] همزتان — حملا على أُكْرِمُ ؛ ليَجْرِيَ البابُ على سَنَنٍ واحد ، ولا يدل ذلك على أنها مشتقة من أُكْرِمُ ، فكذلك ها هنا .

---

(١) فى نسخة « الأصل » .

(٢) « فيها » أى فى الكلمة التى هى « يؤكرم » .

والثالث : أنا نقول : يجوز أن يكون المصدر أصلا ويحمل على الفعل الذى هو فرع ، كما بنينا الفعل المضارع فى فعل جماعة النسوة نحو « يَضْرِبْنَ » حملا على « ضَرَبْنَ » وهو فرع ؛ لأن الفعل المستقبل قبل الماضى ، وكما قال الفراء : إنما بنى الفعل الماضى على الفتح فى فعل الواحد لأنه يفتح فى الاثنين ، ولا شك أن الواحد أصل للاثنين ؛ فإذا جاز لكم أن تحملوا الأصل على الفرع هناك جاز لنا أن نحمل الأصل على الفرع ها هنا .

وأما قولهم « إن الفعل يعمل فى المصدر ؛ فيجب أن يكون أصلا » قلنا : كونه عاملا فيه لا يدل على أنه أصل له ، وذلك من وجهين :

أحدهما : أنا أجمعنا على أن الحروف والأفعال تعمل فى الأسماء ؛ ولا خلاف أن الحروف والأفعال ليست أصلا للأسماء ، فكذلك ها هنا .

والثانى : أن معنى قولنا « ضَرَبَ ضَرْباً » أى أوقع ضرباً ، كقولك « ضَرَبَ زَيْداً » فى كونهما مفعولين ، وإذا كان المعنى أوقع ضرباً فلا شك أن الضرب معقول قبل إيقاعه ، مقصود إليه ، ولهذا يصح أن يؤمر به فيقال : « اُضْرِبْ » وما أشبه ذلك ، فإذا ثبت أنه معقول قبل إيقاعك معلوم قبل فعلك دل على أنه قبل الفعل .

وأما قولهم : « إن المصدر يُذْكَر تأكيداً للفعل ، ورتبة المؤكَّدِ قبل رتبة المؤكِّدِ » قلنا : وهذا أيضاً لا يدل على الأصالة والفرعية ، ألا ترى أنك إذا قلت [١٠٦] « جاءَنِي زَيْدٌ زَيْدٌ ، وَرَأَيْتُ زَيْداً زَيْداً ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ زَيْدٍ » فإن زيداً الثانى يكون توكيداً للأول فى هذه المواضع كلها ، وليس مشتقاً من الأول ولا فرعاً عليه ، فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « إنا نجد أفعالاً ولا مصادِرَ لها » ، قلنا : خُلُو تلك الأفعال التى ذكرتموها عن استعمال المصدر لا يخرج بذلك عن كونه أصلا وأن الفعل

فرع عليه ؛ لأنه قد يستعمل الفرع و إن لم يستعمل الأصل ، ولا يخرج الأصل بذلك عن كونه أصلا ولا الفرع عن كونه فرعا ، ألا ترى أنهم قالوا : « طَيْرٌ عَبَادِيد » أى متفرقة ، فاستعملوا لفظ الجمع الذى هو فرع وإنْ لم يستعملوا لفظ الواحد الذى هو الأصل ، ولم يخرج بذلك الواحد أن يكون أصلا للجَمْعِ ، وكذلك أيضاً قالوا : «طَيراً أبَابِيلَ» قال الله تعالى : (وَأَرْسَلَ عليهم طيراً أبَابِيلَ) أى جماعاتٍ فى تفرقة وهو جمع لاواحدله فى قول الأكثرين، وزعم بعضهم أن واحده إبَّوْلٌ ، وزعم بعضهم أن واحدهُ إبِّيلٌ ، وكلاهما مخالف لقول الأكثرين ، والظاهر أنهم جعلوا واحده إبولا و إبيلا قياساً وحملا ، لااستعمالا ونقلا ، والخلاف إنما وقع فى استعمالهم لا فى قياس كلامهم .

ثم نقول : ماذكرتموه معارَضٌ بالمصادر التى لم تُستعمل أفعالُهَا، نحو : « وَيْلَهُ ، وويْحَهُ ، وَوَيْهَهُ ، وويْبَهُ ، وويْسَهُ ، وأَهْلاً وسَهْلاً ، ومَرْحَباً ، وسَقْياً ، ورَعْياً ، وأُفَّةً ، وتُفَّةً ، وتَعْساً ، ونَكْساً ، و بُؤْساً ، و بُعْداً ، وسُحْقاً ، وجُوعاً ، ونُوعاً ، وجَدْعاً ، وعَقْراً ، وخَيْبَةً ، ودَفْراً ، وتَبًّا ، و بَهْراً » .

قال ابن ميادة :

١٤٩ — تَفَاقَدَ قَوْمِى إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِى
بِجَارِيَةٍ ، بَهْراً لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْراً

١٤٩ — هذا البيت من كلام ابن ميادة، واسمه الرماح بن أبرد — كما قال المؤلف — وقد أنشده ابن منظور (ف ق د — ب هـ ر) ونسبه إليه فى المرتين، وهو من شواهد سيبويه (١ / ١٥٧) وتفاقد قومى : يريد فقد بعضهم بعضا ، وقد اختلف أهل اللغة فى تفسير قوله « بهرا » فقال قوم : أراد خيبة لهم ، وقيل : أراد تعسا لهم ، وقيل : معناه غلبة لهم وقهراً ، أى غلبوا وقهروا ، قال الأعلم : « يقول: فقد بعض قومى بعضا حيث لم يعينونى على جارية شغفت بحبها ، و عرضونى لتلف مهجتى حبالها ، فغلبوا غلبة،وقهرهم =

فإن هذه كلها مصادر لم تستعمل أفعالها ، فإن زعمتم أن ماذكرتموه من خلو الفعل عن المصدر يصلح أن يكون دليلاً لكون الفعل أصلا فليس بأولى مما ذكرناه من خلو المصدر عن الفعل فى كون المصدر أصلا ؛ فتتحقق المعارضة فيسقط الاستدلال .

وأما قولهم « إن المصدر لايتصور مالم يكن فعلَ فاعِلٍ ، والفعل وضع له فَعَلَ ويَفْعَلُ » قلنا : هذا باطل ؛ لأن الفعل فى الحقيقة مايدل عليه المصدر ، نحو الضَّرْب والقَتْل ، وما نسميه فعلا من فَعَل ويَفْعَلُ إنما هو إخبار بوقوع ذلك الفعل فى زمان

= العدو قهراً ، وقوله بعدها : أى بعد هذه الفعلة » اه . والاستشهاد بالبيت فى قوله « بهرا » فقد زعم المؤلف أن هذا مصدر من المصادر التى لم تستعمل أفعالها ، وهذا الكلام غير مستقيم ؛ لأنه إن أراد أنه لافعل له مثل ويله وويح فلاصحة لهذا الكلام ؛ لأن « بهرا » ليس مثل هذين فى أنه لا فعل له ، بل له فعل وهو قولهم « بهره يبهره » أى غلبه ، وإن أراد أنه يستعمل منصوبا بفعل لايظهر لأنه محذوف وجوبا ، وهذا هو الصواب ، وهو الذى ذكره سيبويه ، واسمع إلى عبارة سيبويه « هذا باب ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره ، وذلك قولك : سقيا ، ورعيا ، وقولك خيبة ، ودفرا ، وجدعا ، وعقرا ، وبؤسا ، وأفة ، وتفة ، وبعدا ، وسحقا ، ومن ذلك قولك : تعسا ، وتبا ، وجوعا ، وجوسا ، ونحو قول ابن ميادة .

* تفاقد قومى ... البيت *

وقال [عمر بن أبى ربيعة المخزومى] :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهرا عدد النجم والحصى والتراب » اه

نقول : إن أراد المؤلف ذلك المعنى لم يتم له معارضة الخصم ؛ لأن من غرضه أن يقول : إن لنا فى العربية مصادر ليست لها أفعال ، فكيف يستقيم أن يقال : إن المصدر مأخوذ من الفعل ؟ وهل ثمة فرع ليس له أصل ؟ ولو أنه اقتصر على ويله وويحه وويبه وويسه لتم له الكلام ؛ لأن هذه مصادر لم يستعمل العرب لها أفعالا ، فاعرف هذا ، ولا تكن أسير التقليد

معين ، ومن المحال الإخبار بوقوع شيء قبل تسميته ؛ لأنه لو جاز أن يقال « ضربَ زيدٌ » [١٠٧]قبل أن يوضع الاسم للضرب لكان بمنزلة قولك: أخبرك بما لا تعرف ، وذلك محال ، والذي يدل على صحة ماذكرناه تسميتُه مصدرا ، قولهم « إن المراد به المفعول ، لا الموضِعُ ، كقولهم : مركب فاره ، ومشرب عذب ، أي مركوب فاره ومشروب عذب» قلنا: هذا باطل من وجهين؛ أحدهما: أن الألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه ، والظاهر يوجب أن يكون المصدر للموضع لا للمفعول ؛ فوجب حمله عليه . والثاني : أن قولهم «مركب فاره ، ومشرب عذب » يجوز أن يكون المراد به موضع الركوب وموضع الشرب، ونسب إليه الفرَاهة والعُذُوبة للمجاورة ، كما يقال « جَرَى النَّهْرُ » والنهر لا يجرى ، وإنما يجرى الماء فيه ، قال الله تعالى : (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) فأضاف الفعل إليها وإن كان الماء هو الذى يجرى فيها ؛ لما بينا من المجاورة ، ومنه قولهم « بَلَدٌ آمِنٌ ، ومكانٌ آمِنٌ » فأضافوا الأَمْنَ إليه مجازا ؛ لأنه يكون فيه؛ قال الله تعالى :(وَإِذْ قَالَ إبراهيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البلدَ آمنًا) وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أنا جَعَلْنَا حَرَمًا آمنًا) فأضاف الأمن إليه لأنه يكون فيه ، ومنه قوله تعالى : (بَلْ مَكْرُ الليل والنهار) فأضاف المكر إلى الليل والنهار لأنه يقع فيهما ، ومنه قولهم « ليل نائمٌ »فأضافوا النوم إلى الليل لكونه فيه، قال الشاعر :

١٥٠ — لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فى السُّرَى
وَنِمْتِ ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِىِّ بِنَائِمِ

---

١٥٠ — هذا البيت من قصيدة طويلة لجرير بن عطية ثابتة فى ديوانه (٥٥٣) وهى إحدى النقائض بينه وبين الفرزدق ، وقد وردت فى النقائض (ص ٧٥٣ ليدن) والبيت من شواهد الإيضاح للقزوينى (ص ٢٧ بتحقيقنا) والسرى — بضم السين مقصورا ، بزنة الهدى — السير ليلا . والاستشهاد بالبيت فى قوله « وما ليل المطى =

أى بمَنُومٍ فيه ، ومنه قولهم « يَوْمٌ فَاجِرٌ » فأضافوا الفُجُورَ إليه لأنه يقع فيه ، قال الشاعر :

١٥١ — وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْـــلَ تَتْرَى أَثَائِجًا

عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرُ

أى مفجور فيه ، والشواهد على هذا النحو من كتاب الله تعالى وكلام العرب أكثر من أن تُحْصَى ؛ فدل على أن المراد بقولهم : « مركب فاره ، ومشرب عَذْب »

= بنائم » حيث أسند النوم إلى ضمير مستتر يعود إلى الليل ، وقد جعل الليل نائما بسبب كونه ظرفا يقع فيه النوم ، وقد ورد هذا الإسناد المجازى فى كلام جرير نفسه عدة مرار، منها قوله يهجو البراجم :

وما علم الأقوام أسرق منكم وألأم لؤما منك قيس البراجم
لقد أمن الأعداء أن تفجعوهم وما ليل جار حل فيكم بنائم

ومنها قوله فى ربيعة :

باتت ربيعة لا تعرس ليلها عنى ، وليلى عن ربيعة نائم

ونظيره قول الراجز ، وهو من شواهد الإيضاح أيضا (ص ٢٦) :

* فنام ليلى وتجلى همى *

١٥١ — لم أعثر لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، و « تترى » من المواترة ، وهى التتابع ؛ فهذه التاء بدل من واو ، مثل التاء من « تخمة » و « تكلة » فإن أصل هذه التاء واو ، وفى القرآن الكريم : (ثم أرسلنا رسلنا تترى) قالوا : هو من المواترة وهى تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات ؛ لأن بين كل رسولين فترة ، ومن العرب من ينونها فيجعل ألفها للالحاق بمنزلة أرطى ومعزى، ومنهم من لا ينونها يجعل ألفها للتأنيث مثل ألف سكرى وغضبى . وقالوا « جاءت الخيل تترى » يريدون جاءت متقطعة . وقوله «أثائج» هى عندى جمع وثيج ، وقد قالوا « فرس وثيج » يريدون أنه قوى ، وقيل : مكتنز ، جمعوه على وثائج ، ثم أبدلوا من الواو همزة فقالوا « أثائج » . والاستشهاد من هذا البيت فى قوله « أن اليوم أحمس فاجر » حيث أسند الفجور إلى اليوم بسبب كونه ظرفا زمانيا يقع فيه الفجور ، على مثال ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق .

موضع الركوب وموضع الشرب ، وأضيف إليـه الفَرَاهة والعُذُوبة للمجاورة على مابينا .

وقد أفردنا فى هذه المسألة جزءا استوفينا فيه القول ، واستقصينا فيه الكلام ، والله أعلم .

[١٠٨] ٢٩ — مسألة

[القول فى عامل النَّصْبِ فى الظرفِ الواقِعِ خبراً][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن الظرف ينتصب على الخلاف إذا وقع خبرا للمبتدأ ، نحو « زيد أمَامَكَ ، وعمرو وَرَاءكَ » وما أشبه ذلك . وذهب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين إلى أنه ينتصب لأن الأصل فى قولك : « أمَامَكَ زيدٌ » حَلَّ أمامك ، فحذف الفعل وهو غير مطلوب واكتفى بالظرف منه فبقى منصوبا على ما كان عليه مع الفعل . وذهب البصريون إلى أنه ينتصب بفعل مقدر ، والتقدير فيه : زيد اسْتَقَرَّ أمَامَك ، وعمرو استقر وراءك . وذهب بعضهم إلى أنه ينتصب بتقدير اسم فاعل ، والتقدير : زيد مستقر أمَامَك ، وعمرو مستقر وراءك .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه ينتصب بالخلاف وذلك لأن خبر المبتدأ فى المعنى هو المبتدأ ، ألا ترى أنك إذا قلت « زيدقائم ، وعمرو منطلق » كان قائم فى المعنى هو زيد ، ومنطلق فى المعنى هو عمرو ، فإذا قلت « زيد أمَامَكَ ، وعمرو وَرَاءكَ » لم يكن أمامك فى المعنى هو زيد ، ولا وراءك فى المعنى هو عمرو ، كما كان قائم فى

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (١/٢٦٥ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (١/١٩٣ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/١٩٨ وما بعدها) وشرح المفصل (ص ١١٠) وشرح رضى الدين على الكافية (١/٨٣)

المعنى هو زيد ومنطلق فى المعنى هو عمرو ، فلما كان مخالفا له نُصِبَ على الخلاف ليفرقوا بينهما .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه ينتصب بعامل مقدر وذلك لأن الأصل فى قولك « زيد أمَامَكَ ، وعمرو ورَاءَكَ » : فى أمامِكَ ، وفى ورائك ؛ لأن الظرف : كل اسم من أسماء الأمكنة أو الأزمنة يراد فيه معنى « فى » وفى : حرفُ جرٍّ ، وحروف الجر لابد لها من شىء تتعلق به ؛ لأنها دخلت رابطةً تربط الأسماء بالأفعال ، كقولك « عجبت من زيد ، ونظرت إلى عمرو » ولو قلت « من زيد » أو « إلى عمرو » لم يجز حتى تقدر لحرف الجر شيئاً يتعلق به ؛ فدلَّ على أن التقدير فى قولك « زيد أمامك ، وعمرو وراءك » زيد استقر فى أمامك، وعمرو استقر فى ورائك ثم حذف الحرف فاتصل الفعلُ بالظرفِ فنَصَبه ، فالفعل الذى هو استقر مُقَدَّر مع الظرف ، كما هو مُقَدَّر مع الحرف .

[١٠٩] وأما مَنْ ذهب من البصريين إلى أن الظرف ينتصب بتقدير اسم الفاعل ـ وهو مستقر ـ قال : لأن تقدير اسم الفاعل أولى من تقدير الفعل ؛ لأن اسم الفاعل اسم يجوز أن يتعلق به حرف الجر ، والاسم هو الأصل(١) ، والفعل فرع ، فلما وجب تقدير أحدهما كان تقدير الأصل أوْلى من تقدير الفرع .

والصحيح عندى هو الأول ، وذلك لأن اسم الفاعل فرع على الفعل فى العمل وإن كان هو الأصل فى غير العمل ؛ فلما وجب هاهنا تقدير عامل كان تقدير ماهو الأصل فى العمل ـ وهو الفعل ـ أولى من تقدير ماهو الفرعُ فيه وهو اسم الفاعل.

---

(١) لأن تقدير الاسم لا يحوج إلى تقدير آخر ، بخلاف تقدير الفعل فإنه يحوج إلى تقدير آخر ، ومالا يحوج إلى التقدير أصل لما يحوج إليه . وأيضا لأن الاسم مفرد ، والفعل مع فاعله جملة ، والمفرد أصل ، والجملة فرع عليه .

والذى يدل على صحة ماذكرناه أنا وجدنا الظرف يكون صِلَةً للذى ، نحو : « رَأَيْتُ الَّذِى أَمَامَكَ ، والَّذِى وَرَاءَكَ » وما أشبه ذلك ؛ والصلة لاتكون إلا جملة فلو كان المقدرُ اسم الفاعِلِ الذى هو مستقر لكان مفردا ؛ لأن اسم الفاعل مع الضمير لايكون جملة ، وإنما يكون مفردا ، والمفرد لا يكون صلة البتة ، فوجب أن يكون المقدرُ الفعلَ الذى هو استقرَّ، لأن الفعل مع الضمير يكون جملة ؛ فدل على مابيناه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن خبر المبتدأ فى المعنى هو المبتدأ ، وإذا قلت « زيد أمامك ، وعمر وراءك » فأمامك ليس هو زيد ، ووراءك ليس هو عمرو ، فلما كان مخالفا له وجب أن يكون منصوبا على الخلاف» قلنا : هذا فاسدٌ ؛ وذلك لأنه لو كان الموجِبُ لنصب الظرف كونَهُ مخالفا للمبتدأ لكان [المبتدأ] أيضاً يجب أن يكون منصوبا ؛ لأن المبتدأ مخالف للظرف كما أن الظرف مخالف للمبتدأ ؛ لأن الخلاف لايتصور أن يكون من واحد وإنما يكون من اثنين فصاعدا ؛فكان ينبغى أن يقال « زيدا أمامك ، وعمرا وراءك » وما أشبه ذلك ؛ فلما لم يجز ذلك دل على فساد ماذهبوا إليه .

وأما قول أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب : « إنه ينتصب بفعل محذوف غير مقدر ، إلى آخر ماقرر » ففاسد أيضاً ؛ وذلك لأنه يؤدى إلى أن يكون منصوبا بفعل معدوم من كل وجه لفظاً وتقديرا ،والفعل لايخلو،إما أن يكون مُظْهَرا موجودا أو مقدرا فى حكم الموجود ، فأما إذا لم يكن مُظْهَرا موجودا ولا مقدرا فى حكم الموجود كان معدوما من [١١٠] كل وجه ، والمعدوم لايكون عاملا ، وكما يستحيل فى الحِسِّيَّاتِ الفعلُ باستطاعةٍ معدومةٍ ،والمشىُ برجلٍ معدوم، والقَطْعُ بسيف معدوم ، والإحراق بنار معدومة ؛ فكذلك يستحيل فى هذه الصناعة النصبُ بعاملٍ معدومٍ لأن العلل النحوية مشبهة بالعلل الحسية . والذى يدل على فساد ماذهب إليه أنه لانظير له فى العربية ، ولا يشهد له شاهد من العلل النحوية ، فكان فاسدا . والله أعلم .

٣٠ — مسألة

[القول فى عامل النصب فى المفعول معه][1]

ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف ، وذلك نحو قولهم «اسْتَوَى الماء والخشَبَةَ ، وجاء البَرْدُ والطَّيَالِسَةَ» . وذهب البصريون إلى أنه منصوب بالفعل الذى قبله بتوسُّطِ الواو . وذهب أبو إسحاق الزَّجَّاجُ من البصريين إلى أنه منصوب بتقدير عامل ، والتقدير : ولا بَسَ الخشَبَةَ ، وما أشبه ذلك ؛ لأن الفعل لايعمل فى المفعول و بينهما الواو . وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أن مابعد الواو ينتصب بانتصاب « مع » فى نحو « جِئتُ مَعَه » .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه منصوب على الخلاف وذلك لأنه إذا قال « اسْتَوَى الماء والخشَبَةَ » لايحسن تكرير الفعل فيقال : استوى الماء واستوت الخشبة ؛ لأن الخشبة لم تكن مُعْوَجَّةً فتستوى ، فلما لم يحسن تكرير الفعل كما يحسن فى « جاءَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو » فقد خالف الثانى الأول ، فانتصب على الخلاف كما بينَّا فى الظرف نحو : « زَيْدٌ خَلْفَكَ » وما أشبه ذلك .

والذى يدل على أن الفعل المتقدم لايجوز أن يعمل فيه أنَّ نحوَ استوى وجاء فعلٌ لازمٌ ، والفعل اللازم لايجوز أن ينصب هـذا النوع من الأسماء ؛ فدل على صحة ماذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن العـامل هو الفعل وذلك لأن هذا الفعل وإن كان فى الأصل غيرَ متعدٍّ إلا أنه قَوِيَ بالواو فتعدى إلى الاسم فنصبه

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (٢/٣٩٥) وحاشية الصبان (٢/١١٩) وتصريح الشيخ خالد (١/٤١٥) وشرح المفصل (ص ٢٢٢ وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (١/١٨٠)

كما عُدِّىَ بالهمزة فى نحو « أَخْرَجْتُ زَيْدًا » وكما عُدِّىَ بالتضعيف نحو « خَرَّجْتُ المتَاعَ » وكما عُدِّىَ بحرف الجر نحو [١١١]« خَرَجْتُ بِهِ » إلا أن الواو لاتعمل ؛ لأن الواو فى الأصل حرفُ عطفٍ ، وحرف العطف لايعمل ، وفيه معنيان العطف ومعنى الجمع ، فلما وضعت موضع « مَعَ » خُلِعَتْ عنها دلالة العطف وأخلصت للجمع كما أن فاء العطف فيها معنيان : العطف ، والإتباع ؛ فإذا وقعت فى جواب الشرط خُلِعَتْ عنها دلالة العطف وأخلصت للاتباع ، وكذلك همزة الخطاب فى « هاَءِ يارَجُلُ » فإنها إذا ألحقتَهَا الكافَ جردتها من الخطاب ؛ لأنه يصير بعدها فى الكاف ، ونظيرُ مانحن فيه من كل وَجْهٍ نصبُهم الاسمَ فى باب الاستثناء بالفعل المتقدم بتقوية « إلا » فكذلك هاهنا : المفعول معه منصوب بالفعل المتقدم بتقوية الواو ، على ما بينا ، وهذا هو المعتمد عند البصريين .

وأما ماذهب إليه الزَّجَّاج من أنه منصوب بتقدير عامل ، والتقدير ولاَبَسَ الخشبة لأن الفعل لايعمل فى المفعول و بينهما الواو . قلنا : هذا باطل ؛ لأن الفعل يعمل فى المفعول على الوجه الذى يتعلق به ، فإن كان يفتقر إلى توسط حرف عَمِلَ مع وجوده و إن كان لايفتقر إلى ذلك عَمِلَ مع عدمه ، وقد بينا أن الفعل قد تعلق بالمفعول معه بتوسط الواو ، وأنه يفتقر فى عمله إليها ، فينبغى أن يعمل مع وجودها ، فكيف يُجْعَلُ ماهو سببٌ فى وجود العمل سبباً فى عدمه؟وهل ذلك إلا تعليق على العلة ضدّ المقتضى؟ ولو كان لما ذهب إليه وجه لكان ماذهب إليه الأكثرون أَوْلَى ؛ لأن ما ذهب إلى يفتقر إلى تقدير ، وماذهب إليه الأكثرون لا يفتقر إلى تقدير ، ومالا يفتقر إلى تقدير أولى مما يفتقر إلى تقدير .

وأما ماذهب إليه الأخفش من أنه ينتصب انتصاب «مَعَ » فضعيفٌ أيضاً ؛ لأن «مَعَ» ظرف ، والمفعول معه فى نحو «اسْتَوَى الماء والخَشَبَةَ ، وجاء البَرْدُ والطيالِسَةَ» ليس بظرف ، ولا يجوز أن يجعل منصوباً على الظرف .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه منصوب على الخلاف؛ لأنه لأنه لايحسن تكرير الفعل ؛ نخالف الثانى الأول ، فانتصب على الخلاف » قلنا : هذا باطل بالعطف الذى يخالف بين المعنيين نحو قولك : « ماقَامَ زَيدٌ لـكنْ عَمْرٌو ، ومَا مَرَرْتُ بِزيدٍ لـكن بَـكرٍ » وما بعد لـكن يخالف ماقبلها ، وليس بمنصوب، فإن لـكن يلزم [١١٢] أن يكون مابعدها مخالفا لما قبلها على كل حال ، سواء لزمت العطف فى النفى عندنا أو جازبها العطف فى الإيجاب عندكم ؛ فلو كان كما زعمتم لوجب أن لايكون مابعدها إلا منصوباً لمخالفته الأول ، وإذا كان الخلاف ليس مُوجِباً للنصب مع «لـكِنْ» ـ وهو حرف لايكون مابعده إلا مخالفاً لما قبله ـ فلأن لايكون موجِباً للنصب مع الواو التى لايجب أن يكون مابعدها مخالفاً لما قبلها كان ذلك من طريق الأَوْلى ، وكذلك أيضاً يبطل بلا فى قولك « قَامَ زَيدٌ لاعَمْرٌو ، ومَرَرْتُ بزيدٍ لا عَمْرٍو » وما بعد « لا » يخالف ماقبلها كلـكن ، وليس بمنصوب ؛ فدل على أن الخلاف لايكون موجِباً للنصب .

وقولهم «إن الفعل المتقدم لازم ؛ فلا يجوز أن يعمل فى المفعول معه» قلنا : إلا أنه تعدَّى بتقوية الواو ؛ نخرج عن كونه لازماً على ما بينا ، فلا نعيده هاهنا ، والله أعلم .

٣١ ـــ مسألة

[القول فى تقديم الحال على الفعل العامل فيها][١]

ذهب الـكوفيون إلى أنه لايجوز تقديم الحال على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر[٢] ، نحو : « رَاكِباً جاءَ زَيد » ويجوز مع المضمر ، نحو « رَاكِباً

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (٣/٦٢ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٢/١٥٩ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (١/٤٥٨) وشرح المفصل (ص٢٣٤ومابعدها) وشرح الرضى على الـكافية (١/١٨٧)

(٢) يريد إذا كان صاحب الحال ــ الذى هو فاعل الفعل مثلا ــ اسما ظاهرا

جِئْتُ » . وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها مع الاسم الظاهر والمضمر .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا لا يجوز تقديم الحال على العامل فيها ، وذلك لأنه يؤدى إلى تقديم المضمر على المظهر ، ألا ترى أنك إذا قلت : « رَاكِباً جَاءَ زَيْدٌ » كان فى « رَاكِباً » ضميرُ زيدٍ ، وقد تقدم عليه ، وتقديم المضمر على المظهر لا يجوز .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها إذا كان العامل فعلا نحو « رَاكِباً جَاءَ زَيْدٌ » للنقل والقياس :

أما النقل فقولهم فى المثل « شَتَّى تَؤُوبُ الْحَلَبَةُ[(١)] » فشَتَّى : حال مُقَدَّمة على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر ، فدل على جوازه .

وأما القياس فلأن العامل فيها متصرف ، وإذا كان العامل متصرفاً وجب أن يكون عمله متصرفا ، وإذا كان عمله متصرفا وجب أن يجوز تقديمُ معموله عليه ، كقولهم « عَمْراً ضَرَبَ [١١٣] زَيدٌ » فالذى يدل عليه أن الحال تُشَبَّهُ بالمفعول ، وكما يجوز تقديم المفعول على الفعل ، فكذلك يجوز تقديم الحال عليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « إنما لم يجز تقديم الحال لأنه يؤدى إلى تقديم المضمر على المظهر » قلنا : هذا فاسد ؛ وذلك لأنه وإن كان مقدماً فى اللفظ إلا أنه مؤخر فى التقدير ، وإذا كان مؤخرا فى التقدير جاز فيه التقديمُ ، قال الله تعالى : (فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) فالضمير فى (نفسه) عائد إلى (موسى) وإن كان مؤخراً فى اللفظ ، إلا أنه لما كان فى تقدير التأخير جاز التقديم ، قال زهير :

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِماً
يَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقاً [٣٠]

فالهاء فى « عِلاَّتِهِ » تعود إلى « هَرِم » لأنه فى تقدير التقديم ؛ لأن التقدير :

(١) انظر المثل ١٩١٤ فى مجمع الأمثال (١ / ٣٥٨ بتحقيقنا) .

مَنْ يَلْقَ يوماً هرماً على علاته ، فلما كان «هرماً» فى تقدير التقديم والضمير فى تقدير التأخير وجب أن يكون جائزاً، ومن كلامهم «فى أكْفَانِهِ لُفَّ الميِّتُ» ومن أمثالهم «فى بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ(١)» وتزعمُ العرب أن أرنباً وجدت تَمْرَةً فاختلسها ثَعْلَبٌ منها ، فاختصما إلى ضَبٍّ ، فقالت الأرنب : ياأبا الحُسَيْلِ ، قال الضب: سميعاً دَعوتما، قالت: أتيناك لتحكم بيننا ، قال: عادلا حكَّمتما ، قالت: فاخرج إلينا، قال: فى بيته يؤتى الحكم ؛ فالضمير فى « فى بيته » يعود إلى « الحكم » وقد تقدم عليه .

وهذا كثير فى كلامهم ، وقد بينا ذلك مستقصى فى جواز تقديم خبر المبتدأ عليه بما يُغنِي عن الإعادة ها هنا ، والله أعلم .

٣٢ — مسألة

[هل يَقَعُ الفعل الماضى حالا](٢)

ذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضى يجوز أن يقع حالا ، و إليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين . وذهب البصريون إلى أنه لايجوز أن يقع حالا ، وأجمعوا على أنه إذا كانت معه « قَدْ » أو كان وصفاً لمحذوف فإنه يجوز أن يقع حالا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز أن يقع الفعلُ الماضى حالا النقلُ والقياس :

أما النقلُ فقد قال الله : (أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدورُهُم) فحصرت : فعل ماض ، وهو فى موضع الحال ، وتقديره : [١١٤] حَصِرَةً صدورُهم ، والدليل

(١) انظر المثل رقم ٢٧٤٢ من مجمع الأمثال للميدانى

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل (ص ٢٤٦ وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (١/١٩٥) وخزانة الأدب (١/٥٥٢ بولاق)

على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ : (أو جاؤكم حَصِرَةً صُدُورُهُمْ) وهى قراءة الحسن البصرى ويعقوب الْحَضْرَمِىِّ والمفضل عن عاصم ، [و] قال أبو صخر الهذلىُّ :

١٥٢ — وَإِنِّى لَتَعْرُونِى لِذِكْرَاكِ نُفْضَةٌ
كما انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

فبلَّلَهُ : فعل ماض ، وهو فى موضع الحال ؛ فدل على جوازه .

وأما القياس فلأن كل ما جاز أن يكون صفة للنكرة نحو « مَرَرْتُ بِرَجُلٍ قَاعِدٍ ، وغلامٍ قَائِمٍ » جاز أن يكون حالا للمعرفة نحو « مَرَرْتُ بالرَّجُلِ قَاعِداً ، وبالغلامِ قائماً » ، والفعلُ الماضى يجوز أن يكون صفة للنكرة نحو « مَرَرْتُ بِرَجُلٍ قَعَدَ ، وغلامٍ قامَ » فينبغى أن يجوز أن يقع حالا للمعرفة نحو « مَرَرْتُ بالرَّجُلِ قَعَدَ ، وبالغلامِ قَامَ » وما أشبه ذلك .

---

١٥٢ — هذا البيت من كلام أبى صخر الهذلى ، وهو من شواهد الرضى فى باب الحال ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٥٥٢/١) وابن يعيش (ص ٢٤٧) وشرح الأشمونى (رقم ٤٢٩) وأوضح المسالك (رقم ٢٥٣) وابن عقيل (رقم ٢٠٧) وشرح شذور الذهب (رقم ١١٠) وتعرونى : تنزل بى وتعرض لى ، تقول : عرا فلان فلانا ، وعرى فلانا الأمر؛ إذا أردت أنه نزل به ، والذكرى: التذكر والخطور بالبال،والهزة : الرعدة والانتفاضة ، وروى المؤلف وابن يعيش فى مكانها « نفضة » بضم النون وسكون الفاء أو فتحها ، وانتفض العصفور : ارتعد وارتعش ، والقطر : المطر . والاستشهاد به ههنا فى قوله « بلله القطر » حيث وقعت الجملة الفعلية التى فعلها ماض حالا من غير أن يقرن الفعل بقد ، والكوفيون يستدلون بهذا البيت وما أشبهه على أنه يجوز أن يقع الفعل الماضى حالا من غير أن يقرن بقد ، فأما البصريون فيزعمون أنه لا بد حينئذ من اقتران الفعل الماضى بقد فى اللفظ أو فى التقدير ، وعلى هذا تكون « قد » مقدرة ههنا قبل الفعل ، والإنصاف أن الاستدلال بنفس الكلام الوارد عن العرب ، وقد رأينا أن فصحاءهم يجيئون بالفعل الماضى حالا غير مقرون بقد ، فأما التقدير فلا دليل عليه .

والذى يدل على ذلك أنا أجمعنا على أنه يجوز أن يُقَام الفعلُ الماضى مُقَامَ الفعل المستقبل ، كما قال تعالى : (وَ إِذْ قالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ) أى : يقول ، و إذا جاز أن يقام الماضى مقام المستقبل جاز أن يقام مقام الحال .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز أن يقع حالا وذلك لوجهين ؛ أحدهما : أن الفعل الماضى لا يدل على الحال ؛ فينبغى أن لا يقوم مقامه ، والوجه الثانى : أنه إنما يصلح أن يوضع موضع الحال ما يصلح أن يقال فيه « الآنَ » أو « السَّاعَة » نحو : « مَرَرْتُ بِزَيْدٍ يَضْرِبُ ، وَنَظَرتُ إلى عَمرو يَكْتُبُ » ؛ لأنه يحسن أن يقترن به الآن أو الساعة ، وهذا لا يصلح فى الماضى ، فينبغى أن لا يكون حالا ؛ ولهذا لم يجز أن يقال : « مَا زَالَ زَيْدٌ قَامَ ، ولَيْسَ زَيْدٌ قَامَ » لأن « مَا زَالَ ، وليس » يطلبان الحال ، و « قام » فعل ماض ؛ فلو جاز أن يقع حالا لوجب أن يكون هذا جائزاً ؛ فلما لم يجز دل على أن الفعل الماضى لا يجوز أن يقع حالا ، وكذلك لو قلت « زَيد خَلْفَكَ قام » لم يجز أن يجعل « قامَ » فى موضع الحال ؛ لما بينا ، ولا يلزم على كلامنا إذا كان مع الماضى « قَدْ » حيث يجوز أن يكون حالا نحو « مَرَرْتُ بزَيد قَدْ قامَ » وذلك لأن « قد » تقَرِّب الماضى من الحال ، فجاز أن يقع معها حالا ، ولهذا يجوز أن يقترن به الآن أو الساعة فيقال : « قَدْ قَامَ الآن ، أو الساعة » فدل على ما قلناه .

وأما الجواب [١١٥] عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (أو جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم) فلا حجة لهم فيه ، وذلك من أربعة أوجه ؛ الوجه الأول : أن تكون صفة لقوم المجرور فى أول الآية ، وهو قوله تعالى : (إلا الذين يَصِلُونَ إلى قوم) . والوجه الثانى : أن تكون صفة لقوم مقدر ويكون التقدير فيه : أو جاءوكم قوماً حصرت صدورهم ، والماضى إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالا بالإجماع . والوجه الثالث : أن يكون خبراً بعد خبر ، كأنه قال :

أو جاءوكم ، ثم أخبر فقال : حصرت صدورهم . والوجه الرابع : أن يكون محمولا على الدعاء ، لا على الحال ، كأنه قال : ضَيَّقَ الله صدورهم ، كما يقال : جاءنى فلان وَسَّعَ الله رزقه ، وأحْسَنَ إلىَّ غفَرَ الله له ، وسَرَقَ قَطَعَ الله يده ، وما أشبه ذلك ؛ فاللفظ فى ذلك كله لفظ الماضى ومعناه الدعاء ، وهذا كثير فى كلامهم قال الشاعر :

١٥٣ — أَلاَ يَا سَيَالاتِ الدَّحَائِلِ بِالضُّحَى
عَلَيْكُنَّ مِنْ بَيْنِ السَّيَالِ سَلاَمُ
وَلاَ زَالَ مُنْهَلُّ الرَّبِيعِ إذَا جَرَى
عَلَيْكُنَّ مِنْهُ وَابِلٌ وَرِهَامُ

فأتى بالفعل الماضى ومعناه الدعاء ؛ وقال قيس بن ذَرِيح :

١٥٤ — أَلاَ يَا غرَابَ الْبَيْنِ قَدْ هِجْتَ لَوْعَةً
فَوَيْحَكَ خَبِّرْنِى بِمَا أَنْتَ تَصْرُخُ

---

١٥٣ — السيالات : جمع سيالة — بفتح السين المهملة فيهما — والسيالة أيضاً واحدة السيال ، والسيال : شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض أصوله أمثال ثنايا العذارى ، وقال أبو زياد : السيال ما طال من السمر ، والدحائل : جمع دحول ، والدحول : جمع دحل — بفتح الدال وسكون الحاء المهملة ، بزنة كنز وكنوز — والدحل : نقب فمه ضيق ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وربما أنبت السدر ، وفى نظيره يقول ذو الرمة :

إذا شئت أبكانى لجرعاء مالك إلى الدحل مستبدى لمى ومحضر

ومنهل الربيع : أراد به منسكب المطر ، والوابل : المطر الكثير ، والرهام : جمع رهمة — بكسر الراء وسكون الهاء — وهو المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . والاستشهاد بالبيتين فى قوله « عليكن سلام » وقوله « ولا زال منهل الربيع — إلخ » فإن هاتين الجملتين خبريتان لفظا ، والمقصود من كل واحدة منهما إنشاء الدعاء ، وذلك ظاهر بادنى تأمل .

١٥٤ — البين : الفراق ، وغراب البين : هذا من بعض قولهم فى زجر الطير ، =

أَبِالْبَيْنِ مِنْ لُبْنَى؟ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَلاَ زَالَ عَظْمٌ مِنْ جَنَاحِكَ يُفْضَخُ
وَلاَ زِلْتَ مِنْ عَذْبِ الْمِيَاهِ مُنَفَّراً وَوَكْرُكَ مَهْدُومٌ وَبَيْضُكَ مُشْدَخُ
وَلاَ زَالَ رَامٍ قَدْ أَصَابَكَ سَهْمُهُ فَلاَ أَنْتَ فى أَمْنٍ وَلاَ أَنْتَ تُفْرِخُ
وَأَبْصَرْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ لَحْمَكَ مُنْضَجاً عَلَى حَرِّ جَمْرِ النَّارِ يُشْوَى وَيُطْبَخُ

وقال مَعْدان بن جَوَّاس الكِنْدِى :

١٥٥ — إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّى فَلاَمَنِى
صَدِيقِى ، وَشَلَّتْ مِنْ يَدَىَّ الأَنَامِلُ
وَكَفَّنْتُ وَحْدِى مُنْذِراً فى رِدَائِهِ
وَصَادَفَ حَوْطاً مِنْ أَعَادِىَّ قاتِلُ

= كانوا يزعمون أن نعيب الغراب مؤذن بتفرق شملهم، وفى هذا يقول النابغة الذبيانى :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود
لا مرحبا بغد ، ولا أهلا به إن كان تفريق الأحبة فى غد

وهجت : أثرت وحركت ، واللوعة : حرقة الباطن من عشق أو نحوه ، ويفضخ ــ بالبناء للمجهول ــ يكسر ، ومشدخ ــ بزنة مكرم ــ مكسور ، وكان من حق العربية عليه أن يقول « مشدوخ » بزنة اسم المفعول من الثلاثى ، فإنه يقال « شدخه يشدخه شدخا ــ مثل قطعه يقطعه قطعا » والشدخ : الكسر والتهشيم ، وقوله « وأبصرت قبل الموت ــ إلخ البيت » دعا على الغراب بأن يحترق بالنار ولنفسه بأن يتمتع برؤية ذلك قبل أن يموت ؟ والاستشهاد بهذه الأبيات فى أغلب جملها ، فإنها خبرية لفظا إنشائية معنى ؛ لأن المقصود بها الدعاء ، وهذا فى غاية الظهور .

١٥٥ — شلت أنامله : يبست أو فسدت ، ومثل هذا البيت قول الآخر :

فشلت يمينى يوم أعلو ابن جعفر وشل بناناها، وشل الخناصر

و « كفنت وحدى منذرا ــ إلخ » يقول : أصبحت فريدا لا معين لى على القيام بواجب تجهيزه وأصبحت فقيرا لا أملك ما أكفنه فيه غير ردائه. أو يكون المعنى : قتله =

فأتى بالفعل الماضي في هذه المواضع ومعناه الدعاء ، فكذلك قوله تعالى : (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) لفظُه لفظُ الماضي ومعناه الدعاء ، ومعناه من الله تعالى إيجابُ ذلك عليهم .

وأما قول الشاعر :

[١١٦] * كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ * [١٥٢]

فإنما جاز ذلك لأن التقدير فيه : قد بلله القطر ، إلا أنه حذف لضرورة الشعر ، فلما كانت « قد » مقدرة تَنَزَّلت منزلة الملفوظ بها ، ولا خلاف أنه إذا كان مع الفعل الماضي « قد » فإنه يجوز أن يقع حالا .

وأما قولهم « إنه يصلح أن يكون صفة للنكرة ، فصلح أن يقع حالا ، نحو « قاعِد ، وقائم » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه إنما جاز أن يقع نحو قاعد وقائم حالا لأنه اسم فاعل ، واسم الفاعل يراد به الحال ، بخلاف الفعل الماضي فإنه لا يراد به الحال فلم يجز أن يقع حالا .

وأما قولهم « إنه يجوز أن يقوم الماضي مقام المستقبل ، وإذا جاز أن يقوم مقام المستقبل جاز أن يقوم مقام الحال » قلنا : هذا لا يستقيم ، وذلك لأن الماضي إنما يقوم مقام المستقبل في بعض المواضع على خلاف الأصل بدليلٍ يدل عليه كقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ) فلا يجوز فيما عداه ؛ لأنا بقينا فيه على الأصل ، كما أنه يجوز أن يقع الماضي في بعض

=أعداؤه وليس معه غيري وأعجلت عن تكفينه حسب العادة . والاستشهاد بالبيتين في أربع جمل : أولاها قوله « فلامني صديقي » والثانية قوله « وشلت — إلخ » والثالثة قوله « وكفنت — إلخ » والرابعة قوله « وصادف حوطا — إلخ » فإن كل واحدة من هذه الجمل خبرية لفظا إنشائية معنى؛ لأن المقصود بها الدعاء ، ونظير ذلك قول النابغة :

لئن كان ما بلغت عني صادقا فلا رفعت سوطي إلي إذن يدي

المواضع حالا لدليل يدل عليه ، وذلك إذا دخلت عليه « قد » أو كان وصفاً لمحذوف ، ولم يجز فيما عداه : لأنا بقينا فيه على الأصل . على أنا نقول : ليس من ضرورة أن يجوز أن يقام الماضى مقام المستقبل ينبغى أن يقام مقام الحال ؛ لأن المستقبل فعل كما أن الماضى فعل ، فجنس الفعلية مشتمل عليهما ، وأما الحال فهى اسم ؛ وليس من ضرورة أن يقام الفعل مقام الفعل يجب أن يقوم مقامَ الاسم ، والله أعلم .

٣٣ — مسألة

[ما يجوز من وجوه الإعراب فى الصفة الصالحة للخبرية إذا وُجِدَمعها ظرف مكرر]

ذهب الكوفيون إلى أن النصب واجب فى الصفة إذا كرر الظرف التام وهو خبر المبتدإ ، وذلك نحو قولك : « فى الدَّار زَيْدٌ قائماً فيها » . وذهب البصريون إلى أن النصب لا يجب إذا كرر الظرف وهو خبر المبتدأ ، بل يجوز فيه الرفع كما يجوز فيه النصب . وأجمعوا على أنه إذا لم يكرر الظرف أنه يجوز فيه الرفع والنصب.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على [١١٧] أنَّ النصب واجب النقلُ والقياسُ :

أما النقل فقد قال الله تعالى : (وأمَّا الذينَ سُعِدُوا ففى الجنة خَالِدِينَ فيهَا) فقولُه تعالى : (خالدينَ) منصوب بالحال ، ولا يجوز غيره . وقال تعالى : (فكانَ عاقبتهما أنهما فى النارِ خَالِدِينَ فيها) ووجه الدليل من هاتين الآيتين أن القُرَّاء أجمعوا فيهما على النصب ، ولم يُرْوَ عن أحدٍ منهم أنه قرأ فى واحدة منهما بالرفع .

وأما القياس فقالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز إلا النصب ، وذلك لأن الفائدة فى الظرف الثانى فى قولك : « فى الدارِ زَيد قائماً فيها » إنما تحصل إذا حملناه

على النصب ، لا إذا حملناه على الرفع ، ألا ترى أنه إذا حملناه على النصب يكون الظرف الأول خبراً للمبتدأ ، ويكون الثانى ظرفاً للحال ، ويكون الصِّلَةَ لقائم منقطعاً عما قبله ؛ فيكون على هذا كلاماً مستقيما لم يُلْغَ منه شيء ، بخلاف ما إذا حملناهُ على الرفع فقلنا « فى الدَّارِ زيد قائم فيها » فإنه تبطل فائدةُ فى الثانية لنيابة الأولى عنها فى الفائدة ، وحملُ الكلام على ما فيه فائدة أشبه بالحكمة من حمله على ما ليس فيه فائدة .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الرفع جائز أنا أجمعنا على أنه إذا لم يكرر الظرف أنه يجوز فيه الرفع والنصب ، فكذلك إذا كرر ؛ لأن قُصَارى ما نقدر أن يكون مانعاً تَكَرُّرُ الظرفِ ؛ لأن « فى » الأولى تفيد ما تفيده الثانية ، وهذا لا يصلح أن يكون مانعاً ؛ لأن الأولى وإن كانت تفيد ما تفيده الثانية إلا أن الثانية تذكر على سبيل التوكيد ، والتوكيد شائع فى كلام العرب مُسْتَعمل فى لغتهم ، وهذا لا خلاف فيه ، وصار هذا كقولهم « فيك زيد راغب فيك » ولا شك أن « فيك » الأولى تفيد ما تفيده الثانية ، ومع هذا لم يمتنع صحة المسألة ، فكذلك ها هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (وأما الذين سعدُوا ففى الجنةِ خالدين فيها) وقوله تعالى : (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها) فلا حجة لهم فى هاتين الآيتين ؛ إذ ليس فيهما ما يدل على أنه لا يجوز الرفع ، وإنما فيهما دلالة على جواز النصب ، ونحن نقول به .

وقولهم : « إنه لم يرو عن أحدٍ من القراء بالرفع فوجب أنه لا يجوز » قلنا : لا نسلم ؛ فإنه قد روى عن الأعمش أنه قرأ « خالدون فيها » بالرفع ، على أن هذا الاستدلال [١١٨] فاسد ، وذلك لأنه ليس من ضرورة أنه لم يقرأ به أحد من القراء أن لا يكون كلاماً جائزاً فصيحاً . ألا ترى أنه لم يأت فى كتاب الله عز وجل ترك عمل « ما » فى المبتدأ والخبر نحو « ما زيد قائم ، وما عمرو

ذاهب » إلا فيما ليس بمشهور ، وإن كانت لغة مشهورة معروفة صحيحة فصيحة وهى لغة بنى تميم ، ثم لم يدل ذلك على أنها ليست فصيحة مشهورة مستعملة ؟ فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « إنا لو حملناه على الرفع لأدى ذلك إلى أن تبطل فائدة فى الثانية لنيابة الأولى عنها فى الفائدة » قلنا : هذا فاسد ؛ وذلك لأنه وإن كانت الأولى تفيد ما تفيده الثانية إلا أن ذلك لا يدل على بطلان فائدة الثانية ؛ لأن من مذاهب العرب أن يؤكد اللفظ بتكريره ؛ فيقولون « لقيتُ زيداً زيداً ، وضربتُ عمراً عمراً » فيكون المكرر توكيداً للأول ، وإن كان الأول قد وقعت به الفائدة ، وقد قال الله تعالى : (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) فهم الثانية تكرير للتوكيد ، والتقدير : وهم بالآخرة كافرون ، فى أحد الوجهين ، ومع هذا فلا يقال إنه لا يجوز ، فكذلك ها هنا ، ومن تدبر سورة (الرحمن) و (قل يا أيها الكافرون) علم قطعاً أن التكرير للتوكيد لا ينكر فى كلامهم ؛ لما فيه من الفائدة ، وكثرةُ ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، وشهرتُه فى استعمالهم ، تغنى عن الإسهاب والتطويل بالشواهد ؛ إذ كان ذلك أكْثَرَ من أن يحصى ، وأشهر من أن يظهر ، والله أعلم .

٣٤ ــ مسألة

[القول فى العامل فى المستثنى النَّصْبَ][1]

اختلف مذهب الكوفيين فى العامل فى المستثنى النَّصْبَ نحو « قام القومُ

(١) انظر فى هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشمونى (٢/١٢٥)وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٤٢١ بولاق) وشرح الرضى على الكافية (١/٢٠٧) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٨١ ليدن) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٢٥٩ ليبزج)

إلا زيداً » فذهب بعضهم إلى أن العامل فيه « إلا » ، وإليه ذهب أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد وأبو إسحاق الزجاج من البصريين ، وذهب الفراء ومَنْ تابعه من الكوفيين — وهو المشهور من مذهبهم — إلى أن « إلا » مركبة من إنَّ ولا ، ثم خففت إنَّ وأدغمت فى لا ، فنصبوا بها فى الإيجاب اعتباراً بإنَّ ، وعطفوا بها فى النفى اعتباراً بلا ، وحكى عن الكسائى أنه قال : إنما نصب المستثنى [١١٩] لأن تأويله : قام القوم إلا أن زيداً لم يقم ، وحكى عنه أيضاً أنه قال : ينتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول . وذهب البصريون إلى أن العامل فى المستثنى هو الفعل ، أو معنى الفعل بتوسُّطِ إلا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنَّ « إلاَّ » هى العامل وذلك لأن إلاَّ قامت مقام أستثنى ، ألا ترى أنك إذا قلت « قام القوم إلا زيداً » كان المعنى فيه : أستثنى زيداً ، ولو قلت « أستثنى زيداً » لوجب أن تنصب ، فكذلك مع ما قام مقامه .

والذى يدل على أن الفعل المتقدم لا يجوز أن يكون عاملا فى المستثنى النصبَ أنه فعل لازم . والفعل اللازم لا يجوز أن يعمل فى هذا النوع من الأسماء ؛ فدلَّ على أن العامل هو « إلاَّ » على ما بينا .

والذى يدل أيضاً على أن الفعل ليس عاملا قولهم « القومُ إخوانك إلا زيدا » فينصبون زيدا ، وليس ها هنا فعل البتة ؛ فدل على صحة ما ذهبنا إليه .

وأما الفراء فتمسك بأن قال : إنما قلنا إنه منصوب بإلاَّ لأن الأصل فيها إنَّ ولا ؛ فزيد : اسم إن ، ولا : كَفَتْ من الخبر ؛ لأن التأويل : إن زيدا لم يقم ، ثم خففت إنَّ وأدغمت فى لا وركبت معها فصارتا حرفا واحدا ، كما ركبت لو مع لا وجعلا حرفا واحدا ؛ فلما ركبوا إنَّ مع لا أعملوها عملين : عملَ إنَّ فنصبوا

بها فى الإيجاب ، وعمل لا فجعلوها عطفاً فى النفى ، وصارت بمنزلة حتى ، فإنها لما شابَهَتْ حرفين إلى والواو أجروها فى العمل مجراهما ، فخفضوا بها بتأويل إلى ، وجعلوها كالواو فى العطف ؛ لأن الفعل يحسن بعدها كما يحسن بعد الواو ، ألا ترى أنك تقول « ضَرَبْتُ القومَ حَتى زَيْدٍ » أى حتى انتهيت إلى زيد ، و « ضَرَبْتُ القوم حَتَّى زيدا » أى حتى ضربت زيدا ، فكذلك هاهنا : إلاَّ لمَّا ركبت من حرفين أجريت فى العمل مجراهما على ما بينا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن العامل هو الفعل وذلك لأن هذا الفعل وإن كان فعلا لازما فى الأصل إلا أنه قَوِىَ بإلاَّ فتعدَّى إلى المستثنى كما تعدى الفعلُ بحرف الجر ، إلا أن «إلاَّ» لا تعمل وإن كانت مُعَدِّية كما يعمل حرف الجر ؛ لأن « إلا » حرف يدخل على الاسم والفعل المضارع ، نحو « مَازَيد إلا يَقُومُ ، ومَاعمرو إلا يَذْهَبُ » وإن لم يجز دخوله [١٢٠] على الفعل الماضى نحو « مَا زيد إلا قامَ ، ومَا عمرو إلا ذَهبَ » والحرف متى دخل على الاسم والفعل لم يعمل فى واحد منهما ، وعدمُ العمل لا يدل على عدم التعدية ، ألا ترى أن الهمزة والتضعيف يُعَدِّيان وليسا عاملين ، ونظيرُ ما نحن فيه نصبُهُمْ الاسم فى باب المفعول معه نحو « استوى المـاء والخَشَبَةَ ، وجاء البرد والطَّيَالِسَةَ » فإن الاسم نصب بالفعل المتقدم بتقوية الواو فإنها قوَّتِ الفعلَ فأوصلته إلى الاسمِ فنصبه ؛ فكذلك ها هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن إلاَّ قامت مقامَ أستثنى فينبغى أن تعمل عمله » قلنا : الجوابُ عن هذا من خمسة أوجه :

الوجه الأول : أن هـذا يؤدى إلى إعمال معانى الحروف ؛ وإعمالُ معانى الحروف لا يجوز ، ألا ترى أنك تقول « مَا زَيد قائما » فيكون صحيحاً ؛ فلو قلت « ما زيدا قائما » على معنى نفيت زيدا قائما لكان فاسداً ؛ فكذلك ها هنا ،

وإنما لم يجز إعمال معانى الحروف لأن الحروف إنما وضعت نائبة عن الأفعال طلبا للايجاز والاختصار ؛ فإذا أعملت معانى الحروف فقد رجعت إلى الأفعال ، فأبطلت ذلك المعنى من الإيجاز والاختصار .

والوجه الثانى : أنه لو كان العاملُ « إلا » بمعنى أستثنى لوجب أن لا يجوز فى المستثنى إلا النصب ، ولا خلاف فى جواز الرفع والجر فى النفى نحو « ما جاءنى أحد إلا زيدٌ ، وما مررت بأحدٍ إلا زيدٍ » فدل على أنها ليست هى العاملة بمعنى أستثنى .

والوجه الثالث : أنه يبطل بقولك « قام القوم غير زيد » فإن «غير» منصوب ، ولا يخلو: إما أن يكون منصوبا بتقدير إلا ، وإما أن يكون منصوباً بنفسه ، وإما أن يكون منصوبا بالفعل الذى قبله ؛ بَطَلَ أن يقال « إنه منصوب بتقدير إلا » لأنا لو قدرنا إلا لفسد المعنى ؛ لأنه يصير التقدير فيه : قام القوم إلا غير زيد ، وهذا فاسد ، وبطل أيضاً أن يقال « إنه يعمل فى نفسه » ؛ فوجب أن يكون العامل هو الفعل المتقدم ، وإنما جاز أن يعمل فيه وإن كان لازما لأن « غير » موضوعة على الإبهام ، ألا ترى أنك إذا قلت « مَرَرت برَجُلٍ غَيْرِكَ » كان كل مَنْ جاوز المخاطَبَ داخلا تحت « غير » فلما كان فيه هذا الإبهام المفرطُ أشْبَهَ الظروف المبهمة ، نحو خلف وأمام ووراء وقُدَّام ، وما أشبه ذلك ، وكما [١٢١] أن الفعل اللازم يتعدى إلى هذه الظروف من غير واسطة فكذلك ها هنا .

والوجه الرابع : أنا نقول لماذا قدرتم أستثنى زيدا فنصبتم ؟ وهلاَّ قدرتم أمتنع فرفعتم ! كما روى عن أبى على الفارسى أنه كان مع عضد الدولة فى المَيْدَان فسأله عَضُدُ الدولة عن المستثنى ، بماذا انتصب ؟ فقال له أبو علىّ : انتصب لأن التقدير أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : وهلا قدرت امتنع فرفعت زيدا ، فقال له أبو

على : هذا الجواب الذى ذكرت لك مَيْدَانى[1] ، وإذا رجعنا ذكرتُ لك الجواب الصحيح ، إن شاء الله تعالى .

والوجه الخامس : أنا إذا أعملنا « إلا » بمعنى أستثنى كان الكلام جملتين ، وإذا أعملنا الفعل كان الكلام جملة واحدة ، ومتى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة كان أولى من جَعْله جملتين من غير فائدة .

وأما قولهم « إن الفعلَ المتقدِّمَ لازم فلا يجوز أن يكون عاملا » قلنا : هذا الفعل وإن كان لازما إلا أنه تعدى بتقوية « إلاَّ » على ما بيَّنَّا .

وأما قولهم « والذى يدل على أن الفعل ليس عاملا قولهم : القومُ إخْوانُكَ إلا زيداً ؛ فينصبون زيدا ، وليس هاهنا فعل ناصب » قلنا : الناصبُ له ما فى إخوانك من معنى الفعل ؛ لأن التقدير فيه : القومُ يُصَادقونك إلا زيدا ؛ فإلاَّ قوت الفعل المقدر فأوصلته إلى زيد فنصبه .

وأما قول الفراء « إنَّ الأصل فيها إن ولا ، ثم خففت إنَّ وركبت مع لا » فمجرد دعوى يفتقر إلى دليل ، ولا يمكن الوقوف عليه إلا بوحى وتنزيل ، وليس إلى ذلك سبيل ، ثم لو كان كما زعم لوجب أن لا تعمل ؛ لأن إنَّ الثقيلة إذا خففت بطل عملها ، خصوصا على مذهبكم ، وأما تشبيهه لها بلولا فحجة عليه ؛ لأن لو لما ركبت مع لا بطل حكم كل واحد منهما عما كان عليه فى حالة الإفراد ، وحَدَثَ لهما بالتركيب حكم آخر ، وكذلك كل حرفين ركب أحدهما مع الآخر ؛ فإنه يبطل حكم كل واحد منهما عما كان عليه فى حالة الإفراد ، ويحدث لهما بالتركيب حكم آخر ، وصار هذا بمنزلة الأدوية المركبة من أشياء مختلفة فإنه يبطل حكم كل واحد منها عما كان عليه فى حالة الإفراد ، ويحدث لها بالتركيب حكم آخر ، وهو لا يقول فى « إلاَّ » كذلك ، بل يزعم أن كل واحد من الحرفين

(١) يريد أن هذا الجواب سريع غير مبنى على الدقة التى تحتمل النقاش، وهو لذلك غير مطرد ولا منعكس .

باقٍ على أصلِه وعملِه بعد التركيب كما كان [١٢٢] قبل التركيب . وأما تشبيهه لها بحتى فبعيد ؛ لأن « حتى » حرف واحد ، وليس بمركب من حرفين فيعمل عمل الحرفين ، وإنما هو حرف واحد يتأول تأويلَ حرفين فى حالين مختلفين : فإن ذُهِبَ به مذهبَ حرف الجر لم يتوهم فيه غيره ، وإن ذُهِبَ به مذهبَ حرف العطف لم يتوهم فيه غيره ، بخلاف « إلا » فإن إلاَّ عنده مركبة من إنَّ ولا ، وهما منطوق بهما ، فإذا اعتمد على أحدهما بطل عمل الآخر وهو منطوق به ، فبان الفرق بينهما .

والذى يدل على فساد ما ذهب إليه قولهم « مَا قَالَ إلاَّ لَهُ » فإن « لَهُ » لا شىء قبله يعطف عليه ، وليس فى الكلام منصوب فتكون « إلا » عاملة فيه ؛ فدل على فساد ما ذهب إليه .

وأما قول الكسائى « إنا نصبنا المستثنى لأن تأويله إلا أنَّ زَيْداً لَمْ يَقُمْ » قلنا : لا يخلو إما أن يكون المُوجِبُ للنصب هو أنه لم يفعل ، أو أنَّ ، فإن أراد أن الموجب للنصب أنه لم يفعل فيبطل بقولهم « قَامَ زَيْدٌ لاَ عَمْرٌو[1] » وإن أراد أن أنَّ هى الموجبة للنصب كان اسمها وخبرها فى تقدير اسم ، فلا بد أن يُقَدَّر له عامل يعمل فيه ، وفيه وقع الخلاف .

وقد زعم بعض النحويين أن قول الكسائى تقديرٌ لمعنى الكلام لا لعامله ، وإلا فقوله يرجع إلى قول البصريين .

وأما ما حكى عنه من أن المستثنى ينتصب لأنه مشبه بالمفعول ؛ فهو أيضاً قريب من قول البصريين ؛ لأنه لا عاملَ ها هنا يوجب النصب إلا الفعل المتقدم على ما بينا ، والله أعلم .

(١) يريد أن عمرا فى هذا المثال لم يفعل القيام ، ولم ينصب ، فلا يكون كونه لم يفعل عاملا النصب ، فتأمل ذلك .

٣٥ — مسألة

[هل تكون « إلا » بمعنى الواو ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « إلا » تكون بمعنى الواو . وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لمجيئه كثيراً فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاس عليكم حُجَّة إلا الذين ظَلَمُوا مِنْهُمْ) أى ولا الذين ظلموا ، يعنى والذين ظلموا لا يكون لهم أيضاً حُجَّة ، ويؤيد ذلك ما روى أبو بكر بن مجاهد عن بعض القراء أنه قرأ : (إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) مخففاً يعنى مع الذين ظلموا منهم ، كما [١٢٣] قال تعالى : (فاغسلوا وُجُوهكُمْ وأيديكُمْ إلَى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) أى مع المرافق ومع الكعبين ، وكما قال تعالى : (مَنْ أنصارى إلَى الله) أى مع الله ، وكما قال تعالى : (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أى مع أموالكم ، وكقولهم فى المثل : « الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبِلٌ » أى مع الذود ، وكقول ابن مُفَرِّغ :

١٥٦ — شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوَابِقِ فِيهِمْ
فى وُجُوهٍ إلَى اللِّمَامِ الجِعَادِ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب (ص ٧٣ بتحقيقنا) وحاشية الصبان على الأشمونى (٢/١٢٧ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٤٢٢ بولاق)وشرح الرضى على الكافية (١/٢١٣)

١٥٦ — هذا البيت من كلام ابن مفرغ الحميرى ، واسمه يزيد ربيعة ، وقد روى ابن منظور هذا البيت فى اللسان مرتين ، أولاهما فى (ش د خ) وقال قبل إنشاده «وقال الراجز»وهذا سبق قلم منه ؛ فإن البيت من الخفيف ، وليس رجزا، وثانيتهما=

أى مع اللمام ، وقال ذو الرُّمَّة :

١٥٧ — * بِهَا كُلُّ خَوَّارٍ إلَى كُلِّ صَعْـلَةٍ *

أى مع كل صعلةٍ ، وقال تعالى : (لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّـوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ) أى ومن ظُلِمَ لا يُحِب أيضاً الجهر بالسوء(١) منه ، إلى غير ذلك من المواضع . ثم قال الشاعر :

= فى (ل م م) ونسبه إلى ابن مفرغ. وشدخت: أى اتسعت فى الوجه، قال أبوعبيدة : « يقال لغرة الفرس إذا كانت مستديرة : وتيرة ، فإذا سالت وطالت فهى شادخة » اه. والغرة ـ بضم الغين وتشديد الراء ـ بياض فى جبهة الفرس ، والسوابق : جمع سابق ، وأصله الفرس يأتى فى الحلبة سابقا ، واللمام : جمع لمة ، وتجمع أيضا على لمم ـ بكسر اللام فى المفرد وفى جمعه ـ واللمة : الشعر إذا نزل من الرأس فجاوز شحمة الأذن ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال له : ذو اللمة ، والجعاد : جمع جعدة ـ بفتح فسكون ـ وهى أنثى الجعد، والجعد: ضد السبط، والسبط: المسترسل من الشعر، وجعودة الشعر هى الغالبة على شعور العرب ، وعلى هذا يمدح الرجل بأنه جعد الشعر ، تعنى أنه عربى ، فإذا أردت أن شعره مفلفل كشعر الزنج كان ذما . والاستشهاد بالبيت فى قوله « إلى اللمام » فإن إلى ههنا تدل على معنى مع ، وأقوى مايدل على ذلك أن الرواية فى اللسان (ل م م) « مع اللمام الجعاد » وإذا جاءت كلة فى إحدى الروايات مكان كلة فى رواية أخرى دل ذلك على أن الـكلمتين بمعنى واحد .

١٥٧ — هذا صدر بيت من كلام ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وعجزه قوله :

* ضهول ورفض المذرعات القراهب *

وقد أنشد ابن منظور هذا البيت فى اللسان (ص ع ل — ض هـ ل) ونسبه إلى ذى الرمة ، ثم قال « قال ابن برى : الصعلة النعامة ، والخوار : الثور الوحشى الذى له خوار — وهو صوته — وضهول : تذهب وترجع ، والمذرعات من البقر : التى معها أولادها ، والقراهب : جمع قرهب — بوزن جعفر — وهو المسن مطلقا ، ويقال : الـكبير الضخم من الثيران ، والقرهب أيضا : السيد ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « إلى كل صعلة » فإن إلى فى هذا الموضع تدل على معنى مع ، وهو ظاهر إن شاء الله .

(١) الأشهر فى تفسير هذه الآية أن «إلا» فيها استثنائية ، واستمع إلى جار الله =

١٥٨ — وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاَّ الْفَرْقَدَانِ

أى والفرقدان، والشواهدُ على هذا فى أشعارهم كثيرةٌ جداً .

=يقول: «إلا من ظلم، أى إلا جهر من ظلم، استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم، وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء، وقيل: هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم» اهـ .

١٥٨ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٣٨١) وقد نسبه إلى عمرو بن معديكرب، وقال الأعلم «ويروى لسوار بن المضرب» اهـ، وأنشده الجاحظ فى البيان (١/٢٢٨) منسوبا إلى عمرو، والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٤٥٣) ومغنى اللبيب (رقم ١٠٨) ورضى الدين فى شرح الكافية فى باب الاستثناء، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٥٢ بولاق). وقال: إن هذا البيت يروى فى شعرين لشاعرين، أحدهما عمرو بن معديكرب، والثانى حضرمى بن عامر أحد بنى أسد، واستشهد به أيضا موفق الدين ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٢٨٤) والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله «إلا الفرقدان» فإن الكوفيين زعموا أن «إلا» فى هذا البيت حرف عطف بمنزلة الواو، وكأنه قال: كل أخ يفارقه أخوه والفرقدان أيضا، وقد حمل الشريف المرتضى فى أماليه (٢/٨٨) على هذا المعنى قوله تعالى: (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال: إلا بمعنى الواو، والتأويل: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وما شاء ربك من الزيادة، واستشهد على ذلك ببيت الشاهد، وبقول الآخر: (وهو المخبل السعدى):

وأرى لها دارا بأغدرة السـ ـيدان لم يدرس لها رسم
إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بإلا ههنا الواو، وإلا كان الكلام متناقضا، اهـ. والذى رآه سيبويه فى بيت الشاهد ـ وسيذكره المؤلف فى الرد على كلمات الكوفيين ـ أن «إلا» ههنا اسم بمعنى غير، وهى صفة لكل، ولهذا ارتفع ما بعدها؛ لأن إلا التى بمعنى غير يظهر إعرابها على ما بعدها بطريق العارية، ومن هنا تدرك أنه لا يجوز جعل إلا صفة لأخ=

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن « إلاَّ » لا تكون بمعنى الواو لأنَّ إلا للاستثناء ، والاستثناء يقتضى إخراجَ الثانى من حكم الأول ، والواو للجمع ، والجمع يقتضى إدخال الثانى فى حكم الأول ؛ فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى) فلا حجة لهم فيه ؛ لأن « إلا » ها هنا استثناء منقطع ، والمعنى : لكن الذين ظلموا يحتجُّونَ عليكم بغير حجة ، والاستثناء المنقطع كثير فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتباعَ الظنِّ) معناه لكن يتبعون الظن ، وقال تعالى : (ومَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ من نعمةٍ تجزَى، إلاَّ ابتغاءَ وجه رَبِّهِ الأعْلى) معناه لكن يبتغى وجه ربه الأعلى ، وقال تعالى : (ثُمَّ رددناهُ أسفلَ سافِلين، إلا الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ) معناه لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر ، ثم قال النابغة :

١٥٩ — [١٢٤] وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلالاً أُسَائِلُهَا
أعْيَتْ جَوَاباً ، وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أحَدِ
إلاَّ الأوَارِىَّ لَأْياً مَا أُبَيِّنُهَا
وَالنُّؤْىُ كَالْحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ

= المضاف إليه؛ إذ لو كانت صفة لأخ لكان ما بعدها مجرورا فكان يقول «إلا الفرقدين» كما قال الآخر :

وكل أخ مفارقه أخوه لشحط الدار إلا ابنى شمام

كما أنه لا يجوز لك أن تجعل « إلا » فى بيت الشاهد استثنائية ؛ لأنها لو كانت هى الاستثنائية لكان ما بعدها منصوبا ، لأن الكلام قبلها تام موجب ، ونصب المستثنى بعد الكلام التام الموجب واجب كما تعلم .

١٥٩ — هذان البيتان من قصيدة النابغة الذبيانى التى يعدونها من المعلقات والتى مطلعها : =

. . . .

= يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

والبيتان من شواهد سيبويه (١/٣٦٤) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ٢٦٥) وانظر – مع ذلك – خزانة الأدب (٢/٧٦) وشرحنا على شرح الأشمونى (الشواهد ٢١ و ١٨٠ و ٢٧١ و ٤٦٧) وقوله « أصيلالا » أصله أصيلان – بالنون – فأبدل النون لاما ، وهو إبدال غير قياسى، والأصيلان : تصغير أصلان ، الدى هو جمع أصيل ، والأصيل : الوقت قبيل غروب الشمس ، وأعيت : عجزت وضعفت ، والأوارى : جمع آرية أو آرى ، وهو محبس الخيل ، وقوله « لأيا ما أبينها » يريد ما أعرفها وأتبينها إلا بعد لأى ، أى بطء ، والنؤى – بالضم – حفيرة تحفر حول الخيمة لتمنع تسرب المطر إليها ، والمظلومة : أراد بها الفلاة التى حفر فيها الحوض لغير إقامة ، والجلد : الصلبة ، والاستشهاد بالبيتين فى قوله « إلا الأوارى » فإن هذا من نوع الاستثناء المنقطع لـكون المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ، وهذا النوع يجوز فيه وجهان : الإبدال من المستثنى منه فيتبعه فى إعرابه ، على أن تتوسع فى المستثنى منه فتجعله شاملا للمستثنى ، والنصب على الاستثناء قال الأعلم : « الشاهد فى قوله إلا الأوارى بالنصب على الاستثناء المنقطع ؛ لأنها من غير جنس الأحدين ، والرفع جائز على البدل من الموضع ، والتقدير : وما بالربع أحد إلا الأوارى ، على أن تجعل من جنس الأحدين اتساعا ومجازاً » اهـ . وليس عجيبا أن تجعل المستثنى من هذا النوع داخلا فى جنس المستثنى منه ؛ فقد جرت عادة العرب فى كلامهم أن يجعلوا الشىء من جنس غير جنسه توسعا ، انظر إلى قول أبى ذؤيب الهذلى :

فإن تمس فى قبر برهوة ثاويا أنيسك أصداء القبور تصيح

فقد جعل أصداء القبور أنيسا وليست فى الأصل من جنس الأنيس ، ثم انظر إلى قول ابن الأيهم التغلبى :

ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

ثم انظر إلى قول عمرو بن معد يكرب :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

فقد جعل الضرب الوجيع تحية ، وهو فى الأصل من غير جنسها .

وقال آخر :

١٦٠ — وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلاَّ الْيَعَافِيرُ وَإِلاَّ الْعِيسُ

وعلى ذلك أيضاً يحمل ما احتجوا به من قوله تعالى : (لا يحبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسوء من القول الا من ظلم) ؛ فإن معناه لكن المظلوم يجهر بالسوء ؛ لما يلحقه من الظلم ، فيكون فى ذلك أعْذَرَ ممن يبدأ بالظلم ، وعلى ذلك أيضاً يحمل قول الشاعر :

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاَّ الْفَرْقَدَانِ [١٥٨]

---

١٦٠ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وهما من كلام جران العود ، واسمه عامر بن الحارث (د ٥٢) والبيتان من شواهد سيبويه (١/١٣٣ و ٣٦٥) وابن يعيش (ص ٢٦٥) والأشمونى (رقم ٤٤٤) وأوضح المسالك (رقم ١٤٥) وشذور الذهب (رقم ١٢٥) ولميس : اسم امرأة ، واليعافير : جمع يعفور — بضم الياء أو فتحها — وهو الظبي الذى لونه لون العفر وهو التراب ، والعيس: جمع أعيس أو عيساء ،وأصلها الإبل لكنه أراد بقر الوحش ، والاستشهاد به فى قوله « إلا اليعافير وإلا العيس » حيث رفع ما بعد إلا على البدل مما قبلها مع أن اليعافير والعيس ليسا من جنس الأنس فى الأصل ، ولكنه توسع فجعلهما من جنسه ، قال سيبويه بعد أن أنشد البيت « جعلها أنيسها » يريد جعل اليعافير والعيس أنيس هذه البلدة . وقال الأعلم « الشاهد فيه رفع اليعافير والعيس بدلا من الأنيس على الاتساع والمجاز » اهـ . وإبدال المستثنى من المستثنى منه إذا كان فى أصله من غير جنسه هو لغة بنى تميم ، يجيزون فيه النصب على الاستثناء والبدلية ، أما الحجازيون فلا يجيزون فيه غير النصب على الاستثناء ، وعليه قول الأسود بن يعفر ، وهو من شعر المفضليات :

مهامها وخروقا لا أنيس بها إلا الضوابح والأصداء والبوما

ويحتمل ذلك قول الكلحبة اليربوعى :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصى إلا مضيعا

فإنه يجوز أن يكون قوله « إلا مضيعا » استثناء مما قبله فيكون قد وضع الصفة مكان الموصوف ، وأصل الكلام : ولا أمر للمعصى إلا أمرا مضيعا ، ويجوز أن يكون « مضيعا » حالا من الضمير المستكن فى الجار والمجرور قبله .

أراد لكن الفرقدان فإنهما لا يفترقان ، على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء المتأخرة إلى وقت الفناء ، ويحتمل أن تكون « إلا » فى معنى غير ، ولذلك ارتفع ما بعدها ، والمعنى : كلُّ أخٍ غيرُ الفرقدين مفارقُهُ أخوه ، كما قال تعالى : (لو كانَ فيهما آلهة إلا الله لفسدتَا) أى لو كان فيهما آلهة غيرُ الله ، ولهذا كان ما بعدها مرفوعاً ، ولا يجوز أن يكون الرفع على البدل ؛ لأن البدل فى الإثبات غير جائز ؛ لأن البدل يوجب إسقاط الأول ، ولا يجوز أن تكون (آلهة) فى حكم الساقط ؛ لأنك لو أسقطته لكان بمنزلة قولك : لو كان فيهما إلا الله ، وذلك لا يجوز ، ألا ترى أنك لا تقول « جاءنى إلا زيد » لأن الغرض فى « إلا » ـ إذا جاءت قبل تمام الكلام ـ أن تثبت بها ما نفيته ، نحو « ما جاءنى إلا زيد » وليس فى قوله (لو كان) نفى فيفتقر إلى إثبات ، ولو جاز أن يقال « جاءنى إلا زيد » على إسقاط إلا مثلا حتى كأنه قيل جاءنى زيد و « إلا » مَزِيدٌ لاستحال ذلك فى الآية ؛ لأنه كان يصير قولك « لو كان فيهما إلا الله » بمنزلة لو كان فيهما الله لفسدتا ، وذلك مستحيل .

وأما قراءة من قرأ : (إلى الذين ظلموا منهم) بالتخفيف ، فإن صحت وسُلِّم لكم ما ادعيتموه على أصلكم من أن إلى تكون بمعنى مع فليس لكم فيه أيضاً حجة تدل على أن « إلا » تكون بمعنى الواو ؛ لأنه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى ، وإذا اعتبرتم هذا فى [١٢٥] القراءات وجدتم الاختلاف فى معانيها كثيراً جداً ، وهذا مما لا خلاف فيه ، وإذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة من قرأ (إلى الذين) بالتخفيف بمعنى مع ، وقراءة من قرأ « إلا » بالتشديد بمعنى لكن ، على ما بينا ، والله أعلم .

* * *

٣٦ — مسألة

[هل يجوز تقديم حرف الاستثناء فى أول الكلام ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم حرف الاستثناء فى أول الكلام ، نحو قولك : « إلاَّ طَعَامَكَ مَا أَكَلَ زَيْدٌ » نصَّ عليه الكسائىّ ، وإليه ذهب أبو إسحاق الزّجاج فى بعض المواضع . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على جواز تقديمه أن العرب قد استعملته مقدماً ، قال الشاعر :

١٦١ — خَلاَ أَنَّ ٱلْعِتَاقَ مِنَ ٱلْمَطَايَا ... حَسِينَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الرضى على الكافية (١/٢٠٩) وشرحنا على شرح الأشمونى (٢/٤٥٥ و ٤٩٢) وحاشية الصبان على الأشمونى (٢/١٣٠) وحاشية العليمى على التصريح (١/٤٢٨) .

١٦١ — هذا البيت من كلام أبى زيد الطائى ، وقد أنشده ابن منظور (ح س س — ح س ى) ونسبه فى المرتين إليه ، غير أنه رواه فى المرة الأولى مثل ما أنشده المؤلف ، ورواه فى المرة الثانية :

* سوى أن العتاق — إلخ *

والعتاق : جمع عتيق ، وهو الأصيل ، والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة ، سميت بذلك لأنها تمطو فى سيرها ، أى تسرع ، أو لأن راكبها يقتعد مطاها ، وهو ظهرها ، وحسين به ـ بفتح الحاء وكسر السين أو فتحها ، وآخره نون جماعة الإناث ـ أصله حسسن به ، فأبدل من ثانى المثلين ياء ، قال ابن منظور : « قال ابن سيده : وقالوا : حسست به ، وحسيت به ـ بكسر السين فيهما ـ وحسيته ـ بفتح السين ـ وأحسيت ، وهذا كله من محول المضعف . . . ثم قال عن الفراء : حسيت بالخبر ، وأحسيت به ، يبدلون من السين ياء ، قال أبو زيد : =

وقال الآخر :

١٦٢ — وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا طُورِىُّ وَلاَ خَلاَ الْجِنَّ بِهَا إِنْسِىُّ

= * خلا أن العتاق . . . إلخ *

قال الجوهرى وأبو عبيدة : يروى بيت أبى زبيد :

* أحسن به فهن إليه شوس *

وأصله أحسسن» اهـ . وقال: « وحسيت الخبر بالكسر مثل حسست ، قال أبو زبيد :

* سوى أن العتاق . . . إلخ *

وأحسيت الخبر مثله ، قال أبو نخيلة :

لما احتسى منحدر من مصعد أن الحيا مغلوب لم يجمد

احتسى : أى استخبر فأخبر أن الخصب فاش . والمنحدر : الذى يأتى القرى ، والمصعد : الذى يأتى إلى مكة » اهـ . وقول أبى زبيد « فهن إلى شوس » الشوس : جمع أشوس ، وهو الوصف من الشوس ــ بفتح الشين والواو جميعا ــ وهو النظر بمؤخر العين . والاستشهاد بالبيت فى قوله « خلا أن العتاق من المطايا » حيث قدم المستثنى فى أول الكلام ، وقد أنشده الكوفيون ذاهبين إلى أن فيه دليلا على جواز تقديم المستثنى قبل جملة الكلام ، ونظيره قول الأعشى ، وهو من شواهد الأشمونى وابن عقيل :

خلا الله لاأرجو سواك،وإنما أعد عيالى شعبة من عيالكا

١٦٢ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وهما من كلام العجاج ، وقد أنشدهما الرضى فى شرح الكافية أول باب الاستثناء ، وشرحهما البغدادى فى الخزانة (٢/٢) وأنشد أولهما ابن منظور (ط و ر) ونسبه إلى العجاج . والعرب تقول : ما بالدار طورى ، وما بالدار طورانى ، وما بالدار دورى ، وما بالدار ديار ، تريد ما بالدار أحد ، وقالوا أيضا : رجل طورى ، يريدون رجلا غريبا ، ومحل الاستشهاد قوله « ولا خلا الجن بها إنسى » حيث قدم الاستثناء على جملة الكلام ، وأصل العبارة : ولا بها إنسى خلا الجن ، فالجار والمجرور خبر مقدم ، وإنسى : مبتدأ مؤخر ، وخلا الجن : استثناء ، وبهذا ونحوه استدل الكوفيون على جواز تقديم الاستثناء على جملة الكلام ، وقد بينا لك ذلك فى شرح الشاهد السابق .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن الاستثناء يضارع البدل بدليل قولهم : ما قام أحد إلا زيداً ؛ وإلا زيدٌ ، والمعنى واحد ، فلما جاز البدلُ لم يجز تقديمُه كما لا يجوز تقديم البدل على المبدل منه » لأنا نقول : لو كان الأمر كما زعمتم لـكان ينبغى أن لا يجوز تقديمه على المستثنى منه كما لا يجوز تقديم البدل على المبدل منه ، وقد جاء ذلك كثيراً فى كلامهم ، قال الـكميت :

١٦٣ — فَمَا لِىَ إلاَّ آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ ... وَمَا لِىَ إلاَّ مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ

---

١٦٣ — هذا البيت من قصيدة هاشمية للـكميت بن زيد الأسدى ، وهو من شواهد ابن يعيش (ص ٢٦٣) والأشمونى (رقم ٤٤٨) وابن عقيل (رقم ١٦٧) وأوضح المسالك (٢٦٢) وشذور الذهب (رقم ١٢٤) وشرح قطر الندى (رقم ١٠٩) والشيعة : هم الأنصار والأشياع والأعوان، ومشعب الحق : يروى فى مكانه « مذهب الحق » والمراد الطريق الذى يعتقد أنه الطريق الثابت الذى لا يجوز الانحراف عنه . والاستشهاد بالبيت فى موضعين منه ؛ الأول قوله « إلا آل أحمد » والثانى قوله « إلا مشعب الحق » حيث قدم المستثنى فى كل موضع منهما على المستثنى منه، وأصل نظم الكلام ومالى شيعة إلا آل أحمد، ومالى مشعب إلا مشعب الحق، وقد كان المستثنى ـ لو أنه جاء به على أصل الـكلام ـ يجوز فيه وجهان : الأول النصب على الاستثناء ، والثانى الإتباع على البدلية ، فلما قدمه على المستثنى لزمه ـ فى لغة عامة العرب ـ النصب على الاستثناء ، ولم يجز فيه الإتباع على البدلية ؛ لأن البدل لا يتقدم على المبدل منه لأنه تابع ورتبة التابع تكون بعد رتبة المتبوع ألا ترى أنهم إذا قدموا صفة النـكرة عليها نحو قولك : فيها قائماً رجل ، وقول كثير :

لعـــزة موحشا طلل يـــلوح كأنه خلل

وجب نصب الصفة على الحال ، ولم يجز إتباعها للموصوف على أن تـكون نعتا كما كانت وهى متأخرة ؟ وقد جاء على الإتباع قول حسان بن ثابت :

لأنهم يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافع

فقد قدم المستثنى ـ وهو قوله النبيون ـ على المستثنى منه ـ وهو قوله شافع ـ ومع ذلك لم ينصبه على الاستثناء كما ينصبه عامة العرب، ويمكن أن يكون هذا البيت ردا على =

فقدم المستثنى على المستثنى منه، وقال الآخر:

١٦٤ — النَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا
إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ

فقدَّمَ المستثنى على المستثنى منه، وهذا كثير فى كلامهم.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأنه يؤدى إلى أن يعمل ما بعدها فيما قبلها، وذلك لا يجوز؛ لأنها حرف نفى يليها الاسمُ والفعلُ كحرف الاستفهام، وكما [١٢٦] أنه لا يجوز أن يعمل ما بعد حرف الاستفهام فيما قبله؛ فكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها.

ومنهم من تمسك بأن قال: إنما قلنا ذلك لأن الاستثناء يضارع البدل، ألا ترى أنك تقول «ما جاءنى أحد إلا زيد، وإلا زيداً» والمعنى واحد، فلما جارى الاستثناء البدلَ امتنع تقديمُه كما يمتنع تقديمُ البدلِ على المبدَلِ منه، وما ذكروه على هذا فنذكر فساده فى الجواب عن كلماتهم، إن شاء الله تعالى.

= قول الكوفيين «إن المستثنى يضارع البدل، والبدل لا يتقدم» فيقال لهم: لا نسلم أنه يضارع البدل وأن البدل لا يتقدم؛ فإن من العرب من يقدمه ويبقيه على الإتباع، فتفطن لذلك.

١٦٤ — هذا البيت من كلام كعب بن مالك، الأنصارى، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٨١) وابن يعيش (ص ٢٦٣) وألب: أى مجتمعون متألبون قد تضافروا على خصومتنا وإرادة النيل منا، والوزر — بفتح الواو والزاى جميعا — الحصن والملجأ، وأصل معناه الجبل. يقول هذا البيت للنبى صلوات الله وأزكى تسليماته عليه. والاستشهاد به فى قوله «إلا السيوف» حيث قدم هذا المستثنى على المستثنى منه وهو قوله «وزر» وأصل الكلام: ليس لنا وزر وملجأ نلجأ إليه إلا السيوف وأطراف القنا، ولو أنه جاء بالكلام على أصله لكان له أن ينصب المستثنى على الاستثناء وأن يتبعه بالرفع على البدلية، لكنه لما قدم المستثنى وجب فيه — عند عامة العرب — أن ينصبه؛ لما ذكرنا من العلة فى شرح الشاهد السابق، وهذا واضح إن شاء الله تعالى.

أما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما احتجاجهم بقول الشاعر :

* خَلاَ أَنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا * [١٦١]

فنقول : لا نسلم ها هنا أن الاستثناء وقع فى أول الـكلام ، فإن هذا الشعر لأبى زُبَيْدٍ ، وقبل هذا :

إِلَى أَنْ عَرَّسُوا وَأَغَبَّ مِنْهُمْ قَرِيبًا مَا يُحَسُّ لَهُ حَسِيسُ
خَلا أَنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا حَسِيْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ [١٦١]

وأما قول الآخر :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا طُورِيٌّ وَلاَ خَلاَ الْجِنِّ بِهَا إِنْسِيٌّ [١٦٢]

فتقديره : و بلدة ليس بها طوريٌّ ولا إنسى خلا الجن ، فحذف إنسيًّا ، فأضمر المستثنى منه ، وما أظهره تفسيرٌ لما أضمره ، وقيل : تقديرهُ ولا بها إنسى خلا الجن ؛ فـ « بها » مقدرة بعد « لا » وتقديمُ الاستثناء فيه للضرورة ؛ فلا يكون فيه حجة .

والذى يدل على صحة ما ذهبنا إليه أنه قد ضارع البَدَلَ .

قولهم « لو كان الأمر كما زعمتم لوجب أنه لا يجوز تقديمُه على المستثنى منه ، كما لا يجوز تقديمُ البدل على المبدل منه » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن المستثنى لما تجاذبه شَبَهَان : أحدهما كونُه مفعولا ، والآخَرُ كونُه بدلا ؛ جعلت له منزلة متوسطة ، فجاز تقديمُه على المستثنى منه ، ولم يجز تقديمه على الفعل الذى ينصبه ، عَمَلاً بكلا الشبهين ، على أن من العرب مَنْ يجوز البدل مع التقديم ، فيقول : ما جاءنى إلا زَيْدٌ أَحَدٌ ؛ فيرفع على البدل مع تقديمه على المبدل منه(١) ؛ لأن هذا التقديمَ التقديرُ به التأخيرُ ، وإن كانت اللغة الفصيحة العالية النصب ، والله أعلم .

(١) الشاهد عليه بيت حسان الذى رويناه لك فى شرح الشاهد ١٦٣

[١٢٧] ٣٧ — مسألة

[حاشى فى الاستثناء ، فعل أو حرف أو ذات وجهين][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن « حَاشَى » فى الاستثناء فعلٌ ماضٍ ، وذهب بعضهم إلى أنه فعل استُعمل استعمالَ الأدوات ، وذهب البصريون إلى أنه حرف جر ، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنه يكون فعلا ويكون حرفا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه فعل أنه يتصرف ، والدليل على أنه يتصرف قولُ النابغة :

١٦٥ — وَلاَ أَرَى فَاعِلا فى النَّاسِ يُشْبِهُهُ
وَمَا أُحَاشِى مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل لابن يعيش (ص ٢٩٩) وشرح الأشمونى (٢/٤٩٨ بتحقيقنا) ولسان العرب (ح ش ا) وحاشية الصبان (٢/١٤٦ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (١/٤٣٩ بولاق) وشرح الرضى على الكافية (١/٢٢٤)وأسرار العربية للمؤلف (ص ٨٣ ليدن)

١٦٥ — هذا البيت من قصيدة النابغة الذبيانى المعلقة التى منها الشاهد رقم ١٥٩ السابق فى المسألة ٣٥ وهو من شواهد ابن يعيش (ص ٢٩٩) ومغنى اللبيب(رقم١٨٦) والأشمونى (رقم ٤٦٧) والرضى فى باب الاستثناء ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٤) وأنشده ابن منظور مرتين (خ ش ا) وقوله « ولا أحاشى » أراد لاأستثنى أحدا ممن يفعل الخير ، و « من » فى قوله « من أحد » زائدة ، وأحد بعدها : مفعول به لأحاشى . والاستشهاد بالبيت فى قوله « ولا أحاشى » فإن هذا فعل مضارع بمعنى أستثنى ، وقد جاء فى كلام العرب المحتج بكلامهم ، فيدل على أن « حاشا » التى تستعمل فى الاستثناء فعل ، وأنه مع ذلك متصرف ، وهذا أحد ثلاثة أدلة للكوفيين استدلوا بها على أن « حاشا » الاستثنائية فعل ، والثانى : أن حرف الجر يأتى بعدها متعلقا بها نحو قوله تعالى (حاشَ لله) والثالث : أنه قد يتصرف فى لفظها بالحذف فيقال : حشا ، =

. . . .

وحاش ، وقد علم أن الحذف لا يكون إلا فى الاسم نحو يدودم وأخ وغد وأب وحم (انظر ما ذكرناه فى المسألة الأولى من هذا الكتاب) أو فى الفعل نحو قولهم : لم يك، ولا أدر ، ولم أبل ــ والأصل : لم يكن ، ولا أدرى ، ولم أبال ــ وقد ذكر المؤلف هذه الأدلة ، وحاول أن يرد كل واحد منها بما تراه فى كلامه ، وستتعرض له فى شرح الشواهد الآتية ، وهذا لأن سيبويه لم يحفظ فى « حاشا » إلا الجر بها ، كما لم يحفظ دخول «ما» عليها ، فقرر أنها لا تكون إلا حرف جر ، لكن العلماء الثقات حفظوا الأمرين جميعا: حفظوا دخول « ما » على حاشا فى قول الأخطل :

رأيت الناس ماحاشا قريشا فإنا نحن أكثرهم فعالا

وحفظوا النصب بها دون أن تلحقها « ما » نحو ما رواه أبو زيد قال : « سمعت أعرابيا يقول : اللهم اغفر لى ولمن سمع حاشا الشيطان وابن الأصبغ » بنصب ما بعد حاشا والمعطوف عليه ، كما حفظوا الذى حفظه سيبويه من الجر بها ، وإذن يكون حال « حاشا » مثل حال « عدا ، وخلا » كل واحد من هذه الثلاثة يكون حرفا تارة ، ويكون فعلا تارة أخرى ، وهذا مذهب أبى العباس المبرد ، وهو الذى تؤيده جملة الشواهد الواردة فى هذه المسألة ، وقد تفطن لذلك موفق الدين ابن يعيش، فقال : « أما حاشا فهو حرف جر عند سيبويه ، يجر ما بعده ، وهو مع مابعده فى موضع نصب بما قبله ، وفيه معنى الاستثناء ، وزعم الفراء أن حاشى فعل ولا فاعل له ، وأن الأصل فى قولك « حاشى زيد » حاشا لزيد ، فحذفت اللام لكثرة الاستعمال وخفضوا بها ، وهذا فاسد ؛ لأن الفعل لا يخلو من فاعل ، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنها تكون حرف جر كما ذكر سيبويه ، وتكون فعلا ينصب ما بعده ، واحتج لذلك بأشياء ، منها أنه يتصرف فتقول : حاشيت أحاشى ، والتصرف من خصائص الأفعال ، ومنها أنه يدخل على لام الجر ، فتقول: حاشى لزيد ، قال الله تعالى : (حاشى لله) ولو كان حرف جر لم يدخل على مثله ، ومنها أنه يدخله الحذف ، نحو حاش لزيد ، وقد قرأت القراء إلا أبا عمرو (حاش لله) وليس القياس فى الحروف الحذف ، إنما ذلك فى الأسماء نحو أخ ويد، وفى الأفعال نحو لم يك ولا أدر ، وهو قول متين يؤيده أيضا ماحكاه أبو عمرو الشيبانى وغيره أن العرب تخفض بها وتنصب » اه باختصار يسير ، ومثله قول الراعى :

إن على أهوى لألأم حاضر حسبا ، وأقبح مجلس ألوانا
قبح الإله ــ ولاأحاشى غيرهم ــ أهل السبيلة من بنى حمانا

وإذا كان متصرفا فيجب أن يكون فعلا ؛ لأن التصرف من خصائص الأفعال

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل عَلَى أنه فعل أن لام الخفض تتعلق به ، قال الله تعالى : (حَاشَ لله مَا هٰذَا بَشَراً) وحرفُ الجرِّ إنما يتعلق بالفعل ، لا بالحرف ؛ لأن الحرف لا يتعلق بالحرف ، وإنما حذفت اللام لكثرة استعماله فى الكلام .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه فعل أنه يدخله الحذفُ ، والحذفُ إنما يكون فى الفعل ، لا الحرف ، ألا ترى أنهم قالوا فى حَاشَى لله : حَاشَ لله ، ولهذا قرأ أكثر القراء (حَاشَ لِلهِ) بإسقاط الألف ، وكذلك هو مكتوب فى المصاحف ؛ فدل على أنه فعل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه ليس بفعل وأنه حرف أنه لا يجوز دخول « مَا » عليه ؛ فلا يقال « ما حاشى زيداً » كما يقال « ما خَلَا زَيداً ، وما عَدَا عَمرا » ولو كان فعلا كما زعموا لجاز أن يقال « مَا حَاشَى زَيداً » فلما لم يقولوا ذلك دَلَّ على فساد ما ذهبوا إليه ، يدل عليه أن الاسم يأتى بعد حاشى مجرورا ، قال الشاعر :

١٦٦ — حَاشَى أَبِى ثَوْبَانَ ؛ إنَّ بِهِ ضَنًّا عَلَى المَلْحَاة والشَّتْم

١٦٦ — أنشد ابن منظور هذا البيت نقلا عن الجوهرى، ونسبه إلى سبرة بن عمرو الأسدى ، ثم قال : وهو منسوب فى المفضليات للجميح الأسدى ، واسمه منقذ بن الطماح، والصواب أن الشاهد من كلام الجميح ، وقد لفق النحاة هذا البيت من بيتين ، وصواب الإنشاد هكذا :

حاشى أبا ثوبان ؛ إن أبا ثوبان ليس ببكمة فدم
عمرو بن عبد الله ؛ إن به ضنا عن الملحاة والشتم

والبيت من شواهد مغنى اللبيب (رقم ١٨٧) والأشمونى (رقم ٤٦٥) وقوله « ليس ببكمة » يريد ليس بأبكم، والفدم — بفتح الفاء وسكون الدال — العيى عن الكلام فى ثقل وقلة =

فلا يخلو: إما أن يكون هو العامل للجر، أو عامل مقدر، بطل أن يقال عامل مقدر؛ لأن عامل الجر لا يعمل مع الحذف(١) فوجب أن يكون هو العامل على ما بينا.

= فهم، والملحاة: مفعلة من قوالك «لحوت الرجل ولحيته» إذا لمته وألححت فى لومك. والاستشهاد بالبيت فى قوله « حاشا أبى ثوبان » فقد أتى المؤلف بهذا البيت ليستدل به على أن « حاشا » تجر ما بعدها، وروى « حاشا أبى ثوبان » وكذلك وقعت الرواية فى الصحاح واللسان بجر ما بعد حاشا، لكن الثابت فى المفضليات ـ وهو الذى حكاه ابن هشام فى المغنى وتبعه عليه الأشمونى ـ نصب ما بعد حاشا فى هذا البيت، ونحن لا ننكر أن حاشا يجر ما بعدها؛ فقد ورد ذلك فى عدة أبيات، منها قول عمر بن أبى ربيعة وأنشده فى اللسان:

من رامها حاشى النبى وأهله فى الفخر غطغطه هناك المزبد

ومنها ما أنشده فى اللسان عن الفراء ولم يعزه:

حشا رهط النبى؛ فإن منهم بحورا لا تكدرها الدلاء

ومنها قول الأقيشر، وأنشده فى اللسان أيضا:

فى فتية جعلوا الصليب إلههم حاشاى إنى مسلم معذور

وإنما قلنا إن الياء فى « حاشاى » فى محل جر لأنها لو كانت فى محل نصب لأتى بنون الوقاية فكان يقول « حاشانى » كما قال الآخر فى « عدا »:

تمل الندامى ماعدانى؛ فإننى بكل الذى يهوى نديمى مولع

نقول: نحن لا ننكر أن « حاشا » يأتى بعدها الاسم مجرورا، لكن الاسم فى هذا البيت منصوب بعد حاشا فى رواية الرواة من حملة الشعر، وقد ذكر ابن هشام الروايتين، ثم قال: ويحتمل أن من روى « حاشا أبا ثوبان » قد أتى بالكلمة على لغة من يلزم الاسماء الستة الألف فى الأحوال كلها، وهو كلام عجيب من مثل ابن هشام، أن يحمل البيت على لغة ضعيفة لمجرد أن سيبويه شيخ النحاة لم يحفظ النصب بعد حاشى.

(١) فى الأصل « لا يعمل مع الحرف » وهو ظاهر التحريف، والمؤلف يشير بهذا إلى رد مذهب الفراء الذى ذكرناه فى شرح الشاهد ١٦٥ السابق، وخلاصته أن المجرور بعد حاشى مجرور بحرف جر محذوف، وأن أصل قولك « حاشى زيد » بالجر هو =

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه يتصرف » قلنا : [١٢٨] لا نُسَلِّم ، وأما قول النابغة :

* ومَا أُحَاشِى من الأقوام ِمِن أحدِ * [١٦٥]

فنقول : قوله « أُحَاشِى » مأخوذ من لفظ حاشى ، وليس متصرفا منه ، كما يقال : بَسْمَل ، وهَلَّلَ ، وحَمْدَلَ ، وسَبْحل ، وحَوْلَقَ ، إذا قال : بسم الله ، ولا إله إلا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وكذلك يقال « لَبَّى » إذا قال : لبيك ، و« أَفَّفَ » إذا قال: أفة ،وهو اسم للضُّجْرَة ، و « دَعْدَعَ » إذا قال لغنمه : دَاعْ دَاعْ ، وهو تصويت بها ، و « بأبأ الرجُل بفلانٍ » إذا قال له : بأبى أنت ، كما قال :

١٦٧ — * وإنْ تُبَأْبَأْنَ و إنْ تفَدَّيْنْ *

= «حاشى لزيد» وحاشا فعل ماض ، والجار والمجرور متعلق به ، ثم حذف حرف الجر وبقى عمله ، وحاصل الرد أن حرف الجر عامل والعا ،ضعيف مل الضعيف لا يعمل وهو محذوف ، ومثله مثل النواصب والجوازم مع الفعل المضارع ، لا يعمل شىء منها إلا مذكورا ، وللفراء أن يقول : لا نسلم لكم هذا فقد عمل حرف الجر وهو محذوف ، ألا ترى أن رب تعمل محذوفة بعد الواو والفاء وبل ، وقد عمل غير رب الجر وهو محذوف ، كما فى قول الشاعر :

إذا قيل أى الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع

فأنتم تقررون أن أصل الكلام : أشارت إلى كليب ، فحذفت « إلى » وبقى عملها ، ومع أن هذا الكلام صحيح لا نرى لك أن تقره وتجعل منه قاعدة مطردة .

١٦٧ — لم أقف لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، والاستشهاد به فى قوله « تبأ بأن » حيث اشتق هذا الراجز فعلا من اسم الصوت الذى هو « بأ ، بأ » والعرب تشتق من أسماء الأصوات على مثال الدحرجة ثم تأخذ من هذا المصدر أفعالا على مثال دحرج يدحرج ، قالوا : بأبأت الصبى ، وبأبأت به ، أبأبئ بأباة ؛ إذا قلت له : بأبى أنت وأمى ، أو قلت له : با ،با ، وكذلك قالوا : بأبأ الصبى أباه ؛ إذا قال له : با ، با . وقالوا : نخنخت البعير أنخنخه نخنخة؛ إذا قلت له: نخ ، وقال ابن جنى «سألت أبا على =

فكما بُنِيَتْ هذه الأفعال من هذه الألفاظ وإن كانت لا تتصرف فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « إن لام الجر تتعلق به » قلنا : لا نسلم ؛ فإن اللام فى قولهم « حاشى لله » زائدة لا تتعلق بشىء ، كقوله تعالى : (للذين هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) لأن التقدير فيه : يرهبون رَبَّهُمْ ، واللام زائدة لا تتعلق بشىء ، وكقوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمْ بأَنَّ اللهَ يَرَى) أى ألم يعلم أن الله ؛ والباء زائدة لا تتعلق بشىء ، وكقوله تعالى : (اقرأ باسم ربك) أى اقرأ اسمَ ربك ، وكقوله تعالى : (ولا تُلْقُوا بأيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ) أى ولا تُلْقُوا أيديكم ، وقوله تعالى : (تَنْبُتُ بالدهنِ) أى تنبت الدهنَ ، ويجوز أن تكون هنا مُعَدِّيَة ؛ لأنه يقال : نبت وأنبت ، لغتان بمعنى واحد ، وكقولهم « بحسبك زيدٌ » أى حسبك وكقول الشاعر :

= فقلت له : بأبأت الصبي بأبأة إذا قلت له: با ،با؛ فما مثال البأبأة عندك الآن؟ أتزنها على لفظها فى الأصل فتقول : مثالها البقبقة بمنزلة الصلصلة والقلقلة ؟ فقال : بل أزنها على ما صارت إليه وأزنك ما كانت عليه فأقول : الفعللة ، قال : وهو كما ذكر » اهـ . وقد كتبنا بحثا وافيا عن الاشتقاق من أسماء الأصوات والنحت من الجمل فى القسم الأول من كتابنا دروس التصريف فارجع إليه إن شئت ، ومثل بيت الشاهد قول الراجز الآخر:

وصاحب ذى غمرة داجيته بأبأته ، وإن أبى فديته

* حتى أتى الحى وما آذيته *

ومثله قول الآخر:

إذا ما القبائل بأبأننا فماذا نرجى ببشبائها ؟

ومثله ما أنشده ابن السكيت :

ولكن يبأبئه بؤبؤ وبئباؤه حجأ أحجؤه

يبأبئه : يفديه ، وبؤبؤ : أى سيد كريم ، وبئباؤه : تفديته ، وحجأ : فرح ، وأحجؤه : أفرح به .

١٦٨ — * نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ *

أى نرجو الْفَرَجَ ، والباء زائدة لا تتعلق بشيء ، فكذلك ها هنا .

وأما قوله تعالى : (وقُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ) فليس لهم فيه حجة ؛ فإن حاشى ها هنا ليس باستثناء ؛ إذ ليس هو موضع استثناء ، و إنما هو كقولك إذا قيل لك فلان يقتل أو يموت أو نحو ذلك ـ «حاشاه » وهذا ليس باستثناء ، و إنما هو بمنزلة قولك « بَعيداً منهُ » فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « يدخله الحذفُ والحذفُ لا يكون فى الحرف » قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أنا لا نسلم أنه قد دخله الحذف ؛ فإن الأصل عند بعضهم [١٢٩] فى حاشى حاش بغير ألف ، و إنما زيدت فيه الألف . وهذا هو الجواب عن احتجاجهم

---

١٦٨ — هذا بيت من مشطور الرجز ينسب للجعدى من غير تعيين ، وهو من شواهد مغنى اللبيب (رقم ١٥٨) وشرح الكافية فى باب حروف الجر ، وشرحه البغدادى (٤/١٥٩) وقبل البيت قوله :

* نحن بنو جعدة أصحاب الفلج *

والفلج ـ بفتح الفاء واللام جميعا ـ الماء الجارى ، ويقال : البئر الكبيرة ، وقالوا : عين خلج ، وماء فلج ، ويروى « أرباب الفلج » والمعنى واحد ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « نرجو بالفرج » حيث زاد الراجز الباء فى المفعول به ، وذلك أن الرجاء وما تصرف منه يتعدى إلى المفعول بنفسه ، تقول : رجاه يرجوه ، وكذلك ارتجاه يرتجيه ، ورجاه يرجيه ـ بتضعيف الجيم ، قال الله تعالى : (وترجون من الله مالا يرجون) وقال بشر :

فرجى الخير وانتظرى إيابى إذا ما القارظ العنزى آبا

وقد اختلفت عبارة العلماء فى زيادة الباء فى بيت الشاهد ، فقال ابن عصفور : زيادة الباء هنا ضرورة ، وقال ابن السيد البطليوسى فى شرح أدب الكاتب : إنما عدى الرجاء بالباء لأنه بمعنى الطمع ، والطمع يتعدى بالباء كقولك : طمعت بكذا ، قال الشاعر :

طمعت بليلى أن تجود ، وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

بقراءة من قرأ : (حَاشَ لِلّهِ) ثم نقول : إن هذه القراءه قد أنكرها أبو عمرو بن العَلاَء سيد القراء ، وقال : العربُ لا تقول « حَاشَ لَكَ » ولا « حَاشَكَ » وإنما تقول « حاشى لك ، وحاشاك » وكان يقرؤها (حَاشَى لِلّهِ) بالألف فى الوصل ، ويقف بغير ألف فى الوقف متابعةً للمصحف ؛ لأن الكتابة على الوقف لا على الوصل ، وكذلك قال عيسى بن عُمر الثقفى — وكان من الموثوق بعلمهم فى العربية — : العربُ كلها تقول « حاشى لله » بالألف ، وهذه حجة لأبى عمرو .

والوجه الثانى : أنا نسلم أن الأصل فيه حاشى بالألف ، وإنما حذفت لكثرة الاستعمال ، وقولهم « إن الحرف لا يدخله الحذف » قلنا : لا نسلم ، بل الحرف يدخله الحذف ، ألا ترى أنهم قالوا فى رُبَّ : رُبَ ، بالتخفيف ، وقد قرىء به ، قال الله تعالى : (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ثم قال الشاعر :

١٦٩ — أَزُهَيْرُ إِنْ يَشِبِ القَذَالُ فَإِنَّهُ
رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

١٦٩ — هذا البيت من كلام أبى كبير الهذلى ، واسمه عامر بن حلس ، وقد استشهد بالبيت رضى الدين فى شرح الكافية فى باب حروف الجر ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/١٦٥) وأنشده موفق الدين بن يعيش (ص ١٠٩٣) وقوله « أزهير » الهمزة فيه للنداء ، وزهير : اسم ابن الشاعر ، بدليل قوله فى قصيدة أخرى :

أزهير هل عن شيبة من مقصر ... أم لا سبيل إلى الشباب المدبر
فقد الشباب أبوك إلا ذكره ... فاعجب لذلك فعل دهر وامكر

والقذال — بفتح القاف ، بزنة السحاب — مابين نقرة القفا وأعلى الأذن ، وهو آخر موضع من الرأس يشيب شعره ، وربما أطلق القذال وأريد الرأس كله من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة كله ، والهيضل — بزنة جعفر — الجماعة من الناس ، ولجب — بفتح اللام وكسر الجيم — معناه كثير الجلبة مرتفع الأصوات ، ويروى فى مكانه « مرس » بفتح فكسر — ومعناه شديد ، وقوله « لففت » يروى بفاءين ومعناه جمعت ، ويروى « لفقت » بفاء بعدها قاف ، ومعناه جمعت أيضاً ، يريد أنه جمع جيشاً بجيش للحرب والطعان .

وقال الآخر :

١٧٠ — أَلَمْ تَعْلَمَنْ يَارَبِّ أَنْ رُبَ دَعْوَةٍ
دَعَوْتُكَ فيها مُخْلِصاً لَوْ أُجَابُهَا

وفى رُبَّ أربعُ لغاتٍ : ضم الراء ، وفتحها ، مع تشديد الباء وتخفيفها ، نحو : رُبَّ ، ورُبَ ، ورَبَّ ، ورَبَ . وكذلك حكيتم عن العرب أنهم قالوا فى سوف أفعلُ : « سَوْ أفعلُ » بحذف الفاء ، وحكاه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى أماليه ، وحكى ابن خَالَوَيْهِ فيها أيضاً « سَفَ أَفْعَلُ » بحذف الواو ، وزعمتم

= والاستشهاد بالبيت فى قوله « رب هيضل » حيث جاء رب مخففة بياء واحدة ، وقد اختلف العلماء فى الباء الباقية : أساكنة هى أم مفتوحة ، فذكر قوم منهم ابن جنى أنها ساكنة ، وعليه يكون الشاعر قد حذف الباء الثانية التى كانت مفتوحة وأبقى الأولى على حالها التى كانت عليها ، وينشدون بالسكون قول الشاعر :

ألا رب ناصر لك من لؤى كريم لو تناديه أجابا

ومنهم من روى « رب » فى بيت الشاهد بفتح الباء ، وصرح العسكرى فى كتاب التصحيف بالوجهين ، وقد قال أبو على فى كتاب الشعر : الحروف على ضربين : حرف فيه تضعيف ، وحرف لاتضعيف فيه ؛ فالأول قد يخفف بالحذف منه كما فعل ذلك فى الاسم والفعل بالحذف والقلب ، وذلك نحو إن وأن ولكن ورب ، والقياس إذا حذف المدغم فيه أن يبقى المدغم على السكون ، وقد جاء :

* أزهير إن يشب القذال . . . البيت *

ويمكن أن يكون الآخر منه حرك لما لحقه الحذف والتأنيث فأشبه بهما الأسماء » اه .

١٧٠ — لم أقف لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، وألفاظه ومعانيه ظاهرة ، والاستشهاد به فى قوله « رب دعوة » حيث ورد فيه « رب » مخففا بحذف أحد الباءين ، والكلام فيه كالكلام فى الشاهد السابق ، ولكن بينهما فرقا من جهة واحدة ، وتلخيصها أن « رب » فى البيت السابق مخففة قطعا ، إذ لايصح وزن البيت إلا على تخفيفها إما بسكون بائها وإما بفتحها ، أما فى هذا البيت فالوزن يتم على تخفيفها وعلى تشديدها ، بل قد يكون تشديدها أوفق ، ولا دليل على التخفيف إلا الرواية ، وقد أتى المؤلف بالبيت السابق ، فيكون قد روى عن أثبات العلماء التخفيف فى هذا البيت أيضاً .

أيضاً أن الأصل فى سأفعل : سوف أفعل ، لحذفت الواو والفاء معاً ، وسوف حرف ، وإذا جوزتم حذف حرفين فكيف تمنعون جواز حذف حرف واحد ؟ فدلّ على فساد ما ذكرتموه ، والله أعلم .

٣٨ — مسألة

[هل يجوز بناء « غير » مطلقا ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « غير » يجوز بناؤها على الفتح فى كل موضع [١٣٠] يحسن فيه « إلاَّ » سواء أُضيفت إلى متمكن أو غير متمكن ، وذلك نحو قولهم : ما نفعنى غير قيام زيد ، وما نفعنى غير أنْ قامَ زيد .

وذهب البصريون إلى أنها يجوز بناؤها إذا أُضيفت إلى غير متمكن ، بخلاف ما إذا أضيفت إلى متمكن .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جوزنا بناءها على الفتح إذا أضيفت إلى اسم متمكن أو غير متمكن وذلك لأن « غير » ها هنا قامت مقام « إلاَّ » وإلاَّ حرفُ استثناء ، والأسماء إذا قامت مقام الحروف وَجَبَ أن تُبْنَى ، وهذا لا يختلف باختلاف ما يضاف إليه من اسم متمكن كقولك : ما نفعنى غير قيامك ، أو غير متمكن كما قال :

١٧١ — لَمْ يَمْنَعِ الشَّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ
حَمَامَةٌ فِى غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : كتاب سيبويه (١ / ٣٦٨) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ١٥٩ و١٦٦) وشرح الأشمونى (٣ / ٤٢١ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٢/٢٢١) .

١٧١ — هذا البيت قد استشهد به سيبويه (١ / ٣٦٩) ولم يعزه ، وعزاه الأعلم إلى رجل من كنانة ولم يعينه ، واستشهد به رضى الدين فى باب الاستثناء وفى باب الظرف =

. . . .

—

=وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٥) ونسبه لأبى قيس بن الأسلت ،وأنشده ابن منظور (و ق ل) ولم يعزه، واستشهد به ابن هشام فى مغنى اللبيب مرتين (رقم ٢٦٢) فانظره فى (ص ١٥٩ و ٥١٧) والأوقال : الأعالى وهو أيضاً ثمار الدوم ، ومنه قالوا « توقل فى الجبل » أى صعد وارتفع . يقول الشاعر : لم يمنعنا من التعريج على الماء إلا صوت حمامة ذكرتنا من نحب فهيجتنا وحثتنا على السير ، وموطن الاستشهاد فيه قوله « غير أن نطقت » فإن الرواية فيه بفتح « غير » مع أنها فاعل لقوله « لم يمنع » فدل ذلك على أنه بناها على الفتح ، قال الأعلم : « الشاهد فيه بناء غير على الفتح لإضافتها إلى غير متمكن ، وإن كانت فى موضع رفع ، وذلك أن « أن » حرف يوصل بالفعل، وإنما تؤولت اسما مع ما بعدها من صلتها لأنها دلت على المصدر ونابت منابه فى المعنى ، فلما أضيفت غير إليها مع لزومها للاضافة بنيت معها ، وإعرابها على الأصل جائز حسن ، ونظير بنائها بناء أسماء الزمان إذا أضيفت إلى الجمل والأفعال ، كقولك : عجبت من يوم قام زيد ومن يوم زيد قائم ؛ لأن حق الإضافة أن تقع على الأسماء المفردة دون الأفعال والجمل ، فلما خرجت عن أصلها بنى الاسم » اه وقال سيبويه : « والحجة على أن هذا فى موضع رفع أن أبا الخطاب حدثنا أنه سمع من العرب الموثوق بهم من ينشد هذا البيت رفعا :

* لم يمنع الشرب منها . . . البيت *

وزعموا أن ناسا من العرب ينصبون هذا الذى فى موضع الرفع ، فقال الخليل : هذا كنصب بعضهم يومئذ فى كل موضع، فكذلك غير أن نطقت ، وكما قال النابغة :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت : ألما تصح والشيب وازع؟

كأنه جعل حين وعاتبت اسما واحدا » اه .

وقد جعل الأعلم إضافة غير فى هذا البيت إلى غير متمكن – أى إلى مبنى – بسبب وجود « أن » المصدرية فى صدر المضاف إليه ، مع علمه أن أن المصدرية حرف ، وأن الحرف لايقع فى موقع من مواقع الإعراب أصلا ؛ فلا يكون مضافا إليه ؛ بل مع علمه أن هذا الحرف المصدرى مع مدخوله فى تأويل اسم مفرد معرب – وهو المصدر المسبوك من أن ومدخولها – وأنت لو تأملت فى هذا البيت وجدت البصريين والكوفيين متفقين على جواز بناء غير فى هذا البيت وأمثاله ، ولكن الاختلاف بينهم فى تعليل هذا البناء ، فالكوفيون يعللونه – على ماقال المؤلف عنهم – بأنها قامت=

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز بناؤها إذا أضيفت إلى غير متمكن ، ولا يجوز بناؤها إذا أضيفت إلى متمكن ، وذلك لأن الإضافة إلى غير المتمكن تجوّز فى المضاف البناء ، قال تعالى : (وهم مِنْ فزع يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فبنى « يَوْمَ » فى قراءة مَنْ قرأ بالإضافة والفتح، وهى قراءة نافع وأبى جعفر؛ لأنه أضيف إلى « إذ » وهو اسم غير متمكن ، وقال الشاعر :

١٧٢ — رَدَدْنَا لِشَعْثَاءَ الرَّسُولَ ، ولا أَرَى كَيَوْمَئِذٍ شيئاً تُرَدُّ رَسَائِلُهْ

= مقام إلا الاستثنائية ، والبصريون قد عللوه بأنها أضيفت إلى مبنى فاكتسبت البناء من المضاف إليه ، وذلك كما يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير أو التأنيث ، وقد فصل ابن هشام فى مغنى اللبيب (ص ٥١٠ ومابعدها) الأمور التى يكتسبها المضاف من المضاف إليه ، فارجع إليها إن شئت .

ومن شواهد بناء غير لكونها أضيفت إلى مبنى — على مايقول البصريون — قول الشاعر وأنشده ابن هشام فى المغنى :

لذ بقيس حين يأبى غيره تلقه بحرا مفيضا خيره

الرواية فى هذا البيت بفتح « غيره » بدليل الروى ، ونظير ما أنشده المؤلف فى بناء غير لكونها أضيفت إلى جملة مصدرة بأن قول الحارث بن حلزة اليشكرى من قصيدته التى تعد فى المعلقات ، وهو من شواهد الرضى :

غير أنى قد أستعين على الهـــــم إذا خف بالثوى النجاء

فغير ههنا استثناء منقطع ، وهى مفتوحة ، ويجوز أن تكون فتحتها فتحة إعراب ، ويجوز أن تكون فتحة بناء ، وفى هذا القدر كفاية ومقنع إن شاء الله .

١٧٢ — لم أعثر لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، وشعثاء : اسم امرأة ، والرسول هنا الرسالة ، ومنه قول كثير عزة :

لقد كذب الواشون ، مابحت عندهم بسر ، ولا أرسلتهم برسول

وقول الأسعر الجعفى :

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا بأنى عن فتاحتكم غنى

وقول العباس بن مرداس السلمى :

ألا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت أهلك منتهاها ؟ =

فكذلك هاهنا، وسبب هذا يُسْتَقْصَى فى الجواب إن شاء الله تعالى ،وأما الإضافة إلى المتمكن فلا تُجَوِّز فى المضاف البناء فقلنا : إنه باقٍ على أصله فى الإعراب ، فكذلك هاهنا ؛ وسنبين هذا مُسْتَقْصًى فى الجواب إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنها فى معنى إلاّ فينبغى أن تبنى » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأنه لو جاز أن يقال ذلك لجاز أن يقال : « زَيْدٌ مِثْلَ عَمْرٍو » فيبنى [مثل] على الفتح لقيامه مقام الكاف ؛ لأن قولك : « زَيد مِثلُ عمرو » فى معنى « زيد كعمرو » ولما وقع الإجماعُ على خلاف ذلك دلّ على فساد ماادعيتموه .

وأما قول الشاعر :

لَمْ يَمْنَعِ الشَّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ
حَمَامَةٌ فى غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ [١٧١]

[١٣١] فنقول : لانسلم أنه بنى لأنه قام مقام « إلا » وإنما بنى « غيرَ » لأنه أضافه إلى غير متمكن ، والاسمُ إذا أضيف إلى غير متمكن جاز بناؤه ، ولهذا نظائر كثيرة من كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (إنه لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكم تَنْطِقُونَ) فى قراءة من قرأ (مِثْلَ) بالفتح ، وهى قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر

= والاستشهاد بالبيت فى قوله « كيومئذ » فإن الرواية فيه بفتح يوم مع أنه مدخول حرف الجر ، فدل ذلك على أنه بناه على الفتح لإضافته إلى المبنى ــ وهو « إذ » ــ وأنت خبير بأن تنوين « إذ » هو تنوين العوض عن الجملة التى من حق « إذ » أن يضاف إليها ، كما فى قوله تعالى : (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) تقديره : ويوم إذ يغلب الروم يفرح المؤمنون ، وكذلك قوله سبحانه : (وهم من فزع يؤمئذ) فى قراءة من قرأ بفتح يوم ، ويجوز الإعراب مع ذلك ، فتجعل فتح يوم فى الآية الأولى فتح الإعراب وأنه منصوب على الظرفية متعلق بيفرح ، وقد قرىء فى الآية الثانية بجر يوم من يومئذ ، وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى .

وأبي جعفر ويعقوب ، وإن كان في موضع رفع ؛ لأنه اسم مبهم مثل غير أضيف إلى غير متمكن ، وقال تعالى : (ومِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ) فيمن قرأ بالفتح ، وقال تعالى : (مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ) فيمن قرأ بالفتح ، وهي قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر ، ثم قال الشاعر :

١٧٣ — أَزْمَانَ مَنْ يُرِدِ الصَّنِيعَةَ يُصْطَنَعْ فِينَا ، وَمَنْ يُرِدِ الزَّهَادَةَ يُزْهَدِ

فبنى « أَزْمَانَ » لإضافته إلى « مَنْ » وهو غير متمكن ، وقال الآخر :

١٧٤ — عَلَى حِينَ مَنْ تَلْبَثْ عَلَيْهِ ذَنُوبُهُ
يَجِدْ فَقْدَهَا وفي الْمَقَامِ تَدَابُرُ

---

١٧٣ — الصنيعة : كل معروف تسديه إلى غيرك تصطنعه به ، أي تجعله من نفرك ، وقال الشاعر :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها مكان المصنع

والاستشهاد بالبيت في قوله « أزمان من يرد — إلخ » فإنه يجوز في « أزمان » أن يكون مبنيا على الفتح لكونه ظرفا مبهما قد أضيف إلى جملة مصدرة باسم مبني — وهو من — ويجوز أن يكون منصوبا على الظرفية ، ونظيره قول العجاج :

أزمان أبدت واضحا مفلجا أغر براقا وطرفا أدعجا

١٧٤ — هذا البيت من كلام لبيد بن ربيعة العامري ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٤٤١) والرضي في باب الجوازم ، وشرحه البغدادي في الخزانة (٣ / ٦٤٩) والذنوب — بفتح الذال — الدلو إذا كانت مملوءة بالماء ، وقد ضربه مثلا لما يدلي به من الحجة ، وقوله « يجد فقدها » روى سيبويه في مكان هذه العبارة « يرث شربه » والشرب — بالكسر — الحظ من الماء ، والمقام : أراد به مقاما فاخر فيه غيره وكثرت المخاصمة فيه والمحاجة ، والتدابر — بالباء الموحدة — التقاطع ، وأصله أن يولى كل واحد من الخصمين صاحبه دبره ، وروى سيبويه « تداثر » بالثاء المثلثة — وهو التزاحم . وأصله مأخوذ من الدثر — بفتح الدال وسكون الثاء — وهو المال الكثير .
والاستشهاد بالبيت في قوله « على حين من — إلخ » فإن الرواية فيه بفتح حين مع دخول حرف الجر عليها ، وذلك دليل على أن الشاعر بنى هذه الكلمة على الفتح ؛ إذ لو كان أعربها لجرها بالكسرة ، وإنما بناها لكونها مضافة إلى جملة صدرها مبني — وهو =

فبنى « حينَ » لإضافته إلى « مَن » وقال الآخر :

١٧٥ — عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا
وَقُلْتُ : أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ ؟

وقال الآخر :

١٧٦ — عَلَى حِـــينَ انْحَنَيْتُ وَشَابَ رَأْسِي
فَأَيَّ فَتًى دَعَوْتِ وَأَيَّ حِـــينِ ؟

= « من » — وقد ذكر سيبويه أن إضافة « حين » إلى « من » الشرطية ضرورة من ضرورات الشعر ، قال الأعلم : « الشاهد مجازاته بمن مع إضافة حين إلى جملة الشرط ضرورة ، وحكمها ألا تضاف هى وإذا إلا إلى جملة مخبر بها ، والمبهمات إنما تفسر وتوصل بالأخبار ، وجاز هذا فى الشعر تشبيها لجملة الشرط بجملة الابتداء والخبر والفعل والفاعل » اه.

١٧٥ — هذا البيت من كلام النابغة الذبيانى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٦٩) وابن يعيش (٣٣٥ و ٥٤٥) ورضى الدين فى شرح الكافية فى باب الظروف ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/١٥١) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٧٧) والأشمونى (رقم ٦١٨) وأوضح المسالك (رقم ٣٢٥) وابن عقيل (رقم ٢٣٧) وشذور الذهب (رقم ٢٥) وعاتبت : فعل ماض من العتاب ، وهو اللوم فى تسخط وكراهية ، والمشيب : الشيب ، والصبا — بكسر الصاد — الصبوة وهى الميل إلى شهوات النفس واتباع لذائذها ، وأصح : مضارع من الصحو ، وأصله ضد السكر ، وأراد هنا الرجوع إلى ماهو خليق به من كمالات النفس ، والوازع : اسم الفاعل من وزعه يزعه — كوضع يضع — أى نهاه وزجره وكفه عن فعل القبائح . والاستشهاد به فى قوله « على حين عاتبت » فإنه يروى بفتح حين وبجره ، أما فتحه — مع دخول حرف الجر عليه — فبسبب بنائه على الفتح لكونه أضيف إلى جملة صدرها فعل ماض مبنى ، فاكتسب المضاف البناء من المضاف إليه ، وأما جره فعلى الأصل ، فمجموع الروايتين يدل على أن الظرف المبهم إذا أضيف إلى جملة صدرها مبنى جاز فيه الإعراب على أصله والبناء لاكتسابه البناء مما أضيف إليه .

١٧٦ — انحنيت : أراد كبرت سنى وضعفت قوتى فصرت لا أمشى إلا منحنى الظهر والاستشهاد به فى قوله « على حين انحنيت » حيث وردت « حين » بالفتح مع دخول حرف الجر عليها ، فيدل ذلك على أنه بناها على الفتح لإضافتها إلى جملة صدرها مبنى وهو الفعل الماضى ، والكلام فيه كالكلام فى الأبيات السابقة .

وقال الآخر :

١٧٧ — يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافاً عِيَابُهُمْ
وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ
فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

و إذا بنى المضاف فى هذه الأماكن من كتاب الله تعالى وكلام العرب لإضافته إلى غير متمكن دَلَّ على أن قوله « غير أن نطقت » مبنىٌّ لإضافته إلى غير متمكن على ما بينا ، والله أعلم .

---

١٧٧ — هذان البيتان من شواهد سيبويه (١/٥٩) ولم يعزها ولا عزاهما الأعلم، وقد أنشدهما ابن منظور (ن د ل) من غير عزو ، وهما من شواهد الأشمونى (رقم١٤) وأوضح المسالك (رقم ٤٨) وابن عقيل (رقم ١٦٢) وقد نسبهما العينى إلى الأحوص ثم قال : « وذكر فى الحماسة البصرية أن قائلهما هو أعشى همدان يهجو لصوصا ، وقال الجوهرى : قال جرير يصف ركبا :

* يمرون بالدهنا خفافا . . . *

والأظهر ما قاله فى الحماسة » اهـ ، وقال ابن منظور : « وندل التمر من الجلة والخبز من السفرة يندله ندلا : غرف منهما بكفه جمعاء كتلا ، وقيل : هو الغرف باليدين جميعا ، والرجل مندل بكسر الميم ، وقال يصف ركبا ويمدح قوم دارين بالجود .

* يمرون بالدهناء ... البيتين *

يقول : اندلى يا زريق — وهى قبيلة — ندل الثعالب ، يريد السرعة ، والعرب تقول : أكسب من ثعلب ، قال ابن برى : وقيل فى هذا الشاعر : إنه يصف قوما لصوصا يأتون إلى دارين فيسرقون ويملئون حقائبهم ثم يفرغونها ويعودون إلى دارين ، وقيل : يصف تجارا ، وقوله « على حين ألهى الناس جل أمورهم » يريد حين اشتغل الناس بالفتن والحروب ، والبجر : جمع أبجر ، وهو العظيم البطن ، والندل : التناول، وبه فسر بعضهم قوله فندلا زريق المال » اهـ كلامه بحروفه . والاستشهاد به ههنا فى قوله « على حين ألهى الناس » فإن الرواية فيه قد جاءت بفتح «حين» مع دخول حرف الجر عليه ؛ فدل على أنه بناء ، والكلام فيه كالكلام فى الأبيات السابقة .

[١٣٢] ٣٩ — مسألة

[هل تكون « سوى » اسماً أو تلزم الظرفية ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أنَّ «سِوًى» تكون اسماً وتكون ظرفا . وذهب البصريون إلى أنها لا تكون إلا ظرفا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها تكون اسماً بمنزلة « غير » ولا تلزم الظرفية أنهم يدخلون عليها حرف الخفض ، قال الشاعر :

١٧٨ — وَلاَ يَنْطِقُ المَكْرُوهَ مَنْ كَانَ مِنْهُمُ
إِذَا جَلَسُوا مِنَّا وَلاَ مِنْ سِوَائِنَا

(١) انظر فى هذه المسألة: شرح الأشمونى (٢/٤٧٦ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٢/١٤١ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (١/٤٣٦) وشرح رضى الدين على الكافية (١/٢٢٧) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٢٩٨) وشرح ابن عقيل (١/٥١٧ بتحقيقنا) ولسان العرب (س و ى) .

١٧٨ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/١٣ و ٢٠٣) وأنشده ابن منظور (س و ى) وقد استشهد به الأشمونى (رقم ٤٥٤) وابن عقيل (رقم ١٧١) والبيت من كلام المرار بن سلامة العجلى ، وقد نسب فى كتاب سيبويه إليه مرة (١/١٣) ونسب مرة أخرى (١/٢٠٣) لرجل من الأنصار غير معين ، وقوله « ولا ينطق المكروه » يروى مكانه فى «ولا ينطق الفحشاء» والفحشاء : الكلام القبيح ، تقول : أفحش الرجل فى كلامه ، وفحش — بتشديد الحاء — وتفحش ؛ إذا أردت أنه يتكلم بقبيح الكلام ، وقوله « إذا جلسوا » رويت هكذا فى كتاب سيبويه (١/١٣) ورويت فيه أيضاً (١/٢٩٣) « إذا قعدوا » والمعنى واحد : والاستشهاد بالبيت فى قوله « ولا من سوائنا » حيث أتى بسواء مجزورة بمن ، والكوفيون يستدلون بهذا البيت ونحوه على أن « سوى » تخرج عن النصب على الظرفية إلى التأثر بالعوامل فتقع مبتدأ وفاعلا واسما لأن ومجرورا بحروف الجر ، وسيبويه وشيخه الخليل ينكران ذلك ، ويزعمان أنها =

فأدخل عليها حرف الخفض ، وقال الشاعر :

١٧٩ — تَجَانَفُ عَنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي
وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوائِكَا

فأدخل عليها لامَ الخفض ؛ فدل على أنها لاتلزم الظرفية ، وقال أبو دُؤَاد :

١٨٠ — وكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنْ الْمَوْتَ مُخْطِئُهُ
مُعَلَّلٌ بِسَوَاء الْحَقِّ مَكْذُوبُ

= بجميع لغاتها لا تخرج عن النصب على الظرفية إلا في ضرورة الشعر، ولكن كثرة الشواهد الواردة عن العرب المحتج بكلامهم—وفيها استعمال هذه الكلمة في مواضع كثيرة من مواضع الإعراب— ترجح مذهب الكوفيين ،وقريب منه مذهب الرماني وأبي البقاء العكبري : زعما أن « سوى » تستعمل ظرفا وتستعمل غير ظرف ، إلا أن مجيئها منصوبة على الظرفيه أكثر ، وقد رجحه ابن هشام في مغنى اللبيب ، قال « وإلى مذهبها أذهب » اهـ .

١٧٩ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١٣/١) وقد نسبه إلى الأعشى ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى ، وأنشده ابن منظور (س و ى) وهو من شواهد الرضي في باب الاستثناء ، وشرحه البغدادي في الخزانة (٥٩/٢) وقوله « تجانف » هو فعل مضارع ، وأصله تتجانف ، فحذف إحدى التاءين ، والتجانف : الانحراف ، وصف أنه لا يعدل في قصده على غير هذا الممدوح ، وجعل الفعل للناقة مجازا . والاستشهاد بالبيت في قوله « لسوائكا » حيث أتى بسواء متأثرة بالعامل الذي هو لام الجر ، فدل ذلك على أنها تخرج عن النصب على الظرفية إلى الوقوع في مواقع الإعراب المختلفة ، على نحو ما بيناه في شرح البيت السابق .

١٨٠ — هذا البيت من كلام أبي دواد — كما قال المؤلف — واسم أبي دواد جويرية بن الحجاج ، ويقال : جارية بن الحجاج ، وهو من شواهد الأشموني (رقم ٤٥٥) وقوله « مخطئه » هو اسم الفاعل من قولك « أخطأك كذا » أي فاتك ولم يصبك ، وفي الحديث « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » وقوله « معلل » هو اسم المفعول من قولك « عللت فلانا بكذا » إذا شغلته ولهيته به عن شيء يرغب فيه، وسواء الحق : أي غيره، والاستشهاد به في قوله «بسواء الحق» =

وقال الآخر :

١٨١ — أَكُرُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لا أُبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا

فسواها : في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في «فيها» والتقدير: أم في سواها .

والذي يدل على ذلك أنه روى عن بعض العرب أنه قال « أتاني سواؤك » فرفع ؛ فدلّ على صحة ماذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنهم ما استعملوه في اختيار الكلام إلا ظرفا ، نحو قولهم « مررتُ بالذي سواك » فوقوعها هنا يدل على ظرفيتها بخلاف غير ، ونحو قولهم « مررتُ برجل سواك » أي مررت برجل مكانك ، أي : يغني غَنَاءَكَ ويسدُّ مَسَدَّكَ ، وقال لبيد :

١٨٢ — وَأَبْذُلُ سَوَامَ الْمَالِ إِنَّ سِوَاءَهَا دُهْمًا وَجُونَا

= حيث أتى بكلمة « سواء » متأثرة بالعامل الذي هو باء الجر ، وهو دليل للكوفيين على أنها لا تلزم النصب على الظرفية كما يقول سيبويه والخليل ، وقد بينا ذلك في شرح الشاهد ١٧٨ .

١٨١ — أكر : أي أرجع ، يريد أنه يقدم ولا يفر ، والكتيبة : الجماعة من الجيش ، والحتف — بفتح الحاء وسكون التاء المثناة — الموت والهلاك . وقد أنشد الكوفيون هذا البيت دليلا على أن « سوى » تخرج عن النصب على الظرفية إلى التأثر بالعوامل ، وذلك أنهم أعربوا « سوى » معطوفا على الضمير المجرور محلا بفي في قوله « أفيها » وتقدير الكلام عندهم : أفي هذه الكتيبة كان هلاكه أم في كتيبة أخرى ، ولم يرتض المؤلف هذا الإعراب مع أنه هو المتبادر ، وجعل « سوى » منصوبا على الظرفية كما هو مبين في كلامه .

١٨٢ — هذا البيت من كلام لبيد بن ربيعة العامري ، وسوام المال — بفتح السين والواو جميعا — الذي يرعى حيث شاء لا يمنعه أحد ، وهي أيضا سائمة ، وقد سامت تسوم ، وأسامها صاحبها ، وقال الله تعالى : (فيه تسيمون) والدهم : جمع الأدهم وهو الذي لونه الدهمة — بالضم — وهي السواد ، وتكون الدهماء والدهم خيار الخيل =

فنصب سواءها على الظرف ، ونصب « دُهْماً » بإنَّ ، كقولك : إن عندكَ رجلا قال الله تعالى : (إن لدينا أنكالا) والجون هاهنا : البِيضُ ، وهو جمع جَوْن ، وهو من الأضداد ، يقع على الأبيض والأسود ، ولو كانت مما يستعمل اسماً [١٣٣] لكثر ذلك فى استعمالهم ، وفى عدم ذلك دليل على أنها لاتستعمل إلا ظرفا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما أنشدوه من قول الشاعر :

* إذا جلسوا منا ولا من سوائنا * [١٧٨]

وقول الآخر :

* وما قَصَدَتْ من أهلها لسوائكا * [١٧٩]

فإنما جاز ذلك لضرورة الشعر ، وعندنا أنه يجوز أن تخرج عن الظرفية فى ضرورة الشعر ، ولم يقع الخلاف فى حال الضرورة ، وإنما فعلوا ذلك واستعملوها اسماً بمنزلة غير فى حال الضرورة لأنها فى معنى غير ، وليس شىء يضطرون إليه إلا ويحاولون له وجها .

وأما قول الآخر :

* أفيها كان حتفى أم سِوَاها * [١٨١]

= والإبل عندهم ، والجون — بضم الجيم — جمع جون بفتحها ، وهو الأسود ، وهو أيضاً الأبيض . ويقال : كل بعيرجون من بعيد ، وكل لون سواد مشرب حمرةفهوجون. والاستشهاد بالبيت فى قوله « إن سواءها دهما وجونا » حيث استعمل « سواء » ظرفا متعلقا بمحذوف يقع خبرا لإن مقدما على اسمها ، و « دهما » اسم إن تأخر عن خبرها ، ولو أنه لم يستعمل سواء ظرفا لنصبه على أنه اسم إن ورفع ما بعده ؛ وذلك لأن اسم إن لا يتأخر عن خبرها إلا أن يكون الخبر ظرفا نحو قوله تعالى : (إن لدينا أنكالا وجحيما) أو جارا ومجرورا نحو قوله سبحانه : (وإن لكم فى الأنعام لعبرة)

وأنت خبير — بعد الذى قررناه لك — أن الكوفيين لا يمانعون فى أن تستعمل «سواء » بجميع لغاتها ظرفا ، ولكنهم يقررون أنها كما تكون ظرفا تكون غيرظرف وتقع فى جميع مواقع الإعراب متأثرة بالعوامل ؛ فهذا الشاهد وغيره وآلاف الشواهد التى استعملت سواء فيها ظرفا لا تنقض مذهبهم ، فتنبه لذلك والله يعصمك .

فليس « سواها » فى موضع جر بالعطف على الضمير المخفوض فى فيها، وإنما هو منصوب على الظرف؛ لأن العطف على الضمير المجرور لا يجوز، وإنما هذا شىء تَبْنُونه على أصولكم فى جواز العطف على الضمير المخفوض، وسنبين فساده مستقصًى فى موضعه إن شاء الله تعالى.

وأما ماروه عن بعض العرب أنه قال « أتانى سِوَاؤُكَ » فرواية تَفَرَّدَ بها الفراء عن أبى ثَرْوانَ، وهى روايةٌ شاذة غريبة؛ فلا يكون فيها حجة. والله أعلم.

٤٠ — مسألة

[« كم » مركبة أو مفردة ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن « كَمْ » مركبة. وذهب البصريون إلى أنها مفردة موضوعة للعدد.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الأصل فى كم « ما » زيدت عليها الكاف؛ لأن العرب قد تصل الحرف فى أوله وآخره، فما وصلته فى أوله نحو: « هذا، وهذاك » وما وصلته فى آخره نحو قوله تعالى: (إمَّا تُرِيَنِّى مايُوعَدُونَ) فكذلك هاهنا: زادوا الكاف على «ما» فصارتا جميعاً كلمة واحدة، وكان الأصل أن يقال فى « كم مالك» : كما مالك، إلا أنه لما كثرت فى [١٣٤] كلامهم وجرت على ألسنتهم حذفت الألف من آخرها وسكنت ميمها، كما فعلوا فى « لِمْ » فصار «كم مالك» والمعنى: كأىِّ شىء مالُكَ من الأعداد، والدليلُ على ذلك قولُهم « كأيِّنْ من رجلٍ رأيت » أى: كم من رجل رأيت، ونظيركم « لِمَ » فإن الأصل فى لِمَ

---

(١) انظر قبل كل شىء مناقشة الفريقين فى المسألة الخامسة والعشرين، ثم انظر: شرح الأشمونى وحاشية الصبان عليه (٤/٧٠ بولاق) وشرح الكافية لرضى الدين (٢/٨٩) ولسان العرب (ك م م).

« ما » زيدت عليها اللام ؛ فصارتا جميعاً كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال وسكنت ميمها ، فقالوا : لِمْ فعلْتَ كذا ؟ قال الشاعر :

يا أبَا الأسْوَدِ لِمْ أَسْلَمْتَنِي لِهُمُومٍ طَارِقَاتٍ وذِكَرْ ؟ [١٣١]

وقال الآخر :

١٨٣ — يا أَسَدِيُّ لِمْ أكَلْتَهُ لِمَهْ ؟ لَوْ خَافَكَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَّمَهْ
فَمَا قَرِبْتَ لَحْمَهُ وَلاَدَمَهْ

يعني جَرْوَ كلب ، ويقال : إن بني أسد كانت تأكله ، فتعير ذلك .

وزيادة الكاف كثيرة ، قال الله تعالى : (ليس كمثلِهِ شيء) وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقِطَ ؟ قال : كَهَيِّنٍ ، وقال الراجز :

١٨٤ — * لَوَاحِقُ الأقْرابِ فيهَا كالْمَقَقْ *

أي : الْمَقَقُ ، وهو الطُّولُ .

---

١٨٣ — أنشد ابن منظور هذا الشاهد (روح) ونسبه إلى سالم بن دارة ، ولكنه روى أوله «يافقعسى» والفقعسى : المنسوب إلى فقعس ، والأسدى : المنسوب إلى أسد ، و « لم » مؤلفة من لام الجر مكسورة و « ما » الاستفهامية ، وقد حذف ألف « ما » الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها كما عرفت في شرح الشاهد رقم١٣١ ، ثم لم يكتف بحذف الألف حتى سكن الميم بعد أن كانت مفتوحة ، و « لمه » مؤلفة كسابقتها من لام الجر مكسورة و«ما» الاستفهامية، وهذه الهاء يجوز أن تكون هاء السكت اجتلبها الراجز ليقف على «ما» الاستفهامية بعد حذف ألفها لكونها مجرورة بحرف الجر ، ويجوز أن يكون قلب ألف « ما » هاء حين أراد الوقف ، كما فعل راجز آخر في قوله ، وأنشده ابن يعيش (٤٥٤ و ١٢٨٢) :

قد وردت من أمكنه من ههنا ومن هنه
* إن لم أروها فمه *

ألا ترى أنه قلب ألف « هنا » هاء ، وقلب ألف «ما» في قوله « فمه » هاء ، وأصل الكلام : إن لم أروها فما يكون ؟ وأنت ترى أن الراجز الذى استشهد به المؤلف قد حذف ألف«ما»الاستفهامية وسكن الميم مرة، وقلب ألفها هاء مرة أخرى، وهذا نوع من التصرف في الاسم الذى يشبه الحرف ، وهو ما يريد المؤلف أن يقرره ، فافهم ذلك والله يرشدك .

١٨٤ — هذا البيت من الرجز المشطور، وهو من أرجوزة طويلة لرؤبة بن العجاج، =

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنها مفردَة لأن الأصل هو الإفراد ، وإنما التركيب فرع ، ومَنْ تمسك بالأصل خرج عن عُهْدة المطالبة بالدليل ، ومَنْ عَدَلَ عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل ؛ لعدوله عن الأصل ، واستصحابُ الحالِ أحد الأدلة المعتبرة .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الأصل في كم مازيدت عليها الكاف » قلنا: لانسلم ؛ فإن هذا مجرد دعوى من غير دليل ولا معنى

قولهم « إن العرب قد تصل الحرف في أوله نحو هذا » فقد قدمنا الجواب عنه فيما سبق .

= والبيت من أبيات منها وصف فيها حمار وحش وأتنه التي شبه ناقته بها في الجلادة وسرعة العدو ، وليس في وصف الخيل كما زعم العيني ، وقبل البيت قوله :

* قب من التعداء حقب في سوق *

وهو من شواهد الأشموني (رقم ٥٦٠) وابن عقيل (رقم ٢١٠) ورضي الدين في شرح الكافية في باب حروف الجر ، وشرحه البغدادي في الخزانة (٤/٢٦٦) وابن منظور (م ن ل) والقب : جمع أقب أو قباء ، وهو وصف من القبب — بالتحريك — وهو دقة الخصر ، يريد أنهن ضامرات البطون ، والتعداء : أحد مصادر « عدا يعدو » أي أسرع السير ، والحقب : جمع أحقب أو حقباء ، والسوق — بفتح السين والواو جميعا — طول الساق أو غلظها أو حسنها ، واللواحق : جمع لاحقة ، وهي الهزيلة الضامرة ، وفعله من باب فرح ، والأقراب : جمع قرب — كقفل أو عنق — وهو البطن ، والمقق — بالتحريك — الطول ، ويقال : هو الطول الفاحش في دقة . والاستشهاد بالبيت في قوله « كالمقق » فإن الكاف في هذه الكلمة حرف جر زائد لا يدل على معنى التشبيه ، وهذا تخريج جماعة من النحاة منهم أبو علي الفارسي وابن جني وابن السراج والرضي ، وحمل أبو علي على زيادة الكاف قوله تعالى : (أو كالذي مر على قرية) فزعم أن تقدير الكلام : أرأيت الذي حاج إبراهيم في ربه ، أو الذي مر على قرية ، وهذا يدل على أنه لا يرى زيادة الكاف قاصرة على الضرورة الشعرية ، فتنبه لهذا .

وأما قولهم « كان الأصل أن يقال فى كم مالك : كما مالك ، إلا أنه لما كثر فى كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفت الألف لكثرة الاستعمال وسكنت الميم ، كما فعلوا ذلك فى لِمَ » قلنا : لا نسلم أنه يجوز إسكان الميم فى « لِمَ » فى اختيار الكلام ، وإنما يجوز ذلك فى الضرورة ؛ فلا يكون فيه حجة ، قال الشاعر :

[١٣٥] ✻ يا أبا الأسود لِمْ أسلمتنى ✻ [١٣١]

وكما قال الآخر :

✻ يا أَسَدِيُّ لِمْ أَكَلْتَهُ لِمَهْ ✻ [١٨٣]

فسكن « لِمْ » للضرورة ، تشبيها لها بما يجىء من الحروف على حرفين الثانى منهما ساكن ؛ فلا يكون فيه حجة . ثم لو كان الأمر كما زعمتم وأن كَمْ كِلمَ لوجب أن يجوز فيها الأصل كما يجوز الأصل فى لم فيقال : كَمَا مالُكَ ، كما يقال : لِمَا فعلت ، وأن يجوز فيها الفتح مع حَذْفِ الألف كما يجوز فى لِمَ فيقال : كَمَ مالُكَ ، كما يجوز لِمَ فعلت ، وأن يجوز فيها هاء الوقف فيقال : كَمَهْ ، كما يجوز فى لِمَ هاء الوقف فيقال : لِمَهْ ؛ فلما لم يجز ذلك دل على الفرق بينهما .

وأما قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ) فلا نسلم أن الكاف فيه زائدة ؛ لأن (مثله) ها هنا بمعنى هو ، فكأنه قال ليس [كـ] هو شىء ، والْمِثْلُ يطلق فى كلام العرب ويُرَاد به ذات الشىء ، يقول الرجل منهم : مِثْلِى لاَ يَفْعَلُ هٰذَا ، أى : أنا لا أفعل هذا ، ومثلى لا يقبل من مثلك ، أى : أنا لا أقبل منك ، قال الشاعر :

١٨٥ — يَاعَاذِلِى دَعْنِىَ مِنْ عَذْلِكَا   مِثْلِىَ لاَ يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَا

---

١٨٥ — العاذل : الذى يلوم فى تسخط وكراهية لما يلومك فيه ، ودعنى : اتركنى وقوله « مثلى لا يقبل من مثلك » أصل معناه : من كان متصفا بصفاتى فإنه لا يقبل ممن كان متصفا بصفاتك ، وقد جرت عادة العرب فى كلامهم أنهم يكنون بهذه العبارة عن معنى « أنا لا أقبل منك » قال ابن هشام فى المغنى (ص ١٧٩) : « ولأنهم إذا بالغوا =

أى : أنا لاأقبل منك . ثم لو قلنا إن الكاف ها هنا زائدة لما امتنع ؛ لأن دخول الكاف هاهنا كخروجها ، ألا ترى أن معنى « لَيس كَمِثْلِهِ شَئْ » ومعنى « ليس مثلَه شيء » واحدٌ . وكذلك الكاف فى قوله : كَهَيِّنٍ ، وقول الراجز :

* لَوَاحِقُ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقْ * [١٨٤]

فى نفى الفعل عن أحد قالوا « مثلك لا يفعل كذا » ومرادهم إنما هو النفى عن ذاته ، ولكنهم إذا نفوه عمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه » اهـ . وقال الخطيب القزوينى فى الإيضاح (ص ٣٢٥ بتحقيقنا) وهو يمثل للكناية : « وكقولهم مثلك لا يبخل . قال الزمخشرى : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية ؛ لأنهم إذا نفوه عمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه » وأقول : إن العرب تسلك سبيل الكناية بلفظ مثل ولفظ غير فيقولون : مثلك يرعى الحق ،ومثلك يعرف الفضل لذويه، ومثلك لا يغضى على القذى ، ومثلك يؤدى الواجب ، ومنه قول الشاعر :

مثلك يثنى المزن عن صوبه ويسترد الدمع من غربه

وقالوا : غيرى يخوف بالتهديد ، وغيرى يقنع باليسير ، وغيرى يفعل كذا ، وهم يريدون أنا لا أخوف بالتهديد ، وأنا لا أقنع باليسير ، وأنا لا أفعل كذا ، ومنه قول الشاعر وهو المتنبى :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وكذلك قول الآخر ، وهو أبو تمام :

وغيرى يأكل المعروف سحتا وتشحب عنده بيض الأيادى

وقد سبقهما إلى مثل ذلك عنترة بن شداد العبسى فى قوله :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا

وهذا أبلغ من أنه يقول : أنا لا أهاب الموت ، وأنا لا آكل المعروف سحتا ، وأنا لا أنخدع بأكثر الناس ، أما أن المراد بهذا الكلام ما ذكرناه فقد أوضحه الشاعر فى قوله :

ولم أقل مثلك أعنى به سواك ، يا فرداً بلا مشبه

وأما أنه أبلغ مما لو صرحت بالضمير المنفصل وحذفت المثل والغير فلأنه كناية ، والكناية ــ كما هو مقرر ــ أبلغ من التصريح ؛ لأنها تساوى عند التحقيق ذكر الدعوى مع إقامة البينة عليها .

بخلاف الكاف فى « كَمْ » فإن الكاف فى كَمْ ليس دخولُها كخروجها ، بل لو قدرنا حذفها من الكلام لاخْتَلَّ معناها ولم تحصل الفائدةُ بها ، ألا ترى أن قولك « ما مَالُكَ » لايفيد مايفيد قولُكَ « كم مَالُكَ » فدلَّ على الفرق بينهما ، والله أعلم .

[١٣٦] ٤١ — مسألة

[إذا فصل بين « كَمْ » الخبرية وتمييزها فهل يبقى التمييز مجروراً ؟(١)]

ذهب الكوفيون إلى أنه إذا فصل بين « كم » فى الخبر و بين الاسم بالظرف وحرف الجر كان مخفوضاً ، نحو : كم عندك رَجُلٍ ، وكم فى الدار غلامٍ ؟ . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز فيه الجر ، ويجب أن يكون منصوباً .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يكون مخفوضاً بدليل النقل والقياس .

أما النقل فقد قال الشاعر :

١٨٦ — كَمْ بِجُودٍ مُقْرِفٍ نَالَ الْعُلَى
وَشَرِيفٍ بُخْلُهُ قَدْ وَضَعَهُ

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى وحاشية الصبان (٤/٦٧) وشرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين (٢/٩١) وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص ٥٨١)

١٨٦ — هذا البيت من كلام أنس بن زنيم ، الكنانى ، أحد بنى الديل بن بكر ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢٩٦) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٨٢) ورضى الدين فى شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/١١٩) والأشمونى (رقم ١١٣٨) والمقرف : النذل اللئيم الأب ، ومعنى البيت أنه قد يرتفع اللئيم بجوده ، ويتضع الكريم الأب بسبب بخله ، ومحل الشاهد فى البيت قوله « كم بجود مقرف نال العلا » واعلم أولا أن « كم » فى هذا البيت خبرية تدل على التكثير ، كأنك قلت : كثير من المقرفين نالوا العلا بسبب جودهم وكثير من الذين لهم آباء كرماء قد اتضع حالهم بسبب بخلهم ، ثم أعلم ثانية أن =

بخفض « مُقْرِفٍ » مع الفَصْل ، وقال الآخر :

١٨٧ — كَمْ فِي بَنِي بَكْرِ بْنِ سَعْدٍ سَيِّدٍ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ مَاجِدٍ نَفَّاعِ

وأما القياسُ فلأن خَفْضَ الاسم بعد « كم » فى الخبر بتقدير « مِن » لأنك إذا قلت « كم رَجُلٍ أكرمت ، وكم امرأة أَهَنْت » كان التقدير فيه : كم من رجل أكرمت ، وكم من امرأة أهنت ؛ بدليل أن المعنى يقتضى هذا التقديرَ ، وهذا

= قوله «مقرف» يروى بثلاثة أوجه: الرفع، والنصب ، والجر ، فأما رواية الرفع فعلى أن تكون « كم » ظرفا متعلقا بقوله « نال » الآتى، ويكون « مقرف » مبتدأ ، وجملة « نال العلا » فى محل رفع خبر المبتدأ ، وكأنه قال : مقرف نال العلا فى مرات كثيرة بسبب جوده ، وأما رواية النصب فعلى أن تجعل « مقرفا » تمييزا لكم الخبرية ، وإنما نصب للفصل بينه وبينها ، وأما رواية الجر فعلى أن تجعل « مقرف » بالجر تمييزا لكم الخبرية على أصله ، ولا تعتد بالفاصل بينهما ، وكم على وجهى الجر والنصب مبتدأ ، وجملة «نال العلا» فى محل رفع خبره .ثم اعلم ثالثا أن الكوفيين يستشهدون بالبيت على رواية الجر ، ويجعلون الفصل بين « كم » الخبرية وتمييزها مغتفرا ، ولا يمنع الفصل من بقاء التميز مجرورا بإضافة « كم » إليه على مذهب سيبويه ، وبحرف جر مقدر — وهو من — على مذهب الفراء ، وفى الجر على كلا القولين جهة ضعف .

١٨٧ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٢٩٦) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٨٢) ورضى الدين فى شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/١٢٢) والأشمونى (رقم ١١٣٩) ورواية سيبويه « كم فى بنى سعد بن بكر » ورواية الأعلم « كم فى بنى بكر بن عمرو » . والدسيعة : العطية ، ويقال: هى الجفنة ، والمعنى أنه واسع المعروف وأنه ماجد شريف . والاستشهاد به فى قوله « كم فى بنى بكر بن سعد سيد » حيث فصل بين كم الخبرية وتمييزها الذى هو قوله « سيد » بالجار والمجرور الذى هو قوله « فى بنى سعد بن بكر » والكلام فيه كالكلام فى البيت السابق .

ومثل هذين البيتين قول الشاعر ، وأنشده سيبويه أيضا :

كم فيهم ملك أغر وسوقة حكم بأردية المكارم محتبى

وكذلك قول الآخر ، وأنشده الأشمونى (رقم ١١٣٧) :

كم دون مية موملة يهال لها إذا تيممها الخريت ذو الجلد

التقديرُ مع وجود الفصل بالظرف وحرف الجر كما هو مع عدمه ، فكما ينبغى أن يكون الاسمُ مخفوضاً مع عدم الفصل فكذلك مع وجوده .

قالوا : ولا يجوز أن يقال : « إنها فى هذه الحالة بمنزلة عدد ينصب ما بعده كثلاثين ونحوه » لأنا نقول : لو كانت بمنزلة عدد ينصب ما بعده كثلاثين لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل بينها وبين معمولها ، ألا ترى أنك لو قلت « ثلاثون عندك رجلا » لم يجز ، فكذلك كان ينبغى أن يقولوا ها هنا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز فيه الجر لأن « كم » هى العاملة فيما بعدها الجرَّ ؛ لأنها بمنزلة عدد مضاف إلى ما بعده ، وإذا فصل بينهما بظرف أو حرف جر بطلت الإضافة ؛ لأن الفصل بين الجار والمجرور بالظرف وحرف الجر لا يجوز فى اختيار الكلام ، فعدل إلى النصب لامتناع الفصل بينهما ، قال الشاعر :

١٨٨ — كَمْ نَالَنِي مِنْهُمُ فَضْلاً عَلَى عَدَمٍ
إِذْ لاَ أَكَادُ مِنَ الإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ

---

١٨٨ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١ / ٢٩٥) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٨١) والأشمونى (رقم ١١٤٠) ورضى الدين فى شرح الكافية ، وشرحه البغدادى (٣ / ١٢٢) والبيت من كلام القطامى — واسمه عمير بن شييم — من قصيدته التى يمدح فيها عبد الواحد بن الحارث بن الحكم والى المدينة فى عهد مروان بن الحكم الأموى والتى مطلعها قوله :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت ، وإن طالت بك الطيل

وقوله « إنا محيوك » معناه إنا داعون لك بالتحية ، وهى البقاء ، والطلل — بالتحريك — مابقى شاخصاً مرتفعاً من آثار الديار ، والطيل — بكسر الطاء وفتح الياء مخففة — جمع طيلة ، وهى الدهر ، والإقتار : الفقر ، و« أحتمل » يروى بالحاء المهملة ، ومعناه أرتحل لطلب الرزق ، ويروى بالجيم ، ومعناه أجمع العظام لأستخرج ودكها وشحمها وأتعلل به ، مأخوذ =

[١٣٧] والتقدير : كم فضل ، إلا أنه لما فصل بينهما بنالنى منهم نصب « فضلا » فراراً من الفصل بين الجار والمجرور ، وقال الآخر :

١٨٩ — تَؤُمُّ سِنَانًا وَكَمْ دُونَهُ مِنَ الأرْضِ مُحْدَوْدِباً غَارُهَا

والتقدير : كم محدودب غارها دونه من الأرض ، إلا أنه لما فصل بينهما نصب « محدودباً » وإن لم يقصد الاستفهام ؛ لئلا يفصل بين الجار والمجرور ، وإنما عدل إلى النصب لأن « كم » تكون بمنزلة عدد ينصب ما بعده ، ولم يمتنع النصب بالفصل كما امتنع الجر ؛ لأن الفصل بين الناصب والمنصوب له نظير فى كلام العرب ، بخلاف الفصل بين الجار والمجرور ؛ فإنه ليس له نظير فى كلام العرب ؛ فكان ما صرنا إليه أولى مما صرتم إليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما احتجوا به من قوله :

* كَمْ بِجُودٍ مُقْرِفٍ نَالَ الْعُلَى * [١٨٦]

= من الجميل وهو الودك . يقول: لقد أنعم على هؤلاء وزادوا فى إنعامهم عند فقرى وحاجتى التى بلغت إلى حد أننى لا أقدر على الارتحال لطلب الرزق ضعفاً وفقرا . والاستشهاد به فى قوله « كم نالنى منهم فضلا » حيث نصب تمييز « كم » الخبرية لما فصل بين كم وتمييزها وسيبويه يوجب ذلك إلا فى ضرورة الشعر ، والفراء يجيزه فى السعة ، وقد بينا لك هذا فى شرح الشواهد السابقة .

١٨٩ — هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٢٩٥) والزمخشرى فى مفصله وابن يعيش فى شرحه (ص ٥٨١) والأشمونى (رقم ١١٤١) وصف زهير فى هذا البيت ناقته ، وتؤم : أى تقصد ، وفيه ضمير مستتر تقديره هى يعود إلى الناقة ، والغار : الغائر المطمئن من الأرض، وجعله محدودبا لما يتصل به من الآكام ومتون الأرض . والاستشهاد به فى قوله « وكم دونه من الأرض محدودبا » حيث أتى بتمييز كم الخبرية منصوبا لما فصل بين كم وبينه بالظرف والجار والمجرور ، والكلام فيه كالكلام فيما قبله

فالكلام عليه من وجهين ؛ أحدهما : أن الرواية الصحيحة « مُقْرِفٌ » بالرفع بالابتداء ، وما بعدها الخبر ، وهو قوله « نَالَ العُلَى » . والثانى : أن هذا جاء فى الشعر شاذا ؛ فلا يكون فيه حجة ، وهذا هو الجواب عن البيت الآخر

وأما قولهم « إن خَفْضَ الاسم بعد كم بتقدير من ، والتقدير مع وجود الفصل كما هو مع عدمه » قلنا : لا نسلم أن جر الاسم بعد كم بتقدير من ، بل العامل فيه كم ؛ لأنها عندنا بمنزلة عدد يضاف إلى ما بعده ، وعند المحققين من أصحابكم أنها بمنزلة رُبَّ ؛ فيخفضون بها الاسم الذى بعدها كرُبَّ .

والذى يدل على فساد ماذهبتم إليه أن حرف الجر لا يجوز أن يعمل مع الحذف ، وإنما يجوز أن يعمل حرفُ الجر مع الحذف فى مواضع يسيرة على خلاف الأصل ، إذا حذف إلى عوض و بدل ، كربَّ بعد الواو والفاء وبَلْ ، على أنكم تزعمون أن حرف الجر غير مقدر بعد هذه الحروف ، و إنما هى العاملة بطريق النيابة عن حرف الجر ، لا حرف الجر ، وقد بينا ذلك مُسْتَوْفًى فى موضعه .

وقولهم « إنها لو كانت بمنزلة عدد ينصب ما بعده كثلاثين ونحوه لكان ينبغى أن لا يجوز الفصل بينها و بين معمولها ؛ لأن ثلاثين لا يجوز أن يفصل بينها و بين معمولها » قلنا : إنما جاز الفصل بين كم [١٣٨] ومميزها جوازاً حسناً دون « ثلاثين » ونحوه لأن كم مُنِعَتْ بَعْضَ ما لثلاثين من التصرف ؛ فجعل هذا عوضاً مما مُنِعته ، ألا ترى أن « ثلاثين » تكون فاعلة لفظا ومعنى ، كقولك : ذهب ثلاثون ، وتقع مفعولة فى رتبتها ، كقولك : أعطيت ثلاثين ، ولا يكون ذلك فى كم ، فلما مُنِعَتْ كم بعضَ ما لثلاثين من التصرف جعل لها ضَرْبٌ من التصرف لا يكون لثلاثين ؛ ليقع التعادل بينهما ، على أنه قد جاء الفصل بين ثلاثين ومميزها فى الشعر ، قال الشاعر :

١٩٠ — عَلَى أَنَّنِي بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى ثَلَاثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلاً كَمِيلاً
يُذَكِّرُنِيكِ حَنِينُ الْعَجُولِ وَنَوْحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيلاً

١٩٠ — البيت الأول من هذين البيتين من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٨١) والرضى فى شرح الكافية فى باب التميز وفى باب الكنايات ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٥٧٣) وابن الناظم ، والأشمونى (رقم ١١٣١) وهما معا من شواهد سيبويه (١/٢٩٢) وقد نسب العينى (٤/٤٨٩ بهامش الخزانة) بيت الشاهد للعباس بن مرداس السلمى ، وقال البغدادى : « وهما من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل » والعجول ـ بفتح العين ـ الناقة التى ألقت ولدها قبل موعده ، أو هى التى ذبح ولدها أو مات ، وحنينها : أراد به ما تظهره من الوله على ولدها ، والهديل : أصله صوت الحمام ، ويراد منه فرخ الحمام الذى تزعم العرب أن جارحا صاده على عهد نوح فكل حمامة تبكى عليه إلى اليوم . يقول : إننى لا أنسى عهدك على بعده ، فكلما حنت عجول أو ناحت حمامة رقت نفسى فذكرتك . والاستشهاد به فى قوله « ثلاثون للهجر حولا » حيث فصل بين اسم العدد ـ وهو قوله « ثلاثون » ـ وتمييزه ـ وهو قوله « حولا » وهذا يقوى ماجوزه النحاة فى « كم » من الفصل بينها وبين تمييزها عوضا عما منعته من التصرف فى الكلام بالتقديم والتأخير ، بسبب كونها أشبهت كم الاستفهامية فألزمت التصدير لذلك ، وإن كان بين « كم » وبين اسم العدد فرق ، فإن الثلاثين ونحوها من أسماء الأعداد لا تمتنع من التقديم والتأخير ، لأنها لم تتضمن معنى يوجب لها التصدير ، فكان عملها فى التميز أوسع من عمل كم ، قال سيبويه (١/٢٩١) : « واعلم أن كم تعمل فى كل شىء حسن للعشرين أن تعمل فيه ، فإذا قبح للعشرين أن تعمل فى شىء قبح ذلك فى كم ، لأن العشرين عدد منون ، وكذلك كم هو منون عندهم ، كما أن خمسة عشر عندهم بمنزلة ما قد لفظوا بتنوينه ، لولا ذلك لم يقولوا : خمسة عشر درهما ، ولكن التنوين ذهب منه كما ذهب مما لا ينصرف ، وموضعه موضع اسم منون، وكذلك كم موضعها موضع اسم منون ، وذهبت منها الحركة كما ذهبت من إذ؛ لأنهما غير متمكنين فى الكلام » ثم قال بعد كلام : «وتقول : كم رجل زارنى، ولا تقول : زارنى كم رجل، ولو قال : أتاك ثلاثون اليوم درهما ، كان قبيحا فى الكلام ؛ لأنه لا يقوى قوة الفاعل ، وليس مثل لم ؛ لما ذكرت لك ، وقد قال الشاعر .

* على أننى بعد ما قد مضى ثلاثون . . . * =

ففصل بين « ثلاثين » وبين مميزها بالجار والمجرور ، وإن كان قليلا لا يقاس عليه ، والله أعلم .

٤٢ — مسألة

[هل تجوز إضافة النَّيِّفِ إلى العشرة][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة النَّيِّفِ إلى العشرة ، نحو : خَمْسَةَ عَشَرٍ . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك عنهم فى استعمالهم ، قال الشاعر :

١٩١ — كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشِقْوَتِهْ   بِنْتَ ثَمَانِى عَشْرَةٍ مِنْ حِجَّتِهْ

= وكم رجلا أتاك ، أقوى من كم أتاك رجلا ، وكم ههنا فاعلة » اهـ . وقال ابن يعيش : « فإن قيل : فلم قبح الفصل بين العدد ومميزه ولم يحسن أن تقول : قبضت خمسة عشر لك درهما ، ورأيت عشرين فى المسجد رجلا ؟ قيل : إنما كان كذلك لضعف عمل العشرين ونحوها فيما بعدها ؛ لأنها عملت على التشبيه باسم الفاعل ولم تقوقوته ، مع أنه قد جاء ذلك فى الشعر » اهـ . ومثل هذا البيت فى الفصل بين اسم العدد ومميزه ما أنشده ابن يعيش (٥٨١) ونسب روايته إلى سيبويه ، ونسبه لعبد بنى الحسحاس :

فأشهد عند الله أن قد رأيتها   وعشرون منها إصبعا من ورائيا

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (ص ٦٢٤-٦٢٧ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (٤/٥٧و٥٨ وما بعدها) وشرح التصريح للشيخ خالد (٢/٣٤٦ بولاق)

١٩١ — استشهد بهذا البيت الأشمونى (رقم ١١٣٢) وجماعة من شراح الألفية (انظر العينى بهامش الخزانة ٤/٤٨٨) والعناء — بفتح العين — النصب والتعب ، والشقوة — بكسر الشين وسكون القاف — ومثله الشقاء والشقاوة : ضد السعادة ، والحجة — بكسر الحاء وتشديد الجيم مفتوحة — السنة . والاستشهاد بالبيت فى قوله « بنت ثمانى عشرة » فإن الكوفيين أنشدوه شاهدا على جواز إضافة النيف — وهو هنا قوله =

ولأن النيف اسمٌ مُظْهَرٌ كغيره من الأسماء المظهرة ؛ فجاز إضافته إلى ما بعده كسائر الأسماء المظهرة التى تجوز إضافتها .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأنه قد جعل الاسمان اسما واحداً ، فكما لا يجوز أن يضاف الاسمُ الواحدُ بعضُه إلى بعضٍ ، فكذلك ها هنا .

وبيان هذا أن الاسمين لما ركبا دلاًّ على معنى واحد ، والإضافة تُبْطِل ذلك المعنى ، ألا ترى أنك إذا قلت « قبضتُ خَمْسَةَ عَشَرَ » من غير إضافة دلّ على أنك قد قبضت خمسة وعشرة ، وإذا أضفت فقلت « قبضتُ خَمْسَةَ عَشَرٍ » دلّ على أنك قد قبضت الخمسة دون العشرة ، كما لو قلت « قَبَضْتُ مَالَ زَيْدٍ » فإن المال يدخل فى القبض دون زيد ، وكذلك « ضَرَبْتُ غُلَامَ عَمْرٍو » فإن الضرب يكون للغلام [١٣٩] دون عمرو ، فلما كانت الإضافة تُبْطِل المعنى المقصود من التركيب وجب أن لا تجوز .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما أنشدوه من قوله :

* بِنْتَ ثَمَانِي عَشْرَةٍ مِنْ حِجَّتِهْ * [١٩١]

فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به ، على أنا نقول : إنما صَرَّفَهُ لضرورة الشعر وردَّه إلى الجر لأن « ثمانى عشرة » ؛ لما كانا بمنزلة اسم واحد ، وقد أضيف إليهما

= « ثمانى » — إلى العشرة ، من غير أن يكون هناك شىء آخر ، وهم يجيزون ذلك فى الكلام ، ومن هنا تعلم أن قول ابن مالك فى التسهيل « ولا يجوز بإجماع ثمانى عشرة — يعنى بإضافة الأول إلى الثانى — إلا فى الشعر » ليس بمستقيم ؛ فإن الكوفيين — كما سمعت — يجيزون إضافة صدر المركب إلى عجزه ، سواء أكان مع هذا المركب شىء آخر يضاف المركب إليه نحو ما حكاه الفراء من أنه سمع أبا فقعس الأسدى وأبا الهيثم العقيلى يقولان « ما فعلت خمسة عشرك » أم لم يكن مع المركب شىء أصلا كما فى هذا البيت !

بنت فى قوله « بنت ثمانى عشرة » ردَّ الإعراب إلى الأصل بإضافة بنت إليهما ، لا بإضافة ثمانى إلى عشرة ، وهم إذا صَرَّفُوا المبنِيَّ للضرورة رَدُّوهُ إلى الأصل ، قال الشاعر :

١٩٢ — سَلَامُ اللهِ يَا مَطَراً عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ

وجميعُ ما يُرْوَى من هذا فَشَاذٌّ لا يُقَاس عليه .

---

١٩٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٣١٣) ورضى الدين فى باب المنادى من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٢٩٤ بولاق) والأشمونى (رقم ٨٧٥) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٥٧١) وفى أوضح المسالك (رقم ٤٣٧) وفى شذور الذهب (رقم ٥٣) وابن عقيل (رقم ٣٠٧) والبيت من كلام الأحوص ، واسمه محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت ، الأوسى ـ وكان الأحوص يعشق امرأة فتزوجها رجل يقال له مطر ، فغلب الوجد على الأحوص حتى صرح بما كان يكتمه . والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « يامطر » حيث أتى بالمنادى المفرد العلم منونا حين اضطر إلى ذلك ، قال سيبويه (١/٣١٣) « وأما قول الأحوص :

* سلام الله يامطر عليها *

فإنما لحقه التنوين كما لحق مالا ينصرف لأنه بمنزلة اسم لا ينصرف ، لأنك أردت فى حال التنوين فى مطر ما أردت حين كان غير منون » اهـ . وقال الأعلم « الشاهد فيه تنوين مطر وتركه على ضمه ، لجريه فى النداء على الضم واطراد ذلك فى كل علم مثله ، فأشبه المرفوع غير المنصرف فى غير النداء ، فلما نون ضرورة ترك على لفظه ، كما ينون الاسم المرفوع الذى لا ينصرف ، فلا يغيره التنوين عن رفعه ، وهذا مذهب الخليل وأصحابه واختيارهم ، وأبو عمرو ومن تابعه يختارون نصبه مع التنوين؛ لمضارعته النكرة بالتنوين ، ولأن التنوين يعاقب الإضافة ، فيجرونه على أصله لذلك ، وكلا المذهبين مسموع من العرب ، والرفع أقيس لما تقدم من العلة » اهـ . وقد ارتضى الزجاجى فى أماليه مذهب الخليل ، ولكنه لم يرتض التعليل الذى علل به سيبويه وتبعه عليه الأعلم قال : « الاسم العلم المنادى المفرد مبنى على الضم ؛ لمضارعته عند الخليل وأصحابه للأصوات ولوقوعه موقع الضمير عند غيرهم ، فإذا لحقه التنوين فى ضرورة الشعر فالعلة التى من أجلها بنى قائمة بعد فيه ، فينون على لفظه ؛ لأنا قد رأينا من المبنيات ماهو منون نحو إيه وغاق وما أشبه ذلك، وليس بمنزلة مالاينصرف؛ لأن مالاينصرف أصله الصرف، =

وأما قولُهم « إن النيف اسمٌ مظهر كغيره من الأسماء التى يجوز إضافتها ؛ فجاز إضافته كسائر الأسماء المظهرة التى يجوز إضافتها » قلنا : إلا أنه مركب ، والتركيب ينافى الإضافة ؛ لأن التركيب أن يجعل الاسمان اسما واحداً ، لا على جهة الإضافة ؛ فيدلاَّنِ على مسمى واحد ، بخلاف الإضافة ؛ فإن المضاف يدل على مسمى ، والمضاف إليه يدل على مسمى آخر ؛ وإذا كان التركيب ينافى الإضافة ، كما أن الإضافة تنافى التركيب على ما بينا ؛ وجب أن لا تجوز إضافة النيف إلى العشرة لاستحالة المعنى ، والله أعلم .

٤٣ — مسألة

[القول فى تعريف العدد المركب وتمييزه][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال فى خمسة عشر درهما : « الخمسةَ العَشَرَ درهما ، والخمسَةَ العَشَرَ الدرهَمَ »[2] وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إدخال

= وكثير من العرب لايمتنع من صرف شىء فى ضرورة ولا غيرها ، إلا أفعل منك ، فإذا نون فإنما يرد إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منصوبا منونا قط فى غير ضرورة شعر ؛ فهذا بين واضح » اهـ كلامه بحروفه .

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (١/٢٣٠ بتحقيقنا) وحاشية الصبان (١/١٨٠ بولاق) .

(٢) يريد أنهم يجوزون تعريف العدد المركب — وهو أحد عشر وتسعة عشر ومابينهما — بتعريف جزءيه : الصدر والعجز ؛ فيقولون الأحد العشر والتسعة العشر ، ويجوزون فى تمييز هذا العدد المركب أن يجىء منكرا على ماهو الأصل فى التمييز ، فيقولون : الأحد العشر درهما ، والتسعة العشر درهما ، وأن يجىء معرفا أيضا ، وهذا بناء منهم على أصلهم الذى ذهبوا إليه فى التمييز ، وهو جواز مجيئه معرفة ، فيقولون فى هذا الباب : زارنى الخمسة العشر الرجل ، كما يقولون : زارنى الخمسة العشر رجلا ، والحاصل أن فى هذا الأسلوب =

الألف واللام فى العشر ، ولا فى الدرهم ، وأجمعوا على أنه يجوز أن يقال « الخمسة عَشَرَ درهما » بإدخال الألف واللام على الخمسة وَحْدَهَا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد صح عن العرب مايوافق مذهبنا ، ولا خلاف فى صحة ذلك عنهم ، وقد حكى ذلك أبو عمرو عن أبى الحسن [١٤٠] الأخفش عن العرب ، وإذا صح ذلك النقل وجب المصيرُ إليه ، واعتمادهم فى هذه المسألة على النقل ؛ لأن قياسهم فيها ضعيف جدا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز دخول الألف واللام إلا على الاسم الأول لأن الاسمين لما رُكِّبَ أحَدُهما مع الآخر تنَزَّلا منزلة اسم واحد ، وإذا تنزلا منزلة اسم واحد فينبغى أن لا يجمع فيه بين علامتى تعريف ، وأن يلحق الاسم الأول منهما ؛ لأن الثانى يتنزل منزلةَ بعضِ حروفهِ ، وكذلك عَرَّفَتِ العربُ الاسمَ المركَّبَ ، قال ابن أحمر :

١٩٣ — تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلَعُ السَّوَارِى وَجُنَّ الْخَازِبَازِ بِهِ جُنُونَا

= أربع صور ، الأولى أن تقول : زارنى الخمسة عشر رجلا، والثانية أن تقول : زارنى الخمسة عشر الرجل ، والثالثة أن تقول: زارنى الخمسة العشر رجلا ، والرابعة أن تقول: زارنى الخمسة عشر الرجل ، والبصريون لايجيزون من هذه العبارات إلا الصورة الأولى، والكوفيون يجيزون الصور الأربع كلها ، ولا يوجبون منها واحدة بعينها .

١٩٣ — هذا بيت من الوافر ، وقد أنشده ابن منظور (ف ق أ — ق ل ع — خ و ز) ونسبه لعمرو بن أحمر ، وأنشده موفق الدين بن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٧٠) وأنشده رضى الدين فى باب المركبات من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/١٠٩) وتقول « تفقأ الدمل والقرح ، وتفقأت السحابة عن مائها » أى تشققت ، أو تبعجت بمائها . و « القلع » بفتح القاف واللام جميعاً ، وآخره عين مهملة — قطع من السحاب كأنها الجبال ، واحدته قلعة — بالتحريك — ويقال : القلعة من السحاب التى تأخذ ناحية من السماء ، والسوارى : جمع سارية ، وأراد بها ههنا السحابة التى تأتى ليلا ، والخازباز: ضرب من النبات ، وجنونه : طوله =

فقال « الخازباز » فأدخل الألف واللام على الاسم الأول ، ولم يكرره فيقول « الخازالباز » ولم يُحْكَ ذلك عنهم فى شعر ولافى كلام ، والخاز باز ها هنا : أراد به صوتَ الذباب ، ويقال « جُنَّ الذُّبَابُ » إذا طار وهَاجَ ، وقيل : المراد بالخازباز نَبْتٌ ، كما قال الشاعر :

١٩٤ — رَعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا   الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ والْيَعْضِيدَا
وَالْخَازِبَازِ السَّنِمَ الْمَجُودَا   بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

ويقال « جُنَّ النباتُ » إذا خَرَجَ زَهْرُهُ . والخاز باز أيضاً : داء فى اللَّهَازِمِ ، قال الشاعر :

= وسرعة نباته ، ويقال : الخازباز ههنا : نوع من ذباب العشب يطير فى الربيع يدل على خصب السنة ، وجنونه : هزجه وطيرانه ، قال ابن منظور « والخازباز ذباب ، اسمان جعلا واحدا ، وبنيا على الكسر ، لايتغير فى الرفع والنصب والجر ، قال عمرو بن أحمر :

* تفقأ قوله القلع السوارى إلخ *

وسمى الذباب به — وهما صوتان جعلا واحداً — لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز (برفع آخره) وقيل : أراد النبت ، وقيل : أراد ذبان الرياض ، وقيل : الخازباز حكاية لصوت الذباب فسماه به » اهـ ، والاستشهاد به فى قوله « وجن الخازباز » حيث أدخل عليه الألف واللام وتركه على بنائه كما تقول « الخمسة عشر » فتدخل عليه الألف واللام وهو على حاله من البناء .

١٩٤ — هذه أبيات من الرجز المشطور ، وقد رواها كلها ابن منظور على ترتيب ما رواه المؤلف ههنا (خوز) وموفق الدين بن يعيش فى شرح المفصل (ص٥٦٩) والصل ، والصفصل ، واليعضيد ، والخازباز : كلها أسماء من أسماء النبات ، والسنم — بفتح السين وكسر النون — العالى المرتفع ، يريد طول النبات الذى أرعاه إبله ، والمجود : اسم مفعول من « جاده الغيث يجوده » إذا أصابه منه الجود — بفتح فسكون — وهو القوى الشديد من المطر ، وعامر ومسعود : راعيان ، وكنى بقوله « بحيث يدعو عامر مسعوداً » عن طول النبات طولا يوارى كل راع منهما عن الآخر ، فلا يعرف أحدهما مكان صاحبه حتى يدعوه فيسمع صوته فيعرف مكانه ، والاستشهاد بالأبيات للدلالة على أن « الخازباز » نبت ، وهو ظاهر من قوله إنه أرعاه إبله .

١٩٥ — يَا خَازِبَازِ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّى أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لازِمَا

والخازباز فيما يقال أيضاً : السِّنَّوْرُ ، وفى الخازباز سبعُ لغاتٍ : خَازِبَازِ ، وخازَبَازَ ، وخَازِبَازُ ، وخَازَبَازُ ، وخَازُبَازِ ، وخَازِبَاء ـ مثل نافقاء ـ وخِزْبَاز ـ مثل سِرْدَاحٍ ـ قال الشاعر :

١٩٦ — مِثْلُ الْكِلابِ تَهِرُّ عِنْدَ دِرَابِهَا
وَرِمَتْ لَهَازِمُهَا مِنَ الخِزْبَازِ

وإنما لم يجز دخول الألف واللام على « درهم » لأنه منصوب على التمييز ، والتمييز لا يكون إلا نكرة ، وإنما وجب أن يكون نكرة لأن الغرض أن يميز المعدود به من غيره ، وذلك يحصل بالنكرة التى هى الأخَفُّ ، فكانت أولى من المعرفة التى هى الأثْقَلُ .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما حكوه عن العرب [١٤١] فلا

---

١٩٥ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد أنشدهما ابن منظور (خ و ز) ولم يعزهما ، وابن يعيش (ص ٥٧٠) وقال قبل إنشادهما « وقال الراجز وهو العدوى » ا هـ . والخازباز : داء يأخذ الإبل والناس فى حلوقها ، وقال ابن سيده : الخازباز قرحة تأخذ فى الحلق ، ومنهم من خص بهذا الداء الإبل ، واللهازم : جمع لهزمة — بكسر اللام والزاى وبينهما هاء ساكنة — واللهزمتان : عظمان ناتئان تحت الأذن ، وقيل : اللهازم : جمع لهزمة ، وهى لحمة فى أصل الحنك .

١٩٦ — هذا بيت من الكامل ، أنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٧٠) وابن منظور (خ و ز) عن الأخفش ، وعند ابن يعيش :

* مثل الكلاب تهر عند بيوتها *

وعند الأخفش :

* مثل الكلاب تهر عند جرائها *

وقال ابن برى : صواب إنشاده :

* مثل الكلاب تهر عند درابها *

والدراب — بكسر الدال — جمع درب ، شبههم بالكلاب النابحة عند الدروب .

حجة لهم فيه ؛ لقلته فى الاستعمال و بُعْده عن القياس : أما قلته فى الاستعمال فظاهر ؛ لأنه إنما جاء شاذا عن بعض العرب ؛ فلا يعتدُّ به لقلته وشذوذه ، فصار بمنزلة دخول الألف واللام فى قول الشاعر :

يَقُولُ الْخَنَا ، وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً إلى رَبِّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدَّعُ [٩١]
و يَسْتَخْرِجُ الْيَرْبُوعَ مِنْ نَافِقَائِهِ وَمِنْ جُحْرِهِ بِالشَّيْحَةِ الْيَتَقَصَّعُ

أراد الذى يتقصع ، فكما لا يجوز أن يقال إن الألف واللام يجوز دخولها على الفعل لمجيئه ها هنا لقلته وشذوذه فكذلك أيضاً لا يجوز أن يحتج بذلك لقلته وشذوذه ، وكما قال الآخر :

١٩٧ — يَالَيْتَ أُمَّ الْعَمْرِو كَانَتْ صَاحِبِي
مَكَانَ مَنْ أَشْتَى عَلَى الرَّكَائِبِ

---

١٩٧ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وقد أنشد أولهما ابن منظور (و ب ر) وأنشدهما معا موفق الدين بن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥١) من غير عزو ، وأسند روايتهما إلى ابن الأعرابى ، و « أم العمرو » أراد أم عمرو ، فأدخل الألف واللام على العلم الذى هو عمرو ، وسنذكر لك وجهه . والصاحب : المعاشر ، لا يتعدى تعدى الفعل على أن فعله — وهو صحب — متعد ؛ فلا تقول « زيد صاحب عمرا » كما تقول « زيد ضارب عمرا » لأنهم استعملوا صاحبا استعمال الأسماء ، وجمعه أصحاب وأصاحيب ، وصحبان نظير شاب وشبان ، وصحاب نظير جائع وجياع ، وصحب نظير شارب وشرب ، وصحابة — بفتح الصاد أو كسرها — حكى جميع هذه الجموع الأخفش ، وأشتى : دخل فى زمان الشتاء ، فإن أردت أنه أقام فى موضع شتاء فقل : شتا يشتو ، وقال طرفة :

حيثما قاظوا بنجد ، وشتوا عند ذات الطلح من ثني وقر

والركائب : جمع ركوب — بفتح الراء — وهو ما يركب من كل دابة ، فعول بمعنى مفعول ، وقيل : الركائب جمع ركاب ، والاستشهاد به فى قوله «أم العمرو » حيث دخل الألف واللام على العلم ، قال جار الله فى المفصل (١/٣٤ بتحقيقنا) : « وقد يتأول العلم بواحد من الأمة المسماة به ؛ فلذلك من التأول يجرى مجرى رجل وفرس ، فيجترأ =

أراد « أم عمرو » . وكما قال الآخر :

١٩٨ — بَاعَدَ أُمَّ الْعَمْرِ وِمِنْ أَسِيرِهَا حُرَّاسُ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُورِهَا

وكما قال آخر :

١٩٩ — وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكاً
شَـــدِيداً بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

= على إضافته وإدخال اللام عليه ، قالوا : مضر الحمراء ، وربيعة الفرس، وأنمار الشاة . وعن أبي العباس: إذا ذكر الرجل جماعة اسم كل واحدمنهم زيد قيل له : فما بين الزيد الأول والآخر ، وهذا الزيد أشرف من ذلك الزيد ، وهو قليل » اھ . وقال ابن يعيش فى شرح هذا الكلام « اعلم أن العلم الخاص لا تجوز إضافته ولا إدخال لام التعريف فيه ؛ لاستغنائه بتعريف العلمية عن تعريف آخر ، إلا أنه ربما شورك فى اسمه أو اعتقد ذلك ، فخرج عن أن يكون معرفة ، ويصير من أمة كل واحد له مثل اسمه ، ويجرى حينئذ مجرى الاسماء الشائعة نحو رجل وفرس ، فحينئذ يجترأ على إضافته وإدخال الألف واللام عليه كما يفعل ذلك فى الأسماء الشائعة » اھ .

١٩٨ — أنشد جار الله الزمخشرى هذا البيت فى المفصل (رقم ٧ بتحقيقنا) وعزاه إلى أبى النجم العجلى، وأنشده فى اللسان(وبر) وأنشده ابن يعيش فى شرح المفصل وأقر عزوه إلى أبى النجم (ص ٥١ و ٣٢٠) وأنشده ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٩ بتحقيقنا) من غير عزو، والأسير : أصله الذى يقع عند الحرب فى يد عدوه ، فعيل بمعنى مفعول، وأراد هنا الذى قيده حبها عن أن ينظر إلى غيرها ، وعنى به نفسه ، والحراس: جمع حارس . والاستشهاد به فى قوله « أم العمرو » حيث أدخل الألف واللام على العلم ، والكلام فيه مثل الكلام فى الشاهد السابق ، وأنكر ابن منظور رواية « أم العمر » وقال « صواب الإنشاد يا ليت أم الغمر » اھ أى بالغين معجمة .

١٩٩ — هذا البيت من قصيدة لابن ميادة — واسمه الرماح بن أبرد ، وميادة : اسم أمه — يمدح فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وقد أنشده الزمخشرى فى المفصل (رقم ٨ بتحقيقنا) وابن يعيش فى شرحه (ص ٥٢) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٠ بتحقيقنا) وفى أوضح المسالك (رقم ١٩) والأشمونى (رقم ٣٥) ورضى الدين فى باب توابع المنادى، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣٢٨/١) والأعباء : =

وكما قال الآخر :

٢٠٠ — أَمَا وَدِمَاءٍ مَائِرَاتٍ تَخَالُهَا عَلَى قُنَّةِ الْعُزَّى وَبِالنَّسْرِ عَنْدَمَا
وَمَا سَبَّحَ الرُّهْبَانُ فى كل بِيعَةٍ أَبِيلَ الأَبِيلِينَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَا
لَقَدْ ذَاقَ مِنَّا عَامِرٌ يَوْمَ لَعْلَعٍ حُسَاماً إِذَا مَاهُزَّ بِالْكَفِّ صَمَّمَا

= جمع عبء — بكسر العين وسكون الباء — وهو ما يثقل عليك حمله أو يبهظك أداؤه ، وأراد بأعباء الخلافة مصاعبها الجمة وتبعاتها الكثيرة التى يؤود حملها القائم بها ، ويروى « بأحناء الخلافة »والأحناء : جمع حنو — بكسر فسكون — وأحناء الأمور : جوانبها ونواحيها ، وأطلقوا أحناء الأمور على ما تشابه منها وأشكل المخرج منه ، والكاهل : اسم لما بين الكتفين ، ويعبر بشدة الكاهل عن القوة . والاستشهاد بالبيت هنا فى قوله « اليزيد » فإنه يعنى يزيد بن عبد الملك والد ممدوحه ، وقد أدخل أل على يزيد وهو علم ، وذلك لأنه اعتقد فيه الشياع بسبب تعدد المسمى بهذا الاسم ، وفى بنى أمية قوم المدوح عدة ممن سمى بيزيد .

٢٠٠ — أنشد ابن منظور البيت الأول من هذه الأبيات (م و ر) ونسبه لعبد الحق ، ولم يزد على ذلك ، وأنشده مرة أخرى (ع ن د م) من غير عزو ، وأنشد ثلاثتها (أ ب ل) ونسبها لابن عبد الجن (تصحيف عبد الحق) ، وأنشد ثالثها (ل ع ع) ونسبه إلى حميد به ثور ، وراجعت ديوان حميد فلم أجده فى أصل قصيدته التى مطلعها :

سل الربع أنى يممت أم سالم وهل عادة للربع أن يتكلما

ونبه الأستاذ الميمنى على أن هذا البيت مما وجده فى اللسان مما لا يوجد فى أصل الديوان ، وأنشد ابن يعيش ثانى هذه الأبيات (ص ٦٤٦) وفى رواية اللسان « أما ودماء لا تزال كأنها » وأنشدها كما هنا فى (أ ب ل) ودماء مائرات : أى مائجات ، يريد أنها كثيرة ، وذلك لكثرة القتل ، والقنة — بضم القاف وتشديد النون — أصلها أعلى الجبل ، والعزى : اسم صنم ، ونسر : اسم صنم أيضا ، وفى التنزيل العزيز (ولا يغوث ويعوق ونسرا) وقد أدخل عليه الشاعر الألف واللام ، ونسر : كان صنما لذى الكلاع بأرض حمير ، ويغوث : كان لمذحج ، ويعوق : لهمدان ، وهى من أصنام قوم نوح عليه السلام ، والعندم — بوزن جعفر — هو دم الأخوين ، ويقال : =

أراد « و بنسر » بدليل قوله تعالى : (وَيَعُوقَ وَنَسْراً) وكما قال الآخر :

٢٠١ — ولَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً ولَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ

= هو دم الغزال بلحاء شجر الأرطى يطبخان جميعا حتى ينعقد فتختضب به الجوارى ، وقال الأصمعى : هو صبغ زعم أهل البحرين أن جواريهم يختضبن به، والبيعة — بكسر الباء — متعبد النصارى ، ووقع فى اللسان « فى كل هيكل » والهيكل : هو البيعة ، والأبيل — بفتح الهمزة — رئيس النصارى ، وقيل : هو الراهب ، وقيل : هو صاحب الناقوس ، ولعلع : اسم موضع فيما حكاه صاحب اللسان ، وقال ياقوت : هو جبل كانت به وقعة لهم ، أو هو ماء بالبادية معروف . والاستشهاد بهذه الأبيات فى قوله و « بالنسر » حيث أدخل الألف واللام على العلم الخاص ، للضرورة ، والذى يدل على أن العلم « نسر » بدون الألف واللام قول العباس بن عبد المطلب ، يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق

قال ابن الأثير « يريد الصنم الذى كان يعبده قوم نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام » اهـ . وقد ورد فى الكتاب الكريم اسم أصنام قوم نوح فى الآية التى تلونا عليك وفيها « نسر » بدون ألف ولام ، فتكون الألف واللام فى هذا الشاهد زائدة .

٢٠١ — أنشد ابن منظور هذا البيت (و ب ر) وأسند روايته للأحمر والأصمعى ، وهو من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٢) وأوضح المسالك (رقم ٦٢) والأشمونى (رقم ١٢٧) وابن عقيل (رقم ٣٦) وجنيتك : أى جنيت لك ، وهو نظير قوله تعالى : (وإذا كالوهم أو وزنوهم) والأكمؤ : جمع كمء — بوزن كلب وأكلب ، وفلس وأفلس — وقد يجمع الكمء على كمأة ، فيكون المفرد خاليا من التاء والجمع مقرونا بها ، وهو عكس شجر وشجرة وكلم وكلمة ونظائرها ، وهو من نوادر اللغة ، والعساقل : جمع عسقل — بوزن جعفر — وهو ضرب من الكمأة أبيض ، وبنات أوبر : ضرب آخر من الكمأة مزغب على لون التراب ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « بنات الأوبر » وذلك أن بنات أوبر علم على هذه الكمأة ، وأصله بدون ألف ولام ، وقد زاد الشاعر الألف واللام حين اضطر لإقامة وزن البيت ، وهذا رأى كان الأصمعى يقوله ، ويشبه « بنات الأوبر » بأم العمرو، فى أن كلا منهما علم بدون الألف واللام ، =

أراد « بنات أوبر » وكما قال الآخر :

٢٠٢ — وإنِّى حُبِسْتُ الْيَوْمَ والأمْسِ قَبْلَهُ
بِبَابِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ

= وأن الشاعر زاد الألف واللام اضطرارا ، وثمة رأى آخر كان الأصمعى يجوزه أيضاً ، قال : « وقد يجوز أن يكون أوبر نكرة فعرفه باللام ، كما حكى سيبويه أن عرسا من « ابن عرس » قد نكره بعضهم فقال : هذا ابن عرس مقبل » اه .

٢٠٢ — هذا البيت من كلام نصيب بن رباح ، الأموى بالولاء ، وقد أنشده ابن منظور (أ م س) وعزاه إليه ، واستشهد به ابن هشام فى شرح شذور الذهب(رقم٤٤) والاستشهاد به فى قوله « والأمس » حيث أدخل الألف واللام على أمس ، مع أن المراد به اليوم الذى قبل يومك الذى أنت فيه ، وهو فى هـذه الحالة علم ، والعلم لاتدخله ال ، لـكنه لما اضطر أدخل عليه أل ليقيم وزن البيت ، واعلم أن « أمس » إما أن يراد به يوم مامن الأيام السابقة ، وإما أن يراد بخصوص اليوم الذى قبل يومك الذى أنت فيه ، وعلى كل حال إما أن يجمع جمع التكسير أو يصغر أو تدخله الألف واللام وإما ألا يكون شيئا من ذلك ، بل يكون مفردا مكبرا غير مقترن بال ، فإن أريد به يوم مامن الأيام الماضية أو جمع جمع تكسير أو صغر أودخلته ال المعرفة فهو معرب ، وإن أريد به اليوم الذى قبل يومك الحاضر ولم يجمع ولم يصغر ولم تدخل عليه أل المعرفة فللعرب فيه لغتان : الأولى بناؤه على الكسر وهى لغة أهل الحجاز ، والثانية إعرابه إعراب مالا ينصرف بالضمة من غير تنوين فى حالة الرفع ، وبالفتحة من غير تنوين فى حالتى الجر والنصب ، وقال الله تعالى : (فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) فالأمس فى هذه الآية الكريمة لايراد به خصوص اليوم السابق على يومك الذى أنت فيه فهو نكرة ، وهو معرب على اللغتين جميعاً ، وهو مجرور بالكسرة لاقترانه بأل ، وإذا علمت ذلك فاعلم أن « الأمس » فى بيت نصيب يروى بالنصب وبالجر ، أما رواية النصب فلا إشكال فيها ؛ لأنه يكون حينئذ ظرفا معطوفا على « اليوم » والمعطوف على المنصوب منصوب ، وأما رواية الجر فإنها تحتاج إلى نظر ؛ فمن العلماء من قال : هو مبنى على الكسر فى محل نصب ، واضطر إلى أن يدعى أن أل الداخلة عليه ليست أل المعرفة ، ولكنها زائدة مثل زيادتها فى « بنات الأوبر » وفى « أم العمرو » وفى « طبت النفس » وهذا هو الذى يجرى عليه =

أراد « وأمس » ولهذا تركه على جهته الأولى مكسورا ، وكما قال الآخر :

٢٠٣ — * فإنَّ الأُولاَءِ يَعلمُونَكَ منْهُمُ *

[١٤٢] أراد « أولاء » فكما أن زيادة الألف واللام فى هذه المواضع لا تدل

= كلام المؤلف فى هذا الموضع ، وقال قوم : لا ، بل هذه الألف واللام معرفة، والأمس معطوف على اليوم ، والمعطوف على المنصوب منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة التوهم ، وذلك أن الشاعر بعد أن قال « وقفت اليوم » توهم أنه أدخل على اليوم « فى » التى ينتصب الظرف على معناها ، فجاء بالمعطوف مجرورا على هذا التوهم ، وفى لسان العرب (أ م س) بحث لا بأس به فى كلمة « أمس » وموضع بنائها ومواضع إعرابها .

٢٠٣ — أنشد ابن منظور هذا الشاهد صدر بيت ولم يذكر تتمته (باب الألف اللينة ٢٠ / ٣٢١) و « الأولاء » ههنا اسم إشارة ، وأصلها « أولاء » فزاد الألف واللام ، ولو لم يزدها لم يتأثر البيت ، فإن الوزن مستقيم بذكرها وبحذفها ، ولكنه مع هذا لا يخلو عن الضرورة ، وذلك لأن أسماء الإشارة معرفة من غير حاجة إلى الألف واللام ، وكأنه قال : فإن هؤلاء يعلمونك منهم ، ولا تظنّ « الأولاء » فى هذا البيت اسما موصولا ، فإن اقتران « أولاء » الموصولة بأل كثير ، بل هى مما لازمتها من حين وضعها ، ومن ذلك قول الشاعر :

فإن الألى بالطف من آل هاشم   تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

ومن ذلك قول خلف بن حازم :

إلى النفر البيض الأولاء كأنهم   صفائح يوم الروع أخلصها الصقل

ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص غير أنه حذف الصلة للعلم بها :

نحن الأولى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا

أى نحن الذين عرفوا بالشجاعة والإقدام وعدم المبالاة بالعدو ، فزيادة « أل » فى « الأولاء » الموصولة زيادة لازمة لا تفارقها ، سواء أكانت مقصورة كما البيت الأول أم كانت ممدودة كما فى البيتين بعده ، أما « أولاء » الإشارية فأصل استعمالها أن تكون مجردة من أل ، وزيادة أل فيها مما ألجأت إليه الضرورة ، فاعرف هذا وتنبه له والله يرشدك .

على جواز زيادتها فى اختيار الكلام فلا يجوز أن يقال فى زيد الزَّيْد وفى عمرو الْعَمْرو؛ لمجيئه شاذا ، فكذلك ها هنا ، وأما بُعْدُه عن القياس فقد بَيَّنَّاه فى دليلنا، والله أعلم .

٤٤ ــ مسألة

[القول فى إضافة العدد المركب إلى مثله](1)

ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز أن يقال « ثَالِثَ عَشَرَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ » .

وذهب البصريون إلى أنه يجوز أن يقال « ثَالِثَ عَشَرَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ » .

أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أنه لا يمكن أن يُبْنَى من لفظ ثلاثة عشر فاعل ، وإنما يمكن أن يبنى من لفظ أحدهما ، وهو العدد الأول الذى هو الثلاثة ، ولا يمكن أن يبنى من لفظ العدد الثانى ــ وهو العشر ــ فذِكْرُ العشر مع ثالث لا وجه له .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل أن يقال « ثالث عشر ثلاثة عشر » وقد جاء ذلك عن العرب ، فإذا ساعده النقل والقياس ــ وهو الأصل ــ وجب أن يكون جائزاً .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه لا يمكن أن يبنى منهما فاعل ، وإنما يمكن أن يبنى من أحدهما » قلنا : هذا هو الحجة عليكم ؛ فإنه لما لم يمكن أن يبنى منهما وبنى من أحدهما احتيج إلى ذكر الآخر ؛ ليتميز ما هو واحد ثلاثة مما هو واحد ثلاثة عشر ، فأتى باللفظ كله ، والله أعلم .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد (٢/٣٥٧) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٤/٦٤ بولاق)

٤٥ — مسألة

[المنادى المفرد العلم ، معرب أو مبنى ؟][١]

ذهب الكوفِيُّونَ إلى أن الاسم المنادى المعرف المفرد معرب مرفوع بغير تنوين . وذهب الفراء من الكوفيين إلى أنه مبنى على الضم ، وليس بفاعل ولا مفعول . وذهب البصريون إلى أنه مبنى على الضم ، وموضعه النصب ؛ لأنه مفعول .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنا وجدناه لا مُعْرِبَ [١٤٣] له يصحبه من رافع ولا ناصب ولا خافض ، ووجدناه مفعول المعنى ؛ فلم نخفضه لئلا يشبه المضاف ، ولم ننصبه لئلا يشبه مالا ينصرف؛ فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه و بين ماهو مرفوع برافع صحيح فَرْق ، فأما المضاف فنصبناه لأنا وجدنا أكثر الكلام منصوباً ؛ فحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالا من غيره .

وأما الفراء فتمسك بأن قال : الأصْلُ فى النداء أن يقال « يازيداه » ، كالندبة ؛ فيكون الاسم بين صوتين مَدِيدَين — وهما « يا » فى أول الاسم ، والألف فى آخره — والاسم فيه ليس بفاعل ولا مفعول ولا مضاف إليه ، فلما كثر فى كلامهم استغنوا بالصوت الأول وهو « يا » فى أوله عن الثانى وهو الألف فى آخره ، فحذفوها و بَنَوْا آخر الاسم على الضم تشبيها بِقَبْلُ و بَعْدُ ؛ لأن الألف لما حذفت وهى مرادة معه ، والاسم كالمضاف إليها إذ كان متعلقاً بها ؛ أشْبَهَ آخرُهُ آخِرَ ماحذف منه المضاف إليه وهو مراد معه نحو « جِئتُ من قبلُ ومن بعدُ » أى من قبل ذلك ومن بعد ذلك ،

---

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص ٩٠ ليدن) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ١٥٩ ليبزج) وشرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (١/١٢٠) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/١١٩ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (٢/٢٠٨)

قال الله تعالى : (لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ) أى من قبل ذلك ومن بعد ذلك ؛ فكذلك ها هنا .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « لو كانت الألف فى آخر المنادى بمنزلة المضاف إليه لوجب أن تسقط نون الجمع معها فى نحو « واقِنَّسْرُونَاه» لأنا نقول: نحن لانجوِّز نُدْبة الجمع الذى على هجاءين ؛ فلا يجوز عندنا ندبة « قنسرون » بحذف النون ولا إثباتها كما لايجوز تثنيته ولا جمعه .

قالوا : ولا يجوز أيضاً أن يقال « إن هذا يبطل بالمنادى المضاف ، نحو : ياعَبْدَ عمرٍو ؛ فإنه يفتقر فى باب الصوت إلى مايفتقر إليه المفرد ؛ فكان ينبغى أن يقال : ياعبدُ عمرو ـ بالضم ـ لأن أصله : يا عبد عمراه » لأنا نقول : إنما لم يقدر ذلك فى المنادى المضاف لأجل طوله ، بخلاف المفرد ، فبَانَ الفرقُ بينهما .

وأما المضاف فإنما وجب أن يكون مفتوحا لأن الاسم الثانى حلَّ محل ألف الندبة فى قولك « يازيداه » والدال فى «يازيداه» مفتوحة ، فبقيت الفتحة على ما كانت فى « ياعبد عمرو » كما كانت فى «يازَيْدَاهُ» والمضموم هاهنا بمنزلة المنصوب ، والمنصوب بمنزلة المندوب ، ولا يقال إنه نُصِبَ بفعل ولا أداة .

قال : والذى يدل على أن المفرد بمنزلة المضاف [١٤٤] امتناعُ دخولِ الألف واللام عليه ، والذى يدل على أنه ليس منصوباً بفعل امتناعُ الحالِ أن تقع معه ؛ فلا يجوز أن يقال « يازيدُ راكباً » ، والذى يدل على أنه بمنزلة المضاف وإن أفرد حملُكَ نعتَهُ على النصب نحو « يازيدُ الظَّرِيفَ » كما يحمل نعتُه على الرفع نحو : « يازيدُ الظريفُ » .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مبنى وإن كان يجب فى الأصل أن يكون معرباً لأنه أشْبَهَ كافَ الخطابِ ، وكافُ الخطابِ مبنيةٌ ؛ فكذلك ماأشبهها . ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه : الخطاب ، والتعريف ، والإفراد ،

فلما أشْبَهَ كافَ الخطابِ من هذه الأوجه وجب أن يكون مبنياً كما أن كاف الخطاب مبنية .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما وجب أن يكون مبنيًّا لأنه وقع موقع اسم الخطاب ؛ لأن الأصل فى « يازيد » أن تقول : يا إيّاكَ ، أو ياأنتَ ؛ لأن المنادى لما كان مخاطباً كان ينبغى أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم الخطاب فيقال : « يا إياك » أو « ياأنت » كما قال الشاعر :

٢٠٤ — يامُرَّ يا ابْنَ واقِعٍ ياأَنْتَا أَنْتَ الذى طَلَّقْتَ عَامَ جُعْتَا
حَتَّى إِذَا اُصْطَبَحْتَ واُغْتَبَقْتَا أَقْبَلْتَ مُعْتَاداً لِمَا تَرَكْتَا
* قَدْ أَحْسَنَ اللهُ وقَدْ أَسَأْتَا *

---

٢٠٤ — هذه خمسة أبيات من الرجز المشطور ، وهى لسالم بن دارة يقولها فى مر بن واقع (انظر شرح التبريزى على الحماسة بتحقيقنا) وقد استشهد بالبيتين الأول والثانى رضى الدين فى باب النداء من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٢٨٩) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥٧ و ١٦٠ ليبزج) والأشمونى (رقم ٨٦٦) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٤٣١) والاستشهاد به ههنا فى قوله « يامر يابن واقع » وفى قوله « ياأنتا » فإن النداء الثانى ــ وهو قوله « ياأنتا » ــ يدل على النداء الأول ــ وهو قوله « يامر يابن واقع » ــ فى معناه ، فيكون الاسم العلم المنادى واقعا موقع الضمير ، وقد علم أن الضمير مبنى ، فيكون الواقع موقعه مبنيا أيضا ، قال ابن يعيش (ص ١٦٠) « فإن قيل : فلم بنى ، وحق الأسماء أن تكون معربة؟فالجواب أنه إنما بنى لوقوعه موقع غير المتمكن ، ألا ترى أنه وقع موقع المضمر ، والمتمكنة من الأسماء إنما جعلت للغيبة ؛ فلا تقول قام زيد وأنت تحدثه عن نفسه ، إنما إذا أردت أن تحدثه عن نفسه فتأتى بضميره فتقول : قمت ، والنداء حال خطاب ، والمنادى مخاطب ، فالقياس فى قولك يازيد أن تقول:يا أنت، والدليل على ذلك أن من العرب من ينادى =

فلما وقع الاسمُ المنادى موقعَ اسم الخطابِ وجب أن يكون مبنيًّا كما أن اسم الخطاب مبنى ، و إنما وجب أن يكون مبنياً على الضم لوجهين :

أحدهما : أنه لا يخلو : إما أن يبنى على الفتح ، أو الـكسر ، أو الضم ، بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، و بطل أن يبنى على الـكسر لأنه كان يلتبس بالمضاف إلى النفس ، و إذا بطل أن يبنى على الفتح وأن يبنى على الـكسر تعين أن يبنى على الضم .

والوجه الثانى : أنه بنى على الضم فرقاً بينه و بين المضاف ؛ لأنه إن كان مضافا إلى النفس كان مكسوراً ، و إن كان مضافا إلى غيرك كان منصوباً ، فبنى على الضم ؛ لئلا يلتبس بالمضاف ؛ لأنه لا يدخل المضاف .

و إنما قلنا « إنه فى موضع نصب » لأنه مفعول ؛ لأن التقدير فى قولك «يازيدُ » أدْعُو زيداً ، أو أنادِى زيداً ، فلما قامت « يا » مقامَ أدعو عملت عمله ، والذى يدل [١٤٥] على أنها قامت مقامه من وجهين؛ أحدهما : أنها تدخلها الإمالة نحو « يازيد ، و ياعمرو » والإمالة إنما تـكون فى الاسم والفعل ، دون الحرف ، فلما جازت فيها الإمالة دلَّ على أنها قد قامت مقام الفعل ، والوجه الثانى : أن لام الجر تتعلق بها نحو

= صاحبه إذا كان مقبلا عليه ومما لا يلتبس نداؤه بالمـكنى ، فيناديه بالمـكنى على الأصل فيقول : يا أنت ، قال الشاعر :

* يامر يا ابن واقع يا أنتا *

غير أن المنادى قد يكون بعيدا منك أو غافلا ، فإذا ناديته بأنت أو إياك لم يعلم أنك تخاطبه أو تخاطب غيره ؛ جئت بالاسم الذى يخصه دون غيره وهو زيد ، فوقع ذلك الاسم موقع المـكنى ، فتبنيه لما صار إليه من مشاركة المـكنى الذى يجب بناؤه » اهـ .

واعلم أن العرب إذا استعملت الضمير فى النداء استعملته على وجهين : أحدهما أن يأتوا به ضميرا من ضمائر النصب فيقولوا « يا إياك » والثانى أن يأتوا به ضميرا من ضمائر الرفع فيقولوا « يا أنت » كما فى البيت المستشهد به .

«يالَزَيْدٍ ، ويالَعَمْرٍو» فإن هذه اللامَ لامُ الاستغاثة ، وهى حرف جر ؛ فلو لم تكن «يا» قد قامت مقام الفعل وإلا لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ؛ لأن الحرف لايتعلق بالحرف ، فدلَّ على أنها قد قامت مقام الفعل ، ولهذا زعم بعضُ النحويين أن فيها ضميراً كالفعل .

وذهبَ بعض البصريين إلى أن «يَا» لم تقم مَقَامَ أدعو ، وأن العامل فى الاسم المنادى أدعو المقدر ، دون يا ، والذى عليه الأكثرون هو الأول .

فإذاً ثَبَتَ بهذا أنه منصوبٌ ، إلا أنهم بنوه على الضم لما ذكرنا .

والذى يدل على أنه فى موضع نصب أنك تقول فى وصفه «يازيدُ الظريفَ» بالنصب حملا على الموضع ، كما تقول «يازيدُ الظريفُ» بالرفع حملا على اللفظ ، كما تقول «مررت بزيدٍ الظريفِ والظريفَ» فالجر على اللفظ ، والنصب على الموضع ؛ فكذلك هاهنا : نُصِبَ لأن المنادى المفرد فى موضع نصب لأنه مفعول ، وهذا هو الأصل فى كل منادى ، ولهذا لَمَّا لم يعرض للمضاف والمشبه بالمضاف مايوجب بناءهما كالمفرد بَقِيَا على أصلهما فى النصب .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين ، أما قولهم «إن المنادى لا مُعْرِبَ له يصحبه» قلنا : لانسلم ، وقد بينا ذلك فى دليلنا .

وقولهم «إنا رفعناه» قلنا : وكيف رفعتموه ولا رافع له ؟ وهل لذلك قَطُّ نظيرٌ فى العربية ؟ وأين يوجد فيها مرفوع بلا رافع أو منصوب بلا ناصب أو مخفوض بلا خافض ؟ وهل ذلك إلا تحكم مَحْضٌ لا يستند إلى دليل ؟! ثم نقول : ولم رفعتموه بلا تنوين ؟ قولهم «ليكون بينه وبين ماهو مرفوع برافع فرق» قلنا : هذا باطل ؛ فإن فيما يرفع بغير تنوين ماهو صحيح الإعراب ، وذلك الاسم الذى لاينصرف .

وقولهم « إنا حملنا المضاف على لفظ المنصوب لكثرته فى الكلام » قلنا : هذا يبطل بالمفرد؛ فإنه كان ينبغى أن يحمل على النصب لكثرته فى الكلام، فلما لم يحمل المفرد على النصب دل على أنه ليس لهذا التعليل أصل .

وأما قول الفراء «إن الأصل فى النداء أن يقال يازيداه [١٤٦] كالندبة » فمجرد دعوى يفتقر إلى دليل .

وقوله « إن الألف المزيدة فى آخرهِ بمنزلة المضاف إليه ، فلما حذفوها بَنَوْهُ على الضم ، كما إذا حذف المضاف إليه من قبل ومن بعدُ » قلنا : هذا يبطل بالمنادى المضاف ، نحو « ياعَبْدَ عمرٍو » ؛ فإنه يفتقر فى باب الصوت إلى مايفتقر إليه المفرد ؛ فكان يجب أن يقال « يا عبدُ عمرو » بالضم ؛ لأن أصله ياعبد عمراه .

قوله « إنما لم يقدر ذلك فى المنادى المضاف لطوله» قلنا : هذا باطل؛لأن الطول لايمنع تقرير الكلمة على حقها من تقدير الصوت فى أوله وآخره ؛لأنه لافرق فى باب النداء بين طويل الأسماء وقصيرها ، ألا ترى أنك لو ناديت رجلا اسمه قَرَعْبَلاَنة أو هَزَنْبَرَان أو أشْنَانْدَانة وما أشبه ذلك لوجب فيه الضم ، وإن كان أكثر حروفاً من « ياعبد عمرو » فدل على بطلان ماذهب إليه .

وأما جعله نصبَ المضاف مبنياً على فتح ما قبل الألف المزيدة فى آخر المنادى فباطل أيضاً بما إذا قال « يا خَيْراً من زيد » إذا كان مفرداً مقصوداً له ، فإنه لا يخلو : إما أن يحمل نصب خير على الألف التى تدخل للصوت الرفيع ، أو على غيره ، فإن قال « على الألف » فكان ينبغى أن نقول « يا خَيْرَا من(1) زيد » وهذا لا يقوله أحد ، وإذا لم تدخله الألف وقد نُصِبَ دلَّ على أنه لم يحمل على الألف ، وأنه محمول على غيره .

والذى يدل على بطلان ماذهب إليه من جَعْله الألفَ فى آخر المنادى بمنزلة المضاف إليه أنه لو كان كذلك لوجب أن تسقط نون الجمع معها فى نحو : « واقنسروناه »

(١) أى من غير تنوين « خير » .

قولهم « نحن لا نُجَوز ندبة الجمع الذى على هجاءين فلا يجوز عندنا ندبة قنسرون بحذف النون ولا إثباتها » قلنا : هذا يلزمكم إذا جعلتم مكان الواو ياء ؛ فإنه يجوز عندكم أن تقولوا : واقنسريناه ، و إن امتنع عندكم واقنسروناه ، وكلاهما لفظ الجمع .

وأما قوله « إن المفرد بمنزلة المضاف ؛ بدليل امتناع دخول الألف واللام عليه » قلنا : لا نسلم أن امتناع دخول الألف واللام عليه لما ذكرت ، و إنما امتنع دخول الألف واللام عليه لأن الإشارة إليه والإقبالَ عليه أغْنَتْ عن دخول الألف واللام عليه .

وأما قوله « الذى يدل على أنه ليس منصوباً بفعلٍ امتناعُ الحال أن تقع معه » قلنا : [١٤٧] لا نسلم أن امتناع الحال أن تقع معه إنما كان لأجل العامل ، ولكن لتناقض معنى الكلام فيه ، وذلك لأنا لو قلنا « يا زَيْدُ راكباً » على معنى الحال لكان التقدير أن النداء فى حال الركوب ، و إن لم يكن راكباً فلا نداء ، وهذا مستحيل ؛ لأن النداء قد وَقَعَ بقوله « يا زيد » فإن لم يكن راكباً لم يخرجه ذلك عن أن يكون قد نادى زيداً بقوله « يا زيد » وليس ذلك فى سائر الكلام ، ألا ترى أنك لو قلت « اضرب زيداً راكبا » فلم تجده راكبا لم يجز أن تضربه ، على أنه قد حكى أبو بكر بن السراج عن أبى العباس المبرد أنه قال : قلت لأبى عثمان المازنى : ما أنكرتَ من الحال للمَدْعُوِّ؟ قال: لم أنكر منه شيئاً ، إلا أن العرب لم تَدْعُ على شريطةٍ ؛ فإنهم لا يقولون « يا زيد راكباً » أى : ندعوك فى هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشيا ؛ لأنه إذا قال « يا زيد » فقد وقع الدعاء على كل حال ، قلت : فإن احتاج إليه راكباً ولم يحتج إليه فى غير هذه الحالة ، فقال : ألست تقول يا زيد دعاء حقاً ؟ فقلت : بلى ، فقال : عَلَى م تحمل المصدر ؟ قلت : لأن قولى يا زيد كقولى أدعو زيداً ؛ فكأنى قلت : أدعو دعاء حقاً ، فقال : لا أرى بأساً بأن تقول على هذا : يا زَيْدُ رَاكِباً ، فالزم القياسَ .

قال أبو العباس : وجَدْتُ أنا تصديقاً لهذا قولَ النابغة :

٢٠٥ — قَالَتْ بَنُو عامِرٍ : خَالُوا بَنِي أَسَدٍ،
يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوَام

---

٢٠٥ — هذا البيت للنابغة الذبيانى كما قال المؤلف ، وكان بنو عامر قد طلبوا إلى قوم النابغة أن يقاطعوا بنى أسد ، فجهلهم النابغة فى ذلك ، والبيت من شواهد سيبويه (٣٤٦/١) ورضى الدين فى أول باب المنادى من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢٨٥/١) ومعنى « خالوا بنى أسد » أى تاركوهم وقاطعوهم ، وحرفيته خلوا بينهم وبين أنفسهم ولا تكونوا معهم ، ومنه قالوا للمرأة المطلقة « خلية » وقالوا « خليت النبت » أى قطعته ، وقوله « يا بؤس للجهل » معناه ما أبأس الجهل على صاحبه وأضره له ، والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله « يا بؤس للجهل ضرارا » فإن هذه الكلمة حال ، وقد جعله المبرد حالا من المضاف الذى هو المنادى ، ومن المعلوم أن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها ؛ فيكون العامل فى هذه الحال هو العامل فى المنادى — وهو حرف النداء النائب مناب أدعو — وكأنه قال : أدعو بؤس الجهل أدعوه حال كونه ضرارا لأقوام ، ومن العلماء من جعل هذه الحال من المضاف إليه الذى هو الجهل ؛ فيكون العامل فيه هو المضاف لأنه هو العامل فى صاحبه ، ومن هؤلاء رضى الدين فى شرح الكافية والأعلم الشنتمرى ، قال رضى الدين (١٢٠/١) : « واعلم أنه قد ينصب عامل المنادى المصدر اتفاقا نحو : يا زيد دعاء حقا ، وأجاز المبرد نصبه للحال نحو : يازيد قائما ، إذا ناديته فى حال قيامه ، قال : ومنه قوله :

* يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام *

والظاهر أن عامله بؤس الذى بمعنى الشدة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال — أعنى الجهل — تقديرا ؛ لزيادة اللام ؛ فهو مثل : أعجبنى مجىء زيد راكبا » اهـ فأنت ترى أنه بعد أن نقل مذهب المبرد استظهر غيره وهو الذى حكيناه عنه ، وقال الأعلم « ونصب ضرارا على الحال من الجهل » اهـ ، والاستشهاد الثانى بهذه الجملة فى زيادة اللام وإقحامها بين المضاف الذى هو بؤس والمضاف إليه الذى هو الجهل ، قال سيبويه « ومثل هذا قول الشاعر إذا اضطر :

* يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام *

حملوه على أن اللام لو لم تجىء لقلت : يا بؤس الجهل » يريد أن الشاعر مع مجىء =

وقوله « والذى يدل على أنه بمنزلة المضاف وإن أفرد حملُكَ نعتَه على النصبِ نحو يا زيد الظريفَ كما يحمل نعته على الرفع نحو يا زيد الظريفُ » قلنا : لا نسلم أن نصب الوصف لأن المفرد بمنزلةِ المضاف ، وإنما نصبه لأن الموصوف وإن كان مبنيا على الضم فهو فى موضع نصب لأنه مفعول ؛ فنُصِبَ وصفُه حملا على الموضع كما رفع حملا على اللفظ ، وحَمْلُ الوصفِ والعطفِ على الموضع جائزٌ فى كلامهم كما يحمل على اللفظ ؛ ولهذا يجوز بالإجماع « ما جاءنى من أحدٍ غيرُك » بالرفع، كما يجوز بالجر ، قال الله تعالى : (مالكم مِن إلاهٍ غَيْرُهُ) بالرفع والجر ؛ فالرفع على الموضع ، والجر على اللفظ .

قال الشاعر :

حَتَّى تَهَجَّرَ فِى الرَّوَاحِ وَهَاجَهَا طَلَبَ الْمُعَقِّبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ [١٤٥]

[١٤٨] فرفع « المظلوم » وهو صفة للمجرور الذى هو « المعقِّب » حملا على الموضع ؛ لأنه فى موضع رفع بأنه فاعل ، إلا أنه لما أضيف المصدر إليه دخله الجر للاضافة ، وكذلك يجوز أيضاً الحملُ على الموضع فى العطف نحو « مَرَرْتُ بزيدٍ وعمراً » كما يجوز « وعَمْرٍو » قال الشاعر :

٢٠٦ — فَلَسْتُ بِذِى نَيْرَبٍ فِى الصَّدِيقِ وَمَنَّاعَ خَيْرٍ وَسَبَّابَهَا

وَلاَ مَنْ إذَا كَانَ فى جَانِبٍ أَضَاعَ الْعَشِيرَةَ فَاغْتَابَهَا

= اللام ترك التنوين ؛ لأنه قدر اللام غير موجودة وأن الاسم مضاف إلى ما بعده ، وقال الأعلم « الشاهد فيه إقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه فى قوله يابؤس للجهل ، توكيدا للاضافة » اهـ .

٢٠٦ — هذان البيتان من كلام عدى بن خزاعى ، وقد رواهما صاحب الصحاح (ن ر ب) كما رواها المؤلف ، ولكن ابن منظور نقل عن ابن برى أن صواب الإنشاد هكذا : =

وقال الآخر وهو عُقَيبة الأسدى :

٢٠٧ — مُعَاوِىَ إنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ
فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلاَ الْحَدِيدَا

= ولست بذى نيرب فى الكلام ومناع قومى وسبابها
ولا من إذا كان فى معشر أضاع العشيرة واغتابها
ولكن أطاوع ساداتها ولا أعلم الناس ألقابها

والنيرب ـ بوزن جعفر وكوثر ـ الشر والنميمة ، وتقول «نيرب الرجل» ـ مثل بيطر مما ألحق بدحرج بزيادة الياء ـ تريد سعى ونم ، وتقول « نيرب الكلام » تريد خلطه ، ورجل نيرب ، ورجل ذو نيرب ؛ أى ذو شر ونميمة . ومحل الاستشهاد قوله « ومناع خير » على ما رواه المؤلف ؛ فإن الرواية فى هذه الكلمة وردت بنصب « مناع » المعطوف على قوله « بذى نيرب » الذى هو خبر ليس مزيدا فيه الباء ، وإنما أتى الشاعر بالمعطوف منصوبا لأن موضع المعطوف عليه النصب لكونه خبر ليس ، وهذه الباء الداخلة عليه زائدة لا عمل لها إلا فى اللفظ .

٢٠٧ — هذا البيت والبيت الذى رواه المؤلف بعد قليل على أنه تال لهذا البيت لتبيين قافية الكلمة وأنها منصوبة ، هما من كلام لعقيبة بن هبيرة الأسدى يقوله لمعاوية بن أبى سفيان يشكو إليه جور عماله ، وهما من شواهد سيبويه (١/٣٤و٣٥٢و٣٧٥ و٤٤٨) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٤٠) ورضى الدين فى أثناء باب توابع المنادى من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٣٤٣) واعلم أولا أن قصيدة عقيبة بن هبيرة الأسدى رويها مجرور ، وهى تروى هكذا :

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجرزتموها فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع فى الخلود إذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلود ؟

وقد روى سيبويه البيتين اللذين رواهما المؤلف بالنصب ، وقال الأعلم « وقد رد على سيبويه رواية البيت بالنصب ؛ لأن البيت من قصيدة مجرورة معروفة ، وبعده ما يدل على ذلك ، وهو قوله :

* أكلتم أرضنا فجرزتموها ـ البيت * =

فنصب « الحديد » حملا على موضع « بالجبال » لأن موضعها النصبُ بأنها خَبَرُ ليس ، ومن زعم أن الرواية « ولا الحديدِ » بالخفض فقد أخطأ ؛ لأن البيت الذى بعده :

أَدِيرُوهَا بَنِى حَـرْبٍ عَلَيْكُمْ ... وَلاَ تَرْمُوا بِهَا الْغَرَضَ الْبَعِيدَا

والروى المخفوض لا يكون مع الروى المنصوب فى قصيدة واحدة

وقال العجاج :

٢٠٨ — كَشْحاً طَوَى مِنْ بَلَدٍ مُخْتَارَا

مِنْ يَأْسَةِ اليَائِسِ أَوْ حِذَارَا

= وسيبويه غير متهم فيما نقله رواية عن العرب ، ويجوز أن يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه المعروفة ، أو يكون الذى أنشده رده إلى لغته فقبله منه سيبويه ، فيكون الاحتجاج بلغة المنشد ، لا بقول الشاعر » اهـ كلامه ، ومنه يتبين أن الذى كان فى نسخة كتاب سيبويه التى كانت بيد الأعلم بيت واحد ؛ فالظاهر أن نقلة كتاب سيبويه أضافوا البيت الثانى ليظهر أن ثمة قصيدة بالنصب وأن البيت من هذه القصيدة ، ومحل الاستشهاد قوله « ولا الحديدا » حيث نصب المعطوف نظرا إلى موضع المعطوف عليه ، قال سيبويه « ومما جاء من الشعر فى الإجراء على الموضع قول عقيبة الأسدى ، وأنشد البيتين » اهـ وقال الأعلم : « استشهد به على جواز المعطوف على موضع الباء وما عملت فيه ؛ لأن معنى لسنا بالجبال ولسنا الجبال واحد » اهـ .

٢٠٨ — الكشح — بفتح الكاف وسكون الشين — ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وهو موضع السيف من المتقلد ، ويقال « طوى فلان كشحه على الأمر » إذا استمر ودام عليه ، ويقال « طوى كشحه عنا » إذا ذهب وقطع أواصر الرحم ، قال الشاعر :

طوى كشحا خليلك والجناحا ... لبين منك ، ثم غدا صراحا

ويقال « طوى فلان كشحا على ضغن » إذا عاداك وفاسدك ، قال زهير :

وكان طوى كشحا على مستكنة ... فلا هو أبداها ولم يتجمجم

ومحل الاستشهاد هنا قوله « أو حذرا » حيث عطف هذا المنصوب على قوله « يأسة =

وقال الآخر :

٢٠٩ — فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِداً
وَدُونَ مَعَــدٍّ فَلْتَزَعْكَ الْعَوَاذِلُ

= اليائس » المجرور لكون محل هذا المجرور النصب لكونه مفعولا لأجله، وقد علمت أن المفعول لأجله يجوز جره بحرف جر دال على التعليل ولو استوفى شروط النصب ، ألا ترى أنه لو لم يأت بمن لكان يقول: يأسة اليائس أو حذارا، فينصب المعطوف والمعطوف عليه جميعا ؟ وقد ذكرنا لك جملة من الشواهد للعطف على المحل تجرى فى أبواب مختلفة فى شرح الشاهد رقم ١١٦ فارجع إليها إن شئت .

٢٠٩ — هذا البيت من كلام لبيد بن ربيعة العامرى، وقد استشهد به سيبويه (١/٣٤) ورضى الدين فى أثناء باب توابع المنادى ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١ / ٣٣٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٣٣) وانظر شرح شواهد المغنى للسيوطى (ص ٥٥) ومحل الاستشهاد قوله « ودون معد » حيث عطف « دون » هذه المنصوبة على « دون » السابقة المجرورة؛ لكون محل الأولى المجرورة هو النصب ؛ فإن المجرور بحرف الجر مفعول به فى المعنى ، ألا ترى أن العامل هنا — وهو قوله « تجد » يتعدى إلى ثانى مفعوليه بنفسه تارة وبحرف الجر تارة أخرى ، قال الأعلم : « حمل دون الآخرة على موضع الأولى لأن معنى لم تجد من دون عدنان ولم تجد دون عدنان واحد » اهـ . وقال ابن هشام فى المغنى (ص ٤٧٣ بتحقيقنا) : « وللعطف على المحل ثلاثة شروط : الأول إمكان ظهوره فى الفصيح ، ألا ترى أنه يجوز فى ليس زيد بقائم وما جاءنى من امرأة أن تسقط الباء فتنصب ومن فترفع ؛ فعلى هذا لا يجوز : مررت بزيد وعمرا ، خلافا لابن جنى ؛ لأنه لا يجوز فى الفصيح : مررت زيدا ، ولا تختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائدا كما مثلنا ، بدليل قوله :

* فإن لم تجد من دون عدنان والدا * البيت

وأجاز الفارسى فى قوله تعالى : (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أن يكون (يوم القيامة) عطفا على محل (هذه) لأن محله النصب » اهـ المقصود منه بتصرف يسير جداً .

وقال الآخر أيضاً :

٢١٠ — أَلاَ حَيِّ نَدْمَانِي عُمَـــيْرَ بْنَ عَامِرٍ
إذَا مَا تَلاَقَيْنَا مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَـــدَا

فنصب « غداً » حملا على موضع « من اليومِ » وموضعها نصب .

والشواهدُ على الحمل على الموضع فى الوصفِ والعطفِ أكْثَرُ من أن تُحْصَى ، وأوْفَرُ من أن تُستقصى ، والله أعلم .

٤٦ — مسألة

[القول فى نداء الاسم المحلَّى بأل](١)

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نداء ما فيه الألف واللام نحو « يا الرجل ، ويا الغلام » ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

---

٢١٠ — الندمان — ومثله النديم — الذى يجالسك ويشاربك ، وقال الشاعر :

وندمان يزيد الكأس طيبا سقيت وقد تغورت النجوم

والاستشهاد بالبيت فى قوله « أو غدا » حيث جاء به منصوبا تبعا لمحل « اليوم » الذى هو المعطوف عليه ؛ على مثال ماقلنا فى شرح الشواهد السابقة ، ومن العلماء من خرج هذا البيت على أن «من» فى قوله « من اليوم » زائدة ؛ فيكون « اليوم » منصوبا على الظرفية، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وسيذكر المؤلف هذا التخريج فى آخر المسألة ٥٤ .

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٧١ ليبزج) وكتاب سيبويه (١/ ٣١٠) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/ ١٢٥) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢ / ٢١٦) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٩٣ ليدن) وشرح رضى الدين على الكافية (١ / ١٢٨و١٣٢) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن [١٤٩] قالوا : الدليل على أنه جائز أنه قد جاء ذلك فى كلامهم ، قال الشاعر :

٢١١ — فَيَا الْغُلَامَانِ اللّذَانِ فَرَّا إيَّاكُمَا أنْ تَكْسِبَانِى شَرَّا

فقال « ياالغلامان » فأدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام .

وقال الآخر :

٢١٢ — فَدَيْتُكِ يَا الَّتِى تَيَّمْتِ قَلْبِى وأنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوُدِّ عَنِّى

---

٢١١ — هذان بيتان من الرجز المشطور، وقد استشهد بهما ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٧٢) ورضى الدين فى أثناء باب توابع المنادى من شرح الكافية (١ / ١٣٢) وشرحها البغدادى فى الخزانة (١ / ٣٥٨ بولاق) والأشمونى (رقم ٨٧٩) وابن عقيل (رقم ٣٠٩) وقوله « إياكما أن تكسبانى شرا » روى فى مكانه « إياكما أن تعقبانا شرا » وهو تحذير ، وتقديره : احذرا من أن تكسبانى شرا ، ويجوز فى حرف المضارعة فى « تكسبانى » الفتح على أنه مضارع كسب الثلاثى والضم على أنه مضارع أكسب ، وكل أهل اللغة يجيزون أن تقول « كسبت زيدا مالا ، أو علما » إلا ابن الأعرابى فإنه كان يوجب أن تقول « أكسبت زيدا مالا » بالهمزة . ومحل الاستشهاد قوله « فياالغلامان » حيث جمع بين حرف النداء وأل ، والبصريون يقررون أن الجمع بين حرف النداء وأل جائز فى موضعين : أحدهما فى نداء اسم الله تعالى فى نحو قولك « يا أألله » وثانيهما فيما تحكيه من الجمل نحو أن تسمى رجلا « الرجل منطلق ، وفيما عدا هذين لايجوز الجمع بين حرف النداء وال فى الاختيار ، وأما الكوفيون فقد أجازوا ذلك اعتمادا على ماورد منه فى نحو البيت المستشهد به ، ونحو قول الآخر وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٨٧٨) :

عباس يا الملك المتوج والذى عرفت له بيت العلا عدنان

٢١٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١ / ٣١٠) والزمخشرى فى المفصل (رقم ٣٥ بتحقيقنا) وابن يعيش فى شرحه (ص ١٧٢) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٩٣) ورضى الدين فى شرح الكافية (١ / ١٣٢) وشرحه البغدادى فى الخزانة (١ / ٣٥٨) وقوله « فديتك » قد روى « من اجلك ياالتى » بإلقاء حركة الهمزة من =

فقال « يا التى » فأدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام ؛ فدلّ على جوازه والذى يدل على صحة ذلك أنا أجمعنا على أنه يجوز أن نقول فى الدعاء « يا ألله اغفرلنا » والألف واللام فيه زائدان ؛ فدل على صحة ما قلناه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأن الألف واللام تفيد التعريف ، و « يا » تفيد التعريف ، وتعريفان فى كلمة لا يجتمعان ؛

= « أجلك » وهى الفتحة على النون قبلها وحذف الهمزة ، و« تيمت قلبى » أى استعبدته وأذللته ، وقوله « بالود » هو كذلك فى كتاب سيبويه وشرح الأعلم ، وورد فى المفصل « بالوصل » ومحل الاستشهاد قوله « يا التى » حيث جمع بين حرف النداء وأل ، مع أن أل فى هذه الكلمة لازمة لا يجوز إسقاطها؛ لأنها لازمتها من حال الوضع ، ولهذا يزعم البصريون أن هذا البيت أخف شذوذا من البيت السابق (رقم ٢١١) لأن الألف واللام فى قول الشاعر « فيا الغلامان » ليسا بلا زمين ، قال الأعلم : « الشاهد فيه دخول حرف النداء على الألف واللام فى قوله « يا التى » تشبيها بقولهم « ياالله » للزوم الألف واللام لها ، ضرورة ، ولا يجوز ذلك فى الكلام » اهـ .

وقال ابن يعيش « وأما بيت الكتاب :

* من اجلك يا التى تيمت قلبى — إلخ »

فشاذ قياسا واستعمالا ، فأما القياس فلما فى نداء ما فيه الألف واللام على ما ذكر ، وأما الاستعمال فظاهر ، فإنه لم يأت منه إلا ما ذكر ، وهو حرف أوحرفان ، ووجه تشبيهه بيا الله من جهة لزوم الألف واللام وإن لم يكن مثله ، والفرق بينهما أن الذى والتى صفتان يمكن أن ينادى موصوفهما وينوى بهما صفتين كقولك : يا زيد الذى فى الدار ويا هند التى أكرمتنى ، ويقع صفة لأيها ، نحو قوله تعالى : (يايها الذين آمنوا) و (يأيها الذى نزل عليه الذكر) وليستا اسمين ، ولا يكون ذلك فى اسم الله تعالى ؛ لأنه اسم غالب جرى مجرى الأعلام كزيد وعمرو » اهـ .

وقال أبو سعيد السيرافى : « كان أبو العباس لا يجيز يا التى ، ويطعن على البيت ، وسيبويه غير متهم فيما رواه ، ومن أصحابنا من يقول : إن قوله يا التى تيمت قلبى على الحذف ، كأنه قال : يأيها التى تيمت قلبى ، فحذف ، وأقام النعت مقام المنعوت » اهـ .

ولهذا لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية فى الأسم المنادى العلم نحو « يا زيد » بل يُعرَّى عن تعريف العلمية ويُعرَّف بالنداء ؛ لئلا يُجْمَع بين تعريف النداء وتعريف العلمية ، وإذا لم يجز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية فَلأن لا يجوز الجمعُ بين تعريف النداء وتعريف الألف واللام أَوْلى ، وذلك لأن تعريف النداء بعلامة لفظية ، وتعريف العلمية ليس بعلامة لفظية ، وتعريف الألف واللام بعلامة لفظية ، كما أن تعريف النداء بعلامة لفظية ، وإذا لم يجز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية وأحدُهما بعلامة لفظية والآخَرُ ليس بعلامة لفظية فَلَأن لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف الألف واللام وكلاهما بعلامة لفظية كان ذلك من طريق الأولى .(١)

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قوله :

* فيا الْغُلاَمَانِ اللَّذَانِ فَرَّا * [٢٠١]

فلا حجة لهم فيه ؛ لأن التقدير فيه « فيا أيها الغلامان » فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، وكذلك قول الآخر :

* فَدَيْتُكِ يَا الَّتِي تَيَمَّتِ قَلْبِي * [٢١٢]

(١) هذه إحدى ثلاث علل ذكرها البصريون وأنصارهم ، والعلة الثانية أن تعريف الألف واللام تعريف العهد ، وهو يتضمن معنى الغيبة ؛ لأن العهد يكون بين اثنين — هما المتكلم والمخاطب — فى شأن ثالث غائب عنهما ، والنداء خطاب لحاضر ، فلو جمعت بينهما لتنافى التعريفان ، والعلة الثالثة أن المنادى المقرون بال إما أن يبنى وإما أن يعرب ، وكلاهما مشكل ، أما البناء فوجه إشكاله من جهتين : الأولى أن الألف واللام من خصائص الاسماء ؛ فهى تبعد الاسم من شبه الحرف الذى هو علة البناء ، والجهة الثانية أن الألف واللام معاقبة للتنوين ، فهى كالتنوين ، فكأن الاسم المقترن بهما منون فمن أجل ذلك استكرهوا دخول الألف واللام مطرداً فى المنادى المبنى ، وأما الإعراب فوجه إشكاله أن العلة التى من أجلها بنوا المنادى — وهى وقوع المنادى موقع الضمير ، ومشابهته الضمير فى الإفراد والتعريف — موجودة فى ذى الألف واللام إذا نودى ، فكيف يعرب؟

حَذَفَ الموصوف وأقام الصفة مقامه، على أن هذا قليل، إنما يجيء في الشعر؛ [١٥٠] فلا يكون فيه حجة، على أنه سَهَّلَ ذلك أن الألف واللام من « التي » لا تنفصل منها، فنزلت منزلة بعض حروفها الأصلية، فيتسهل دخول حرف النداء عليها.

وأما قولهم « إنا نقول في الدعاء يا أللهُ » فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الألف واللام عِوَضٌ عن همزة « إلٰه » فتنزلت منزلة حرفٍ من نفس الكلمة، وإذا تَنَزَّلَتْ منزلَةَ حرفٍ من نفس الكلمة جاز أن يدخل حرفُ النداء عليه، والذي يدل على أنها بمنزلة حرف من نفس الكلمة أنه يجوز أن يقال في النداء « يا أللهُ » بقطع الهمزة، قال الشاعر :

٢١٣ — مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ عَلَى ٱسْمِكَ ٱللَّهُمَّ يَا أَللهُ

ولو كانت كالهمزة التي تدخل مع لام التعريف لوجَبَ أن تكون موصولة، فلما جاز فيها ها هنا القطعُ دلَّ على أنها نزلت منزلَةَ حرفٍ من نفس الكلمة، كما أن الفعل إذا سمى به فإنه تُقْطَع همزة الوصل منه نحو اُضْرِبْ واُقْتُلْ، تقول « جاءنى

---

٢١٣ — هذان بيتان من مشطور الرجز، وقد أنشدهما ابن منظور (أل ه) ولم يعزهما، والاستشهاد بهما في قوله «يا أللهُ» حيث ورد لفظ الجلالة منادى مقطوع الهمزة، وقد زعم المؤلف — تبعا لأنصار البصريين — أن قطع الهمزة يدل على أنها نزلت من اللفظ الكريم منزلة جزء منه، وإلا لجاءت همزة وصل غير مقطوعة؛ لكونها في الأصل همزة ال المعرفة، وهمزة ال المعرفة همزة وصل كما هو معروف، وفي كل دعوى من هذه الدعاوى الكثيرة مقال، قال ابن منظور « الفراء : ومن العرب من يقول إذا طرح الميم : يا ألله اغفر لي — بهمزة — ومنهم من يقول : يا الله — بغير همز — فمن حذف الهمزة فهو على السبيل؛ لأنها ألف ولام مثل لام الحارث من الأسماء وأشباهه، ومن همزها توهم الهمزة من الحرف؛ إذ كانت لا تسقط منه الهمزة، قال :

* مبارك هو ومن سماه — البيت * » اهـ كلامه .

إضرب ، ورأيت إضرب ، ومررت بإضرب » و « جاءنى أُقتل ، ورأيت أُقتل ، ومررب بأقتل[1] » بقطع الهمزة- ليدل على أنها ليست كالهمزة التى كانت فى الفعل قبل التسمية ، وأنها بمنزلة حرف من نفس الكلمة ، فكذلك ها هنا .

والذى يدل على ذلك أنهم لو أجْرَوْا هذا الاسم مُجْرَى غيره مما فيه ألف ولامٌ لكانوا يقولون « يا أيها الله » كما يقولون « يا أيها الرجل » : إما على طريق الوجوب عندنا ، أو على طريق الجواز عندكم ، فلما لم يجز أن يقال ذلك على كل حالٍ دلّ على صحة ما ذهبنا إليه .

والوجه الثانى : أن هذه الكلمة كثر استعمالها فى كلامهم ؛ فلا يقاس عليها غيرها .

والوجه الثالث : أن هذا الاسم عَلَم غير مُشْتقّ أتى به على هذا المثال من البناء من غير أصل يُرَدُّ إليه ؛ فينزل منزلة سائر الأسماء الأعلام ، وكما يجوز دخولُ حرف النداء على سائر الأسماء الأعلام فكذلك ها هنا .

والمعتمد من هذه الأوجه هو الوجه الأول ، والله أعلم .

---

(١) من ذلك قول الراعى ، وهو من شواهد المفصل(رقم ٢ بتحقيقنا) :

أشلى سلوقية باتت وبات بها بوحش إصمت فى أصلابها أود

أشلى : أى أغرى ، وأنكر ثعلب مجىء أشلى بمعنى أغرى ، وهو محجوج بمثل هذا البيت ، وسلوقية : أى كلابا منسوبة إلى سلوق ، وإصمت : اسم علم على برية بعينها ، وقال أبو زيد : يقال : لقيته ببلدة إصمت ، أى فى بلد قفر ، وفى أصلابها أود : أى فى وسط ظهورها اعوجاج ، والاستشهاد به فى قوله « إصمت » فإن أصله فعل أمر من صمت يصمت صماتا ، فسمى به مكان معين ، وقد غيروه حين النقل من فعل الأمر إلى العلمية ثلاثة تغييرات : التغيير الأول أنهم قطعوا همزه فصيروها همزة قطع بعد أن كانت همزة وصل ، الثانى أنهم كسروا ميمه بعد أن كانت مضمومة ، والثالث أنهم حركوا آخره بعد أن كان ساكنا .

[١٥١] ٤٧ — مسألة

[القولُ فى الميم فى « اللهمَّ » أعِوَضٌ من حرف النداء أم لا ؟][١]

ذهب الكوفيون إلى أن الميم المشددة فى « اللهمَّ » ليست عوضاً من « يا » التى للتنبيه فى النداء. وذهب البصريون إلى أنها عوض من « يا » التى للتنبيه فى النداء، والهاء مبنية على الضم لأنه نداء.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الأصل فيه « يا أللهُ أُمَّنا بخيرٍ » إلا أنه لما كثر فى كلامهم وَجَرى على ألسنتهم حذَفوا بعض الكلام طلبا للخفة، والحذفُ فى كلام العرب لطلب الخفة كثيرٌ، ألا ترى أنهم قالوا « هلمَّ، ووَيْلُمِّهِ » والأصل فيه: هل أمَّ، ووَيْلَ أمه، وقالوا « أيشٍ » والأصْلُ: أىُّ شَىْء. وقالوا « عِمْ صَبَاحاً » والأصْلُ: انعِمْ صَبَاحاً. وهذا كثير فى كلامهم.

قالوا: والذى يدل على أن الميم المشددة ليست عوضا من « يَا » أنهم يجمعون بينهما، قال الشاعر:

٢١٤ — إنى إذَا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا أَقُولُ: يَا اللّهُمَّ، يَا اللّهُمَّا

(١) انظر فى هذه المسألة: لسان العرب (أ ل ه) وشرح الكافية (١/١٣٢) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ١٨١) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/١٢٦ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢١٧ بولاق).

٢١٤ — هذان بيتان من الرجز المشطور، وقد أنشدهما ابن منظور فى لسان العرب (أ ل ه) و رضى الدين فى شرح الكافية (١/١٣٢) وشرحهما البغدادى فى الخزانة (١/٣٥٨) وأنشدهما الأشمونى (رقم ٨٨٠) وابن عقيل (رقم ٣١٠) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٤٣٩) وابن يعيش (ص ١٨١) والحدث ـ بالتحريك ما يحدث من الأمور، ومحل الاستشهاد هنا قوله « يا اللهم » حيث جمع الشاعر بين حرف النداء والميم المشددة فى نداء لفظ الجلالة، واعلم ـ أولا ـ أن نداء لفظ الجلالة =

وقال الآخر:

٢١٥ — وَمَا عَلَيْكِ أنْ تَقُولِى كُلّمَا صَلّيْتِ أوْ سَبّحْتِ: يَا اللّهُمّ مَا
* أُرْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنا مُسَلّمَا *

= قد ورد على عدة أوجه؛ الوجه الأول ــ وهو الأصل، والأكثر استعمالا ــ أن تقول: يا ألله، تدخل حرف النداء على الاسم الجليل، وتقطع الهمزة، والوجه الثانى: أن تقول: يا الله، تدخل حرف النداء على الاسم العظيم، وتجعل همزته همزة وصل، وقد سبق ذكر هذين الوجهين فى شرح الشاهد السابق (رقم ٢١٣) والوجه الثالث: أن تقول: اللهم، تحذف حرف النداء وتأتى فى آخر الاسم الكريم بميم مشددة، وقد اختلف النحاة فى هذه الميم المشددة؛ فقال البصريون وأنصارهم: هى عوض عن حرف النداء، وقال قوم ــ منهم الفراء ــ هذه الميم المشددة بقية كلمة، وأصل العبارة: ياالله أمنا بخير، وقد أنكر ذلك الزجاج، وشنع على القائل به، فمن ذهب إلى أن الميم المشددة عوض عن حرف النداء قال: لا يجمع بين حرف النداء والميم المشددة فى الكلام، فإن ورد ذلك فى شعر فهو شاذ لا يقاس عليه، لأنه لا يجمع بين العوض والمعوض عنه، ومن هؤلاء شيخ المحققين ابن مالك الذى يقول فى الخلاصة (الألفية):

والأكثر اللهم، بالتعويض وشذ يا اللهم فى قريض

ومن ذهب مذهب الفراء لم ينكر الجمع بين الميم المشددة وحرف النداء، والوجه الرابع: أن تقول: لا هم، فتحذف حرف النداء وال من أول الاسم الكريم، وتجىء بالميم المشددة فى آخره، ومنه قول الراجز:

لا هم إن كنت قبلت حجتج فلا يزال شاحج يأتيك بج

يريد: إن كنت قبلت حجتى ويأتيك بى، فأبدل الياء جيما، وأكثر هذه الوجوه هو الوجه الثالث، وهو الذى ورد استعماله فى القرآن الكريم، نحو قوله سبحانه: (قل اللهم فاطر السموات والارض)

٢١٥ — هذه ثلاثة أبيات من الرجز المشطور، وقد أنشدها ابن منظور فى اللسان (أ ل ه) ورضى الدين فى شرح الكافية (١/١٣٢) وشرحها البغدادى فى الخزانة (١/٣٥٩) و «ما» فى قوله «وما عليك» استفهامية تقع مبتدأ خبره الجار والمجرور، والمعنى: أى شىء عليك؟ وسبحت: أى نزهت ربك وعظمته وقدسته، أو قلت: =

وقال الآخر :

٢١٦ — * غَفَرْتَ أَوْ عَذَّبْتَ يا اللهُمَّا *

فجمع بين الميم و « يا » ولو كانت الميمُ عوضا من « يا » لما جاز أن يجمع بينهما ؛ لأن العوض والمعوَّضَ لا يجتمعان.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنا أجمعنا أن الأصل « يا أللهُ » إلا أنا لما وجدناهم إذا أدخلوا الميم حذفوا « يا » ووجدنا الميم حرفين و « يا » حرفين ، و يستفاد من قولك « اللهمَّ » ما يستفاد من قولك « يا أللهُ » دَلَّنا ذلك على أن الميم عوض من « يا » ؛ لأن العوض ما قام مقام المعوض ، وها هنا الميمُ قد أفادت ما أفادت « يا » ؛ فدل على أنها عوض منها ، ولهذا لا يجمعون بينهما إلا فى ضرورة الشعر ، على ما سنبين فى [١٥٢] الجواب إن شاء الله تعالى .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين[١] : أما قولهم « إن الأصل يا أللهُ أمنا بخير ، فحذفوا بعض الكلام لكثرة الاستعمال » قلنا : الجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

= سبحان الله . وصليت : دعوت ، وشيخنا : أراد أبانا ، ونظير ذلك قول الأعشى ميمون بن قيس :

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا : يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذى صليت ؛ فاغتمضى نوما ، فإن لجنب المرء مضطجعا

ومحل الاستشهاد قوله « يا اللهم ما » حيث جمع بين حرف النداء والميم المشددة ، ولم يكتف بذلك ، بل زاد ميما مفردة بعد الميم المشددة ، وقد بينا أقوال العلماء فى الجمع بين حرف النداء والميم فى شرح الشاهد السابق (٢١٤) .

٢١٦ — هذا بيت من مشطور الرجز ، ولم أقف له على سوابق أو لواحق ، والاستشهاد به فى قوله « يا اللهم » حيث جمع بين حرف النداء والميم المشددة فى آخر لفظ الجلالة ، والكلام فيه على نحو ما ذكرناه فى شرح الشواهد السابقة .

(١) انظر رد الزجاج على ماذهب إليه الفراء من أن أصل « اللهم » يا ألله أمنا بخير ، فى لسان العرب (أ ل ه)

الوجه الأول : أنه لو كان الأمر كما زعمتم وأن الأصل فيه يا ألله أُمَّنَا بخير لكان ينبغى أن يجوز أن يقال اللهمنا بخير ، وفى وقوع الإجماع على امتناعه دليلٌ على فساده .

والوجه الثانى : أنه يجوز أن يقال « اللهمَّ أُمَّنَا بخيرٍ » ولو كان الأول يراد به « أمَّ » لما حسن تكرير الثانى ؛ لأنه لا فائدة فيه .

والوجه الثالث : أنه لو كان الأمر كما زعمتم لما جاز أن يستعمل هذا اللفظ إلا فيما يؤدى عن هذا المعنى ، ولا خلاف أنه يجوز أن يقال « اللهم العَنْهُ ، اللهمَّ أَخْزِهِ ، اللهم أَهْلِكْهُ » وما أشبه ذلك ، وقد قال الله تعالى : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ولو كان الأمر كما زعموا لكان التقدير : أُمَّنَا بخير ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، ولا شك أن هذا التقدير ظاهر الفساد والتناقض ؛ لأنه لا يكون أمهم بالخير أن يمطر عليهم حجارة من السماء أو يُؤْتَوْا بعذاب أليم .

وهذا الوجه عندى ضعيف ، والصحيح من وجه الاحتجاج بهذه الآية أنه لو كانت الميم من الفعل لما افتقرت إن الشرطية إلى جواب فى قوله (إن كان هذا هو الحق من عندك) وكانت تسد مسدَّ الجوابِ ، فلما افتقرت إلى الجواب فى قوله (فأمطر علينا) دل أنها ليست من الفعل .

ويحتمل عندى وجها رابعاً : أنه لو كان الأصل « يا ألله أمنا بخير » لكان ينبغى أن يقال : اللهم وارحمنا ، فلما لم يجز أن يقال إلا « اللهم ارحمنا » ولم يجز « وارحمنا » دلَّ على فساد ما ادعوه .

وأما قولهم « إن هلم أصلها هل أم » قلنا : لا نسلم ، وإنما أصلها « ها المم » فاجتمع ساكنان : الألف من « ها » واللام من « المم » فحذفت الألف لا لتقاء

الساكنين ، ونقلت ضمةُ المـيمِ الأولى إلى اللام ، وأدغمت إحـدى الميمين فى الأخرى ، فصار هَلُمَّ .

وقولهم « الدليل على أن الميم ليست عوضاً من يا أنهم يجمعون بينهما كقوله :

إنى إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهما [٢١٤]

[١٥٣]وقول الآخر :

وما عليك أن تقولى كلما سَبَّحْتِ أو صليت يا اللهم ما » [٢١٥]

فنقول : هذا الشعر لا يعرف قائله ؛ فلا يكون فيه حجة ، وعلى أنه إن صح عن العرب فنقول : إنما جمع بينهما لضرورة الشعر ، وسَهَّل الجمع بينهما للضرورة أن العوض فى آخر الاسم ، والمعوض فى أوله ، والجمع بين العوض والمعوض منه جائز فى ضرورة الشعر ، قال الشاعر :

٢١٧ — هُمَا نَفَثَا فِى فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِى أَشَدُّ رِجَامِ

---

٢١٧ — هذا البيت آخر قصيدة للفرزدق همام بن غالب يهجو فيها إبليس وابنه ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٨٣ و ٢٠٢) وقد أنشده ابن منظور (ف م م – ف و ه) وعزاه إليه فى المرتين ، واستشهد به رضى الدين فى باب الإضافة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٢٦٩) وكان رجل من موالى باهلة قد أعطى الفرزدق نحى سمن على أن يهب له أعراض قومه – يعنى يتركهم ولا يهجوهم – فقال هذه القصيدة (انظر الديوان ٧٦٩ – ٧٧١) وقوله «هما نفثا » رواية الديوان « هما تفلا » وضمير المثنى يعود إلى إبليس وابنه اللذين ذكرهما فى قوله قبل بيت الشاهد :

وإن ابن إبليس وإبليس ألبنا لهم بعذاب الناس كل غلام

وقوله « أشد رجام » أشدهنا أفعل تفضيل مضاف إلى ما بعده ، ووقع فى الديوان « أشد لجامى » على أن « أشد » فعل مضارع ، ولعله تحريف ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « فمويهما » فإن هذا مثنى الفم مضافا إلى ضمير الغائبين ، وللعلماء فيه كلام نلخصه لك فيما يلى : أكثر العلماء على أن أصل الفم « فوه » بدليل قولهم : تفوه فلان بكذا ، وقولهم : فلان أفوه من فلان ، وفلان مفوه ، مثل مكرم ، =

. . . .

= ثم حذفوا الهاء اعتباطا ، ولم يعوضوا منها شيئاً ، ثم حذفوا الواو وعوضوا منها الميم فصار « فم » على وزن « نع » وإذا ثنيت الفم بعد رده إلى أصله قلت « فوهيها » ولكن الشاعر قال « فمويها » فأبقى الميم التى قصدوا بها التعويض عن الواو المحذوفة من المفرد ، وأعاد الواو التى هى عين الكلمة ، فجمع بذلك بين العوض – وهو الميم – والمعوض منه وهو الواو ، ومن المعلوم أن الجمع بين العوض والمعوض منه لايقع فى كلام العرب ، وقد حاول أبو على أن يتخلص من هذا المأزق مع البقاء على ماأصلوه من قاعدة عدم الجمع بين العوض والمعوض منه ؛ لهذا قال : « ويجوز فيها وجه آخر ، وهو أن تكون الواو فى فمويها لاما فى موضع الهاء من أفواه ، وتكون الكلمة تعتقب عليها لامان : هاء مرة ، وواو أخرى ، فجرى هذا مجرى سنة وعضة ، ألا ترى أنهما فى قول سيبويه واوان ، بدليل : سنوات ، وأسنتوا ، ومساناة ، وعضوات ، وتجدها فى قول من قال : ليست بسنهاء ، وبعيرعاضه ، هاءين ؟ » اه ، وهذا الكلام يحتمل وجهين ؛ الوجه الأول : أن يكون يريد أن الميم عوض عن الهاء التى هى لام الكلمة ، وقد قدمها عن مكانها الأصلى قال الجوهرى « وقالوا فى التثنية : فموان ، وإنما أجازوا ذلك لأن هناك حرفا آخر محذوفا وهو الهاء ، كأنهم جعلوا الميم فى هذه الحال عوضا عنها ، لاعن الواو » اه ، وفيه بعد. والوجه الثانى : أن يكون أراد أن أصل الفم فمو ، فالميم عين الكلمة والواو لامها ، وتقلب هذه الواو ألفا فى المفرد لتحركها وانفتاح ماقبلها فتقول : فما ، كما تقول : عصا ، وعلى هذا قول الراجز :

ياحبذا وجه سليمى والفما والجيد والنحر وثدى قد نما

قال ابن برى « وقد جاء فى الشعر فما مقصورة مثل عصا ، وعلى ذلك جاء تثنيته فموان » اه ، وعلى هذا يكون « والفما » فى قول الراجز اسما مفرداً مقصوراً مرفوعا بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وخرجه الفراء على وجهين آخرين : أحدهما أن يكون أصله « والفمان » على التثنية ، فحذف النون ، والثانى أن تكون الواو واو المعية و« الفما » منصوب على أنه مفعول معه منصوب بالفتحة الظاهرة ، وألفه للاطلاق وجوز ابن جنى وجها ثالثا ، وهو أن يكون منصوبا بفعل مضمر ، كأنه قال : وأحب الفم ، ويكون نصبه بالفتحة الظاهرة أيضاً . وقد أطلت عليك فى تخريج هذه الكلمة فبحسبك هذا .

فجمع بين الميم والواو وهى عوض منها لضرورة الشعر ، فجمع بين العوض والمعوض ، فكذلك ها هنا ، والله أعلم .

٤٨ — مسألة

[هل يجوز ترخيم المضاف بحذف آخر المضاف إليه ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن ترخيم المضاف جائز ، ويُوقِعُونَ الترخيم فى آخر الاسم المضاف إليه ، وذلك نحو قولك « يا آلَ عامِ » فى يا آل عامرٍ ، و« يا آل مالِ » فى يا آل مالك ، وما أشبه ذلك . وذهب البصريون إلى أن ترخيم المضاف غير جائز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن ترخيم المضاف جائز أنه قد جاء فى استعمالهم كثيراً ، قال زُهَيْر بن أبى سُلْمى :

٢١٨ — خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ وَاحْفَظُوا
أَوَاصِرَنَا وَالرِّحْمُ بِالْغَيْبِ تُذْكَرُ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣ / ١٥٠ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢ / ٢٣٢) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٩٦) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٨٥) وشرح الكافية (١ / ١٣٦) .

٢١٨ — هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى ، وقد استشهد به سيبويه (١ / ٣٤٣) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٨٥) والرضى فى شرح الكافية (١ / ١٣٦) وشرحه البغدادى فى الخزانة (١ / ٣٧٣) كما استشهد به الأشمونى (رقم ٩١٦) والمؤلف فى أسرار العربية (ص ٩٦) وقوله « خذوا حظكم » هو هكذا فى كتاب سيبويه وفى شرح الكافية والخزانة ، وورد فى شرح المفصل وكتب المتأخرين « خذوا حذركم » وقوله « يا آل عكرم » أراد بنى عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، والأواصر : جمع آصرة ، وهى كل مايعطفك على آخر ومنها الرحم ، ومزينة قوم زهير وآل عكرمة بن خصفة كلاهما من مضر ، يقول : خذوا حظكم من مودتنا ومسالمتنا ، وكانوا =

أراد «يا آل عِكْرِمَةَ» إلا أنه حذف التاء للترخيم ، وهو عكرمة بن خَصَفَةَ(١) ابن قيس بن عَيْلاَن بن مضر ، وهو أبو قبائل كثيرة من قيس . وقال الآخر :

٢١٩ — أَبَا عُرْوَ لاَ تَبْعَدْ فَكُلُّ ٱبْنِ حُرَّةٍ
سَيَدْعُوهُ دَاعِي مِيتَــةٍ فَيُجِيبُ

= قد اعتزموا غزو قومه. والاستشهاد بالبيت فى قوله « يا آل عكرم » فإن «آل عكرم» مركب إضافى ، وقد رخمه بحذف آخر المضاف إليه ؛ فإن أصله « يا آل عكرمة » فحذف التاء ، وقد استدل الكوفيون بهذا البيت وأمثاله على أنه يجوز ترخيم المركب الإضافى المنادى بحذف آخر المضاف إليه ، لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشىء الواحد، والحذف من آخر الثانى مع أن المنادى هو الأول كأنه حذف من آخر الاسم المفرد غير المضاف وأنكر ذلك عليهم البصريون ، وذكروا أن الترخيم فى هذا البيت ونحوه شاذ كالترخيم فى غير النداء ، فكما حذف بعض الشعراء من أواخر الأسماء فى غير النداء لأنهم اضطروا إلى ذلك حذفوا من أواخر المركبات الإضافية فى النداء لأنهم أضطروا إلى ذلك ، وقد عقد سيبويه فى كتابه بابا ترجمته « هذا باب مارخمت الشعراء فى غير النداء اضطرارا » وقال الأعلم فى بيت الشاهد « الشاهد فى ترخيم عكرمة وتركه على لفظه ، ويحتمل أن تجعل فتحته إعرابا ، على أنه اسم لمؤنث فلا تصرفه ؛ لأن عكرمة وإن كان اسم رجل فإنه يقع على القبيلة » اهـ .

(١) فى ر « عكرمة بن حفصة » تحريف .

٢١٩ — هــذا البيت من شواهد شرح المفصل (ص ١٨٥) وشرح الكافية (١ / ١٣٦) وشرحه البغدادى فى الخزانة (١ / ٣٧٧) واستشهد به أيضاً ابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٤٥١) وشرحه العينى (٤ / ٢٨٧ بهامش الخزانة) وقوله « لاتبعد » أصل معناه لاتهلك ، ولكنهم يريدون لاينقطع ذكرك ولا تنسى سوالفك ، و « ميتة » بكسر الميم ولهــذا انقلبت الواو الساكنة ياء ، ووقع بدلها عند بعض الذين استشهدوا بالبيت « موتة » بفتح الميم وبقاء الواو على حالها . ومحل الاستشهاد بالبيت فى قوله « أبا عرو » فإن هذا منادى بحرف نداء محذوف ، وهو مركب إضافى ، وقد رخمه الشاعر بحذف آخر المضاف إليه ، فإن أصله « ياأبا عروة » فحذف حرف النداء ، وحذف التاء من عروة ، والكلام فيه كالكلام فى البيت السابق .

أراد « أبا عُروة » . وقال الآخر :

٢٢٠ — إِمَّا تَرَيْنِي الْيَوْمَ أُمَّ حَمْزِ   قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي

أراد « أم حمزة » . والشواهدُ على هذا كثيرةٌ جداً ، فدل على جوازه . ولأن المضاف [١٥٤] والمضاف إليه بمنزلة الشيء الواحد ، فجاز ترخيمه كالمفرد .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن ترخيم المضاف غير جائز أنه لم توجد فيه شروط الترخيم ، وهي : أن يكون الاسم منادى ، مفرداً ، مَعْرِفة ، زائدا على ثلاثة أحرف . والدليل على اعتبار هذه الشروط : أما شرط كونه منادى فظاهر ؛ لأنهم لا يرخمون في غير النداء إلا في ضرورة الشعر ، ألا ترى أنهم لا يقولون في حالة الاختيار في غير النداء « قام عَامِ » في عامر ، ولا « ذهب مَالِ »

٢٢٠ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وهما من شواهد سيبويه (١ / ٣٣٣) وقد نسب في صدر الكتاب وفي شرح شواهده ، لرؤبة بن العجاج ، والعنق — بفتح العين والنون جميعاً — ضرب من السير السريع ، والجمز — بفتح فسكون — أشد من العنق ، وهو يشبه الوثب . وصف كبره وأنه قد قارب بين خطاه ضعفا . والاستشهاد بالبيت في قوله « أم حمز » فإن هذا منادى بحرف نداء محذوف ، وهو مركب إضافي ، وقد رخمه بحذف آخر المضاف إليه « وأصله « يا أم حمزة » فحذف حرف النداء وهويا ، وحذف التاء من المضاف إليه ، وهو نظير ماذكرناه في شرح الشواهد السابقة .

واعلم أنا رأيناهم يرخمون المركب الإضافي المنادى على عدة وجوه :

الأول : أن يحذفوا آخر المضاف إليه ، كما في الشواهد ٢١٨و٢١٩و٢٢٠ .

والوجه الثاني : أن يحذفوا آخر المضاف لأنه هو المنادى عند التحقيق ، مثل قول الشاعر :

* يا علقم الخير قد طالت إقامتنا *

أراد « ياعلقمة الخير » فرخمه بحذف التاء من المضاف إذ كان هو المنادى .

والوجه الثالث : أن يحذفوا المضاف إليه كله ، ومن ذلك قول عدي بن زيد :

ياعبد هل تذكرني ساعة   في موكب أو رائدا للقنيص ؟

أراد أن يقول « ياعبد هند » لأنه ينادي عبد هند اللخمي ، فحذف المضاف إليه بتة .

فى مالك ، فدل على أنه شرط معتبر . وأما شرط كونه مفرداً فظاهر أيضاً ؛ لأن النداء يؤثر فيه البناء ، ويغيره عما كان عليه قبل النداء ، ألا ترى أنه كان معربا فصار مبنيا ؟ فلما غيره النداء عما كان عليه من الإعراب قبل النداء جاز فيه الترخيم ؛ لأنه تغيير ، والتغيير يُؤْنِس بالتغيير ؛ فأما ما كان مضافاً فإن النداء لم يؤثر فيه البناء ولم يغيره عما كان عليه قبل النداء ؛ ألا ترى أنه معرب بعد النداء كما هو معرب قبل النداء ؟ وإذا كان الترخيم إنما سَوَّغَه تغييرُ النداء ، والنداء لم يغير المضاف ؛ فوجب أن لا يدخله الترخيم ؛ فصار هذا بمنزلة حذف الياء فى النسب من باب فُعَيلة وفَعِيلة كقولهم فى النسب إلى جُهَيْنة « جُهَنِى » وإلى رَبيعة « رَبَعِى » وإثباتُهَا فى باب فُعَيل وفَعِيل كقولهم فى النسب إلى قُشَيْر « قُشَيْرى » وإلى جَرِير « جَرِيرىّ » فإن الياء إنما حذفت من باب فُعَيلة وفَعِيلة دون باب فُعَيل وفَعِيل لأن النسب أثر فيه وغَيَّرَهُ بحذف تاء التأنيث منه ، والتغيير يؤنس بالتغيير ، بخلاف باب فُعَيل وفَعِيل ؛ فإن النسب لم يؤثر فيه تغييرا ، فلم يحذف منه الياء ، فأما قولهم فى النسب إلى قريش « قُرَشِىّ » وإلى هُذَيل « هُذَلِىّ » وإلى ثَقِيفٍ « ثَقَفِىّ » ــ بحذف الياء فى إحدى اللغتين ــ فهو من الشاذ الذى لا يقاس عليه ، واللغة الفصيحة إثبات الياء ، وهى أن تقول : قُرَيْشِىّ ، وهُذَيْلِى ، وثَقِيفِىّ ، وهو القياس . قال الشاعر :

٢٢١ ــ بِكلِّ قُرَيْشِىّ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ سَرِيع إلى دَاعِى النَّدَى وَالتكَرُّمِ

---

٢٢١ ــ هذا البيت من شواهد سيبويه (٢ / ٧٠) ولم يعزه ولا عزاه الأعلم فى شرح شواهده ، وهو من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٧٧١) وقد رواه ابن منظور (ق ر ش) ثالث ثلاثة أبيات ، ولم يعزها إلى قائل معين ، والبيتان اللذان قبله هما قوله :

ولست بشاوى عليه دمامة إذا ماغدا يغدو بقوس وأسهم
ولكنما أغدو على مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم =

وقال الآخر .

٢٢٢ — هُذَيْلِيّةٌ تَدْعُو إِذَا هِيَ فَاخَرَتْ أَبًا هُذَلِيًّا مِن غَطَارِفَةٍ نُجْدِ

[١٥٥] وكما أن الحذف ها هنا إنما اختص بما غيَّره النسب دون غيره ، فكذلك الحذف ها هنا للترخيم إنما يختص بما غيَّره النداء ــ وهو المفرد المعرفة ــ دون المضاف والنكرة . وأما شرط كونه زائداً على ثلاثة أحرف فسنذكر ذلك فى المسألة التى بعد هذه المسألة إن شاء الله تعالى .

= وأول هذين البيتين من شواهد سيبويه (٢ / ٨٤) وثانيهما من شواهده أيضاً (٢ / ١٨٦) وقوله فى بيت الشاهد الذى نحن بصدده « سريع إلى داعى الندى » يريد أنه إذا دعاه الندى أودعى إليه أجاب سريعا نحوه ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت هنا قوله « قريشى » حيث أجراه فى النسب على أصله ، ووفاه حروفه ، ولم يحذف ياءه ، وهو القياس ؛ لأن الياء لايطرد حذفها إلا فيما كانت فيه هاء التأنيث نحو جهينة ومزينة ، إلا أن العرب آثرت فى قريش الحذف لكثرة الاستعمال له، فقالوا : قرشى .

٢٢٢ — هذا البيت من شواهد الزمخشرى فى المفصل (انظر شرح ابن يعيش ٧٦٩ و ٧٧٠) والاستشهاد بهذا البيت فى موضعين ، الأول فى قوله « هذيلية »والثانى فى قوله « أبا هذليا » فإن الشاعر قد جمع فيه بين إثبات الياء فى الكلمة الأولى وحذف الياء فى الكلمة اثانية ، والقياس فى مثله إبقاء الياء وعدم حذفها .

قال أبو البقاء بن يعيش : « وقالوا ثقفى فىالنسبة إلى ثقيف ، وهو أبو قبيلة من هوازن ، وهو شاذ عند سيبويه ، والقياس ثقيفى ، وهو لغة قوم من العرب بتهامة وما يقرب منها ، وقد كثر ذاك حتى كاد يكون قياساً ، وقالوا : هذلى فى النسبة إلى هذيل ، وهو حى من مضر بن مدركة بن إلياس،و القياس عند سيبويه : هذيلى، ومنه قوله :

* هذيلية تدعو إذا هى فاخرت * البيت

وقالوا : قرشى ، والقياس قريشى ، نحو قوله :

* بكل قريشى عليه مهابة * البيت

وقالوا : فقمى ، فى فقيم ، وفقيم حى من كنانة ، وهم نسأة الشهور ، وقالوافىمليح خزاعة : ملحى ، وقالوا فى سليم : سلمى ، وفىخثيم: خثمى، والداعى إلى هذا الشذوذ. طلب الخفة ؛ لاجتماع الياء مع الكسرة وياءى النسب » اه .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما استشهدوا به من الأبيات فلا حجة فيه ؛ لأنه محمولٌ عندنا على أنه حذف التاء لضرورة الشعر ، والترخيم عندنا يجوز لضرورة الشعر فى غير النداء ، قال الشاعر :

٢٢٣ — أَوْدَى ابْنُ جُلْهُمَ عَبَّادٌ بِصِرْمَتِهِ
إِنَّ ابْنَ جُلْهُمَ أَمْسَى حَيَّةَ الْوَادِي

---

٢٢٣ — هذا البيت من كلام الأسود بن يعفر ، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٤٤) ورواه ابن منظور (ج ل هـ م) وأودى بها : أى ذهب بها ، والصرمة — بكسر الصاد وسكون الراء — القطعة من الإبل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والوادى : المطمئن من الأرض ، وحية الوادى : كناية عن كونه يحمى ناحيته ويتقى منه كما يتقى من الحية الحامية لواديها المانعة منه . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « إن ابن جلهم » واعلم أولا أن العرب سمت المرأة جلهم — بغير تاء — وسمت الرجل جلهمة — بالتاء — كذا جرى استعمالهم للاسمين ، ثم اعلم أنه يجوز أن يكون الشاعر قد عنى أباه ، ويجوز أن يكون قد عنى أمه ، فإن كان قد عنى أباه كان أصل العبارة « إن ابن جلهمة » فرخمه بحذف التاء مع أنه غير منادى ، بل هو فاعل أودى ومضاف إليه ، ولكن يسأل حينئذ عما دعاه إلى فتح « جلهم » وهو علم المذكر فلا يكون ممنوعا من الصرف بعد حذف التاء ، والجواب عن هذا أنه لما حذف التاء أبقى الحرف الذى قبلها على ما كان عليه ، كالذى يرخم على لغة من ينتظر الحرف المحذوف ، وإن كان قد عنى أمه كان أصل العبارة « إن ابن جلهم » كما وردت فى البيت ؛ فلا يكون فى البيت — على هذا الوجه — ترخيم ، ولا يستدل به على شىء من هذا الباب. ويكون « جلهم » مجرورا بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث كزينب ورباب من أعلام الإناث التى لا تاء فيها ، ومن هنا تعلم أن استشهاد المؤلف بهذا البيت لا يتم إلا على أساس أن الشاعر أراد اسم الأب ، وهو ظاهر بعد هذا الإيضاح . قال سيبويه رحمه الله : « وأما قول الأسود بن يعفر :

* أودى ابن جلهم عباد بصرمته *

فإنما أراد أمه جلهم ، والعرب يسمون المرأة جلهم والرجل جلهمة » اهـ . يعنى أنه لا ترخيم فيه عنده ، وقال الأعلم: «الشاهد فى قوله جلهم ، وأنه أراد أمه جلهم ؛ =

أراد « جُلْهُمَةَ » فحذف التاء لضرورة الشعر ، وقال الآخر :

٢٢٤ — ألاَ أضْحَتْ حِبَالُكُمُ رِمَامَا
وَأضْحَتْ مِنْكَ شَاسِعَةً أُمَامَا

= فلا ترخيم فيه على هذا ؛ لأن العرب سمت المرأة جلهم بغيرهاء،والرجل جلهمةبالهاء . كذا جرى استعمالهم للاسمين ، وإن كان أراد أباه فقد رخم » ا ه .

٢٢٤ — هذا البيت من كلام جرير بن عطية بن الخطفي ، وروايته في الديوان على قلق في وزنه (ص ٥٠٢) :

أصبح حبل وصلكم رماما   وما عهد كعهدك يا أماما

وليس في البيت — على هذه الرواية — ما يستشهد به لشيء في هذه المسألة كما ترى ، وكان أبو العباس المبرد يرد الاستشهاد بهذا البيت ويدعى أن الرواية هي هذه ، والبيت — على ما رواه المؤلف — من شواهد سيبويه (١/٣٤٣) ورضى الدين في شرح الكافية (١/١٣٦) وشرحه البغدادى في الخزانة (١/٣٨٩ بولاق) وابن هشام في أوضح المسالك (رقم ٤٥٧) والأشمونى (رقم ٩٢٤) وقد رواه المؤلف كما هنا في أسرار العربية (٩٧) والاستشهاد بالبيت على رواية النحاة فى قوله « أماما » فإن أصله «أمامة» فرخمه الشاعر بحذف التاء في غير النداء لأنه اسم أضحت ، وأبقى الحرف الذى قبل التاء على حركته التي كانت له قبل حذف التاء وهى الفتحة ؛ فهذا يدل على أن ترخيم غير المنادى في الضرورة يجيء على الوجهين اللذين يجيء عليهما ترخيم المنادى، نعنى أنه يجوز عند الضرورة ترخيم الاسم الذى ليس منادى مع قطع النظر عن الحرف الذى حذف للترخيم فتعامل الحرف الذى صار آخر الكلمة بالذى يستحقه من حركات الإعراب ، ويجوز ألا يقطع النظر عن الحرف الذى حذف للترخيم فتبقى الحرف الذى صار آخر الكلمة على حركته التي كانت عليه قبل الترخيم وتجعل حركة الإعراب مقدرة على الحرف الذى حذف ، وما في هذا البيت من هذا الضرب . فأماما : اسم أضحى تأخر عن خبرها ، وهو مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الحرف المحذوف للترخيم ، وتسمى هذه لغة من ينتظر ، وتسمى الأولى لغة من لا ينتظر ، كما تسميان في ترخيم المنادى .

أراد « أمامة ». وقال الآخر :

٢٢٥ — إنّ ٱبْنَ حَارِثَ إنْ أَشْتَقْ لِرُؤْيَتِهِ
أَوْ أَمْتَدِحْـــــهُ فإنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا

أراد « ابن حارثة » وقال الآخر :

٢٢٦ — أَبُو حَنَشٍ يُؤَرِّقُنِي ، وَطَلْقٌ وَعَمَّــارٌ ، وَآوِنَةً أُثَالاَ

٢٢٥ — هذا البيت من كلام أوس بن حبناء ، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٤٣) والأشمونى (رقم ٩٢٥) والمراد بابن حارث ابن حارثة بن بدر الغدانى سيد بنى غدانة بن يربوع بن تميم ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « ابن حارث » فإن أصله حارثة بالتاء ، فرخمه بحذف التاء ،وأبقى الحرف الذى قبل التاء على حركته التى كان عليها قبل الترخيم وهى الفتحة ، ولولا ذلك لما كان هناك سبب لإعراب « حارث » إعراب الاسم الذى لا ينصرف ، وبيان ذلك أن «حارث» مضاف إليه ؛ فكان يجب أن يجر بالكسر الظاهرة وينون ؛ لأنه ليس باسم قبيلة ولا بعلم مؤنث ، ولا يكون مجرورا بالفتحة نيابة عن الكسرة إلا إذا كان واحداً من هذين ، لهذا كان تخريج شيخ النحاة سيبويه لهذا وأمثاله على أنه رخمه فى غير النداء على لغة من ينتظر الحرف المحذوف كما كان له أن يفعل ذلك فى ترخيم المنادى ، ونظيره قول الشاعر :

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

أراد طريف بن مالك ، فحذف الكاف ، ونظيره قول الآخر :

* ليس حى على المنون بخال *

أراد أن يقول : ليس حى بخالد ، فلم يتيسر له ، فحذف الدال ، ونظيره قول أبى الطيب المتنبى :

لله ما فعل الصوارم والقنا فى عمرو حاب وضبة الأغتام

أراد أن يقول: فى عمرو حابس ، فرخمه بحذف السين ،غير أن هذه الأبيات الثلاثة تستوى فيها اللغتان لغة من ينتظر الحرف المحذوف ولغة من لا ينتظر الحرف المحذوف بسبب كون الحركة التى كانت للحرف الذى صار آخر الكلمة هى نفس الحركة التى يقتضيها الإعراب .

٢٢٦ — هذا البيت من كلام عمرو بن أحمر ،وهو من شواهد سيبويه (١/٣٤٣)=

أراد « أثالة » وزعم المبرد أنه ليس فى العرب أثالة ، و إنما هو أثال . ونصبه على تقدير : يذكرنى آونة أثالا ، وقيل : نصبه لأنه عطفه على الياء والنون فى «يؤرقنى» كأنه قال : يُؤَرِّقنى وأثالا ، وقال بعضُ بنى عبْس :

٢٢٧ — أرِقْتُ لِأَرْحَامٍ أرَاهَا قَرِيبَـــةً
لِحَارِ بْنِ كَعْبٍ لاَ لِجَرْمٍ وَرَاسِبِ

=والأشمونى (رقم ٣٣٩) وابن عقيل (رقم ١٣١) وقد استشهد به أبو الفتح بن جنى فى الخصائص (٢/٣٧٨) وانظر العينى (٢/٤٢١ بهامش الخزانة) و « أبو حنش ، وطلق ، وعمار » جماعة من قومه كانوا قد لحقوا بالشام ؛ فصار يراهم فى النوم إذا أتى عليه الليل ، ورواه ابن جنى « وعباد » فى مكان « عمار » ومحل الاستشهاد هنا بهذا البيت قوله « أثالا » فإن أصله « أثالة » بالتاء فرخمه بحذف هذه التاء فى غير النداء ، وأبقى الحرف الذى قبل التاء على حركته التى كانت عليها قبل الترخيم — وهى الفتحة — على لغة من ينتظر الحرف المحذوف ، وهو نظير ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق (٢٢٥) .

٢٢٧ — أرق : أعطف ، والأرحام : جمع رحم ، وهو فى الأصل القرابة من جهة النساء ، وقد يراد به القرابة مطلقا ، وجرم — بفتح الجيم وسكون الراء المهملة — قبيلة من قضاعة ، وهى جرم بن ربان ، وفى العرب بنو راسب بن الخزرج بن حرة بن جرم بن ربان ، وبنو راسب بن الحارث بن عبد الله بن الأزد ، وبنو راسب بن ميدعان الذين منهم عبد الله بن وهب الراسبي الذى كان على رأس الخوارج فى يوم النهروان ، ومحل الشاهد فى البيت قوله « لحار بن كعب » فإن أصل الكلام لحارث بن كعب ، فرخم حارث بحذف الثاء التى هى آخره وإن لم يكن منادى ، وأبقى الحرف الذى قبل الثاء — وهو الراء — على حركته التى كان عليها قبل الترخيم ، وهى الكسرة ، على نحو ما قررناه فى شرح الشواهد السابقة .

ومن هذه الشواهد المتعددة تعلم أن الذى وقع من العرب فى أشعارها من ترخيم غير المنادى قد جاء على طريقين : أحدهما أن يبقى الحرف الذى قبل المحذوف على ما كان عليه قبل الحذف ويسمى هذا لغة من ينتظر ، والثانى أن يحرك الحرف الذى قبل الحرف المحذوف بالحركة التى يقتضيها العامل ، ويعتبر كأنه آخر الكلمة حقيقة ، ويسمى هذا لغة من لا ينتظر أو لغة الاستقلال ، وقد قبل سيبويه الوجهين جميعا نظرا منه إلى ما ورد عن العرب ، وأما أبو العباس المبرد فكان لا يقبل إلا ما جاء على لغة من لا ينتظر=

أراد «لحارث بن كعب» وعبسٌ والحارثُ بن كعبِ بن ضَبَّةَ إخوةٌ فيما يزعمون.
وعلى كل حال فالترخيم فى غير النداء للضرورة مما لا خلاف فى جوازه ، والشواهد عليه أشهر من أن تذكر ، وأظهر من أن تنكر ، وكما أن الترخيم فى ذلك كله لا يدل على جوازه فى حالة الاختيار ، فكذلك جميع ما استشهدوا به من الأبيات ، وإذا كان الترخيم يجوز لضرورة الشعر فى غير النداء فَلأن يجوز ترخيم المضاف لضرورة الشعر فى النداء كان ذلك من طريق الأَوْلى .

[١٥٦] وأما قولهم « إن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشىء الواحد؛ فجاز ترخيمه كالمفرد » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه لو كان هذا معتبراً لوجب أن يؤثر النداء فى المضاف(١) البناء كما يؤثر فى المفرد ، فلما لم يؤثر النداء فيه البناء دل على فساد ما ذهبتم إليه والله أعلم .

٤٩ ــ مسألة

[هل يجوز ترخيم الاسم الثلاثى ؟](٢)

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترخيم الاسم الثلاثى إذا كان أوسطه متحركا ،

= الحرف المحذوف ، وهى لغة الاستقلال ، وكان يرد ما جاء على غير هذا الوجه ، قال رضى الدين (١/١٣٦) « ويجوز ترخيم غير المنادى للضرورة ، وإن خلا من تأنيث وعلمية ، على تقدير الاستقلال كان أو على نية المحذوف ، عند سيبويه ، والمبرد يوجب تقدير الاستقلال » ا هـ .

(١) فى ر « فى المضاف إليه البناء » وليس بذاك .

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرح رضى الدين على الكافية (١/١٣٦) وشرح موفق الدين بن يعيش على المفصل (ص ١٨٥) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/١٤٩) وتصريح الشيخ خالد (٢/٢٣٤)

وذلك نحو قولك فى عُنُقٍ « ياعُنُ » وفى حَجَرٍ « ياحَجَ » وفى كَتِفٍ « ياكَتِ » وذهب بعضهم إلى أن الترخيم يجوز فى الأسماء على الإطلاق .

وذهب البصريون إلى أن ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف لايجوز بحال ، وإليه ذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى من الكوفيين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جوزنا ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف إذا كان أوسطه متحركا لأن فى الأسماء مايماثله ويضاهيه نحو يَدٍ ودَمٍ ، والأصل فى يد يَدَىٌ ، وفى دم دَمَوٌ فى أحد القولين ، بدليل قولهم : دَمَوَان ، وقد قال بعضهم : إن دماً من ذوات الياء واحتج بقول الشاعر :

٢٢٨ — فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

---

٢٢٨ — يختلف العلماء كثيرا فى نسبة هذا البيت؛ فنسبه العينى ـ فيما نقله عنه البغدادى، ولم أعثر عليه بعد طويل البحث ـ تبعا لابن هشام تبعا لصاحب الحماسة البصرية إلى المثقب العبدى ، وينسبه قوم إلى الفرزدق ، وقوم إلى الأخطل ، وقوم إلى المرداس بن عمرو ، واستصوب البغدادى أنه لعلى بن بدال بن سليم ، وأسند رواية ذلك إلى ابن دريد فى كتاب المجتبى عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ، وقد أنشد ابن منظور (د م ى) هذا البيت ثالث ثلاثة أبيات ، والبيت من شواهد الزمخشرى فى المفصل ، وابن يعيش فى شرحه (ص ٦٠٠) والرضى فى باب المثنى من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣٤٩) والأشمونى (رقم ١١٦٢) ومعنى البيت مبنى على ما كان العرب يعتقدونه من أن المتعاديين لو ذبحا وأحدهما جار الآخر لم يختلط دم أحدهما بدم الآخر ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « الدميان » حيث أتى بمثنى الدم وجعل لامه ياء ، ومن المقرر أن التثنية والجمع يردان الأشياء إلى أصولها ؛ فمجىء الدميان بالياء يدل على أن اللام المحذوفة من « الدم » كانت ياء ، وهذه المسألة خلافية بين النحاة من ناحيتين ، ونحن نبين لك ذلك فى وضوح واختصار فنقول : اعلم أولا أن العرب حذفت اللام من الدم لمجرد التخفيف فقالوا « دم » كما قالوا : غد ، ويد ، وأب ، وأخ ، وحم ، وأنهم اشتقوا فعلا ووصفا من الدم فقالوا : دمى فلان يدمى فهو دم ، بوزن فرح يفرح فرحا =

. . . .

فهو فرح من الصحيح وعمى يعمى عمى فهو عم وشجى يشجى شجى فهو شج من المعتل وأن أكثرهم يقولون فى تثنية الدم « دميان » ومنهم من يقول فى تثنيته « دموان » بفتح الميم التى قبل الياء أو الواو ، وقد اختلف النحاة فى المحذوف من « دم » أواو هو أم ياء ؟ وفى أصل الميم قبل الحذف أمفتوحة هى أم ساكنة؟ فقال قوم : أصل دم دمى ــ بفتح الميم وبالياء فى آخره ــ والدليل على ذلك أنهم قالوا فى تثنيته « دميان » بفتح الميم وبالياء ، والتثنية ترد الأشياء إلى أصولها ، وقال قوم : أصل دم دمى ــ بسكون الميم وبالياء فى آخره ــ أما الدليل على أن أصل اللام ياء فهو تثنيته على « دميان » وأما الدليل على أن أصل الميم ساكنة فهو القياس ؛ وذلك لأن أكثر ما حذف لامه اعتباطا للتخفيف مثل ابن وغد ساكن العين ، وتحريكها فى التثنية لا يقطع بأنها كانت محركة فى المفرد ، وقال قوم : أصل اللام المحذوفة من « دم » واو ، بدليل أنهم ثنوه فقالوا « دموان » ونحن بعد هذا نذكر لك كلام ابن الشجرى فى أماليه فى هذه المسألة فإنه ــ فيما نرى ــ أوفى كلام فيها ، قال : «ودم عند بعض التصريفيين دمى ــ ساكن العين ــ قالوا : لأن الأصل فى هذه المنقوصات أن تكون أعينها سواكن حتى يقوم دليل على الحركة ، من حيث كان السكون هو الأصل والحركة طارئة ، قالوا : وليس ظهور الحركة فى قولنا دميان دليلا على أن العين متحركة فى الأصل ؛ لأن الاسم إذا حذفت لامه واستمرت حركات الإعراب على عينه ثم أعيدت اللام فى بعض تصاريف الكلمة ألزموا العين الحركة، وقال من خالف أصحاب هذا القول : أصل دم دمى ــ بفتح العين ــ لأن العرب قلبوا لامه ألفا فألحقوه بباب رحا فقالوا : هذا دما ، مثل قولهم : هذه رحا، وقال بعض العرب فى تثنيته دمان فلم يردوا اللام ، كما قالوا فى تثنية يد : يدان ، والوجه أن يكون العمل على الأكثر ، وكذلك حكى قوم دموان ، والأعرف فيه الياء ، وعليه أنشدوا :

* جرى الدميان بالخبر اليقين *

ومن العرب من يقول الدم ــ بتشديد الميم ــ كما تلفظ به العامة ، وهى لغة رديئة ، وأنشدوا لتأبط شرا :

حيث التقت بكر وفهم كلها   والدم يجرى بينهم كالجدول

والعامة تفعل مثل هذا فى الفم أيضا ، وإنما يكون ذلك فى الشعر، كما قال :

* ياليتها قد خرجت من فمه * » اه كلامه، وفيه كفاية ومقنع

والأكثرون على أنه من ذوات الواو ، إلا أنهم استثقلوا الحركة على حرف العلة فيهما ؛ لأن الحركات تستثقل على حرف العلة ، فحذفوه طلباً للتخفيف وفراراً من الاستثقال ، فبقيت يدٌ ودمٌ ، فكذلك فى محل الخلاف : الترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز فى مثله للتخفيف، فوجب أن يكون جائزاً .

قالوا : ولا يلزم على كلامنا إذا كان الأوسط منه ساكنا ؛ فإنه لايجوز ترخيمه وإن كان له نظير نحو يَدٍ وغَدٍ ؛ لأنا نقول : إنما لم يجز عندنا ترخيم ما كان الأوسط منه ساكنا نحو زيد وعمرو لأنه إذا حذف الحرف الأخير وجب حذف الحرف الساكن الذى قبله ؛ فيبقى الاسم على حرف واحد ، وذلك [١٥٧] لا نظير له فى كلامهم ، بخلاف ما إذا كان أوسطه متحركا على ما بينا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه لايجوز ترخيمه وذلك أنا أجمعنا على أن الترخيم فى عُرْفِ النحويين إنما هو حذفٌ دَخَلَ فى الاسم المنادى إذا كثرت حروفه ، طلباً للتخفيف ، فإذا كان الترخيم إنما وضع فى الأصل لهذا المعنى فهذا فى محل الخلاف لا حاجة بنا إليه ؛ لأن الاسم الثلاثى فى غاية الخفة ؛ فلا يحتمل الحذف ، إذ لو قلنا إنه يخفف بحذف آخره لكان ذلك يؤدى إلى الإجحاف به ؛ فدل على ماقلناه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم «إنما جوزنا ترخيمه لأن فى الأسماء مايماثله ، نحو يَدٍ ودَمٍ» فنقول : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أنا نقول : إن هذه الأسماء قليلة فى الاستعمال ، بعيدة عن القياس ؛ فأما قلتها فى الاستعمال فظاهر ؛ لأنها كلمات يسيرة معدودة ، وأما بعدها عن القياس فظاهر أيضاً ، وذلك لأن القياس يقتضى أن لايحذف ؛ لأن حرف العلة إذا كان متحركا فلا يخلو : إما أن يكون ماقبله ساكنا أو متحركا ، فإن كان ساكنا فينبغى أن لايحذف كما لا يحذف من ظَبْيٍ ونِحْيٍ وغَزْوٍ ولَهْوٍ ؛ لأن الحركات إنما تستثقل على حرف العلة إذا كان ماقبله متحركا لا ساكنا ، وإن كان ماقبله

متحركا فينبغى أن يقلب ألفا ولا يحذف ، كقولهم : رَحًى ، وعَمًى ، وعَصاً ، وقفاً ، ألا ترى أن الأصل فيها رَحَيٌ وعَمَيٌ وعَصَوٌ وقَفَوٌ ؛ بدليل قولهم : رَحَيَان ، وعَمَيَان ، وعَصَوَان ، وقَفَوَان ، إلا أنه لما تحركت الياء والواو ، وانفتح ما قبلهما ؛ قلبوا كل واحدة منهما ألفا استثقالا للحركات على حرف العلة مع تحرك ما قبله ، إلى غير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه ، وعلى هذا سائر الثلاثى المقصور ، وإذا ثبت أن هذه الأسماء قليلة فى الاستعمال بعيدة عن القياس فوجب أن لا يقاس عليها .

والوجه الثانى : وهو أنا نقول : قياس محلِّ الخلاف على يَدٍ ودَمٍ ، ليس بصحيح ، وذلك لأنهم إنما حذفوا الياء والواو لاستثقال الحركات عليهما ؛ لأنها تستثقل على حرف العلة ، أما فى الترخيم فإنما وضع الحذف فيه على خلاف القياس ؛ لتخفيف الاسم الذى كثرت حروفه ، ولم يوجد ها هنا ؛ لأنه أقل الأصول ، وهى فى غاية الخِفة ، فلو جوزنا ترخيمه [١٥٨] لأدَّى إلى أن ينقص(١) عن أقل الأصول وإلى الإجحاف به ، وذلك لا يجوز .

والذى يدل على فساد ما ذهبوا إليه أنه إذا كان الأوسط منه ساكناً فإنه لا يجوز ترخيمه .

قولهم « إنما لم يجز ترخيمه إذا كان الأوسط منه ساكناً ؛ لأنه إذا حذف الحرف الأخير وجب حذف الساكن الذى قبله ؛ فيبقى الاسم على حرف واحد » قلنا : لا نسلم أنه إذا كان قبل الآخر حرف ساكن أنه يجب حذفه فى الترخيم ، وإنما هذا شىء ادعيتموه وجعلتموه أصلا لكم لا يشهد به نَقْلٌ ولا قِيَاسٌ ، وسنبين فساده فى المسألة التى بعد هذه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى ر « لأدى إلى أن ينقض » وهو تحريف ما أثبتناه .

٥٠ — مسألة

[ترخيم الرباعى الذى ثالثه ساكن][١]

ذهب الكوفيون إلى أن ترخيم الاسم الذى قبل آخره حرف ساكن يكون بحذفه وحذف الحرف الذى بعده ، وذلك نحو قولك فى قِمَطْرٍ « ياقِمَ » وفى سِبَطْرٍ « ياسِبَ » وما أشبه ذلك . وذهب البصريون إلى أن ترخيمه يكون بحذف الحرف الأخير منه فقط .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يرخم بحذف حرفين ، وذلك لأن الحرف الأخير إذا سقط من هذه الأسماء بقى آخرها ساكنا ، فلو قلنا إنه لا يحذف لأدى ذلك إلى أن يشابه الأدوات[٢] وما أشبهها من الأسماء ، وذلك لا يجوز .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الترخيم يكون فى هذه الأسماء بحذف حرف واحد أنا نقول : أجمعنا على أن حركة الاسم المرخم باقية بعد دخول الترخيم كما كانت قبل دخول الترخيم من ضم وفتح وكسر ، ألا ترى أنك تقول فى بُرْثُن « يا بُرْثُ » وفى جعفر « ياجَعْفَ » وفى مالك « يامَالِ » وقد قرأ بعض السلف (ونادوا يامَالِ لِيَقْضِ علينا ربك) وذُكِرَ أنها قراءة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، فيبقى كل واحدة من هذه الحركات بعد دخول الترخيم كما كانت قبل وجود الترخيم فى أقْيَسِ الوجهين ، فكذلك هاهنا ، وهذا لأن الحركات

---

(١) انظر فى هذه المسأله : تصريح الشيخ خالد (٢/٢٣٤ بولاق) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٣/١٤٩ . بولاق) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٩٥ ليدن) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٨٥ ليبزج) وشرح الكافية (١/١٣٦) .

(٢) المراد بالأدوات الحروف ، والمراد بما أشبهها من الأسماء هو الأسماء المبنية كأسماء الشرط والاستفهام .

إنما بقيت على ما كانت عليه ليُنْوَى بها تمام الاسم ، ولو لم يكن كذلك لكان [١٥٩] يجب أن يحرك المرخم بحركة واحدة ، فإذا ثبت أن الحركات إنما بقيت لينوى بها تمام الاسم فهذا المعنى موجود فى الساكن حسب وجوده فى المتحرك ؛ فينبغى أن يبقى على ما كان عليه إذا كان ساكنا كما يبقى على ما كان عليه إذا كان متحركاً .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « لو أسقطنا الحرف الأخير لبقى ماقبله ساكنا فيشبه الأدوات » وهى الحروف . قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه لو كان هذا معتبرا لوجب أن يحذف الحرف المكسور ؛ لئلا يشبه المضاف إلى المتكلم ، ولا خلاف أن هذا لا قائل به ؛ فدلَّ على فساد ماذهبوا إليه ، والله أعلم .

٥١ — مسألة

[القول فى ندبة النكرة والأسماء الموصوله ؟][(١)]

ذهب الكوفيُّونَ إلى أنه يجوز ندبة النكرةوالأسماء الموصولة ، وذهب البصريون إلى أنه لايجوز ذلك .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز ندبة النكرة والأسماء الموصولة ، وذلك لأن الاسم النكرة يقرب من المعرفة بالإشارة نحو « وارا كباه » فجازت ندبته كالمعرفة ، والأسماء الموصولةُ معارف بصِلاتها كما أن الأسماء الأعلام معارف ، وكما يجوز ندبة الأسماء الأعلام نحو زيد وعمرو فكذلك يجوز ندبة مايشبهها

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢٣٩) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٣/١٤٤) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٧٨) وشرح الرضى على الكافية (١/١٤٤ وما بعدها) .

ويقرب منها ، والدليل على صحة هذا التعليل ماحكى عنهم من قولهم « وَامَنْ حَفَرَ بِئْرَ زَمْزَمَاهْ » وما أشبه ذلك .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لايجوز ذلك لأن الاسم النكرة مُبْهَمٌ لايَخصُّ واحداً بعينه ، والمقصود بالندبة أن يُظْهِرَ النادبُ عُذْرَهُ فى تَفَجُّعه على المندوب ليساعَدَ فى تفجعه فيحصل التأسِّى بذلك فيخف مابه من المصيبة ، وذلك إنما يحصل بندبة المعرفة ، لا بندبة النكرة ، وإذا كان ندبة النكرة ليس فيها فائدة وجب أن تكون غير جائزة ، وأما الأسماء الموصولة فإنها أيضاً مبهمة ، فأشبهت النكرة ؛ فوجب أن لاتجوز ندبتها كالنكرة .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الإشارة قد قَرَّبَت الاسم النكرة من المعرفة فجازت ندبته كالمعرفة » قلنا : إلا أنه باقٍ على إبهامه ، والمندوب يجب [١٦٠] أن يندب بأ عْرَفِ أسمائه ، وأما الأسماء الموصولة وإن كانت قد تخصصت بالصلة فإنها لاتخلو عن إبهام ؛ لأن تخصيصها إنما يحصل بالجمل ، والجمل فى الأصل نكرات .

وأما ماحكوه من قولهم « وَامَنْ حَفَرَ بئر زمزماه » فهو من الشاذ الذى لايقاس عليه ، على أنا نقول : إنما جاء مع شذوذه هاهنا لأنه كان معروفا ، وهو عبد المطلب جَدُّ النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد عُرِف بحَفْرِ بئر زمزم ، وله يقول خُوَيْلِدُ ابن أسد :

٢٢٩ — أَقُولُ وَمَا قَوْلِى عَلَيْكُمْ بِسُبَّةٍ ... إِلَيْكَ ابْنَ سَلْمَى أَنْتَ حَافِرُ زَمْزَمِ

حَفِيرَةُ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ ابْنِ هَاجَرٍ ... وَرَكْضَةُ جِبْرِيلٍ عَلَى عَهْدِ آدَمِ

٢٢٩ — هذان البيتان لخويلد بن أسد بن عبد العزى، كما قال المؤلف، وهو أبو عدى خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ، أبو أم المؤمنين وصفية رسول رب العالمين السيدة خديجة بنت خويلد ، وجد الزبير بن العوام بن خويلد حوارى سيدنا =

٥٣ — مسألة

[اسم لا المفرد النكرة ، مُعْرَبٌ أو مَبْنِىٌّ ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المفرد النكرة المنفى بلا معربٌ منصوبٌ بها ، نحو « لا رَجُلَ فى الدَّار » .

وذهب البصريون إلى أنه مبنى على الفتح .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه منصوب بها لأنه اكتفى بها من الفعل ؛ لأن التقدير فى قولك « لارَجُلَ فى الدَّار » لا أجد رجلا فى الدار ، فاكتفوا بلا من العامل ، كما تقول « إن قُمْتَ قُمْتُ ، وإنْ لاَ فلاَ » أى وإن لا تَقُمْ فلاأقُومُ ، فلما اكتفوا بلا من العامل نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا إنه منصوب بها لأن « لا » تكون بمعنى غير ، كقولك « زيد لا عاقل ولا جاهل » أى : غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هاهنا بمعنى ليس نصبوا بها : ليخرجوها من معنى غير إلى معنى ليس [١٦٢] ويَقَعَ الفرق بينهما .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما أعملوها النَّصْبَ لأنهم لما أولوها النكرة — ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها — نصبوا النكرة بغير تنوين .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص ٩٩) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٢/٦ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٢٨٨ وما بعدها) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٢٩) وشرح رضى الدين على الكافية (١/٢٣٤) .

ومن النحويين من قال : إنه منصوب لأن « لا » إنما عملت النصب لأنها نقيضة إنَّ ؛ لأن « لا » للنفى، و « إنَّ » الإثبات ، وهم يحملون الشىء على ضده ، كما يحملونه على نظيره ، إلا أن « لا » لما كانت فَرْعاً على « إنَّ » فى العمل ، و « إنَّ » تنصب مع التنوين نَصَبَتْ « لا » من غير تنوين ؛ لينحطَّ الفرع عن درجة الأصل ؛ لأن الفروع أبدا تنحط عن درجات الأصول .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مبنى على الفتح لأن الأصل فى قولك « لا رجل فى الدار » لاَ مِنْ رَجُلٍ فى الدار ؛ لأنه جوابُ مَنْ قال « هل مِنْ رجل فى الدار؟ » فلما حذفت « من » من اللفظ وركبت مع لا تضمنت معنى الحرف فوجب أن تُبْنَى ، وإنما بنيت على حركة لأن لها حَالَةَ تمكنٍ قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما قلنا إنه منصوب بلا ؛ لأنها اكتفى بها عن الفعل » قلنا : هذا مجرد دعوى يفتقر إلى دليل ؛ ثم لو كان كما زعمتم لوجب أن يكون مُنَوَّناً .

قولهم « حذف التنوين بناء على الإضافة » قلنا : لو كان هذا صحيحاً لوجب أن يطرد فى كل ما يجوز إضافته من الأسماء المفردة المنونة ، فلمَّا قلتم إنه يختص بهذا الموضع دون سائر المواضع دلَّ على فساد ما ذهبتم إليه .

وأما قولهم « إنَّ لا تكون بمعنى غير ، فلما جاءت بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى غَيْرٍ » قلنا : ولِمَ إذا كانت بمعنى ليس ينبغى أن يُنْصَب بها ؟ وهلا رفعوا بها على القياس ؛ فإنهم يرفعون بها إذا كانت بمعنى ليس ، قال الشاعر :

٢٣٠ - مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ

٢٣٠ - هذا البيت من كلام سعد بن مالك القيسى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢٨و٣٥٤) وشرح الرضى على الكافية فى باب ما ولا المشبهين بليس ، وشرحه =

أى ليس براح ، وقال الآخر :

٢٣١ — وَٱللهِ لَوْلاَ أَنْ تَحُشَّ الطُّبَّخُ بِىَ الْجَحِيمَ حِينَ لاَ مُسْتَصْرَخُ

أى ليس مستصرخ هناك لنا .

=البغدادى فى الخزانة (١/٢٢٣) والزمخشرى فى المفصل (رقم ٢٤ بتحقيقنا) وشرح ابن يعيش (ص ١٣٤) والأشمونى (رقم ٢٢٥) وأوضح المسالك (رقم ١٠٧) ومغنى اللبيب (رقم ٣٩٦) وصد : أى أعرض ، والضمير فى « نيرانها » يعود إلى الحرب التى ذكرها فى أبيات سابقة ، وأراد من نكل عنها ولم يقتحم لظاها ، وقوله « فأنا ابن قيس » نسب نفسه إلى جده الأعلى ؛ فإنه سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، والمراد من هذه العبارة أنا ذلك المعروف بالجراءة والنجدة والشهامة الذى طرق سمعك اسمه وعرفت عنه ما عرفت من صفات البطولة . والاستشهاد به فى قوله « لا براح » حيث أعمل فيه « لا » عمل ليس ؛ فرفع بها الاسم ، وحذف خبرها ، وتقدير الكلام : لا براح لى ، وقد قال ابن هشام فى شرح الشاهد — تبعاً لابن يعيش والمبرد — إنه يجوز أن تكون لا نافية مهملة ، وبراح — على هذا — يكون مبتدأ ، وقد حذف خبره ، واعترض جماعة هذا الكلام بأن المعهود فى لا النافية أن تعمل عمل إن أو عمل ليس ، فإن لم تعمل أحد العملين وجب تكرارها كأن تقول : لا رجل عندك ولا امرأة فلما لم تتكرر علمنا أنها عاملة ، ولما كان الاسم الذى بعدها مرفوعا علمنا أنها عملت عمل ليس ، وقد تمحل قوم فقالوا : يجوز أن تكون مهملة ولكنها لم تتكرر للضرورة وهذا كلام لا يجوز لك أن تأخذ به ؛ لأن المصير إلى الضرورة أمر لا يجوز ارتكابه إلا حين لا يكون للكلام محمل صحيح يحمل عليه .

٢٣١ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد أنشدهما ابن منظور (طب خ — ح ش ش) ولم يعزهما إلى قائل معين ، وأنشد سيبويه كلة الاستشهاد (١/٣٥٧) ولم يعزها ، ولا بينها الأعلم ولا تكلم عليها . وتقول : حش النار يحشها حشا : أى جمع لها ما تفرق من الحطب وأوقدها ، وتقول حش الحرب يحشها حشا ؛ إذا أسعرها وهيجها ، تشبيها بإسعار النار ، قال زهير :

يحشونها بالمشرفية والقنا وفتيان صدق لا ضعاف ولا نكل

والطبخ : الملائكة الموكلون بعذاب الكفار ، والاستشهاد بالبيت فى قوله=

وأما قولهم « إنما أعلوها النصبَ لأنهم لما أوْلَوْهَا النكرة ـ ومن شأن النكرة أن يكون خبرها مقدما عليها ـ نصبوا بها النكرة » قلنا : [١٦٣] ولِمَ قلتم ذلك ؟ وما وجه المناسبة بينه و بين النصب ؟ ثم لو كان كما زعمتم وأنه معرب منصوب لوجب أن يدخله التنوين ولا يحذف منه ؛ لأنه اسم معرب ليس فيه مايمنعه من الصَّرْف ، فلما مُنِـعَ من التنوين دلَّ على أنه ليس بمعرب منصوب .

وهذا هو الجواب عن قول من ذهب إلى أنه منصوب بلا ؛ لأنها نقيضةُ إنَّ ؛ فإنه كان ينبغى أن يكون مُنوَّنًا .

قولهم « إنَّ لا لما كانت فرعاً على إنَّ فى العمل ، وإنَّ تنصب مع التنوين نَصَبَتْ لا من غير تنوين ؛ لينحط الفرع عن درجة الأصل » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأن التنوين ليس من عمل إنَّ ، وإنما هو شىء يستحقه الاسمُ فى الأصل ، وإنما يستقيم هذا الكلام أن لو كان التنوين من عمل إنَّ ، ولا خلاف بين النحويين أن التنوين ليس من عملها ، وإذا لم يكن من عمل إنَّ التى هى الأصل ، فلا مَعْنَى لحذفه مع « لا » التى هى الفرع لينحطَّ الفرع عن درجة الأصل ؛ لأن الفرع إنما ينحطُّ عن درجة الأصل فيما كان من عمل الأصل ، وإذا لم يكن

= « لا مستصرخ » حيث رفع الاسم الواقع بعد « لا » النافية التى بمعنى ليس ، وقد علمت مما قد مناه فى شرح الشاهد السابق أن جمهرة البصريين على أنه مرفوع بلا ؛ لأنها لما شبهت بليس عملت عملها فرفعت الاسم ونصبت الخبر ، وأن أبا العباس المبرد وموفق الدين ابن يعيش — وتبعهما ابن هشام — جوزوا أن تكون « لا » فى مثل هذا نافية مهملة لا عمل لها ، والاسم المرفوع بعدها مبتدأ خبره محذوف ، وهذا تخريج يتفق مع مذهب الكوفيين ؛ ولكنا آثرنا لك ألا تأخذ بهذا التخريج لما بينا لك من أن « لا » لو كانت مهملة لوجب تكرارها ، فلما لم تتكرر فى هذا الشاهد والذى قبله كان ذلك دليلا على أنها عاملة .

من عمل الأصل ، فيجب أن يكون ثابتاً مع الفرع ، كما كان ثابتاً مع الأصل ، ثم انحطاطُهَا عن درجة « إنَّ » قد ظهر فى أربعة أشياء :

أحدها : أن إنَّ تعمل فى المعرفة والنكرة ، ولا لا تعمل إلا فى النكرة دون المعرفة .

والثانى : أن إنَّ لا تُرَكَّبُ مع الاسم لقوتها، ولا تركب مع الاسم لضعفها .

والثالث : أن إنَّ تعمل فى الاسم مع الفَصْل بينها و بينه بالظرف وحرفِ الجر ، ولا لا تعمل مع الفَصْل بينها و بينه بالظرف ولا حرف الجر .

والرابع : أن إنَّ تعمل فى الأُسم والخبر عندنا ، ولا إنما تعمل فى الاسم دون الخبر عند أهل التحقيق والنظر .

فقد ظهر انحطاطُ لا عن درجة إنَّ على ما بينا ، والله أعلم .

٥٤ — مسألة

[هل تقع «من» لابتداء الغاية فى الزمان؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أنَّ « مِنْ » يجوز استعمالُها فى الزمان والمكان .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز استعمالها فى الزمان .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن [١٦٤] قالوا : الدليل على أنه يجوز استعمال « مِنْ » فى الزمان أنه قد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (لَمَسْجِدٌ أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) و (أَوَّل يَوْمٍ) من الزمان ، [و] قال الشاعر ، وهو زهير بن أبى سُلْمى :

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢/١٨٤) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٩ بولاق) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٠٧٥) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٩٨)

٢٣٢ — لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّــةِ الْحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ

فدلَّ على أنه جائز .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أنَّ « مِنْ » فى المكان نظير مُذْ فى الزمان ؛ لأن مِنْ وضعت لتدل على ابتداء الغاية فى المكان ، كما أن مُذْ وضعت لتدل على ابتداء الغاية فى الزمان ، ألا ترى أنك تقول « مَا رَأَيْتُهُ مُذْ يَوْمُ الْجُمعة » فيكون المعنى أن ابتداء الوقت الذى انقطعت فيه الرؤية يوم الجمعة ، كما تقول « مَا سِرْتُ مِنْ بَغْدَادَ » فيكون المعنى ما ابتدأت بالسير من هذا

---

٢٣٢ — هذا البيت مطلع قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى يمدح فيها هرم بن سنان المرى ، وقد استشهد بهذا البيت ابن يعيش فى شرح المفصل(ص ١٠٧٥)والرضى فى شرح الكافية (٢/٢٩٨) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/١٢٦) والأشمونى (رقم ٥٦٧) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٣٠٠) والاستفهام فى قوله « لمن الديار » للتعجب من شدة خراب هذه الديار حتى كأنها لا تعرف ولا يعرف أصحابها ، والقنة : أعلى الجبل ، والحجر ــ بكسر فسكون ــ منازل ثمود عند وادى القرى من ناحية الشام ، وأقوين : أقفرن وخلون ، والحجج : جمع حجة ــ بكسر الحاء ــ وهى السنة ، والدهر : الأبد الممدود ، ومحل الاستشهاد بالبيت فى قوله « من حجج ومن دهر » فإن الكوفيين رووا هذه العبارة على هذا الوجه ، واستدلوا بها على أنه يجوز استعمال «من» لابتداء الغاية الزمنية كما يجوز أن تجىء لابتداء الغاية المكانية،والبصريون ينكرون هذه الرواية ويزعمون أن الرواية الصحيحة فى هذا البيت «أقوين مذحجج ومذدهر» بل إن من العلماء من أنكر أن زهيرا قال هذا البيت،وزعم أن زهيرا بدأ قصيدته بقوله :

دع ذا وعد القول فى هرم خــير البداة وسيد الحضر

وأن حمادا الراوية لما رأى هذا البيت مطلع القصيدة ابتكر ثلاثة أبيات جعلها مقدمة لهذا المطلع ، أولها بيت الشاهد ، وبعده :

لعب الزمان بها وغيرها بعدى سوافى المور والقطر

قفرا بمندفع النحائت من ضفوى أولات الضال والسدر

فإن سلمنا صحة الرواية التى رواها الكوفيون وسلمنا مع ذلك صحة نسبة البيت إلى زهير فتخريجه على ما ذكره المؤلف .

المكان ، فكما لا يجوز أن تقول « مَا سِرْتُ مُذْ بَغْدَادَ » فكذلك لا يجوز أن تقول « مَا رَأَيْتُهُ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ » .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) فلا حجة لهم فيه ؛ لأن التقدير فيه : من تأسيس أول يوم ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقَامه ، كما قال تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) والتقدير فيه : أهلَ القرية وأهْلَ الْعِيرِ ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وقال تعالى : (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ) وكقولهم : الجودُ حَاتِمٌ ، والشجاعةُ عَنْتَرَةُ ، والشِّعْرُ زهيرٌ ، أى : جودُ حَاتِمٍ ، وشجاعَةُ عنترَةَ ، وشعرُ زهيرٍ ، وكقولهم « بَنُو فُلَانٍ يَطَؤُهُمُ الطَّرِيقُ » أى : أهلُ الطريقِ ، وقال الشاعر :

٢٣٣ — حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ — وَيْبَ غَيْرِكَ — بِالْعَنَاقِ

والتقدير فيه : بُغَامَ راحلتى بُغَامَ عَنَاقٍ ، وقال الآخر :

٢٣٤ — لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلِ

٢٣٣ — أنشد ابن منظور (ع ن ق) هذا البيت أول بيتين ، وأسند روايتهما لابن الأعرابى ، ونسبهما لقريط يصف الذئب فالخطاب له ، ثم أنشده وحده (ب غ م) ونسبه لذى الخرق . وبغام الناقة — بضم الباء وتخفيف الغين — صوت لا تفصح به ، وبغام الظبية : صوتها ، وقد بغمت تبغم — من مثال ضرب ونصر وفتح — بغوما وبغاما . وتقول : بغمت الرجل ؛ إذا لم تفصح له عن معنى ما تحدثه به . والراحلة ، هنا : الناقة سميت بذلك لأن صاحبها يرتحلها : أى يركبها أو يضع رحله عليها ، والعناق — بفتح العين وتخفيف النون — الأنثى من المعز . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « عناقا » فإنه على تقدير مضاف يتم به التشبيه ، ألا ترى أنه لا يصح تشبيه صوت الناقة بالعناق نفسها ؟ وإنما يصح تشبيه صوت الناقة بصوت العناق .

٢٣٤ — هذا البيت من كلام النابغة الذبيانى ، وقد أنشده ياقوت فى معجم البلدان (مطارة) كما أنشده الشريف المرتضى فى أماليه (ص ٢١٦) والوعل — بفتح الواو وكسر العين أو سكونها ؛ وفيه لغة بضم الواو وكسر العين ، وهى ضعيفة — تيس الجبل ، =

والتقدير فيه : حتى لا تزيد مخافتى على مخافةِ وَعِلٍ ، وهو من المقلوب ، وتقديره : حتى لا تزيد مخافةُ وَعِلٍ على مخافتى ، كما قال الآخر :

٢٣٥ — [١٦٥] كَانَتْ فَرِيضَةَ مَا تَقُولُ كَمَا
أَنَّ الزِّنَاء فَرِيضَـــةُ الرَّجْمِ

تقديره : كما أن الرَّجْمَ فَرِيضَةُ الزِّنَاء .

= والمطارة — بفتح الميم — قال ياقوت : « يجوز أن تكون الميم زائدة فيكون من طار يطير ، أى البقعة التى يطار منها ، وهو اسم جبل » ويضاف إليه « ذو » وعاقل : أى متحصن،وفى الحديث« ليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل »أى ليتحصنن أى يعتصم ويلتجىء إليه كما يتحصن الوعل إلى رأس الجبل.ومحل الاستشهاد بالبيت هنا قوله « لا تزيد مخافتى على وعل » فإن الكلام فيه على تقدير مضاف: أى لا تزيد مخافتى على مخافة وعل، ألا ترى أن مخافته لا تشبه بالوعل نفسه ، وإنما تشبه بمخافة الوعل؟وقد قالوا :إن الكلام على القلب ؛ فإن الأصل: لا تزيد مخافة الوعل المعتصم بالجبل على مخافتى، فقلب ، قال الأصمعى : « يقول : قد خفت حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتى، فلم يمكنه،فقلب » ا هـ . وهذا أحد توجيهين فى هذا البيت ، والتوجية الثانى : أن تكون « ما » فى قوله « ما تزيد مخافتى » زائدة ، وكأنه قال : حتى تزيد مخافتى ، والاستشهاد به لما أراد المؤلف منه لا يزول على أى الوجهين .

٢٣٥ — هذا البيت قد أنشده ابن منظور (ز ن ى) ونسبه إلى الجعدى ، وأنشده الشريف المرتضى فى أماليه (ص ٢١٦ ط الحلبى) والعباسى فى معاهد التنصيص (ص ٨٦ بولاق) من غير عزو ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « أن الزناء فريضة الرجم » فإن هذه العبارة مقلوبة ، وأصلها « أن الرجم فريضة الزنا » وعلماء العربية يختلفون فى القلب : أجائز هو أم غير جائز ، ولهم فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه جائز مقبول مطلقا وممن ذهب هذا المذهب السكاكى ، والثانى أنه غير جائز ولا مقبول مطلقا، وما وقع من ذلك فى شعر الشعراء فهو من أخطائهم أوله تأويل آخر كالتأويل الذى ذكرناه فى شرح الشاهد السابق (رقم ٢٣٤) والثالث : أنه إذا كان قد تضمن اعتبارا لطيفا فهو جائز مقبول ، وإن لم يتضمن اعتبارا لطيفا فهو مردود على صاحبه ، ومن أمثلة القلب قول الراجز وأنشده ابن منظور (ح ل ا) : =

. . . .

= إن سراجا لـكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره

فقد أراد الراجز أن يقول « يحلى بالعين » فلم يستطع ، فقلب ، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج وأنشده الخطيب القزوينى فى الإيضاح (ص ٧٨ بتحقيقنا) والشريف المرتضى فى الأمالى (ص ٢١٦) وسيأتى مع الشاهد ٢٣٦ قريبا :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

فقد أراد أن يقول « كأن لون سمائه أرضه » فقلب ، ومثله قول القطامى (الإيضاح ٧٨ والمعاهد ٨٦) :

فلما أن جرى سمن عليها كما طينت بالفدن السياعا

السمن ــ بكسر السين وفتح الميم ــ امتلاء الجسم بالشحم ، وطينت : طليت بالطين، والفدن ــ بالتحريك ــ القصر المنيف ، والسياع ــ بزنة الـكتاب ــ الطين المخلوط بالتبن، وقد أراد أن يقول « كما طليت القصر بالسياع » فقلب ، ومثله قول حسان بن ثابت يصف الخمر :

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

السبيئة : الخمر ، وبيت رأس : بلد بالشام ، ومزاجها : ما يخلط بها ، وقد أراد أن يقول «يكون ما يمزج بها عسلا وماء ــ بجعل مزاجها اسم يكون وعسلا وماء خبرها» فقلب ، ومثله قول عروة بن الورد ، وينسب للعباس مرداس السلمى :

فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلوك إلا ما أطيق

فقد أراد أن يقول « فديته بنفسى ومالى » فقلب ، ومثله قول القطامى من قصيدته التى منها البيت السابق :

قفى قبل التفرق يا ضباعا ولايك موقف منك الوداعا

أراد أن يقول « ولايك الوداع موقفا منك » فقلب ، وهو أشبه ببيت حسان ، ومثله قول الشاعر ــ وهو من أبيات سيبويه (١/٩٢) :

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره باد إلى الشمس أجمع

أضاف مدخلا ــ وهو اسم الفاعل من أدخل ــ إلى الظل ، ثم نصب « رأسه » به على الاتساع والقلب ، وكان الوجه أن يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل فى الظل ؛ ومثله قول الراعى يذكر ثورا : =

وأما قول زهير :

* أقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ * [٢٣٢]

فالرواية الصحيحة « مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ دَهْرِ » ولئن سلمنا ما رويتموه « من حجج ومن دهر » فالتقدير فيه أيضاً : من مَرِّ حِجَجٍ ومن مَرِّ دَهْرِ ، كما تقول : مَرّت عليه السنُونَ ، ومَرّت عليه الدهُورُ ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه

= فصبحته كلاب الغوث يؤسدها مستوضحون يرون العين كالأثر

الغوث : قبيلة من طيء ، ويؤسدها : يغريها ، ومستوضحون : فاعل يؤسدها ، وأراد « صيادون مستوضحون » فحذف الموصوف وأبقى الصفة ، والمعنى يغريها صيادون ينظرون هل يرون شيئا ، وقوله « يرون العين كالأثر » هو القلوب ، وأصله : يرون الأثر كالعين، ومثل ذلك كله قول ابن مقبل ، وقد أنشده ابن منظور (هـ ى ب) :

ولا تهيبنى الموماة أركبها إذا تجاوبت الأصداء بالسحر

فقد أراد أن يقول « ولا أتهيب الموماة أركبها » فقلب . وقد وقع القلب فى شعر المحدثين ؛ فمن ذلك قول أبى تمام الطائى :

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

البيت فى وصف القلم ، واللعاب : الريق ، وهو ماء الفم ، والأفاعى : الحيات ، والأرى – بفتح الهمزة وسكون الراء – مالزق من عسل النحل فى جوف الخلية ، والجنى – بوزن الفتى – العسل ، وإضافة الأرى إليه للتخصيص ؛ لأن الأرى يكون أيضا مالزق بجوف القدر من الطبيخ ، واشتارته : أى استخرجته وقطفته ، وأيد عواسل : أى قاطفة للعسل ، وقد أراد أن يقول «لعابه لعاب الأفاعى»فقلب،والبصريون يخرجونه على التقديم والتأخير ، ونظيره قول حسان بن ثابت :

قبيلة ألأم الأحياء أكرمها وأغدر الناس بالجيران وافيها

أراد أن يقول : أكرمها ألأم الأحياء ، ووافيها أغدر الناس ، فقلب ، أو قدم وأخر ، ونظيرها البيت المشهور وقد ينسب إلى الفرزدق:

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فقد أراد أن يقول : بنو أبنائنا بنونا ، أى مثلهم ، فقلب ، أو قدم وأخر ، وقد أطلنا عليك فى الاستشهاد لهذا الموضوع فعه ولاتنسه

كما بينا فى الآية ، وقيل : إنَّ « مِنْ » ها هنا زائدة ، وهو قول أبى الحسن الأخفش ؛ فإنه يجوز أن تُزَاد فى الإيجاب ، كما يجوز أن تزاد فى النفى ، ويحتج بقوله تعالى : (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) أى يغفر لكم ذنوبكم ، وبقوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) أى يَغُضُّوا أبْصَارَهُمْ ، ويحتج أيضاً بقول الشاعر :

أَلاَ حَىِّ نَدْمَانِى عُمَيْرَ بْنَ عَامِرٍ
إذَا مَا تَلاَقَيْنَا مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدَا [٢١٠]

أراد اليومَ أو غَداً ، فكذلك ها هنا : التقدير فى قوله « مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ » أى حِجَجاً ودَهْراً ، فدلَّ على فساد ما ذهبوا إليه ، والله أعلم .

٥٥ — مسألة

[واو رُبَّ ، هل هى التى تعمل الجر ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن واو رُبَّ تعمل فى النكرة الخفْضَ بنفسها ، وإليه ذهب أبو العباس المبرد من البصريين . وذهب البصريون إلى أن واو رب لا تعمل ، وإنما العمل لربَّ مقدرة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الواو هى العاملة لأنها نابت عن رُبَّ ، فلما نابت عن رُبَّ وهى تعمل الخفض فكذلك الواو لنيابتها عنها ، وصارت كواو القسم ؛ فإنها لما نابت عن الباء عملت الخفض كالباء ، فكذلك الواو ها هنا : لما نابت عن رُبَّ عملت الخفض كما تعمل رُبَّ ، والذى يدل على

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢/٢٠٢ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢٨ بولاق) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ١١١٠ وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (٢/٣١٩)

أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به ، ونحن نرى الشاعر يبتدىء بالواو فى أول القصيدة ، كقوله :

٢٣٦ — [١٦٦] * وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ *

وكقول الآخر :

* وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ * [١٦٠]

وما أشبه ذلك ؛ فدل على أنها ليست عاطفة ، فبان بهذا صحة ما ذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إن الواو ليست عاملة ، وإن العمل لرب مقدرة ، وذلك لأن الواو حرف عطف ، وحرف العطف لا يعمل شيئاً ؛ لأن الحرف إنما يعمل إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ؛ فوجب أن لا يكون عاملا ، وإذا لم يكن عاملا وجب أن يكون العامل رُبّ مقدرة .

---

٢٣٦ — هذا بيت من مشطور الرجز ، وبعده قوله :

* كأن لون أرضه سماؤه *

وهو من كلام رؤبة بن العجاج ، وقد أنشده ابن منظور (ع م ى) وعزاه إليه ، وانظر ماذكرناه فى بحث القلب (ص ٣٧٤) والأعماء : المجاهل، واحدها عمى — بوزن فتى — ومعنى قوله « عامية أعماؤه » أن مجاهله متناهية فى العمى ، وهوباب من المبالغة مثل قولهم : ليل أليل ، وليل لائل ، ويوم أيوم ، وشعر شاعر، كأنهم لم يجدوا مايصفونه به إلاأن يشتقوا له وصفا من لفظه ، وكأن رؤبة قد قال أعماؤه عامية ، فقدم وأخر، وهم قلما يأتون بهذا الضرب من المبالغة إلا على طريق الوصف كقولهم: شغل شاغل ، وليل لائل ، وماذكرناه قريبا ، لكن رؤبة قد اضطر فقدم وأخر ، وقوله « كأن لون أرضه سماؤه » من المقلوب ، وأصله « كأن لون سمائه أرضه » وقد قدمنا كثيراً من أمثلة القلب مع شرح الشاهد (رقم ٢٣٥) ومحل الاستشهاد بالبيت هنا قوله « وبلد » فإنه يريد « ورب بلد » وليست هذه الواو واو العطف . إذ لامعطوف عليه ، بحكم أن هذا البيت أول الارجوزة .

والذى يدل على أنها واو العطف وأن رُبَّ مضمرة بعدها أنه يجوز ظهورها معها ، نحو « وَرُبَّ بلد » وسنبين ذلك مستوفى فى الجواب .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنها لما نابت عن رب عملت عملها كواو القسم » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه قد جاء عنهم الجرُّ بإضمار رب من غير عِوضٍ منها ، وذلك نحو قوله :

٢٣٧ — رَسْمِ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهْ كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ مِنْ جَلَلِهْ

وقال الآخر :

٢٣٨ — مِثْلِكِ أوْ خَيْرٍ تَرَكْتُ رَذِيَّةً تُقَلِّبُ عَيْنَيْهَا إذَا طَارَ طَائِرُ

---

٢٣٧ — هذا البيت مطلع قصيدة لجميل بن معمر العذرى صاحب بثينة ، وهو من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١١٠) ورضى الدين فى باب حروف الجر من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤ / ١٩٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ١٨٤) وفى أوضح المسالك (٣١٦) والأشمونى (رقم ٥٧٩) وابن عقيل (رقم ٢٢٠) والرسم — بفتح الراء وسكون السين — ما بقى لاصقا بالأرض من آثار الديار كالرماد ونحوه ، والطلل — بفتح الطاء واللام جميعاً — ما بقى شاخصاً مرتفعا من آثارها كالوتد ونحوه ، وقوله « من جلله » يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون من قولهم « فعلت كذا من جلل كذا » أى من أجله وبسببه ، والثانى أن يكون من قولهم « فعلت كذا من جلل كذا » أى من عظمه فى نفسى ، ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « رسم دار » فإن الرواية فيه بجر الرسم ، وقد خرجها العلماء على أنه مجرور لفظا برب المحذوفة الباقى عملها ، قال ابن يعيش « أراد رب رسم دار ، ثم حذف ، لكثرة استعمالها » اهـ .

٢٣٨ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١ / ٢٩٤) وقد غير المؤلف فى صدره تغييرا سننبه عليه ، وقوله « أو خير » يريد أو خير منك ، والرذية : فعيلة من قولهم « رذى البعير يرذى — من مثال فرح يفرح » إذا هزل وأعيا حتى لا يستطيع براحا ولا ينبعث ، وهو رذى ، والأنثى رذية ، وقال أبو زيد : الرذية الناقة المتروكة التى حسرها السفر لا تقدر أن تلحق بالركاب ، وفى حديث الصدقة « فلا يعطى الرذية ولا الشرط اللئيمة » يخاطب الشاعر ناقته ، يقول : قد تركت مثلك أو خيراً منك بعد أن أعملتها فى =

والذى يدل على فساد ما ذهبوا إليه أيضاً أنها تضمر بعد بَلْ ، قال الشاعر :

٢٣٩ — * بَلْ جَوْزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ *

= السفر، وأودعتها الطريق؛ فكلما مر عليها طائر قلبت عينها رهبة منه وخوفا أن يقع عليها ليأكل منها . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « مثلك أو خير » حيث جر « مثلك » برب المحذوفة من غير أن يقيم الواو مقام رب ؛ فهذا يدل على أن الجر ليس بالواو ، إذ لو كان الجر بها لم تحذف ؛ لأن الأصل فى حرف الجر ألا يعمل وهو محذوف لضعفه ، وإنما اغتفروا ذلك فى رب لكثرة استعمالها ، هكذا زعم المؤلف ، وما ذكره من القاعدة صحيح ، ولكن الرواية فى صدر هذا البيت « ومثلك رهبى قد تركت » بنصب «مثلك» أو جره ، أما نصبه فعلى أن يكون مفعولا مقدما لقوله تركت ، وأما جره فعلى أن يكون مجرورا برب المحذوفة بعد الواو ، ونظيره قول امرىء القيس بن حجر الكندى فى رواية:

ومثلك بكرا قد طرقت وثيبا فألهيتها عن ذى تمائم محول

٢٣٩ — هذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٨١) ورضى الدين فى شرح شافية الحاجب (رقم ١٠١) وابن جنى فى سر صناعة الإعراب (رقم ١٠٧ فى ١ / ١٧٧) وفى الخصائص (١ / ٣٠٤ الدار) وقد أنشده ابن منظور (ح ج ف) ونقل عن ابن برى أنه من أرجوزة لسؤر الذئب ، والتيهاء : الصحراء يضل سالكها ، وجوزها — بفتح الجيم وسكون الواو — أى وسطها ، وإنما شبه الصحراء بظهر الترس لأنها غير ذات أعلام يهتدى بها السائر . وإنما ذكر الوسط ليشير إلى أنه لم يتهيبها وأنه توسطها ، وهذا الكلام كناية عن كونه قويا جلدا جريئاً لا يهاب . وللنحاة فى هذا البيت شاهدان ، أحدهما فى قوله « بل جوز تيهاء » حيث جر « جوز تيهاء » برب المحذوفة بعد بل ، والثانى فى قوله « الحجفت » حيث وقف على تاء التأنيث بالتاء لا بالهاء ، قال ابن منظور « يريد رب جوز تيهاء ، ومن العرب من إذا سكت على الهاء جعلها تاء فقال : هذا طلحت ، وخبز الذرت » اهـ . وقال ابن يعيش « من العرب من يجرى الوقف مجرى الوصل فيقول فى الوقف : هذا طلحت ، وهى لغة فاشية حكاها أبو الخطاب ، ومنه قولهم : وعليكم السلام والرحمت ، ومنه قوله :

* بل جوز تيهاء كظهر الحجفت * » اهـ كلامه

وقد ذكر الصاغانى أن الذين يقفون على الهاء بالتاء هم طيىء . =

أراد بل رُبَّ جَوْزٍ، ولا يقول أحد إن بل تجر. وكذلك تضمر بعد الفاء قال الشاعر:

٢٤٠ — * فَحُورٍ قَدْ لَهَوْتُ بِهِنَّ عِينٍ *

وليست نائبةً عنها، ولا عِوَضاً منها.

= ومثل هذا البيت فى الجر برب المحذوفة بعد بل قول رؤبة بن العجاج:

بل بلد ذى صعد وأصباب قطعت أخشاه بعسف جواب

٢٤٠ — هذا صدر بيت للمتنخل الهذلى، واسمه مالك بن عويمر، والبيت مع بيت سابق عليه هكذا:

فإما تعرضن سليم عنى وتنزعك الوشاة أولو النباط
فحور قد لهوت بهن عين نواعم فى المروط وفى الرياط

والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١١١) والأشمونى (رقم ٥٧٧) وسليم: مصغر سلمى تصغير الترخيم، وقد حذف حرف النداء، والحور — بضم الحاء — جمع حوراء وهى التى اشتد بياض بياض عينها واشتد مع ذلك سواد سوادها، والعين — بكسر العين — جمع عيناء، وهى الواسعة العين، ويروى «قد لهوت بهن حينا» والنواعم: جمع ناعمة، وهى التى ترفل فى النعيم، والمروط: جمع مرط — بكسر الميم وسكون الراء — وهو الثوب من الخز، والرياط: جمع ريط، وهو ضرب من الثياب، والاستشهاد بالبيت فى قوله «فحور» حيث جر لفظ «حور» برب المحذوفة بعد الفاء، ونظير ذلك فى هذا قول امرىء القيس — فى رواية — وهو من شواهد سيبويه (١ / ٢٩٤):

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول

قال سيبويه بعد إنشاده «أى رب مثلك، ومن العرب من ينصبه على الفعل» اه، أى يجعله مفعولا به تقدم على عامله — وهو طرقت — لكونه مما يتعدى إلى المفعول به ولم ينصب مفعولا، فأما فى بيت الشاهد فلا يجىء ذلك، ونظيره أيضاً قول ربيعة بن مقروم الضبي وهو من شعر الحماسة ومن شواهد الرضى (انظر الخزانة ٤ / ٢٠١):

فإن أهلك فذى حنق لظاه على تكاد تلتهب التهابا

يريد فإن أهلك فرب ذى حنق — إلخ، يعنى إن أهلك فإنى كثيرا ما تركت مغيظا محنقا قد ألهبت قلبه وأشعلت نيران ضغنه بسبب ما جدلت وصرعت من ذوى قرباه مثلا.

والذى أعتمد عليه فى الدليل على أن هذه الأحرف - التى هى الواو والفاء وَبَلْ - ليست نائبة عن رُبَّ ولا عوضاً عنها أنه يحسن ظهورها معها ، فيقال : « ورب بلد » و « بل رب بلد » و « فربَّ حُورٍ » ولو كانت [١٦٧] عوضاً عنها لما جاز ظهورها معها ؛ لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوض . ألا ترى أن واو القَسَمِ لما كانت عوضاً عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما ؛ فلا يقال « وبالله لأفعلنَّ » وتجعلهما حرفَىْ قسمٍ ، وكذلك أيضاً التاء ، لما كانت عوضاً من الواو كما كانت الواو عوضاً من الباء لم يجمع بينهما ؛ فلا يقال : « وتالله » وتجعلهما حرفى قسم ؛ لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوض ، فأما قوله تعالى (وتاللهِ لأ كِيدَنَّ أصنامكم) فالواو فيه واو عطف ، وليست واو قَسَمٍ ؛ فلم يمتنع أن يجمع بينها وبين تاء القسم ، فلما جاز الجمع بين الواو ورب دل على أنها ليست عوضاً عنها ، بخلاف واو القسم ، وأنها واو عطف .

وقولهم « إن حرف العطف لا يجوز الابتداء به ، ونحن نرى الشاعر يبتدىء بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ * » [٢٣٦]

فنقول : هذه الواوُ واو عطف وإن وقعت فى أول القصيدة ؛ لأنها فى التقدير عاطفة على كلام مقدر ، كأنه قال : رب قفر طامس أعلامه سلكته ، وبلد عامية أعماؤه قطعته . يصف نفسه بركوب الأخطار وقطع المفاوز والقِفَارِ ، إشماراً بشهامته وشجاعته .

وإذ قد ثَبَتَ بما ذكرناه أنها حرفُ عطفٍ ؛ فينبغي أن لا تكون عاملةً ، فدلَّ على أن النكرة بعدها مجرورة بتقدير رُبَّ على ما بينَّا ، والله أعلم .

* * *

٥٦ ــ مسألة

[القول فى إعراب الاسم الواقع بعد « مذ » و « منذ »][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « مذ » ، و « منذ » إذا ارتفع الاسم بعدهما ارتفع بتقدير فعل محذوف . وذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفرَّاء إلى أنه يرتفع بتقدير مبتدأ محذوف . وذهب البصريون إلى أنهما يكونان اسمين مبتدأين ويرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارَّيْنِ فيكون ما بعدهما مجروراً بهما .

أما الكوفيون فاحْتَجُّوا بأن قالوا : الدليل على أن الاسم بعدهما يرتفع بتقدير فعلٍ محذوفٍ أنهما مركبان من « مِنْ » و « إذْ » فتغيرا عن حالهما فى إفراد [١٦٨] كل واحد منهما ، فحذفت الهمزة ووصلت « مِنْ » بالذال وضمت الميم ؛ للفرق بين حالة الإفراد والتركيب . والذى يدل على أن الأصل فيهما من وإذْ أنَّ[2] من العرب من يقول فى مُنْذ : « مِنْذُ » بكسر الميم ؛ فكسر الميم يدل على أنها مركبة من مِنْ وإذ ، وإذا ثبت أنها مركبة من مِنْ وإذ كان الرفع بعدها بتقدير فعل ؛ لأن الفعل يحسن بعد إذ ؛ والتقدير : ما رأيته مذ مَضَى يومان ، ومنذ مضى ليلتان ، فأما إذا كان الاسمُ بعدها مخفوضاً كان الخفض بهما اعتباراً بمن ، ولهذا المعنى كان الخفضُ بمنذ أَجْوَدَ من مذ ؛ لظهور نون مِنْ فيها تغليباً لمن ، والرفعُ بمذ أَجْوَد لحذف نون من منها تغليباً لإذ ، والذى يدل على أن

---

(١) انظر فى هذه المسألة شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢ / ١٩٨ وما بعدها) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢ / ٢١ وما بعدها) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ٣٢٥ بتحقيقنا) وشرح الرضى على الكافية (٢ / ١١٠ وما بعدها) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٥٤٥) .

(٢) فى ر « وإذ أنه من العرب ــ إلخ » .

أصل مذ ومنذ واحد أنك لو سميت بمذ لقلت في تصغيره « مُنَيْذٌ » وفي تكسيره « أمْنَاذٌ » فتعود النون المحذوفة ؛ لأن التصغير والتكسير يردانِ الأشياء إلى أصولها كما تقول في تصغير منذ وتكسيره إذا سميت به .

وأما الفراء فاحتج بأن قال : إنما قلت إن ٱلأسم يرتفع بعدهما بتقدير مبتدإ محذوفٍ ، وذلك لأن مذ ومنذ مركبتان من مِن وذُو التي بمعنى الذي ، وهي لغة مشهورة ، قال قَوَّالٌ الطائي :

٢٤١ — فَقُولاَ لهذَا المَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِياً   هَلُمَّ فإنَّ المَشْرَفِيَّ الْفَرَائِضُ

أراد : الذي جاء ، وقال فيها أيضاً :

٢٤٢ — أَظُنُّكَ دُونَ المَالِ ذُو جِئْتَ تَبْتَغِي   سَتَلْقَاكَ بِيضٌ لِلنُّفُوسِ قَوَابِضُ

---

٢٤١ — هذا البيت أول ثلاثة أبيات لقوال الطائي ـ وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ـ يقولها في ساع جاءهم يطلب إبل الزكاة ، وقد أثر أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة الأبيات أولها هذا البيت ، وثالثها البيت الذي يليه في شواهد المؤلف (انظر ص ٦٤٠ من شرح المرزوقي) وقد استشهد بهذا البيت رضي الدين في باب الموصولات من شرح الكافية ، وشرحه البغدادي في الخزانة (٢ / ٢٦٥ و ٥١٤) والأشموني (رقم ٩٩) والساعي : هو الذي يلي جمع الزكاة من أربابها ، وهلم : اسم فعل أمر معناه أقبل وتعال ، والمشرفي : السيف ، منسوب إلى المشارف وهي قرى كانت السيوف تصنع بها ، والفرائض : جمع فريضة ، وهي ما يؤخذ من السائمة في الزكاة ، والشاعر يتهكم بالساعي الذي جاءهم يطلب الذي عليهم أداؤه من زكاة أموالهم ، وكان قومه امتنعوا عن أداء حق الله في أموالهم . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « ذو جاء » فإن « ذو » في هذه العبارة اسم موصول بمعنى الذي ، وهو صفة للمرء ، أي : قولا لهذا المرء الذي جاء يطلب زكاة أموالنا تعالى ـ إلخ ، والذين يستعملون « ذو » بمعنى الذي هم طيء .

٢٤٢ — وهذا البيت أيضاً من كلمة قوال الطائي التي منها البيت السابق ، كما أشرنا إلى ذلك في شرحه ، وبيض : جمع أبيض ، وهو السيف ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « ذو جئت » فإن « ذو » اسم موصول بمعنى الذي ، وهو صفة للمال ، ومن هنا تعلم أن الطائيين يستعملون « ذو » في العقلاء كما في البيت السابق ، وفي غير العقلاء كما في هذا البيت .

أراد : الذى جئت تبتغى . وقال مِلْحَةُ الْجَرْمِىُّ :

٢٤٣ — يُغَادِرُ مَحْضَ المَاءِ ذُو هُوَ مَحْضُهُ عَلَى إِثْرِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ

يُرَوِّى الْعُرُوقَ الْبَالِيَاتِ مِنَ الْبِلَى

مِنَ الْعَرْفَجِ النَّجْدِىِّ ذُو بَادَ وَالْحَمْضِ

أراد : الذى هو محضه ، والذى باد . وقال سِنَانُ بن الفَحْلِ :

٢٤٤ — فإِنَّ المَاءَ ماءُ أبِى وَجَدِّى وَبِئْرِى ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ

---

٢٤٣ — هذان البيتان من كلام ملحة الجرمي ، وملحة يضبط فى بعض الأمهات بضم الميم ، وفى بعضها بكسر الميم ، وجرم — بفتح الجيم وسكون الراء — من طيء ، والبيتان المستشهد بهما هنا هما السادس والسابع من كلة عدتها ثمانية أبيات أثرها أبو تمام فى ديوان الحماسة (انظر شرح المرزوقى ص ١٨٠٦) والمحض — بالفتح — أصله اللبن الخالص بلا رغوة ، ويستعمل فى الحسب وغيره ، وقوله « إن كان للماء من محض » لأن ماء المطر من جنس واحد ، وقوله « يروى العروق — إلخ » يريد بالباليات ما أشرف على اليبس من عروق الشجر ، ويرويها : أى يعيدها غضة مرتوية ، ورواية المرزوقى « يروى العروق الهامدات » ومحل الاستشهاد فى البيت الأول من هذين البيتين قوله « ذو هو محضه » فإن « ذو » فى هذه العبارة اسم موصول بمعنى الذى ، والجملة بعده من المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب صلة ، وذو صفة للماء ، والهاء فى « محضه » تعود إلى السحاب يعنى يترك هذا السحاب محض الماء الذى هو — أى الماء — محضه : أى خالصة السحاب وصافيته . ومحل الاستشهاد فى البيت الثانى قوله « ذو باد » فإن « ذو » اسم موصول بمعنى الذى أيضا ، وقد وقع صفة للعرفج النجدى .

٢٤٤ — هذا البيت لسنان بن الفحل الطائى ، من أبيات أوردها أبو تمام أيضا فى ديوان الحماسة (انظر شرح المرزوقى ص ٥٩٠) وهو من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٦٤) ورضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٥١١) والأشمونى (رقم ١٠١) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥١) وفى شرح قطر الندى (رقم ٣١) و « ذو حفرت » يريد التى حفرتها ، و « ذو طويت » أى التى طويتها ، وطى البئر : بناؤها بالحجارة ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « ذو حفرت وذو طويت » فإن « ذو » فى هاتين =

أراد : الذى حفرت والذى طويت ؛ فلما رُكِّبَتَا حذفت الواو من « ذو » اجتزاء بالضمة عنها ؛ لأنهم يجتزئون بالضمة عن الواو وبالكسرة عن الياء وبالفتحة عن الألف ، قال الشاعر :

٢٤٥—[١٦٩] فَلَوْ أَنَّ الأَطِبَّا كَانُ حَوْلِي ... وَكَانَ مَعَ الأَطِبَّاءِ الشُّفَاةُ

إِذاً مَا أَذْهَبُوا أَلَمَا بِقَلْبِي ... وَإِنْ قِيلَ الشُّفَاةُ هُمُ الأُسَاةُ

= العبارتين اسم موصول بمعنى التى ، ويستدل بهاتين العبارتين على ثلاثة أشياء ؛ الأول أن « ذو » تأتى اسما موصولا ، والثانى أنها تكون بلفظ واحد للمؤنث والمذكر ، لأن البئر مؤنثة ، والثالث أنها تستعمل فى غير العاقل كما استعملت فى العاقل فى الشاهد ٢٤١ .

٢٤٥ — هذا الشاهد من شواهد رضى الدين فى باب المضمر من شرح الكافية وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٣٨٥) ونص على أن الفراء أنشد البيت الأول فى تفسيره ، ثم قال بعد كلام طويل « ولم يعزهما الفراء فمن بعده إلى أحد » وهو من شواهد جار الله فى الكشاف (٢/٦١ بولاق) فى أول تفسير سورة المؤمنين ، والأطبا : جمع طبيب ، وهو الذى يعالج الأسقام ، وقال الشاعر :

يقولون : ليلى بالعراق مريضة ، ... فياليتنى كنت الطبيب المداويا

وأصله « الأطباء » كما ورد فى الشطر الثانى فقصره الشاعر ، و « الشفاة » جمع شاف ، ويروى « وكان مع الأطباء الأساة » وهو جمع آس . من قولك « أسا الجرح يأسوه » إذا عالجه ليبرأ ، ويروى « وكان مع الأطباء السقاة » جمع ساق من « سقاه الدواء يسقيه » وجواب لو هو قوله « إذا ما أذهبوا — إلخ » ومحل الاستشهاد ههنا قوله « كان حولى » فإن أصل هذه العبارة « كانوا حولى » بواو الجماعة التى تعود إلى الأطباء ، فحذف الشاعر الواو واكتفى بالضمة للدلالة عليها ، وقد قرىء فى قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) بضم الحاء — وهى قراءة طلحة بن مصرف — فخرجها الزمخشرى على أن الأصل « قد أفلحوا المؤمنون » فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها ، بدليل أن طلحة نفسه قرأ (قد أفلحوا المؤمنون) بالواو ، وقرىء (تماما على الذى أحسن) برفع أحسن ، وخرجها قوم على أن الأصل (على الذى أحسنوا) فحذفت الواو واكتفى بضم النون للدلالة عليها ، وعلى هذه القراءة وهذا التخريج يكون « الذى » مستعملا فى الجمع نظير قول الآخر :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد =

أراد « كانوا » فحذف الواو اجتزاء بالضمة . وقال الشاعر :

٢٤٦ — إذا مَا شَاءِ ضَرُّوا مَنْ أَرَادُوا وَلاَ يأْلُوهُمُ أَحَدٌ ضِرَارَا

= واستبعد ذلك ابن هشام فى المغنى ، ورجح تخريج الجمهور ،وحاصله أن «أحسن» أفعل تفضيل وليس فعلا ماضيا ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : تماما على الذى هو أحسن ، وقرى (لمن أراد أن يتم الرضاعة) برفع « يتم » وخرجها قوم على أن الأصل «يتموا الرضاعة » فحذفت الواو اجتزاء بالضمة عنها ، وخرجها قوم على أن « أن » المصدرية فى « أن يتم » مهملة غير عاملة النصب حملا على « ما » المصدرية أختها نظير قول الشاعر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما منى السلام ، وألا تشعرا أحدا

وقد اختلفت عبارة القوم فى حذف حرف المد والاجتزاء بالحركة عنه للدلالة عليه : أهو ضرورة من ضرورات الشعر أم هو لغة لبعض العرب ؟ فظاهر كلام سيبويه أن ذلك ضرورة ؛ فإنه ذكر ذلك واستشهد له فى «باب ما يحتمل الشعر» وصدر هذا الباب بقوله (١/٨) « اعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام : من صرف ما لا ينصرف يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماء كما أنها أسماء ، ومن حذف ما لا يحذف يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفا » ا هـ . وظاهر كلام الفراء أن ذلك لغة لبعض العرب، قال «وقد تسقط العرب الواو وهى واو جمع اكتفاء بالضمه قبلها ، فقالوا فى ضربوا : قد ضرب ، وفى قالوا : قد قال ، وهى فى هوازن وعليا قيس » ا هـ ، وانظر ما أشرنا إليه بعد شرح الشاهد ١٧ فى المسألة الثانية .

٢٤٦ — هذا البيت مما استشهد به الفراء فى تفسيره ، وتقول : ألا فلان يألو — بوزن سما يسمو — ألوا بوزن ضرب وألوا بوزن سمو؛ إذا قصر وأبطأ فيما يريد ، يعنى أن هؤلاء الناس يضرون من أرادوا ضره متى شاءوا ، والناس لا يقصرون ولا يتمهلون عن إيصال الضر إليهم ، ومحل الاستشهاد قوله « إذا ما شاء » فإن أصل هذه العبارة « إذا ما شاءوا » فحذف الواو ، واكتفى بضم الهمزة التى قبلها للدلالة عليها ، وحكى اللحيانى عن الكسائى أن العرب تقول : أقبل يضربه لا يأل — بضم اللام — يريدون لا يألو ، فاكتفوا بالضمة عن الواو ، وحكى سيبويه أنهم يقولون : لا أدر — بكسر الراء — يريدون لا أدرى ، فاكتفوا بالكسرة عن الياء .

أراد « شاءوا » ، وقال الآخر :

٢٤٧ وَأَخُو الْغَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ

أراد «الغوانى» ، وقال الآخر :

٢٤٨ — كَفَّاكَ كَفٌّ لاَ تُلِيقُ دِرْهَماً جُوداً ، وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا

---

٢٤٧ — هذا البيت من كلام الأعشى ميمون، وهو من شواهد سيبويه (١/١٠) والغوانى : جمع غانية ، وهى المرأة التى استغنت بجمالها عن الزينة ، أو هى التى استغنت بزوجها عفة وتصونا وحصانة ، أو هى التى غنيت بمكانها : أى أقامت فيه ولم تفارقه ، وقوله « متى يشأ » قد حذف منه المفعول ، وأصل الكلام : متى يشأ صرمهن ، ويصرمنه يبتتن حبال مودته ويقطعنها . يصف النساء بالغدر وقلة الوفاء والصبر ، يقول : من كان مشغوفا بهن مواصلا لهن إذا تعرض لصرمهن سارعن إلى ذلك لتغير أخلاقهن وقلة وفائهن ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « الغوان » فقد أراد أن يقول « الغوانى » فحذف الياء ضرورة ، واكتفى بالكسرة دليلا عليها .

ومثل هذا البيت قول خفاف بن ندبة السلمى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٩) :

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثتين عصف الإثمد

فإنه أراد « كنواحى ريش حمامة » فحذف الياء اجتزاء بالكسرة التى قبلها ؛ لأنها تدل عليها ، ومثله قول الآخر ، وهو أيضا من شواهد سيبويه (١/٩) :

فطرت بمنصلى فى يعملات دوامى الأيد يخبطن السريحا

فقد أراد أن يقول « دوامى الأيدى » فحذف اليـاء مجتزئا بالكسرة التى قبلها للدلالة عليها .

٢٤٨ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ل ى ق) ولم يعزه ، وتقول : فلان مايليق بكفه درهم — من مثال باع يبيع — أى ما يحتبس وما يبقى فى كفه ، وتقول فلان مايليق درهما — من مثال أنال ينيل — أى ما يحبس وما يبقى درهما أيضا ، وقال الشاعر :

تقول — إذا استهلكت مالا للذة — فكيهة : هل شىء بكفيك لائق؟

يصف صاحب الشاهد رجلا بأنه جواد كريم وأنه شجاع فاتك، ونظيره قول الآخر :

يداك يد خيرها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظه =

أراد «تعطى» ، وقال الآخر :

٢٤٩ — لَيْسَ تَخْفَى يَسَارَتِى قَدْرَ يَوْمٍ وَلَقَدْ يُخْفِ شِيمَتِى إعْسَارِى

أراد «يُخْفِى» ، وقال الآخر :

٢٥٠ — لَاصُلْحَ بَيْنِى ـ فَاعْلَمُوهُ ـ وَلَا بَيْنَكُمُ، مَا حَمَلَتْ عَاتِقِى
سَيْفِى، وَمَا كُنَّا بِنَجْدٍ ، وَمَا قَرْقَرَ قُمْرُ الْوَادِ بِالشَّاهِقِ

= ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « تعط » فإنه أراد تعطى ؛ لأن الفعل مرفوع لا مجزوم ، فحذف الياء مجتزئا بالكسرة التى قبلها دالة عليها .

٢٤٩ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ى س ر) ولم يعزه ، واليسارة — ومثله اليسار — الغنى ، وقد أيسر الرجل يوسر : أى استغنى ، وقد صارت الياء فى المضارع واوا لسكونها وانضمام ما قبلها ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « يخف » فإنه أراد أن يقول يخفى ؛ لأن الفعل مرفوع لا مجزوم ، فحذف الياء مجتزئا بالكسرة قبلها للدلالة عليها .

٢٥٠ — أنشد الجوهرى — وتبعه ابن منظور — هذين البيتين (ق م ر) ثانى وثالث ثلاثة أبيات ، ونسبها لأبى عامر ، جد العباس بن مرداس السلمى ، والبيت الأول قوله :

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراتق

وأنشدهما ابن منظور (ودى) عن ابن سيده ، ونسبهما لأبى الربيس التغلبى ، وأنشد ابن جنى ثانيهما فى الخصائص (٢ / ٢٩٢) من غير عزو ، قال ابن برى : سبب هذا الشعر أن الملك النعمان بن المنذر بعث جيشا إلى بنى سليم لشىء كان وجد عليهم من أجله ، وكان مقدم الجيش عمرو بن فرتنا ، فمر الجيش على غطفان ، فاستجاشوهم على بنى سليم ، فهزمت بنو سليم جيش النعمان وأسروا عمرو بن فرتنا ، فأرسلت غطفان إلى بنى سليم وقالوا : ننشدكم بالرحم التى بيننا إلا ما أطلقتم عمرو بن فرتنا ، فقال أبو عامر هذه الأبيات ، يقول : لا نسب بيننا وبينكم ، ولا خلة — أى ولا صداقة — بعد ما أعنتم جيش النعمان ولم تراعوا حرمة النسب الذى بيننا وبينكم ، وقد تفاقم الأمر بيننا فلا يرجى صلاحه فهو كالفتق الواسع فى الثوب يتعب من يروم رتقه ، والقمر — بضم القاف وسكون الميم — جمع قمرية ، ومثاله روم ورومى وزنج وزنجى ، والقمر : ضرب من الحمام ، وقرقر : =

أراد «الوادى» ، وقال الآخر وهو كعب بن مالك الأنصارى :

٢٥١ — مَا بَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِي بِالْوَادِ مِنْ هِنْدَ إِذْ تَعْدُو عَوَادِيهَا ؟

أراد «بالوادى» ، وقال أيضاً :

٢٥٢ — وَلٰكِنْ بِبَدْرٍ سَائِلُوا عَنْ بَلاَئِنَا عَلَى النَّادِ ، وَالأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَبْلُغُ

= صوت، والشاهق : أراد الجبل العالى ، ومحل الاستشهاد بالبيتين ههنا قوله «قمر الواد» فإنه أراد الوادى لحذف الياء اجتزاء بالكسرة التى قبلها للدلالة عليها . وفى قوله « اتسع الخرق على الراتق » شاهد آخر للنحاة ، حيث قطع همزة الوصل فى قوله « اتسع » ضرورة ، وحسن ذلك كون هذه الكلمة فى أول النصف الثانى من البيت ؛ لأنه بمنزلة ما يبتدأ به ، قال ابن سيده فى التعليل لحذف الياء من « الواد » مانصه : «حذف لأن الحرف لما ضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه ولم يقدر أن يتحامل بنفسه دعا إلى اخترامه وحذفه » اهـ . وهذا كلام ابن جنى فى الخصائص (٢ / ٢٩٢) وبل كلام ابن جنى أصرح وأنصع، وذلك قوله « وإذا كان الحرف لايتحامل بنفسه حتى يدعو إلى اخترامه وحذفه كان بأن يضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه فيه أحرى وأحجى ، وذلك نحو قول الله تعالى (والليل إذا يسر) وقوله (ذلك ما كنا نبغ) وقوله (الكبير المتعال) وقوله:

* وما قرقر قمر الواد بالشاهق * » اهـ

٢٥١ — مابال هم : أى ما شأنه وما حاله ، وعميد : فادح موجع ، وأصله قولهم « عمده المرض يعمده » من مثال ضربه يضربه ـ إذا فدحه ، ودخل أعرابى على بعض العرب وهو مريض فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أما الذى يعمدنى فحصر وأسر ، يريد أما الذى يفدحنى ويشتد على ويضنينى ، ويطرقنى : أى ينزل بى ليلا ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « بالواد » فإنه يريد بالوادى ، فحذف الياء مجتزئا بالكسرة قبلها ، على نحو ماذكرناه فى البيت قبله .

٢٥٢ — بدر : أراد الموضع الذى كانت فيه الغزوة المشهورة التى نصر الله فيها رسوله وأخزى الشرك وأهله ، والبلاء ـ بفتح الباء ـ الجهد والصلابة ، وأصله الاختبار والتجربة والامتحان ، تقول : بلاه يبلوه ، إذا جربه واختبره ليعرف مقدار ما عنده ، والناد ، هنا : القوم ، وأصله المكان الذى يجتمعون فيه، والأنباء : الأخبار، واحدها نبأ ـ بفتح النون والباء جميعا ـ ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « على الناد » فإنه يريد على النادى ، فحذف الياء مجتزئا بالكسرة قبلها ، على نحو ماذكرناه من قبل

أراد «على النادى» ، وقال الآخر :

٢٥٣ — وَلاَ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

أراد «أدرى» ، وقال الآخر :

٢٥٤ — فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّى بِلَهْفَ ، وَلا بِلَيْتَ ، وَلاَ لَوَ أَنِّى

---

٢٥٣ — هذا البيت من كلام أبى خراش الهذلى ، يقوله فى أخيه عروة ، من أبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (انظر شرح المرزوقى ٧٨٢) وياقوت فى معجم البلدان (قوسى) وقوله « ألقى عليه رداءه » كان من عادة العرب أن الرجل يمر بالقتيل فيلق عليه ثوبه يستره به ، وفى مثل ذلك يقول متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا :

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشية أروعا

وقد حكى أن مجتازا اجتاز بعروة فرآه بادى العورة مصروعا ، فألقى رداءه عليه ، ويحكى أن خراشا ابن الشاعر الذى يكنى به وقع أسيرا ، وأنه نزل بآسره ضيف ، فنظر ذلك الضيف إلى خراش — وكان ملق وراء البيت — فسأله عن حاله ونسبه ، فشرح قصته وانتسب ، فقطع إساره وخلاه ، فلما رجع رب البيت قال : أسيرى أسيرى ، وأراد السعى فى أثره ، فوتر الضيف قوسه وحلف أنه إن تبعه رماه ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « ولا أدر » فإنه يريد ولا أدرى ؛ لأن الفعل غير مجزوم ، فحذف الياء مجتزئا بالكسرة التى قبلها لأنها ترشد إليها وتدل عليها ، وقد روى البيت فى الحماسة ومعجم البلدان وخصائص ابن جنى (٧١/١) « ولم أدر » وعلى هذه الرواية يكون الفعل مجزوما بحذف الياء ، ولا شاهد فيه لما أراده المؤلف .

٢٥٤ — هذا البيت قد أنشده ابن منظور (ل ه ف) ولم يعزه ، وأنشده البغدادى أثناء شرح الشاهد الثالث عشر (٦٣/١) وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٦٧٦) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٤٤١) وقوله « بلهف » أى بقولى : يالهفا ، وقوله « بليت » أى بقولى : ياليتنى ، وقوله «ولا لوانى » أى بقولى : لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، ومحل الاستشهاد ههنا بهذا البيت قوله«بلهف» فإن أصل الكلام : بقولى يالهفا ، على أن اللهف مضاف إلى ياء المتكلم ثم قلبت الكسرة التى قبل ياء المتكلم فتحة وقلبت الياء ألفا ، ثم حذف هذه الألف المنقلبة عن ياء المتكلم مجتزئا بالفتحة التى قبلها لأنها ترشد إليها وتدل عليها ، على نحو ماذكرناه فى الشواهد السابقة

أراد « بِلَهْـفَا» لحذف الألف اجتزاء بالفتحة عنها ، فـكذلك ها هنا : حذف الواو من «ذو» اجتزاء بالضمة عنها ، وصُيِّرا كلمةً واحدة ، وإذا كانا مركبتين من مِنْ وذو [١٧٠] التى بمعنى الذى ؛ فالذى اسمٌ موصول يفتقر إلى صلة وعائد ، والصلة لا تخلو : إما أن تكون من مبتدأ وخبر ، أو فعل وفاعل ، فإذا قلت : « ما رأيته مذ يومان » أو « منذ ليلتان » فالتقدير فيه : ما رأيته من الذى هو يومان ، فحذف «هو » الذى هو المبتدأ ، وبقى الخبر الذى هو يومان ، وحَذْفُ المبتدأ من الاسم الموصول جائز كقولك : « الذى أخوك زيد » أى : الذى هو أخوك زيد ، والذى يدل على جوازه قولُهم : « ما أنا بالذى قائلٌ لك شيئًا » أى : ما أنا بالذى أنا[1] قائل لك شيئاً ، وهذا كثير فى كلامهم ، فأما إذا كان الاسم بعدها مخفوضاً فهو مخفوض بمن ؛ ولهذا إذا ظهرت النون فى منذ كان الاختيار الخفض ، وإذا لم تظهر كان الاختيار الرفع .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مرفوع مابعدها لأنه خبر عنهما ، وذلك لأن مذ ومنذ معناهما الأمَدُ ، ألا ترى أن التقدير فى قولك : « ما رأيتهُ مذ يومانِ ، ومنذ ليلتانِ » أى : أمَدُ انقطاعِ الرؤية يومان ، وأمَدُ انقطاعِ الرؤية ليلتان ، والأمد فى موضع رفع بالابتداء ؛ فـكذلك ما قام مقامه ، وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدها خبراً عنهما ، وإنما بنيا لتضمنهما معنى من وإلى ، ألا ترى أنك إذا قلت : «ما رأيته مذ يومان ، ومنذ ليلتان» كان معناه: ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره ، وبنيت مذ على السكون لأنه الأصل فى البناء ، وبنيت منذ على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ؛ لأن من كلامهم أن يُتْبِعوا الضم الضم ، كما قالوا : « رُدُّ يَا فَتَى » ،

(١) لو جعل تقديره « ما أنا بالذى هو قائل لك شيئا » لـكان أحسن ، والمثال يروى فى كتب النحاة « ما أنا بالذى قائل لك سوءا » وانظر ص ٢٩٣ الآتية

والشواهد على ذلك كثيرة جداً ، وقد ذكرنا ذلك فى مواضعه ؛ فلا يفتقر إلى ذكره هاهنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنهما مركبتان من مِنْ و إذْ » قلنا : لا نسلم ، وأيُّ دليل يدل على ذلك ؟ وهل يمكن الوقوف عليه إلا بوحى أو تنزيل ؟ وليس إلى ذلك سبيل ! .

وقولهم : « إن من العرب من يقول فى مُنْذُ مِنْذُ بكسر الميم » قلنا : أولا هذه لغية شاذة نادرة لا يعرج عليها ؛ وليس فيها حجة على أنها مركبة من من و إذ ، و إنما هى لغية نادرة بكسر كما جاءت اللغة الفصيحة المشهورة بالضم ، فهو من جملة ما جاء على لغتين الضم والكسر، والضم أفصح ، فأما أن تدل على [١٧١] أنها مركبة من مِنْ و إذ فكلاّ !.

وقولهم : « إن الرفع بعدها يكون بتقدير فعل ، والتقديرُ فيه : مذ مضى يومان ، ومُنذ مَضى ليلتانِ ، اعتباراً بإذ ، والخفض يكون بعدها اعتباراً بمن » قلنا : هذا باطل؛ لأن الحرفين إذا ركبا بطل عملُ كل واحد منهما مفرداً ،وحَدَثَ حكم آخر، كما قلنا فى « لَوْلا ، ولوماَ ، و إلاَّ » وما أشبه ذلك ، وقد ذكرنا ذلك مستقصًى فى مسألة الاستثناء .

وهذا هو الجواب عن قول الفراء « إنهما مركبتان من مِن وذو التى بمعنى الذى» والذى يبطل ما ذهب إليه الفراء أن « ذُو » التى بمعنى الذى إنما تستعملها طيىء خاصة ، و « منذ يومان » بالرفع مستعمل فى لغة جميع العرب ، فكيف استعملت العربُ قاطبةً ذو بمعنى الذى مع مِنْ ـ على زعمكم ـ دون سائر المواضع ؟ وهل ذلك إلا تحكم محض لا دليل عليه ؟ .

وقولهم : إن التقدير فيه مِنَ الذى هو يَوْمَانِ فحذف المبتدأ الذى هو هو ، كقولهم : الذى أخُوكَ زيدٌ ، أى الذى هو أخُوكَ » قلنا : وهذا أيضاً لا يستقيم ؛

ن صلة الاسم الموصول لا يجوز فى نحو « الذى أخُوكَ زيدٌ »
ك ، و إنما يجوز ذلك جوازاً ضعيفاً إذا طال الـكلامُ ؛ كقولهم :
كَ زَيدٌ ، وما أنا بالذى قائلٌ لك شيئاً »(١) ، وما أشبه ذلك ،
ن من يجعل الحذف فى هذا النحو أيضاً شاذاً لايقاس عليه ،
اس عليه مع طول الـكلام فمع عَدَمه أولى ؛ فدل على فساد
أعلم .

٥٧ — مسألة

هل يعمل حرف القسم محذوفاً بغير عوض ؟]

ن إلى أنه يجوز الخفض فى القسم بإضمار حرف الخفض من

ن إلى أنه لا يجوز ذلك إلا بعوض ، نحو ألف الاستفهام ، نحو
آللهِ مَا فَعَلْتَ كذا » أو هاء التنبيه نحو « ها اللهِ » .

فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء عن العرب أنهم
سم و يخفضون بها ؛ قال الفراء : سمعناهم يقولون : « آلله [١٧٢]
المجيب : « أللهِ لأفعلنَّ » بألف واحدة مقصورة فى الثانية ؛
ف الخفض و إن كان محذوفاً ، وقد جاء فى كلامهم إعمال حرف
، حكى يونس بن حبيب البصرى أن من العرب من يقول :
الحٍ إلاَّ صالحٍ فطالحٍ » أى إلا أ كن مررت برجل صالح ؛ فقد

ى يذكره النحاة « ما أنا بالذى قائل لك سوءا » فلعل ماهنا مصحف
هذا المثال فى كلام المؤلف ، وانظر ص ٣٩١ السابقة .

مررت بطالح ، وروى عن رؤبة بن العجاج أنه كان إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول « خَيْرٍ عافاكَ اللهُ » أى بخير . قال الشاعر :

رَسْمِ دَارٍ وَقَفْتُ فى طَلَلِهْ ۰ كِدْتُ أَقْضِى الْحَيَاةَ مِنْ جَلَلِهْ [٢٣٨]

فخفض « رَسمٍ » بإضمار حرف الخفض ، وقال الآخر :

٢٥٥ — لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ، لا أَفْضَلْتَ فى حَسَبٍ
عَنِّى ، وَلا أَنْتَ دَيَّانِى فَتَخْزُونِى

نخفض «لاهِ» بتقدير اللام ، كأنه قال : لله ابنُ عَمِّكَ ، وقال الآخر :

---

٢٥٥ — هذا البيت من قصيدة طويلة لذى الأصبع العدوانى ، واسمه الحارث بن محرث ، يعاتب فيها ابن عم له ، وقد روى هذه القصيدة أبو على القالى فى أماليه (١/٢٥٩ بولاق) والمفضل الضبى (المفضلية ٣١) والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٥٥٧) وابن جنى فى الخصائص (٢/٢٨٨) ورضى الدين فى باب الظروف وباب حروف الجر من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٢٢٢ و٤/٢٤٣) وشواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٢٣٧) وابن عقيل (رقم ٢٠٨) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١١١ و١٣٠٠) ومعنى « أفضلت » زدت فى المنزلة ، والديان : الذى يملك الأمر ويتصرف فيه على مشيئته ، وتخزونى : تذلنى وتقهرنى ، ومحل الاستشهاد ههنا بهذا البيت قوله « لاه ابن عمك » واعلم أولا أن العرب تقول : لله أنت ، ولله درك ، ولله ابن عمك بثلاث لامات أولها لام الجر وثانيها لام التعريف وثالثها فاء الكلمة على أن لفظ الجلالة مأخوذ من ل ى ه أو عين الكلمة على أن اللفظ الكريم مأخوذ من أ ل ه ، هذا هو الأصل فى الاستعمال العربى ، وربما قالوا « لاه أبوك » و « لاه ابن عمك » بلام واحدة فيحذفون لامين ، وقد اختلف النحاة فى اللام الباقية ، فذهب سيبويه إلى أن الباقية هى اللام التى من أصل الكلمة والمحذوف لام الجر ولام التعريف ، وهذا هو الذى أراده المؤلف ، وذهب أبو العباس المبرد إلى أن الباقى هو لام الجر ، وقد حذف لام التعريف واللام التى من أصل الكلمة ، وقد فصلنا مقالة الشيخين واستدللنا للمذهبين وبينا أرجحها فى شرحنا على شرح الأشمونى (٣/٢٨٦) فانظره ، وانظر المراجع التى أشرنا إليها فى تخريج هذا الشاهد هنا .

أجِدَّكَ لَسْتَ الدَّهْرَ رَائِيَ رَامَةٍ وَلا عَاقِلٍ إلاَّ وَأَنْتَ جَنِيبُ(١) [١١٦]
وَلا مُصْعِدٍ فى الْمُصْعِدِينَ لِمَنْعِجٍ وَلاَ هَابِطٍ مَا عِشْتَ هَضْبَ شَطِيبِ

فخفض على تقدير الباء ، كأنه قال « بمصعدٍ »(٢) ، وقال الآخر :

بَدَا لِيَ أَنِّى لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلا سَابِقٍ شَيْئاً إذا كَانَ جَائِياً [١١٥]

وقال الآخر ، وهو الفرزدق :

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلاَ نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا [١١٧]

فخفض « ناعب » بإضمار حرف الخفض ، وقال الفرزدق أيضاً :

٢٥٦ — وَمَا زُرْتُ سَلْمَى أَنْ تَكُونَ حَبِيبَةً
إِلَيَّ ، وَلاَ دَيْنٍ بِهَا أنَا طَالِبُهْ

فخفض «دين» بإضمار حرف الخفض .

---

(١) فى هذين البيتين الإقواء كما هو ظاهر

(٢) الأولى أن يقول « كأنه قل برائى رامة » وهذا هو جر المعطوف على خبر ليس المنصوب بتوهم أنه قد دخلت الباء الزائدة على الخبر

٢٥٦ — هذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح فيها المطلب بن عبد الله المخزومى ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٤٠١) أنشده فى باب تعدى الفعل وفى باب حروف الجر ، وأنشده شيخ النحاة سيبويه (١/٤١٨) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧٨٧) وقوله « أن تكون حبيبة » المصدر المنسبك من أن المصدرية وما بعدها مفعول لأجله ، فأصله مجرور باللام الدالة على التعليل ، وأصل الكلام : لان تكون حبيبة ، ثم حذفت اللام لأن حرف الجر يكثر حذفه قبل أن المصدرية وأن المؤكدة ، وقد اختلف العلماء فى المصدر المنسبك بعد حذف حرف الجر : أهو مجرور بذلك الحرف المحذوف ، أم أنه انتصب على التوسع بعد حذف حرف الجر ؟ فأما الذين ذهبوا إلى أن المصدر مجرور بذلك الحرف المحذوف فيجعلون العطف عليه بالجر تبعا لحاله الذى هو عليه حقيقة ، وأما الذين يذهبون إلى أن المصدر بعد حذف حرف الجر صار منصوبا فيجعلون العطف عليه بالجر على أحد وجهين : الأول أنه معطوف على محل المصدر الذى كان

والذى يدل على ذلك أنكم تعْمِلُون رُبَّ مع الحذف بعد الواو والفاء وبَلْ؛ فدل على جوازه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن الأصل فى حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف، وإنما تعمل مع الحذف فى بعض المواضع إذا كان لها عوض، ولم يوجد ها هنا ، فبقينا فيما عداه على الأصل ، والتمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال ، وهو من الأدلة المعتبرة ، ويُخَرَّجُ على هذا الجرُّ إذا دخلت ألف الاستفهام [١٧٣] وها التنبيه نحو « آللّهِ ما فعلَ ، وها اللهِ ما فعَلْتُ » لأن ألف الاستفهام وها صارتا عوضاً عن حرف القسم ؛ والذى يدل على ذلك أنه لايجوز أن يظهر معهما حرف القسم ؛ فلا يقال « أ واللهِ » ولا « ها واللهِ » لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوض ، ألا ترى أن الواو لما كانت عوضاً عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما ؛ فلا يجوز أن يقال : « بِوَاللهِ لأفْعَلَنَّ » ؟ فكذلك هاهنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقولهم « اللهِ لأفعلن » فإنما جاز ذلك مع هذا الاسم خاصة على خلاف القياس لكثرة استعماله ، كما جاز دخول

= حذف حرف الجر ، والثانى أنه معطوف على التوهم ، وكأن الشاعر بعد أن قال « أن تكون حبيبة » قد توهم أنه أدخل حرف الجر لانه كثيرا ما يتكلم به ، فأتى بالمعطوف مجرورا ، قال ابن هشام فى المغنى (ص ٥٢٦ بتحقيقنا) : « وقوله :

* وما زرت ليلى أن تكون حبيبة * البيت

رووه بخفض دين عطفا على محل أن تكون ؛ إذ أصله لأن تكون ، وقد يجاب بأنه عطف على توهم دخول اللام ، وقد يعترض بأن الحمل على العطف على المحل أظهر من الحمل على العطف على التوهم ، ويجاب بأن القواعد لا تثبت بالمحتملات » اهـ . وقال سيبويه بعد إنشاد البيت « جره لانه صار كأنه قال : لأن تكون » اهـ . وقال الأعلم : « الشاهد فيه حمل دين على معنى لأن تكون ، وجره » اهـ .

حرف النداء عليه مع الألف واللام دون غيره من الأسماء لكثرة الاستعمال ؛ فكذلك ها هنا : جاز حذف حرف الخفض لكثرة الاستعمال مع هذا الاسم دون غيره ، فبقينا فيما عداه على الأصل . يدل عليه أن هذا الاسم يختص بما لايكون فى غيره ، ألا ترى أنه يختص بالتاء كقوله تعالى : (وتاللهِ لأَكِيدَنَّ أصنامكم) و إن كان لايجوز دخول التاء فى غيره ، كما لايجوز إدخال التاء فى « أَسْنَتُوا » إلا فى خلاف الخِصْبِ ، ولا يقال « تالرحمن »[1] ولا « تالرحيم » وكما أن ماحكاه أبو الحسن الأخفش من قوله « تَرَبِّى » لايدل على جوازه لشذوذه وقلته ؛ فكذلك قولهم « أللهِ لأفعلن » لايدل على جوازه فى غيره ، واختصاصُ هذا الاسم بهذا الحكم كاختصاص «لاتَ» بحين ، و « لَدُنْ » بغُدْوة ، و« جاءت » بحاجتك فى قولهم « ماجاءت حاجَتَكَ » فإن لات لاتعمل إلا فى الحين ، ولدن لاتنصب إلا غُدْوة ، وجاءت لاتنصب إلا حاجتك ، كأنهم قالوا : ماصارت حاجتك ، أو كانت حاجَتَكَ ، وأدخلوا التاء على ما[2] إذ كان ماهو الحاجة كما قال بعضهم « مَنْ كانت أمَّكَ » فنصب الأم وأنَّثَ مَنْ حيث أوقعها على مؤنث ؛ ولأن هذا الاسم عَلَمٌ فجاز أن يختص بما لايكون فى غيرِه ؛ لأن الأسماء الأعلام كثيراً مايُعْدَل ببعضها عن قياس الكلام ، ألا ترى أنهم قالوا « مَوْهَبٌ ، ومَوْرَقٌ » ففتحوا العين وقياسها أن تكسر، وكذلك قالوا : « حَيْوَة » بالواو و إن كان قياسها أن تكون بالياء ،وكذلك قالوا« مَزْيَدٌ ، ومَكْوَزَةٌ ،

---

(١) من النحاة من جوز دخول التاء على « رب » مضافا للكعبة أو إلى ياء المتكلم فيقال « ترب الكعبة » ويقال « تربى لأفعلن » ومنهم من حكى دخولها على «الرحمن» فيقال « تالرحمن » ومنهم من حكى دخولها على « حياتك » فيقال « تحياتك » وكل ذلك قليل أو نادر .

(٢) المراد أنهم أنثوا الفعل المسند إلى ضمير عائد إلى ما ، مراعاة لمعنى ما ، وذلك أنهم قالوا « جاءت » بتاء التأنيث ؛ لأن فى جاء ضميرا مستترا يعود إلى « ما » وما هى الحاجة ؛ لأن المبتدأ والخبر شىء واحد

ومَدْيَنٌ » فصححوا وإن كان القياس أن يُعلوّا ؛ لأن ما كان من الأسماء على مَفْعَلٍ أومَفْعِلٍ ؛ فإنه يعتل لمجيئه على وزن الفعل وفَصْلِ الميم له من أمثلته ، وكذلك [١٧٤] قالوا « مَحْبَبٌ » بغير إدغام وإن كان القياس الإدغام ، وكذلك قالوا « العَجَّاج ، والْحَجَّاج » بإمالة الألف وإن كان قياسها أن لا تمال ؛ لعدم شرط الإمالة من الياء والكسرة ، وهذا لأن من كلامهم أن يجعلوا الشيء فى موضع على غير حاله فى سائر الكلام : إما لكثرة الاستعمال ، أو تنبيه على أصل ، أو غير ذلك .

وأما احتجاجهم بما حكى يونس أن من العرب من يقول «مررت برجل صالح إلا صالح فطالح » أى « إلا أكن مررت برجل صالح فقد مررت بطالح » قلنا : هذا لغة قليلة الاستعمال بعيدة عن القياس ؛ فلا يجوز أن يقاس عليها : أما قلتها فى الاستعمال فظاهرٌ ؛ لأن أكثر العرب لاتتكلم بها ، وإنما جاءت قليلة فى لغة لبعض العرب ؛ وأما بُعْدُها عن القياس فإنك تفتقر إلى إضمار أشياء ، وحكم الإضمار أن يكون شيئاً واحداً ، ألا ترى أنك إذا قلت « مررت برجل صالح إلا صالح فطالح » تقديره : إلا أكن مررت بصالح [فقد مررتُ بطالح] فتفتقر إلى أشياء ، وذلك بعيد عن القياس ، وهذا شبيه بقول النحويين « مامررت بزيدٍ فكيف أخيه » ويقول الرجل : جئتكَ بِدِرْهمٍ ، فيقول المجيب « فهلا دينارٍ » وهذا كله ردىء لاتتكلم به العرب .

وأما ماروى عن رؤبة من قوله « خَيْرٍ عافاك الله ، أى : بخير » فهو من الشاذ الذى لايعتد به لقلته وشذوذه ، وكذلك جميع ما استشهدوا به من الأبيات وقد أجبنا عنها فى مواضعها بما يغنى عن الإعادة .

وأما إضمارُ رُبَّ بعد الواو والفاء وبل — وهى حروف جر — فإنما جاز ذلك لأن هذه الأحرف صارت عوضاً عنها دالة عليها ، فجاز حذفها ، وما حذف وفى اللفظ على حذفه دلالة أو حُذِفَ إلى عوض وبدل ؛ فهو فى حكم الثابت ،

وقد بينا ذلك مستقصى في موضعه ، بخلاف ها هنا ، فإنكم جوزتم حذف حرف القسم ولا دلالة في اللفظ على حذفه ولا إلى عوض و بدل ، فبان الفرق بينهما ، والله أعلم .

٥٨ — مسألة

[اللام الداخلة على المبتدأ ، لام الابتداء أو لام جواب القسم ؟]

ذهب الكوفيون إلى أن اللام في قولهم « لَزَيْدٌ أفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو » جواب [١٧٥] قَسَمٍ مُقَدَّر ، والتقدير : والله لَزَيْدٌ أفْضَلُ من عَمْرٍو ، فأضْمَرَ اليمينَ اكتفاء باللام منها ، وذهب البصريون إلى أن اللامَ لامُ الابتداء .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن هذه اللام جواب القسم وليست لام الابتداء أن هذه اللام يجوز أن يليها المفعول الذى يجب له النصب . وذلك نحو قولهم « لَطَعَامَكَ زَيْدٌ آكِلٌ » فلو كانت هذه اللامُ لاَمَ الابتداء لكان يجب أن يكون مابعدها مرفوعاً، ولمّا كان يجوز أن يليها المفعولُ الذى يجب أن يكون منصوبا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها لامُ الابتداء أنها إذا دَخَلَتْ على المنصوب بظننت أوْجَبَتْ له الرفعَ وأزالت عنه عمل ظننت ، تقول: ظننت زيداً قائماً ، فإذا أدخلت على زيد اللام قلت : ظننت لَزَيْدٌ قائم ، فأوجبت له الرفع بالابتداء بعد أن كان منصوبا ؛ فدل على أنها لام الابتداء .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن الظن محمول على القسم ؛ فاللام جواب القسم ، كقولهم : والله لزيد قائم ، لا لاَمَ الابتداء ، فإذا كانت جواب القسم فحكمها أن تُبْطِل عمل ظننت ؛ فلهذا وجب أن يرفع زيد بما بعده ، لا بالابتداء ، وهذا لأن حكم لام القسم في كل موضع أن لا يعمل ماقبلها فيما بعدها ، ولا مابعدها فيما قبلها ؛ لأين

مابعدها من الـكلام محلوف عليه ؛ فلو جعل شيء منه قبلها لزا
عليه » لأنا نقول : لايجوز أن يكون الظن قسما ؛ لأنه إنما نُقْ
إذا كان عظيما عند الحالف ، كقوله « واللهِ ، والقرآنِ ، والنبي
ذلك مما يحلف به أهل الجاهلية والإسلام ، ومعنى الظن خارج ع

فأما قولهم « جَيْرِ لأذهبَنَّ ، وعَوْضُ لأقومن ، وكلاًّ لأنطلن
لأنهم أجروها مجرى حق ، والحق مُعَظَّم فى النفوس ، بخلاف ا
الشك ، وجير بمعنى نَعَمْ ، قال الشاعر :

٢٥٧ — إنَّ الَّذِى أَغْنَاكَ يُغْنِينِي جَـــيْرْ
وَأَللهُ نَفَّاحُ الْيَدَيْنِ بِالْخَ

---

٢٥٧ — هذا بيتان من مشطور الرجز ، والذى يؤخذ من
« جير » تأتى على وجهين : أولهما أن تـكون حرف جواب كأجل
جاء قول الراجز :

قالت : أراك هاربا للجور   من هدة السلطان ، ق

وهى فى هذا الوجه مبنية إما على الـكسر كما هو الأصل فى
السا كنين ، وإما على الفتح للتخفيف مثل أين وكيف ، والوجه
بمعنى اليمين ، يقال : جير لا أفعل كذا ، ولا جير لا أفعل ذلك
« قولهم جير لا آتيك ــ بكسر الراء ــ يمين للعرب ، ومعناها حق
هشام فى المغنى الاستعمال الثانى ، قال (ص ١٢٠) : « جير ــ بال
السا كنين كأمس ، وبالفتح للتخفيف كأين وكيف ــ حرف جواب
بمعنى حقا فتـكون مصدراً ، ولا بمعنى أبدا فتـكون ظرفا ، وإلا
أل » اهـ . وفى كلام ابن هشام هذا مناقشة ؛ فإنه قطع بأنها
جواب بمعنى نعم ، ونفى أن تـكون اسما بمعنى حقا يستعمل فى الـ
كانت اسما بمعنى حقا لوجب إعرابها وجاز دخول أل عليها ، وكـ
أولا : لأن أثبات العلماء قدنقلوا أن العرب تستعملها بمعنى اليمين ، و

وعَوْضُ بمعنى الدهر ، قال الشاعر :

٢٥٨ — رَضِيعَىْ لِبَانٍ ثَدْيَ أمٍّ تحالَفَا
بِأسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لاَ نَتَفرَّقُ

= أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ،وثانيا: أنه لا يلزم من كونها تأتى اسما بمعنى حقا أن تعرب ، لأن لبنائها مع ذلك سببا معترفا به ، وبهذا السبب نفسه بنيت بعض الأسماء ، وهذا السبب هو شبهها الحرف شبها لفظيا ، فإن « جيز » التى هى اسم بمعنى حقاأشبهت «جير» التىهى حرف جواب ، كما أن «حاشا» التنزيهية بنيت لشبهها حاشا الحرفية شبها لفظيا ، ولم يلزم من كونها بمعنى تنزيها أن تعرب ولا أن تدخلها أل ، وأيضا « ما » التى هى نكرة بمعنى شىء لم يلزم من أن تكون بمعنى اسم تدخل عليه أل أن تكون هى بحيث تدخل عليها أل ، وقول الراجز المستشهد بكلامه «والله نفاح اليدين بالخير» مأخوذ من قولهم « نفحه بشىء » أى أعطاه ، و « نفحه بالمال نفحا » أعطاه ، وفى الحديث «المكثرون هم المقلون إلا من نفح فيه يمينه وشماله » أى ضرب يديه فيه بالعطاء . وقال الشاعر ، وهو ابن ميادة الرماح بن أبرد يمدح الوليد بن يزيد :

لما أتيتك أرجو فضل نائلكم نفحتنى نفحة طابت لهاالعرب

٢٥٨ — هذا البيت من قصيدة الأعشى ميمون بن قيس التى مدح بها المحلق فرفع من شأنه ، ومطلعها :

أرقت ، وما هذا السهاد المؤرق ؟ وما بى من سقم ، وما بى معشق

والبيت المستشهد به من شواهد رضى الدين فى باب الظروف من شرح الكافية ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٢٠٩) وشواهد الزمخشرى فى المفصل وابن يعيش فى شرحه (س ٥٥٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٢٤٦) وابن جنى فى الخصائص (١/٢٦٥ الدار) وأنشده ابن منظور (ع و ض — س ح م) وانظر القصيدة فى ديوان الأعشى (ص ١٤٥ فينا) .

واللبان ـ بكسر اللام بزنة الكتاب ـ هو اللبن ، فإن لم تنونه فهو مضاف إلى ثدى أم ، وإن نونته جررت ثدى أم على البدل أو نصبته على البدل أيضاً باعتبار موضع اللبان لأنه فى المعنى مفعول به لرضيعى ، أو نصبته بتقدير أعنى أو نحوه ، وقوله « تحالفا » يروى فى مكانه « تقاسما » أى حلف كل منهما وأقسم ، أو عقدا محالفة بينهما ، والأسحم الذى تحالفا عليه : يقال هو الدم، وكان من عادتهم أن يغمسوا أيديهم فى الدم=

[١٧٦] وفى عَوْضُ ثلاثُ لغاتٍ : عَوْضُ بالضم ، وعَوْضَ بالفتح ، وعَوْضِ بالكسر ، وكلاَّ بمعنى حَقًّا، قال الشاعر :

٢٥٩ — أَلَيْسَ قِليـلاَ نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُهَا
إلَيْـكِ ؟ وَكَلاَّ لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ .

= عندما يتحالفون ، ويقال : هو الرحم ، ويقال : هو حلمة الثدى، ويقال: هو الليل ، و « عوض » يأتى ظرفا لما يستقبل من الزمان مبنيا على الضم فى محل نصب ، تقول : لا أكلمك عوض يا فتى ، تريد لا أكلمك أبداً ، ويأتى بمعنى القسم ، تقول : لا أفعل هذا عوض ، تحلف بالدهر والزمان ، وهذا المعنى هو الذى أراده المؤلف هنا . قال ابن يعيش « وأما عوض فهو اسم من أسماء الدهر، وهو للمستقبل من الزمان ، كما أن قط للماضى، وأكثر استعماله فى القسم ، تقول : عوض لا أفارقك ، أى لا أفارقك أبداً ، كما تقول: قط ما فارقتك ، وعوض مبنية لقطعها عن الإضافة ، وفيها لغتان : الفتح ، والضم ، فمن فتح فطلبا للخفة ، ومن ضم فتشبيها بقبل وبعد . . . فإن أضفته أعربته ، تقول : لا أفعله عوض العائضين ، أى دهر الداهرين ، فيكون معربا ، وانتصابه على الظرف لا على حده فى :

* بأسحم داج عوض لا نتفرق *

وعوض من لفظ العوض ومعناه ، وذلك أن الدهر لا يمضى منه جزء إلا ويخلفه جزء آخر ، فصار الثانى كالعوض من الأول » اه .

وأغرب ابن الكلبى فزعم أن « عوض » فى بيت الأعشى اسم صنم كان لبكر بن وائل ، قال ابن هشام « واختلف فى قول الأعشى :

* بأسحم داج عوض لا نتفرق *

فقيل : ظرف لنتفرق ، وقال ابن الكلبى : قسم ، وهو اسم صنم كان لبكر بن وائل ، بدليل قوله :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والسعير : اسم لصنم كان لعنزة ، ولو كان كما زعم لم يتجه بناؤه فى البيت » اه .

٢٥٩ — هذا البيت ثالث تسعة أبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (انظر شرح المرزوقى ص ١٣٤٠) ونسبها لابن الطثرية ، واسمه يزيد بن سلمة بن سمرة ، والطثرية =

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن هذه اللام ليست لام الابتداء ؛ لأن الابتداء يوجب الرفع ، وهذه اللام يجوز أن يليها المفعول الذى يجب له النصب ، نحو قولهم « لَطَعَامَكَ زيدٌ آكِلٌ » قلنا : الأصل فى اللام ها هنا أن تدخل على زيد الذى هو المبتدأ ، وإنما دخلت على المفعول الذى هو معمول الخبر لأنه لما قُدِّم فى صدر الكلام وقع موقع المبتدأ ؛ فجاز دخول اللام عليه ؛ لأن الأصل فى هذه اللام أن تدخل على المبتدأ ، فإذا وقع المفعول موقعه جاز أن تدخل هذه اللام عليه كما تدخل على المبتدأ ، وإذا جاز دخول هذه اللام على معمول الخبر إذا وقع موقعه ، كقولك « إنَّ زيداً لَطَعَامَكَ آكِلٌ » وكقول الشاعر :

=أمه ، نسبت إلى طثر ، وهو حى من اليمن . يقول : أليس قليلا نظرة منك إذا حصلت لى ، ثم استدرك على نفسه ناقضا لما اعتقده ، فقال : كلا ، لا قليل منك ، ومثل هذا البيت فى المعنى قول الآخر :

هل إلى نظرة إليك سبيل ؟ فيروى الظما ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن يحب القليل

وموطن الاستشهاد بالبيت قوله « وكلا ليس منك قليل » فإن المؤلف قد ذهب إلى أن « كلا » فى هذه العبارة بمعنى حقا ، وهذا شىء قاله الكسائى ومتابعوه ، فأما سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين فقالوا : إن كلا حرف معناه الردع والزجر ، لا معنى له عندهم إلا ذلك ، وقال الكسائى : قد يخرج « كلا » عن الردع والزجر فيكون بمعنى حقا ، وقال أبو حاتم ومتابعوه : قد يخرج كلا عن معنى الردع والزجر فيكون بمعنى « ألا » الاستفتاحية ، وقال النضر بن شميل والفراء ومن تابعهما: قد يخرج كلا عن معنى الردع والزجر فيكون حرف جواب بمعنى إى ونعم ، وحمل هؤلاء على ذلك قول الله تعالى : (كلا والقمر) فقالوا : المراد — والله أعلم — إى والقمر .

٢٦٠ — إنَّ امْرَأً خَصَّنِي عَمْـداً مَوَدَّتَهُ
عَلَى التَّنَائِي لَعِنْدِي غَـيْرُ مَـكْفُورِ

وإن كان الأصـل فيها أن تدخل ـ بعد نقلها عن الاسم ـ على الخبر لا على معموله ؛ لوقوعه موقعه[١] ، فكذلك يجوز دخول هذه اللام على المفعول إذا وقع موقع المبتدأ ، وإن كان الأصل فيها أن تدخل على المبتدأ ؛ لوقوعه موقعه ، والله أعلم .

٥٩ — مسألة

[القول فى أيمن فى القسم ، مفرد هو أو جمع ؟][٢]

ذهب الكوفيون إلى أن قولهم فى القسم « أيمن الله » جمع يمين . وذهب البصريون إلى أنه ليس جمع يمين ، وأنه اسم مفرد مشتق من الْيُمْن .

أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن « أيمن » جمع يمين أنه

---

٢٦٠ — هذا البيت من كلام أبى زبيد الطائى من كلة يمدح فيها الوليد بن عقبة ، ويصف نعمة أنعمها عليه مع بعده وتنائيه عنه ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢٨١) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٩٢٥) وقوله « خصنى مودته » أراد أن يقول : خصنى بمودته ، فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل إلى المجرور بنفسه فنصبه ، والمكفور : اسم المفعول من قولهم « كفر فلان النعمة » إذا جحدها ولم يقم بحقها من الشكر ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « لعندى غير مكفور » حيث أدخل لام الابتداء على الظرف ولم يدخلها على خبر إن ، وأصلها أن تدخل على خبر إن أو اسمها المتأخر عن خبرها ، فأصل الكلام هنا : لغير مكفور عندى .

(١) قوله « لوقوعه موقعه » تعليل لقوله « جاز دخول هذه اللام على معمول الخبر » ونبهنا على ذلك لتباعد ما بينهما بما وقع اعتراضا

(٢) انظر فى هذه المسألة : التصريح للشيخ خالد (٢/٤٥٦) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٤/٢٣٢) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٢٩٠) ولسان العرب (ى م ن) .

على وزن أفْعُل، وهو وزنٌ يختص به الجمعُ ، ولا يكون فى المفرد ، يدل عليه أن التقدير فى قولهم « أيمن الله » أى : علىَّ أيمُنُ اللهِ ، أى أيْمَانُ اللهِ عَلَىَّ فيما أُقسم به ، وهم يقولون فى جمع يَمِينٍ « أيْمُنٌ » قال زهير :

٢٦١ — فَتُجْمَعُ أيْمُنٌ مِنَّا وَمِنْكُمْ بِمُقْسَمَةٍ تَمُورُ بِهَا الدِّمَاءُ

وقال الأزْرَقُ العنبرى :

٢٦٢ — طِرْنَ انْقِطَاعَةَ أوْتَارٍ مُحَظْرَبَةٍ فِى أقْوُسٍ نَازَعَتْهَا أيْمُنٌ شُمُلاَ

---

٢٦١ — هذا البيت لزهير بن أبى سلمى كما قال المؤلف (الديوان ٧٨ ط الدار) وقد رواه ابن منظور (ق س م — ى م ن) والأيمن : جمع يمين ، وأراد بقوله «فتجمع أيمن منا ومنكم» تحلفون ونحلف ، وقوله « بمقسمة » هو بضم الميم وفتح السين بينهما قاف ساكنة — وهو الموضع يحلف فيه عنـد الأصنام ، ويروى « بمقسمة » بفتح الميم — وأراد بها القسامة ، وأصل القسامة — بزنة السحابة — أن يوجد رجل قتيلا فيجىء أولياؤه فيدعون على رجل أنه قاتله ، ولا تكون لهم بينة كاملة ، أو يوجد القتيل فى محلة قوم ولا بينة على أن قاتله فلان منهم ، فيستحلف أولياء القتيل خمسين يمينا أن فلانا قتله ، أو أن هؤلاء قتلوه، فإن حلفوا استحقوا دية القتيل ، وإن أبوا أن يحلفوا حلف المدعى عليه وبرىء . وعلى هذا يكون المعنى فى بيت زهير : تؤخذ أيمان مثل الأيمان التى تؤخذ فى القسامة ، وتمار بها الدماء : أى تسيل ، والمراد دم البدن التى تنحر .

ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « أيمن » فإنه جمع يمين ، قال سيبويه : « وقالوا : يمين وأيمن ، وقالوا : أيمان فكسروها على أفعال كما كسروها على أفعـل » اهـ . وقد كسروا يمينا على يمن — بضم الياء والميم جميعا — كما كسروا شمالا على شمل ، ومن ذلك قول زهير :

قد نكبت ماء شرج عن شمائلها وجو سلمى على أركانها اليمن

٢٦٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٢/١٩٤) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٦٣٣ و ٦٤٠) ورضى الدين فى شرح الشـافية ، وشرحه البغدادى (ص ١٣٣ بتحقيقنا) وقد أنشده ابن منظور (ش م ل) وكلهم نسبوه إلى الأزرق العنبرى ، =

وقال الآخر :

٢٦٣ — * يَأْتِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلِ *

= وهو يصف فى هذا البيت طيراً ترن، فشبهصوت طيرانها بسرعةبصوت أوتار تقطعت عند الجذب والنزع عن القوس ، فقوله « انقطاعة » مفعول مطلق يراد به التشبيه : أى طرن طيرانا ذا صوت يشبه صوت انقطاع أوتار محظربة ، والمحظربة : المحكمة الفتل ، والأقوس : جمع قوس ، و « نازعتها أيمن شملا » يريد أن الأيمن تجذبها إلى ناحية ، والأشمل تجذبها إلى ناحية أخرى ، فهما يتنازعان فى جذبها ويتغالبان عليه . والاستشهاد به ههنا فى قوله « أيمن » فإنه جمع يمين — وهى اليد — فيدل ذلك على أن همزة « أيمن » همزة قطع فى الأصل ، ولكنها صيرت همزة وصل تخفيفا لكثرة الاستعمال .

٢٦٣ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من كلام أبى النجم الفضل بن قدامة العجلى ، وقد أنشده ابن منظور (ى م ن) وسيبويه (٢/٤٧و١٩٥) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٩١) ويروى :

* يبرى لها من أيمن وأشمل *

وبرى يبرى ـ مثل رمى يرمى ـ أى تعرض ، والأيمن : جمع يمين ، وأراد جهة اليمين ، والأشمل : جمع شمال ، وأراد جهة الشمال

قال ابن منظور فى تفسير بيت الشاهد : « يقول : يعرض لها من ناحية اليمين وناحية الشمال ، وذهب إلى معنى أيمن الإبل وأشملها ، فجمع لذلك » اهـ .

ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « أيمن » فإن أيمنا هنا جمع يمين ، ويريد الكوفيون بالاستشهاد بهذه الأبيات الثلاثة أن المعهود فى لفظ أيمن أن يكون جمع يمين ، سواء أكان بمعنى الحلف والقسم كما فى البيت الأول من هذه الأبيات وهو بيت زهير (رقم ٢٦١) أم كان بمعنى اليد اليمنى كما فى البيتين الثانى والثالث وهما بيت الأزرق وبيت أبى النجم (رقم ٢٦٢ و٢٦٣) ولم يعرف أيمن مفرداً ، بل لم يعرف مفرد آخر على وزن أفعل — بضم العين — وهمزة أفعل الجمع همزة قطع كأكلب وأقوس وأرهط وأفلس وما أشبه ذلك،وإنما صيرت الهمزة فى أيمن المراد به الحلف همزة وصل لكثرة الاستعمال ، ولهذا تجدهامفتوحةعلى ما كانت عليه وهى همزة قطع ،وعلى خلاف المعهودفى همزة الوصل =

والأصل فى همزة أيمن أن تكون همزة قطع ؛ لأنه جمع ، إلا أنها وُصِلَتْ لكثرة الاستعمال ؛ و بقيت فتحتها على ما كانت عليه فى الأصل ، ولو كانت — على ما زعمتم — فى الأصل همزَةَ وصلٍ لكان ينبغى أن تكون مكسورة على حركتها عندكم فى الأصل . والذى يدل على أنها ليست همزة وصل أنها ثبتت فى قولهم « أم الله لأفعلَنَّ » فتدخل الهمزة على الميم وهى متحركة ، ولو كانت همزة وصل لوجب أن تحذف لتحرك ما بعدها .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مفرد وليس بجمع يمين لأنه لو كان جمع يمين لوجب أن تكون همزته همزة قطع ، فلما وجب أن تكون همزته همزة وصل دل على أنه ليس بجمع يمين ، قال الشاعر :

٢٦٤ — وَقَدْ ذَكَرَتْ لِى بِالْكَثِيبِ مُؤَالِفاً
قِلَاصَ سُلَيْمٍ أَوْ قِلَاصَ بَنِى بَكْرِ
فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ لَمَّا نَشَدْتُهُمْ : نَعَمْ ، وَفَرِيقٌ : لَيْمُنُ اللهِ مَا نَدرى

= من أنها مكسورة . قال ابن يعيش : « وذهب الكوفيون إلى أن همزته همزة قطع ، وأنه جمع لا مفرد ، وهو جمع يمين ، كما قال العجلى :

* يبرى لها من أيمن وأشمل *

وسقطت همزته فى الوصل لكثرة الاستعمال » اه ، وسيأتى فى شرح الشاهد الآتى بيان حجة البصريين

٢٦٤ — هذان البيتان من كلام نصيب بن رباح ، وقد أنشد ثانيهما سيبويه (٢/١٤٧) وابن يعيش (ص ١٢٦٠) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ١٤٢) وابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١/٥٨) وفى سر صناعة الإعراب (١/١٢٠) وابن منظور (ى م ن) والخطيب القزوينى فى الإيضاح (رقم ٤٨٠ بتحقيقا) وصف نصيب أنه تعرض لزيارة من يحب ، فتعلل بأنه ينشد إبلا ضلت له مخافة أن ينكر عليه مجيئه وإلمامه بهم ، ومعنى « نشدتهم » سألتهم ، يقال « نشد فلان الضالة » إذا سأل عنها ، ويقال « أنشد فلان الضالة» إذا عرفها . ومحل الاستشهاد قوله «لا يمن الله » حيث =

ويدل عليه أنهم قالوا فى أيمن الله « مُ اللهِ » ولو كان جمعاً لما جاز حذف جميع حروفه إلا حرفاً واحداً ؛ إذ لا نظير له فى كلامهم ، فَدَلَّ على أنه ليس بجمع ، فوجب أن يكون مفرداً .

وأما ما ذكروه من كونها همزة وصل لكثرة الاستعمال فسنبين أنه حجة عليهم فى الجواب عن كلماتهم ، إن شاء الله تعالى .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه جمعُ يمينٍ ، بدليل أنه على وزن أفْعُل ، وأفعل وزنٌ يختص به الجمع ، ولا يكون فى المفرد » قلنا : لا نسلم ؛ بل قد جاء ذلك فى المفرد ؛ فإنهم قالوا : رَصاصٌ آنُكٌ ، وهو الخالص ، وقالوا « أسْنُمَة » اسم موضع وأكمة ، و « أشُدٌّ » على الصحيح ، وهو منتهى [١٧٨]

= ورد بهمزة وصل؛ فدل ذلك على أن « ايمن » مفرد وليس بجمع ؛ إذ لو كان جمعا لكانت همزته همزة قطع كالهمزة فى أرهط وأكلب وأرؤس وأفؤس ونحو ذلك ، قال سيبويه : « وزعم يونس أن همزة ايم موصولة ، وكذلك تفعل بها العرب ، وفتحوا الألف كما فتحوا الألف التى فى الرجل ، وكذلك ايمن ، قال الشاعر :

* فقال فريق القوم لما نشدتهم — البيت * » اهـ كلامه ،

قال الأعلم : « الشاهد فى حذف ألف ايمن ؛ لأنها ألف وصل عنده ، فتحت لدخولها على اسم لا يتمكن فى الكلام ، إنما هو مخصوص بالقسم مضمن معناه » اهـ .

وقال ابن هشام : « ايمن المختص بالقسم : اسم ، لا حرف ، خلافا للزجاج والرمانى ، مفرد مشتق من اليمن وهو البركة ، وهمزته وصل ، لا جمع يمين وهمزته قطع ، خلافا للكوفيين ويرد مذهب الكوفيين جواز كسر همزته وفتح ميمه ، ولا يجوز مثل ذلك فى الجمع من نحو أفلس وأكلب ، وقول نصيب :

* فقال فريق القوم لما نشدتهم ء البيت *

فحذف ألفها فى الدرج ، ويلزمه الرفع بالابتداء ، وحذف الخبر ، وإضافته إلى اسم الله سبحانه وتعالى ، خلافا لابن درستويه فى إجازة جره بحرف القسم ، ولابن مالك فى جواز إضافته إلى الكعبة ولكاف الضمير ، وجوز ابن عصفور كونه خبرا والمحذوف مبتدأ ، أى قسمى ايمن الله » اهـ ، والله — سبحانه وتعالى — أعلى وأعلم وأعز وأكرم

الشباب والقوة ، وقيل : هو الحلم ، وقيل : عشرون سنة ، وقيل : ثلاث وثلاثون سنة ، وقيل : أربعون سنة .

وقولهم « الأصل فى الهمزة أن تكون همزة قطع لأنه جمع يمين » قلنا : لو كانت الهمزة فيه همزةَ قطع لما جاز فيه كسر الهمزة فقيل «إِيمُنُ الله» لأن ما جاء من الجمع على وزن أَفْعُل لا يجوز فيه كسر الهمزة ، فلما جاز ها هنا بالإجماع كسر الهمزة دل على أنها ليست همزة قطع .

وأما قولهم « إنها لو كانت همزة وصل لكان ينبغى أن تكون مكسورة » قلنا : إنما جاءت مفتوحة — وإن كان القياس يقتضى أن تكون مكسورة — لأنهم لما كثر استعماله فى كلامهم فتحوا فيه الهمزة لأنها أخف من الكسرة كما فتحوا الهمزة التى تدخل على لام التعريف — وإن كان الأصل فيها الكسر — لكثرة الاستعمال ، فكذلك ها هنا .

وأما قولهم « إن الهمزة ثبتت فى قولهم أَمُ الله لأفعلنّ مع تحرك ما بعدها » قلنا : إنما ثبتت الهمزة فيه من وجهين ؛ أحدهما : أن الأصل فى الكلمة « أيمن » فالهمزة داخلة على الياء وهى ساكنة ، فلما حذفت — وحذفها غير لازم — بقى حكمها. والثانى : أن حركة الميمِ حركةُ إعراب ، وليست لازمة وتسقط فى الوقف ؛ فلذلك ثبتت همزة الوصل .

والدليل على ذلك أن العرب تقول فى الأحمر : « أَلَحْمَر » فلا يحذفون همزة الوصل ؛ لأن حركة اللام ليست بلازمة ، وبعض العرب يحذفون الهمزة لتحرك ما بعدها ، على أن من العرب من يقول « مُ اللهِ » فيحذف الهمزة ، وفيها لغات كثيرة تنيف على عشر لغات : أَيْمُنُ الله ، وإِيْمُنُ الله ، وأَيْمُ الله ، وإِيمُ الله ، وأَمُ الله ، ومُ الله ، ومَ الله ، ومِ الله ، ولَيْمُنُ الله ، ومُنُ الله ، ومُنْ رَبِّى ، ومِنْ رَبِّى . و « مُنْ » لا تدخل إلا على « رَبٍّ » وحده ، ولا تدخل على غيره ، كما لا تدخل التاء إلا على الله فى « تاللهِ ». والله أعلم .

* * *

تم الجزء الأول من كتاب « الإنصاف ، فى مسائل الخلاف » لأبى البركات الأنبارى ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى منه مفتتحا بالمسألة (٦٠ — القول فى الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور ، نسأل الله تعالى أن يعين على إكماله بمنه وكرمه وفضله ؟

فهرس تفصيلى للموضوعات

الواردة فى كتاب « الإنصاف ، فى أسباب الخلاف » للأنبارى

وفى كتاب « الانتصاف ، من الإنصاف »

وكل موضع وضعت بعده نجمة فهو مكرر فى عدة مواضع من الكتاب

* * *

تمت الفهرس ، ولله الحمد أولا وآخرا

الإنصاف

في مسائل الخلاف

بين النحويين: البصريين، والكوفيين

تأليف

الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات

عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الأنباري، النحوي

المولود في سنة ٥١٣ — والمتوفى في سنة ٥٧٧ من الهجرة

الجزء الثاني

ومعه كتاب

الانتصاف، من الإنصاف

تأليف

محمد محيي الدين عبد الحميد

دار الفكر

تمتاز بدقة الضبط ، والزيادة فى الشرح والتفصيل

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٠ — مسألة

[القول فى الفصل بين المضاف والمضاف إليه][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز [١٧٩] ذلك بغير الظرف وحرف الجر .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن العرب قد استعملته كثيراً فى أشعارها ، قال الشاعر :

٢٦٥ — فَزَجَجْتُهَا بِمِزَجَّةٍ زَجَّ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢/٢٣٧ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٧١ بولاق) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٣٣٩) وشرح الرضى على الكافية (١/٢٧٠)

٢٦٥ — هذا البيت من الشواهد التى لا يعرف قائلها ، ولا يعرف له سوابق أو لواحق ، حتى قال جار الله فى المفصل (١/٢٩١ بتحقيقنا) : « وما يقع فى بعض نسخ الكتاب من قوله :

* فزججتها بمزجة . . . البيت *

فسيبويه برىء من عهدته » اهـ ، وقد استشهد بهذا البيت رضى الدين فى شرح الكافية فى باب الإضافة ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٢٥١) والزمخشرى فى المفصل ، وابن يعيش فى شرحه (ص ٣٤١) وابن جنى فى الخصائص(٢/٤٠٦)والأشمونى (رقم ٦٥٦ بتحقيقنا) وزججتها : طعنتها بالزج ، والزج ـ بضم الزاى وتشديد الجيم ـ الحديدة التى تركب فى أسفل الرمح ، فأما الحديدة التى تركب فى أعلى الرمح فهى السنان بزنة الكتاب ـ ويروى « فزخختها » بخاءين مكان الجيمين ، ماض من الزخ وهو =

والتقدير : زَجَّ أَبِي مَزَادَةَ الْقَلُوصَ ، ففَصَلَ بين المضاف والمضاف إليه بالقَلوص ، وهو مفعول ، وليس بظرف ولا حرف خفض ، وقال الآخر :

٢٦٦— تَمُرُّ عَلَى مَاتَسْتَمِرُّ ، وَقَدْ شَفَتْ غَلَائِلَ عَبْدُ الْقَيْسِ مِنْهَا صُدُورِهَا

= الدفع مطلقا ، أو الدفع فى وهدة ، والمزجة ــ بكسر الميم وفتح الزاى وتشديد الجيم ــ الرمح القصير كالمزراق ، والمزخة فى الرواية الأخرى : اسم الآلة من الزخ ، والقلوص ــ بفتح القاف ــ الناقة الشابة ، وأبو مزادة : كنية رجل ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « زج القلوص أبى مزادة » فيمن رواه بفتح القلوص وجر أبى مزادة بالياء نيابة عن الكسرة ، حيث فصل بين المضاف الذى هو قوله زج والمضاف إليه الذى هو قوله أبى مزادة بمفعول المضاف الذى هو قوله القلوص ، وبيان ذلك أن زج مصدر فعل يتعدى إلى المفعول به ، فهو يعمل عمل الفعل المتعدى : يرفع فاعلا ، وينصب مفعولا ، وتجوز إضافته إلى أيهما شاء المتكلم ثم يأتى بعد ذلك بالآخر ، وقد أراد المتكلم ههنا أن يضيف هذا المصدر إلى فاعله وهو أبو مزادة ، ففعل ذلك ، ولكنه جاء بالمفعول بين المضاف والمضاف إليه ، ولو أنه اتبع المهيع لقال : زج أبى مزادة القلوص ، أو لقال : زج القلوص أبو مزادة ، فأضاف المصدر إلى فاعله ثم أتى بمفعوله أو أضاف المصدر إلى مفعوله ثم أتى بفاعله ، فلما لم يفعل أحد الوجهين مع تمكنه منه بغاية اليسر علمنا أنه لا يرى بهذا الفصل بأسا ، وأنه يعتقد جوازه من غير ضرورة ولا شذوذ ، قال ابن جنى : « وفى هذا البيت عندى دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم ، وأنه فى نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول ، ألا تراه ارتكب ههنا الضرورة ــ مع تمكنه من ترك ارتكابها ــ لا لشىء غير الرغبة فى إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول » اهـ .

٢٦٦ ــ هذا البيت من الشواهد التى لا يعرف قائلها ، بل ذكر المؤلف أنه مصنوع ، وقد استشهد به رضى الدين فى باب الإضافة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٢٥٠) وذكر أن ابن السيد أنشده فى أبيات المعانى عن الأخفش ، وتمر : من المرور ، وتستمر : من الاستمرار ، والغلائل : جمع غليل وهو الضغن ، وشفى : أصله أن يقال « شفى الله المريض يشفيه » أى أذهب عنه العلة ، وشفاء الضغن : يراد به ذهابه واقتلاعه من الصدور ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « شفت غلائل عبد القيس منها صدورها » فقد زعم الكوفيون أن الشاعر قد فصل بين المضاف الذى هو قوله غلائل والمضاف إليه الذى هو قوله صدورها بأجنبى وهو فاعل شفت الذى =

والتقدير : شَفَتْ غَلَائِلَ صُدُورِهَا عَبْدُ الْقَيْسِ منها ، ففصلَ بين المضاف والمضاف إليه ، وقال الآخر :

٢٦٧ — يُطِفْنَ بِحُوزِىِّ الْمَرَاتِعِ لَمْ تُرَعْ
بِوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ الْقِسِىِّ الْكَنَائِنِ

=هو قوله عبدالقيس والجار والمجرور الذى هو قوله منها ، وأصل الكلام على هذا التخريج : وقد شفت عبد القيس منها غلائل صدورها ، وفى البيت تخريج آخر يخرجه عن الاستشهاد لهذه المسألة ، وذلك أن تجعل غلائل مقطوعا عن الإضافة وإنما ترك تنوينه لكونه على صيغة منتهى الجموع فهو ممنوع من الصرف ، وتجعل قوله «صدورها» بالجر مضافا إلى محذوف مماثل للمذكور ، وأصل الكلام على هذا : وقد شفت غلائل عبد القيس منها غلائل صدورها، وكل مافى البيت على هذا التخريج أن الشاعر قدم المفعول على الفاعل وحذف المضاف لدلالة ما تقدم عليه ، فأما تقديم المفعول فلا ينازع أحد فى جوازه ، وأما حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على جره فله نظائر منها قراءة من قرأ (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) بجر (الآخرة) على تقدير : والله يريد ثواب الآخرة ، ومنها قول ابن قيس الرقيات ، وهو الشاهد رقم ١٩ السابق :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

فإن هذا البيت يخرج على تقدير : رحم الله أعظما دفنوها بسجستان أعظم طلحة الطلحات .

٢٦٧ — هذا البيت من كلام الطرماح بن حكيم (انظر الديوان ١٦٩) وقد أنشده ابن منظور (ح و ز) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤٠٦ ط الدار) وابن الناظم فى شرح ألفية والده ابن مالك ، وشرحه العينى (٣/٤٦٢ بهامش الخزانة) والبيت فى وصف بقر الوحش ، وتطفن : أى تدرن حوله ، تقول : طاف الرجل بالقوم ، وطاف عليهم ، وأطاف أيضاً : أى استدار ، وأطاف فلان بالأمر ؛ إذا أحاط به ، وأنشد أبو الجراح :

أطفت بها نهارا غير ليل وألهى ربها طلب الرجال

وقال أبو خراش :

تطيف عليه الطير وهو ملحب خلاف البيوت عند محتمل الصرم =

. . . .

= وأصل الحوزى : المتوحد المنفرد ، وأراد به فى بيت الشاهد فحل البقر الوحشى الذى يصفه ، والمراتع : جمع مرتع وهو مكان الرتع ، يريد أنه منفرد بهذه الأماكن يرتع فيها ما شاء ، ولم يرع ــ بالبناء للمجهول ــ أى لم يخف ، والقرع : الضرب، والقسى جمع قوس ، والكنائن : جمع كنانة ، وهى جراب توضع فيه السهام .ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « قرع القسى الكنائن » فإن الرواية فيه بنصب «القسى»وجر «الكنائن» فيكون تخريجه على أن قوله «قرع» مصدر مضاف إلى قوله «الكنائن» الذى هو فاعل المصدر ، وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله « القسى » الذى هو مفعول المصدر ونظير ذلك قراءة ابن عامر فى الآية ١٣٧ من سورة الأنعام التى تلاها المؤلف (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) بنصب (أولادهم) وجر(شركائهم) على أن (قتل) مصدر مضاف إلى فاعله وهو قوله (شركائهم) وقد فصل بينهما بمفعول المصدر وهو قوله (أولادهم) ومثل ذلك أيضا قول الشاعر :

عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة فسقناهم سوق البغاث الأجادل

الرواية فيه بنصب « البغاث » وجر « الأجادل » ومجازها أن قوله «سوق» مصدر مضاف إلى فاعله وهو قوله « الأجادل » وقد فصل بينهما بمفعول المصدر وهو قوله «البغاث» وأصل الكلام : فقسناهم سوق الأجادل البغاث ، ومثله قول عمرو بن كلثوم:

وحلق الماذى والقوانس فداسهم دوس الحصاد الدائس

الرواية بنصب « الحصاد » وجر « الدائس » وتخريجها أن «دوس» مصدر مؤكد لعامله وهو مضاف إلى فاعله الذى هو قوله « الدائس » وقد فصل بينهما بمفعول المصدر الذى هو قوله « الحصاد » وأصل الكلام : فداسهم دوس الدائس الحصاد . ونظيره قول أبى جندل الطهوى :

يفركن حب السنبل الكنافج بالقاع فرك القطن المحالج

الرواية فيه بنصب « القطن » وجر « المحالج » وتخريجها أن قوله « فرك » مصدر مؤكد لعامله الذى هو قوله « يفركن » وقد أضاف هذا المصدر إلى فاعله الذى هو قوله « المحالج » وفصل بينهما بمفعول المصدر وهو قوله « القطن » وأصل الكلام : فرك المحالج القطن .

والتقدير: مِنْ قَرْعِ الكَنَائِنِ القِسِيِّ، وقال الآخر:

٢٦٨ — فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطَّ بَهْجَتِهَا   كَأَنَّ قَفْراً رُسُومَهَا قَلَمَا

والتقدير: بعد بهجتها، ففصَلَ بين المضاف الذي هو «بَعْدَ» والمضاف إليه الذي هو «بهجتها» بالفعل الذي هو «خَطَّ» وتقدير البيت: فأصبحت قفراً بعد بهجتها كأن قلما خط رسومها. وقد حكى الكسائي عن العرب: هذا غُلَامُ واللهِ زَيْدٍ، وحكى أبو عبيدة قال: سمعت بعض العرب يقول: إن الشاة لَتَجْتَرُّ فتسمع صوتَ وَاللهِ رَبِّهَا، ففصَلَ بين المضاف والمضاف إليه بقوله «والله»، وإذا جاء هذا في الكلام ففي الشعر أَوْلَى، وقد قرأ ابنُ عامرٍ أحَدُ القراء السبعة (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) بنصب (أَوْلَادَهُمْ) وجر (شُرَكَائِهِمْ) ففصَل بين المضاف والمضاف إليه بقوله (أولادهم) والتقدير فيه: قَتْلُ شُرَكَائِهِمْ أَوْلَادَهُمْ، ولهذا كان منصوباً في هذه القراءة، وإذا جاء هذا في القرآن ففي الشعر أَوْلَى.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء وَاحِدٍ؛ فلا يجوز أن يفصل بينهما، وإنما جاز الفصل بينهما بالظرف وحرف الجر، كما قال عمرو بن قَمِيئَةَ:

---

٢٦٨ — أنشد ابن منظور هذا البيت (خ ط ط) ولم يعزه، وهذا البيت مهلهل النسج مضطرب التركيب، يصف الشاعر فيه الديار بالخلاء وارتحال الأنيس وذهاب المعالم، وأصل نظام البيت هكذا: فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها؛ ففصل بين أصبح وخبرها، وبين المضاف والمضاف إليه، وبين الفعل ومفعوله، وبين كأن واسمها، وقدم خبر كأن عليها وعلى اسمها، فصار أحجية من الأحاجي، واستشهاد المؤلف به في قوله «بعد خط بهجتها» حيث فصل بين المضاف الذي هو قوله «بعد» والمضاف إليه وهو قوله «بهجتها» بأجنبي وهو قوله «خط» وهو فعل ماض فاعله مستتر فيه يعود إلى القلم الذي في آخر البيت، ومفعول خط هو قوله «رسومها» وأصل هذه العبارة: كأن قلما خط (هو) رسومها.

٢٦٩ — لَمَّا رَأَتْ سَاتِيدَمَا اسْتَعْبَرَتْ ... لِلّٰهِ دَرُّ الْيَوْمَ مَنْ لَامَهَا

[١٨٠] ففصَلَ بين المضاف والمضاف إليه بالظَّرْفِ ؛ لأن التقدير لِلّٰهِ دَرُّ مَنْ لَامَهَا الْيَوْمَ ، وقال أبو حية النميري :

٢٧٠ — كَمَا خُطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا ... يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ

---

٢٦٩ — هذا البيت من كلام عمرو بن قميئة صاحب امرىء القيس في رحلته إلى بلاد الروم ، وهو الذي يقول فيه :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

والبيت من شواهد سيبويه (١/٩١) والزمخشري في المفصل (رقم ٩٩) وابن يعيش في شرح المفصل (ص ٣٣٩) ورضى الدين في باب الإضافة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادي في الخزانة (٢/٢٤٧) وساتيدما : جبل عند ميافارقين ، واستعبرت : بكت من وحشة الغربة ولبعدها عن أهلها ، والعرب تقول « لله در فلان » إذا دعوا له أو تعجبوا من بلوغه الغاية في شيء ما ، وصف الشاعر امرأة نظرت إلى ساتيدما فذكرت به بلادها فاستعبرت شوقا إليها ، ثم قال : لله در من لامها اليوم على بكائها ، يتعجب من شأن لائمها وينكر عليه فعله ؛ لأنها عنده قد بكت بحق فلا محل للومها . ومحل الاستشهاد هنا بهذا البيت قوله « در اليوم من لامها » فإن قوله « در » مضاف وقوله « من لامها » اسم موصول مضاف إليه ، وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وهو قوله « اليوم »

٢٧٠ — هذا البيت من كلام أبي حية النميري ، واسمه الهيثم بن الربيع ، وهو من شواهد سيبويه (١/٩١) وابن جني في الخصائص (٢/٤٠٥) والأشموني (رقم ٦٦٢) وابن هشام في أوضح المسالك (رقم ٣٥٨) وابن عقيل (رقم ٢٤٠) وشرحه العيني (٣/٤٧٠ بهامش الخزانة) ورواه ابن منظور (ع ج م) غير أنه روى صدره :

* كتحبير الكتاب بكف يوما *

وصف أبو حية رسوم الدار فشبهها بالكتاب في دقتها والاستدلال بها ، وخص اليهودي لأن اليهود هم أهل الكتابة ، وجعل كتابته بعضها متقاربا وبعضها مفترقا متباينا لاقتضاء آثار الديار تلك الصفة والحال ، ومعنى قوله « يزيل » يفرق ما بينها ويباعد . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « بكف يوما يهودي » فإن قوله « كف » مضاف إلى قوله « يهودي » وقد فصل بينهما بالظرف وهو قوله « يوما » وهذا الظرف أجنبي من المضاف =

، ففَصَلَ بين المضاف والمضاف إليـه ؛ لأن تقديره : بِكَفِّ يَهُودِيٍّ يَوْماً ،
وقال ذو الرمة :

٢٧١ — كَأَنَّ أَصْـــوَاتَ مِنْ إيغَالِهِنَّ بِنَا
أَوَاخِرِ الْمَيْسِ أَصْـــوَاتُ الْفَرَارِيجِ

= إذ لاعمل له فيه ، وهو نظير بيت عمرو بن قميئة (رقم ٢٦٩) ونظيرهما قول الآخر وهو من شواهد الأشمـونى (رقم ٦٥٨) :

فرشنى بخير لا أكونن ومدحتى   كناحت يوما صخرة بعسيل

ومحل الاستشهاد به فى قوله « كناحت يوما صخرة » فإن قوله « ناحت » مضاف إلى قوله « صخرة » وقد فصل بينهما بالظرف وهو قوله « يوما » غير أن هذا الظرف متعلق بالمضاف الذى هو قوله ناحت ، لأن هذا المضاف اسم فاعل يعمل عمل الفعل فيجوز أن يتعلق به الظرف ، ونظيره قول الآخر وهو من شواهد سيبويه (١/٩٠) وابن يعيش (ص ٣٣٩) :

رب ابن عم لسليمى مشمعل   طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

عند من رواه بجر « زاد الكسل » فإن هذه الرواية تخرج على أن قوله « طباخ » مضاف إلى قوله « زاد الكسل » وقد فصل بينهما بالظرف وهو قوله « ساعات الكرى » وهذا الظرف منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ، ويروى بنصب « زاد الكسل » وتخرج على أنه أضاف قوله « طباخ » إلى « ساعات الكرى » ويكون قوله « زاد الكسل » مفعولا به لقول طباخ ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، ونظيره تماما ما أنشده سيبويه :

* يا سارق الليلة أهل الدار *

يروى بنصب « أهل الدار » على أنه أضاف قوله « سارق » إلى الظرف ، ويروى بجر « أهل الدار » على أنه أضاف قوله « سارق » إلى قوله « أهل الدار » وفصل بينهما بالظرف الذى هو قوله « الليلة » .

٢٧١ — هذا البيت من كلام ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وهو من شواهد سيبويه (١/٩٢) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤٠٤) ورضى الدين فى باب الإضافة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/١١٩ و ٢٥٠) و« من » للتعليل ، والإيغال: الإبعاد ، تقول « أوغل فى الأرض » إذا أبعدفيها ، والضمير يعود إلى الإبل ، والأواخر =

وقالت امرأةٌ من العرب دُرْنَا بنتُ عَبْعَبَةَ الْجَحْدَرِيَّة ، وقيل : عَمْرَةُ الْخُشَمِيَّة :

٢٧٢ — هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ
إِذَا خَافَ يَوْماً نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا

= جمع آخرة الرحل ، وهى العود الذى يستند إليه الراكب ، والميس — بفتح الميم وسكون الياء — شجر تتخذ منه الرحال والأقتاب ، وإضافة الأواخر إليه على معنى من، مثل الإضافة فى قولهم : باب ساج ، وخاتم فضة ، والفراريج : جمع فروج ، وهو الصغير من الدجاج ، ويروى « إنقاض الفراريج » بكسر الهمزة ، والإنقاض : مصدر « أنقضت الدجاجة » أى صوتت ، ومحل الاستشهاد بالبيت هنا قوله « أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس » فإن قوله « أصوات » مضاف إلى قوله « أواخر الميس » وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بالجارين والمجرورين اللذين هما قوله « من إيغالهن بنا » وأصل الكلام : كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا ، وسنذكر لك نظائر هذا مع شرح الشاهد الآتى .

٢٧٢ — هذا البيت لشاعرة من شواعر العرب من كلمة ترثى فيها أخوين لها ، وقد اختلف الرواة فى تسميتها ، فسماها سيبويه والزمخشرى وابن يعيش « درنا بنت عبعبة ، من قيس بن ثعلبة » وسماها أبو تمام فى ديوان الحماسة عمرة الخثعمية ، وروى الخطيب التبريزى عن أبى رياش أن الصواب أن قائل الأبيات « درماء بنت سيار بن عبعبة الجحدرية » والبيت من شواهد سيبويه (١/٩٢) والزمخشرى فى المفصل (رقم ١٠٠ بتحقيقنا) وابن يعيش فى شرحه (ص ٣٤٠) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤٠٥) وابن الناظم ، وشرحه العينى (٣/٤٧٢ بهامش الخزانة) وأصل النبوة — بفتح النون وسكون الباء الموحدة — أن يضرب بالسيف فلا يمضى فى الضريبة ، رثت أخويها فهى تقول : لقد كانا لمن ليس له أخ فى الحرب ولا ناصر يأخذ بيده أخوين: ينصرانه إذا دهمه العدو ، ويأخذان بيده إذا غشيه الهول تخف ألا يستطيع دفع الهلاك عن نفسه ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « أخوا فى الحرب من لا أخا له » فإن قوله « أخوا » مثنى الأخ مضاف إلى الاسم الموصول وهو قوله « من » وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور الذى هو قوله « فى الحرب » وأصل الكلام : هما أخوا من لا أخا له فى الحرب ، ونظيره — فيما رأى ابن مالك — الحديث « هل أنتم تاركو لى صاحبى » فإن قوله صلى الله عليه وسلم « تاركو » مضاف وقوله « صاحبى » مضاف إليه ، وقد فصل بينهما بالجار والمجرور الذى هو قوله « لى » ونظيره قول الشاعر : =

ففَصَلَ بين المضاف والمضاف إليه ؛ لأن تقديره : هُمَا أخوَا مَنْ لا أخا لهُ فى الحرب ؛ لأَن الظرف[1] وحرف الجر يتسع فيهما مالا يتسع فى غيرهما ، فبقينا فيما سواهما على مقتضى الأصل .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما أنشدوه فهو مع قلته لا يعرف قائله ؛ فلا يجوز الاحتجاج به .

وأما ما حكى الكسائى من قولهم « هذا غُلاَمُ واللهِ زَيْدٍ » وما حكاه أبو عبيدة عن بعض العرب من قولهم « فتسمع صَوْتَ واللهِ رَبِّهَا » فنقول : إنما جاء ذلك فى اليمين لأنها تدخل على أخبارهم للتوكيد ، فكأنهم لما جازُوا بها مَوْضِعَهَا استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام ؛ ولهذا يسمونها فى مثل هذا النحو « لغواً » لزيادتها فى الكلام فى وقوعها غَيْرَ موقعها .

والذى يدل على صحة هذا أنَّا أجمعنا وإياكم على أنه لم يجىء عنهم الفَصْلُ بين المضاف والمضاف إليه بغير اليمين فى اختيار الكلام .

وأما قراءة من قرأ من القراء (وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قَتْلُ أولادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) فلا يَسُوغُ لكم الاحتجاجُ بها ؛ لأنكم لا تقولون بموجبها ؛ لأن الإجماع واقع على امتناع الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول فى غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة ، وإذا وقع الإجماع على امتناع الفصل

= لأنت معتاد فى الهيجا مصابرة يصلى بها كل من عاداك نيرانا

والاستشهاد فى قوله « معتاد فى الهيجا مصابرة » فإن قوله « معتاد » مضاف إلى قوله « مصابرة » وقد فصل بينهما بالجار والمجرور وهو قوله « فى الهيجا » وأصل الكلام : لأنت معتاد مصابرة فى الهيجا .

(١) قوله « لأن الظرف وحرف الجر يتسع فيهما » تعليل لقوله فيما سبق « وإنما جاز الفصل بينهما بالظرف وحرف الجر » ص ٤٣١ .

[به] بينهما فى حال الاختيار سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار ، فبان أنها إذا لم يجز أن تجعل حجة فى النظير لم يجز أن تجعل حجة فى النقيض .

والبصريون يذهبون إلى وَهْى هذه القراءة ووَهْم القارىء ؛ إذ لو كانت صحيحة [١٨١] لكان ذلك من أفصح الكلام ، وفى وقوع الإجماع على خلافه دليل على وَهْيِ القراءة ، وإنما دعا ابنَ عامر إلى هذه القراءة أنه رأى فى مصاحف أهل الشأم (شركائهم) مكتوباً بالياء ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شركاؤهم) بالواو ، فدل[1] على صحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم .

٦١ — مسألة

[هل تجوز إضافة الاسم إلى اسم يوافقه فى المعنى ؟][2]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشىء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان .

وذهب البصريون إلا أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك فى كتاب الله وكلام العرب كثيراً ، قال الله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) واليقين فى المعنى نعت للحق ؛ لأن الأصل فيه الحق اليقين ، والنعت فى المعنى هو المنعوت ، فأضاف المنعوت إلى النعت وهما بمعنى واحد ، وقال تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) والآخرة فى المعنى نعت الدار ، والأصل فيه وللدَّارُ الآخِرَةُ خير ، كما قال تعالى فى موضع آخر : (وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ) فأضاف دار إلى الآخرة ، وهما بمعنى

---

(١) أى فدل وهى القراءة وعدم صحة الاستدلال بها على صحة ماذهبنا إليه .

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢/٢١٥ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (٢/٤٠ بولاق) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص٣٢٩ومابعدها إلى ٣٣٣) وشرح الرضى على الكافية (١/٢٦٣ - ٢٦٦)

واحد ، وقال تعالى : (جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) والحبُّ فى المعنى هو الحصيد ، وقد أضافه إليه ، وقال تعالى : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ) والجانب فى المعنى هو الغربى ، ثم قال الراعى :

٢٧٣ — وَقَرَّبَ جَانِبَ الْغَرْبِيِّ يَأْدُو مَدَبَّ السَّيْلِ، وَاجْتَنَبَ الشِّعَارَا

ومن ذلك قولهم « صَلاَةُ الأولى ، ومَسْجِدُ الجامع ، وبَقْلَةُ الحمقاء » والأولى فى المعنى هى الصلاة ، والجامع هو المسجد ، والبقلة هى الحمقاء ، وقد أضافوها إليها ، فدل على ما قلناه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز لأن الإضافة إنما يراد بها التعريف والتخصيص ، والشىء لا يتعرف بنفسه ؛ لأنه لو كان فيه تعريف كان مستغنياً عن الإضافة ، وإن لم يكن فيه تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد

---

٢٧٣ — أنشد ابن منظور هذا البيت (د ب ب — ش ع ر) ولم يعزه ، والبيت فى وصف حمار وحش ، ومدب السيل — بفتح الميم وداله مفتوحة أو مكسورة — موضع جريه ، ويقال « تنح عن مدب السيل » بفتح الدال وكسرها ، أى ابتعد عن مكان جريه والشعار — بفتح الشين بزنه السحاب ، عن ابن السكيت والرياشى ، وقال شمر والاصمعى هو بكسر الشين بزنة الكتاب مثل شعار المرأة — وهو الشجر الملتف ، وقيل : هو ما كان من الشجر فى لين ووطاء من الأرض يحله الناس يستدفئون به فى الشتاء ويستظلون به فى القيظ ، ويقال « أرض ذات شعار » أى ذات شجر ، يريد الشاعر أن هذا الحمار الوحشى قد اجتنب الشجر مخافة أن يرمى فيها ولزم مدرج السيول لأن الصيادين يبتعدون عنه ، ومحل الاستشهاد عند المؤلف بهذا البيت فى هذا الموضع قوله « جانب الغربى » فإن المراد بالجانب هو نفس المراد بالغربى عند الكوفيين ، وقد أضاف الشاعر « جانب » إلى « الغربى » فيكون قد أضاف اسما إلى اسم آخر بمعناه ، وزعموا أن قوله تعالى (وما كنت بجانب الغربى) من هذا القبيل ، والبصريون يذهبون إلى أن الكلام على تقدير مضاف يكون موصوفا بما جعل مضافا إليه ، أى جانب المكان الغربى ، فهو من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، وهو تكلف لا داعى له.

من التعريف ؛ إذ يستحيل أن يصير شيئاً آخر [١٨٢] بإضافة اسمه إلى اسمه ؛ فوجب أن لا يجوز كما لو كان لفظهما مُتَّفِقاً .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما احتجوا به فلا حجة لهم فيه ؛ لأنه كله محمول على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه : أما قوله تعالى : (إن هذا لهو حق اليقين) فالتقدير فيه : حق الأمر اليقين ، كما قال تعالى : (وذلك دينُ القَيِّمَةِ) أى دين المِلَّةِ القيمة ، وأما قوله تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) فالتقدير فيه : ولدار الساعة الآخرة ، وأما قوله تعالى : (وحبَّ الْحَصِيدِ) أى حب الزرع الحَصِيدِ ، ووصف الزرع بالْحَصِيدِ ، وهو التحقيق[١] ؛ لأن الحب اسم لما يَنْبُتُ فى الزرع ، والْحَصْدُ إنما يكون للزرع الذى ينبت فيه الحب ، لا للحب ، ألا ترى أنك تقول « حَصَدْتُ الزرع » ولا تقول « حصدت الحب » ، وأما قوله تعالى : (وما كنْتَ بجانب الغربى) فالتقدير فيه : بجانب المكان الغربىّ ، وأما قولهم « صلاة الأولى » فالتقدير فيه : صلاة الساعة الأولى ، وأما قولهم « مسجدُ الجامع » فالتقدير فيه : مسجد الموضع الجامع ، وأما قولهم « بقلة الحمقاء » فالتقدير فيه : بقلة الحبة الحمقاء[٢] ؛ لأن البقلة اسم لما نبت من تلك الحبة ، ووصف الحبة بالحمق ، وهو التحقيق[١] ؛ لأنها الأصل ، وما نَبَتَ منها فرع عليها ، فكان وصف الأصل بالحمق أولى من وصف الفرع ، وإنما وصفت بذلك لأنها تنبت فى مَجَارِى السيول فتقلعها ، ولذلك يقولون فى المثل « هُوَ أَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ » فإذا كان جميع ما احتجوا به محمولا على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه على ما بينا لم يكن لهم فيه حجة ، والله أعلم .

(١) كذا فى الأصل فى الموضعين ، والراجح عندنا أن الواو فى قوله « وهو التحقيق » زائدة ، وأصل الكلام : ووصف الزرع بالحصيد هو التحقيق ، وكذلك فى الموضع الثانى .

(٢) فى ر « بقلة الجنة الحمقاء » تحريف

٦٢ — مسألة

[« كلا » و« كلتا » مثنيان لفظا ومعنى، أو معنى فقط ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن « كلا ، وكلتا » فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصل كلا « كُلٌّ » نخففت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، وزيدت التاء فى « كلتا » للتأنيث ، والألف فيهما كالألف فى « الزَّيْدَان ، والعَمْرَانِ » ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة .

وذهب البصريون إلى أن فيهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية ، [١٨٣] والألف فيهما كالألف فى « عَصاً ، ورَحاً » .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنهما مُثَنَّيَانِ لفظاً ومعنًى وأن الألف فيهما للتثنية النقلُ والقياسُ :

أمان النقلُ فقد قال الشاعر :

٢٧٤ — فِى كِلْتَ رِجْلَيْهَا سُلاَمَى وَاحِدَهْ ... كِلْتَاهُمَا مَقْرُونَةٌ بِزَائِدَهْ(١)

فأفرد قوله « كِلْتَ » فدلَّ على أن « كِلْتَا » تثنيةٌ .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرحنا على شرح الأشمونى (١/٤٥) وحاشية الصبان (١/٨٣ بولاق) وتصريح الشيخ خالد مع حاشية يس (١/٨٠ بولاق) وشرح رضى الدين على الكافية (١/٢٨) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٦٣ ليبزج)

٢٧٤ — هذا البيت من شواهد رضى الدين فى شرح الكافية (١/٢٨) وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٦٢ بولاق) وشرحه العينى (١/١٥٩ بهامش الخزانة) ومن شواهد الأشمونى (رقم ١٨) وقد أنشده ابن منظور (ك ل ا) ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، وروى * كلتا هما قد قرنت بزائده * والسلامى — بضم السين وتخفيف اللام ، بزنة الحبارى — واحدة السلاميات ، وهى العظام التى تكون بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع فى اليد أو الرجل . ومحل الاستشهاد بهذا البيت فى هذا الموضع قوله « فى كلت » فإن البغداديين والفراء زعموا أن « كلت » ههنا مفرد كلتا فى نحو قوله تعالى :(كلتا الجنتين =

. . . .

=آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا) وزعموا أن « كلا » و « كلتا » مثنيان لفظاً ومعنى ، والألف فيهما زائدة للدلالة على التثنية ، والتاء فى « كلتا » للتأنيث ، وأصل كل واحد منهما قبل اللواحق « كل » بتشديد اللام - الذى يستعمل فى نحو قولك « الأمر كله بيد الله » فحذفت لامها الثانية وكسرت كافها ، ثم لو أردت المفرد المؤنث زدت التاء فقلت « كلت » كما قال الراجز « فى كلت رجليها » وإذا أردت المثنى المذكر زدت الألف الدالة على التثنية فقلت « كلا الرجلين عندى رجل خير » وإذا أردت المثنى المؤنث زدت التاء للدلالة على التأنيث والألف للدلالة على التثنية فقلت « كلتا المرأتين عفيفة المئزر » وسيبويه رحمه الله وجمهور نحاة البصرة لا يرتضون هذا الكلام ، وعندهم أن « كلا » و « كلتا » مفردان لفظا مثنيان معنى ، والألف فيهما هى لام الكلمة ، فوزن « كلا » فعل - بكسر الفاء وفتح العين ، نظير رضا ومعى - وهذه الألف التى فى « كلا » منقلبة عن واو ، وقيل : عن ياء ، ووزن « كلتا » فعلى مثل ذكرى - والتاء فيها هى لام الكلمة ، وأصلها واو على ما اختاره ابن جنى ، واختار أبو على أن أصلها ياء ، أما الألف فى « كلتا » فهى زائدة للدلالة التأنيث ، قالوا : والدليل على أن هاتين الكلمتين مفردان لفظا مثنيان معنى أنه يخبر عنهما بالمفرد ويعود الضمير إليهما مفردا ، ولو كانا مثنيين لفظا ومعنى لما جاز أن يخبر عنهما بالمفرد ولا أن يعود إليهما الضمير مفردا ، وأيضاً فإنا نجد العرب جميعاً إذا أضافوهما إلى الاسم الظاهر يلزمونهما الألف فى الرفع والنصب والجر نحو « كلا الرجلين مؤدب » ونحو « كلتا المرأتين صالحة » ونحو « إن كلا هذين الرجلين مستقيم » وما أشبه ذلك ، ولو كانا مثنيين لفظا ومعنى لوجب أن يجيئا بالياء فى حال النصب والجر فى لسان أكثر العرب من غير تفرقة بين ما إذا كان المضاف إليه مضمراً وما إذا كان مظهراً ، كسائر المثنيات ، واستمع إلى ما نقله ابن منظور عن الجوهرى ، قال : « كلا فى تأكيد الاثنين نظير كل فى المجموع ، وهو اسم مفرد غير مثنى ، فإذا ولى اسما ظاهرا كان فى الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة ، بالألف ، تقول : رأيت كلا الرجلين ، وجاءنى كلا الرجلين ، فإذا اتصل بمضمر قلبت الألف ياء فى موضع الجر والنصب فقلت : رأيت كليهما ، ومررت بكليهما ، وتبقى فى الرفع على حالها ، وقال الفراء : هو مثنى ، مأخوذ من كل ، فخففت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، وكذلك كلتا للمؤنث ، ولا يكونان إلا مضافين ، ولم يتكلم منهما بواحد ، ولو تكلم به لقيل : كل ، وكلت ، وكلان ، وكلتان ، واحتج بقول الشاعر=

وأما القياسُ فقالوا : الدليلُ على أنها ألف التثنية أنها تنقلب إلى الياء فى النصب والجر إذا أضيفتا إلى المضمر ، وذلك نحو قولك « رأيت الرجلين كِلَيْهما ، ومررت بالرجلين كِلَيْهِمَا ، ورأيتُ المرأتين كِلْتَيْهِمَا ، ومررت بالمرأتين كِلْتَيْهِمَا » ولو كانت الألفُ فى آخرها كالألف فى آخر « عَصاً ، وَرحاً » لم تنقلب كما لم تنقلب ألفهما نحو « رأيت عَصَاهُمَا وَرَحَاهُمَا ، ومررت بعَصَاهُمَا وَرَحَاهُمَا » فلما انقلبت الألفُ فيهما انقلابَ ألفِ « الزيدان ، والعَمْرَان » دلَّ على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أن فيهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية أن الضمير تارة يُرَدّ إليهما مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة يردّ إليهما مثنى حملا على المعنى .

= * فى كلت رجليها سلامى واحده *

أراد فى إحدى رجليها فأفرد ، وهذا القول ضعيف عند أهل البصرة ؛ لأنه لو كان مثنى لوجب أن تنقلب ألفه فى النصب والجر مع الاسم الظاهر ؛ ولأن معنى كلا مخالف لمعنى كل ؛ لأن كلا للاحاطة ، وكلا يدل على شيء مخصوص ، وأما هذا الشاعر فإنما حذف الألف للضرورة وقدر أنها زائدة ، وما يكون ضرورة لا يجوز أن يجعل حجة ، فثبت أنه اسم مفرد كمعى ، إلا أنه وضع ليدل على التثنية ، كما أن قولهم نحن اسم مفرد يدل على الاثنين فما فوقهما »اهـ كلامه .

ونظير هذا الشاهد — فى حذف الألف من « كلتا » بخصوصها — قول الشاعر الآخر، وهو من شواهد الرضى :

كلت كفيه توالى دائمـا بجيوش من عقاب ونعم

والعرب كما تشبع الحركات فتنشأ عنها حروف اللين (انظر الشواهد ٦ ـ ١٧ فى المسألة الثانية) تقطع حروف المد ، وتحذفها مجتزئة بالحركات التى قبلها ؛ لأنها مجانسة لها ودالة عليها (وانظر الشواهد ٢٤٥ ـ ٢٥٤ التى مرت فى المسألة ٥٦ ، ثم انظر لها نظائر فى المسألة ٧٢) وفى هذا القدر ما يكفى أو يغنى .

فأما رَدُّ الضمير مفرداً حملا على اللفظ فقد جاء ذلك كثيراً ، قال الله تعالى : (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا) فقال (آتَتْ) بالإفراد حملا على اللفظ ، ولو كان مثنى لفظاً ومعنى لـكان يقول « آتَتَا » كما تقول : الزيدان ذَهَبَا ، والعمران ضَرَبَا ، وقال الشاعر :

٢٧٥ — كِلاَ أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ ، كَأَنَّهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْغَمِ

فقال « ذُو » بالإفراد حملا على اللفظ ، ولو كان مثنى لفظاً ومعنى لقال « ذَوَا » وقال الآخر :

٢٧٦ — كِلاَ أَخَوَيْـكُمْ كَانَ فَرْعًا دِعَامَةً وَلَـكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا

---

٢٧٥ — الشرى — بفتح الشين ، بوزن الفتى — موضع تنسب إليه الأسود ، ويقال للشجعان : هم أسود الشرى ، قال بعضهم: شرى موضع بعينه تأوى إليه الأسود ، وقيل: هو شرى الفرات وناحيته ، وبه غياض وآجام ومأسدة ، وقال الشاعر:

* أسود شرى لاقت أسود خفية *

والشرى: طريق فى جبل سلمى أحد جبلى طيء كثير الأسد . والأغلب: يراد منه الأسد ، والضيغم : الأسد أيضاً ، وقيل : هو الواسع الشدق من الأسد ، وأصل اشتقاقه من الضغم وهو العض الشديد ، ومحل الاستشهاد من البيت قوله « كلا أخوينا ذو رجال » فدل ذلك على أن « كلا » له جهة إفراد ، وإلا لما صح الإخبار عنه بالمفرد ؛ لأن المبتدأ والخبر يجب أن يتطابقا فى الإفراد والتثنية والجمع ، ولا تخلو جهة الإفراد فى كلا أن تـكون جهة اللفظ أو جهة المعنى ، وقد اتفق الفريقان الـكوفيون والبصريون على أن « كلا » مثنى فى المعنى — وقد أخبر عن « كلا » بمفرد وهو قوله « ذو رجال » — فبقى جهة اللفظ ، فوجب أن يكون مفرداً لفظا ، وهو ماذهب إليه البصريون

٢٧٦ — أنشد ابن منظور صدر هذا البيت (ك ل ا) ونسبه إلى الأعشى ، ولـكنه رواه « كلا أبويكم » كما فى الديوان (١٠٩) وأصل الفرع — بفتح الفاء وسكون الراء — القوس يكون خير القسى ومنه قالوا : فرع فلان فلانا ، أى فاقه ، وقالوا : فرع فلان القوم ، وتفرعهم : أى فاقهم وعلاهم ، والدعامة — بكسر الدال وتخفيف العين — سيد القوم ورئيسهم ، وقالوا : فلان دعامة عشيرته ، يريدون أنه سيدها ، والاستشهاد بهذا البيت هنا فى قوله « كلا أخويكم كان فرعا » حيث أعاد الضمير من « كان » على « كلا » وهو ضمير المفرد الغائب ، فدل =

فقال « كَانَ » بالإفراد حملا على اللفظ ، ولم يقل « كانا » وقال الآخر :

أُكَاشِرُهُ وأَعْلَمُ أنْ كِلاَنَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ[١٢٢]

فقال « حريص » بالإفراد ولم يقل « حريصان » وقال الآخر :

٢٧٧ — [١٨٤] — كِلاَنَا يَا يَزِيدُ يُحِبُّ لَيْـلَى
بِفِيَّ وَفِيكَ مِنْ لَيْـلَى التُّرَابُ

فقال « يحبُّ » بالإفراد على ما بينا . وقال الآخر :

٢٧٨ — كِلاَ ثَقَلَيْنَا وَاثِقٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَرَ الرَّحْمٰنُ مَا هُوَ قَادِرُ

= على أن فى « كلا أخويكم» جهة إفراد ، وهى جهة اللفظ ، على نحو ما بيناه فى شرح الشاهد السابق .

٢٧٧ — هذا البيت لمزاحم بن الحارث العقيلى ، وكان يحب ليلى بنت مهدى صاحبة قيس بن معاذ المعروف بمجنون ليلى ، وصحة رواية البيت مع بيتين يليانه هكذا :

كلانا يا معاذ يحب ليـلى . بفى وفيك من ليلى التراب
شركتك فى هوى من كان حظى وحظك من مودتها العذاب
لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبى ؛ فهو مخبول مصاب

ومعاذ : هو معاذ بن كليب العامرى ، كان مجنونا من مجانين ليلى ، وكان مزاحم قد شركه فى حبها ، ويقال : إنه لما سمع هذه الأبيات من مزاحم التبس وخولط فى عقله وقوله « بفى وفيك من ليلى التراب » دعاء على نفسه وعلى صاحبه بأن يرجع كل منهما من حب ليلى بالخيبة من غير أن ينال حظا من مودتها . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « كلانا يحب ليلى » حيث أعاد الضمير من « يحب » مفردا إلى « كلانا » فدل ذلك على أن لكلا جهة إفراد ، وهى جهة اللفظ، على نحو ما قررناه فى الشاهد ٢٧٥ ، ونظير هذا البيت فى الإخبار عن كلا بالمفرد قول ليلى العامرية :

كلانا مظهر للنـاس بغضا وكل عند صاحبه مكين

فقال « كلانا مظهر » فأخبر بالمفرد الذى هو « مظهر » عن « كلا » فهذا يدل على أن « كلا » مفرد لفظا ؛ لأن معناها مثنى بالإجماع

٢٧٨ — هذا البيت من كلام إياس بن مالك بن عبد الله المعنى ، وبعده قوله :

فلم أر يوما كان أكثر سالبا ومستلبا سرباله لا ينا كر =

فقال « واثق » بالإفراد . وقال الآخر :

٢٧٩ — كِلاَ يَوْمَىْ أُمَامَةَ يَوْمُ صَدٍّ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إلاَّ لِمَامَا

= وأكثر منا يافعا يبتغى العلا يضارب قرنا دارعا وهو حاسر

وقد أنشد ابن منظور هذه الابيات (ق د ر) وعزاها إليه . وثقل الرجل ـ بفتح الثاء والقاف جميعا ـ حشمه ومتاع بيته ، وأراد به ههنا النساء ، يقول : نساؤنا ونساؤهم طامعات فى ظهور كل واحد من القبيلين على صاحبه ، والأمر فى ذلك يجرى على ماقدره الله تعالى . و « مستلبا سرباله » هو بنصب سرباله على أنه مفعول ثان لمستلب ، وفى مستلب ضمير مستتر هو نائب فاعله وهو المفعول الأول . وأراد بقوله « لا يناكر » أنه لا ينكر ذلك لأنه مصروع قد قتل ، ومن الناس من يرويه برفع « سرباله » على أنه هو نائب الفاعل وليس فى مستلب ضمير ، واليافع : المترعرع الداخل فى عصر شبابه ، والدارع : لابس الدرع ، والحاسر : الذى لا درع عليه ، و « قدر » فى البيت الأول هو بالتخفيف و « قادر » اسم الفاعل منه ، وفى حديث الاستخارة « فاقدره لى ويسره على » ومعناه اقض لى به وهيىء لى أسبابه . والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « كلا ثقلينا واثق » حيث أخبر بواثق وهو مفرد عن « كلا » فوجب أن يكون « كلا » مفردا لوجوب توافق المبتدأ والخبر ، ولما كان « كلا » مثنى من جهة المعنى بالإجماع وجب أن يكون مفردا من جهة اللفظ ليتم توافق المبتدأ وخبره ، وهذا رأى البصريين فى « كلا » أنها مفرد لفظا مثنى معنى .

٢٧٩ — هذا البيت من كلام جرير بن عطية بن الخطفى (د ٥٣٩) من قصيدة يقولها لهريم وهلال بن أحوز المازنى ، وأولها قوله :

ألا حى المنازل والخياما وسكنا طال فيها ما أقاما

وقد أنشد ابن منظور بيت الشاهد (ك ل ا) وعزاه إليه ؛ ورواية اللسان مثل رواية المؤلف ههنا ، ولكن الذى فى ديوان جرير « كلا يومى أمامة يوم صدق » أى يوم صالح ، والذوق يشهد أن رواية الديوان خير مما هنا ، وتقول « فلان لا يزورنا إلا لماما » تريد أنه يزور فى بعض الأحيان على غير مواظبة ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « كلا يومى أمامة يوم » حيث أخبر بيوم وهو مفرد عن « كلا » وذلك يدل على أن « كلا » مفرد ، على نحو ما قررناه فى الشواهد السابقة ، ونظير بيت جرير قول امرىء القيس بن حجر الكندى : =

فقال «يوم» بالإفراد. وقال أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِيُّ.

٢٨٠ — فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وأَسْجَدَ رَأْسُهَا
كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ

= كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك ينسل

الا تراه قد أعاد الضمير على كلانا مفردا فى «نال» وفى «أفاته» ومثله قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبى طالب :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فأخبر عن «كلا» بالمفردوهوقوله «غنى» وأعادالضمير إليه مفردا فى قوله «عن أخيه» وفى قوله «حياته»، ونظير ذلك قول القتال الكلابي :

تضمنت الأروى لنا بطعامنا كلانا له منها نصيب ومأ كل

فأعاد الضمير إلى كلانا مفردا فى قوله «له» وعلى وجه الإجمال إنك لتجد العرب يراعون فى «كلا» الإفراد أكثر مما يراعون التثنية، وعلى ذلك جرى أكثر كلامهم

٢٨٠ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ن ص ر) وعزاه لأبى الأخزر الحمانى، وقال : إنه يصف ناقتين طأطأتا رؤوسها من الإعياء، فشبه رأس الناقة فى تطأطئها برأس النصرانية إذا طأطأته فى صلاتها. وقوله «أسجد رأسها» هو لغة فى «سجد رأسها» تقول : أسجد الرجل، إذا طأطأ رأسه وانحنى، وكذلك تقول «أسجدالبعير» ومنه قول الأسدى وأنشده أبو عبيد :

* وقلن له اسجد لليلى فأسجدا *

والنصرانة : واحدة النصارى، والمذكر عند الخليل نصران، وجعله نظير ندمان وندمانة وندامى، وقال ابن برى : قوله إن النصارى جمع نصران ونصرانة إنما يريدبذلك الأصل دون الاستعمال، وإنما المستعمل فى الكلام نصرانى ونصرانية، وإنما جاء نصرانة فى بيت الأخزر على جهة الضرورة، وقوله «لم تحنف» أى لم تختتن، هذا أشبه مايراد بهذه الكلمة ههنا، ويأتى تحنف بمعنى اعتزل الأصنام، وبمعنى عمل عمل الحنيفية، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله «كلتاهما خرت وأسجد رأسها» حيث أعاد الضمير على «كلتا» مفردا فى قوله «خرت» وفى قوله «رأسها» فهذا يدل على أن «كلتا» عنده لها جهة إفراد، وإلا لما صح عود الضمير مفرداً عليها ؛ لأن ضمير الغيبة يجب أن يطابق مرجعه إفرادا وتثنية وجمعا، وقد أجمع أهل البلدين على أن «كلتا» من جهة المعنى مثنى فلم يبق إلا جهة اللفظ، فوجب أن يكون «كلتا» مفردا لفظا

فقال « خَرَّتْ » بالإفراد . وقال الآخر :

٢٨١ — فَكِلْتَاهُمَا قَدْ خُطَّ لِي فِي صَحِيفَةٍ
فَلاَ الْعَيْشُ أَهْوَاهُ وَلاَ الْمَوْتُ أَرْوَحُ

فقال « خُطَّ » بالإفراد ، والشواهد على هذا النحو كثيرةٌ جداً .

وأما رَدُّ الضمير مثنى حملا على المعنى فعلى ما حكى عن بعض العرب أنه قال « كِلاهُمَا قائمانِ ، وكِلتاهما لقيتهما » وقال الشاعر :

---

٢٨١ — خط — بالبناء للمجهول — كتب ، تقول: «خط فلان بالقلم ، أو غيره ، من مثال مد » أى كتب ، و « خط الشيء يخطه » كتبه ، والصحيفة : ما يكتب فيه ،وتجمع على صحائف وهو قياس نظرائها ، وتجمع أيضاً على صحف — بضم الصاد والحاء جميعا — وفى التنزيل العزيز (إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) ونظير صحيفة وصحف قولهم : سفينة وسفن ، شبهوها بمالا تاء فيه من نحو قضيب وقضب وقليب وقلب، ومن العلماء من يثبت صحيفا — بغير تاء — فيكون الصحف جمع صحيف ، كما أثبتوا سفينا أيضا — فيكون السفن جمع سفين ، وقد يقال : إنهم جمعوا صحيفة وسفينة على صحيف وسفين ثم جمعوا صحيفا وسفينا الجمع على صحف وسفن ، وانظر إلى قول طرفة بن العبد البكرى :

عدولية أومن سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى

تجد قوله « أومن سفين ابن يامن » دالا على الجمع، فيكون ماذهبنا إليه أدق وأقيس وقوله « ولا الموت أروح » من قولهم « روح الشيء يروح روحا — مثل فرح يفرح فرحا» إذا كان أجلب للراحة . والاستشهاد بالبيت فى قوله « كلتاهما قد خط» حيث أعاد الضمير إلى « كلتاهما » مفرداً فى قوله« قد خط » فذلك يدل على أن لكلتا جهة إفراد ، وهى جهة لفظه ، لأنه من جهة المعنى مثنى باتفاق من الكوفيين والبصريين جميعاً على نحو ماقررناه فى الشواهد السابقة ، وكان من حق العربية عليه أن يقول « فكلتاهما قد خطت» فيؤنث الفعل ؛ لأن الاستعمال العربى على أنه إذا كان الفاعل ضميرا مؤنثا وجب فى غير الضرورة إلحاق تاء التأنيث بالفعل المسند إلى هذا الضمير سواءأكان مرجع الضمير حقيق التأنيث نحو « زينب قامت » أم كان مجازى التأنيث نحو « الشمس طلعت » فاعرف هذا ؛

٢٨٢— كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجَرْيُ بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَعَا ، وَكِلَا أَنْفَيْهِمَا رَابِى

فقال « أقلعا » حملا على المعنى ، وقال « رابِى » حملا على اللفظ .

---

٢٨٢ — هذا البيت من كلام الفرزدق همام بن غالب ، وكان جرير بن عطية قد زوج ابنته عضيدة للأبلق ، فعيره الفرزدق وهجاه ، وقيل البيت المستشهد به قوله :

ما كان ذنب التى أقبلت تعتلها حتى اقتحمت بها أسكفة الباب

ولم يقف العينى على سبب الشعر ولا السيوطى فزعما أن الكلام فى وصف فرسين ، وتبعهما العلامتان الصبان والأمير ، والصواب ماذكرناه ، وهذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٦٤) وابن جنى فى الخصائص (٢ / ٤٢١ و ٣ / ٣١٤) والأشمونى (رقم ٢٠) وابن هشام فى المغنى (رقم ٣٣٩) والضمير فى « كلاهما » ومابعده يعود إلى عضيدة وزوجها الابلق ، أو يعود إلى جرير وابنته على نوع من الالتفات فقد كان من حق الكلام عليه ــ إذا أراد ذلك ــ أن يقول « كلاكما » وتعتلها : تجذبها جذبا عنيفا ، وبابه نصر أو ضرب ، وأسكفة الباب ــ بفتح الهمزة وسكون السين وضم الكاف وتشديد الفاء مفتوحة ــ عتبته ، و « أقلعا » كفا عنه وتركاه ، و « رابى » منتفخ .
والاستشهاد بالبيت فى قوله « كلاهما قد أقلعا » وقوله « وكلا أنفيهما رابى » فقد أعاد الضمير إلى « كلاهما » فى العبارة الأولى مثنى وذلك قوله « أقلعا » مراعاة لمعنى « كلا » وأخبر عن كلا فى العبارة الثانية بمفرد، وذلك فى قوله « رابى » مراعاة للفظ « كلا » فدل ذلك على أنه يجوز مراعاة لفظ « كلا » ومراعاة معناها ، ويجوز الجمع بين الوجهين فى الكلام الواحد ، قال ابن جنى فى تخريج قوله قد أقلعا « هذا محمول على المعنى كما يحمل على معنى كل ومن ، نحو قوله تعالى (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقوله تعالى (وكل أتوه داخرين) وقوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك) وفى موضع آخر (ومنهم من يستمعون إليك) وقال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) فأعاد الضمير على اللفظ تارة بالإفراد وعلى المعنى أخرى بالجمع ، فكذلك كلا لفظه مفرد ومعناه التثنية فلك أن تحمل الخبر تارة على اللفظ فتفرده ،وتارة على المعنى فتثنيه » اهـ ومثل قوله « كلاهما قد أقلعا » فى عود الضمير إلى كلا مثنى ــ قول الشاعر وأنشده أبو عمرو الشيبانى :

كلا جانبيه يعسلان كلاهما كما اهتز خوط النبعة المتتابع

فأخبر بقوله « يعسلان » وفيه ضمير المثنى عن قوله « كلا جانبيه » وقوله « كلاهما » الثانى توكيد لكلا الأول مراعاة للمعنى أيضاً، ويجوز أن يكون « كلاهما »الثانى توكيدا=

والحمل فى « كِلا ، وكِلتا » على اللفظ أكثر من الحمل على المعنى ، ونظيرهما فى الحمل على اللفظ تارة وفى الحمل على المعنى أخرى « كلٌّ » فإنه لما كان مفرداً فى اللفظ مجموعاً فى المعنى رُدَّ الضمير إليه تارة على اللفظ وتارة على المعنى ، كقولهم « كل القوم ضربته ، وكل القوم ضربتهم » وقد جاء بهما التنزيل ، قال الله تعالى : (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً) فقال (آتِي) بالإفراد حَمْلا على اللفظ ، وقال تعالى : (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) فقال (أَتَوْهُ) بالجمع حَمْلا على المعنى ، إلا أن الحمل على المعنى فى « كل » أكثر من الحمل على المعنى فى « كِلاَ ، وكِلْتَا » .

والذى يدل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى التثنية فتقول : « جاءنى كِلاَ أَخَوَيْكَ ، ورأيت كِلاَ أَخَوَيْكَ ، ومررت بِكِلاَ أَخَوَيْكَ ، وجاءنى أَخَوَاكَ كِلاَهُمَا ، ورأيتُهُمَا كِلَيْهِمَا ، ومَرَرْتُ بهما كِلَيْهِمَا » وكذلك حكم إضافة [١٨٥] « كلتا » إلى المُظْهَرِ والمُضْمَرِ ، فلو كانت التثنية فيهما لفظيةً لما جاز إضافتهما إلى التثنية ؛ لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه .

والذى يدل على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها تجوز إمالتها ، قال الله تعالى : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا) وقال تعالى : (كِلتا الجنتين آتت أُكلها) قرأهما حمزةُ والكسائى وخلفٌ بإمالة الألف فيهما ، ولو كانت الألف فيهما للتثنية لما جازت إمالتها ؛ لأن ألف التثنية لا تجوز إمالتها .

والذى يدل أيضاً على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لا نقلبت فى حالة النصب والجر إذا أُضيفتا إلى المظهر ؛ لأن الأصل هو المظهر ،

= للضمير فى قوله « يصلان » فاعرف ذلك

ومن الجمع بين مراعاة لفظ « كلا » ومعناه قول الأسود بن يعفر فى بعض الاحتمالات :

إن المنية والحتوف كلاهما يوفى المخارم يرقبان سوادى

وإنما المضمر فرعه ، تقول : « رأيت كِلا الرجلين ، ومررت بكلا الرجلين » ، وكذلك تقول فى المؤنث : « رأيت كِلْتَا المرأتين ، ومررت بكلتا المرأتين » ولو كانت للتثنية لوجب أن تنقلب مع المظهر كما تنقلب مع المضمر ؛ فلما لم تنقلب دل على أنها ألف مقصورة ، وليست للتثنية .

والذى يدل على أن « كِلاَ » ليست مأخوذة من « كُلٍّ » أن كُلاًّ للاحاطة وكِلاَ لمعنى مخصوص ؛ فلا يكون أحدهما مأخوذاً من الآخر .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقول الشاعر :

* فى كِلْتَ رِجْلَيْهَا سُلاَمَى وَاحِدَهْ * [٢٧٤]

فلا حجة فيه ؛ لأن الأصل أن يقول « كلتا » بالألف ، إلا أنه حذفها اجتزاء بالفتحة عن الألف لضرورة الشعر ، كما قال الآخر :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّى بِلَهْفَ ، وَلاَ بِلَيْتَ ، وَلاَ لَوَ انِّى [٢٥٤]

أراد « بلهفا » فاجتزأ بالفتحة عن الألف . وكقول الآخر :

٢٨٣ — * وَصَّانِىَ الْعَجَّاجُ فِيماَ وَصَّنِى *

أراد « فيما وَصَّانِى » . وهذا كثير فى أشعارهم .

وأما قولهم « إن الألف فيهما تنقلب فى حالة النصب والجر إذا أضيفتا إلى المضمر » قلنا : إنما قلبت فى حالة الإضافة إلى المضمر لوجهين :

---

٢٨٣ — هذا بيت من الرجز المشطور من كلام رؤبة بن العجاج ، وقد أنشده ابن منظور (و ص ى) وعزاه إليه ، وتقول : أوصيت الرجل إيصاء ، ووصيته — بالتضعيف — توصية؛ إذا عهدت إليه ، وأوصيت له بشىء ،وقد أوصيت إليه؛إذا جعلته وصيك ، وتواصى القوم : أوصى بعضهم بعضا . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « وصنى » فإنه أراد أن يقول « وصانى العجاج فيما وصانى » بالألف فى الفعل الثانى كما جاء بها فى الفعل الأول، فلم يتأت له ، فحذف الألف ليستقيم له الوزن والقافية جميعا.

أحدهما : أنهما لما كان فيهما إفرادٌ لفظيٌّ وتثنيةٌ معنويةٌ ، وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة يضافان إلى المضمر ـ جعلوا لهما [١٨٦] حظًّا من حالة الإفراد وحظًّا من حالة التثنية ، فجعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد على صورة واحدة فى حالة الرفع والنصب والجر ، وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية فى قلب الألف من كل واحد منهما ياء فى حالة النصب والجر ؛ اعتباراً بكلا الشبهين . وإنما جعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المظهر هو الأصل والمفرد هو الأصل فكان الأصل أولى بالأصل ، وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرعٌ فكان الفرع أولى بالفرع ، وهذا الوجه ذكره بعض المتأخرين .

والوجه الثانى ـ وهو أوْجَهُ الوجهين ، وبه عَلَّلَ أكثر المتقدمين ـ وهو أنه إنما لم تُقْلَب الألف فيهما مع المظهر وقلبت مع المضمر لأنهما لزمتا الإضافة وجر الاسم بعدها ؛ فأشبهتا لَدَى وإلى وعَلَى ، وكما أن لدى وإلى وعلى لا تقلب ألفها ياء مع المظهر نحو « لَدَى زيدٍ ، وإلى عمرٍو ، وعَلَى بكرٍ » وتقلب مع المضمر نحو « لَدَيْكَ ، وإلَيْكَ ، وعَلَيْكَ » فكذلك « كلا ، وكلتا » لا تقلب ألفهما ياء مع المظاهر ، وتقلب مع المضمر .

والذى يدل على صحة ذلك أن القلب فى « كلا ، وكلتا » إنما يختص بحالة النصب والجر ، دون حالة الرفع ؛ لأن « لَدَيْكَ » إنما تستعمل فى حالة النصب والجر ، ولا تستعمل فى حالة الرفع ؛ فلهذا المعنى كان القلب مختصاً بحالة النصب والجر دون حالة الرفع ، وقد أفردنا فى الكلام على « كلا ، وكلتا » جزءاً استقصينا فيه القول عليهما ، والله أعلم .

* * *

٦٣ — مسألة

[هل يجوز توكيد النكرة توكيداً معنويا ؟] (١)

ذهب الكوفيون إلى أن توكيد النكرة بغير لفظها جائز ، إذا كانت مؤقتة نحو قولك « قعدت يوماً كله ، وقمت ليلة كلها » . وذهب البصريون إلى أن تأكيد النكرة بغير لفظها غير جائز على الإطلاق . وأجمعوا على جواز تأكيدها بلفظها نحو : « جاءني رجلٌ رجل ، ورأيت رجلا رجلا ، ومررت برجل رجل » وما أشبه ذلك.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أن تأكيدها جائز النقلُ [١٨٧] والقياسُ :

أما النقل فقد جاء ذلك عن العرب ، قال الشاعر :

٢٨٤ — لكنَّهُ شَاقَهُ أَنْ قِيلَ ذَا رَجَبٌ
يَالَيْتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كُلِّهِ رَجَبُ

فأكّد « حول » وهو نكرة بقوله « كله » ؛ فدل على جوازه .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشمونى (٣ / ٦٧ بولاق) وشرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى (٢/١٥٦ بولاق وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (١ / ٣١٠) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٣٦٤) وشرح ابن عقيل (٢ /١٦٦ بتحقيقنا) .

٢٨٤ — هذا البيت من كلام عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى ، وهو من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٣٦٤) والأشمونى (رقم ٧٦٣) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٤٠٢) وفى شرح شذور الذهب (رقم ٢٢٨) وكلهم يروونه مثل رواية المؤلف ، والصواب فى روايته أنه بنصب « رجب » فى آخر البيت لأنه من كلمة أولها :

يا للرجال ليومَ الأربعاء ، أما ينفك يحدث لى بعد النهى طربا
إذ لا يزال غزال فيه يفتننى يأتى إلى مسجد الأحزاب منتقبا : =

وقال الآخر :

٢٨٥ — إِذَا الْقَعُودُ كَرَّ فِيهَا حَفَدَا   يَوْماً جَدِيداً كُلَّهُ مُطَرَّدَا

فأكد « يوماً » وهو نكرة بقوله « كله » .

=وذلك على أن يكون الشاعر قد أتى باسم ليت وخبرها منصوبين ، كما هو لغة قوم من العرب ، ونظير قول العمانى الراجز :

كأن أذنيه إذا تشوفا   قادمة أو قلما محرفا

و « شاقه » بالشين المعجمة ـ أى أعجبه أو بعث الشوق إلى نفسه ، ويروى «ساقه» بالسين المهملة ، و « حول » بفتح الحاء وسكون الواو ـ هو العام ، وأنشده ابن الناظم فى شرح الألفية تبعا لوالده « ياليت عدة شهر » وقال ابن هشام ـ وتبعه الشيخ خالد ـ إن ذلك تحريف ؛ لأنه لايتصور أن يتمنى أحد أن يكون الشهر كله رجبا ؛ فإن الشهر الواحد لايكون بعضه رجبا وبعضه غير رجب حتى يتمنى أن يكون كله رجبا ، ولكن الشاعر يتمنى أن تكون شهوره كلها رجبا . والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله «حول كله» حيث جر «كله» على التوكيد لحول ، ولا شك أن كلمة «حول» نكرة محدودة أى أنها ذات أول وآخر معروفان ، فيكون فيه دليل على جواز توكيد النكرة المحدودة ، والرواية على هذا بتنوين « حول » وجر « كله » وقد رد ابن يعيش الاستدلال بهذا البيت وزعم أن الرواية بجر « حول » من غير تنوين على أن كلمة « حول » مضاف و « كله » مضاف إليه ، وذلك تمحل بعيد ، والذى نرجحه أن كلام ابن يعيش هذا محرف عما ذكره المؤلف من أن الرواية عندهم « ياليت عدة حولى » بإضافة حول إلى ياء المتكلم ، وهو أيضاً تمحل ، ولكنه أقرب مما وقع فى شرح المفصل

ونظير هذا البيت ـ فى توكيد النكرة المحدودة بلفظ يدل على الشمول والإحاطة ـ قول العرجى وهو من شواهد مغنى اللبيب :

نلبث حولا كاملا كله   لانلتقى إلا على منهج

٢٨٥ — هذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل(ص٣٦٤)وقد أنشده ابن منظور (ط ر د) ولم يعزه أحدهما . والقعود ـ بفتح القاف ـ البكر من الإبل حين يركب ، أى يمكن ظهره من الركوب ، وأدنى ذلك أن يأتى عليه سنتان ، والناقة قلوص، وحفد : فعل ماض معناه خف فى العمل وأسرع ، وقال الشاعر :   =

وقال الآخر :

٢٨٦ — زَحَرْتَ بِهِ لَيْـلَةً كلّهَا فَجِئْتَ بِهِ مُؤْيدًا خَنْفَقِيقَا

= حفد الولائدحولهن وأسرعت بأكفهن أزمة الأجمـال

واليوم المطرد : الطويل ، ويقال : الـكامل التام ، تقول : مر بنا يوم طريد، وطراد ومطرد ، كله بمعنى الطويل ، ومحل الاستشهاد بالبيت ههنا قوله « يوما جديدا كله » حيث أكد قوله « يوما » — وهو نـكرة محدودة — بقوله « كله » فذلك يدل على أن العرب تستجيز تأكيد النـكرة المحدودة بألفاظ التوكيد المعارف ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

٢٨٦ — هذا البيت من كلام شيم بن خويلد ، وقد أنشده ابن منظور (خ ف ق) رابع أربعة أبيات ، وقبله :

قلت لسيدنا : يا حكـــيم إنك لم تأس أسوا رفيقا

أعنت عديا على شأوها تعادى فريقا وتنفى فريقا

أطعت اليمين عناد الشمال تنحى بحد المواسى الحلوقا

وقوله « ياحكيم » هزء منه وسخرية به ، أى أنت الذى تزعم أنك حكيم وتخطىء هذا الخطأ ، وقوله « أطعت اليمين عناد الشمال » مثل ضربه ، يريد فعلت فعلا أمكنت به أعداءنا منا ، وقوله « زحرت به ليلة كلها » أصل الزحير والزحار — مثل النعيب والنعاب — إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة ، ويقال للمرأة إذا ولدت ولدا : زحرت به ، وتزحرت به ، وقوله «وجئت به مؤيدا خنفقيقا » أى ناقصا مقصرا والاستشهاد بهذا البيت فى قوله «ليلة كلها » حيث أكد قوله «ليلة» وهى نـكرة محدودة لها أول وآخر معروفان معهودان بقوله « كلها » وذلك يدل لمذهب الـكوفيين الذين أجازوا توكيد النـكرة ، ونظير هذا البيت — فى توكيد النـكرة — قول الراجز :

ياليتنى كنت صبيا مرضعا تحملنى الذلفاء حولا أكتعا

إذا بكيت قبلتنى أربعا إذا ظللت الدهر أبكى أجمعا

الاستشهاد به فى قوله « حولا أكتعا » فإنه أكد قوله « حولا » وهو نـكرة محدودة ذات أول وآخر معروفين بقوله« أكتعا »وهولفظ من ألفاظ التوكيد المعروفة.

وقد بين ابن هشام الصحيح من المذهبين بإيجاز فى قوله « وإذا لم يفدتوكيد النـكرة لم يجز باتفاق ، وإن أفاد جاز عند الـكوفيين ، وهو الصحيح ، وتحصل الفائدة بأن يكون المؤكد محدودا والتوكيد من ألفاظ الإحاطة ، كاعتـكفت أسبوعا كله ، وقوله:

* ياليت عدة حول كله رجب * » اهـ

فأكد « ليلةً » وهى نكرة بقوله « كلها » ومؤيداً خنفقيقاً : اسمان من أسماء الداهية . وقال الآخر :

٢٨٧ — * قَدْ صَرَّتِ الْبَكْرَةُ يَوْماً أَجْمَعَا *

فأكَّدَ « يَوْماً » بأجْمَعَ ؛ فدلَّ على جوازه .

وأما القياس فلأن اليوم مؤقت يجوز أن يقعد فى بعضه ، والليلة مؤقتة يجوز أن أن يقوم فى بعضها ، فإذا قلت « قَعَدْتُ يَوْماً كُلَّهُ ، وقُمْتَ لَيْلَةً كُلَّهَا» صح معنى التوكيد ؛ فدلَّ على صحة ماذهبنا إليه .

---

٢٨٧ — هذا بيت من الرجز المشطور، وهو مجهول النسبة، وهو من شواهد ابن يعيش (ص ٣٦٤) ورضى الدين فى باب التوكيد من شرح الكافية، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣٥٧/٢) والأشمونى (رقم ٧٩٤) وابن عقيل (رقم ٢٩٠) وقبل البيت المذكور قوله

* إنا إذا خطافنا تقعقعا *

والخطاف — بوزن رمان — الحديدة المعوجة تكون فى جانب البكرة ، وتقعقع : تحرك وسمع له صوت ، وصرت : صوتت، والبكرة : ما يستقى عليه الماء من البئر ، وهى هنا بفتح الباء وسكون الكاف ، وأصلها بالتحريك . والاستشهاد بالبيت فى قوله « يوما أجمعا » حيث أكد قوله « يوما » وهو نكرة محدودة ذات مبدأ ونهاية بقوله «أجمع» وزعم قوم منهم ابن جنى فى إعراب الحماسة بأن هذا البيت مصنوع ، وزعم قوم آخرون منهم العينى بأن « يوما » ليس بنكرة ، وادعى أنه غير منون ، وأن الألف منقلبة عن ياء المتكلم ، وأصل الكلام « قد صرت البكرة يومى أجمعا » فقلب كسرة الميم فتحة فانقلبت ياء المتكلم ألفا مثل قوله تعالى : (يا حسرتا على ما فرطت) وقوله سبحانه : (يا أسفا على يوسف) وهذا كله تمحل بعيد وغير مستساغ ، ومن الشواهد على جواز توكيد النكرة إن أفاد توكيدها ما أنشده سيبويه (٤٤/١) :

ثلاث كلهن قتلت عمدا فأخزى الله رابعة تعود

الرواية عنده برفع ثلاث ورفع كلهن ، وإن كان مذهبه فى مثل ذلك النصب بالفعل بدليل قوله بعد إنشاده « فهذا ضعيف ، والوجه الأكثر الأعرف النصب » وإنما كان هذا ضعيفا لأنه لم يذكر العائد على المبتدأ ، ولو أنه قال « ثلاث كلهن قتلته عمدا » لكان مرضيا عنده ، وعلى كل حال فإن الشاعر قد أكد قوله « ثلاث » وهو نكرة بقوله « كلهن » وذلك ظاهر إن شاء الله .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن تأكيد النكرة غير جائز من وجهين :

أحدهما : أن النكرة شائعة ليس لها عين ثابتة كالمعرفة؛ فينبغى أن لاتفتقر إلى تأكيد؛ لأن تأكيد مالا يعرف لا فائدة فيه ، وأما قولهم « رأيتُ دِرهما كلَّ درهم » وما أشبه ذلك فهو محمول على الوصف لا على التأكيد .

والوجه الثانى : أن النكرة تدل على الشياع والعموم، والتوكيد يدل على التخصيص والتعيين ، وكل واحد منهما ضِدُّ صاحبه ؛ فلا يصلح أن يكون مؤكداً له، ولو جوزنا ذلك لكنا قد صيرنا الشائع مخصصاً ، وهذا ليس بتأكيد ، بل هو ضد ماوضع له ؛ لأن التأكيد تقرير ، وهذا تغيير ، ولهذا المعنى امتنع أن يجوز وصف النكرة بالمعرفة أو المعرفة بالنكرة ؛ لأن كل واحد منهما ضد صاحبه ؛ لأن النكرة شائعة ، والمعرفة مخصوصة ، والصفة فى المعنى هى الموصوف ، ويستحيل أن يكون الشىء الواحد شائعا مخصوصا فى حال واحدة ؛ فكذلك هاهنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما استشهدوا به من الأبيات فلا [١٨٨] حجة فيه : أما قول الشاعر :

* ياليْتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كلِّهِ رَجَبُ * [٢٨٤]

فنقول الرواية الصحيحة :

* ياليْتَ عِدَّةَ حَوْلِي كُلِّهِ رَجَبُ * [٢٨٤]

بالإضافة ، وهو معرفة لانكرة ، وأما قول الآخر :

* يوماً جــــديداً كله مطرداً * [٢٨٥]

فلاحجة فيه ؛ لأنه يحتمل أن يكون توكيداً للمضمر فى جديد ، والمضمرات لاتكون إلا معارف ، وكان هذا أولى به ؛ لأنه أقرب إليه من « يوم » فعلى هذا يكون الإنشاد بالرفع ، وأما قول الآخر :

* قــــد صَرَّتِ البكرة يوماً أجمعا * [٢٨٧]

فنقول : هذا البيت مجهول لايعرف قائله ؛ فلا يجوز الاحتجاج به .

ثم لو قدرنا أن هذه الأبيات التى ذكروها كلها صحيحة عن العرب ، وأن الرواية[1] ماادعوه لَمَا كان فيها حجة، وذلك لشذوذها وقلتها فى بابها ؛ إذ لو طَرَدْنا القياسَ فى كل ماجاء شاذاً مخالفاً للأصول والقياس وجعلناه أصلا لكان ذلك يؤدى إلى أن تختلط الأصول بغيرها ، وأن يُجْعَل ماليس بأصل أصلا ، وذلك يفسد الصناعة بأسرها ، وذلك لايجوز . على أن هذه المواضع كلها محمولة على البدل ، لا على التأكيد .

وأما قولهم « إن اليوم مؤقت فيجوز أن يقْعُدَ بعضَه والليلة مؤقتة فيجوز أن يقوم بعضها ، فإذا أكدت صح معنى التوكيد » قلنا : هذا لايستقيم؛ فإن اليوم وإن كان مؤقتاً إلا أنه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ، وتأكيد الشائع المنكور بالمعرفة لايجوز كالصفة ؛ ولأن تأكيد مالا يعرف لافائدة فيه على مابينا ، والله أعلم .

[١٨٩] ٦٤ — مسألة

[هل يجوز أن تجىء واو العطف زائدة ؟][2]

ذهب الكوفيون إلى الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة ، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم بن بَرْهَان من البصريين .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الواو يجوز أن تقع زائدة أنه قد جاء ذلك كثيراً فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (حَتَّى إذَا

(١) فى ر « فإن الرواية » ولا يصح المعنى على الفاء .

(٢) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب (ص ٣٦٢) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٤٨) وشرح رضى الدين على الكافية (٢/٣٤٢)

جَاءوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) فالواوُ زائدةٌ لأن التقدير فيه : فتحت أبوابها ؛ لأنه جواب لقوله: (حتَّى إذَا جَاءوهَا) كما قال تعالى فى صفة سَوْق أهل النار إليها:(حتَّى إذَا جَاءوهَا فُتِحَتْ أَبْوابُهَا) ولا فرق بين الآيتين ، وقال تعالى : (حتَّى إذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ) فالواو زائدة ؛ لأن التقدير فيه : اقترب ؛ لأنه جواب لقوله تعالى : (حتَّى إذَا فُتِحَتْ) وقال تعالى : (إذَا السَّماء انْشَقَّتْ وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ و إذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وأَلْقَتْ مَا فِيهَا وتَخَلَّتْ وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ) والتقدير فيه : أذنت ؛ لأنه جواب « إذا » والشواهدُ على هذا النحو من التنزيل كثيرة . وقال الشاعر :

٢٨٨ — فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى
بِنَا بَطْنُ حِقْفٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

---

٢٨٨ — هذا البيت من معلقة امرىء القيس بن حجر الكندى المشهور ، وهو من شواهد الرضى فى باب حروف العطف من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٤١٣) وأجزنا : أى قطعنا ، تقول : جزنا نجوز ــ من مثال قلنا نقول ــ وأجزنا ، كلاهما بمعنى واحد ، وقال الأصمعى : أجزنا قطعنا ، وجزنا سرنا فيه وخلفناه وراءنا ، والساحة : فناء الدار ، وهى أيضا الباحة ، والفجوة ، والقروة ، والنالة ، ويقال : هى الرحبة كالعرصة ، وانتحى : اعترض ، والخبت : بطن من الأرض غامض، ويروى« بطن حقف » كما رواه المؤلف ، والحقف ــ بالكسر ــ ما اعوج وتثنى من الرمل ، والقفاف : جمع قف ــ بالضم ــ وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلا، والعقنقل ــ بوزن سفرجل ــ المنعقد الداخل بعضه فى بعض ، واعلم قبل كل شيء أن من الرواة من يروى البيت الذى بعد هذا البيت المستشهد به هكذا :

هصرت بفودى رأسها فتمايلت ... على هضيم الكشح ريا المخلخل

وهذه رواية الخطيب التبريزى ، وعلى ذلك يكون جواب « لما » الواقعة فى أول البيت المستشهد به هو قوله « هصرت ــ إلخ » عند الفريقين ، ولا يكون فى البيت شاهد لما جاء به المؤلف من أجله ، ومن الرواة من يروى البيت الذى عقب البيت المستشهد به هكذا : =

والتقديرِ فيه : انْتَحَى ، والواوُ زائدةٌ ؛ لأنه جواب « لمـا » وقال الآخر :

٢٨٩ — حتَّى إذَا قَمِلَتْ بُطُونُـكُمُ ورَأَيْتُمُ أبْنَاءَكُمْ شَبُّوا
وقَلَبْتُمُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ لَنَا إنَّ اللَّئِيمَ الْعَاجِزُ الْخَبُّ

= إذا قلت هاتى نولينى تمايلت على هضيم الكشح ريا المخلخل

وهذه الرواية هى التى دار حولها جدال الكوفيين والبصريين ، وكلا الفريقين يسلم أنه لابد لما التى فى أول بيت الشاهد من جواب ؛ أما الكوفيون فيقولون : جواب لما فى البيت نفسه وهو قوله « انتحى بنا بطن خبت » وكأنه قد قال : لما قطعنا ساحة الحى وفارقناها اعترض لنا بطن خبت ؛ والواو فى قوله وانتحى بنا — إلخ زائدة، وأما البصريون فيقولون : الجواب محذوف ، وكأنه قد قال : لما قطعنا ساحة الحى وفارقناها أمنا من ترصد الوشاة ، أو نلنا ما كنا تمنيناه ، أو نحو ذلك . قال الخطيب التبريزى : « وذكر بعضهم أن جواب لما قوله انتحى بنا ، والواو مقحمة ، ويجوز أن تكون الواو غير مقحمة ويكون الجواب محذوفا ، ويكون التقدير : فلما أجزنا ساحة الحى أمنا، وعلى هذا يكون رواية البيت بعده : إذا قلت هاتى . . . البيت » اهـ .

٢٨٩ — أنشد ابن منظور هذين البيتين (ق م ل) وأنشدهما ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٤٩) ولم يعزها واحد منهما ، وأنشدهما البغدادى فى الخزانة (٤/٤١٤) نقلا عن الفراء فى تفسير قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه) من سورة يوسف ، ومعنى « قملت بطونكم » شبعت وضخمت ، وفسره ابن منظور بقوله عن التهذيب « وقملت بطونكم : كثرت قبائلكم ، بهذا فسره لنا أبو العالية » اهـ ووقع عند ابن يعيش « حتى إذا شبعت بطونكم » ومحل الاستشهاد فى البيت قوله «وقلبتم ظهر المجن لنا » فإن هذه الجملة جواب لما فى البيت الأول عند الكوفيين ، وعلى هذا تكون الواو زائدة ، قال الفراء : « قوله تعالى (جعل السقاية فى رحل أخيه) جواب (لما جهزهم) وربما أدخلت فى مثلها الواو وهى جواب على حالها ، كقوله فى أول السورة (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه) والمعنى — والله أعلم — أوحينا إليه ، وهى فى قراءة عبدالله (فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية) ومثله فى الكلام : لما أتانى وأثب عليه ، كأنه قال : وثبت عليه ، وقد جاء فى الشعر ذلك ، قال امرؤ القيس :

* فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * البيت =

والتقدير فيه : قلبتم ، والواو زائدة . والشواهد على هذا النحو من أشعارهم أكثر من أن تحصى .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الواو فى الأصل حرف وُضِعَ لمعنًى ؛ فلا يجوز أن يحكم بزيادته مهما أمكن أن يُجْرَى على أصله ، وقد أمكن هاهنا ، وجميع ما استشهدوا به على الزيادة يمكن أن يُحْمل فيه على أصله [١٩٠] وسنبين ذلك فى الجواب عن كلماتهم .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءوهَا وفتحت أبوابها) فنقول: هذه الآية لا حجة لكم فيها ؛ لأن الواو فى قوله : (وفتحت أبوابها) عاطفة وليست زائدة ، وأما جواب (إذا) فمحذوف ، والتقدير فيه : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فَازُوا ونَعِمُوا ، وكذلك قوله تعالى : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب) الواو فيه عاطفة ، وليست زائدة ، والجواب محذوف ، والتقدير فيه : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قالوا ياويلنا ، فحذف القول ، وقيل : جوابها (فإذا هى شاخصة) ، وكذلك قول الله تعالى (إذا السماء انشقت، وأذنت لربها وحقت، وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت) الواو فيه عاطفة ،

=وقال الآخر ، وأنشد البيتين ، أراد قلبتم » اهـ . وقال ابن يعيش :«وأما أصحابنا فلا يرون زيادة هذه الواو ، ويتأولون جميع ما ذكر وما كان مثله بأن أجوبتها محذوفة لمكان العلم بها ، والمراد فى قوله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أدرك ثوابنا ونال المنزلة الرفيعة لدينا ، وكذلك (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) تقديره : صادفوا الثواب الذى وعدوه ، ونحوه ، وكذلك قول الشاعر : حتى إذا امتلأت بطونكم وكان كذا وكذا تحقق منكم الغدر ، واستحققتم اللوم ، ونحو ذلك مما يصلح أن يكون جوابا » اهـ .

وليست زائدة، والجواب محذوف، والتقدير فيه: إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت مافيها وتخلَّتْ وأذنت لربها وحقت يرى الإنسان الثواب والعقاب، ويدل على هذا التقدير قوله تعالى (يا أيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربك كَدْحاً) أى ساع إليه فى عملك، والكَدْحُ: عمل الإنسان من الخير والشر الذى يُجَازَى عليه بالثواب والعقاب.

وأما قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى
بِنَا بَطْنُ حِقْفٍ ذى قِفافٍ عقنقل [٢٨٨]

فالواو فيه أيضاً عاطفة، وليست زائدة، والجواب مقدر، والتقدير فيه: فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن حقف ذى قفاف عقنقل خَلَوْنَا ونعمنا، وكذلك أيضاً قول الآخر:

حتى إذا قَمِلَتْ بطونكم ورأيتم أبناءكم شَبُّوا [٢٨٩]
وقلبتم ظهر المجنِّ لنا إن اللئيم العاجِزُ الخَبُّ

الواو فيه عاطفة، وليست زائدة، والتقدير فيه: حتى إذا قَمِلَتْ بطونكم ورأيتم أبناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا بان غدركم ولُؤْمُكم.

وإنما حذف الجواب فى هذه المواضع للعلم به؛ تَوَخِّياً للايجاز والاختصار.

وقد جاء حذف الجواب [١٩١] فى كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيراً، قال الله تعالى (ولو أن قرآناً سيرت به الجبالُ أو قطعت به الأرضُ أو كلم به الموتى، بل لله الأمر جميعاً) فحذف جواب «لو» ولا بد لها من الجواب، والتقدير فيه: ولو أن قرآناً سُيِّرَت به الجبال أو قطعت به الأرض لكان هذا القرآن، فحذفه للعلم به تَوَخِّياً للايجاز والاختصار، وقال تعالى: (ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتهُ وأن الله رؤفٌ رحيمٌ) فحذف جواب «لولا» والتقدير فيه: ولولا فضل الله عليكم

ورحمته لَفَضَحكم بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجَلَكم بالعقوبة ؛ وقال عَبْدُ مَنَافِ ابن رِبْعٍ الهُذَليُّ :

٢٩٠ — حَتَّى إذَا أَسْلَكُوهُمْ فى قُتَائِدَةٍ   شَلاًّ كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا

ولم يأت بالجواب ؛ لأن هذا البيت آخر القصيدة ؛ والتقدير فيه : حتى إذا أسلكوهم فى قُتَائدة شَلُّوا شَلاًّ ، فحذف للعلم به تَوَخِّياً للإيجاز والاختصار على ما بينا ثم حَذْفُ الجواب أَبْلَغُ فى المعنى من إظهاره ، ألا ترى أنك لو قلت لعبدك « والله لئن قمتُ إلَيْكَ » وسكتَّ عن الجواب ذَهَبَ فِكْرُهُ إلى أنواع من العقوبة والمكروه من القتل والقطع والضرب والكسر ، فإذا تمثلَتْ فى فكره أنواعُ العقوبات وتكاثرت عظمت الحال فى نفسه ولم يعلم أيها يتقى ؛ فكان أبلغَ فى رَدْعه وزَجْرِهِ عما يُكرَه منه ، ولو قلت « والله لئن قمت إليك لأضربنكَ »

---

٢٩٠ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ق ت د — س ل ك) وأنشده ياقوت فى معجم البلدان (قتائدة) ونسبه ابن منظور فى الوضعين لعبد مناف بن ربع الهذلى ، وتقول : سلك فلان الطريق ، وسلك المكان يسلكه — من مثال نصره ينصره — سلكا ، وسلوكا ، وسلك فلان فلانا الطريق ، وسلكه إياه ، وأسلكه فيه ، وأسلكه عليه ، كل ذلك يقال وقال ساعدة بن العجلان :

وهم منعوا الطريق وأسلكوهم   على شماء مهواها بعيد

وقال عدى بن زيد العبادى :

وكنت لزاز خصمك لم أعرد   وهم سلكوك فى أمر عصيب

وقتائدة — بضم القاف وبعد الألف همزة — اسم مكان بعينه ، وقيل : اسم جبل معين وقيل : هى ثنية مشهورة ، وأراد : حتى إذا أسلكوهم فى طريق فى قتائدة ، وقوله « شلا » معناه الطرد ، تقول : شله يشله شلا — من مثال مده يمده مدا — وشل العير أتنه والسائق إبله : طردها ، فانشلت ، والشرد : جمع شرود — من وزان صبور وصبر — وهى الإبل النافرة . والاستشهاد بهذا البيت لأن فيه حذف جواب إذا للعلم به ولقيام الدليل عليه ، فكأنه قال : حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلوهم وطردوهم شلا وطردا مثل طرد الجمالة شوارد إبلهم .

وأظهرت الجواب لم يذهب فكرُهُ إلى نوع من المكروه سوى الضرب ؛ فكان ذلك دون حذف الجواب فى نفسه ؛ لأنه قد وَطَّنَ له نفسَه فيسهل ذلك عليه .

قال كثير :

٢٩١ — وَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزَّ كلُّ مُلِمَّةٍ إذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

وكذلك الحال فى الإحسان ، نحو « والله لئن زرتنى » : إذا حذفت الجواب تصورت له أنواع الإحسان إليه من إكرامه والإنعام عليه ؛ فكان ذلك أَبْلَغَ فى استدعائه إلى الزيارة وإسراعه إليها ، ولو قلت « والله لئن زرتنى لأعطينك درهماً » لم يذهب فكره إلى غير الدرهم قط(١) ؛ فكان ذلك دون حذف الجواب فى نفسه ؛ لأنه ربما يكون مستغنياً عنه غير راغب فيه ؛ فلا يدعوه ذلك إلى الزيارة ، [١٩٢] وإذا حذفت الجواب تصورت له أنواع الإحسان إليه ؛ فكان ذلك أدعى له إلى الزيارة ، كما كان الأول أدعى إلى الترك ، على ما بينا ، والله أعلم .

---

٢٩١ — هذا البيت لكثير عزة ، وقد أنشده ابن منظور (و ط ن) وعزاه إليه ، وعنده « كل مصيبة » والملمة : أصله اسم الفاعل المؤنث من قولهم « ألم بفلان أمر » أى نزل به ، ثم استعملوه فى النازلة من نوازل الدهر ، وقوله « وطنت » هو بالبناء للمجهول مشدد الطاء مكسورة — من قولهم « وطن فلان نفسه على الأمر ، ووطن نفسه للشىء » إذا حملها عليه فتحملته ، وهو شبه التمهيد لقبولها ذلك الشىء ، وذلت : انقادت وخضعت واحتملت ما حملها ، والاستشهاد بالبيت فى معناه ، وهو أن كل شىء يعرض للانسان إذا مهد نفسه لقبوله قبلته نفسه ورضيت به وصبرت عليه وإن كان مما يشق عليها احتماله . وشبه المؤلف جواب الشرط بهذا الأمر ، فإن كان مذكورا فى الكلام كأن تقول « إن تلعب أضربك » وطن السامع نفسه على قبوله وراضها على أن تخضع له ؛ فمتى وقع لم يكن شيئا غريبا على نفسه ، وإن لم يذكر فى الكلام كأن تقول « من يفعل كذا » وتقف عند ذلك ، فإن السامع يتخيل كل ضرب من أضرب الثواب أو العقوبة المترتبة على فعله ، فإذا وقع شىء منها كان جديدا على نفسه ؛ لأنه لم يقدره بذاته ، وهذا واضح إن شاء الله تعالى .

(١) فى ر « فقط » وليس بذاك .

٦٥ — مسألة

[هل يجوز العطف على الضمير المخفوض ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المخفوض ، وذلك نحو قولك « مَرَرْتُ بكَ وزيدٍ » .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز أنه قد جاء ذلك فى التنزيل وكلام العرب ، قال الله تعالى : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحَامِ) بالخفض وهى قراءة أحد القراء السبعة — وهو حمزة الزيات — وقراءة إبراهيم النخعى وقتادة ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش ، ورواية الأصفهانى والحلبى عن عبد الوارث ، وقال تعالى : (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم) فما : فى موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض فى (فيهن) وقال تعالى : (لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) فالمقيمين : فى موضع خفض بالعطف على الكاف فى (إليك) والتقدير فيه : يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة يعنى من الأنبياء عليهم السلام ، ويجوز أيضاً أن يكون عطفاً على الكاف فى (قبلك) والتقدير فيه : ومن قبل المقيمين الصلاة ، يعنى من أمتك ، وقال تعالى: (وصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فعطف (المسجد الحرام)

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرحنا على شرح الأشمونى (٤/٥٣٥) وحاشية الصبان (٣ / ٩٩) وتصريح الشيخ خالد (٢ / ١٩٠) وقد رجح ابن مالك فى هذه المسألة مذهب الكوفيين ، وشرح الرضى على الكافية (١ / ٢٩٥) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٣٩٩) .

على الهاء من (به) وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) فمن : فى موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض فى (لكم) فدل على جوازه ، وقال الشاعر :

٢٩٢ — فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ

فالأيام : خفض بالعطف على الكاف فى « بك » والتقدير : بك وبالأيام ، وقال الآخر :

أَكُرُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لا أُبَالِى أَفِيهَا كَانَ حَتْفِى أَمْ سِوَاهَا [١٨١]

[١٩٣] فعطف « سواها » بأم على الضمير فى « فيها » والتقدير : أم فى سواها .

٢٩٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٣٩٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٣٩٩) ورضى الدين فى باب العطف من شرح الكافية (١ / ٢٩٦) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢ / ٣٣٨) والأشمونى (رقم ٨٤٩) وابن عقيل (رقم ٢٩٨) وكامل المبرد (٢ / ٣٩) ولم ينسبه واحد من هؤلاء إلى قائل معين ، بل قال البغدادى « والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل » اهـ ، وقوله « قربت » معناه أخذت وشرعت . ومعنى البيت : إن هجاءك الناس وشتمهم لمن عجائب الدهر ، وقد كثرت هذه الأعمال منك حتى صارت لا يتعجب منها . والاستشهاد بالبيت فى قوله «فما بك والأيام» حيث عطف قوله « الأيامْ » بالواو على الضمير المتصل المجرور محلا بالباء فى قوله « بك» من غير أن يعيد مع المعطوف العامل فى المعطوف عليه ، وذلك فى نظر البصريين ضرورة من الضرورات التى تقع فى الشعر ، قال ابن السراج : « وأما الضمير المخفوض فلا يجوز أن يعطف الظاهر عليه ، لا يجوز أن تقول : مررت بك وزيد ؛ لأن المجرور ليس له اسم منفصل فيتقدم بأن يقع معطوفا عليه أحيانا ويتأخر بأن يقع معطوفا أحيانا أخرى ، كما للمنصوب ، وكل اسم معطوف عليه فهو بحيث يجوز أن يؤخر فيصير معطوفا ويقدم الاسم الآخر المعطوف بحيث يصير معطوفا عليه ، فلما خالف الضمير المجرور سائر الأسماء من هذه الجهة لم يجز أن يعطف عليه ، وقد حكى أنه جاء فى الشعر » اهـ ، وبمثل هذا التعليل علل ابن يعيش فى شرح المفصل ، وذكره المؤلف هنا ، وقد وافق الكوفيين فى هذه المسألة وحكم بجواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة العامل فى المعطوف عليه مع المعطوف : يونس ابن حبيب شيخ سيبويه ، والأخفش ، وقطرب ، والشلوبين ، وابن مالك .

وقال الآخر :

٢٩٣ — تُعَلَّقُ فى مِثْلِ السَّوَارِى سُيُوفُنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

فالكعب : مخفوض بالعطف على الضمير المخفوض فى « بينها» والتقدير : ومابينها وبين الكعب غوط نفانف ، يعنى أن قومه طوال ، وأن السيف على الرجل

---

٢٩٣ — استشهد بهذا البيت ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٠٠) والأشمونى (رقم ٨٥١) وابن الناظم فى شرح ألفية والده ابن مالك ، وشرحه العينى (٤/١٦٤ بهامش الخزانة) وقال : « وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان : هو لمسكين الدارمى » . والسوارى : جمع سارية ، وهى الأسطوانة (العمود) شبه أنفسهم بالسوارى لطول أجسامهم ، والطول مما تتمدح به العرب ، قال الشاعر :

تبين لى أن القماءة ذلة وأن أعزاء الرجال طوالها

والنحاة يروونه « طيالها » . والكعب : يروى فى مكانه « والأرض » والغوط — بضم الغين — جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض ، ونفانف : جمع نفنف — بوزن جعفر ، وهو الهواء بين الشيئين ، وكل شىء بينه وبين الأرض مهوى فهو نفنف،ويدل لهذا أنه يروى « فما بينها والأرض مهوى نفانف » وقال ذو الرمة :

ترى قرطها من حرة الليت مشرفا على هلك فى نفنف يتطوح

وفسر الأصمعى النفنف بالمهواة بين الجبلين . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « فما بينها والكعب » حيث عطف الكعب بالواو على الضمير المتصل المخفوض بإضافة الظرف — وهو قوله بين — إليه ، من غير أن يعيد العامل فى المعطوف عليه مع المعطوف ، وهو يدل للكوفيين الذين أجازوا ذلك ، ولم يقصروه على حال الضرورة .

ونظير ذلك ما أنشده ابن الناظم نقلا عن الأخفش :

بنا أبدا لا غيرنا تدرك المنى وتكشف غماء الخطوب الفوادح

فقد عطف « غيرنا » بلا على الضمير المتصل المجرور محلا بالباء فى قوله « بنا » من غير أن يعيد العامل فى المعطوف عليه مع المعطوف ، ونظير ذلك أيضا ما أنشده ابن الناظم:

إذا أوقدوا نارا لحرب عدوهم فقد خاب من يصلى بها وسعيرها

فقد عطف قوله « سعيرها » بالواو على الضمير المجرور محلا بالباء فى قوله « بها » من غير أن يعيد العامل فى المعطوف عليه مع المعطوف .

منهم كأنه على سارية من طوله ، و بين السيف وكعب الرجل منهم غائط - وهو المكان المطمئن من الأرض - ونفانف : واسعة ، أى بين السيف والكعب مسافة؛ فعطف « الكعب[1] » على الضمير المخفوض فى « بينها » وقال الآخر :

٢٩٤ - هَلاَّ سَأَلْتَ بِذِى الْجَمَاجِمِ عَنْهُمُ وَأَبِى نُعَيْمٍ ذِى اللِّوَاء الْمُحْرِقِ

فأبى نعيم : خفض بالعطف على الضمير المخفوض فى « عنهمُ » ؛ فهذه كلها شواهد ظاهرة تدل على جوازه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ، وذلك لأن الجار مع المجرور بمنزلة شىء واحد ، فإذا عطفت على الضمير المجرور - والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار ، ولم ينفصل منه ، ولهذا لا يكون إلا متصلا ، بخلاف ضمير المرفوع والمنصوب - فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف الجار ، وعَطْفُ الاسم على الحرف لا يجوز .

---

(١) فى ر « فعطف بالكعب » ولا يصح .

٢٩٤ - ذو جماجم : أصله بضم أوله ، وقد يقال بفتحه، قال ياقوت«جماجم بالضم ، وهو من أبنية التكثير والمبالغة ، وذو جماجم : من مياه العمق ، على مسيرة يوم منه ، وقد يقال فيه بالفتح أيضاً » ا هـ . وقال ابن منظور « والجماجم : موضع بين الدهناء ومتالع فى ديار تميم ، ويوم الجماجم : من وقائع العرب فى الإسلام ، معروف » وأقول : المعروف وقعة دير الجماجم ، وكانت بين الحجاج بن يوسف الثقفى وابن الأشعث بالعراق، قيل : سمى بذلك لأنه بنى من جماجم القتلى لكثرة من قتل به ، وقيل سمى بذلك لأن الأقداح التى تصنع من الخشب كانت تصنع به ، والقدح يسمى جمجمة إذا كان من خشب وجمعه جماجم . ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « عنهم وأبى نعيم » حيث عطف قوله « أبى نعيم » بالواو على الضمير المتصل المجرور محلا بعن ، من غير أن يعيد العامل فى المعطوف عليه - وهو حرف الجر الذى هو عن - مع المعطوف ، وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا ذلك لأن الضمير قد صار عوضاً عن التنوين ؛ فينبغي أن لا يجوز العطف عليه ، كما لا يجوز العطف على التنوين ، والدليل على استوائهما أنهم يقولون « يا غلامِ » فيحذفون الياء كما يحذفون التنوين وإنما اشتبها لأنهما على حرف واحد ، وأنهما يكملان الاسم ، وأنهما لا يُفْصَل بينهما و بينه بالظرف ؛ وليس كذلك الاسم المظهر .

ومنهم من تمسك بأن قال : أجمعنا على أنه لا يجوز عطف المضمر المجرور على المظهر المجرور ؛ فلا يجوز أن يقال «مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَكَ » فكذلك ينبغي أن لا يجوز عطف المظهر المجرور على المضمر المجرور ، فلا يقال « مَرَرْتُ بِكَ وَزَيْدٍ » لأن الأسماء مشتركة فى العطف ، فكما لا يجوز أن يكون معطوفاً فلا يجوز أن يكون معطوفاً عليه .

والاعتماد من هذه الأدلة على الأول .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (واتقوا الله [١٩٤] الذى تساءلون به والأرحام) فلا حجة لهم فيه من وجهين ؛ أحدهما : أن قوله (والأرحام) ليس مجروراً بالعطف على الضمير المجرور ، و إنما هو مجرور بالقسم ، وجوابُ القسم قولُهُ : (إن الله كان عليكم رقيباً) ، والوجه الثانى : أن قوله (والأرحام) مجرور بباء مقدرة غير الملفوظ بها ، وتقديره : و بالأرحام ، فحذفت لدلالة الأولى عليها ، وله شواهد كثيرة فى كلامهم سنذكر طرفاً منها مُسْتَوْفًى فى آخر المسألة إن شاء الله تعالى .

وأما قوله تعالى : (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) فلا حجة لهم فيه أيضاً من وجهين :

أحدها : أنا لا نسلم أنه فى موضع جر ، و إنما هو فى موضع رفع بالعطف على (الله) والتقدير فيه : الله يفتيكم فيهن و يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم ، وهو القرآن ، وهو أوْجَهُ الوجهين .

والثانى : أنا نسلم أنه فى موضع جر ، ولـكن بالعطف على (النساء) من قوله (يستفتونك فى النساء) لا على الضمير المجرور فى (فيهنَّ) .

وأما قوله تعالى : (لـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِـلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ) فلا حجة لهم فيه أيضاً من وجهين :

أحدهما : أنا لا نسلم أنه فى موضع جر ، وإنما هو فى موضع نصب على المدح بتقدير فعل ، وتقديره : أعنى المقيمين ، وذلك لأن العرب تنصب على المدح عند تكرر العطف والوصف ، وقد يستأنف فيرفع ، قال الله تعالى : (وَآتَى الْمَـالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وآتى الزَّكَاة والْموفونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) فرفع (الموفون) على الاستئناف ، فـكأنه قال : وهم الموفون ، ونصب (الصابرين) على المدح ، فـكأنه قال : أذكر الصابرين ، ثم قالت الخرنق امرأة من العرب :

٢٩٥ — لاَ يَبْعَدَنْ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْـتَرَكٍ وَالطَّيِّبِـينَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ

---

٢٩٥ — هذان البيتان من كلام الخرنق ، وهى أخت طرفة بن العبد البـكرى لأمه من كلة ترثى فيها زوجها عمرو بن مرثد وابنها علقمة بن عمرو وأخويه حسان وشرحبيلا ، وهما من شواهد سيبويه (١٠٤/١ و٢٤٦ و٢٤٩) ورضى الدين فى باب النعت من شرح الـكافية ، وشرحهما البغدادى فى الخزانة (٣٠١/٢) والأشمونى (رقم ٧٨٧) وأوضح المسالك لابن هشام (رقم ٣٩٦) وشرحهما العينى (٦٠٢/٣ و ٧٢/٤ بهامش الخزانة) والمعترك : اسم مكان الازدحام فى الحرب ، ويقال « فلان طيب معقد الإزار » إذا كان عفيفا لا يحله لفاحشة . وصفت قومها بالظهور والغلبة على العدو ، وبالـكرم ونحر الإبل للأضياف ، وبأنهم شجعان صيد وأبطال صناديد يلازمون الحرب ولا يفارقونها، وبأنهم أعفة عن الفواحش لايدنون منها ولا يقربونها، وجعلت =

فنصبت « الطيبين » على المدح ، فكأنها قالت : أعنى الطيبين ، ويروى أيضاً « والطيبون » بالرفع ، أى : وهم الطيبون ، وقال الشاعر :

٢٩٦— [١٩٥] إلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ
وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَمْ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تُغَمُّ الأُمُورُ
بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللُّجُمْ

= قومها سما لأعدائهم يأتى عليهم ويفتك بهم ولا يذر منهم أحدا ، وآفة للجزر — وهى الإبل — لأنهم يكثرون من نحرها . والاستشهاد بالبيتين فى هذا الموضع لأنها قطعت قولها « الطيبين » عن الموصوف — الذى هو قولها « قومى » — من الرفع إلى النصب بإضمار فعل ، وفى رواية سيبويه « النازلين » بالنصب أيضاً على القطع ، قال ابن هشام: « ويجوز رفع النازلين والطيبين على الإتباع لقومى ، أو على القطع بإضمار « هم » ونصبهما بإضمار أمدح أو أذكر ، ورفع الأول ونصب الثانى على ما ذكرنا ، وعكسه على القطع فيهما » اهـ .

٢٩٦ — أنشد جار الله الزمخشرى أول هذين البيتين فى الكشاف (١/١٥بولاق) عند تفسير قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) ولم ينسبه شراح شواهده ، وأنشده ابن هشام فى قطر الندى (رقم ١٣٧) وأنشده رضى الدين فى باب المبتدأ والخبر وفى باب النعت من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٢١٦بولاق) والقرم — بفتح القاف وسكون الراء — هو فى الأصل الجمل المكرم الذى أعد للضراب ، ثم أطلقوه على الرجل العظيم ، وأصل الليث السبع ، والكتيبة : الجماعة والفصيلة من الجيش ، وأراد بليث الكتيبة الشجاع الفاتك ، والمزدحم : أصله مكان الازدحام ، وأراد هنا مكان المعركة وموطن الحرب ، لأن الأبطال يتزاحمون فيه ، وتغم الأمور : أى تتغطى وتستعجم على أهل الرأى لكثرة إشكالها ، وذات الصليل وذات اللجم : معارك الحرب ، وأصل الصليل صوت السيوف ، واللجم : جمع لجام — بوزن كتاب وكتب — وهو العنان الذى يقود به الفارس فرسه . والاستشهاد به هنا فى قوله « وذا الرأى » حيث قطعه عما قبله إلى النصب بفعل محذوف تقديره أمدح أو أذكر أو أعنى ، وما أشبه ذلك ، على =

فنصب « ذا الرأى » على المدح ، فكذلك ها هنا ، وقال الآخر :

٢٩٧ — وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ مُرْشِدِهِمْ
إلاَّ نُمَيْراً أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا

الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْعِنُوا أَحَداً
وَالْقَائِلُونَ : لِمَنْ دَارٌ نُخَلِّيهَا

= نحو ما ذكرناه فى الشاهد السابق. والنحاة يستشهدون بهذا البيت لعطف بعض الصفات على بعض ، فإنك تراه قد عطف قوله « وابن الهمام » على القرم ، ثم عطف عليه « وليث الكتيبة » وذلك جائز لأن الموصوف بها واحد ، ونظير هذا البيت فى عطف بعض الصفات على بعض قول ابن زيابة :

يالهف زيابة للحارث الـ صابح فالغانم فالآيب

إلا أن العطف فى بيت ابن زيابة بالفاء التى تدل على الترتيب والتعقيب لأن الصفات التى ذكرها لا تحصل إلا مترتبة متعاقبة .

٢٩٧ — هذان البيتان من شواهد سيبويه (١/٢٤٩) ونسبهما لابن خياط العكلى ، وكذلك وقع فى شرح الأعلم الشنتمرى ، ووقع فى خزانة الأدب للبغدادى (٢/٣٠١ بولاق) « ابن حماط العكلى » ونمير : قبيلة من بنى عامر ، وغاويها : يراد به ههنا مغويها ، أى باعثها على الغى وحاملها عليه ومزينه لها، وعلى هذا يكون وزن فاعل ههنا للنسب ، ونظيره قولهم : هم ناصب ، إذا كانوا يريدون أنه منصب ومتعب ، ويجوز أن يراد الغاوى فى نفسه ، لأنه إذا أطيع فقد أغوى من أطاعه ، وقوله « الظاعنين ولما يظعنوا أحدا » يريد أنهم يظعنون عن ديارهم ويفارقونها خوفا من عدوهم أن يدهمهم فلا يقوون على دفعه ، وأنهم لا يستطيعون أن يحملوا أحدا على مفارقة داره ، فهم يخافون عدوهم لقلتهم ولذلهم وضعفهم ، ولا يخافهم عدوهم ، وقوله « والقائلون لمن دار نخليها » يريد أنهم إذا ارتحلوا عن دارهم وخلوها لم يعرفوا من يحلها من قبائل العرب ، لأنهم أضعف من كل قبيلة ، فكل قبيلة من قبائل العرب يجوز أن تحل دارهم. والاستشهاد ههنا بهذين البيتين فى قوله « والقائلون » حيث رفعه على القطع بإضمار مبتدأ ، والتقدير : هم الظاعنون، ويجوز أن يكون قوله « الظاعنين » تابعا لقوله « نميرا » ويجوز أن يكون =

فرفع « القائلون » على الاستئناف ؛ ولك أن ترفعهما جميعاً ، ولك أن تنصبهما جميعاً ، ولك أن تنصب الأول وترفع الثانى ، ولك أن ترفع الأول وتنصب الثانى ، لا خلاف فى ذلك بين النحويين .

والوجه الثانى : أنا نسلم[1] أنه فى موضع جر ، ولكن بالعطف على « ما » من قوله : (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) ، فكأنه قال : يؤمنون بما أنزلَ إليك وبالمقيمين ، على أنه قد روى عن عائشة عليها السلام أنها سئلت عن هذا الموضع ، فقالت : هذا خطأ من الكاتب، وروى عن بعض ولد عثمان أنه سئل عنه ، فقال : إن الكاتب لما كتب (وما أنزل من قبلك) قال : ما أكتب ؟ فقيل له : أكتب والمقيمين الصلاة ، يعنى أن المملّ أعمل قوله « اكْتُبْ » فى (المقيمين) على أن الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ما قبلها ، فكتبها على لفظ المملّ .

وأما قوله تعالى : (وَصَدٌّ عَنْ سبيلِ اللهِ وكُفْرٌ بهِ والمسجِدِ الحرام) ؛ فلا حجة لهم فيه ؛ لأن (المسجد الحرام) مجرور بالعطف على (سبيل الله) لا بالعطف على (به) والتقدير فيه : وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ؛ لأن إضافة الصد عنه

= مقطوعا بتقدير فعل، أى أذم الظاعنين، أو أهجو، أو نحو ذلك، وتجوز فى الوصفين جميع الوجوه التى ذكرها المؤلف : إتباعهما ، وقطعهما ، وإتباع الأول وقطع الثانى ، والذى لا يجوز هو أن تقطع ثم تتبع ، وذلك لأن الرجوع إلى الإتباع بعد أن انصرفت عنه قبيح ، إذ القطع يفيد أن شأن المذكورين معلوم مشهور لا يحتاج إلى وصف يبينه ، فإذا عدت إلى الإتباع بعد أن قطعت فكأنك نقضت ما أفدته أولا . وكل موضع جاز فيه القطع فإنه يجوز أن يكون قطعه بالنصب بتقدير فعل مدح أو ذم ويجوز قطعه بالرفع بتقدير مبتدأ ، سواء أكان المتبوع مرفوعا أم منصوبا أم مجرورا ، فاعرف ذلك وكن منه على ثبت .

(١) فى ر « أنا لا نسلم » وليس بصحيح .

أكثر فى الاستعمال من إضافة الكفر به، ألا ترى أنهم يقولون: «صددته عن المسجد»، ولا يكادون يقولون: «كفرت بالمسجد»؟.

وأما قوله تعالى: (وجعلنا لكم فيها معايش ومَنْ لستم له برازقين) فلا حجة لكم فيه؛ لأن (مَنْ) فى موضع نصب بالعطف على (معايِشَ) أى: جعلنا لكم فيها المعايش والعبيدَ والإماء.

وأما قول الشاعر:

* فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ * [٢٩٢]

فلا حجة فيه أيضاً؛ لأنه مجرور على القَسَمِ، لا بالعطف على الكاف فى «بِك».

[١٩٦] وأما قول الآخر:

* أَفِيهَا كَانَ حَتْفِى أَمْ سِوَاهَا * [١٨١]

فلا حجة فيه أيضاً؛ لأن «سواها» فى موضع نصبٍ على الظرف، وليس مجروراً على العطف؛ لأنها لاتقع إلا منصوبةً على الظرف، وقد ذكرنا ذلك فى موضعه(١).

وأما قول الآخر:

* وَمَا بَيْنَهَا وَالكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ * [٢٩٣]

فلا حجة فيه أيضاً؛ لأنه ليس مجروراً على ماذكروا، وإنما هو مجرور على تقدير تكرير «بين» مرة أخرى، فكأنه قال: وما بينها وبين الكعب، فحذف الثانية لدلالة الأولى عليها، كما تقول العرب: ما كل بيضاء شحمةً، ولا سوداء تمرة، يريدون «ولا كل سوداء» فيحذفون «كل» الثانية لدلالة الأولى عليها، وقال الشاعر:

(١) فى المسألة (رقم ٣٩) التى عقدها فى شأن «سوى» خاصة.

٢٩٨ — أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَـــبِينَ امْرَأً
وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْـــــلِ نَارَا

---

٢٩٨ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٣٣) والزمخشرى فى المفصل (رقم ١٠٧ بتحقيقنا) وابن يعيش فى شرحه (ص ٣٤٥) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٤٨٣) وفى أوضح المسالك (رقم ٣٥١) والأشمونى (رقم ٦٥٠) وابن عقيل (رقم ٢٣٨) وشرحه العينى (٣/٤٤٥ بهامش الخزانة) والبيت من كلام أبى دواد الإيادى ، واسمه جارية بن الحجاج ـ ويقال : حارثة ، ويقال : جريرة ، ويقال: جويرية ـ ومعنى البيت : هل تظنين كل رجل رجلا ؟ وهل تظنين كل نار توقد بالليل نارا ؟ والمراد : لا ينبغى لك أن تظنى كل من رأيت له صورة الرجال رجلا ، لأنه لا يستحق اسم الرجل على الحقيقة إلا من كانت له صفات سنية وأفعال كريمة ، ولا ينبغى لك أن تظنى كل نار توقد فى الليل نارا ؛ لأن النار التى تستحق إطلاق هذا الاسم عليها هى النار التى يوقدها أربابها لقرى الضيفان ولهداية السالكين فى ظلمات الليل . والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله « ونار » فإن هذه الواو عاطفة ، و « نار » يحتمل وجهين من الإعراب :

الأول: أن يكون مجرورا بتقدير مضاف يكون معطوفا على كل فى قوله « كل امرىء » وعلى هذا الوجه يكون الشاعر قد حذف المضاف وأبقى المضاف إليه على جره ، وأصل الكلام أتحسبين كل امرىء امرأ وكل نار نارا ، فكل امرىء: مفعول أول لتحسبين ، وامرأ: مفعوله الثانى ، وكل نار : معطوف على كل امرىء ، ونارا معطوف على امرأ ، فعطف على المفعول الأول مثله ، وعلى المفعول الثانى مثله ، فهو عطف اثنين على معمولين لعامل واحد وهو تحسبين ، وكل ما فيه أنه حذف المضاف وأبقى المضاف إليه على جره كما قلنا ، وهذا الوجه هو أقرب وجوه الإعراب فى هذه العبارة ونظائرها ، وهو الذى يعنيه المؤلف باستشهاده بهذا البيت فى هذا الموضع .

والوجه الثانى : أن تجعل الواو العاطفة قد عطفت جملة على جملة ، فتقدر فعلا كالفعل السابق فى الكلام ، وتقدر له مفعولا أول يكون مضافا إلى نار المجرور ، وتقدير الكلام على هذا الوجه : أتحسبين كل امرىء امرأ وتحسبين كل نار نارا ، فحذف الفعل وفاعله ومفعوله الأول ، وأبقى المضاف إليه والمفعول الثانى ، وهذا الوجه أقل قبولا من الوجه السابق ؛ لما فيه من كثرة المحذوفات .

أراد « وكل نار » فاستغنى عن تكرير « كل » وهذا كثير فى كلامهم ، وبهذا يبطل قولُ مَنْ توهَّم منكم أن ياء النسب فى قولهم : « رأيت التيميَّ تَيْمِ عَدِيٍّ » اسمٌ فى موضع خفض ؛ لأنه أبدل منها « تَيْمِ عدىٍّ » فخفضه على البدل ؛ لأن التقدير فيه : صاحب تيم عدى ، فحذف «صاحب» وجر ما بعده بالإضافة ؛ لأنه فى تقدير الثَّبَات ، وهذا هو الجواب عن قول الآخر :

* وَأَبِي نُعَيْمٍ ذِى اللِّوَاءِ الْمُحْرِقِ * [٢٩٤]

ثم لو حُمِلَ ما أنشدوه من الأبيات على ما ادعوه لكان من الشاذ الذى لا يقاس عليه ، والله أعلم .

٦٦ — مسألة

[العطف على الضمير المرفوع المتصل فى اختيار الكلام][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل فى اختيار الكلام ، نحو « قُمْتُ وَزَيْدٌ » .

= والذى لا يجوز أن تذهب إليه هو أن تجعل « نار » المجرور معطوفا على « امرىء » المجرور ، و « نارا » المنصوب معطوفا على « امرأ » المنصوب ، وذلك لأن هذا الوجه الذى نحذرك منه يستلزم عطف معمولين على معمولين لعاملين مختلفين ، ألست ترى « امرىء » المجرور معمولا لكل باعتباره مضافا إليه والمضاف يعمل فى المضاف إليه الجر ، و « امرأ » المنصوب معمولا لتحسبين باعتباره مفعولا ثانيا، والعطف على معمولى عاملين مختلفين مما لا يجيزه النحاة ، أما تقدير « كل » وهو الوجه الأول وتقدير الفعل وهو الوجه الثانى فكل واحد منهما يخلصك من هذا المحذور ، وإن كان أحدهما أفضل من الآخر ، فاعرف هذا، وكن منه على ثبت ، والله يرشدك ويبصرك.

(١) انظر فى هذه المسأله : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣ / ٩٩ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/١٩٠) وكتاب سيبويه (١/٣٨٩ — ٣٩٠) وشرح الرضى على الكافية (١/٢٩٤) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٣٩٧)

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلا على قبح فى ضرورة الشعر .

وأجمعوا على أنه إذا كان هناك توكيد أو فَصْلٌ [١٩٧] فإنه يجوز معه العطفُ من غير قبح .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل أنه قد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) فعطف (هو) على الضمير المرفوع المستكنّ فى (اسْتَوَى) والمعنى : فاستوى جبريلُ ومحمدٌ بالأفقِ ، وهو مَطْلِعُ الشمْس ؛ فدل على جوازه ، وقال الشاعر :

٢٩٩ — قُلْتُ إذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى كَنِعَاجِ الْمَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ

---

٢٩٩ — هذا البيت من كلام عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٣٩٠) والزمخشرى فى المفصل ، وابن يعيش فى شرحه (ص ٣٩٨) والأشمونى (رقم ٨٤٨) وابن عقيل (رقم ٢٩٧) وشرحه العينى (٤ / ١٦١ فى هامش الخزانة) وابن جنى فى الخصائص (٢ / ٣٨٦) وأبى العباس المبرد فى الكامل (١/١٨٩و٢/٣٩) وزهر — بضم الزاى وسكون الهاء — جمع زهراء ، وأراد النساء المشرقات اللون ، وتهادى: أصله تتهادى ، فحذف إحدى التاءين ، والنعاج : جمع نعجة ، والفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء الواسعة ، وأراد بنعاج الفلا الظباء ، وتعسفن : سرن سيرا شديدا ليس فيه تؤدة ولا رفق . والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله «أقبلت وزهر» حيث عطف قوله «وزهر» على الضمير المستتر فى قوله «أقبلت» من غير أن يؤكد الضمير المستتر بضمير منفصل ، وهذا جائز فى سعة الكلام عند الكوفيين ، وخصه سيبويه وجمهور البصريين بحالة الضرورة .

ونظيره مما لم ينشده المؤلف قول الراعى ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٣٩١) :

فلما لحقنا والجياد عشية دعوا يالكلب واعتزينا لعامر

فقد عطف قوله «الجياد» بالواو على الضمير المرفوع المتصل فى قوله «لحقنا» ولو أنه جرى على ما التزمه البصريون لقال : فلما لحقنا نحن والجياد ، وقد وقع هذا فى الكلام : من ذلك ما روى أن بعض العرب قال : مررت برجل سواء والعدم ، برفع العدم على أنه معطوف على ضمير مستتر فى سواء لأنه بمعنى مستو ، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضى =

فعطف « زُهْرٌ » على الضمير المرفوع فى « أَقْبَلَتْ » وقال الآخر :

٣٠٠ — وَرَجَا الأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ
مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِيَنَالاَ

= الله عنه : كنت وجارلى ، برفع جار على أنه معطوف على الضمير المتصل المرفوع فى « كنت » ومن ذلك قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : كنت وأبو بكر وعمر ، وهاتان العبارتان عبارة عمر وعبارة على قد رواهما البخارى فى صحيحه ، ولهذا ذهب ابن مالك فى شرح التسهيل إلى موافقة الكوفيين ، وإن كان قد رجح مذهب البصريين فى الألفية .

٣٠٠ — هذا البيت من كلام جرير بن عطية بن الخطفى ، يهجو الأخطل التغلبى ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٨٤٧) وأوضح المسالك (رقم ٤٢٥) وابن الناظم ، وشرحه العينى (٤/١٦٠ بهامش الخزانة) والأخيطل: تصغير الأخطل ، وأصله الوصف من الخطل . وهو الكلام الخارج عن حد الصواب والاعتدال ، وبذلك لقبوا غياث بن الغوث التغلبى الذى يهجوه جرير ، والسفاهة : ضعف الرأى . ومحل الاستشهاد فى البيت قوله «يكن وأب له» حيث عطف قوله « أب » بالواو على الضمير المرفوع المستتر فى «يكن» وهو يوافق رأى الكوفيين ، على ما بيناه لك فى شرح الشاهد السابق ، ولو أنه جاء بالكلام على ما التزمه البصريون لقال : مالم يكن هو وأب له . ومما جاء عن العرب مما فيه العطف بغير توكيد بالضمير المنفصل قول شاعر الحماسة ، وهو من شواهد الرضى ، وشرحه البغدادى (٢/٢٣٦) :

ولست بنازل إلا ألمت برحلى أو خيالتها الكذوب

فقد عطف بأو قوله « خيالتها » على الضمير المستتر فى قوله « ألمت» والبصريون يرون هذا البيت أخف من بيت جرير وبيت عمر بن أبى ربيعة وبيت الراعى ، والسر فى ذلك أن الكلام طال بسبب إتيانه بمتعلق للفعل وهو قوله « برحلى » فجعلوا طول الكلام نائبا مناب التوكيد ، وجعلوا من هذه البابة قول الله تعالى : (ما أشركنا ولا آباؤنا) فقد زعموا أن الكلام قد طال بذكر « لا » ولو أن ذكرها جاء بعد حرف العطف وهو الواو ، فلذلك ساغ ترك التوكيد بالضمير المنفصل ، وهو كلام لا يقضى العجب منه ، أن يجدوا فى كلام الله تعالى — وهو أفصح الكلام وأدقه رعاية للصحيح البالغ الغاية — دليلا يشهد لخصومهم فيتمحلون ويتعللون .

فعطف «وأبٌ» على الضمير المرفوع فى «يَكُنْ» ؛ فدلَّ على جوازه ، كالعطف على الضمير المنصوب المتصل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل وذلك لأنه لا يخلو : إما أن يكون مقدرا فى الفعل أو ملفوظاً به ؛ فإن كان مقدرا فيه نحو « قام وزيدٌ » فكأنه قد عَطَفَ اسما على فعل ، و إن كان ملفوظاً به نحو « قمت وزيدٌ » فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل ، فلو جوزنا العطفَ عليه لكان أيضاً بمنزلة عطف الاسم على الفعل ، وذلك لا يجوز .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) فالواو فيه واو الحال ، لا واو العطف ، والمراد به جبريل وحده ، والمعنى أن جبريل وحده استوى بالقوة فى حالة كونه بالأفق ، وقيل : فاستوى على صورته التى خُلِقَ عليها فى حالة كونه بالأفق ، و إنما كان قبل ذلك يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل .

وأما ما أنشدوه من قوله :

* قُلْتُ إذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى * [٢٩٩]

وقول الآخر :

* مَالَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِيَنَالاَ * [٣٠٠]

[١٩٨] فمن الشاذ الذى لا يؤخذ به ، ولا يُقَاس عليه ، على أنا نقول : إنما جاء ها هنا لضرورة الشعر ، والعطفُ على الضمير المرفوع المتصل فى ضرورة الشعر عندنا جائز ؛ فلا يكون لكم فيه حجة .

وتشبيههم له بالضمير المنصوب المتصل فلا وجه له بحال ؛ لأن الضمير المنصوب المتصل و إن كان فى اللفظ فى صورة الاتصال فهو فى النية فى تقدير الانفصال ،

بخلاف الضمير المرفوع المتصل ؛ لأنه فى اللفظ والتقدير بصفة الاتصال ، فَبَانَ الفرقُ بينهما ، وقد ذكرنا ذلك مُسْتَوْفًى فى كتابنا الموسوم بأسرار العربية[1] ، والله أعلم .

٦٧ — مسألة

[هل تأتى « أو » بمعنى الواو ، و بمعنى « بل » ؟][2]

ذهب الكوفيون إلى أن « أو » تكون بمعنى الواو ، و بمعنى بل .

وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو ، ولا بمعنى بل .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك كثيراً فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فقيل فى التفسير : إنها بمعنى بَلْ ، أى : بل يزيدون ، وقيل : إنها بمعنى الواو ، أى : ويزيدون ، ثم قال الشاعر :

٣٠١ — بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِى رَوْنَقِ الضُّحَى
وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِى الْعَيْنِ أَمْلَحُ

---

(١) لم أجد هذا الموضوع الأصيل فى أسرار العربية .

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٩٣) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/١٨٤) .

٣٠١ — بدت : أى ظهرت ، وقرن الشمس — بفتح القاف وسكون الراء المهملة — أولها عند طلوعها ، وقيل : هو أول شعاعها ، وقيل : ناحيتها ، ورونق الضحى : أوله ، يقال : « زرت فلانا رونق الضحى » أى فى أوله ، وقال الشاعر :

ألم تسمعى — أى عبد — فى رونق الضحى بكاء حمامات لهن هدير

وقالوا « رونق الشباب » وهم يريدون أوله وماءه . والاستشهاد به ههنا فى قوله « أو أنت أملح » فإن الكوفيين أنشدوا البيت مستدلين به على أن « أو » فى هذه العبارة بمعنى بل ، فكأن الشاعر بعد أن قال «بدت مثل قرن الشمس» رأى أنها أعلى من ذلك فأضرب عما قال أولا فقال : بل أنت أملح . قال ابن هشام فى مغنى اللبيب (ص ٦٤ =

أراد « بل » وقال تعالى : (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أى : وكفوراً ، ثم قال النابغة :

٣٠٢— قَالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هٰذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا ، أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

= بتحقيقنا) : «السادس —من معانى أو— الإضراب كبل ، فعن سيبويه إجازة ذلك بشرطين تقدم نفى أو نهى ، وإعادة العامل ، نحو ما قام زيد أو ما قام عمرو ، ولا يقم زيد أو لا يقم عمرو ، ونقله عنه ابن عصفور ، ويؤيده أنه قال فى قوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) : ولو قلت أولا تطع كفورا انقلب المعنى ، ويعنى أنه يصير إضرابا عن النهى الأول ونهيا عن الثانى فقط ، وقال الكوفيون وأبو على وأبو الفتح وابن برهان : تأتى للاضراب مطلقا ، احتجاجا بقول جرير :

ماذا ترى فى عيال قد برمت بهم لم أحص عـــدتهم إلا بعداد
كانوا ثمــانين ، أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قـد قتلت أولادى

وقراءة أبى السمال (أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم)بسكون واو أو»اه كلامه وقال البغدادى فى شرح شواهده : « على أن أو فيه بمعنى بل للاضراب الانتقالى ، وقيل : للشك ، كأن كثرتهم أوجبت الشك فى عدتهم ، ومن ثم احتاج فى عـدتهم إلى عداد ، وقال الكوفيون : أو هنا بمعنى الواو»اه كلامه . والحاصل أن الكوفيين يخرجون هذا البيت بأحد تخريجين : الأول أن أو بمعنى واو العطف التى لمطلق الجمع ، والمعنى عليه :كانوا ثمانين وزادوا ثمانية ، والثانى : أن أو بمعنى بل للاضراب الانتقالى ، والمعنى عليه : كانوا ثمانين بل زادوا على الثمانين ثمانية ، وقد ذكر هذا شراح الألفية منهم ابن عقيل (١٨١/١) والأشمونى (برقم ٨٤٧) ، والبصريون يخرجونه على أن أو فيه للشك ، وسيذكر المؤلف هذا التخريج قريبا .

٣٠٢ — هذا البيت من قصيدة النابغة الذبيانى المعلقة التى منها الشاهدان (١٠١ و ١٥٩) وهو من شواهد سيبويه (٢٨٢/١) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٩٣) وأنشده فيه ثلاث مرات (ص ٦٣ و ٢٨٦ و ٣٠٨ بتحقيقنا) ، وفى أوضح المسالك (رقم ١٣٨) وفى شذور الذهب (رقم ١٣٨) والأشمونى (رقم ٢٧١) ورضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢٩٧/٤) كما شرحه العينى (٢٥٤/٢ بهامش الخزانة) ومحل الاستشهاد بهذا البيت فى هذا الموضع قوله « أو نصفه » فإن الكوفيين ينشدونه شاهدا على أن «أو» بمعنى الواو الدالة على مطلق الجمع ، ويؤيد ماذهبوا إليه أمران =

أى : ونِصْفُه ، والشواهدُ على هذا النحو من كتاب الله تعالى وكلام العرب أَكْثَرُ من أن تُحْصَى .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الأصل فى « أو » أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام ، بخلاف الواو وبل ؛ لأن الواو معناها الجمع بين الشيئين ،

= الأول أنه يروى « ونصفه » بالواو ، وقد ذكرنا لك من قبل أنه إذا رويت عبارة بروايتين ووضعت فى إحداهما كلمة مكان كلمة فى الرواية الأخرى دل ذلك على أن الكلمتين بمعنى واحد ، والثانى أن فتاة الحى التى حكى النابغة عنها أنها قالت « ألا ليتما » إلى آخر البيت كانت قد تمنت هذا الحمام ونصفه منضما إلى حمامتها ، ويروون عنها أنها قالت :

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
ونصفه قديه تم الحمام ميه

ولا يتم الحمام مائة إلا إذا انضم الحمام إلى نصفه إلى حمامتها ، بدليل قول النابغة فى هذه القصة من أبيات القصيدة :

فحسبوه فألفوه كما ذكرت ستاوستين لم تنقص ولم تزد

ولو كانت « أو » على أصلها لم تصلح هذه الحسبة ، وتخريج المؤلف لهذا البيت على أن فى الكلام حذف المعطوف عليه وحرف العطف وأن تقدير الكلام : ليتما هذا الحمام لنا أو هو ونصفه — مع بقاء أو على معناها الأصلى — بعيد كل البعد ، فوق أنه لا مستند له من قواعد النحاة ، فإن الذى تعودوا أن يقولوه : إن المحذوف هو الحرف العاطف والمعطوف به ، كما فى الآية الكريمة التى تلاها (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) التقدير : فضرب فانفجرت ، فالمحذوف الذى قدره هو فاء العطف والفعل الذى تعطفه هذه الفاء على ما قبله ، فأما ما قدره فى البيت فهو معطوف على اسم مذكور بحرف مذكور وعاطف آخر لاسم مذكور على المعطوف المحذوف ، وهذا شىء عجيب أوقعه فيه التعصب للبصريين ، ولو سلمنا أن ذلك جائز لما صلح أيضا ؛ لأن مراد النابغة أن يصف هذه الفتاة بدقة النظر وسرعة الحساب فكيف يتفق ذلك مع شكها فيما تتمناه هذا ماظهر لى . والنحاة يستشهدون بهذا البيت أيضا على أن ليت إذا اتصلت بها ما الزائدة لم تخرجها عما استقر لها من الاختصاص بالجمل الاسمية ، وأن الأكثر فيها مع الاتصال بما إعمالها فى الاسم والخبر ، وهم يروون قوله « ألا ليتما هذا الحمام » بنصب الحمام على الإعمال ، وبرفعه على الإهمال .

وبل معناها الإضراب ، وكلاهما مخالف لمعنى أو ، والأصلُ فى كل حرف أن لا يدل إلا على ما وُضِعَ له ، ولا يدل على معنى حرف آخر ؛ فنحن تمسكنا [١٩٩] بالأصل ، ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ، ومن عدل عن الأصل بقى مُرْتَهَناً بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) فلا حجة لهم فيه ، وذلك من وجهين ؛ أحدهما : أن يكون للتخيير ، والمعنى أنهم إذا رآهم الرائى تخير فى أن يقدرهم مائة ألف ، أو يزيدون على ذلك ، والوجه الثانى : أن يكون بمعنى الشك ، والمعنى أن الرائى إذا رآهم شك فى عِدَّتهم لكثرتهم ، أى : أن حالهم حال من يُشَكُّ فى عِدَّتهم لكثرتهم ؛ فالشك يرجع إلى الرائى ، لا إلى الحق تعالى ، كما قال تعالى : (فما أصْبَرَهم على النار) بصيغة التعجب ، والتعجب يرجع إلى المخاطَبِين ، لا إلى الله تعالى ، أى : حالهم حال من يُتَعَجب منه ؛ لأن حقيقة التعجب فى حق الحق لا تتحقق ؛ لأن التعجب إنما يكون بحدوث علم بعد أن لم يكن ، ولهذا قيل فى معناه : التعجب ما ظهر حكمه وخفى سببه ، والحق تعالى عالم بما كان ، وبما يكون ، وبما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وكما أن التعجب يرجع إلى الخلق لا إلى الحق ، فكذلك ها هنا .

وأما احتجاجهم بقول الشاعر :

* . . . أَوْ أَنْتِ فِى الْعَيْنِ أَمْلَحُ * [٣٠١]

فالرواية فيه « أم أنت فى العين أملح » ولئن سلمنا أن الرواية « أو » فلا حجة لهم فيه أيضاً ؛ لأن « أو » فيه للشك ، وليست بمعنى بل ؛ لأن مذهب الشعراء أن يخرجوا الكلامَ مُخْرَجَ الشك وإن لم يكن هناك شك ؛ ليدلوا بذلك على قوة الشبه ، ويسمى فى صنعة الشعر « تجاهل العارف » كقول الشاعر :

٣٠٣— فَيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ ؟

وكقول الآخر :

٣٠٤ — بِاللهِ يَا ظَبَيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا : لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ ؟

وإن لم يكن هناك شكّ ولا شبهةٌ ، وإذا كانوا يُخْرِجُونَ الكلام مُخْرَجَ الشكّ وإن لم يكن هناك شك لم تخرج « أو » عن أصلها .

---

٣٠٣ — هذا البيت من كلام ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وهو من شواهد سيبويه (١٦٨/٢) وابن جنى فى الخصائص (٤٥٨/٢) والقزوينى فى الإيضاح (٣٧٩) ورضى الدين فى شرح الشافية (رقم ١٦٨) وشرحه البغدادى (ص ٣٤٧ بتحقيقنا) وأنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٣١٥) وانظر بعد ذلك أمالى أبى على القالى (٦١/٢) وكامل المبرد (بغية الآمل ١٨١/٦) وأمالى ابن الشجرى (٣٢١/١) ولسان العرب(ج ل ل) ومعجم ياقوت (جلاجل) والوعساء : رملة ، وجلاجل : قد ضبطها ابن منظور بفتح الجيم الأولى ، وقال ياقوت « جلاجل : بالضم وكسر الثانية ، ويروى بفتح الأولى ، ورأيته بخط أبى زكريا التبريزى بحاءين مهملتين الأولى مضمومة . . . جبل بالدهناء » ا هـ . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أأنت أم سالم » فإن ظاهر ماتدل عليه هذه العبارة أنه لا يعلم أيهما أجمل فاستفهم لتخبره ، ولكن الحقيقة أنه عارف أن أم سالم أجمل ، فتجاهل ليأخذ الإقرار بأن أم سالم أجمل ، وهذا نوع من البديع يسمى تجاهل العارف وقد عرفه السكاكى بأنه « سوق المعلوم مساق المجهول لنكتة » والنكتة ههنا هى إظهار تدلهه فى الحب وأنه لفرط عشقه لم يعد يعرف أظهر الأشياء وأقربها إليه .

٣٠٤ — هذا البيت من شواهد الإيضاح للقزوينى (ص ٣٧٩ بتحقيقنا) وأوضح المسالك لابن هشام (رقم ٥٣٩) وشرح الأشمونى (رقم ١٣١) وشرحه العينى(٤١٦/١ و ٥١٨/٤) وقد اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت ، فزعم قوم أنه لمجنون بنى عامر ، وكأنهم اغتروا بذكر اسم ليلى فيه ، وقد بحثت جميع ديوان المجنون فلم أجده فيه ، ونسبه قوم لذى الرمة ، ونسبه العينى للعرجى ، ونسبه العباسى لبعض الاعراب ولم يسمه (المعاهد ٤١٨) ونسبه القزوينى للحسين بن عبد الله الغزى ، ونسبه الباخرزى فى الدمية لبدوى سماه كاهلا الثقفى ، وانظر بعد ذلك كله الشاهد رقم (٧٨) الذى مضى فى المسألة =

وأما قول الله تعالى : [٢٠٠] (وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً) فلا حجة لهم فيه ؛ لأن « أو » فيها للإباحة ، أى : قد أبحتُكَ كُلَّ وَاحِدٍ منهما كيف شئت ، كما تقول فى الأمر « جَالِسِ الْحَسَنَ أو ابْنَ سِيرِينَ » أى : قد أبحتك مجالسة كل واحدٍ منهما كيف شئت ، والمنعُ بمنزلة الإباحة ، فكما أنه لا يمتنع من شىء أبحتَهُ له ، فكذلك لا يُقدِمِ على شىء نهيته عنه ، وأما قول الآخر :

* . . . . . أو نِصْفُهُ فَقَدِ * [٣٠٢]

فنقول : الرواية « وَنِصْفُهُ فَقَدِ » بالواو ؛ فلا يكون لكم فيه شاهد ، ولو سلمنا أن الرواية على ما رويتموه فنقول : « أو » فيه باقية على أصلها ، وهو أن يكون التقدير فيه : ليتما هذا الحمام أو هو وَنِصْفُه ، فحذف المعطوف عليه وحرف العطف ، كقوله تعالى : (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ) أى : فضرب فانفجرت ، وعلى هذا التقدير قولُ الشاعر :

٣٠٥ — * أَلاَ فَالْبَثَا شَهْرَيْنِ أَوْ نِصْفَ ثَالِثٍ *

= ١٥ ، والقاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والاستشهاد به ههنا فى قوله « ليلاى منكن أم ليلى من البشر » فإن ظاهر هذه العبارة أنه لا يعلم إن كانت ليلى من جنس الظباء أم من جنس الإنسان ، فاستفهم لتخبره ، والحقيقة أنه لا يجهل ذلك ، فتجاهل وهو عارف ، ويسمى علماء البديع هذا النوع من الكلام تجاهل العارف ، وهو نظير ما ذكرناه فى البيت السابق ، ونظير هذين البيتين قول أبى الطيب المتنبى :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى؟

وقول التهامى يشكو السهر :

قصرت جفونى أم تباعد بينها أم مقلتى خلقت بلا أشفار ؟

وقول مهيار الديلمى :

سلا ظبية الوادى — وما الظبى مثلها وإن كان مصقول الترائب أكحلا —

أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى وعلمت غصن البان أن يتميلا؟

٣٠٥ — لم أقف لهذا الشاهد على تكملة ، ولا على سوابق أو لواحق تتصل به ، =

أي : شهرين أو شهرين ونِصْفَ ثالثٍ ، ألا ترى أنك لا تقول مبتدئاً « لَبِثْتُ نِصْفَ ثَالِثٍ » وإذا وجب أن يكون المعطوف عليه محذوفاً كانت باقيةً على أصلها ، فدل على صحةِ ما ذهبنا إليه ، والله أعلم .

٦٨ — مسألة

[هل يجوز أن يعطف بلكن بعد الإيجاب ؟]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف بلَٰكِنْ فى الإيجاب ، نحو « أتانى زيد لكن عمرو » . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف بها فى الإيجاب ، فإذا جيء بها فى الإيجاب وجب أن تكون الجملة التى بعدها مخالفة للجملة التى قبلها ، نحو « أتانى زيد لكن عمرو لم يأت » وما أشبه ذلك . وأجمعوا على أنه يجوز العطف بها فى النفى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن « بل » يجوز العطف بها بعد النفى والإيجاب ؛ فكذلك « لكن » وذاك لاشتراكهما [٢٠١] فى المعنى ، ألا ترى أنك تقول « ما جاءنى زَيْدٌ لَٰكِنْ عَمْرٌو » فتثبت المجيء للثانى دون الأول ، كما لو قلت « مَا جَاءَنِي زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو » فتثبت المجيء للثانى دون الأول ، فإذا كانا فى معنى واحد ، وقد اشتركا فى العطف بهما فى النفى ، فكذلك فى الإيجاب .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز العطف بها بعد الإيجاب

= ولا على نسبة إلى قائل معين ، والاستشهاد به فى قوله «أو نصف ثالث» فإنه على تقدير حذف معطوف وحرف عطف ، وأصل الكلام : ألا فالبثا شهرين أو شهرين ونصف شهر ثالث ، وقد بينا لك رأينا فى هذا التقدير فى شرح الشاهد رقم ٣٠٢

وذلك لأن العطف بها فى الإيجاب إنما يكون فى الغَلَطِ والنسيان ، ألا ترى أنك لو عطفت بها بعد الإيجاب لكنت تقول « جاءنى زيد لكن عمرو » فكنت تثبت للثانى بلكن المجىء الذى أثبته للأول ، فيعلم أن الأول مرجوع عنه كالعطف ببل فى الإيجاب ، نحو « جاءنى زيد بل عمرو » وإذا كان العطف بلكن فى الإيجاب إنما يكون فى الغلط والنسيان فلا حاجة إليها ؛ لأنه قد استغنى عنها ببل فى الإيجاب ؛ لأنه لا حاجة إلى تكثير الحروف الموجبة للغَلَطِ ، وقد يستغنى بالحرف عن الحرف فى بعض الأحوال إذا كان فى معناه ، ألا ترى أنهم استغنوا بإليك عن حَتَّاكَ ، وبمثلك عن كَكَ ، وكذلك استغنوا عن وَدَعَ بتَرَكَ ؛ لأنه فى معناه ، وكذلك استغنوا به عن وَذَرَ ، وكذلك استغنوا بمصدر تَرَكَ واسم الفاعل منه عن مصدر وَدَعَ ووَذَرَ ، وعن اسم الفاعل منهما ، فيقال : ترك تركا فهو تارك ، ولا يقال : وَدَعَ وَدْعاً وهو وادع ، ولا وَذَرَ وَذْراً فهو واذر ؛ فأما قول أبى الأسود الدؤلى :

٣٠٦ — لَيْتَ شِعْرِى عَنْ خَلِيلِى مَا الَّذِى
غَالَهُ فى الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ ؟

---

٣٠٦ — أنشد ابن منظور هذا البيت (و د ع) ونسبه إلى أبى الأسود الدؤلى ، ثم قال « وهذا البيت روى الأزهرى عن ابن أخى الأصمعى أن عمه أنشده لأنس ابن زنيم :

ليت شعرى عن أميرى ما الذى غاله فى الحب حتى ودعه
لا يكن برقك برقا خلبا إن خير البرق ما الغيث معه

قال ابن برى : وقد روى البيتان للمذكورين » اهـ كلام ابن منظور ، واستشهد به الرضى فى شرح الشافية (رقم ٢٠) وشرحه البغدادى (ص ٥٠) وودع يدع : معناه ترك يترك ، والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « ودعه » بتخفيف الدال مفتوحة ــ حيث ورد فيه الفعل الماضى الثلاثى من هذه المادة ، والمشهور أن العرب أهملت الماضى الثلاثى من هذه المادة ، واستعملت المضارع والأمر منها ، وقد ذكر المؤلف أن المشهور أن العرب =

وقولُ سُوَيد بن أبى كاهل :

٣٠٧ — فَسَعَى مَسْعَاتَهُ فى قَوْمِهِ ثُمَّ لَمْ يَبْلُغْ وَلاَ عَجْزًا وَدَعْ

=أهملت اسم الفاعل من هذه المادة أيضا ، وأنهم استغنوا عن الفعل الثلاثى المجرد من هذه المادة بفعل آخر من معناه ، وهو ترك ، واستغنوا كذلك عن « وذر » الماضى ؛ لأن ترك يقوم مقامه ، واستعملوا مضارع « وذر » وأمره ، فقالوا « يذر ، ذر » قال الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) وقال سبحانه (ذرنى ومن خلقت وحيدا) وقد استعمل الشاعر فى بيت الشاهد «ودع» الثلاثى المجرد حين اضطر ؛ مراجعة لأصل مهجور ، ونظيره قول الآخر :

وكان ما قدموا لأنفسهم أكثر نفعا من الذى ودعوا

ونظيرها قول الآخر :

فسعى مسعاته فى قومه ثم لم يدرك ، ولا عجزا ودع

وقرأ عروة بن الزبير فى قوله تعالى (ماودعك ربك وما قلى) بتخفيف الدال ، قال الليث : « العرب لاتقول : ودعته فأنا وادع ، ولكن يقولون فى الغابر (أى فى المضارع) يدع ، وفى الأمر : دعه ، وفى النهى : لا تدعه » اهـ . وقد ورد استعمال اسم الفاعل من ودع الثلاثى المجرد فى قول معن بن أوس :

عليه شريب لين وادع العصا يساجلها جماته وتساجله

وفى بيت آخر أنشده أبو على الفارسى فى البصريات :

فأيهما ما أتبعن فإننى حزين على ترك الذى أنا وادع

كما ورد المصدر الثلاثى المجرد فى حديث ابن عباس « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم » أى عن تركهم إياها والتخلف عنها ، قال ابن برى « وزعم النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر ، واستغنوا عنه بالترك ، والنبى صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ، وقد وردت عنه هذه الكلمة »اهـ . وقال ابن الأثير: « وإنما يحمل قول النحاة على قلة استعماله ، فهو شاذ فى الاستعمال صحيح فى القياس ، وقد جاء فى غير حديث ، حتى قرىء به فى قوله تعالى (ماودعك ربك وما قلى) بالتخفيف » اهـ .

٣٠٧ — هذا البيت من كلام سويد بن أبى كاهل ، اليشكرى ، وهو البيت الحادى والثمانون من المفضلية الأربعين (انظر المفضليات ص ١٩٠ — ٢٠٢ ط دار المعارف) وقبل البيت المستشهد به قوله :

فهو محمول على أنه بمعنى وَدَّعَ بالتشديد نخفف ، وهو على كل حال من الشاذ الذى لا يعتدُّ به فى الاستعمال . وإذا كان كذلك وجب أن تـكون الجملة التى بعدها مخالفة لمـا قبلها ؛ ليـكونا خبرين مختلفين .

وأما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قولهم « إنا أجمعنا على أن بل يجوز العطفُ بها بعد النفى والإيجاب، فـكذلك لـكن لا شتراكهما فى المعنى » قلنا : إنما شاركت لـكن بل فى النفى دون الإيجاب ؛ لأن مشاركتها لها فى النفى صَوَاب وليس على سبيل [٢٠٢] النسيان والغلط ؛ ألا ترى أنك إذا قلت فى النفى « ما جاءنى زيد لـكن عمرو » لم توجب نسياناً ولا غلطا كما لو قلت « ما جاءنى زيد بل عمرو » وإذا كان استعماله فى النفى لا يوجب نسياناً ولا غلطاً ، فتـكثير ما هو صواب لا يُنْـكَر ، بخلاف استعماله فى الإيجاب ؛ فإنه يوجب النسيان الغلط ، والنسيان والغلط إنما يقع نادراً قليلا ، فاقتصر فيه على حرف واحد وهو « بل » .

= كيف يرجون سقاطى بعدما ... لاح فى الرأس بياض وصلع
ورث البغضة عن آبائه ... حافظ العقل لمـا كان استمع

يصف شانئه بأنه ورث بغضه عن آبائه ، سمعهم يذكرون العداوة وأسبابها ويشتمونه لحفظ ذلك عنهم بعد أن وعاه وعقله ، ومسعاتهم : سعى آبائه ، ورواهاالمؤلف«مسعاته» يريد أنه سعى كما كانوا يسعون فلم يظفر بشىء كما لم يظفروا من قبل . والاستشهاد به فى قوله « ودع » حيث استعمل الفعل الماضى الثلاثى المجرد ، ومعناه ترك ، والـكلام فيه كالـكلام فى الشاهد السابق ، قال ابن جنى « إنما هذا على الضرورة ؛ لأن الشاعر إذا اضطر جازله أن ينطق بما ينتجه القياس وإن لم يرد به سماع ــ ثم أنشد بيتأبى الأسود، وهو الشاهد السابق ــ وعليه قراءة بعضهم (ما ودعك ربك وما قلى) لأنالترك ضرب من القلى ، فهذا أحسن من أن يعل باب استحوذ واستنوق الجمل ، لأن استعمال ودع مراجعة أصل ، وإعلال استحوذ واستنوق ونحوهما من المصحح ترك أصل،وبين مراجعة الأصول وتركها مالا خفاء به » اهـ . وانظر كتاب سيبويه (٢/٢٥٦)

ثم ليس من ضرورة تشارك لكن وبل فى بعض الأحوال مشاركتهما فى كل الأحوال ، ألا ترى أن « بل » لا يَحسُنُ دخولُ الواو عليها ؟ ولا يقال « و بل » و « لكن » يحسن دخول الواو عليها فيقال « ولكن » قال الله تعالى : (ولكن الشياطينُ كفروا) فى قراءة من قرأ بالتخفيف ، وكذلك قوله : (ولكنِ البر) والشواهد على ذلك من كتاب الله وكلام العرب مما لا يحصى كثرة ، وذلك لا يوجد البتة فى « بل » فدل على ما قلناه ، والله أعلم .

٦٩ — مسألة

[هل يجوز صَرْفُ أفعَلِ التَّفْضِيلِ فى ضرورة الشعر ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « أفْعَلَ مِنْكَ » لا يجوز صَرْفُه فى ضرورة الشعر .
وذهب البصريون إلى أنه يجوز صرفه فى ضرورة الشعر .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن « مِنْ » لما اتصلت به منعت من صرفه لقوة اتصالها به ، ولهذا كان فى المذكر والمؤنث والتثنية والجمع على لفظٍ واحدٍ ، نحو « زَيْدٌ أفضلُ مِن عمرٍو ، وهِندٌ أفضلُ مِن دعدٍ ، والزيدَان أفضلُ مِنَ العَمْرَين ، والزَّيدُونَ أفضلُ مِنَ الْعَمْرِينَ » وما أشبه ذلك ؛ فدل على قوة اتصالها به ؛ فلهذا قلنا : لا يجوز صرفه .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا ذلك لأن « مِنْ » تقوم مقام الإضافة ولا يجوز الجمع بين التنوين والإضافة ؛ فكذلك لا يجوز الجمع بينه وبين ما يقوم

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٣٣) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢٨٦ بولاق) وشرح الرضى على الكافية (١/٣٣) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٨٣) وأسرار العربية للمؤلف (ص ١٢٢) .

مقام الإضافة ، وإنما لم يجز الجمع بين التنوين والإضافة لأنهما دليلان من دلائل الأسماء ، فاستغنى بأحدهما عن الآخر .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز صرفه لأن الأصل فى الأسماء [٢٠٣] كلها الصرف ، وإنما يُمْنَع بعضها من الصرف لأسباب عارضة تدخلها على خلاف الأصل ؛ فإذا اضطر الشاعر رَدَّها إلى الأصل ، ولم يعتبر تلك الأسبابَ العارضة التى دخلت عليها ، قال أبو كبير الهذلىّ :

٣٠٨ — مِمَّنْ حَمَلْنَ بهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ

---

٣٠٨ — هذا البيت من كلام أبى كبير الهذلى ، واسمه عامر بن الحليس ، ويقال : عويمر بن الحليس ، أحد بنى سعد بن هذيل ، وهو من كلمة أثر منها أبو تمام فى ديوان الحماسة عشرة أبيات ثانيها هذا البيت ، وانظر الشاهد (رقم ١٤٤) فى المسألة رقم ٢٨ ، والبيت المستشهد به هنا من شواهد سيبويه (٥٦/١) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٩٤٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٨٣٠) ورضى الدين فى باب اسم الفاعل من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤٦٦/٣) والأشمونى (رقم ٧٠٧) وابن الناظم فى باب إعمال اسم الفاعل ، وشرحه العينى (٥٥٨/٣) والضمير فى قوله « حملن » يعود إلى النساء وإن لم يجرلهن ذكر ، ولكن لما كان المراد مفهوما جاز هذا الإضمار ، والحبك — بضم الحاء المهملة والباء الموحدة — جمع حبيك ، والحبك : الطرائق ، والنطاق — بكسر النون بزنة الكتاب — ماتشده المرأة فى حقوها ، وتقول : انتطقت المرأة ؛ إذا لبست النطاق ، واحتبكت ؛ إذا لبست الحباك وهو الإزار ، وشب : قوى وترعرع ، والمهبل : المدعو عليه بالهبل وهو الثكل ، وقيل : هو المعتوه الذى لايتماسك . يقول : إن هذا الفتى من الفتيان الذين حملت أمهاتهم بهم وهن غير مستعدات للفراش فنشأ محموداً مرضيا . والاستشهاد بهذا البيت ههنا فى قوله « عواقد » فإن هذه الكلمة على صيغة منتهى الجموع وهى تقتضى المنع من صرف الاسم ، ولكن الشاعر قد صرف هذه الكلمة ونونها حين اضطر لإقامة الوزن ، ونظيره قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن سوالك نقبا بين حزمى شعبعب؟

وقول زهير بن أبى سلمى :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم؟=

فصرف « عَواقِد » وهى لا تنصرف ؛ لأنه ردها إلى الأصل ، وقال النابغة :

٣٠٩ — * فَلَتَأْتِيَنْكَ قَصَائِدٌ *

فصرف « قصائد » وهى لا تنصرف ؛ لأنه ردها إلى الأصل ، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرةً فى أشعارهم .

والذى يدل على هذا أن ما لا أصل له فى الصَّرْف ودخول التنوين لا يجوز للشاعر أن ينونه للضرورة ؛ لأنه لا أصل له فى ذلك فيرده إلى حالة قد كانت له ، فإذا ثبت هذا فنقول : أفعل منك اسمٌ ، والأصلُ فيه الصرفُ ، وإنما امتنع من الصرف لوزن الفعل والوصف ، فصار بمنزلة « أحمر » وكما وقع الإجماع على أن

= وقول سحيم :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن تحملن من جنبى شرورى غواديا

ومن صرف الاسم الممنوع من الصرف قول امرىء القيس فى معلقته :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت : لك الويلات إنك مرجلى

والنحاة يستشهدون ببيت الشاهد على أنه نصب قوله « حبك النطاق » بعواقد الذى هو جمع عاقدة الذى هو اسم الفاعل المؤنث من قولهم « عقدت المرأة نطاقها » إذا شدته وربطته .

٣٠٩ — هذه قطعة من بيت للنابغة الذبيانى ، وهو بتمامه :

فلتأتينك قصائد ، وليدفعن جيشا إليك قوادم الأكوار

وكان زرعة بن عمرو بن خويلد لقى النابغة بعكاظ ، فأشار عليه أن يطلب إلى قومه ويحضهم على قتال بنى أسد وترك حلفهم ، وأبى النابغة ، فبلغه أن زرعة يتوعده ، فقال قصيدته التى منها بيت الشاهد ، وأولها :

طال الثواء على رسوم ديار قفرأسائلها ، وما استخبارى؟

والقوادم : جمع قادمة ، والقادمة : مقدم الرحل ، والأكوار : جمع كور ، وهو رحل الناقة . يتهدده بأنه سيهجوه ، وبأنه سيغزوه ، والاستشهاد بالبيت فى قوله «قصائد» فإن هذه الكلمة على صيغة منتهى الجموع وهى تقتضى منع الصرف ، وقد صرف الشاعر هذه الكلمة حين اضطر إلى إقامة الوزن ، على نحو ماقررناه فى البيت الذى قبل هذا البيت

« أَحْمَرَ » يجوز صَرْفه فى ضرورة الشعر رداً إلى الأصل فكذلك أفعل منك ، ثم إذا جاز عندكم فى ضرورة الشعر تركُ صَرْفِ ما أصله الصرفُ ـ وهو عدولٌ عن الأصل إلى غير أصل ـ فكيف لا يجوز صرف ما أصله الصرف وهو رجوع عن غير أصل إلى أصْلٍ ؟ وهل مَنْعُ ذلك إلا رفض القياس ، و بناء على غير أساس ؟

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنَّ مِنْ لما اتصلت به منعت من صرفه » قلنا : هذا باطل ؛ لأن اتصال مِنْ ليس له تأثير فى منع الصرف ، و إنما المؤثر فى منع الصرف وَزْنُ الفعل والوَصْفُ . والذى يدل على ذلك أنهم قد قالوا : « زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْكَ ، وشر مِنْكَ » فيصرفون مع اتصال « مِنْ » به ، ولم يمنعوهما الصرفَ مع دخول « مِنْ » عليهما واتصالها بهما ، ولو كان كما زعموا لوجب أن لا ينصرفا لاتصال « مِنْ » بهما ، فلما انصرفا مع اتصال « من » بهما دل على أن اتصالها بهما لا أثر له فى منع الصرف ، و إنما المؤثر فى منع الصرف وَزْنُ الفعل والوصفُ .

والذى يدل على صحة هذا أنه لما زَال وزنُ الفعل من « خَير مِنْكَ ، وشر مِنك » انصرف ؛ لأن الأصل : أَخْيَرُ [٢٠٤] منك ، وأَشْرَرُ منك ؛ إلا أنهم حذفوا الهمزة منهما لكثرة الاستعمال ، وأدغموا إحدى الراءين فى الأخرى من قولهم « شَرٌّ مِنك » لئلا يجتمع حرفان متحركان من جنس واحد فى كلمة واحدة ؛ لأن ذلك مما يستثقل فى كلامهم ، فلما نقصا عن وزن الفعل بقى فيهما علة واحدة وهى الوصف ، فَرُدّا إلى الأصل وهو الصرف ؛ لأن العلة الواحدة لا تقوى على منع الصرف الذى هو الأصل .

وأما قولهم « إنه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ؛ لا تصال مِنْ به » قلنا : إنما لم يُثَنَّ ولم يجمع ولم يؤنث لثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أنه لم يُثَنَّ ولم يجمع ولم يؤنث لأنه تضمن معنى المصدر ؛ لأنك إذا قلت « زَيْدٌ أفْضَلُ مِنْكَ » كان معناه فضلُ زيدٍ يزيدُ عَلَى فضلك ؛ فجعل موضع يزيدُ فضله أفْضَلُ ، فتضمن معنى المصدر والفعل معاً ، والفعل والمصدر مذكران ، ولا تدخلهما تثنية ولا جمع ، فكذلك ما تضمنهما .

والوجه الثانى : أنه لم يثن ولم يجمع ولم يؤنث لأنه مضارع للبعض الذى يقع به التذكير والتأنيث والتثنية والجمع بلفظ واحد .

والوجه الثالث : إنما لم يثن ولم يجمع لأن التثنية والجمع إنما تلحق الأسماء التى تنفرد بالمعانى ، و « أفْعَلُ » اسم مركب يدل عَلَى فعل وغيره ، فلم يجز تثنيته ولا جمعه ، كما لم يجز تثنية الفعل ولا جَمْعُه لما كان مركباً يدلُّ عَلَى معنى وزمان ، وإنما فعلت العرب ذلك اختصاراً للكلام ، واستغناء بقليل الكلام عن كثيره ، ولم يجز تأنيثه لما ذكرنا من تضمنه معنى المصدر ، والمصدر مذكر ، ثم على أصلكم إنما وُحِّد « أفْعَلُ » لأنه جرى مجرى الفعل ؛ ولهذا كانت إضافته غير حقيقية .

وأما قولهم « إن مِنْ تقوم مقام الإضافة ، ولايجوز الجمع بين التنوين والإضافة » قلنا : لوكان الأمر كما زعمتم لوجب أن يدخله الجر فى موضع الجر ، كما إذا دخلته الإضافة ، فلما أجمعنا على أنه لاينصرف ويكون فى موضع الجر مفتوحا كسائر مالا ينصرف دل على فساد ما ذهبتم إليه .

وأما قولهم « إنما لم يجز الجمع بين التنوين والإضافة لأنهما دليلان من دلائل الأسماء » قلنا : لا نسلم أنه إنما لم يجز الجمع بين التنوين والإضافة لأنهما دليلان من دلائل الأسماء ، وإنما لم يجز الجمع بين التنوين والإضافة لوجهين :

أحدهما : أن [٢٠٥] الإضافة تدل على التعريف ، والتنوين يدل على التنكير فلوجوزنا الجمع بينهما لأدى ذلك إلى أن يجمع بين علامة تعريف وعلامة تنكير فى كلمة واحدة ، وهما ضدان ، والضدان لايجتمعان

والوجه الثانى : أن الإضافة علامة الوصل ، والتنوين علامة الفصل ؟ فلو جوزنا الجمع بينهما لأدى ذلك إلى أن يجمع بين علامة وصل وعلامة فصل فى كلمة واحدة ، وهما ضدان ، والضدان لا يجتمعان .

وما ذهبوا إليه من التعليل يبطل بحرف الجر مع لام التعريف ؛ فإنهما يجوز اجتماعهما ، نحو « مررت بالرجل » وإن كانا دليلين من دلائل الأسماء ، إلى غير هذين الدليلين من دلائل الأسماء ، والله أعلم .

٧٠ — مسألة

[منع صرف ما ينصرف فى ضرورة الشعر][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترك صرف ما ينصرف فى ضرورة الشعر ، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو على الفارسى وأبو القاسم بن برهان من البصريين وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ، وأجمعوا على أنه يجوز صرف ما لا ينصرف فى ضرورة الشعر .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز ترك صرف ما ينصرف فى ضرورة الشعر أنه قد جاء ذلك كثيراً فى أشعارهم ، قال الأخطل :

٣١٠ — طَلَبَ الأزَارِقَ بِالْكَتَائِبِ إذْ هَوَتْ
بِشَبِيبَ غَائِلَةُ الثُّغُورِ غَـــدُورُ

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٣٣) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢٨٧) والمفصل مع شرحه لابن يعيش (ص ٨١) وشرح الرضى على الكافية (١ / ٣٤)

٣١٠ — هذا البيت للأخطل — غياث بن الغوث — التغلبى ، من كلمة يمدح فيها سفيان بن الأبيرد ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٩٩٤) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم =

فترك صرف « شبيب » وهو منصرف ، وقال حَسَّان :

٣١١ — نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ وَشَدُّوا أَزْرَهُ   بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأَبْطَالِ

= ٤٨٧) وابن الناظم فى باب مالا ينصرف من شرح الألفية، وشرحه العينى (٤/٣٦٢ بهامش الخزانة) والأزارق : جمع أزرقى ، وهو المنسوب إلى نافع بن الأزرق ، رأس الخوارج ، وكان من حق العربية عليه أن يقول « الأزارقة »لأنهم يزيدون التاء فى الجمع عوضا عن ياء النسبة التى تكون فى المفرد ، قالوا : المهالبة ، والأشاعرة ، فى جمع أشعرى ومهلبى ، ولكنه حذف التاء حين اضطر لإقامة الوزن ، والكتائب : جمع كتيبة ،وهى الفرقة من الجيش ، وتطلق الكتيبة على الخيل المغيرة من المائة إلى الألف ، وهوت : سقطت ، وشبيب : هو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى ، كان رأسا من رؤوس الخوارج فى عهد عبد الملك بن مروان ، وقاتله الحجاج بن يوسف الثقفى . ومحل الاستشهاد بالبيت ههنا قوله « بشبيب » حيث منعه من الصرف مع أنه ليس فيه إلا العلمية ، وهى وحدها لا تقتضى المنع من الصرف ، وإنما تقتضيه إذا انضمت إليها علة أخرى مثل التأنيث فى فاطمة وحمزة وزينب ، ومثل العدل فى عمر وزفر وجمع ، ومثل زيادة الألف والنون فى عثمان وعفان وعمران ، ومثل وزن الفعل فى أحمد ويشكر وبقم ، قال ابن يعيش« السبب الواحد لايمنع الصرف فى حال الاختيار والسعة ، وقد أجاز الكوفيون والأخفش وجماعة من المتأخرين البصريين كأبى على وابن البرهان وغيرهما ترك صرف ماينصرف ، وأباه سيبويه وأكثر البصريين ، وقد أنكر المنع أبو العباس المبرد ، وقال : ليس لمنع الصرف أصل يرد إليه ، وقد أنشد من أجاز ذلك أبياتا صالحة العدة . . . وقد تأولها أبو العباس وروى شيئا منها على غير مارووه » اه . وقال ابن هشام« وأجاز الكوفيون والأخفش والفارسى للمضطر أن يمنع صرف المنصرف ، وأباه سائر البصريين ، وعن ثعلب أنه أجاز ذلك فى الكلام » اه . وقال الرضى « وجوز الكوفيون وبعض البصريين للضرورة ترك صرف المنصرف ، لا مطلقا ، بل بشرط العلمية دون غيرها من الأسباب ؛ لقوتها وذلك بكونها شرطا لكثير من الأسباب مع كونها سببا » اه .

٣١١ — هذا البيت لحسان بن ثابت الأنصارى ، وقد أنشده ابن منظور (ح ن ن) وعزاه إليه ، وحنين ـ بالضم ، على زنة التصغير ـ اسم واد بين مكة والطائف ، قال الأزهرى : حنين اسم واد كانت به وقعة أوطاس ، ذكره الله تعالى فى كتابه فقال : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) وقال الجوهرى : حنين موضع، يذكر ويؤنث ، =

فترك صرف « حنين » وهو منصرف ، قال الله تعالى : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) ولم يُرْوَ عن أحد من القراء أنه لم يصرفه ، وقال الفرزدق :

٣١٢ — إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخَ قَصِيدَةً
بِهَا جَرَبٌ عُدَّتْ عَلَيَّ بِزَوْبَرَا

= فإذا قصدت به الموضع ذكرته وصرفته كقوله تعالى :(ويوم حنين)وإن قصدت به البقعة أنثته ولم تصرفه ، وأنشد لذلك بيت حسان ، وإذا كان ما قاله الجوهرى صحيحا ـ وهو صحيح إن شاء الله ـ فإن منع حسان صرف « حنين » يكون جاريا على القياس ، ولا ضرورة فيه؛ لأن فيه علتين إحداهما العلمية والأخرى التأنيث، فأما أن القراء أجمعوا على صرف « حنين » فى الآية الكريمة فلا يدل على عدم جوازه فى السعة بتقدير تأنيثه على أنه علم على البقعة ، وذلك لأن القراءة لاتتبع صحة الوجه عربية ، ولكنها سنة متبعة وهى لاتخالف العربية ، ولكن ليس معنى هذا أن كل ماجاز فى العربية جازت القراءة به، ولكن معناه أن كل ما قرىء به فهو جائز فى العربية،وفرق بين الكلامين ، والمؤلف نفسه شنع على الكوفيين فى المسألة ٣٣ على أساس زعمهم أن كل ماجاز فى العربية يرد فى القرآن ولم يقرأ به القراء .

٣١٢ — نسب المؤلف هذا البيت للفرزدق ، وقد أنشده ابن منظور (ز ب ر) ونسبه إلى ابن أحمر ، وأنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٤ ليبزج) ونسبه إلى الطرماح ، وأنشد ابن سيده فى المخصص (١٥/١٨٣) كلمة الاستشهاد من هذا البيت ، من غير عزو ، وقد رجعت إلى ديوان الفرزدق ، فوجدت فيه أربعة أبيات يقولها لقومه يقع هذا البيت ثانيها ، وقبله :

ياقوم إنى لم أكن لأسبكم ... وذو البرء محقوق بأن يتعذرا

ووجدت له قطعة أخرى عدتها اثنا عشر بيتا يقولها فى التنصل إلى خالد القسرى عامل هشام بن عبد الملك بن مروان على العراق ؛ من هجاء كان قد هجى به خالد ، فاتهم الفرزدق بذلك الهجو ، وهذا البيت يقع سادس أبياتها ، وأولها :

ألكنى إلى راعى الخليفة والذى ... له الأفق والارض العريضة نورا

والغاوى : غير الرشيد ، ويروى « إذا قال راو » ويرى « عاو » بالعين المهملة ـ من العواء ، وهو صوت الكلب ، وبها جرب : أى فيها عيب من هجاء ونحوه ، وقوله «عدت على بزوبرا» أى نسبت إلى بكمالها، مأخوذ من قولهم: أخذ الشىء بزوبره ، =

فترك صرف « زَوْبَرَ » وهو منصرف ، ومعناه نُسِبَتْ إلى بكمالها من قولهم : أَخَذَ الشيء بزَوْبَرِهِ ، إذا أخذه كله ، وقيل : « بزَوْبَرَا » أى كذباً وزوراً ، وقال الآخر :

٣١٣ — [٢٠٦] إلَى ابْنِ أُمِّ أُنَاسَ أَرْحَلُ نَاقَتِي
عَمْرٍو فَتُبْلِغُ حَاجَتِي أَوْ تُزْحِفُ

فترك صرف « أُنَاسَ » وهو منصرف ، و « أُمُّ أُنَاسَ » بنت ذهل من بنى شيبان ، و « عمرو » يريد به عمرو بن حُجْرٍ الكندى ، وقال الآخر :

= يريدون كله ، جعل زوبر علما على هذا المعنى . وقد نقل ابن جنى عن أبى على ما قد يفيد أن منع صرف زوبر فى هذا البيت جار على القياس ، قال « سألت أبا على عن ترك صرف زوبر ، فقال : علقه علما على القصيدة فاجتمع فيه التعريف والتأنيث » اهـ.

٣١٣ — هذا البيت من كلام بشر بن أبى خازم ، وقد أنشده ابن منظور (زحف) وعزاه إليه ، غير أنه وقع هناك هكذا :

قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِيَاسٍ أُرْحَلْ نَاقَتِي عَمْرٌو فَتَبْلُغُ حَاجَتِي أَوْ تُزْحِفُ

والذى يتجه لى أن ما وقع فى اللسان محرف عما رواه المؤلف هنا ، ثم إنى رأيت البغدادى يشير إلى أن هذا البيت قد قيل فى مدح عمرو بن حجر الكندى ، وأم أناس : كما قال المؤلف أيضا هى بنت ذهل ، من بنى شيبان ، وقد روى هذا البيت على وجه آخر ، وهو :

وإلى ابن أم أناس تعمد ناقتى عمرو ، لتنجح ناقتى أو تتلف

وقد بحثت طويلا عن الكلمة التى منها هذا البيت فلم أعثر عليها . وتقول « رحل فلان ناقته يرحلها — من باب فتح » إذا وضع عليها الرحل وهيأها للسفر ، وقوله « فتبلغ حاجتى » حذف المفعول الأول ، وأصل الكلام : فتبلغنى حاجتى ، وقد اعتاد الشعراء أن يطلبوا إلى الناقة إبلاغهم حاجتهم ، وانظر إلى قول الشماخ بن ضرار الغطفانى :

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

وإلى قول عنترة بن شداد العبسى قبله :

هل تبلغنى دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم

وقوله فى بيت الشاهد « أو تزحف » مأخوذ من قولهم « زحف البعير يزحف — زحفا — مثل فتح يفتح فتحا — وزحوفا ، وزحفانا » إذا أعيا فجر فرسنه . يقول : إنى =

٣١٤ — أُؤَمِّلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنَّ يَوْمِي بِأَوَّلَ أَوْ بِأَهْوَنَ أَوْ جُبَارِ
أَوِ التَّالِي دُبَارَ ؛ فَإِنْ أَفُتْهُ فَمُؤْنِسَ أَوْ عَرُوبَةَ أَوْ شِيَارِ

فترك صرف « دُبَار » وهو منصرف ، و « دُبَارٌ » يومُ الأربعاء ، وما ذكره فى هذين البيتين أسماء الأيام فى الجاهلية ؛ فأوّل : يومُ الأحد ، وأَهْوَن : يومُ الاثنين ، وجُبَار : يومُ الثلاثاء ، ودُبَار : يومُ الأربعاء ، ومؤنس : يومُ الخميس ، وعَرُوبة : يومُ الْجُمُعَة ، وشِيَار : يومُ السبت ، وقال الآخر :

٣١٥ — فَأَوْفَضْنَ عَنْهَا وَهْيَ تَرْغُو حُشَاشَةً
بِذِي نَفْسِهَا وَالسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ

فترك صرف « عُرْيَان » وهو منصرف ؛ لأن مؤنثه عُرْيَانَة لا عَرْيَا .

= أرحل ناقتى إلى عمرو بن أم أناس ، فإما أن تبلغنى مقصدى وإما أن تعيا فلا تستطيع السير ، يريد أنه لا يرأف بها ولا يشفق عليها ولا يعطيها شيئا من الراحة . والاستشهاد بالبيت فى قوله « أم أناس » فقد منع « أناس » من الصرف ، لجره بالفتحة من غير تنوين مع أنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو العلمية ، والكلام فيه كالكلام فى الأبيات السابقة .

٣١٤ — أنشد ابن منظور هذين البيتين(ج ب ر ـ د ب ر ـ ش ى ر ـ أ ن س ـ ه و ن) ولم يعزهما إلى قائل معين فى أحد هذه المواضع ، وهذه الأسماء أعلام على أيام الأسبوع ، على ما كان العرب يسمونها فى الجاهلية ، وقد بينها المؤلف ، ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « دبار » حيث منعه من الصرف مع أنه لا يوجد فيه إلا سبب واحد وهو العلمية ، ونظيره يقال فى « مؤنس » أما « أول ، وأهون » ففيهما العلمية ووزن الفعل وأما « عروبة » ففيه العلمية والتأنيث ، وأما « جبار ، وشيار » فقد صرفهما لجرهما بالكسرة ، وعدم تنوينهما بسبب الروى ، وقد ضبط فى لسان العرب «دبار ،ومؤنس» بالجر ، وفيه مقال .

٣١٥ — أوفضن عنها : أسرعن ، والإيفاض : الإسراع . وفى القرآن الكريم : (كأنهم إلى نصب يوفضون) ووفضت الإبل تفض ـ مثل وعد يعد ـ واستوفضت تستوفض ، إذا أسرعت ، وأوفض الرجل واستوفض:أى أسرع، واستوفض إبله : =

. . . .

= طردها واستعجلها ، وترغو : من الرغاء ، وهو صوت الإبل ، تقول : رغا البعير ، يرغو رغاء ، إذا صوت فضج ، وقد يقال الرغاء لصوت الضباع والنعام . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « عريان » حيث منعه من الصرف مع أنه ليس فيه إلا الوصفية، وهى وحدها غير كافية فى منع الصرف

فإن قلت : كيف زعمت أن هذه الكلمة ليس فيها غير الوصفية مع أن الألف والنون فيها زائدتان ، فتكون قد اشتملت على الوصفية وزيادة الألف والنون ، وهما علتان تقتضيان المنع من الصرف نحو عطشان وسكران وغضبان وغرثان .

قلت : إن شرط تأثير زيادة الألف والنون فى منع الصرف مع الوصفية أن يكون مؤنث ما فيه الألف والنون بألف التأنيث ، ألست ترى مؤنث عطشان عطشى ، ومؤنث سكران سكرى ، ومؤنث غضبان غضبى ، ومؤنث غرثان غرثى ، وترى مؤنث عريان عريانة ، ومؤنث سيفان ــ وهو الرجل الطويل المشوق ــ سيفانة، ومؤنث ندمان ندمانة ، فما كان مؤنثه فعلى فهو ممنوع من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون ، وما كان مؤنثه فعلانة فهو مصروف ، والسر فى ذلك أن زيادة الألف والنون مع الوصف محمولة فى المنع من الصرف على ألف التأنيث الممدودة وهذه لمذكرها صيغة غير صيغة المؤنث نحو حمراء وأحمر ودعجاء وأدعج ، فوجب فى الألف والنون أن تكون صيغة المؤنث غير صيغة المذكر حتى يتم الشبه بين الفرع والأصل ، فإن وجدت كلمة فيها الوصفية والألف والنون الزائدتان وكان لها مؤنثان أحدهما على فعلانة بزيادة تاء التأنيث والآخر على فعلى بالألف المقصورة فإن هذه الكلمة تكون ذات وجهين ، كل وجه منهما يرجع إلى لغة غير التى يرجع إليها الوجه الآخر ، ومن أمثلة ذلك عطشان وغضبان ، فإن جمهور العرب يقولون فى مؤنثهما عطشى وغضبى ، وعلى هذا يكون عطشان وغضبان ممنوعين من الصرف ، وبنو أسد وحدهم يقولون فى مؤنثهما : عطشانة وغضبانة ، وعلى هذا يكون عطشان وغضبان مصروفين ، وشىء آخر فى « عريان » يدلك على أنه مصروف ، وذلك أن الألف والنون الزائدين لا يكونان مانعين من الصرف مع الوصفية إلا فيما كان أوله مفتوحا كجميع الامثلة التى ذكرناها ، وعريان مضموم الأول ، فأنت لا تحتاج فى معرفة أنه لا يمنع من الصرف إلى جديد .

وقال الآخر :

٣١٦— قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِثَابِتَ شَاخِصاً عَارِى الأَشَاجِعِ نَاحِلاً كَالْمُنْصُلِ

فترك صرف « ثَابِتٍ » وهو منصرف ، وقال العباس بن مِرْدَاسٍ السُّلَمِى :

٣١٧ — فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعِ

فترك صرف « مرداس » وهو منصرف .

---

٣١٦ — أميمة : من أسماء النساء ، وأصلها تصغير أم ، وقوله « ما لثابت » أى ما الذى طرأ عليه بعدنا حتى غير حاله ، وشاخصا : يحتمل وجهين ، أولهما أن يكون مأخوذا من قولهم « شخص بصر فلان فهو شاخص » إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف ، ويكون ذلك عند الذهول أو مشارفة الموت ، والثانى أن يكون مأخوذامن قولهم «شخص فلان بشخص شخوصا » أى سار من بلد إلى بلد ، تريد أنه متهيىء للرحيل ، والأول أقرب لما بعده ، وقوله « عارى الأشاجع » تريد أنه هزل وضعف ، وناحلا : أى قد شحب لونه وتغير وضعف جسمه وهزل ، والمنصل ـ بضم الميم وصاده مضمومة أو مفتوحة ـ السيف ، ولم يجىء على هذين الوزنين غير هذه الكلمة وقولهم « منخل » ـ بضم ميمه وخائه أو بضم الميم وفتح الخاء ـ ومحل الاستشهاد هنا بهذا البيت قوله « مالثابت » حيث منع « ثابت » من الصرف مع أنه ليس فيه إلا العلمية ، على نحو ما قررناه فى الشواهد السابقة ، وفى قوله « عارى الأشاجع » شاهد للنحاة ، حيث لم يظهر الفتحة التى يقتضيها الإعراب على ياء « عارى » فإن هذه الكلمة حال من ثابت مثل قوله « شاخصا » الذى قبله ، وقد عامل الشاعر الاسم المنقوص فى حال النصب معاملة الاسم المنقوص المرفوع والمجرور ، ولذلك نظائر كثيرة فى العربية .

٣١٧ — هذا البيت من كلام العباس بن مرداس السلمى ، يقوله لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وزع غنائم حنين فأعطى عيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن حابس وغيرهما من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطى العباس بن مرداس ، فغضب العباس فقال أبياتا منها هذا البيت ، وهو من شواهد الرضى فى شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٧١) وشواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٨١) والأشمونى (رقم ٩٩٢) وابن الناظم فى باب الاسم الذى لا ينصرف من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٤/٣٦٥ بها مش الخزانة) وحصن : هو أبو عيينة ، وحابس : أبو الأقرع ، =

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن الرواية

* يَفُوقَانِ شَيْخِيَ فِي مَجْمَعِ * [٣١٧]

وشيخه أبوهُ مرداس » لأنا نقول : بل الرواية الصحيحة المشهورة ما رويناه ، على أنا لو قدرنا أنه قد روى رواية أخرى كما رويتموه فما العذر عن هذه الرواية الصحيحة مع شهرتها ؟ وقال دَوْسَر بن دهبل القريعى :

٣١٨ — وَقَائِلَةٍ مَا بَالُ دَوْسَرَ بَعْدَنَا صَحَا قَلْبُهُ عَنْ آلِ لَيْلَى وَعَنْ هِنْدِ

فلم يصرف « دَوْسَرَ » وهو منصرف .

= ومرداس : أبو العباس قائل هذا البيت ، يريد أن أبويهما لم يكونا خيرا من أبيه ، والاستشهاد به فى قوله «مرداس» حيث منعه من الصرف وليس فيه إلا علة واحدة وهى العلمية ، على نحو ما ذكرناه فى شرح الشواهد السابقة ، والرواية الأخرى — وهى « يفوقان شيخى فى مجمع » — هى رواية أبى العباس المبرد ، وقد قال ابن مالك «وللمبرد إقدام فى رد مالم يرو ، مع أن البيت بذكر مرداس ثابت بنقل العدل عن العدل فى صحيح البخارى ومسلم ، وذكر شيخى لا يعرف له سند صحيح ، ولا سبب يدنيه من النسوية فكيف من الترجيح » ﻫ .

٣١٨ — هذا البيت لدوسر بن دهبل القريعى كما قال المؤلف ، وقد استشهد به الأشمونى (رقم ٩٩٣) وابن الناظم ، وشرحه العينى (٤/٣٦٦ بهامش الخزانة) ومابال دوسر : أى ما شأنه وما حاله ؟ وصحا قلبه : تريد أنه سلا أحبابه وترك ما كان عليه من الصبابة ، ومنه قول زهير أبى سلمى المزنى :

صحا القلب عن سلمى ، وقد كاد لايسلو وأقفر من سلمى التعانيق والثقل

وأصرح منه قول زهير أيضاً :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

والاستشهاد بهذا البيت ههنا فى قوله « دوسر » حيث منعه من الصرف مع أنه ليس فيه إلا علة واحدة وهى العلمية ، وهو نظير ما ذكرناه فى شرح الشواهد السابقة ، والرواية الأخرى — وهى « ما للقريعى بعدنا » — ذكرها ابن عصفور ، وقال «والجيد الصحيح عندنا فى إنشاد هذا البيت — ثم ذكرها » وهذه جرأة كجرأة أبى العباس المبرد التى حكيناها لك ، وندد بها العلامة ابن مالك ، وذكرنا لك نص عبارته فى شرح الشاهد السابق .

قالوا : ولا يجوز أن يقال إن الرواية

* مَا لِلْقُرَيْعِيِّ بَعْدَنَا * [٣١٨]

لأنا نقول : بل الرواية الصحيحة المشهورة ما رويناه ، ولو قدرنا أن ما رويتموه صحيح فما عذركم عما رويناه مع صحته وشهرته ؟ وقال الآخر :

٣١٩ — [٢٠٧] وَمُصْعَبُ حِينَ جَدَّ الأَمْـــرُ أَكْثَرُهَا وَأَطْيَبُهَا

قالوا : ولا يجوز أن يقال إن الرواية

* وَأَنْتُمْ حِينَ جَـــدَّ الأَمْرُ * [٣١٩]

لأنا نقول : بل الرواية الصحيحة ما رويناه ، ولو قدرنا ما رويتموه صحيحا فما عذركم عما رَوَيْنَاهُ على ما بينا ؟ وقال الآخر :

٣٢٠ — وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَـــامِرُ ذُو الطُّولِ وَذُو الْعَرْضِ

---

٣١٩ — أنشد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٨١) هذا البيت من غير عزو ، والمصعب فى الأصل : الفحل ، وقالوا « رجل مصعب » يعنون أنه سيد ، ثم سموا مصعبا ، وممن سمى بهذا الاسم مصعب بن الزبير بن العوام ، وقالوا « المصعبان » يعنون مصعبا وابنه عيسى بن مصعب ، وقيل : يعنون مصعب بن الزبير وأخاه عبد الله ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ومصعب » فإنه مرفوع بغير تنوين ، فدل ذلك على أنه ممنوع من الصرف ، مع أنه ليس فيه إلا علة واحدة وهى العلمية ، والدليل على أن الأصل فى مصعب الصرف قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إنما مصعب شهاب من اللـــ ـــه تجلت عن وجهه الظلماء

وقول الفرزدق همام بن غالب (الديوان ص ٢٦) :

وقد رأى مصعب فى ساطع سبط منها سوابق غارات أطانيب

و« أطانيب » فى قول الفرزدق ليست وصفا للسوابق كما توهمه صاحب اللسان ، فقال « وخيل أطانيب : يتبع بعضها بعضا ، ومنه قول الفرزدق ، ثم أنشد البيت » ولو كانت الأطانيب من وصف الخيل المعبر عنها ههنا بالسوابق لكانت منصوبة ، ولكن الأطانيب فى هذا البيت من وصف الغارات المجرور ، وقال صاحب الأساس « وغارات أطانيب : متصلة لا آخر لها ، وقال الفرزدق ، ثم أنشد البيت » .

٣٢٠ — هذا البيت لذى الإصبع العدوانى ، واسمه الحارث بن محرث بن حرثان =

فترك صرف «عامر» وهو ينصرف ، ولم يجعله قبيلة لأنه وصفه فقال « ذو الطول وذو العرض » ولو كانت قبيلة لوجب أن يقول : ذات الطول وذاتُ العرض ، ولا يجوز أن يقال « إنما لم يصرفه لأنه ذهب به إلى القبيلة كما قرأ سيد القراء أبو عمرو بن العلاء (وجئتك من سَبَأَ بنبإ يقين) فترك صرف سبأ ؛ لأنه جعله اسماً للقبيلة حملا على المعنى ، وقال الشاعر :

٣٢١ — مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

= من كلمة رواها أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى (٣/٤و١٠٤ بولاق) والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٨١) وابن عقيل (٣٢١) وابن الناظم فى باب مالا ينصرف من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٤/ ٣٦٤ بهامش الخزانة) وأنشده ابن منظور (ع م ر) من غير عزو « وعامر » هو عامر بن الظرب العدوانى ، الذى يقول فيه ذو الإصبع من كلمة الشاهد :

ومنهم حـــكم يقضى فلا ينقض مايقضى

وهو ذو الحلم الذى قيل فيه المثل « إن العصا قرعت لذى الحلم » وقيل : إن ذا الحلم هو عمرو بن حممة الدوسى (انظر شرح التبريزى على الحماسة ١ / ٢٠١ بتحقيقنا) وقوله « ذو الطول وذو العرض » كناية عن عظم جسمه ، والعرب تتمدح بطول الأجسام ، ومن ذلك قول الشاعر ، وهو من شواهد النحاة :

تبين لى أن القماءة ذلة وأن أعزاء الرجال طيالها

والقماءة ــ بفتح القاف بزنة السحابة ــ قصر القامة ، وطيالها : أى طوالها ، ويروى بالواو أيضا ، ومحل الاستشهاد بالبيت ههنا قوله « عامر » فقد جاء به مرفوعا من غير تنوين ، فدل على أنه منعه من الصرف مع أنه ليس فيه إلا علة واحدة وهى العلمية ، والـكلام فيه كالـكلام فى الشواهد السابقة ، وستتعرض لهذا البيت مرة أخرى فى شرح الشاهد ٣٢٧ الآتى.

٣٢١ — أنشد ابن منظور هذا البيت (س ب أ) من غير عزو ، وأنشده مرة أخرى (ع ر م) وعزاه إلى الجعدى من غير تعيين ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٢٨) وعزاه الأعلم إلى النابغة الجعدى ، وسبأ : اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس صاحبة سليمان بن داود ، وقيل : اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن ، وقال الزجاج : سبأهى مدينة =

فلم يصرف «سبأ» لأنه جعله اسما للقبيلة حملا على المعنى ، وقال الله تعالى :(أَلاَ إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِثَمُودَ)فلم يصرف (ثَمُودَ) الثانى ؛لأنه جعله اسما للقبيلة حَمْلاَ على المعنى ، ثم قال الشاعر :

= تعرف بمأرب ، من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال،وفى القرآن الكريم : (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) والقراء يقرأون (من سبأ) بالجر والتنوين على أنه مصروف ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ بالفتح من غير تنوين على أنه ممنوع من الصرف ، فأما من صرفه فعلى تأويله بمذكر ، وأما من لم يصرفه فعلى تأويله بمؤنث ، والحاضرين : جمع حاضر وأصل الحاضر الحى العظيم ، وقال ابن سيده : الحى إذا حضروا الدار التى بها مجتمعهم وقال الشاعر :

في حاضر لجب بالليل سامره فيه الصواهل والرايات والعكر

ونظيره سامر لجماعة السمار ، وحاج لجماعة الحجاج ، وجامل لجماعة الجمال ، وأراد ههنا معنى الوصف الذى يتضمنه هذا اللفظ ، ومأرب : اسم بلاد الأزد التى أخرجهم منها سيل العرم ، وانتصابه على معنى « فى » والعرم ـ بفتح العين وكسر الراء أو فتحها جمع عرمة ، وهى سد يعترض به الوادى ، وقيل : العرم جمع لا واحد له ، وقال أبو حنيفة الدينورى : العرم هى الأحباس تبنى فى أوساط الأودية . والاستشهاد بالبيت هنا فى قوله « سبأ » حيث منعه من الصرف ، فجاء به مفتوحا من غير تنوين ، مع أنه ليس فيه إلا سبب واحد ـ وهو العلمية ـ فإنه أراد به ههنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومن ينسب إليه بدليل أنه وصفه بعد ذلك بقوله « الحاضرين »وبهذا استدل الكوفيون على أنه يجوز للشاعر إذا اضطر أن يمنع الاسم المنصرف من الصرف ، والبصريون يتمحلون فيدعون أنه منع « سبأ » من الصرف لانه أراد به مؤنثا وهو القبيلة، ووصفه بالمذكر نظرا إلى المعنى لأن القبيلة رجال أو فيهم رجال . ونقول : إنه لما جرت عادة الشعراء بأن يصرفوا « سبأ » فيجروه بالكسرة مع التنوين نحو قول الشاعر :

أضحت ينفرها الولدان من سبإ كأنهم تحت دفيها دحاريج

فإذا منعها شاعر من الصرف يكون قد جاء بها على خلاف المعهود من أمثاله ، وهذا هو المنع من الصرف مع عدم استكمال سبب المنع ، ثم إن الكوفيين لا يقولون : إنه يجوز منع المنصرف من الصرف فى سعة الكلام ، بل يقولون : استساغ الشعراء لأنفسهم حين الضرورة أن يمنعوا المصروف من الصرف .

٣٢٢ — تَمُدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ يَمِينٍ وَأَشْمُلٍ بُحُورٌ لَهُ مِنْ عَهْدِ عَادَ وَتُبَّعَا

وقال الآخر :

٣٢٣ — لَوْ شَهْدَ عَادَ فِى زَمَانِ عَادِ لَابْتَزَّهَا مَبَارِكَ الْجِلَادِ

٣٢٢ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ع و د) من غير عزو ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٢٧) ونسبه إلى زهير ، وعاد : قبيلة ، وهم قوم هود عليه السلام ، قال الليث : « عاد الأولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح الذين أهلكهم الله . وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم ، ينزلون رمال عالج ، عصوا الله فمسخوا » اهـ . وتبع — بضم التاء وتشديد الباء مفتوحة — واحد التبابعة وهم ملوك اليمن ، سموا بذلك لأن بعضهم كان يتبع بعضا ، كلما هلك واحد منهم قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته . والاستشهاد بالبيت فى قوله « عاد وتبعا » حيث منعهما من الصرف مع أنه لا يوجد فيهما إلا علة واحدة وهى العلمية ، وقد وردت كلمة « عاد » فى القرآن الكريم عدة مرار مصروفة على الأصل ، من ذلك قول الله تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا) وقوله سبحانه (وأنه أهلك عادا الأولى) ووردت كلمة تبع فى القرآن الكريم مصروفة أيضا ، وذلك فى قوله سبحانه (أهم خير أم قوم تبع) فمجىء هاتين الكلمتين فى قول الشاعر « من عهد عاد وتبعا » غير منصرفتين : أى مجرورتين بالفتحة نيابة عن الكسرة يدل على أنه يجوز للشاعر حين يضطر أن يمنع الاسم المنصرف من الصرف ، وقد حكى ابن منظور (ع و د) أنه يقال « ما أدرى أى عاد هو » غير مصروف ، ومعناه ما أدرى أى خلق هو ، وهو غريب جدا ، فإن البصريين لم يقبلوا القول بجواز منع صرف المصروف فى الضرورة ، والكوفيين إنما أجازوا ذلك فى ضرورة الشعر ، فكيف جاز فى السعة ذلك ؟

٣٢٣ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما من شواهد سيبويه (٢/٢٧) ولم ينسبها إلى قائل معين ، ولا نسبها الأعلم فى شرحه ، وشهد : هو هنا بفتح الشين وسكون الهاء ، وأصله بكسر الهاء على مثال علم ، فسكن الشاعر العين المكسورة للتخفيف ، وانظر الشواهد (٧٣ — ٧٧) السابقة ، وابتزها : سلبها ، ومبارك الجلاد : وسط الحرب ومعظمها ، وأصل الكلام : لا بتزها من مبارك الجلاد ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى الاسم بنفسه . ومحل الاستشهاد بهذا البيت هنا قوله « عاد » الأولى فإنه روى بالفتح من غير تنوين ، وذلك يدل على أنه منعه من الصرف ، والقول فيه كالقول فى البيت السابق ، وأما « عاد » التى وردت فى البيت بعد ذلك فهى مجرورة بالكسرة الظاهرة بدليل الروى فى البيت الثانى ، فلا دليل فيه ؛ لأنه جاء على الأصل

وقال الآخر :

٣٢٤ — عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدَّ وَغَيْرِهَا أَنَّ الْجَوَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عُطَارِدِ

وقال الآخر :

٣٢٥ — وَلَسْنَا إِذَا عُدَّ الْحَصَى بِأَقِلَّةٍ وَإِنَّ مَعَدَّ الْيَوْمَ مُودٍ ذَلِيلُهَا

---

٣٢٤ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٢/٢٧) ولم ينسبه ولا نسبه الأعلم، ولكن الأعلم قال « والممدوح محمد بن عطارد ، أحد بنى تميم وسيدهم فى الإسلام » اهـ ، ومعد : هو ابن عدنان جد العرب العدنانية . والاستشهاد بالبيت فى قوله « معد » حيث منعه الشاعر من الصرف ، وهو إن كان المراد به الرجل الذى اسمه « معد » أو الحى لم يكن فيه إلا سبب واحد من أسباب منع الصرف ، وإن كان المراد به القبيلة ـ وهو الظاهر فى هذا البيت لقوله قبل ذلك « علم القبائل » ثم قوله « وغيرها » بضمير المؤنث ـ كان منعه من الصرف جاريا على القاعدة المطردة لأنه حينئذ يكون مشتملا على العلمية والتأنيث، قال الأعلم : « الشاهد فيه ترك صرف معد حملا على معنى القبيلة، والأكثر فى كلامهم صرفه؛ لأن الغالب عليه أن يكون اسما للحى » اهـ . ومن منع صرف « معد » قول الشاعر ، وهو من شواهد سيبويه أيضا :

وأنت امرؤ من خير قومك فيهم وأنت سواهم فى معد مخير

٣٢٥ — أنشد ابن منظور هذا البيت (م ع د) من غير عزو ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٢٧) ولم ينسبه ولا نسبه الأعلم إلى قائل معين . ووقع فى اللسان « مؤذ ذليلها » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى أصول هذا الكتاب ولما جاء فى كتاب سيبويه ، والحصى : يضرب مثلا فى الكثرة ، وانظر إلى قول الأعشى ميمون :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

والمودى : الهالك ، تقول : أودى يودى فهو مود ، تريد هلك فهو هالك . يقول : إذا كثر عدد من حصل من الأشراف وأهل المجد والعدد لم يكن عددنا قليلا فنهلك ونذهب ونضيع سدى من القلة والذلة . والاستشهاد بالبيت فى قوله « معد » حيث منعه من الصرف ، والكلام فيه كالكلام فى البيت السابق (رقم ٣٢٤) : إن كان المراد الحى أو الرجل الذى اسمه « معد » لم يكن فيه إلا سبب واحد من أسباب منع الصرف فيكون منعه من الصرف للضرورة ، وإن كان المراد به القبيلة كان منعه من الصرف على القاعدة المطردة لاشتماله على العلمية والتأنيث ، والوجه الثانى هو الظاهر فى هذا البيت أيضا ؛ لأنه أعاد الضمير على « معد » مؤنثا فى قوله « مود ذليلها » فيكون هذا مما يرجح أنه أراد به القبيلة ، فاعرف ذلك .

وقال الآخر :

٣٢٦ — غَلَبَ المَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضِلَاتِ وَسَادَهَا

[٢٠٨] فلم يصرف « قُرَيْش » لأنه جعله اسما للقبيلة حملا على المعنى ، والحَمْلُ على المعنى كثيرٌ فى كلامهم ، قال الشاعر :

---

٣٢٦ — هذا البيت لعدى بن الرقاع العاملى ، وقد أنشده ابن منظور (ق ر ش) أول بيتين ونسبهما إليه، وقال : إنه يمدح فيهما الوليدبن عبد الملك بن مروان ، والبيت الثانى هو قوله :

وإذا نشرت له الثناء وجدته ورث المكارم طرفها وتلادها

والبيت من شواهد سيبويه (٢٦/١) والمساميح : جمع سمح على غير قياس ،وهو الذى خلقه السماحة والجود ، والمعضلات : الشدائد ، واحدها معضلة ، وسادها : أى صار سيدها ووالى أمورها . والاستشهاد به فى قوله « قريش » فقد منعه من الصرف ، وأنت إن أردت به الحى أو الرجل كان منعه من الصرف ضرورة من الضرورات التى أباحها الكوفيون للشاعر وحظرها البصريون على الشاعر وغيره ، وإن أردت به القبيلة كان منعه من الصرف جاريا على القاعدة المطردة لوجود سببين مانعين من الصرف حينئذ وهما العلمية والتأنيث ــ قال الأعلم الشنتمرى « الشاهد فيه ترك صرف قريش حملا على معنى القبيلة ، والصرف فيها أكثر وأعرف لأنهم قصدوا بها قصد الحى وغلب ذلك عليها » اﻫ كلامه ؛ أما أن المراد فى هذا البيت القبيلة فيرشحه قوله بعد ذلك فى البيت « وسادها » فأعاد الضمير مؤنثا ؛ فذلك يؤيد أنه عنى القبيلة ، وقال ابن سيده : وقول الشاعر :

وجاءت من أباطحها قريش كسيل أتى بيشة حين سالا

قال : عندى أنه أراد قريش ــ غير مصروف ــ لأنه عنى القبيلة ، ألا تراه قال جاءت فأنث ؟ قال : وقد يجوز أن يكون أراد : وجاءت من أباطحها جماعة قريش فأسند الفعل إلى الجماعة ، فقريش على هذا مذكر ، اسم للحى » اﻫ كلامه ، وقال سيبويه : « وإن شئت جعلت تميما وأسدا اسم قبيلة فلم تصرفه ، والدليل على ذلك قول الشاعر :

نبا الخز عن روح ،وأنكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف

وسمعنا من العرب من يقول :

فإن تبخل سدوس بدرهميها فإن الريح طيبة قبول =

٣٢٧ — قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يَاعَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

= فإذا قالوا : ولد سدوس كذا وكذا ، أو ولدجذام كذا وكذا ؛صرفوه، ومما يقوى ذلك أن يونس زعم أن بعض العرب يقول : هذه تميم بنت مر ، وسمعناهم يقولون : قيس بنت عيلان ، وتميم صاحبة ذلك ، فإنما قال بنت حين جعله اسما للقبيلة ، ومن ذلك قولهم : باهلة بن أعصر ، فباهلة امرأة ، ولكنه جعله اسما للحى لجاز له أن يقول : ابن » اه كلامه . وحاصله أنك حين تريد الحى أو القوم تذكر وتصرف ، وليس يعنيك إن كان أصل الاسم لمذكر أو مؤنث، وحين تريد القبيلة تؤنث وتمنع الصرف ولا يعنيك أن يكون أصل الاسم لمذكر أو مؤنث .

٣٢٧ — أنشد ابن منظور هذين البيتين (ع م ر) من غير عزو ، والبيتان فى الحديث عن امرأة قامت على قبر رجل تبكيه ، وقوله « تركتنى فى الدار ذا غربة » معناه أنها — وإن كانت فى دارها وبين ذويها وأهلها — تشعر بالوحدة والغربة ؛ لأنها ما كانت تجد الأنس فى غير عامر المبكى ، ثم علل ذلك بقوله « قدذل من ليس له ناصر » ومحل الاستشهاد قوله « ذا غربة » فإنه كان ينبغى — لو أنه أجرى الكلام على مايقتضيه اللفظ — أن يقول « ذات غربة » لأن الحديث على لسان امرأة ؛ بدليل قوله « قامت تبكيه » لكنه — مع ذلك — أجرى الكلام على المعنى ؛ فإن المرأة يقال لها« إنسان» أو « شخص »والشخص مذكر،فيجوز أن تجرى عليه صفات المذكرين تبعا للفظه ، ويجوز أن تجرى عليه صفات المؤنثات تبعا للمراد منه، أما أن المرأة يطلق عليها لفظ «شخص» فدليله قول عمر بن أبى ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فقد قال « ثلاث شخوص » بغير تاء فى ثلاث ، وترك التاء فى لفظ العدد يكون عندما يكون المعدود مؤنثا ، ويدل لهذا أيضا أنه فسر ثلاث الشخوص بقوله « كاعبان ومعصر » والكاعب : المرأة التى كعب ثديها ونهد . وفى بيت الشاهد قال « ذا غربة » أى شخصا ذا غربة ، وهذا ظاهر إن شاء الله

ومن الإجراء على المعنى ما أنشده ابن منظور (ب ك ى) قال : « وقول طرفة :

وما زال عنى ما كنت يشوقنى وما قلت حتى ارفضت العين باكيا

فإنه ذكر باكيا— وهي خبر عن العين، والعين أنثى — لأنه أراد حتى ارفضت العين =

وكان الأصل أن يقول «ذَاتَ غُرْبة» لحمله على المعنى ، فكأنها قالت : تركتنى إنسانا ذا غربة ، والإنسان يطلق على الذكر والأنثى ، وقال الأعشى :

٣٢٨ — لِقَوْمٍ فَكَانُوا هُمُ الْمُنْفِدِينَ شَرَابَهُمُ قَبْلَ إِنْفَادِهَا

وكان الأصل أن يقول «قبل إنفاده» لأن الشراب مذكر ، إلا أنه أنثه حملا على المعنى ؛ لأن الشراب هو الخمر فى المعنى ، وقال الآخر :

= ذات بكاء ، وإن كان أكثر ذلك إنما هو فيما كان معنى فاعل لا معنى مفعول ، وقد يجوز أن يذكر على إرادة العضو ، ومثل هذا يتسع فيه القول ، ومثله قول الأعشى:

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

أى ذات خضاب ، أو على إرادة العضو كما تقدم ، وقد يجوز أن يكون مخضبا حالا من الضمير الذى فى يضم» اهـ كلامه بحروفه.

٣٢٨ — هذا البيت هو الثالث والعشرون من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس مطلعها :

أجدك لم تغتمض ليلة فترقدها مع رقادها

وقبل البيت المستشهد به قوله :

فباتت ركاب بأكوارها لدينا ، وخيل بألبادها

وانظر الديوان (ص ٥٠ — ٥٦) وقدوهم المؤلف فزعم أن ضمير المؤنث فى قوله «قبل إنفادها» يعود إلى الشراب لأنه الذى تقدم ذكره فى البيت ، وعنده أن الشاعر أراد أن يقول «فكانوا هم المنفدين شرابهم قبل إنفاده» غير أن القافية ألجأته إلى أن يقول «قبل إنفادها» وأنه استساغ ذلك لأن الشراب ههنا هو الخمر ، والخمر مؤنثة ، فلما لم يتيسر له أن يعيد إليه الضمير باعتبار لفظه المتقدم أعاده إليه باعتبار معناه فأنثه ، هكذا زعم المؤلف ، وليت شعرى كيف ينفدون الشراب قبل إنفاده ؟ ولكن العلماء الأثبات أعادوا الضمير المؤنث فى قوله «قبل إنفادها» إلى أحد شيئين يصح مع كل واحد منهما اللفظ والمعنى ؛ أما أحد هذين فقد ذكره أبو عبيدة، قال : فكانوا هم المنفدين شرابهم قبل أن تنفد عقولهم ، يعنى أنهم شربوا حتى أنفدوا ماعندهم من الشراب ولم تغب عقولهم ، بل بقيت لهم يقظتهم وصحوهم وعلمهم بما يدور حولهم ، وأما الثانى فقد ذكره غير أبى عبيدة، قال :فكانوا هم المنفدين شرابهم قبل إنفاد دراهمهم، يريد أنهم مياسير وأن أموالهم زادت على ثمن ما شربوه ، وكلا هذين الوجهين صحيح المعنى صحيح اللفظ ، ويكون مرجع الضمير ملحوظا من السياق ومدلولا عليه به ولا يكون فى البيت دليل على ما ساقه المؤلف للاستشهاد به عليه .

٣٢٩ — يَا بِئْرُ يَابِئْرَ بَنِي عَدِيٍّ لأَنْزَحَنْ قَعْرَكِ بِالدُّلِيِّ
حَتَّى تعُودِى أَقْطَعَ الْوَلِيِّ

وكان الأصل أن يقول « قَطْعَى الولى » لأن البئر مؤنثة ، إلا أنه ذكره حملا على المعنى ، فكأنه قال : حتى تعودى قَلِيباً أَقْطَعَ الولى ، والقليب الأغلبُ عليه التذكيرُ ، ولذلك قالوا فى جمعه « أَقْلِبَةٌ » وأفعلة بناء يختص به المذكر فى القلة كاختصاص المؤنث بأفْعُلٍ فى القلة ، وقوله « ذو الطول وذو العرض » يرجع إلى الحى ، فانتقل من معنى إلى معنى ، والتنقل من معنى إلى معنى كثير فى كلامهم كما قال الشاعر :

---

٣٢٩ — هذه ثلاثة أبيات من الرجز المشطور ، والبئر : معروفة ، وهى مؤنثة بغير علامة تأنيث؛ فيخبر عنها بالمؤنث ، وتوصف بصفات المؤنث ، ويعود إليها الضمير مؤنثا ؛ وتقول : نزحت البئر أنزحها نزحا — من مثال فتح يفتح فتحا — إذا استقيت ماءها حتى ينفد أو يقل ، وقالوا « هذا ماء لاينزح » بكسر الزاى وبفتحها — يريدون أنه كثير لاينفد ، وقعر البئر — بفتح القاف وسكون العين — أقصاه وعمقه ونهاية أسفله والدلى : جمع دلو، وأصلها دلوو — على مثال فأس وفؤوس وقبر وقبور ، ثم قلبت الواو المتطرفة ياء فصار « دلوى » فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء ، ثم قلبت ضمة الدال كسرة لمناسبة الياء المشددة ، وهذه الأعمال إلى هنا واجبة كلها ، ثم لك بعد ذلك أن تقلب ضمة الدال كسرة لمناسبة مابعدها ولأن الانتقال من ضمة إلى كسرة بعدها ياء مشددة ثقيل ، ولك أن تبقيها على حالها ، وتقول : قطع ماء الركية قطوعا وقطاعا ، تريد أنه انقطع أوقل ، والولى — من مثال غنى — أصله المطر ينزل بعد المطر ، والمطر الأول يسمى الوسمى ، وأراد الماء ، والاستشهاد بهذه الأبيات فى قوله «حتى تعودى أقطع الولى» فإن قوله « أقطع الولى » من صفات البئر ، وقد علمت أن البئر مؤنثة ، فمن حق ما توصف به أن يؤتى به على غرار صفات المؤنث ، فكان من حق العربية عليه أن يقول«حتى تعودى قطعى الولى» إلا أنه لما كان من أسماء البئر القليب ، وكان الأغلب على القليب التذكير ، وصف البئر التى ذكرها فى كلامه بالمذكر باعتبار أنها قليب ، فحمل صفتها على المعنى ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

٣٣٠ — إِنَّ تَمِيماً خُلِقَتْ مَلْمُومَا   قَوْماً تَرَى وَاحِدَهُمْ صِهْمِيماً

فقال « خُلِقَتْ » أراد به القبيلة ، ثم قال « ملموماً » أراد به الحى ، ثم ترك لفظ الواحد وحقق مذهب الجمع فقال « قوما ترى واحدهم صهميما » والصهميم : هو الذى لا يَنْثنى عن مراده ، لأنا نقول[1] : نحن لا ننكر الحمل على المعنى فى كلامهم ، ولا التنقل من معنى إلى معنى ، ولـكن الظاهر ماصرنا إليه ؛ لأن الحمل

---

٣٣٠ — هذان بيتان من الرجز المشطور أنشدهما مع بيتين آخرين ابن منظور (ص ه م) قال : « والصهميم : السيد الشريف من الناس ، ومن الإبل الـكريم ، والصهميم : الخالص فى الخير والشر ، مثل الصميم، قال الجوهرى : والهاء عندى زائدة وأنشد أبو عبيد للمخيس :

إن تميما خلقت ملموما   مثل الصفا لا تشتكى الـكلوما
قوما ترى واحدهم صهميما   لا راحم الناس ولا مرحوما

قال ابن برى : صوابه أن يقول : وأنشد أبو عبيدة للمخيس الأعرجى ، قال : كذا قال أبو عبيدة فى كتاب المجاز فى سورة الفرقان عند قوله عز وجل (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) فالسعير مذكر ، ثم أنثه فقال (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها) وكذلك قوله « إن تميما خلقت ملموما » فجمع وهو يريد أبا الحى،ثم قال «لاراحم الناس ولا مرحوما » قال : هذا الرجز يروى فى رجزرؤبة أيضا، وقال ابن برى:وهوالمشهور » اه . فالأبيات تنسب إلى المخيس الأعرجى وإلى رؤبة بن العجاج ، والأشهر الأعرف أنها لرؤبة بن العجاج ، والملموم : اسم المفعول من اللم وهو الجمع الـكثير الشديد ، وهو أيضا مصدر قولهم « لم الشىء يلمه لما » إذا جمعه وأصلحه . والصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الملساء ، والـكلوم : جمع كلم وهو الجرح وزنا ومعنى . ومحل الاستشهاد قولهم « خلقت ملموما » فإنه قد جاء به كما يجىء بأوصاف المؤنث ، فدل بهذا على أنه يريد بتميم القبيلة ، وكذلك فى قوله « لا تشتكى الـكلوما » ثم بعد ذلك قال « قوما ترى واحدهم صهميما » فأجرى الـكلام على أنه يريد الحى ، وقد سمعت فى كلام أبى عبيدة مايؤيده .

(١) هذا متعلق بقوله السابق « قالوا : ولا يجوز أن يقال إنه لم يصرفه لأنه ذهب به إلى القبيلة — إلخ » .

على اللفظ والمعنى [1] أولى من الحمل على المعنى دون اللفظ ، وجَرْىُ الكلام على معنى واحد أولى من التنقل من معنى إلى معنى ، فلما كان ماصرنا إليه أكثر فى الاستعمال وأحسن فى الكلام كان ماصِرنا إليه أولى ، وقال أبو دَهْبَلٍ الجمحى :

٣٣١ — [٢٠٩] أَنَا أَبُو دَهْبَلَ وَهْبٌ لِوَهَبْ
مِنْ جُمَحٍ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ وَالْحَسَبْ

فترك صرف « دهبلٍ » وهو منصرف ، وقال الآخر:

---

(١) فى ر « لأن الحمل على اللفظ لمعنى » ولا يتسق مع ما بعده .

٣٣١ — أبو دهبل — بفتح الدال والباء بينهماهاء ساكنة ، ويضبط بكسر الدال والباء وهو خطأ — اسمه وهب بن زمعة — بسكون الميم قبلها زاى مفتوحة — أحد بنى جمح وكان رجلا جميلا شاعرا عفيفا ، وقد قال الشعر فى آخر خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأكثر مدائحه فى عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، وفى هذا البيت الذى أنشده المؤلف شاهدان : الأول فى قوله« أبودهبل» حيث منعه من الصرف مع أنه علم على وزن جعفر ، وليس فيه إلا العلمية ،وقياس أمثاله أن ينون ويجر بالكسرة ،لكنه لما اضطر لإقامة الوزن منعه من التنوين وجره بالفتحة، هذا بيان كلام المؤلف ، لكن يقال على هذا : إن كلمة « دهبل » فى الأصل فعل ماض قال فى اللسان « التهذيب : ابن الأعرابى : دهبل ؛ إذا كبر اللقم ليسابق فى الأكل » اه وقل ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١٢٩) « دهبل دهبلة ؛ إذا مشى مشيا ثقيلا » فإذا كان « دهبل » فى الأصل فعلا ماضيا فيجوز أن يكون الشاعر رجع به إلى أصله فحكاه كما تحكى الجمل التى يسمى بها نحو يزيد ويشكر ، وعلى هذا لا يكون فى البيت شاهد لما ذكره المؤلف ، والشاهد الثانى فى قوله « من جمح » فإن هذا الاسم أحد الأعلام المعدولة عن فاعل ، ففيه العلمية والعدل ، فكان يجب عليه أن يمنعه من الصرف ،لكنه لما اضطر إلى تنوينه صرفه ، ولا يختلف النحاة فى أنه يجوز للشاعر عند الضرورة أن يصرف الاسم الذى لا ينصرف .

٣٣٢ — أَخْشَى عَلَى دَيْسَمَ مِنْ بُعْدِ الثَّرَى   أَبَى قَضَاءُ اللهِ إِلاَّ مَا تَرَى

فترك صرف « ديسم » وهو منصرف .

فإذا صحت هذه الأبيات بأَسْرِهَا دل على صحة ما ذهبنا إليه .

وأمـا من جهه القياس فإنه إذا جاز حَذْفُ الواو المتحركة للضرورة من نحو قوله

٣٣٣— فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ:   لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلاَطِ نَجِيبُ

---

٣٣٢ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وقد أنشد ابن منظور (د س م) هذين البيتين عن ابن دريد ، من غير عزو ، إلا أن عنده « من بُرد الثرى » والديسم فى الأصل: ولد الدب ، ويقال: إنه ولد الذئب من الـكلبة ، والديسم أيضا : الظلمة، وسئل أبو الفتح صاحب قطرب ـ وكان اسم أبى الفتح هذا « ديسم » ـ فقال: الديسم : الذرة ، وقد سمى به ، ومحل الاستشهاد قوله « ديسم » فقد منعه من الصرف فترك تنوينه وجره بالفتحة مع أنه ليس فيه غير العلمية . قال ابن منظور : « ترك صرفه للضرورة » اهـ

٣٣٣ — هذا البيت من شواهد رضى الدين فى باب الضمير من شرح الـكافية ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٣٩٦) وشواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (٨٢ و ٤١٦) وابن جنى فى الخصائص (١/٦٩) وكل هؤلاء الأعلام رووه على ما رواه المؤلف ، وفى كلام البغدادى ما يفيد أن البيت من شواهد سيبويه فى باب ما يحتمل الشعر ، وقد راجعت كتاب سيبويه فلم أجده ، والبيت من كلام العجير السلولى ، إلا أن الذى فى شعر العجير رويه لام على هذا الوجه :

فبيناه يشرى رحله قال قائل :   لمن جمل رخو الملاط ذلول ؟

والبيت فى وصف رجل أضل بعيره ويئس من عوده فأراد أن يبيع رحله فبينا هو يبيع رحله إذ سمع من يعرف البعير ليطلبه صاحبه ، شبه حاله مع من يحب بحال صاحب هذا البعير ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « فبيناه » فإن أصل هذه الـكلمة « فبينا هو » بضم الهاء وفتح الواو ، والعلماء يختلفون فى حذفها : هل حذفت وهى متحركة مفتوحة أو سكنت أولا ثم حذفت وهى ساكنة ؟ أما الأعلم فزعم أن الشاعر سكن الواو ، ضرورة ، ثم حذف هذه الواو الساكنة ضرورة أخرى، فأدخل ضرورة على ضرورة =

فَلَأَن يجوز حذف التنوين للضرورة كان ذلك من طريق الأولى ، وهذا لأن الواو من «هُوَ» متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الحرف الساكن أسهل من حذف الحرف المتحرك ، فإذا جاز حذف الحرف المتحرك الذى هو الواو للضرورة فَلَأَن يجوز حذف الحرف الساكن كان ذلك من طريق الأَوْلى؛ ولهذا كان أبو بكر بن السراج من البصريين — وكان من هذا الشأن بمكانٍ — يقول : لو صحت الرواية فى ترك صرف ما ينصرف لم يكن بأبعد من قولهم :

* فبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قال قائل * [٣٣٣]

ولما صحت الرواية عند أبى الحسن الأخفش وأبى على الفارسى وأبى القاسم ابن بَرْهَانَ من البصريين صاروا إلى جواز ترك صرف ما ينصرف فى ضرورة الشعر ، واختاروا مذهب الكوفيين على مذهب البصريين ، وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين .

= وأما ابن يعيش والمؤلف فذكرا أن الشاعر حذفها وهى مفتوحة، ومن أمثال هذا البيت قول الشاعر وهو من شواهد سيبويه (١/١٢) :

بيناه فى دار صدق قد أقام بها ... حينا يعللنا وما نعلله

قال الأعلم : « أراد بينا هو ، فسكن ضرورة ، ثم حذف ، فأدخل ضرورة على ضرورة » اهـ . ونظيره قول الراجز ، وأنشده سيبويه أيضا :

هل تعرف الدار على تبراكا ؟ ... دار لسعدى إذه من هواكا

قال الأعلم : « أراد إذ هى فسكن الياء أولا ضرورة ، ثم حذفها ضرورة أخرى بعد الإسكان ، تشبيها لها بعد سكونها بالياء اللاحقة فى ضمير الغائب إذا سكن ما قبله والياء والواو اللاحقة له فى هذا الحال ، نحو عليه ولديه ومنه وعنه » اهـ . وقال ابن يعيش بعد أن أنشد البيت المستشهد به ههنا : « إنما هو فبينا هو ، فحذف الواو من هو وهى متحركة من نفس الكلمة ، وإذا جاز حذف ما هو من نفس الحرف كان حذف التنوين الذى هو زيادة للضرورة أولى » اهـ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لايجوز ترك صرف ما ينصرف لأن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو أنا جوزنا ترك صرف ما ينصرف لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير أصل ، ولكان أيضاً يؤدى إلى أن يلتبس ماينصرف بما لا ينصرف ؛ وعلى هـــذا يخرج حذف الواو من « هو » فى نحو قوله :

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قال قائل * [٣٣٣]

[٢١٠] فإنهلايؤدى إلى الالتباس ، بخلاف حذف التنوين، فبَانَ الفرق بينهما .

والذى أذهب إليه فى هذه المسألة مذهَبُ الكوفيين ؛ لكثرة النقل الذى خرج عن حكم الشذوذ ، لالقوته فى القياس .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما قولهم «إنما لم يجز ترك صرف ماينصرف لأنه يؤدى إلى رده عن الأصل إلى غير أصل » قلنا : هذا يبطل بحذف الواو من « هُوَ » فى قوله :

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قالَ قائلٌ * [٣٣٣]

خصوصاً على أصلكم ، أن الواو عندكم أصلية لا زائدة كما هى على أصل الخصم زائدة .

قولهم « إنما جاز [(١)] لأنه لايؤدى إلى الالتباس ؛ بخلاف ماهنا » قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أنا لا نسلم أنه لا يؤدى ها هنا إلى الالتباس ؛ لأنك تقول « غَزَا هُوَ » فيكون توكيداً للضمير المرفوع بأنه فاعلٌ ، فإذا حذفت الواو منه التبست الهاء الباقية بالهاء التى هى ضمير المنصوب بأنه مفعول نحو « غَزَاهُ » فإنه يجوز أن لا تمطل حركتها ، قال الشاعر :

(١) يريد « إنما جاز للضرورة نحو فبيناه يشرى »

٣٣٤ — تَرَاهُ كَأَنَّ ٱللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ

٣٣٤ — أنشد هذا البيت ابن منظور (ج د ع) ولم يعزه ، وأنشده الجاحظ فى الحيوان (٤٠/٦) ونسبه إلى خالد بن الطيفان ، وأنشده ابن جنى فى الخصائص (٤٣١/٢) والشريف المرتضى فى أماليه (٢٥٩/٢ و ٣٧٥) والبيت من شواهد ابن الناظم فى شرح الألفية فى باب عطف النسق ، وقد شرحه العينى (١٧١/٤) بهامش الخزانة ، وقال « قائله هو الزبرقان بن بدر ، قاله كراع ، ونسبه الجاحظ لخالد بن الصليفان (هكذا) وقبله :

ومولى كمولى الزبرقان دملته كما دملت ساق يهاض بها كسر
إذا ما أحالت والجبائر فوقها مضى الحول ، لابرءمبين، ولاجبر

ومولى الزبرقان الذى يشير إليه صاحب البيت المستشهد به هو — كما فى الحيوان ٣٩/٦ — علقمة بن هوذة ، وفيه يقول الزبرقان :

لى ابن عم لا يزا ل يعيبنى ويعين عائب

والنحاة يستشهدون بهذا البيت فى قوله « وعينيه » فإن هذه الكلمة لا يصح أن تكون معطوفة على قوله « أنفه » لأنها لو كانت معطوفة على أنفه لكانت معمولة لقوله يجدع ضرورة أن المعطوف يشارك المعطوف عليه فى تسلط عامله عليه ، ولا يصح ذلك ؛ لأن الجدع فى لسان أهل هذه اللغة خاص بالأنف ، فلا يجوز أن تقول : جدعت عينيه ، ولا جدعت يديه ، ولا جدعت أذنيه ، وما أشبه ذلك ، ولهذا كان قوله « وعينيه » عندهم مفعولا به لفعل محذوف تقديره « ويفقأ عينيه » وتكون جملة هذا الفعل معطوفة بالواو على جملة الفعل السابق ، قال السيد المرتضى « أراد ويفقأ عينيه ؛ لأن الجدع لايكون بالعين، واكتفى بيجدع من يفقأ »اه .والمؤلف قد أنشد هذا البيت ليستشهد به على أن الشاعر قد يمطل حركة ضمير الغائب المتصل — أى يمدها فينشأ عنها حرف مد يجانس حركتها — وقد لا يمطلها ، وبيان ذلك أنك تقول« أعطيته ماله عندى» فتمطل الهاء فى «أعطيته» وفى «له» والأولى فى محل نصب والثانية فى محل جر—حق ينشأ عن ضمة كل منهما واو ، ويجوز أن تكتفى بالضمة فى كل كلمة منهما ،وأن تمطل واحدة وتدع أخرى بلا مطل ، كل ذلك جائز ، وليس واحد من الوجهين بأولى من الآخر ، وقد جمع الشاعر صاحب هذا الشاهد بين الوجهين فى هذا البيت ؛ فقد مطل الهاء فى « أنفه » واكتفى بالحركة من غير مطل فى « وعينيه »

وكذلك الهاء أيضا فى سائر المنصوبات ؛ فإنه يجوز أن لا تُمْطَلَ حركتُها فى الشعر كضمير المجرور ؛ فإنهم يُسَوُّون بينهما فى ذلك ، قال الشاعر :

٣٣٥ — لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ   إذا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

وقال الآخر :

٣٣٦ — أَوْمُعْبَرُ الظَّهْرِ يَنْأَى عَنْ وَلِيَّتِهِ   مَا حَجَّ رَبُّهُ فى الدُّنْيَا وَلاَ اعْتَمَرَا

وقال الآخر :

٣٣٧ — فَمَالَهُ مِنْ مَجْدٍ تَلِيدٍ ، وَمَالَهُ   من الريح فَضْلٌ لاَ الْجَنُوبِ ولا الصَّبَا

---

٣٣٥ — هذا البيت من كلام الشماخ بن ضرار الغطفانى يصف حمار وحش ، وهو من شواهد سيبويه (١١/١) وابن جنى فى الخصائص (١٢٧/١) والزجل - بالتحريك - صوت فيه حنين وترنم ، والحادى: الذى يتغنى أمام الإبل ويطربها لكى يعينها على السير وألا تمل ، والزمير: صوت المزمار ، والوسيقة : أراد بها أنثى حمار الوحش . يقول: إذا طلب أنثاه صوت بها وكأن صوته - لما فيه من الحنين، ومن حسن الترجيع والتطريب - صوت حاد يتغنى بإبل أو صوت مزمار . والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله « كأنه صوت حاد » فإن الشاعر لم يمطل الضمة التى على ضمير الغائب فى كأنه حتى تنشأ عنها واو، بل اختلس الضمة اختلاسا ، وهذا بين بعد ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق .

٣٣٦ — وهذا البيت أيضا من شواهد سيبويه (١٢/١) ونسبه لرجل من باهلة ، ولم يزد الأعلم فى نسبته على ذلك ، والشاعر يصف بعيرا لم يستعمله صاحبه فى سفر لحج أو عمرة ، ومعبر الظهر : ممتلئه باللحم مع كثرة وبره ، والولية : البرذعة ، وأراد بقوله « ينأى عن وليته » أنه يعسر وضعها عليه لكونه قد اشتد سمنه وكثر وبره ، وكان ينبغى أن يقول « تنأى عنه وليته » لكنه قلب ، ووجهه أنه إذا نأى عنها فإنه يجعلها تنأى عنه ، وربه : أى صاحبه . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « ربه » فإنه اختلس الضمة التى على ضمير الغائب المجرور اختلاسا ، ولم يشبع هذه الضمة حتى تنشأ عنها واو ، على نحو ما قررناه فى شرح الشاهد رقم ٣٣٤ .

٣٣٧ — هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس (د ٩٠) وهو من شواهد سيبويه =

وقال الآخر :

٣٣٨ — فإنْ يَكُ غَثًّا أوْ سميناً فإنَّنِي سَأَجْعَلُ عَيْنَيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا

وقال الآخر :

٣٣٩ —وأَيْقَنَ أَنَّ الخَيْلَ إنْ تَلْتَبِسْ بِهِ يَكُنْ لِفَسِيلِ النَّخْلِ بَعْدَهُ آبِرُ

= (١٢/١) ونسبه للأعشى ، وتبعه الأعلم، وهو البيت الرابع والعشرون من قصيدة له مطلعها :

كفى بالذى تولينه لو تجنبا شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

والأعشى يهجو فى البيت رجلا بأنه لئيم الأصل لم يرث مجدا ولا كسب خيرا ، فضرب له المثل بنفى حظه من الريحين الجنوب والصبا لأن الجنوب والصبا أكثر الرياح عندهم خيرا ، والجنوب تلقح السحاب ، والصبا تلقح الأشجار ، وقد يتأول على أنه لا خير عنده ولا شر ، كما يقال : فلان لا ينفع ولا يضر ، أى أنه ليس بشىء يعبأ به . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « وماله من مجد » حيث اختلس ضمة الهاء اختلاسا ولم يشبعها حتى تنشأ عنها واو ، ولكن رواية المؤلف ورواية سيبويه من قبله تخالف رواية الديوان ، فقد ورد البيت فى الديوان هكذا :

وما عنده مجد تليد ، وماله من الريح فضل، لا الجنوب ولا الصبا

والهاء فى « عنده » على هذه الرواية مشبعة غير مختلسة ، وسيبويه غير متهم فيما يرويه عن العرب .

٣٣٨ — هذا البيت من كلام مالك بن خريم ـ بالخاء المعجمة ، بوزن الصغر ـ وهو من شواهد سيبويه (١/ ١٠) وقد نسبه إليه ، وأقر الأعلم هذه النسبة . يصف الشاعر ضيفا نزل به، وأنه سيقدم إليه ماعنده من القرى ، ويحكمه فيه ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « لنفسه » فإن الشاعر قد اختلس كسرة الهاء اختلاسا، ولم يمطلها حتى تنشأ عنها ياء ، وذلك مما يقع فى الشعر ، وهو مثل ما ذكرناه فى الشواهد السابقة .

٣٣٩ — وهذا البيت أيضا من شواهد سيبويه (١١/١) ونسبه إلى حنظلة بن فاتك ، وأقر الأعلم هذه النسبة ، قال الأعلم « والبيت يتأول على معنيين ، أحدهما ـ وهو الأصح ـ أن يكون وصف جبانا ، فيقول : أيقن هذا الرجل أنه إن التبست به الخيل قتل فصار ماله إلى غيره، فكع وانهزم .والمعنى الآخر أن يكون وصف شجاعا =

[٢١١] وقال الآخر .

٣٤٠ — أَنَا ابْنَ كِلاَبٍ وابْنُ أَوْسٍ ؛ فَمَنْ يَكُنْ قِنَاعُهُ مُغَطِّيًّا فإِنِّى مُجْتَلَى

وقال الآخر :

٣٤١ — لأُعْلِطَنَّهُ وَسْمًا لا يُفَارِقُهُ كَمَا يُحَزُّ بِحُمَّى الْمِيسَمِ الْبَحِرُ

= فيقول : قد علم إنه إن ثبت وقتل لم تتغير الدنيا بعده وبقى من أهله من يخلفه فى حرمه وماله ، فثبت ولم يبال بالموت » اهـ . والخيل : أراد بها خيل الفرسان فى الحرب ، وفسيل النخل ـ بفتح الفاء ـ صغاره ، والآبر : الذى يصلح النخل ، وعمله الإبار ، ومحل الاستشهاد من البيت قوله « بعده » حيث اختلس ضمة الهاء اختلاسا ولم يمطلها حتى تنشأ عنها واو ، على نحو ما ذكرناه فى الشواهد السابقة .

٣٤٠ ـــ أنشد ابن منظور هذا البيت (غ ط ى) من غير عزو . وتقول : غطى الشىء يغطيه غطيا ـ من مثال رماه يرميه رميا ـ إذا ستره ، وتقول « فلان مغطى » تريد أنه خامل الذكر لا نباهة له ، وقال حسان بن ثابت :

رب حلم أضاعه عدم المـــا ل وجهل غطى عليه النعيم

وقول صاحب الشاهد « فإنى مجتلى » حكى ابن منظور أنه يروى « فإنى لمجتلى » والمراد فإنى نابه الذكر محمود الأثر ، وهو فى هذا الموضع قريب من قولهم « هو ابن جلا » . ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « قناعه » حيث اختلس الشاعر ضمة الهاء اختلاسا ، ولم يمطلها حتى تنشأ عنها واو ، والكلام فيه كالكلام فى الشواهد السابقة .

٣٤١ ـــ أنشد ابن منظور هذا البيت (ب ح ر) من غير عزو ، وأعلطنه : أصل هذه المادة العلاط ـ بوزن الكتاب ـ وهو صفحة العنق من كل شىء ، والعلاطان : صفحتا العنق من الجانبين ، ثم سموا السمة فى عرض عنق البعير أو الناقة علاطا ، فإن كانت السمة بالطول سموها سطاعا ، وقالوا : علط البعير والناقة يعلطها ـ من بابى ضرب ونصر ـ إذا وسمها ، وقالوا أيضا « علطه » بالتشديد للكثرة ، وقالوا : علطه بالقول ـ أو بالشر ـ إذا رماه بعلامة يعرف بها ، والعلاط ـ بالكسر ـ الذكر بالسوء . والوسم : العلامة ، والميسم ـ بكسر الميم الأولى ـ اسم الآلة من الوسم ، والبحر ـ بفتح الباء وكسر الحاء ـ الوصف من البحر ـ بالتحريك ـ وهو أن يلقى البعير بالماء فيكثر =

وقال الآخر :

٣٤٢ — لِيَ وَالِدٌ شَيخٌ تَهِضْهُ غَيْبَتِي وأَظُنّ أَنّ نَفَادَ عُمْرِهِ عَاجِلُ

والوجه الثانى : أنه يبطل بصرف ما لا ينصرف ، فإنه يوقع لبساً بين ما ينصرف وما لا ينصرف فى نحو قوله :

٣٤٣ — * قَوَاطِناً مَكّةَ مِنْ وُرْقِ الْحَمِى *

= منه حتى يصيبه منه داء ، يقال : بحر يبحر بحرا — من مثال فرح يفرح فرحا — فإذا أصابه هذا الداء كوى فى موضع فيبرأ ، قاله الفراء ، وقال الأزهرى : الداء الذى يصيب البعير فلا يروى بالماء هو النجر أو البجر — بالنون والجيم أو بالباء والجيم — وأما البحر فهو داء يورث السل ، وأبحر الرجل ؛ إذا أخذه السل ، ورجل بحير وبحر : مسلول ذاهب اللحم ، عن ابن الأعرابى ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « لأعلطنه » حيث اختلس ضمة الهاء اختلاساً ، ولم يمطلها حتى تنشأ عنها واو ، على مثال ما ذكرناه فى شرح الشواهد السابقة .

٣٤٢ — الشيخ : من استبانت فيه السن ، وقيل : الرجل شيخ متى بلغ خمسين سنة إلى آخر عمره ، وقيل : إلى الثمانين ، وتهضه : مضارع « هاض العظم يهيضه هيضا » مثل باعه يبيعه بيعا — إذا كسره بعد ما كاد ينجبر ، وكل وجع على وجع فهو هيض ، وتقول « هاضنى هذا الأمر » إذا ردك فى مرضك ، وقد عامل قوله « تهضه » معاملة المجزوم وإن لم يسبقه جازم ، وقد كان من حق العربية عليه أن يقول « تهيضه غيبتى » إلا أنه حذف الياء كما يحذفها لو أن الفعل كان مجزوما ، ونفاد عمره : ذهابه وزواله ، ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « عمره » فقد اختلس كسرة الهاء — وهى ضمير الغائب العائد إلى والد — اختلاسا ، ولم يشبعها حتى تتولد عنها ياء ، وهو نظير ما تقدم فى شرح الشواهد السابقة

٣٤٣ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من شواهد سيبويه (١/٨) ونسبه إلى العجاج ، وقد أنشده ابن منظور (ح م م) ثالث ثلاثة أبيات ، ونسبها إلى العجاج وهى فى روايته هكذا :

ورب هذا البلد المحرم والقاطنات البيت غير الريم

* قواطنا مكة من ورق الحمى *

وهو من شواهد ابن عقيل (رقم ٢٦٢) وشرحه العينى (٣/٥٥٤ فى هامش الخزانة) =

وكذلك سائر ما لا ينصرف ، ومع هذا فقد وقع الإجماع على جوازه ، فكذلك ها هنا .

فإن قالوا : الكلام به يتحصل القانون دون الشعر (١) ، وصرف ما لا ينصرف لا يوقع لبساً بين ما ينصرف وما لا ينصرف ؛ لأنه لا يلتبس ذلك فى اختيار الكلام .

قلنا : وهذا هو جوابنا عما ذكرتموه ؛ فإنه إذا كان الكلام هو الذى يتحصل به القانون دون الشعر ، فترك صرف ما ينصرف فى ضرورة الشعر لا يوجب لبساً بين ما ينصرف وما لا ينصرف ؛ إذ لا يلتبس ما ينصرف وما لا ينصرف فى اختيار الكلام ، والله أعلم .

٧١ — مسألة

[القول فى علة بناء « الآن » ؟] (٢)

ذهب الكوفيون إلى أن « الآن » مبنى ؛ لأن الألف واللام دخلتا على فعل ماض من قولهم « آنَ يَئِينُ » أى حَان ، وبقى الفعل على فتحته .

= والقاطنات : جمع قاطنة ، وهى اسم الفاعل المؤنث من « قطن المكان يقطنه » إذا أقام فيه ، والريم : جمع رائمة ، وهى اسم الفاعل المؤنث من « رام الموضع يريمه » إذا فارقه وتركه ، ويروى « أوالفا » وهو جمع آلفة ، ومهما يكن من شىء فإن فى قوله « أوالفا » أو « قواطنا » صرف الاسم الذى لا ينصرف ؛ فإنه على صيغة منتهى الجموع ، وكان عليه أن ينصبه بالفتحة من غير تنوين ، إلا أنه لما اضطر إلى إقامة الوزن نونه .

(١) يريد المؤلف بهذه العبارة أن قوانين العربية وقواعدها إنما تؤخذ من الكلام وهو النثر ـ وذلك بسبب أن الشعر لضيق العبارة فيه بسبب الوزن والروى والقافية تعرض للشاعر فيه عوارض تدفعه إلى أن يرتكب مالا يرتكبه لو أنه كان فى فسحه من أن يقول ما شاء .

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (١/٥٧و١٧٥ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٥٨و١٨٠) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٥٥٤) وشرح الرضى على كافية ابن الحاجب (٢/١١٨)

وذهب البصريون إلى أنه مبنى لأنه شابه أسم الإشارة ، ولهم فيه أيضاً أقوال أُخَرُ نذكرها فى دليلهم .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الألف واللام فيه بمعنى الذى ، ألا ترى أنك إذا قلت « الآن كان كذا » كان المعنى: الوَقْتُ [٢١٢] الذى آن كان كذا ، وقد تُقَامُ الألفُ واللام مقام الذى لكثرة الاستعمال طلباً للتخفيف ، قال الفرزدق :

٣٤٤ — مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ
وَلاَ الْبَلِيغِ وَلاَ ذِى الرَّأْىِ وَالْجَدَلِ

أراد « الَّذِى تُرْضَى » وقال الآخر :

٣٤٥ — بَلِ الْقَوْمُ الرَّسُولُ اللهِ فِيهِمْ هُمُ أَهْلُ الْحُكُومَةِ مِنْ قُصَىٍّ

---

٣٤٤ — هذا البيت من كلام الفرزدق همام بن غالب يهجو فيه رجلا من بنى عذرة ، وهو من شواهد الأشمونى (رقم ٩٧) وأوضح المسالك (رقم ٣٠) وشذور الذهب (رقم ٢) وقد شرحه العينى (١ / ١١١ بهامش الخزانة) والحكم ـ بالتحريك الذى يحكمه الخصمان ليفصل بينهما ،والبليغ : اللسن الفصيح ، ويروى فى مكان هذه الكلمة « ولا الأصيل » والأصيل : الحسيب ، والجدل ـ بالتحريك ـ شدة الخصومة . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « الترضى » حيث دخلت ال الموصولة على الفعل المضارع ، وهذا يدل على أن الموصولة لا تدل على أن مادخلت عليه اسم ، لأنها تدخل على الاسم نحو القائم والمضروب ، وعلى الفعل وغيره كما فى بيت الشاهد ومايليه من الشواهد .

٣٤٥ — وقع فى كتب النحاة بيت يشبه أن يكون هو هذا البيت لولا اختلاف يسير ، والبيت المشار إليه هو

من القوم الرسول الله منهم لهم دانت رقاب بنى معد

وهو من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٧) وابن عقيل (رقم ٣١) والأشمونى (رقم ١٠٨) ودانت : خضعت وانقادت وذلت ، ومعد : هو ابن عدنان=

وقال الآخر :

يَقُولُ الْخَنَا وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً ... إلَى رَبِّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدَّعُ [٩١]

وَيَسْتَخْرِجُ الْيَرْبُوعَ مِنْ نَافِقَائِهِ ... وَمِنْ جُحْرِهِ بِالشِّيحَةِ الْيَتَقَصَّعُ

أراد « الذى يُجَدَّعُ ، والذى يَتَقَصَّعُ » فكذلك ها هنا فى الآن ، و بقى الفعل على فتحته ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « نَهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ » وهما فعلان ماضيان ، فأدخل عليهما حرف الخفض وبَقَّاهما على فتحهما ، وكذلك قولهم « من شَبَّ إلى دَبَّ » بالفتح ؛ يريدون من أن كان صغيراً إلى أن دَبَّ كبيراً ، فبَقّوا الفتح فيهما ، فكذلك ها هنا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن سبيل الألف واللام أن يَدْخُلاَ لتعريف الجنس ، كقوله تعالى : (إن الإنسان لفى خُسْرٍ) وكقولهم « الرجل خير من المرأة » وكقولهم « أهلك الناسَ الدِّينَارُ والدرهَمُ » أو لتعريف العهد ، كقوله تعالى : (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) أو يدخلا على شىء قد غَلَبَ عليه نعتهُ فعُرِفَ به ، كقولك : الحارث ، والعباس ، والسِّمَاك ، والدَّبَرَان ؛ فلما دخلا ها هنا على غير ما ذكر ودخلت على معنى الإشارة إلى الوقت الحاضر صار معنى قولك « الآنَ » كقولك : هذا الوقت ، فشابه اسم الإشارة ، واسم الإشارة مبنى ؛ فكذلك ما أشبهه ، وكان الأصلُ فيه أن يبنى على السكون إلاَّ أنه بنى على حركة لالتقاء الساكنين ، وكانت الفتحة أولى لوجهين ؛

=أبو العرب الحجازية كلهم ، وبنوقصى : هم قريش، وبنو هاشم قوم النبىصلى الله عليه وسلممنهم . ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « الرسول الله منهم » فإن ال فى أول هذه العبارة موصولة ، والاصل فى صلة ال الموصولة أن تكون صفة صريحة كاسم الفاعل واسم المفعول ، ولكن الشاعر قد جاء فى هذا الكلام بصلة ال الموصولة جملة اسمية من مبتدأ وخبر كما تكون صلة الذىوفروعه ، وكأنه قال : من القوم الذين رسول الله منهم.

أحدها : أنها أخفُّ الحركات وأشكلها بالألف والفتحة التى قبلها فأتبعوها الألف والفتحة التى قبلها كما أتبعوا ضمة الذال التى فى « مُنْذُ » ضَمَّةَ الميم ، وإن كان حقُّ الذال أن تكسر لالتقاء الساكنين .

والوجه الثانى: أن [٢١٣] نظائرها من الظروف المستحقة لبناء أواخرها على حركة كأيْنَ وأيَّانَ بنيت على الفتح ؛ فكذلك « الآنَ » لمشاركتها لها فى الظرفية .

ومنهم من قال ، وهو أبو العباس المبرد : إنما بنى « الآنَ » لأنه وقع فى أول أحواله بالألف واللام ، وسبيلُ ما يدخل عليه الألف واللام أن يكون منكوراً أولا ثم يعرف بهما ، فلما خالف سائر أخواته من الأسماء وخرج إلى غير بابه بُنِىَ .

ومنهم من قال ، وهو أبو سعيد السيرافى : إنما بنى لأنه لما لزم موضعاً واحداً أشبه الحرف ؛ لأن الحروف تلزم مواضعها التى وضعت فيها فى أوليتها ، والحروف مبنية ؛ فكذلك ما أشبهها .

ومنهم من قال ، وهو أبو على الفارسى : إنما بنى لأنه حذف منه الألف واللام وضمن الاسم معناهما ، وزيدت فيه ألف ولام أُخْرَيَان .

وبنى على الفتح فى جميع الوجوه ؛ لما ذكرناه فى الوجه الأول ، وهو الذى عليه سيبويه وأكثر البصريين .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الألف واللام فيه بمعنى الذى » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن الألف واللام إنما يدخلان على الفعل وهما بمعنى الذى فى ضرورة الشعر كما أنشدوه من الأبيات ، لا فى اختيار الكلام ؛ فلا يكون فيه حجة .

وأما ما شبهوه به من نهيه صلى الله عليه وسلم عن قِيلَ وقَالَ فليس بمشبه له ؛ لأنه حكاية ، والحكايات تدخل عليها العواملُ فتُحْكَى ، ولا تدخل عليها الألف واللام ؛ لأن العوامل لا تغير معانى ما تدخل عليه كتغيير الألف واللام . ألا ترى أنك تقول : « ذهب تأبَّطَ شرًّا ، وذَرَّى حَبًّا ، وبَرَقَ نَحْرُهُ ، ورأيت تأبط شرا ، وذَرَّى حبا ، وبَرَق نحره ، ومررت بتأبط شرا ، وذَرَّى حبا ، وبَرَق نحره » ولا تقول : هذا التأبط شرا ، ولا الذَّرَّى حبا ، ولا البَرَقَ نحرُه ، وما أشبه

ذلك ، وكذلك تقول : رفعنا اسمَ كان بكَانَ ، ونصبنا اسم إنَّ بإنَّ ، ولا تقول رفعناه بالكان ونصبناه بالإنَّ ، فبان الفرقُ بينهما ؛ وهذا هو الجواب عن قولهم « مِن شَبَّ إلى دَبَّ » على أنه لو أخرجت هذه الأشياء إلى الأسماء فقيل « عن قيلٍ وقالٍ » ، « ومن شبٍّ إلى دبٍّ » فأدخلت الجر والتنوين لكان ذلك جائزاً بالإجماع ، على أنه قد صح عن العرب أنهم قالوا : من شَبٍّ إلى دَبٍّ — بالجر والتنوين — وقد حكى ذلك أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء من أصحابكم ، وذلك ألزم لكم وأوفى حجةً عليكم ، والله أعلم .

[٢١٤] ٧٢ — مسألة

[فعل الأمر معرب أو مبنى ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن فعل الأمرِ للمُوَاجَهِ المُعَرَّى عن حرف المضارعة — نحو افْعَلْ — معربٌ مجزومٌ .

وذهب البصريون إلى أنه مبنى على السكون .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه معرب مجزوم لأن الأصل فى الأمر للمُوَاجَهِ فى نحو « افْعَلْ » لِتَفْعَلْ ، كقولهم فى الأمر للغائب « لِيَفْعَلْ » وعلى ذلك قوله تعالى : (فبذَلك فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجمعونَ) فى قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القُرَّاء ، وذُكرتِ القراءةُ أنها قراءة النبى صلى الله عليه وسلم من طريق أُبَىِّ بن كعب ، ورويت هذه القراءة عن عثمان بن عفان وأنس بن مالك

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (١/٦٤ بولاق) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٦٥) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٤٩) وأسرار العربية للمؤلف (ص ١٢٥) .

والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وأبى عبد الرحمن السلمى وأبى جعفر يزيد بن القعقاع المدنى وأبى رجاء العُطَارِدىّ وعاصم الجَحْدَرِىّ وأبى التَّيَّاح وقتادة والأعرج وهلال بن يِسَاف والأعمش وعمرو بن فائد وعلقمة بن قيس ويعقوب الحضرمى وغيرهم من القراء . وقد جاء فى الحديث « ولْتَزُرَّهُ ولو بشَوْكَةٍ » أى زُرَّهُ ، وجاء عنه صلوات الله عليه أنه قال فى بعض مَغَازِيه « لتأْخُذُوا مَصَافَّكم » أى خُذُوا ، وقال صلوات الله عليه مرة أخرى « لِتَقُومُوا إلى مَصَافِّكم » أى قوموا ، وقال الشاعر :

٣٤٦ — لِتقُمْ أنْتَ يَاابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ فَتُقَضَّى حَوَائِجُ الْمُسْلِمِينَا

---

٣٤٦ — هذا البيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٣٧٩) وأنشده مرتين (فى ص ٢٢٧ و٥٥٢) ولم يتحدث عنه السيوطى فى شرح شواهده ، ويروى « كى لتقضى حوائج المسلمينا » ويروى « فلتقضى حوائج المسلمينا » . وتقول : قضى فلان الشىء ؛ تريد عمله ، وقال الشاعر ، وهو أبو ذؤيب الهذلى :

وعليها مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

مسرودتان : أراد درعين ، والسوابغ : جمع سابغة ، وهى الدرع أيضا ، وفى القرآن الكريم (أن اعمل سابغات) أى دروعا سابغات . والحوائج : جمع حاجة ، على غير قياس ، كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمعى ينكر هذا الحرف ويدعى أنه مولد ، قال ابن برى « إنما أنكره الأصمعى لخروجه عن قياس جمع حاجة ، والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة ، وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة ، وأما قول الأصمعى إنه مولد فإنه خطأ منه ؛ لأنه قد جاء ذلك فى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أشعار العرب الفصحاء ، فما جاء فى الحديث ماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون يوم القيامة » ومما جاء فى أشعار العرب الفصحاء قول أبى سلمة المحاربى :

ثممت حوائجى ، ووذأت بشرا فبئس معرس الركب السغاب

ثممت — بالثاء المثلثة — : أصلحت . وقال الشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسفن مع الجرىء =

. . . .

= وقال الأعشى :

الناس حول قبابه أهل الحوائج والمسائل

وقال الفرزدق :

ولى ببلاد السند عند أميرها حوائج جمات وعندى ثوابها

وقال هميان بن قحافة :

حتى إذا ما قضت الحوائجا وملأت حلابها الخلانجا » اه

وقول الشاعر فى البيت المستشهد به « فتقضى » هو بتشديد الضاد فى هذه الرواية نظير ما أنشده ابن خالويه :

خليلى إن قام الهوى فاقعدا به لعنا نقضى من حوائجنا رما

وفى الرواية الأخرى « كى لتقضى » هو بالتخفيف من مثال رمى يرمى . ثم إن قرأت هذا الفعل بالبناء للمعلوم فى أى الروايتين كنت قد عاملت الفعل المعتل بالياء فى حال النصب كما تعامله فى حال الرفع فقدرت الفتحة على الياء ومن حقها أن تظهر ، وإن قرأته بالبناء للمجهول كانت الفتحة مقدرة على الألف ، وكان قوله « حوائج المسلمينا » مرفوعا على أنه نائب الفاعل ، ونرى لك أن تقرأ هذه القراءة . والاستشهاد بالبيت فى قوله « لتقم » حيث إن الشاعر استعمل أمر المخاطب بالفعل المضارع المقرون بلام الأمر، وهو الأصل. وقد رجح ابن هشام فى مغنى اللبيب رأى الكوفيين فى هذه المسألة، قال « وزعم الكوفيون وأبو الحسن أن لام الطلب حذفت حذفا مستمرا فى نحو قم واقعد ، وأن الأصل لتقم ولتقعد ، فحذفت اللام للتخفيف ، وتبعها حرف المضارعة ، وبقولهم أقول ؛ لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف ، ولأنه أخو النهى ولم يدل على النهى إلا بالحرف، ولأن الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل ، وكونه أمرا أو خبرا خارج عن مقصوده ، ولأنهم قد نطقوا بذلك الأصل كقوله « لتقم أنت . . . البيت » وكقراءة جماعة (فبذلك فلتفرحوا) وفى الحديث « لتأخذوا مصافكم » ولأنك تقول : اغز واخش وارم واضربا واضربوا واضربى كما تقول فى الجزم ، ولأن البناء لم يعهد كونه بالحذف ، ولأن المحققين على أن أفعال الإنشاء مجردة عن الزمان كبعت وأقسمت وقبلت، وقد أجابوا عن كونها ــ مع ذلك ــ أفعالا بأن تجردها عارض لها عند نقلها عن الخبر ، ولا يمكنهم ادعاء ذلك فى نحو قم ؛ لأنه ليس له حالة غير هذه ، وحينئذ فتشكل فعليته . فإذا ادعى أن أصله « لتقم » كان الدال على الإنشاء اللام ، لا الفعل » وهو كلام دقيق ، وفيه كل ماذكره المؤلف عنهم وزيادة ، فاحرص عليه.

وقال الآخر :

٣٤٧ — فَلْتَكُنْ أَبْعَدَ الْعُدَاةِ مِنَ الصُّلْـحِ مِنَ النَّجْمِ جَارُهُ الْعَيُّوقُ

وقال الآخر :

٣٤٨ — لِتَبْعَدْ إِذْ نَأَى جَدْوَاكَ عَنِّى فَلاَ أَشْقَى عَلَيْكَ وَلاَ أُبَالِى

٣٤٧ النجم : أراد به ههنا الثريا ، والعيوق ـ بفتح العين وتشديد الياء مضمومة ـ قال الجوهرى : « نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ؛ يتلو الثريا ، ولا يتقدم ، وأصله فيعول ، فلما التقى الياء والواو والاولى ساكنة صارتا ياء مشددة » اهـ . وفى قوله « من النجم » إشكال ، فإن « من » التى تدخل على المفضول إنما تلحق أفعل التفضيل إذا كان نكرة ، تقول : زيد أشرف منك نسبا ، وأضوأ منك وجها ، فإذا ألحقت أل بأفعل التفضيل أو أضفته لم تأت بمن مع المفضول ، تقول: زيد الأشرف نسبا، والأضوأ وجها، وزيد أشرف الناس نسبا، وأضوأ الناس وجها ، ولا تأتى بمن ، فلا تقول : زيد الأشرف منك نسبا والأضوأ منك وجها ، وزيد أشرف الناس منك وجها ، وزيد أضوأ الناس منك وجها ، ولهذا كان قوله « من النجم » محل كلام كقول الأعشى ميمون :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

وكقول قيس بن الخطيم الأنصارى :

نحن بغرس الودى أعلمنا منا بركض الجياد فى السدف

ويمكن أن يتمحل فى بيت الشاهد مثل الذى تمحله النحاة فى بيت الأعشى وبيت قيس ، فيدعى أن « من » هذه ليست متعلقة بأبعد المذكور المضاف إلى « العداة » ولكنها متعلقة بأبعد آخر محذوف ليس مضافا ، وتقدير الكلام على هذا : لتكن أبعد العداة من الصلح أبعد من النجم ـ إلخ ، فأما « من » فى قوله « من الصلح » فليست هى من التى يمتنع لحاقها لأفعل التفضيل المقرون بال أو المضاف ، وذلك لأنها ليست « من » الداخلة على المفضول ، والممنوع هو من التى تدخل على المفضول ، ولهذا كان قول الشاعر :

فهم الأقربون من كل خير وهم الأبعدون من كل ذم

صحيحا لا غبار عليه . ومحل الاستشهاد بالبيت ههنا قوله « فلتكن أبعد ـ إلخ » حيث أمر المخاطب بالفعل المضارع المبدوء بتاء المضارعة المقرون بلام الأمر ، على ما هو الاصل فى هذا المعنى ، وقد ذكرنا مثله فى شرح الشاهد السابق .

٣٤٨ — الجدوى ـ بوزن التقوى ـ العطية ، والجدا ـ بالفتح ـ مثله ، وتقول :=

فثبَتَ أن الأصل فى الأمر للمُوَاجَهِ [فى نحو اُفْعَلْ] أن يكون باللام نحو لِتَفْعَلْ كالأمر للغائب ، إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجَهِ فى كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجىء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع [٢١٥] حرف المضارَعة طلبا للتخفيف ، كما قالوا « أيشٍ » والأصل : أىُّ شىء ، وكقولهم « عِمْ صباحاً » والأصل فيه : أَنْعِمْ صباحاً ، من نَعِمَ يَنْعِمُ بكسر العين فى أحد اللغتين ، وكقولهم « وَيْلُمِّهِ » والأصل فيه : وَيْلُ أُمِّهِ ، إلا أنهم حذفوا فى هذه المواضع لكثرة الاستعمال ، فكذلك ها هنا : حذفوا اللام لكثرة الاستعمال ؛ وذلك لا يكون مُزِيلاً لها عن أصلها ولا مُبْطِلاً لعملها .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه معرب مجزوم أنا أجمعنا على أن فِعْلَ النَّهْيِ معربٌ مجزوم نحو « لا تَفْعَلْ » فكذلك فعل الأمر نحو « اُفْعَلْ » لأن الأمر ضد النهى ، وهم يحملون الشىء على ضده كما يحملونه على نظيره ، فكما أن فعل النهى معرب مجزوم فكذلك فعل الأمر .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليلُ على أنه معرب مجزوم بلام مقدرة أنك تقول فى المعتلِّ « اغْزُ ، وارْمِ ، واخْشَ » فتحذف الواو والياء والألف كما تقول « لم يَغزُ ، ولم يَرْمِ ، ولم يَخْشَ » بحذف [حرف] العلة ؛ فدل على أنه مجزوم بلامٍ مقدرة .

= جدا عليه يجدى جدى ، وكذلك أجداه : أى أعطاه ، وفلان قليل الجدا على قومه، وقال أبو العيال الهذلى :

بخلت فطيمة بالذى توليني إلا الكلام ، وقلما تجديني

وقوله « لتبعد » أراد لتهلك فما فى حياتك خير ، ونأى : بعد ، وقوله « فلا أشق عليك ولا أبالى » يريد إن هلكك يذهب عنى ما أنا فيه من الشقاء بحياتك . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « لتبعد » حيث أمر المخاطب بالفعل المضارع المبدوء بتاء المضارعة المقرون بلام الأمر ، على نحو ما قررناه فى شرح الشاهد السابق .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن حرف الجر لا يعمل مع الحذف فحرف الجزم أولى : لأن حرف الجر أقوى من حرف الجزم ؛ لأن حرف الجر من عوامل الأسماء ، وحرف الجزم من عوامل الأفعال ، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال ، فإذا كان الأقوى لا يعمل مع الحذف فالأضعف أوْلىٰ » لأنا نقول : قولكم « إن حرف الجر لا يعمل مع الحذف » لا يستقيم على أصلكم ؛ فلا يصلح إلزاماً لكم ؛ فإنكم تذهبون إلى أن « رُبَّ » تعمل الْخَفْضَ مع الحذف بعد الواو والفاء و بل ، و إعمالها بعد الواو نحو قول الراجز :

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ [٢٣٦]

أي : ورُبَّ بلدٍ ، و إعمالها بعد الفاء نحو قول الشاعر :

* فَحُورٍ قَدْ لَهَوْتُ بِهِنَّ عِينٍ * [٢٤٠]

أي : فرُبَّ حُورٍ ، و إعمالها بعد بل نحو قول الراجز :

٣٤٩ — بَلْ بَلَدٍ مِلْءُ الْفِجَاجِ قَتَمُهْ لا يُشْتَرَى كَتَّانُهُ وَجَهْرَمُهْ

---

٣٤٩ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما من كلام رؤبة بن العجاج من أرجوزة طويلة يمدح فيها أمير المؤمنين أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين ، وأول هذه الأرجوزة قوله :

قلت لزير لم تصله مريمه ضليل أهواء الصبا يندمه

والبيت المستشهد به ههنا من شواهد الأشموني (رقم ٥٧٤) وابن هشام في مغني اللبيب (رقم ١٦٨) وفي شذور الذهب (رقم ١٦٣) وابن عقيل (رقم ٢١٩) والبلد يذكر ويؤنث ، والتذكير أكثر، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع ، وقتمه — بفتح القاف والتاء جميعا ، وأصله القتام ، بوزن السحاب ، خففه بحذف الألف — وهو الغبار ، والجهرم — بوزن جعفر — هو البساط ، وقيل : أصل هذه الكلمة « جهرميه » بياء مشددة كياء الكرسي ، للنسبة إلى جهرم وهي إحدى بلاد فارس ، وإنه حذف ياء النسبة . يصف نفسه بالقدرة على الأسفار وتحمل المشاق ، ويشير إلى أن ناقته جلدة قوية على قطع الطرق الوعرة والمسالك الصعبة،والاستشهاد بالبيت في قوله« بل=

أى : بل ربَّ بلد ، فأعملتم « ربّ » فى هذه المواضع مع الحذف ، وهى حرف خفض [٢١٦] وهذه مناقضة ظاهرة ؛ فدل على أن حرف الخفض قد يعمل مع الحذف ، على أنه قد حكى نَقَلَةُ اللغةعن رؤبة أنه كان إذا قيل له : كيف أصبحت، يقول : خَيْرٍ عافاك الله ، أى : بخير ، فيعمل [حرف] الخفض مع الحذف .

وكذلك أيضاً مَنْعُكم إعمالَ حرف الجزم[1] مع الحذف لا يستقيم أيضاً على أصلكم ، فإنكم تذهبون إلى أن حرف الشرط يعمل مع الحذف فى ستة مواضع ، وهى : الأمر ، والنهى ، والدعاء ، والاستفهام ، والتمنى ، والعرض ، والأمر نحو : ايتِنِي آتِكَ ، والنهى : لا تفعل يَكُنْ خيرا لك ، والدعاء : اللهم ارزقنى بعيراً أَحُجَّ عليه ، والاستفهام : أين بيتك أَزُرْكَ ، والتمنى : ألا ماء أَشْرَبْهُ ، والعرض : ألا تنزل أُكْرِمْكَ ، فأعملتم حرف الشرط مع الحذف فى هذه المواضع كلها لتقديره فيها .

وقد جاء عن العرب إعمالُ حرف الجزم مع الحذف ، قال الشاعر :

٣٥٠ — مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالَا

= بلد » حيث جر النكرة بعد بل برب المحذوفة ، وأصل الكلام « بل رب بلد » وانظر الشاهد رقم ٢٣٩ السابق ، ومثل هذا الشاهد قول رؤبة بن العجاج أيضا :

بل بلد ذى صعد وأصباب تخشى مراديه وهجر دواب

(١) فى الأوروبية « إعمال حرف الجر مع الحذف » محرفا عما أثبتناه

٣٥٠ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٤٠٨) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٩٤٢) والمؤلف فى أسرار العربية (ص ١٢٥) ورضى الدين فى باب جوازم المضارع من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٦٢٩) وابن الناظم فى باب الجوازم من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٤/٤١٨) وقد اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت ؛ فنسبه الرضى فى باب فعل الأمر (٢/٢٤٩) إلى حسان بن ثابت، وهو غير موجود فى ديوانه ، ونسبه ابن هشام فى شذور الذهب إلى أبى طالب بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال البغدادى « وقل بعض فضلاء العجم فى =

والتقدير فيه : لِتَفْدِ نفسَكَ ، فحذف اللام وأعملها فى الفعل الجزمَ ، وقال الشاعر :

٣٥١ — فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ؛ فَإِنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

= شرح أبيات المفصل: هو للأعشى » اهـ « وهو عجيب غاية فى العجب ، والتبال: سوء العاقبة ، وأصله الوبال — بالواو — فأبدلت الواو تاء ، والمعنى : إذا خفت وبال أمر أعددت له ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « تفد » فإن سيبويه رحمه الله ـ كالكوفيين ـ خرج هذه الكلمة فى هذا البيت على أن الأصل « لتفد » بلام الأمر مكسورة وبجزم الفعل المضارع بحذف الياء وإبقاء الكسرة دالة عليها ، ثم حذفت اللام وبقى الفعل على ما كان عليه معها ، قال سيبويه « واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها فى الشعر ، وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بأن إذا عملت مضمرة ، قال الشاعر :

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ماخفت من شيء تبالا

وإنما أراد لتفد » اهـ . وقال الأعلم « الشاهد فيه إضمار لام الأمر فى قوله تفد ، والمعنى لتفد نفسك ، وهذا من أقبح الضرورة ، لأن الجازم أضعف من الجار ، وحرف الجر لا يضمر » يريد أن حرف الجر لا يعمل وهو محذوف ، مع أنه أقوى من الجازم ، وإذا كان الاقوى لا يعمل محذوفا فلأن لا يعمل الأضعف محذوفا من باب الأولى . وقد خرجه قوم تخريجا آخر ، فذهبوا إلى أن « تفد » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة للتخفيف اجتزاء بكسر ما قبلها للدلالة عليها ، وكأنه قال : محمد تفدى نفسك كل نفس ، ثم حذف الياء مضطرا ليقيم وزن البيت ، واكتفى بالكسرة التى قبلها ، وقد قرر المؤلف أن العرب قد تحذف حروف المد واللين وتكتفى بالحركات التى قبلها لأنها مجانسة لها ، وانظر الشواهد ٢٤٥ ـ ٢٥٤ ثم انظر الشاهد ٢٨٣ .

٣٥١ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١ /٤٢٦) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٤٨) وفى أوضح المسالك (رقم ٥٠١) وفى شذور الذهب (رقم ١٥٤) والأشمونى (رقم ١٠٣٥) وابن عقيل (رقم ٣٢٧) وقد اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت ، فنسبه سيبويه إلى الأعشى ، وقال الأعلم « ويروى للحطيئة » والصحيح أن البيت من كلمة عدة أبياتها ثلاثة عشر بيتا لدثار بن شيبان النمرى ، أحد بنى النمر بن قاسط ، وهذه القصيدة مما رواه أبو السعادات بن الشجرى فى مختاراته (ق ٣ ص ٦) وكل من ذكرنا من النحاة من سيبويه إلى آخرهم رووا « ادعى وأدعو إن أندى » ولكن ابن الشجرى روى « ادعى وأدع فإن أندى » كما روى المؤلف ، وأندى : أفعل تفضيل من =

أراد « ولأدْعُ » وقال الآخر :

٣٥٢ — عَلَى مِثْلِ أصْحَابِ الْبَعُوضَةِ فَاخْمِشِى
لَكِ الْوَيْلُ حُرَّ الْوَجْهِ أوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى

= قولهم « ندى صوت فلان يندى ندى — من مثال فرح يفرح فرحا » إذا ارتفع وبعد . ومحل الاستشهاد من البيت قوله « وأدع » فإن المؤلف أنشده على لسان الكوفيين على أن الشاعر أراد « ولأدع » بلام الأمر وبجزم الفعل المضارع بحذف الواو والضمة قبلها دليل عليها ، وهذا يدل على أن العرب لا ترى مانعا من أن تحذف الحرف الجازم للمضارع وتبقى عمله ، على خلاف ما ذهب إليه البصريون من أن ذلك لا يجوز ، وأما النحاة الذين رووا « وأدعو » ومنهم سيبويه — فإنهم يستدلون بهذه العبارة على أن الفعل المضارع ينصب فى جواب الأمر بعد الواو ، كما انتصب المضارع المقترن بهذه الواو بعد النهى فى قول أبى الأسود الدؤلى ، ونسبه سيبويه (١/٤٢٤) إلى الأخطل :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ومثل بيت الشاهد — فى حذف لام الأمر وبقاء المضارع مجزوما بعد حذفه — قول الشاعر ، وهو من شواهد ابن الناظم فى شرح الألفية ، وشرحه العينى (٤/٤٢٠) :

فلا تستطل منى بقائى ومدتى ولكن يكن للخير منك نصيب

فإنه أراد : ولكن ليكن للخير منك نصيب ، فحذف لام الأمر وأبقى المضارع — وهو « يكن » — مجزوما كما كان واللام مقترنة به.

٣٥٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٤٠٩) وأنشده ابن منظور (ب ع ض) وكلاهما نسبه لمتمم بن نويرة . والبعوضة : اسم مكان بعينه ، كانت فيه موقعة قتل فيها جماعة من قومه . ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « أويبك » وللعلماء فى تخريج هذه الكلمة رأيان ، الأول أن « يبك » مجزوم بلام أمر محذوفة ، وأصل الكلام « أوليبك » فحذف لام الأمر وأبقى عملها ، على نحو ماذكرناه فى شرح الشاهد السابق وبهذا يستدل الكوفيون على أن حذف حرف الجزم مع بقاء عمله واقع فى كلام العرب ، والتخريج الثانى أن « يبك » مجزوم حملا على معنى « فاخمشى » لأن فعل الأمر أصله فعل مضارع للمخاطب مجزوم بلام الطلب وكأنه قال « على مثل أصحاب البعوضة فلتخمشى وجهك أويبكِ من بكى » والبصريون يرون هذا الوجه أقرب مأخذا وأيسر طريقا من الوجه الأول ؛ لأنه يخلصهم من استشهاد الكوفيين بالبيت ويبقى لهم ما أصلوه من =

أراد « لِيَبْكِ » وقال الآخر :

٣٥٣ — مَنْ كَانَ لاَ يَزْعُمُ أَنِّى شَاعِرُ   فَيَدْنُ مِنِّى تَنْهَهُ الْمَزَاجِرُ

أراد «فَلْيَدْنُ» فحذف اللام وأعملَهَا فى الفعلِ الجزمَ ، وهذا كثيرٌ فى أشعارهم، وإذا جاز أن يعمل حرفُ الجزمِ مع الحذف فى هذه المواضع جاز أن يعمل هاهنا مع الحذف لكثرة الاستعمال .

= القاعدة التى تقول : إن حذف حروف الجزم وبقاء عملها وحذف حروف الجر وبقاء عملها لا يجوز ؛ لأنها عوامل ضعيفة .

ونظير هذا البيت ما أنشده سيبويه (١/٤٠٩) ونسبه لأحيحة بن الجلاح :

فمن نال الغنى فليصطنعه   صنيعته ويجهد كل جهد

والاستشهاد به فى قوله «ويجهد» فإنه جزمه بتقدير لام أمر، وأصل العبارة «وليجهد» فحذف اللام ، وأبقى الفعل مجزوما كما كان واللام مقترنة به ، وسيبويه يقول « واعلم أن حروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال ، ولا يكون الجزم إلا فى هذه الأفعال المضارعة للأسماء ، كما أن الجر لا يكون إلا فى الأسماء ، والجزم فى الأفعال نظير الجر فى الأسماء ، فليس للاسم فى الجزم نصيب ، وليس للفعل فى الجر نصيب ، فمن ثم لم يضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار ، وقد أضمره الشاعر ، شبهه بإضمارهم رب وواو القسم فى كلام بعضهم » اهـ كلامه.

٣٥٣ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وقد أنشدهما ابن منظور (ز ج ر) ولم يعزها ، وتقول : دنا فلان من فلان يدنو ، تريد قرب يقرب ، وزجره : منعه ، وأراد بالمزاجر الأسباب التى من شأنها أن تمنعه وتنهره وتنهاه . ومحل الاستشهاد من البيت قوله « فيدن منى » فإن أصله — فيما زعم الكوفيون ومن استشهد بهذا البيت — « فليدن منى » بلام أمر مقترنة بفعل مضارع مجزوم بحذف الواو والضمة قبلها دليل عليها ، فحذف الراجز لام الأمر وأبقى الفعل المضارع على جزمه الذى كان عليه واللام مقترنة به . ورواية ابن منظور فى البيت « فليدن منى تنهه » بلام الأمر ، وقال بعد إنشاده « ويروى : من كان لايزعم أنى شاعر فيدن منى ، أراد فليدن ، فحذف اللام ، وذلك أن الجبن فى مثل هذا أخف على ألسنتهم ، والإتمام عربى » ا هـ .

وكذلك أيضاً مَنْعُكم إعمالَ سائر عوامل الأفعال مع الحذف لا يستقيم أيضاً على أصلكم ؛ فإنكم تذهبون إلى أنَّ أنِ الخفيفة المصدرية تعمل مع الحذف بعد الفاء إذا كانت جوابا للستة الأشياء التى جوزتم فيها إعمال إن الخفيفة الشرطية مع الحذف ، نحو : ايتِنِى فآتِيَكَ ، ولا تفعل فيكونَ خيراً لك ، واللهم ارزقنى بعيراً فأحُجَّ عليه ، وأين بيتُكَ فأزورَكَ ، وألا [٢١٧] ماء فأشرَبَهُ ، وألا تنزل فأكرِمَكَ ، وكذلك تُعْمِلونها مع الحذف بعد الفاء فى جواب النفى نحو : ما أنت صاحبى فأعْطِيَكَ ، وكذلك أيضاً تعملونها مع الحذف بعد الواو نحو : لا تأكل السمك وتشرَبَ اللبَنَ ، و بعد « أو » نحو : لأشكُوَنَّكَ أو تُعْتِبَنِى ، و بعد لام كى نحو : جئتك لتكرِمَنِى ، و بعد لام الجحود نحو : ما كُنْتُ لأفعَلَ ذلك ، و بعد حتى نحو : سرت حتى أدخلَهَا ، قال الله تعالى : (حتى يَسْمَعَ كلام الله) و إذا جاز لكم أن تعملوا أن الناصبَةَ للفعل بعد هذه الأحرف مع الحذف وهى من عوامل الأفعال و إن الجازمة للفعل فى المواضع التى بيناها مع الحذف وهى من عوامل الأفعال جاز أن تعمَلَ اللامُ الجازمةُ للفعل مع الحذف لكثرة الاستعمال و إن كانت من عوامل الأفعال .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنَّ نَزَالِ مبنى لأنه قام مقام فعل الأمر ، فلو لم يكن فعل الأمر مبنياً و إلا لما بنى ما قام مقامه » لأنا نقول : إنما بنى نَزَالِ لتضمنه معنى لام الأمر ، ألا ترى أن نَزَالِ اسمُ انْزِلْ ، وأصله لتنزل ، فلما تضمن معنى اللام كتضمن أين معنى حرف الاستفهام ، وكما أن أين بنيت لتضمنها معنى حرف الاستفهام ؛ فكذلك بنيت نَزَالِ لتضمنها معنى اللام .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مبنى على السكون لأن الأصل فى الأفعال أن تكون مبنية ، والأصل فى البناء أن يكون على السكون ، و إنما أعرب ما أعرب من الأفعال أو بنى منها على فتحة لمشابهة مَّا بالأسماء ، ولا مشابهة بوجه مَّا بين فعل الأمر والأسماء ؛ فكان باقيا على أصله فى البناء .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه مبنى أنا أجمعنا على أن ما كان على وزن فَعَالِ من أسماء الأفعال - كنَزَالِ ،وتَرَاكِ ، وَمَنَاعِ ،ونَعَاءِ،وحَذَارِ، ونَظَارِ - مبنى ؛ لأنه ناب عن فعل الأمر ؛ فنَزَالِ ناب عن انزل ، وتَرَاكِ ناب عن اترك ، ومَنَاعِ ناب عن امنع ، ونَعَاءِ ناب عن انْعَ ، وحَذَارِ ناب عن احْذَرْ ، ونَظَارِ ناب عن انظر ، قال زهير :

٣٥٤ — وَلأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

أراد انْزِلْ ، وأنثها لأنها بمنزلة النَّزْلة ، وقال الآخر :

٣٥٥ — [٢١٨] عَرَضْنَا نَزَالِ فَلَمْ يَنْزِلُوا
وَكَانَتْ نَزَالِ عَلَيْهِمْ أَطَمْ

---

٣٥٤ — هذا البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزنى (د ٨٨ - ٩٥) يمدح فيها هرم بن سنان المرى ، وانظر الشاهد رقم ٢٣٢ الذى مضى فى المسألة ٥٤ ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٣٧) وابن يعيش فى شرح المفصل(ص ٤٩٥ و ٥١٤) ورضى الدين فى باب أسماء الأفعال من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٦١/٣) وأنشده ابن منظور (ن ز ل) معزوا إليه، وأسامة : علم جنسى على الأسد ، ووقع فى رواية سيبويه « ولنعم حشو الدرع أنت » يريد أنت شجاع مقدام إذا لبست الدرع فكنت حشوها واشتدت الحرب فتنادى الأبطال : نزال ، وصار الناس من الذعر فى مثل لجة البحر ، و « نزال » اسم فعل أمر معناه انزل ، ومن حقه ألا يقع فى مواقع الإعراب ، فلا يكون فاعلا ولا نائب فاعل ولا مفعولا به ولا غير ذلك ، وذلك بسبب أن الفعل وما كان اسما له لا ينبغى أن يقع هذه المواقع، إلا أنه قد يقصد لفظه على طريق الحكاية ، وحينئذ يقع فى مواقع الإعراب المختلفة ، وقد وقع هذا اللفظ فى هذا البيت نائب فاعل ، وقد أنث له الفعل بالتاء ليدل على أنه مؤنث ، ونظير ذلك ما ورد فى قول زيد الخيل :

وقد علمت سلامة أن سيفى كريه كلما دعيت نزال

فقد وقع لفظ « نزال » نائب فاعل فى هذا البيت وأنث له الفعل كما فى البيت المستشهد به ، وبنى فى كل من البيتين على الكسر لما سنذكره فى شرح الشاهد الآتى .

٣٥٥ — هذا البيت من كلام جريبة الفقعسى،وقد أنشده ابن منظور (ن ز ل) =

وقال الآخر :

٣٥٦ — فَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أوَّلَ نَازِلٍ
وَعَـــلَامَ أرْكَبُهُ إذَا لَمْ أنْزِلِ

=وعزاه إليه ، وقد فسرنا «نزال» فى البيت السابق بما يغنى عن الإعادة ، و «أطم» أفعل تفضيل من قولهم « طم الأمر » أى تفاقم ، وأصله قولهم « طم الماء طما وطموما » أى غمر ، و « طم البحر » أى غلب سائر البحور ، وقد وقع لفظ « نزال » فى هذا البيت فى موقعين من مواقع الإعراب ، الأول وقع فيه مفعولا به ، وذلك قوله « عرضنا نزال» والثانى وقع فيه اسما لـكان ، وذلك قوله «وكانت نزال» وذلك كله لأنه قصد اللفظ على ما بيناه فى شرح الشاهد السابق ، قال ابن السراج : « اعلم أنه لا يبنى على مثال فعال من هذا الباب على الـكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وإنما بنى على الـكسر لأن الـكسر مما يؤنث به ، تقول للمرأة : أنت فعلت ، وإنك فاعلة ، وكان أصل هذا — إذا أردت به الأمر — السكون ، فحركته لا لتقاء الساكنين ، وجعلت الحركة الـكسرة للتأنيث ، وذلك قولك : نزال ، وتراك ؛ ومعناه انزل واترك ، فهما معدولان عن التاركة والنازلة ، قال الشاعر تصديقا لذلك:

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ، ولج فى الذعر

فقال « دعيت » لـما ذكرت لك من التأنيث » اهـ كلامه .

٣٥٦ — هذا البيت من كلام ربيعة بن مقروم الضبى ، وقد أنشده ابن منظور (ن ز ل) ثانى بيتين من غير عزو ، وأولهما قوله :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل

والأوظفة : جمع وظيف — بوزن رغيف وأرغفة — والوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ، والهيكل : الفرس الطويل علوا وعدوا ، وهو الضخم من كل الحيوان ، وقال امرؤ القيس فى معلقته :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

قال ابن منظور فى تفسير بيت ربيعة « وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ وكذلك قول الآخر :

فلم أذخر الدهماء عند الإغارة إذا أنا لم أنزل إذا الخيل جالت؟ =

وقال الآخر :

٣٥٧ — تَرَاكِهَا مِنْ إبِلٍ تَرَاكِهَا أَمَا تَرَى الْمَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِهَا

أراد « اتْرُكْهَا » وقال الآخر :

٣٥٨ — مَنَاعِهَا مِنْ إبِلٍ مَنَاعِهَا أَمَا تَرَى الْمَوْتَ لَدَى أَرْبَاعِهَا

= وهذا بمعنى المنازلة فى الحرب والطراد لا غير ، ويدل على أن نزال فى قوله « فدعوا نزال » بمعنى المنازلة دون النزول إلى الأرض قوله :

* وعلام أركبه إذا لم أنزل؟ *

أى لماذا أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى فى حين عدم قتالى عليه ؟ وإذا جعلت نزال بمعنى النزول إلى الأرض صار المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ؟ ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه فى حين أنا راكب ؟ » اه . ومحل الاستشهاد بالبيت ههنا قوله «فدعوا نزال » حيث أوقع لفظ «نزال» فى موقع المفعول به لأنه أراد هذا اللفظ ، ولو أراد المعنى لم يجز له أن يوقعه فى شىء من مواقع الإعراب ؛ لأن الفعل وما هو بمعناه لا يقع فى شىء منها ، وقد بينا لك ذلك فى شرح الشواهد السابقة .

٣٥٧ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وهما من شواهد سيبويه (٣٧/٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص٥١٥) ولم يعزهما واحدمنهما إلى قائل معين، وقد أنشدهما ابن منظور (ت ر ك) وعزاهما إلى طفيل بن يزيد الحارثى ، وتراك : اسم فعل أمر بمعنى اترك ، وهو مبنى على الكسر لما ذكرنا فى شرح الشاهد ٣٥٥ ، وفيه ضمير مستتر واجب الاستتار كما يكون فى فعل الأمر ، والضمير البارز المتصل فى محل نصب به. ومحل الاستشهاد قوله « تراكها » حيث استعمل فعال المأخوذ من مصدر الفعل الثلاثى المتصرف اسم فعل أمر، وبناه على الكسر، على ما بيناه فى شرح الشواهد السابقة .

٣٥٨ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما من شواهد سيبويه (٣٦/٢) وابن يعيش فى شرح مفصل الزمخشرى (ص ٥١٥) ولم يعزهما واحد منهما لقائل معين، ومناع :اسم فعل أمر بمعنى امنع، والأرباع: جمع ربع، وهو المنزل والدار بعينها، والوطن متى كان وبأى مكان كان ، ويجمع أيضاً على أربع ورباع وربوع . ومحل الاستشهاد به قوله « مناعها » حيث استعمل فعال المأخوذ من مصدر الفعل الثلاثى المتصرف اسم فعل أمر ، وبناه على الكسر ، على نحو ما بيناه فى شرح الشواهد السابقة .

أراد « امْنَعْهَا » وقال جرير :

٣٥٩ — نَعَاءِ أَبَا لَيْلَى لِكُلِّ طِمِرَّةٍ
وَجَرْدَاءَ مِثْلِ الْقَوْسِ سَمْحٍ حُجُولُهَا

أراد « انْعَ » وقال الآخر :

٣٦٠ — نَعَاءِ ابْنَ لَيْلَى لِلسَّمَاحَةِ وَالنَّدَى ... وَأَيْدِي شَمَالٍ بَارِدَاتِ الأَنَامِلِ

---

٣٥٩ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٣٧/٢)ونسبه إلى جرير بن عطية ، ووافق الأعلم على هذه النسبة ، ولكنى لم أجده فى ديوان جرير ، ونعاء : اسم فعل أمر معناه انع ، أى اذكر خبر موته والفجيعة فيه ، والطمرة ـ بكسر الطاء والميم جميعا ، وتشديد الراء مفتوحة ـ الخفيفة السريعة من الخيل ، والجرداء : القصيرة الشعر ، وهذان من الأوصاف التى توصف بها عتاق الخيل ، وشبهها بالقوس لانطوائها من الهزال ، يريد أنه كان يجهدها فى الحروب والإغارات حتى هزلت ، وقوله « سمح حجولها » الحجل : القيد ، يريد أنها مذللة خاضعة للتقييد ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « نعاء أباليلى » حيث استعمل فيه اسم الفعل المأخوذ من مصدر الفعل الثلاثى المتصرف ـ وهو نعى ـ وجاء به على وزن فعال ، وبناه على الكسر ، وقد أضمر فيه فاعله كما يضمر فى فعل الأمر الذى بمعناه ، ونصب به المفعول ـ وهو قوله « أباليلى » ـ لأن فعل الأمر الذى هو بمعناه يصل إلى المفعول به بنفسه ، والمؤلف يريد أن يستدل بهذا ونحوه على أن الأسماء التى على وزن فعال الدالة على الأمر مبنية على الكسر فى لسان العرب ، وقد بينا علة ذلك فى شرح الشواهد السابقة .

٣٦٠ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٣٧/٢) ولم يعزه ، ولاعزاه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده ، ونعاء : أى انع ، أى اذكر خبر موته والفجيعة فيه ، والسماحة : الجود ، والندى : الكرم ، وقوله « وأيدى شمال باردات الأنامل » أحسن مايحمل عليه هذا الكلام أن تكون الواو للحال ، وأيدى شمال : مبتدأ ، وباردات الأنامل : خبره ، والجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب حال ، أى اذكر خبر موت ابن ليلى للجود والكرم فى حال كون أيدى الشمال باردات الأنامل ، أى ليكن ذكرك إياه عند برد ريح الشمال لأنه هو الذى كان يغيث من هذا البرد ، وخص الشمال لأنها أبرد الرياح ، ولأنها هى التى يأتى معها القحط والجدب ؛ فعندها تظهر =

أراد « أَنْعَ » وقال الكُمَيْتُ :

٣٦١ — نَعَاءِ جُذَاماً غَيْرَ مَوْتٍ وَلاَ قَتْلٍ وَلٰكِنْ فِرَاقاً لِلدَّعَائِمِ وَالأَصْلِ

أراد « أَنْعَ جُذَاماً » وقال الآخر ، وهو أبو النجم :

٣٦٢ — * حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

= حاجة المحتاجين الذين كان يقوم عليهم ، وخص الأنامل – وهى أطراف الأصابع – لأن البرد يسرع إليها . والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « نعاء ابن ليلى » والكلام فيه كالكلام فيما قبله

٣٦١ — هذا البيت للكميت بن زيد كما قال المؤلف ، وهو من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٥١٥) وقد أنشده ابن منظور (ن ع ا) وكلاهما نسبه إلى الكميت . ونعاء : معناه انع ، والأصل فيه ذكر خبر موته والفجيعة فيه ، وكانوا فى جاهليتهم إذا مات منهم ميت له خطر وقدر ركب راكب وجعل يسير فى الناس ويرد عليهم محلاتهم وهو يقول « نعاء فلانا » أى أظهر خبر وفاته ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عما كان أهل الجاهلية يصنعونه ، والدعائم : جمع دعامة ، وأصله أن يميل شىء فتدعمه بخشبة أو نحوها لتقيمه ، وسموا سيد القوم دعامة ، من ذلك ، لأنه الذى يقيم ماعوج من أمورهم . يقول : انع هؤلاء القوم واذكر الفجيعة فيهم ، ولكن لاتذكر ذلك لأنهم ماتوا أو قتلوا ، ولكن لأنهم فارقوا سادتهم وأهل الخطر منهم فتبدد أمرهم وانصدع شملهم . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « نعاء جذاما » حيث استعمل فيه اسم فعل أمر مأخوذا من مصدر الفعل الثلاثى المتصرف ، وبناه على الكسر ، والكلام فيه كالكلام فيما مضى من الشواهد.

٣٦٢ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٢/٣٧) وقد نسبه إلى أبى النجم الفضل ابن قدامة العجلى ، وقد أنشده ابن منظور (ح ذ ر) وأنشد بعده :

* أو تجعلوا دونكم وبار *

ونسبهما إليه ، وحذار : اسم فعل أمر معناه احذر ، واشتقاقه من الحذر ، ووبار : أرض كانت من مساكن عاد بين اليمن ورمل يبرين ، فلما أهلك الله عادا صارت خرابا لا يتقاربها أحد من الناس ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « حذار » وهو اسم لفعل الأمر وواقع موقعه ، وكان حقه السكون لأن فعل الأمر مبنى على السكون ، إلا أنه حرك للتخلص من التقاء الساكنين ، وخص بالكسر لأنه اسم مؤنث والكسرة والياء =

أراد « احْذَرْ » وقال رؤبة :

٣٦٣ — * نَظَارِ كَيْ أَرْكَبَهَا نَظَارِ *

أراد « انْظُرْ » فلو لم يكن فعل الأمر مبنيا وإلا لما بنى ما ناب مَنَابَهُ ، وما ذكره الكوفيون على هذا فسنذكر فساده فى الجواب عن كلماتهم فى موضعه إن شاء الله تعالى .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الأصل فى افعل لِتَفْعَلْ » قلنا : لا نسلم ، قولهم « كما قالوا للغائب : لِيَفْعَلْ » قلنا : فكان يجب أن لا يجوز حَذْفُ اللام منه ، كما لا يجوز فى الغائب ، قولهم « إنما حذفت فى الأمر للمواجه لكثرة الاستعمال » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه لو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يختص [٢١٩] الحذف بما يكثر استعماله دون ما يقل استعماله ـ نحو : أُحْرَنْجَمَ وأُعْرَنْزَمَ ، وأُعْلَوَّطَ ، وأُخْرَوَّطَ ، وأُسْبَطَرَّ ، وأُسْبَكَرَّ ـ وما أشبه ذلك من الأفعال ؛ لأن الحذف لكثرة الاستعمال إنما يختص بما يكثر فى الاستعمال ، ألا ترى

= مما يخص به المؤنث نحو قولك «أنت تذهبين» كسرة التاء فى «أنت» دالة على المؤنث والياء فى « تذهبين » دالة على المؤنث ، وربما نونه بعضهم كما فى قول الشاعر :

حذار حذار من فوارس دارم أبا خالد من قبل أن تتندما

فنون « حذار » الثانية ولم يكن ينبغى له ذلك ، غير أنه اضطر إلى ذلك ليتم به الوزن .

٣٦٣ — هذا البيت من كلام رؤبة بن العجاج ، وهو من شواهد سيبويه (٢/٣٧) ونسبه إلى رؤبة ، ووافق الأعلم على هذه النسبة . ونظار : اسم فعل أمر بمعنى انظر ، أى انتظر ، تقول : نظرته أنظره ـ من مثال نصرته أنصره ـ وانتظرته أنتظره ، وأنظرته أنظره ، كله بمعنى واحد ، وقرئ فى قوله تعالى : (انظرونا نقتبس من نوركم) بقطع الهمزة على أنه من مثال أكرم وبوصل الهمزة على أنه ثلاثى من باب نصر ، وقيل فى التفسير : إن المعنى على القراءتين انتظرونا ، وقال عمرو بن كلثوم :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

ومحل الاستشهاد من البيت قوله « نظار » فإنه اسم فعل أمر مبنى على الكسر ، والقول فيه كالقول فيما سبق من الشواهد ، والعلة كالعلة .

أنهم قالوا فى « لم يَكُنْ » : لم يَكُ ؛ فحذفوا النون لكثرة الاستعمال ، ولم يقولوا فى « لم يَصُنْ » : لم يَصُ ، ولا فى « لم يَهُنْ » : لم يَهُ ؛ لأنه لم يكثر استعماله ، وقالوا فى « لم أبَالِ » : لم أبَلْ ؛ فحذفوا الكسرة لكثرة الاستعمال ، ولم يقولوا فى « لم أوَالِ » : لم أوَلْ ، ولا فى « لم أعَالِ » : لم أعَلْ ؛ لأنه لم يكثر استعماله ، وكذلك قالوا فى « أىّ شَىْءٍ » : أيْشٍ — بالشين معجمة — لكثرة استعماله ، ولم يقولوا فى « أىّ سَىْءٍ » : أيْسٍ — بالسين غير معجمة — لقلة استعماله ، وقالوا « عِمْ صَبَاحاً » فى انعم اصباحاً ؛ لكثرته ، ولم يقولوا « عِمْ بَالا » فى انعم بالا ؛ لقلته ، وقالوا « وَيْلُمِّهِ » فى : وَيل أمِّهِ ، ولم يقولوا فى « وَيْلختِه » فى وَيل أخته ؛ لقلته ، فلما حذفت اللام وحرف المضارعة فى محل الخلاف من جميع الأفعال التى تكثر فى الاستعمال والتى تقل فى الاستعمال دل على أن ما ادَّعَوْهُ من التعليل ليس عليه تعويل ، ثم لو قدرنا أن الأصل فيه ما صرتم إليه إلا أنه قد تضمن معنى لام الأمر ، فإذا تضمن معنى لام الأمر فقد تضمن معنى الحرف ، وإذا تضمن معنى الحرف وجب أن يكون مبنياً . ثم نقول : إن علة وجود الإعراب فى الفعل المضارع وجود حرف المضارعة ، فما دام حرف المضارعة ثابتاً كانت العلة ثابتة ، وما دامت العلة ثابتة سليمة عن المضارعة كان حكمها ثابتاً ؛ ولهذا كان قوله تعالى : (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا) معرباً ، وقوله صلوات الله عليه « ولتزُرَّهُ » و « لتأخُذُوا » و « لتقومُوا » وما أشبهه معرباً لوجود حرف المضارعة ، ولا خلاف فى حذف حرف المضارعة فى محل الخلاف ، وإذا حذف حرف المضارعة — وهو علة وجود الإعراب فيه — فقد زالت العلة ؛ فإذا زالت العلة زال حكمها ، فوجب أن لا يكون فعل الأمر معرباً .

وأما قولهم « إن فعل النهى معرب مجزوم ، فكذلك فعل الأمر ؛ لأنهم يحملون

الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره » قلنا : حَمْلُ فعل الأمر على فعل النهى فى الإعراب غير مناسب ؛ فإن فعل النهى فى أوله حرف المضارعة الذى أوجب للفعل المشابَهَةَ بالاسم ، فاستحق الإعراب ، فكان معرباً [٢٢٠] وأما فعل الأمر فليس فى أوله حرف المضارعة الذى يوجب للفعل المشابهة بالاسم ؛ فيستحق أن لا يعرب ؛ فكان باقياً على أصله فى البناء .

والذى يدلُّ على ذلك أن لام التأكيد التى تدخل على الفعل المضارع فى نحو « إنَّ زَيْداً لَيَقُومُ » كما تقول « إنَّ زَيْداً لَقَائِمٌ » لا يجوز دخولها على فعل الأمر ، كما لا يصح دخولها على الفعل الماضى ، وإن كان الماضى أقْوَى من فعل الأمر بدلالة الوصف به ، والشرط به ، وبنائه على حركة تشبه حركة الإعراب [و] بدليل أنه لا يلحق آخِرَهُ هاء السكت ، كما لا يلحق آخر الاسم المعرب ، وإذا كان الماضى لاتدخله هذه اللام مع وجود شبهٍ مَّا بالأسماء فلأن لا تدخل هذه اللامُ فعلَ الأمر مع عدم شبهٍ مَّا بالأسماء كان ذلك من طريق الأولى ، وإذا ثبت أنها لا تدخله دَلَّ على أنه لا مشابهة بينه وبين الاسم ، وإذا لم يكن بينه وبين الاسم مشابهة كان مبنياً على أصله .

وأما قولهم « إنك تحذف الواو والياء والألف من نحو : أُغْزُ ، وارْمِ ، واُخْشَ ، كما تحذفها من نحو : لم يَغْزُ ، ولم يَرْمِ ، ولم يَخْشَ » قلنا : إنما حذفت هذه الأحرف التى هى الواو والياء والألف للبناء ، لا للإعراب والجزم ، حملا للفعل المعتل على الصحيح ، وذلك أنه لما استوى الفعل المجزوم الصحيح وفعل الأمر الصحيح ، كقولك « لم يَفْعَلْ وَافْعَلْ يَا فَتَى » وإن كان أحدهما مجزوماً والآخر ساكناً سُوِّىَ بينهما فى الفعل المعتل ، وإنما وجب حذفها فى الجزم لأن هذه الأحرف التى هى الواو والياء والألف جرت مجرى الحركات لأنها تشبهها ، وهى مركبة منها فى قول بعض النحويين ، والحركات مأخوذة منها فى قول آخرين ، وعلى كلا القولين فقد وجدت المشابهة بينهما ، وكما أن الحركات تحذف للجزم ، فكذلك

هذه الأحرف ، فلما وجب حذف هذه الأحرف فى المعتل للجزم ، فكذلك يجب حذفها من المعتل للبناء ؛ حملا للمعتل على الصحيح ؛ لأن الصحيح هو الأصل ، والمعتل فرع عليه ؛ لحذفت حملا للفرع على الأصل .

والذى يدل على صحة ما ذكرناه وأنه ليس مجزوماً بلام مقدرة أن حرف الجر لا يعمل مع الحذف ، لحرف الجزم أولى .

قولهم « إنكم تذهبون إلى أن رُبَّ تعمل الخفض مع الحذف بعد الواو والفاء [٢٢١] وبل » قلنا : إنما جاز ذلك لأن فيما بقى من هذه الأحرف دليلا على ما ألقى وبياناً عنه ، فلما كانت هذه الأحرف دليلا عليه وبياناً عنه جاز حذفه ؛ لأن المحذوف بهذه المثابة فى حكم الثابت ، بخلاف حرف الجزم ؛ فإنه حذف وليس فى اللفظ حرف يدل عليه ولا يبين عنه ، فبان الفرق بينهما .

وأما قولهم « إنكم تذهبون إلى أن حرف الشرط يعمل مع الحذف فى ستة مواضع ، وهى الأمر والنهى والدعاء والاستفهام والتمنى والعرض » قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدها : أنا لا نسلم حذف حرف الشرط فى هذه المواضع ، ولا أن الفعل مجزوم بتقدير حرف الشرط ، وإنما هو مجزوم لأنه جواب لهذه الأشياء التى هى الأمر والنهى والدعاء والاستفهام والتمنى والعرض ، وهذا الوجه ذكره بعض النحويين ، وليس بصحيح ؛ لأنك لو حملت الكلام على ظاهره من غير تقديرِ حرفِ الشرطِ لكان ذلك يؤدى إلى محال ، ألا ترى أنك إذا قلت « ايتنى آتك » كان الأمر بالإتيان موجباً للإتيان ، وإذا قلت « لا تَفْعَلْ يَكُنْ خَيْراً » كان النهى عن الفعل موجباً للخير ، وإذا قلت « اللهم ارزقنى بعيراً أَحُجَّ عليه » كان الدعاء بالرزق موجباً للحج ، وإذا قلت « أَيْنَ بَيْتُكَ أَزُرْكَ » كان

الاستفهام عن بيته مُوجِباً للزيارة ، وإذا قلت « ألا ماء أشْرَبْه » كان التمنى للماء موجباً للشرب ، وإذا قلت « ألا تنزلُ عندنا أُكرمْكَ » كان العَرْضُ موجباً للكرامة ، وذلك محال ؛ لأن الأمر بالإتيان لا يكون موجباً للاتيان ، وإنما يوجبه الإتيان ؛ والنهى عن الفعل لا يكون موجباً للخير ، وإنما يوجبه الانتهاء ، والدعاء بالرزق لا يكون مُوجِباً للحج ، وإنما يوجبه الرزق ، والاستفهام عن بيته لا يكون موجباً للزيارة ، وإنما يوجبه التعريف ، والتمنى للماء لا يكون موجباً للشرب ، وإنما يوجبه وجودهُ ، والعَرْضُ بالنزول لا يكون موجباً للكرامة ، وإنما يوجبه النزول ؛ فدل على أن حرف الشرط فيها كلها مقدَّر ، وأن التقدير : ايتنى فإنك إن تأتنى آتك ، ولا تفعل فإنك إن لا تفعل يَكُنْ خيراً لك ، واللهم ارزقنى بعيراً فإنك إن ترزقنى بعيراً أحُجَّ عليه ، وأين بيتك فإنك إن تُعَرِّفْنِي بيتك أزرك ، وألا ماء فإن يك ماء أشربه ، وألا تنزل فإنك إن تَنْزِلْ أكرمك ؛ فدل على أن [٢٢٢] هذا الوجه الذى ذكره بعضهم عن تَعَرِّى الكلام عن تقدير حرف الشرط ليس بصحيح .

والوجه الثانى — وهو الصحيح — أنا نسلم تقدير حرف الشرط ، وأنه حذف ، وإنمـــا حذف لدلالة هذه الأشياء عليه ، فصار فى حكم الثابت على مابينا فى حذف رُبَّ .

وأما قولهم « إن إعمال حرف الجزم مع حذف الحرف قد جاء كثيراً ، وأنشدوا الأبيات التى رووها » فنقول : أما قوله :

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إذَا مَاخِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالاَ [٣٥٠]

فقد أنكره أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، ولئن سلمنا صحته — وهو الصحيح — فنقول : قوله « تَفْدِ نفسك » ليس مجزوماً بلام مقدرة ، وليس الأصل فيه لتفد نفسك ، وإنما الأصل: تَفْدِى نَفْسَكَ ، من غير تقدير لام،وهو خبر يراد به الدعاء ،

كقولهم : غَفَرَ اللهُ لك ، ويرحمك الله ، وإنما حذف الياء لضرورة الشعر اجتزاء بالكسرة عن الياء ، كما قال الأعشى :

وَأَخُو الْغَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِ مْنَهَ وَيَصِرْنَ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ [٢٤٧]

أراد « الغوانى » فاجتزأ بالكسرة عن الياء ، وقال الآخر :

٣٦٤ — فَمَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجْداً وَجَدْتُهُ
وَلَا وَجَدَ الْعُذْرِيُّ قَبْلِ جَمِيلُ

أراد « قَبْلِي » وقال الآخر :

٣٦٥ — وَطِرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَعْمَلَاتٍ
دَوَامِي الأَيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحَا

---

٣٦٤ — النهدى : المنسوب إلى نهد — بفتح النون وسكون الهاء — وهى قبيلة من قبائل اليمن يرجع نسبها إلى قضاعة ، فهى نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف ابن قضاعة ، والعذرى : المنسوب إلى عذرة — بضم العين وسكون الذال المعجمة — وهى قبيلة عظيمة من قبائل العرب يرجع نسبها إلى قضاعة أيضاً ، فهى : عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، ومن بنى عذرة جميل بن عبد الله ابن معمر صاحب بثينة ، ومنهم أيضا عروة بن حزام بن مالك صاحب عفراء ، ومنهم مجنون بنى عامر صاحب ليلى ، والاستشهاد فى هذا البيت بقوله « قبل » فإنه يروى بكسر اللام وأصله « قبلى » فحذف ياء التكلم مكتفيا بالكسرة التى قبلها للدلالة عليها ، ولو أنه قال « قبل » بضم اللام على حذف المضاف إليه ونية معناه لاستقام له الوزن وسلم من كل شىء ، فقد كان متمكنا من أن يأتى بالبيت على وجه لا ضرورة فيه ، وذلك يدل على أن حذف حرف العلة لدلالة الحركة عليه أمر هين عندهم لا يرون به بأسا ، وانظر الشواهد ٢٤٥ — ٢٥٤ التى مضت فى المسألة ٥٦ ثم انظر الشاهد ٢٧٤ والشاهد ٢٨٣ فى المسألة ٦٢ .

٣٦٥ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/ ٩) ولم يعزه ولا عزاه الأعلم إلى قائل معين ، والمنصل — بضم الميم والصاد بينهما نون ساكنة — السيف ، واليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة القوية على العمل ، وقوله «دوامى الأيد» إشارة إلى أنه كان =

أراد « الأيدى » . وقال خُفَافُ بن نَدْبَةَ السلمى :

٣٦٦ — كَنَوَاحِ رِيشِ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ وَمَسَحْتِ بِاللِّثَتَيْنِ عَصْفَ الإِثْمِدِ

أراد « كنواحى » فاجتزأ بالكسرة عن الياء كما يجتزئون بالضمة عن الواو وبالفتحة عن الألف ، فاجتزاؤهم بالضمة عن الواو كقولهم فى قَامُوا « قامُ » وفى كانُوا « كانُ » قال الشاعر :

فَلَوْ أَنَّ الأَطِبَّا كَانُ حَوْلِى وَكَانَ مَعَ الأَطِبَّاء الأُسَاةُ [٢٤٥]
إِذاً مَا أَذْهَبُوا أَلَماً بِقَلْبِى وَإِنْ قِيلَ : الأَطِبَّاء الشُّفَاةُ

أراد « كانوا » فاجتزأ بالضمة عن الواو .

واجتزاؤهم بالفتحة عن الألف نحو ما أنشدوا :

[٢٢٣] فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَافَاتَ مِنِّى بِلَهْفَ ولاَ بِلَيْتَ وَلاَ لَوَ أَنِّى [٢٤٥]

أراد « بلهفا » فاجتزأ بالفتحة عن الألف ، كما قال رؤبة :

* وَصَّانِىَ الْعَجَّاجُ فِيمَ وَصَّنِى * [٢٨٣]

أراد « فيما وصانى » فاجتزأ بالفتحة عن الألف .

= فى سفر وأن نوقه قدحفين لإدمان السير ودميت أخفافهن ، والسريح : جلود أو خرق تشد على أخفاف الناقة ، وصف أنه عقر نوقه بسيفه للأضياف مع شدة حاجته إليهن لكونه مسافرا ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « دوامى الأيد » حيث حذف الياء اكتفاء بالكسرة قبلها ، وأصله « دوامى الأيدى »

٣٦٦ — هذا البيت من شواهد سيبويه أيضا (١/٩) ونسبه إلى خفاف بن ندبة السلمى — وصف الشاعر شفتى امرأة فشبهها بنواحى ريش الحمامة فى رقتهما ولطافتهما ، وأراد أن لثاتها تضرب إلى السمرة فكأنها مسحت بالإثمد ، وعصف الإثمد : ماسحق منه ، وخص الحمامة النجدية لأنه يريد الحمام الورق وهى تألف الجبال ، ولا تألف الفيافى والسهول ، والنجدية : المنسوبة إلى النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، والاستشهاد بالبيت فى قوله « كنواح » فإنه أراد أن يقول « كنواحى ريش حمامة » فلم يتهيأ له أن يقيم وزن البيت مع الياء فحذفها اكتفاء بالكسرة التى قبلها للدلالة عليها .

واجتزاؤهم بهذه الحركات عن هذه الأحرف كثير فى كلامهم ، والشواهد على على ذلك أكثر من أن تُحْصى .

ثم لو صح أن التقدير فيـه « لِتَفْدِ » كما زعمتم فنقول : إنما حذف اللام لضرورة الشعر . وما حذف للضرورة لا يجعل أصلا يقاس عليه .

وأما قوله :

* فَقُلْتُ أُدْعِى وَأَدْعُ فَإِنَّ أَنْدَى * [٣٥١]

فإنه قد روى :

* . . . أُدْعِى وَأَدْعُوَ إِنَّ أَنْدَى * [٣٥١]

بإثبات الواو فى « أدعو » وحذف الفاء من « إن » فلا يكون فيه حجة ، ولئن صح ما رووه فهو محمول على ضرورة الشعر كما بينا فى البيت الأول ، وهو الجواب عن قول الآخر :

* . . . أو يَبْكِ مَنْ بَكَى *[٣٥٢]

وعن قول الآخر :

* فَيَدْنُ مِنِّى تَنْهَهُ الْمَزَاجِرُ *[٣٥٣]

والذى يدل على أن ذلك مما يختص بالشعر أن أبا عثمان المـازنى قال : جلست فى حلقة الفراء فسمعته يقول لأصحابه : لا يجوز حذف لام الأمر إلا فى شعر ، وأنشد :

مَنْ كَانَ لا يَزْعُمُ أنِّى شَاعِرُ فَيَدْنُ مِنِّى تَنْهَهُ الْمَزَاجِرُ[٣٥٣]

فقلت له : لم جاز فى الشعر ولم يَجُزْ فى الـكلام ؟ فقال : لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف ؛ فدل على أن هذا الحذف إنما يكون فى الشعر ، لا فى اختيار الـكلام ، بالإجماع .

وأما ما رووه عن رؤبة من قوله « خَيْرٍ » فلا خلاف أنه من الشاذ النادر الذى لا يعرَّجُ عليه ، ولهذا أجمع النحويون قاطبة على أنه لا يجوز[٢٢٤] فى جواب من قال« أين تذهب » أن يقال : زيدٍ ، على تقدير إلى زيد ، وفى امتناع ذلك بالإجماع دليل على أنه من النادر الذى لا يلتفت إليه ولا يقاس عليه .

وأما قولهم « إنكم تذهبون إلى أن «أنِ» الخفيفة المصدرية تعمل مع الحذف بعد الفاء والواو وأو ولام كى ولام الجحود وحتى ، وإذا جاز لكم أن تعملوها مع الحذف وهى من عوامل الأفعال كذلك يجوز لنا أن نُعْمِلَ اللام مع الحذف وهى من عوامل الأفعال » قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : إنما جاز حذفها لأن هذه الأحرف دالة عليها ، فصارت فى حكم مالم يحذف ، على ما بينا فى حذف رُبَّ وحرف الشرط ، بخلاف لام الأمر ، فبان الفرق بينهما .

والوجه الثانى : أنه لو كانت اللام الجازمة للفعل محذوفة كما تحذف أنْ لكان يجب أن يُلْقَى حرف المضارعة فيقال « تَفْعَلْ » فى معنى لِتَفْعَلْ ، كما بقى حرف المضارعة مع حذف أنْ بعد الفاء والواو وأوْ ولام الجحود ولام كى وحتى ، فلما حذف ها هنا حرف المضارعة فقيل « افْعَلْ» دل على أن ما ذهبوا إليه قياس باطل لا أصل له ولا حاصل .

والذى يدل على صحة ما ذهبنا إليه أن ما كان على وزن فَعَالِ من أسماء الأفعال نحو نَزَالِ مبنى لقيامه مقام فعل الأمر ، فلو لم يكن فعل الأمر مبنيا و إلا لما بنى ما قام مقامه .

قولهم « إنما بنى ما كان على فَعَالِ من أسماء الأفعال لتضمنه معنى لام الأمر ، لأن نزال اسم انزل وأصلهُ لتنزل » قلنا : هذا بناء منكم على أن فعل الأمر مقتطع من الفعل المضارع ، وقد بينا فساده بما يغنى عن الإعادة ، ودللنا على أن فعل

الأمر صيغة مُرْتَجَلَة قائمة بنفسها باقية فى البناء على أصلها ؛ فوجب أن يكون هذا الاسم مبنيا لقيامه مَقَامَه على ما بينا ، والله أعلم.

٧٣ — مسألة

[القول فى علة إعراب الفعل المضارع](١)

أجمع الكوفيون والبصريون على أن الأفعال المضارعة معربة . واختلفوا فى علة إعرابها ؛ فذهب الكوفيون إلى أنها إنما أعربت لأنه دَخَلَهَا المعانى [٢٢٥] المختلفة والأوقات الطويلة . وذهب البصريون إلى أنها إنما أعربت لثلاثة أوجه ؛ أحدها(٢) أن الفعل المضارع يكون شائعاً فيتخصص ، كما أن الاسم يكون شائعاً فيتخصص ، ألا ترى أنك تقول « يذهب » فيصلح للحال والاُستقبال ، فإذا قلت « سوف يذهب » اختص بالاُستقبال ، فاختص بعد شياعه ، كما أن الاسم يختص بعد شياعه ، كما تقول « رجل » فيصلح لجميع الرجال ، فإذا قلت « الرجل » اختص بعد شياعه ، فلما اختص هذا الفعل بعد شياعه كما أن الاسم يختص بعد شياعه فقد شابهه من هذا الوجه ، والوجه الثانى : أنه تدخل عليه لامُ الابتداء تقول « إن زيداً ليقومُ » كما تقول « إن زيداً لقائم » فلما دخلت عليه لامُ الابتداء كما تدخل على الاسم دل على مشابهة بينهما ، ألا ترى أنه لا يجوز أن تدخل هذه اللامُ على الفعل الماضى ولا على فعل الأمر ! ألا ترى

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص١٢٦) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٢٢) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (١ /٦٤ و ٣/ ٢٣٤ بولاق) وتوضيح الشيخ خالد الأزهرى (١/٦٦ و ٢/٢٨٩)

(٢) العلة فى إعراب المضارع عند البصريين هى مشابهته للاسم ، وهذه الوجوه التى ذكرها المؤلف هى بعض وجوه مشابهة الفعل المضارع للاسم .

أنك لا تقول « إن زيداً لقام » ولا « إن زيداً لاضْرِبْ عمراً » وما أشبه ذلك ؛ لعدم المشابهة بينهما و بين الأسم .

والوجه الثالث : أنه يجرى على اسم الفاعل فى حركته وسكونه ، ألا ترى أن قولك « يضرب » على وزن « ضارب » فى حركته وسكونه ، فلما أشبه هذا الفعلُ الاسْمَ من هذه الأوجه وجب أن يكون معرباً كما أن الاسم معرب .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « إنما أعربت لأنها دخلها المعانى المختلفة والأوقات الطويلة » قلنا : قولكم يدخلها المعانى المختلفة يبطل بالحروف ؛ فإنها تدخلها المعانى المختلفة ، ألا ترى أن « أَلاَ » تصلح للاستفهام والعَرْضِ والتمنى ، و « مِنْ » تجىء لمعانٍ مختلفة من ابتداء الغاية والتبعيض والتبيين والزيادة للتوكيد ، إلى غير ذلك من الحروف ، ولا خلاف بين النحويين أنه لا يعرب منها شىء ، وقولكم « والأوقات الطويلة » يبطل بالفعل الماضى ؛ فإنه كان ينبغى أن يكون معرباً ؛ لأنه أطول من المستقبل ؛ لأن المستقبل يصير ماضيا ، والماضى لا يصير مستقبلا ، فإذا كان الماضى الذى هو الأطول مبنيا ؛ فكيف [يجوز أن] يكون المستقبل الذى هو دونه معربا ؟ فلو كان طولُ الزمان يوجب الإعراب لوجب أن يكون الماضى معرباً ، فلما لم يعرب دل على أن هذا تعليل ليس عايه تعويل ، والله أعلم .

[٢٢٦] ٧٤ — مسألة

[القول فى رفع الفعل المضارع][(١)]

اختلف مذهب الكوفيين فى رفع الفعل المضارع نحو « يقوم زيد ، ويذهب

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (٣/٢٣٤ بولاق) وتوضيح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٢٨٩ بولاق)

عمرو » فذهب الأكثرون إلى أنه يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة ، وذهب الكسائى إلى أنه يرتفع بالزائد فى أوله ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع لقيامه مقام الاسم .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن هذا الفعل تدخل عليه النواصب والجوازم ، فالنواصب نحو : أنْ ، ولَنْ ، وإذَنْ ، وكَىْ ، وما أشبه ذلك ، والجوازم نحو : لم ، ولما ، ولام الأمر ، ولا فى النهى ، وإنْ فى الشرط ، وما أشبه ذلك ، فإذا دخلت عليه هذه النواصب دخله النصب ، نحو « أريد أَنْ تَقُومَ ، ولَنْ يقومَ ، وإذَنْ أكرمَك ، وكَىْ تفعَلَ ذلك » ، وما أشبه ذلك ، وإذا دخلت عليه هذه الجوازم دخله الجزم ، نحو « لم يقم زيد ، ولما يذهب عمرو ، ولينطلق بكر ، ولا يفعل بشر ، وإن تفعل أفعل » وما أشبه ذلك ، وإذا لم تدخله هذه النواصب أو الجوازم يكون رفعا ، فعلمنا أن بدخولها دخل النصب أو الجزم ، وبسقوطها عنه دخله الرفع .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنه مرفوع لقيامه مقام الاسم » لأنه لو كان مرفوعا لقيامه مقام الاسم لكان ينبغى أن ينصب إذا كان الاسم منصوبا كقولك « كان زيد يقوم » لأنه قد حل محل الاسم إذا كان منصوبا وهو « قائما » ثم كيف يأتيه الرفع لقيامه مقام الاسم والاسْمُ يكون مرفوعا ومنصوبا ومخفوضاً ؟ ولو كان كذلك لوجب أن يعرب بإعراب الاسم فى الرفع والنصب والخفض ، يدل عليه[1] أنا وجدنا نصبه وجزمه بناصب وجازم لا يدخلان على الاسم؛ فعلمنا أنه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم مثل الحالين فى النصب والجزم ، فدلَّ على ما قلنا .

(١) فى ر « يدل عليه وهو أنا وجدنا » وكلمة « وهو » مقحمة .

والذى يدل على أنه لا يرتفع لقيامه مقام الاسم أنه لو كان مرفوعا لقيامه مقام الاسم لـكان ينبغى أن لا يرتفع فى قولهم « كاد زيد يقوم » لأنه لا يجوز أن يقال كاد زيد قائما ، فلما وجب رفعه بالإجماع دَلَّ على صحة ما قلناه .

وأما البصريون فاحتجوا [٢٢٧] بأن قالوا : إنما قلنا إنه مرفوع لقيامه مقام الاسم ، وذلك من وجهين :

أحدهما : أن قيامه مقام الاسم عامل معنوى ؛ فأشبه الابتداء ، والابتداء يوجب الرفع ، فـكذلك ما أشبهه .

والوجه الثانى : أنه بقيامه مقام الاسم قد وقع فى أقوى أحواله ، فلما وقع فى أقوى أحواله وجب أن يعطى أقوى الإعراب، وأقوى الإعراب الرفع ؛ فلهذا كان مرفوعا لقيامه مقام الاسم .

ولا يلزم على كلامنا الفعلُ الماضى ؛ فإنه يقوم مقام الاسم ، ومع هـــذا فلا يجوز أن يكون مرفوعا ؛ لأنه إنما لم يكن قيام الفعل المـاضى مقام الاسم موجبا لرفعـــه ، وذلك لأن الفعل المـاضى ما استحق أن يكون معربا بنوع ما من الإعراب ، فصار قيامه مقام الاسم بمنزلة عدمه فى وجـوب الرفع ؛ لأن الرفع نوع من الإعراب ، وإذا لم يكن يستحق أن يعرب بشىء من الإعراب استحال أن يكون مرفوعا ؛ لأنه نوع منه ، بخلاف الفعل المضارع ؛ فإنه استحق جملة الإعراب بالمشابهة التى بيناها ، فـكان قيامه مقام الاسم موجبا له الرَّفْعَ ، وصار هذا بمنزلة السيف ؛ فإنه يقطع فى محل يقبل القطع ، ولا يقطع فى محل لا يقبل القطع ، فعدم القطع فى محل لا يقبل القطع لا يدل على أنه ليس بقاطع ، فـكذلك ها هنا : عدم الرفع فى الفعل المـــاضى مع قيامه مقام الاسم لا يدل على أن قيام الفعل المضارع مقام الاسم ليس بموجب للرفع ، وهذا واضح لا إشكال فيه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه يرتفع بتَعَرِّيهِ من العوامل الناصبة والجازمة » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأنه يؤدى إلى أن يكون الرفع بعد النصب والجزم ، ولا خلاف بين النحويين أن الرفع قبل النصب والجزم ؛ وذلك لأن الرفع صفة الفاعل ، والنصب صفة المفعول ، وكما أن الفاعل قبل المفعول ؛ فكذلك ينبغى أن يكون الرفع قبل النصب ، وإذا كان الرَّفْعُ قبل النصب فلأن يكون قبل الجزم كان ذلك من طريق الأولى ، فلما أدَّى قولُهم إلى خلاف الإجماع وجب أن يكون فاسداً .

قولهم « لو كان مرفوعاً لقيامه مقام الاسم لكان ينبغى أن يكون منصوباً إذا كان الاسم منصوباً ــ إلى آخر ما ذكروه » قلنا : إنما لم يكن منصوباً أو مجروراً إذا قام مقام اسم منصوب أو مجرور ؛ لأن عوامل الأسماء لا تعمل فى الأفعال [٢٢٨] وهذا فعل ؛ فلهذا لم يكن عامل الاسم عاملا فيه .

وأما قولهم « وجدنا نصبه وجزمه بناصب وجازم لا يدخلان على الاسم ، فعلمنا أنه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم » قلنا : وكذلك نقول ؛ فإنه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم ؛ لأن ارتفاعه لقيامه مقام الاسم ، والقيام مقام الاسم ليس بعامل للرفع فى الاسم .

وأما قول الكسائى « إنه يرتفع بالزائد فى أوله » فهو قول فاسد من وُجُوهٍ :

أحدها : أنه كان ينبغى أن لا تدخل عليه عواملُ النصب والجزم ؛ لأن عوامل النصب والجزم لا تدخل على العوامل .

والوجه الثانى : أنه لو كان الأمر على ما زَعَمَ لكان ينبغى أن لا ينتصب بدخول النواصب ، ولا ينجزم بدخول الجوازم ؛ لوجود الزائد أبداً فى أوله ، فلما انتصب بدخول النواصب وانجزم بدخول الجوازم دَلَّ على فساد ما ذهب إليه .

والوجه الثالث : أن هذه الزَّوَائِدَ بعضُ الفعل، لا تنفصل منه فى لَفْظٍ، بل هى من تمام معناه، فلو قلنا « إنها هى العاملة » لأدَّى ذلك إلى أن يعمل الشىء فى نفسه، وذلك محال، ويخرج على هذا « أن » المصدرية فإنها تعمل فى الفعل المستقبل وهى معه فى تقدير المصدر ؛ لأنها قائمة بنفسها ومنفصلة عن الفعل، وكل واحد منهما ينفصل عن صاحبه، فَبَانَ الفرقُ بينهما .

وأما قولهم « إنه لو كان مرفوعاً لقيامه مقام الاسم لكان ينبغى أن لا يرتفع فى قولهم كاد زيد يقوم ؛ لأنه لا يجوز أن يقال كاد زيد قائما » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن الأصل أن يقال : كاد زيد قائما، ولذلك رَدَّهُ الشاعر إلى الأصل لضرورة الشعر فى قوله :

٣٦٧ — فَأُبْتُ إلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آئِباً
وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

---

٣٦٧ — هذا البيت من كلام تأبط شرا، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان الفهمى وهو تاسع تسعة أبيات اختارها أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى ٧٥/١ بتحقيقنا ــ وشرح المرزوقى ص ٧٤ - ٨٤) والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٩٢٣ و ١٠٢١) والأشمونى (رقم ٢٣١) وأوضح المسالك (رقم ١١٨) وابن عقيل (رقم ٨٥) وابن الناظم فى باب أفعال المقاربة من شرح الألفية، وشرحه العينى (١٦٥/٢ بهامش الخزانة) ورضى الدين فى باب الفعل المضارع من شرح الكافية، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٥٤٠/٣) وكان بنو لحيان ــ وهم حى من هذيل ــ قد وجدوا تأبط شرا يشتار عسلا فوق جبل، فأخذوا عليه طريقه، فلما أحس ذلك منهم وكره أن يقع فى أسرهم، انطلق إلى مكان بعيد ثم صب ما معه من العسل على الصخر وانزلق عليه حتى انتهى إلى الأرض، ثم أسلم قدميه للريح فنجا، وفهم ــ بفتح فسكون ــ قبيلة تأبط شرا، وهم بنو فهم بن عمرو بن قيس عيلان « وما كدت آئبا » رواية الحماسة « وما كنت آئبا » ولا شاهد فيها لما نحن فيه الآن، وآئب: اسم الفاعل من آب يئوب أوبا ومآبا : أى رجع، وتصفر : تتأسف =

إلا أنه لمـا كانت « كَادَ » موضوعة للتقريب من الحال واسمُ الفاعل ليس دلالته على الحـال بأولى من دلالته على المـاضى عَدَلوا عنه إلى « يفعل » لأنه أدلُّ على مقتضى كاد ، ورفعوهُ مراعاة للأصل ؛ فدل على صحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم .

[٢٢٩] ٧٥ — مسألة

[عامل النصب فى الفعل المضارع بعد واو المعية][1]

ذهب الـكوفيون إلى أن الفعل المضارع فى نحو قولك « لا تَأْكل السمكَ وتَشْرَبَ اللبَنَ » منصوب على الصرف . وذهب البصريون إلى أنه منصوب بتقدير أنْ ، وذهب أبو عُمَرَ الْجَرْمِيُّ من البصريين إلى أن الواو هى الناصبة بنفسها ؛ لأنها خرجت عن باب العطف .

= وتتحزن على أنها لم تستطع أن تنال منى. وموضع الاستشهاد بهذا البيت هنا هو قوله « وما كدت آئبا » حيث جاء الشاعر بخبر « كاد » اسما مفردا منصوبا ، والأصل فى أفعال المقاربة أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، قال ابن جنى « استعمل الشاعر الاسم الذى هو الأصل المرفوض الاستعمال موضع الفعل الذى هو فرع ، وذلك أن قولك كدت أقوم أصله كدت قائما ، ولذلك ارتفع المضارع — أى لوقوعه موقع الاسم — فأخرجه الشاعر على أصله المرفوض ، كما يضطر الشاعر إلى مراجعة الأصول المهجورة عن مستعمل الفروع ، نحو صرف مالا ينصرف ، وإظهار التضعيف ، وتصحيحه المعتل ، وما جرى مجرى ذلك » اهـ كلامه .

ونظير هذا البيت قول الشاعر ، وهو من شواهد ابن يعيش (ص٩٢٤) و(٢٣٢) ومغنى اللبيب (٢٥٠) وشرحه العينى (٢/١٦١) :

أكثرت فى العذل ملحاداًئما   لا تـكثرن إنى عسيت صائما

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٥٨و٢٦٠) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ٩٢٩) وشرح الرضى على الـكافية (٢/٢٢٣ومابعدها)

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه منصوب على الصَّرْفِ ، وذلك لأن الثانى مخالف للأول ، ألا ترى أنه لا يحسن تكرير العامل فيه ، فلا يقال : لا تأكل السمك ولا تشرب اللبن ، وأن المراد بقولهم « لا تأكل السمك وتشربَ اللبنَ » بجَزْم الأول و بنصب الثانى النهىُ عن أكل السمك وشرب اللبن مجتمعين ، لا منفردين ، فلو طَعِمَ كلٌّ واحد منهما منفرداً لما كان مرتكباً للنهى ، ولو كان فى نية تكرير العامل لوجب الجزمُ فى الفعلين جميعاً ، فكان يقال « لا تأكلِ السَّمَكَ وتشربِ اللَّبَنَ » فيكون المراد هو النهى عن أكل السمك وشرب اللبن منفردين ومجتمعين ؛ فلو طَعِمَ كل واحد منهما منفرداً عن الآخر أو معه لكان مرتكباً للنهى ؛ لأن الثانى موافق للأول فى النهى ، لا مخالف له ، بخلاف ما وقع الخلاف فيه ؛ فإن الثانى مخالف للأول ، فلما كان الثانى مخالفاً للأول ومَصْرُوفاً عنه صارت مخالفته للأول وصَرْفُه عنه ناصباً له ، وصار هذا كما قلنا فى الظروف ، نحو « زَيْدٌ عِنْدَكَ » وفى المفعول معه ، نحو « لَوْ تُرِكَ زَيْدٌ وَالأسَدَ لأكَلَهُ » فكما كان الخلاف يوجب النصب هناك ، فكذلك هاهنا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه منصوب بتقدير « أنْ » وذلك لأن الأصل فى الواو أن تكون حرفَ عطفٍ ، والأصلُ فى حروف العطف أن لا تعمل ؛ لأنها لا تختص ؛ لأنها تدخل تارة على الاسم وتارة على الفعل على ما بينا فى غير موضع ، وإنما لمَّا قصدوا أن يكون الثانى فى غير حكم الأول وحُوِّل المعنى حول إلى الاسم ، فاستحال أن يضم الفعل إلى الاسم ، فوجب تقدير « أنْ » لأنها مع الفعل بمنزلة الاسم ، وهى الأصل فى [٢٣٠] عوامل النصب فى الفعل .

وأما ما ذهب إليه أبو عمر الجرمى أنها عاملة لأنها خرجت عن باب العطف

فباطل ؛ لأنه لو كانت هى العاملة كما زعم لجاز أن تدخل عليها الفاء والواو للعطف ، وفى امتناعه من ذلك دليل على بطلان ما ذهب إليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الثانى مخالف للأول فصارت مخالفته له وصَرْفُه عنه موجباً له النصب » قلنا : قد بينَّا فى غير مسألةٍ أن الخلاف لا يصلح أن يكون موجباً للنصب ، بل ما ذكرتموه هو الموجب لتقدير « أنْ » لا أنَّ العامل هو نفس الخلاف والصَّرْفِ ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : إن زيداً فى قولك « أكْرَمْتُ زَيداً » لم ينتصب بالفعل ، وإنما انتصب بكونه مفعولا ، وذلك محال ؛ لأن كونه مفعولا يوجب أن يكون أكرمت عاملا فيه النصبَ ، فكذلك ها هنا : الذى أوجب نصبَ الفعل ها هنا بتقدير « أنْ » هو امتناعه من أن يدخل فى حكم الأول ، كما أن الذى أوجب نصب زيد فى قولك « أكرمْتُ زيداً » وقوعُ الفعل عليه ؛ فدلَّ على ما قلناه ، والله أعلم .

٧٦ – مسألة

[عامل النصب فى الفعل المضارع بعد فاء السببية][1]

ذهب الكوفيون إلى أن الفعل المضارع الواقع بعد الفاء فى جواب الستة الأشياء – التى هى الأمر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعَرْضُ – ينتصب بالخلاف ، وذهب البصريون إلى أنه ينتصب بإضمار أنْ ، وذهب أبو عُمَرَ الجَرْمِىُّ إلى أنه ينتصب بالفاء نفسها ؛ لأنها خرجت عن باب العطف ، وإليه ذهب بعض

(١) انظر فى هذه المسألة شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٥٨) وما ذكرناه من المراجع فى المسألة السابقة .

الكوفيين ، والكلام فى هذه المسألة على طريق الإجمال كالكلام فى المسألة التى قبلها ، فأما الكلام على سبيل التفصيل فنقول :

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الجواب مخالف لما قبله ؛ لأن ما قبله أمر أو نهى أو استفهام أو نفى أو تَمَنٍّ أو عَرْض ، ألا ترى أنك إذا قلت « ايتنا فَنُكْرِمَكَ » لم يكن الجواب أمراً ، فإذا قلت « لا تنقطع عَنَّا فَنَجْفُوَكَ » لم يكن الجواب نهياً ، و إذا قلت « ما تأتينا فتحدثَنَا » لم يكن الجواب نفياً ، و إذا قلت [٢٣١] « أَيْنَ بَيْتُكَ فَأَزُورَكَ » لم يكن الجواب استفهاماً ، و إذا قلت « لَيْتَ لِى بَعِيراً فأَحُجَّ عليهِ » لم يكن الجواب تمنياً ، و إذا قلت « ألاَ تنزِلُ فَتُصِيبَ خَيْراً » لم يكن الجواب عَرْضاً ، فلما لم يكن الجواب شيئاً من هذه الأشياء كان مخالفاً لما قبله ، و إذا كان مخالفاً لما قبله وجب أن يكون منصوباً على الخلاف على ما بينا .

وأما البصريون فقالوا : إنما قلنا إنه منصوب بتقدير « أنْ » وذلك لأنَّ الأصل فى الفاء أن يكون حرفَ عطفٍ ، والأصلُ فى حروف العطف أن لا تعمل ؛ لأنها تدخل تارة على الأسماء وتارة على الأفعال ، على ما بينا فيما تقدم ؛ فوجب أن لا تعمل ، فلما قصدوا أن يكون الثانى فى غير حكم الأول وحُوِّلَ المعنى حُوِّلَ إلى الاسم ، فاستحال أن يُضَم الفعل إلى الاسم ، فوجب تقدير « أنْ » ؛ لأنها مع الفعل بمنزلة الاسم ، وهى الأصل فى عوامل النصب فى الفعل على ما بينا قبلُ ، وجاز أن تعمل « أن » الخفيفة مع الحذف دون أنَّ الشديدة ، و إن كانت الشديدة أقوى من الخفيفة ؛ لأن الشديدة من عوامل الأسماء ، والخفيفة من عوامل الأفعال ، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال ؛ لأن الفاء ها هنا صارت دالة عليها ، فصارت فى حكم مالم يحذف ، وكذلك الواو وأو ولام كى ولام الجحود وحتى ، صارت دالة عليها ، فجاز إعمالها

مع الحذف ، بخلاف « أنَّ » الشديدة ؛ فإنه ليس فى اللفظ ما يدل على حذفها ، فبانَ الفرقُ بينهما .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم « إن الجواب لما كان مخالفاً لما قبله وجب أن يكون منصوباً على الخلاف » قلنا : قد أجبنا عن هذا فى غير موضع فيما مضى ؛ فلا نعيده ها هنا.

وأما من ذهب إلى أنها هى العاملة لأنها خرجت عن بابها ؛ قلنا : لا نسلم ، فإنها لو كانت هى الناصبة بنفسها ، وأنها قد خرجت عن بابها لكان ينبغى أن يجوز دخول حرف العطف عليها ، نحو « ايتِنِى وفأ كرمك وفأعطيك » وفى امتناع دخول حرف العطف عليها دليلٌ على أن الناصبَ غيرُها ، ألا ترى أن واو القسم لما خرجت عن بابها جاز دخولُ حرف العطف عليها ، نحو « فوالله لأفعلن ، ووالله لأذهبن » لأن الحرف إنما يمتنع دخوله على حرفٍ مثلِهِ إذا كانا بمعنى واحد ، فلما امتنع [٢٣٢] دخولُ حرف العطف ها هنا على الفاء دل أنها باقية على حكم الأصل ؛ فلا يجوز أن يدخل عليها حرف العطف ، والله أعلم .

٧٧ — مسألة

[هل تعمل « أنِ » المصدرية محذوفةً من غير بَدَلٍ ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنَّ « أنِ » الخفيفة تعمل فى الفعل المضارع النصبَ مع الحذف من غير بَدَلٍ .

---

(١) انظر فى هذه المسأله : شرح ابن عقيل (٢/٢٨٣ بتحقيقنا) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٦٥ – ٢٦٦) وتصريح الشيخ خالد (٢/٣٠٩ – ٣١٠)

وذهب البصريون إلى أنها لاتعمل مع الحذف من غير بدل .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز إعمالها مع الحذف قراءةُ عبد الله بن مسعود (وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسْرَائيلَ لاَ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) فنصب (لاتعبدوا) بأنْ مقدرةً ؛ لأن التقدير فيه : أن لاتعبدوا إلا الله ، فحذف « أنْ » وأعْمَلَهَا مع الحذف ، فدلَّ على أنها تعمل النَّصْبَ مع الحذف ، وقال طَرَفَةُ :

٣٦٨ — أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الْوَغَى
وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِى

فنصب « أحْضُرَ » لأن التقدير فيه : أن أحضر ، فحذفها وأعملها مع الحذف . والدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله « وأن أشْهَدَ اللذات » فدل على أنها تنصب مع الحذف . وقال عامر بن الطُّفَيْلِ :

---

٣٦٨ — هذا البيت من معلقة طرفة بن العبد البكرى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٤٥٢) وابن منظور (أنن) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٦٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٢٦) وابن عقيل (رقم ٣٣٣) وشرحه العينى (٤/ ٤٠٢ بهامش الخزانة) وأنشده رضى الدين وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٥٧و٣ / ٥٩٤) والزاجرى : أى الذى يكفنى ويمنعنى ؛ والوغى — بوزن الفتى مقصورا — الحرب ، يقول : أنا لست خالدا ، ولابد أن يأتينى الموت يوما ، فليس مما يقتضيه العقل أن أقعد عن شهود الحرب ومنازلة الأقران مخافة أن أموت . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « أحضر الوغى » وهذا الفعل يروى بروايتين ، الأولى برفع « أحضر » وقدرواه سيبويه على هذا الوجه ، ورواه ابن هشام فى المغنى ليستشهد به على رواية الرفع، وهذه الرواية هى الأصل عند الفريقين ، فإن الأصل أن يرتفع المضارع مالم يسبقه ناصب ولاجازم ، والرواية الأخرى بنصب « أحضر » على أنه فعل مضارع منصوب بأن المصدرية محذوفة ، قال الأعلم « وقد يجوز النصب بإضمار أن ضرورة ، وهو مذهب الكوفيين » اهـ .

٣٦٩ — فَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا خُبَاسَةَ وَاجِـــدٍ
وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْعَلَهْ

٣٦٩ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/ ١٥٥) ونسبه لعامر بن جوين الطائى ، وأقر هذه النسبة الأعلم الشنتمرى ، واستشهد به ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٨٩٥) ولم يعزه ، والأشمونى (رقم ٢٣٧) وأنشده ابن منظور (خ ب س) وقال قبل إنشاده « قال عمر بن جوين أوامرؤ القيس » هكذا محرفا ، وروى أبو الفرج الأصبهانى عجز هذا البيت لعامر بن جوين الطائى وهو مع بيت سابق عليه بروايته هكذا :

فكم للسعيد من هجان مؤبله   تسير صحاحا ذات قيد ومرسله
أردت بها فتكا فلم أرتمض له   ونهنهت نفسى بعد ما كدت أفعله

وقد استشهد بالبيت ابن الناظم فى نواصب المضارع ، وشرحه العينى (٤/ ٤٠١) والخباسة — بضم الخاء وفتح الباء مخففة — الغنيمة ، وتقول : خبس فلان الشىء يخبسه — من مثال نصر — واختبسه ، وتخبسه : أى أخذه وغنمه . ونهنهت نفسى : كففتها وزجرتها ، وقال أبو جندب الهذلى :

فنهنهت أولى القوم عنهم بضربة   تنفس عنها كل حشيان مجحر

والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « كدت أفعله » وكل العلماء متفقون على أن الرواية بنصب اللام فى « أفعله » ولكنهم يختلفون فى التخريج ، فأما سيبويه فيرى أن الفعل المضارع هنا منصوب بأن المصدرية محذوفة مع أنه يقول : إن الأصل تجرد المضارع الذى يقع خبرا لكاد من أن المصدرية ، فقد ركب ضرورة على ضرورة ، قال : « حمله على أن ؛ لأن الشعراء قد يستعملون أن هنا مضطرين كثيرا » اهـ . وقال الأعلم « الشاهد فيه نصب أفعله بإضمار أن ضرورة ، ودخول أن على كاد لا يستعمل فى الكلام ، فإذا اضطر الشاعر أدخلها عليها تشبيها لها بعسى ، لاشتراكهما فى معنى المقاربة ، فلما أدخلوها بعد كاد فى الشعر ضرورة توهمها هذا الشاعر مستعملة ، ثم حذفها ضرورة ، هذا تقدير سيبويه ، وقد خولف فيه ؛ لأن أن مع مابعدها اسم فلا يجوز حذفها ، وحمل المراد بالفعل على إرادة النون الخفيفة وحذفها ضرورة ، والتقدير عنده : بعد ما كدت أفعلنه ، وهذا التقدير أيضاً بعيد ، لتضمنه ضرورتين : إدخال النون فى الواجب ، ثم حذفها ، فقول سيبويه أولى ، لأن أن قد أتت فى الأشعار محذوفة كثيراً » اهـ وترجيحه مقالة سيبويه مع اشتماله على ضرورة مركبة على ضرورة أخرى من أعجب العجب ، وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : « حذف أن الناصبة : هو مطرد فى مواضع معروفة ، وشاذ =

فنصب «أفعله» لأن التقدير فيه : أنْ أفعله ؛ فدل على أنها تعمل مع الحذف ، وهذا على أصلكم ألزم ؛ لأنكم تزعمون أنها تعمل مع الحذف بعد الفاء فى جواب الأمر والنهى والنفى [والاستفهام] والتمنى والعَرْضِ ، وكذلك بعد الواو واللام وأو وحَتَّى فكذلك هاهنا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنها لا يجوز إعمالها مع الحذف أنها حرفُ نصبٍ من عوامل الأفعال ، وعوامل الأفعال ضعيفة ؛ فينبغى أن لا تعمل مع الحذف من غير بدل .

والذى يدل على ذلك أنّ « أنّ » المشددة التى تنصب الأسماء لا تعمل مع الحذف ،

= فى غيرها ، نحو: خذ اللص قبل يأخذك ، ومره يحفرها ، ولابد من تتبعها ــ أى قبل أن يأخذك ، وأن يحفرها ، ولابد من أن تتبعها ــ وقال به سيبويه فى قوله :

* ونهنهت نفسى بعد ما كدت أفعله *

وقال المبرد : الأصل أفعلها ، ثم حذفت الألف ونقلت حركة الهاء لما قبلها ، وهذا أولى من قول سيبويه ؛ لأنه أضمر أن فى موضع حقها ألا تدخل فيه صريحاً وهو خبر كاد ، واعتد بها مع ذلك بإبقاء عملها » ا هـ كلامه .

ويتلخص من هذين الكلامين كلام الأعلم وكلام ابن هشام أن فى قول الشاعر : « بعد ما كدت أفعله » ثلاثة تخريجات :

التخريج الأول : تخريج سيبويه، وحاصله أن الفتحة على لام «أفعله » فتحة إعراب ، وأن الفعل منصوب بأن المصدرية محذوفة، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

التخريج الثانى : التخريج الذى حكاه الأعلم ولم يبين القائل به،وحاصله أن الفتحة التى على لام « أفعله » فتحة بناء ، وأن الفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المحذوفة تخفيفاً ، وقد ذكر المؤلف هذا التخريج .

التخريج الثالث: تخريج أبى العباس المبرد ، وحاصله أن الفتحة التى على لام «أفعله» لا هى فتحة الإعراب ولا هى فتحة البناء ، ولكنها فتحة منقولة من الحرف الذى بعدها والفعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة العارضة بسبب النقل .

وإذا [٢٣٣] كانت « أنَّ » المشددة لاتعمل مع الحذف فأنِ الخفيفةَ أُولى أن لاتعمل، وذلك لوجهين :

أحدهما : أنَّ « أنَّ » المشددة من عوامل الأسماء ، و « أنِ » الخفيفة من عوامل الأفعال ، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال ، وإذا كانت أنَّ المشددة لاتعمل مع الحذف وهي الأقوى فأن لاتعمل « أن » الخفيفة مع الحذف وهي الأضعف كان ذلك من طريق الأولى .

والثانى : أن « أن » الخفيفة إنما عملت النصبَ لأنها أشبهت « أنَّ » المشددة ، وإذا كان الأصل المشبه به لاينصب مع الحذف ، فالفرع المشبه أولى أن لاينصب مع الحذف ؛ لأنه يؤدى إلى أن يكون الفرع أقوى من الأصل وذلك لايجوز .

والذى يدل على ضعف عمل « أنِ » الخفيفة أنه من العرب من لايعملها مظهرة ويرفع مابعدها تشبيها لها بما ؛ لأنها تكون مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر كما أن «ما» تكون مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر ، ألا ترى أنك تقول « يعجبنى أن تفعل » فيكون التقدير : يعجبنى فِعلُكَ ، كما تقول « يعجبنى ماتفعل » فيكون التقدير : يعجبنى فعلُكَ ، فلما أشبهتها من هذا الوجه شُبِّهَتْ بها فى ترك العمل ، وقد روى ابن مجاهد أنه قرىء (لمن أراد أن يُتِمُّ الرضاعَةَ) بالرفع ، وقال الشاعر :

٣٧٠— ياصاحِبَيَّ فَدَتْ نَفْسِي نفُوسَكُما ... وَحَيْثُمَا كُنْتُمَا لاَقَيْتُمَا رَشَدَا
أَنْ تَحْمِلاَ حَاجَةً لِي خَفَّ مَحْمِلُهَا ... وَتَصْنَعَا نِعْمَةً عِنْدِي بِهَا وَيَدَا
أَنْ تَقْرَآنِ عَلَى أَسْمَاءَ وَيْحَكُمَا ... مِنِّي السَّلاَمَ، وَأَنْ لاَ تُشْعِرَا أَحَدَا

فقال « أن تقرآن » فلم يعملها تشبيها لها بما ، على مابينا .

---

٣٧٠ — قد استشهد بثالث هذه الأبيات ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٩٢٥) وابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١/٢٧٨) ورضى الدين فى شرح الكافية (٢/٢١٧) وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٥٥٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب =

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قراءة من قرأ (لاتعبدوا إلا الله) فهى قراءة شاذة ، وليس لهم فيها حجة ؛ لأن (تعبدوا) مجزوم بلا ؛ لأن

=(رقم ٣٥) وفى أوضح المسالك (رقم ٤٩٣) والأشمونى (رقم ١٠١١) وشرحه العينى (٤/٣٨٠ بهامش الخزانة) وقال البغدادى « وهذه الأبيات الثلاثة قلما خلا عنها كتاب نحو ، ومع كثرة الاستعمال لم يعزها أحد إلى شاعر » وأنشد العينى وابن جنى ثانى هذه الابيات هكذا :

إن تقضيا حاجة لى خف محملها تستوجبا منة عندى بها ويدا

ومحل الاستشهاد بهذه الأبيات قوله : « أن تقرآن » وقد اختلف العلماء فى تخريج هذه الكلمة؛ فذهب قوم –منهم الزمخشرى وابن يعيش وتبعهما شراح الألفية – إلى أن « أن» هذه هى المصدرية التى تختص بالدخول على الفعل المضارع ، والتى ينصب بها عامة العرب،ولكنها أهملت فى هذا البيت ونحوه حملا على «ما» المصدرية أختها ، لاشتراكهما فى معنى المصدرية وفى أن كل واحدة منهما تسبك مابعدها بمصدر ، وادعى جماعة – منهم ابن يعيش –أن إهمال « أن » المصدرية لغة لجماعة من العرب ، قال : « على أن من العرب من يلغى عمل أن تشبيهاً بما ، وعلى هذا قرأ بعضهم (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بالرفع » اهـ . وذهب جماعة – منهم أبو على الفارسى وابن جنى – إلى أن « أن » ههنا مخففة من الثقيلة ، وليست هى المصدرية المختصة بالفعل المضارع ، وكان من حق العربية على الشاعر أن يفصل بين « أن » والفعل بالسين أو بسوف أو بقد ، كما فى قوله تعالى : (علم أن سيكون منكم مرضى) وقوله : (علم أن لن تحصوه) وقوله : (ونعلم أن قد صدقتنا) ولكنه ترك الفصل حين اضطر لإقامة الوزن ، قال ابن جنى فى شرح التصريف (١/٢٧٨) « سألت أبا على عن ثبات النون فى تقرآن بعد أن ، فقال: أن مخففة من الثقيلة ، وأولاها الفعل بلا فصل للضرورة ، فهذا أيضاً من الشاذ عن القياس والاستعمال جميعا » اهـ . وجعل ابن هشام القول بأن « أن » هى المخففة من الثقيلة قول الكوفيين، والقول بأنها المصدرية أهملت حملا على ما قول البصريين ، قال فى مغنى اللبيب (ص ٣٠ بتحقيقنا) « وقد يرفع الفعل بعد أن ، كقراءة ابن محيصن(لمن أراد أن يتم الرضاعة) وقول الشاعر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما منى السلام وألا تشعرا أحدا

وزعم الكوفيون أن أن هذه هى المخففة من الثقيلة شذ اتصالها بالفعل، والصواب قول البصريين إنها أن الناصبة أهملت حملا على ما أختها المصدرية » اهـ .

المراد بها النهى ، وعلامةُ الجزم والنصب فى الخمسة الأمثلة التى هـــذا أحَدُها واحدةٌ .

وأما قول طرفة :

* ألاَ أيُّهذَا الزَّاجِرِى أحْضُرَ الْوَغَىٰ * [٣٦٨]

فالرواية عندنا على الرفع ، وهى الرواية الصحيحة ، وأما من رواه بالنصب ؛ فلعله رَوَاهُ على مايقتضيه القياس عنده من إعمال « أنْ » مع الحذف ، فلا يكون فيه حجة ، [٢٣٤] ولئن صحت الرواية بالنصب ؛ فهو محمول على أنه تَوَهَّم أنه أتى بأنْ ، فنصب على طريق الغلط ، كما قال الأحْوَصُ اليَرْبُوعِى :

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِين عَشِيرَةً وَلاَ نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا [١١٧]

فجر قوله « ناعب » توهما أنه قال « ليسوا بمصلحين » فعطف عليه بالجر ، وإن كان منصوبا كما قال صِرْمَةُ الأنصارى :

بَدَا لِىَ أَنِّى لَسْتُ مُدْرِكَ مَامَضَى
وَلاَ سَابِقٍ شَيْئًا إذَا كَانَ جَائِيًا [١١٥]

فجر « سابق » توهما أنه قال « لست بمدرك مامضى » فعطف عليه بالجر وإن كان منصوباً ، وهذا لأن العربى قد يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضربٌ من الغلط فيعدلُ عن قياس كلامه وينحرف عن سَنَنِ أصوله ، وذلك مما لايجوز القياس عليه .

وأما قول الآخر :

* ... بَعْدَ مَا كِدْتُ أفْعَلَهْ * [٣٦٩]

فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أنه نصب « أفعله » على طريق الغلط على مابيناه فيما تقدم ، كأنه توهم أنه قال « كدت أن أفعله » لأنهم قد يستعملونها مع كاد فى ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

٣٧١ — * قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا *

---

٣٧١ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وقبله :

* ربع عفاه الدهر طولا فانمحى *

وقد أنشده سيبويه (٤٧٨/١) ونسبه إلى رؤبة بن العجاج ، وأقره على هذه النسبة الأعلم الشنتمرى ، وأنشده أيضاً ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٠٣٣) ونسبه لرؤبة أيضا ، وأنشده رضى الدين فى باب أفعال المقاربة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٩٠/٤) وذكر أنه لم يعثر عليه فى ديوان رؤبة ، وأنشده جماعة من شراح الألفية ، وشرحه العينى (٢١٥/٢ بهامش الخزانة) والربع : المنزل حيث كان ، ويروى « رسم » وهو ما بقى لاصقاً بالأرض من آثار الديار ، وعفا : يكون لازماً بمعنى درس ، تقول : عفا المنزل يعفو ، أى درس ، ومنه قول لبيد بن ربيعة العامرى فى مطلع معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبد غولها ورجامها

ويكون عفا متعديا كما فى البيت الذى قبل بيت الشاهد ، ومعناه محا آثاره ، وانمحى : مطاوع « محاه يمحوه » ويروى « فامحى » بتشديد الميم ، على أنه قلب النون ميما ثم أدغم الميم فى الميم ، ومحل الاستشهاد فى البيت قوله : « كاد أن يمصحا » حيث اقترن المضارع الواقع خبرا لكاد بأن المصدرية ، ومذهب سيبويه أن المستعمل فى الكلام إسقاط أن ، وأن ذكر أن معها مما يجىء فى الشعر للضرورة تشبيهاً لكاد بعسى ، كما أن المستعمل فى الكلام ذكر أن فى خبر عسى ، وأنها قد تسقط مع عسى تشبيهاً لعسى بكاد .

وأقول : قد وقع اقتران الفعل الواقع خبرا لكاد بأن فى الحديث ، وفى جملة من الشعر العربى ، فمن ذلك ما ورد فى صحيح البخارى فى شأن أمية بن أبى الصلت « كاد أن يسلم » ويروى : « كاد الفقر أن يكون كفرا » وفى حديث عمر بن الخطاب « ما كدت أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب » وفى حديث جبير بن مطعم « كاد قلبى أن يطير » وأما الشعر فمنه بيت الشاهد ، ومنه قول ذى الرمة :

وجدت فؤادى كاد أن يستخفه   رجيع الهوى من بعض ما يتذكر

ومنه قول محمد بن مناذر ، وهو من شواهد الأشمونى :

كادت النفس أن تفيظ عليه   إذ غدا حشو ريطة وبرود

ومنه قول الآخر ، وهو من شواهد الأشمونى أيضاً :

أبيتم قبول السلم منا ؛ فكدتم   لدى الحرب أن تغنوا السيوف عن السل =

فأما فى اختيار الكلام فلا يُسْتَعمل مع « كَادَ » ولذلك لم يأت فى قرآنٍ ولا كلام فصيح . قال الله تعالى : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) وقال تعالى : (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قلوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) وكذلك سائر مافى القرآن من هذا النحو ؛ فأما الحديث[١] « كادَ الفقرُ أن يكون كفراً » فإن صح فزيادة « أن » من كلام الراوى ، لا من كلامه عليه السلام ؛ لأنه صلوات الله عليه أفْصَحُ مَنْ نطق بالضاد .

والوجه الثانى : أن يكون أراد بقوله « بَعْدَ مَا كِدْتُ أفعَلَهْ » بعد ما كدت أفعلها — يعنى الخَصْلَةَ — فحذف الألف وألقى فتحة الهاء على ماقبلها ، وهذا التأويلُ فى هذا البيت حكاه أبو عثمان عن أبى محمد التوزى عن الفراء من أصحابكم ، كما حكى أن بعض العرب قتل رجلا يقال له مَرْقَمَةُ وقد كلفه وآخَرَ أن [٢٣٥] يبتلعا جُرْدَانَ الحمار[٢] فامتنعا فَقَتَلَ مَرْقَمَةَ ، فقال الآخر « طَاحَ مَرْقَمَهْ » فقال له القاتل :

= ومنه ما أنشده ابن الأعرابى :

٭ يكاد لولا سيره أن يملصا ٭

ومنه ما أنشده هو وغيره :

حتى تراه وبه إكداره يكاد أن ينطحه إمجاره

٭ لو لم ينفس كربه هراره ٭

ومنه ما أنشده أبو زيد فى صفة كلب :

يرتم أنف الأرض فى ذهابه يكاد أن ينسل من إهابه

(١) فى ر « فأمامن الحديث » وظاهر أن لفظ « من » مقحم .

(١) ارجع إلى مجمع الأمثال للميدانى (المثل رقم ٥٦٨ بتحقيقنا « أبخل من مادر ») فقد روى القصة وخرج الكلمة التى خرجها المؤلف . ونظيره ما حكوه من قولهم « بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به » بفتح الباء فى « به » الثانية وسكون الهاء (وانظر أوضح المسالك فى الكلام على ذو الموصولة) وقد روى هذه العبارة الفراء ينسبها لأعرابى من طيئ ، وتخريج « به » الثانية أن أصلها « بها » بباء الجر المكسورة وضمير المؤنثة الغائبة العائد إلى الكرامة ، وقد ألقى حركة الهاء — وهى الفتحة — على باء الجر بعد سلب حركة الباء ، ثم حذف ألف « ها » ووقف بالسكون

« وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تَلْقَمَهْ » يريد: تَلْقَمُهَا، فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الميم، وكما قال الشاعر:

٣٧٢ — فَإِنِّى قَدْ رَأَيْتُ بِدَارِ قَوْمِى نَوَائِبَ كُنْتُ فى لَخْمٍ أَخَافَهْ

يريد «أخَافُهَا» فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الفاء، وهى لغة لخم، وحكى أصحابكم « نَحْنُ جِئْنَاكَ بَهْ » أى جئناك بِهَا، فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الباء، فكذلك هاهنا.

والوجه الأول أوْجَهُ الوجهين؛ لأنه يحتمل أن يكون التقدير فى قوله: « وأنتَ إن لم تَلْقَمَهْ » تَلْقَمَنْهُ ـ بنون التأكيد الخفيفة ـ فحذفها وبقيت الميمُ مفتوحة، كما قال الشاعر:

٣٧٣ — أُضْرِبَ عَنْكَ الْهُمُومَ طَارِقَهَا ضَرْبَكَ بالسَّوْطِ قَوْنَسَ الْفَرَسِ

---

٣٧٢ — النوائب: جمع نائبة، وأصلها اسم الفاعل من « نابه ينوبه » إذا نزل به وعرض له، ثم أطلقوا النائبة على ما ينزل بالمرء من الحوادث والمصائب والمهات، وفى حديث خيبر « قسمها نصفين: نصفا لنوائبه وحاجاته، ونصفا بين المسلمين » ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « أخافه » بفتح الفاء وسكون الهاء ـ فإن أصل هذه الكلمة « أخافها » بضم الفاء وبضمير المؤنثة الغائبة العائد إلى « نوائب » فأراد الشاعر الوقف بنقل الحركة، فحذف الألف، ثم ألقى حركة الهاء على الفاء بعد أن أسقط حركة الفاء الأصلية، على مثل ما ذكرناه فى شرح المثل السابق.

٣٧٣ — هذا البيت من شواهد مغنى اللبيب (رقم ٩٠٠ بتحقيقنا) وابن جنى فى الخصائص (١/١٢٦) وقد أنشده ابن منظور (ق ن س) ونقل عن ابن برى أن البيت لطرفة بن العبد البكرى، وقد رواه أبو زيد فى نوادره (١٣) وقال قبل إنشاده « قال أبو حاتم: أنشدنى الأخفش بيتا مصنوعا لطرفة » وقد استشهد به ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٤٢) وابن الناظم فى باب نونى التوكيد من شرح الألفية، وشرحه العينى (٤/٣٣٧ بهامش الخزانة) و « اضرب » يقع فى موضعه « اصرف » والأول أدق وأوفق ببقية البيت، وطارقها: اسم الفاعل من « طرق يطرق » إذا أتى ليلا، =

. . . .

=وقونس الفرس ـ بفتح القاف والنون وسكون الواو وآخره سين مهملة ـ هو العظم الناتىء بين أذنى الفرس ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « اضرب عنك » فإن الرواية فيه بفتح الباء ، وقد خرج العلماء هذه الرواية على أن أصل الكلام « اضربن عنك » بنون توكيد خفيفة ساكنة ، وفعل الأمر يبنى مع نونى التوكيد على الفتح ، ثم حذف الشاعر نون التوكيد وهو ينويها ، فلذلك أبقى الفعل على ما كان عليه وهو مقرون بها ؛ لتكون هذه الفتحة مشيرة إلى النون المحذوفة ودالة عليها ، وهذا شاذ ؛ لأن نون التوكيد الخفيفة إنما تحذف إذا وليها ساكن كما فى قول الأضبط بن قريع السعدى :

لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه

فإنه أراد « لا تهينن الفقير » بنونين : أولاهما لام الكلمة ، والثانية نون التوكيد الخفيفة ، فحذف نون التوكيد لأن التالى لها ساكن وهو لام « الفقير » ويدل على حذف النون ههنا الفتحة التى على لام الكلمة والياء التى هى عين الكلمة ؛ إذ لو لم يكن على تقدير النون لحذف هذه الياء ، لأن الأجوف المجزوم تحذف عينه للتخلص من التقاء الساكنين : سكون هذه العين المعتلة ، وسكون اللام للجازم .

ونظير بيت الشاهد فى حذف نون التوكيد الخفيفة مع أنه ليس بعدها ساكن قول الشاعر، وأنشده الجاحظ فى البيان (٢/١٨٧) والحيوان (٧/٨٤) على وجه لا شاهد فيه

خلافا لقولى من فيالة رأيه كما قيل قبل اليوم خالف تذكرا

محل الشاهد قوله « خالف » فإن الرواية فى هذه الكلمة بفتح آخره، وتخريجها أن الأصل « خالفن » بنون التوكيد الخفيفة، فحذف النون وهو ينويها ، ورواية الجاحظ « خالف فتذكراً »

ومثله قول الآخر وأنشده أبو على الفارسى :

إن ابن أحوص مغرور فبلغه فى ساعديه إذا رام العلاقصر

الشاهد فى قوله « فبلغه » فإن أصله « فبلغنه » بنون ساكنة بعد الغين ، فحذف النون . ومثله قول الآخر :

يا راكبا بلغ إخواننا من كان من كندة أو وائل

الاستشهاد بقوله « بلغ » فإن الأصل « بلغن » فحذف النون وأبقى الغين على فتحتها ونظيره قول الآخر وأنشده أبو زيد فى نوادره (ص١٣) وابن جنى فى الخصائص (٣/٩٤)

فى أى يومى من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر =

والتقدير « أُضْرِبَنْ عَنْكَ الْهُمُومَ » لحذف النون وبقيت الباء مفتوحـــة ، فكذلك هاهنا .

وأما قولهم « إنها تعمل عندكم مع الحذف بعد الفاء والواو وأو واللام وحتى » قلنا : إنما جاز ذلك؛ لأن هذه الأحرف دالة عليها، فتنزلت منزلة مالم يحذف، فعملت مع الحذف ، بخلاف هاهنا ، فإنه ليس هاهنا حرف يدل عليها : فلم يعمل مع الحذف، والله أعلم .

٧٨ — مسألة

[هل يجوز أن تأتى « كَيْ » حَرْفَ جَرٍّ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « كَيْ » لا تكون إلا حرفَ نصبٍ ، ولا يجوز أن تكون حرفَ خفضٍ .

وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرف جر .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن « كى » لا يجوز أن تكون حرف خفض ؛ لأن « كَيْ » من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف خفض ؛ لأنه من عوامل الأسماء ، وعوامل الأفعال لا يجوز أن تكون من عوامل الأسماء .

= الاستشهاد بقوله «لم يقدر» فإن الرواية بفتح الفعل المضارع على تقدير أنه مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المقدرة ، وأصله « يقدرن » فحذفت النون وأبقى المضارع مفتوح الآخر للاشارة إليها .

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (٢/١٧٩ و ٣/٢٣٦) وشرح ابن عقيل على الألفية (٢/٣ بتحقيقنا) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٣ و ٢٩١) وشرحنا المطول على شرح الأشمونى (٣/١٨٢ — ١٨٨) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ١٨٢ وما بعدها) .

والذى يدل على أنها لاتكون حرف خفض دخولُ[٢٣٦] اللام عليها كقولك « جِئْتُكَ لِكى تَفْعَلَ هــذا » لأن اللام على أصلكم حرف خفض ، وحرف الخفض لا يدخل على حرف الخفض ، وأما قول الشاعر :

٣٧٤ — فَلَاَ وَاللهِ مَا يُلْفَى لِمَا بِى وَلَاَ لِلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءُ

فمن الشاذ الذى لا يُعَرَّج عليه ولا يؤخذ به بالإجماع .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « الدليلُ على أنها حرف جر أنها تدخل على ما الأستفهامية كما يدخل عليها حرفُ الجر ؛ فيقال : كَيْمَه ، كما يقال : لِمَهْ »

---

٣٧٤ — هذا البيت من كلة لمسلم بن معبد الوالبى يقولها فى ابن عمه عمارة بن عبيد الوالبى ، والبيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٣٠٢)وفى أوضح المسالك (رقم ٤٠٧) والأشمونى (رقم ٨١٢) وابن جنى فى سر الصناعة(رقم ٢١٥ فى ١/٢٨٣) ورضى الدين فى باب التوكيد من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة(١/٣٦٤ بولاق) كما شرحه العينى (٤/١٠٢) ويلفى : مضارع مبنى للمجهول ماضيه المبنى للمعلوم ألفى ، ومعناه وجد ؛ وفى القرآن الكريم (والفيا سيدها لدى الباب) وفيه (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) وقوله « مابى » أى الذى استقر بى ، وأراد به مافى نفسه من الهم والحزن والكدر مما يفعل به قومه ، وأراد بقوله « مابهم » مافى أنفسهم من الحسيكة والغل والحقد والحسد ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « للما بهم » حيث أكد الشاعر اللام الجارة ــ وهى حرف غير جوابى ــ توكيدا لفظيا فأعادها بنفس لفظها الأول من غير أن يفصل بين المؤكد والتوكيد ،وتوكيد الحروف غير الجوابية من غير فصل بين المؤكد والتوكيد فى نفسه شاذ ، وهو فى هذا الموطن من هذا البيت بالغ الغاية فى الشذوذ ، بسبب كون المؤكد والتوكيد على حرف واحد ، وكل النحاة يروون البيت على الوجه الذى رواه المؤلف عليه ، ويستدلون به لما قلنا ، ولكن ابن الأعرابى روى البيت على وجه آخر ، وهو :

فلا والله لا يلفى لما بى وما بهم من البلوى دواء

وعلى هذا يخلو البيت من الشذوذ ومن الشاهد على ماجاء به المؤلف من أجله ، فاعرف ذلك .

لأنا نقول : مَهْ من كَيْمَهْ ليس لكى فيه عمل ، وليس فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب ؛ لأنها تقال عند ذكر كلام لم يُفْهَمْ ؛ يقول القائل : أقوم كى تقوم ، فيسمعه المخاطب ولم يفهم « تقوم » فيقول : كَيْمَهْ ؟ يريد كى ماذا ، والتقدير : كى ماذا تفعل ، ثم حذف ، فمَهْ : فى موضع نصب ، وليس لكى فيه عمل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنها تكون حرف جر دخولها على الاسم الذى هو « ما » الاستفهامية كدخول اللام وغيرها من حروف الجر عليها ، وحذف الألف منها ؛ فإنهم يقولون « كَيْمَهْ » كما يقولون « لِمَهْ » .

والدليل على أنها فى موضع جر أن الألف من « ما » الاستفهامية لا يحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار ، كقولهم : لِمَ ، وبِمَ ، وفيمَ ، وعَمَّ ، قال الله تعالى (لِمَ تَقُولون مَالا تفعلون) وقال تعالى : (فَبِمَ تُبَشِّرُونِ) وقال تعالى : (فِيمَ أنت من ذكراها) وقال تعالى : (عَمَّ يتساءلون) فأما إذا اتصل بماذا فلا يجوز حذف الألف منها ، وإن اتصل بها حرف الجر ، فلا يجوز أن يقال فى لماذا و بماذا وفيماذا وعماذا : لم ذا ، و بم ذا ، وفيم ذا ، وعَمَّ ذا ؛ لأن ما صارت مع ذا كالشيء الواحد ، فلم يحذف منها الألف ، وكذلك إذا وقعت فى صدْر الكلام لا يجوز أن يحذف الألف منها ؛ كقولهم : ما تريد ، وما تصنع ، ولا يجوز أن يقال : مَ تريد ، ومَ تصنع، فلما حذف الألف منها فى قولهم « كَيْمَهْ » كما يحذف مع حرف الجر دَلَّ على أنها حرف جر ، وإنما حذفت مع حرف الجر لأنها صارت مع حرف الجر بمنزلة كلمة واحدة ، فحذفت الألف منها للتخفيف ، ودخلها هاء السكت صيانة للحركة عن الحذف ، فصار : كيمه ، ولمه ، وبمه ، وفيمه ، وعمه، وقد يجوز أن يكونوا أبدلوا [٢٣٧] الهاء من الألف فى « ما » كما أبدلوها من

الألف فى أَنَاَ فقالوا « أَنَهْ » وفى حيهلا فقالوا « حيهله » وقول الـكوفيين « إن مَهْ فى موضع نصب » فسنبين فساده فى الجواب إن شاء الله تعالى .

أما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قولهم « إن كى من عوامل الأفعال ؛ فلا يجوز أن تـكون من عوامل الأسماء » قلنا : هذا الحرف من عوامل الأفعال فى كل الأحوال ، أو فى بعض الأحوال ؟ فإن قلتم فى كل الأحوال فلا نسلم ، وإن قلتم فى بعض الأحوال فنسلم ، وهذا لأن كى على ضربين ؛ أحدهما : أن تـكون حرفَ نصبٍ من عوامل الأفعال كما ذكرتم ، وذلك إذا دخلت عليها اللام كقولك « جئتك لـكى تـكرمنى » كما قال تعالى : (لـكى لا تأسَوْا على مافاتـكم) فـكى ها هنا هى الناصبة بنفسها من غير تقدير أنْ ، ولا يجوز أن تـكون ها هنا حرف جر ؛ لأن حرف الجر لا يدخل على حرف الجر ، وهذا لا إشـكال فيه ، والثانى : أن تـكون حرف جر كاللام نحو «جئتك كى تـكرمنى» فهذه كى حرف جر بمنزلة اللام ، والفعل بعدها منصوب بتقدير « أنْ » كما هو منصوب بعد اللام بتقدير « أنْ » وحذفت فيهما طلباً للتخفيف .

والذى يدل على أنها بمنزلة اللام أنها فى معنى اللام ، ألا ترى أنه لا فرق بين قولك « جئتك كَىْ تـكرمنى » وبين قولك « جئتك لتكرمنى » وإذا كانا بمعنًى واحدٍ فلا معنى لترك الظاهر لشىء لم يقم عليه دليل ؛ فدل على أنها تـكون حرف جر كما تـكون حرف نصب ، فإذا ذهبت بها مذهب حرف الجر لم تتوهم فيه غيره ، وإذا ذهبت بها مذهب حرف النصب لم تتوهم فيه غيره ؛ فهى وإن كانت حرفاً واحداً فقد تنزلت منزلة حرفين ، وصار هذا كما قلتم فى «حتى» فإنها تنصب الفعل فى حالٍ من غير تقدير ناصب ، وتخفض الاسم فى حال من غير تقدير خافض ، على الصحيح المشهور من مذهبكم ، ولم يمنع كونها ناصبة للفعل أن تـكون خافضة للاسم ، فـكذلك ها هنا ، وكذلك أيضاً « حتى »

تكون خافضة وتكون عاطفة، وكذلك قلتم إن « إلاَّ » تكون ناصبة وتكون عاطفة، وكذلك « حاشى » و « خلا » تكونان ناصبين وخافضين، واللفظ فيها كلها واحد، والعمل مختلف، فكذلك ها هنا.

وأما قولهم « إن مَهْ فى موضع نصب » قلنا: هذا باطل؛ لأنها لو كانت [٢٣٨] ما فى موضع نصب لكان ينبغى أن لا يحذف الألف من ما؛ لأنها لا يحذف الألف منها إلا إذا كانت فى موضع جر، بخلاف ما إذا كانت فى موضع نصب أو رفع؛ فإنه لا يجوز أن يحذف الألف منها، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول « مَ تفعل » فى قولك: ما تفعل، و « مَ عندك » فى قولك: ما عندك، فلما حذفت الألف ها هنا دَلَّ على أنها ليست فى موضع نصب، وإنما هى فى موضع جر.

ثم هـذا الحذف فى موضع الجر إنما يكون فى ما الاستفهامية، دون ما الموصولة، إلا فى قولهم « ادْعُ بِمَ شئت » أى: بالذى شئت؛ فإن العرب تحذف الألف من ما الموصولة ها هنا خاصة، كما تحذفها منها إذا أردت بها الاستفهامية.

وقولهم « إنها تقال عند ذكر كلام لم يفهم — إلى آخر ما قرروا » قلنا: فكان يجب أن يجوز أن يقال: أنْ مَهْ، ولن مه، وإذن مه، كما يقال « كيمه » إذا لم يفهم السامع ما بعد هذه الأحرف من الفعل؛ لأنه إنما يسأل عن مصدر، والمصدر فى الأفعال بعد هذه الأحرف التى هى أن ولن وإذن وبعد كى واحد، فلما لم يقل ذلك واختصت به كى دونها دَلَّ على بطلان ما ذهبوا إليه، والله أعلم.

* * *

٧٩ — مسألة

[القول فى ناصب المضارع بعد لام التعليل][1]

ذهب الكوفيون إلى أن لام « كى » هى الناصبة للفعل من غير تقدير « أنْ » نحو « جئتك لتكرمنى » . وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل « أنْ » مقدرة بعدها ، والتقدير : جئتك لأن تكرمنى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنها هى الناصبة لأنها قامت مقام كى ، ولهذا تشتمل على معنى كى ، وكما أن كى تنصب الفعل فكذلك ما قام مقامه .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما نصبت الفعل لأنها تفيد معنى الشرط ، فأشبهت « إن » المخففة الشرطية ، إلا أن « إن » لما كانت أمَّ الجزاء أرادوا أن يفرقوا بينهما ، فجزموا بإنْ ، ونصبوا باللام ؛ للفرق بينهما ، ولم يكن للرفع مدخل فى واحد من هذين المعنيين ؛ لأنه يبطل مذهب الشرط ؛ لأن الفعل المضارع إنما ارتفع لخلوه من حرف الشرط [٢٣٩] وغيرِهِ من العوامل الجازمة والناصبة .

ولا يجوز أيضاً أن يقال « هَلاَّ نصبوا بإِنْ وجزموا باللام وكان الفرق واقعاً » لأنا نقول : إنَّ إنْ لما كانت أمَّ الجزاء كانت أولى باستحقاق الجزم ؛ لأنها تفتقر إلى فعل الجزاء كما تفتقر إلى فعل الشرط فيطول الكلام ، والجزم حَذْفٌ ، والحذف تخفيف ، ومع طول الكلام يناسب الحذف والتخفيف ، بخلاف اللام ، فبان الفرق بينهما .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ٢١٠ بتحقيقنا) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٤٧) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٣٠٧ وما بعدها) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٨٨ ١ و ١٢٢٩) .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنها لام الخفض التى تعمل فى الأسماء » لأنا نقول : لو جاز أن يقال إن هذه اللام الداخلة على الفعل هى اللام الخافضة والفعل بعدها ينتصب بتقدير « أنْ » لجاز أن يقال « أمرت بتكرم » على تقدير : أمرت بأنْ تكرم ، فلما لم يجز ذلك بالإجماع دل على فساده ، على أنا وإن سلمنا أنها من عوامل الأسماء إلا أنها عامل من عوامل الأفعال فى بعض أحوالها ، والدليل على هذا أنها تجزم الأفعال فى غير هاتين الحالين ، فى الأمر والدعاء ، نحو « ليقم زيد ، وليغفر الله لعمرو » فكما جاز أن تعمل فى بعض أحوالها فى المستقبل جزما جاز أيضاً أن تعمل فى بعض أحوالها فيه نصباً .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الناصب للفعل « أن » المقدرة دون اللام ، وذلك لأن اللام[1] من عوامل الأسماء ، وعوامل الأسماء لا يجوز أن تكون عوامل الأفعال ؛ فوجب أن يكون الفعل منصوبا بتقدير « أنْ » . وإنما وجب تقدير « أنْ » دون غيرها لأن « أنْ » يكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذى يحسن أن يدخل عليه حرف الجر ، وهى أم الباب ، فكان تقديرها أولى من غيرها ؛ ولهذا إن شئت أظهرتها بعد اللام ، وإن شئت أضمرتها ، كما يجوز إظهار الفعل وإضماره بعد « إنْ » فى قولهم « إنْ خَيْراً فَخَيْر ، وإنْ شَرًّا فَشَر » وإنما حذفت ها هنا بعد اللام وكذلك بعد الواو والفاء تخفيفاً ، والحذف للتخفيف كثيرٌ فى كلامهم ؛ ولهذا يذهبون إلى أنه حذفت لام الأمر وتاء المخاطب فى أمر المُوَاجَهِ طلباً للتخفيف ، وقد حكى هشام بن معاوية عن الكسائى أنه حكى عن العرب « لاَ بُدَّ مِنْ يَتْبَعَهَا » أى : لا بد من أنْ يتبعها ؛ فحذف « أنْ » فكذلك ها هنا .

---

(١) فى ر « عاملة من عوامل الأفعال » وليس بذاك

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما قلنا إنها هي الناصبة ؛ لأنها قامت مقام [٢٤٠] كي ، وكي تنصب ، فكذلك ما قام مقامها » قلنا : لا نسلم أن كي تنصب بنفسها على الإطلاق ، وإنما تنصب تارة بتقدير « أنْ » لأنها حرف جر ، وتارة تنصب بنفسها ، وليس حَمْلُها على إحدى الحالين أولى من الأخرى ، بل حَمْلُها عليها في الحالة التي تنصب الفعل فيه بتقدير « أنْ » أولى من حملها عليها في الحالة التي تنصب الفعل بنفسها ؛ لأنها في تلك الحالة التي تنصب الفعل بتقدير « أنْ » حرف جر كما أن اللام حرف جر ، وفي الحالة التي تنصب الفعل بنفسها حرف نصب ، وحَمْلُ حرف الجر على حرف الجر أوْلى من حمل حرف الجر على حرف النصب ، فكما أن « كي » في هذه الحالة تنصب الفعلَ بتقدير « أنْ » فكذلك اللام ينبغي أن تنصبه بتقدير أنْ .

وقولهم « إنها تشتمل على معنى كي » قلنا : كما أنها تشتمل على معنى كي ، إذا كانت ناصبة ، فكذلك تشتمل على معنى كي إذا كانت جارة ؛ فإنه لا فرق بين كي الناصبة وكي الجارة في المعنى ؛ على أن كونها في معنى كي الناصبة لا يخرجها عن كونها حرف جر ، فإنه قد يتفق الحرفان في المعنى وإن اختلفا في العمل ، ألا ترى أن اللام في قولك « جئت لإكرمك » بمعنى كي في قولك « جئت كي أُكْرِمك ، ولكي أُكْرِمك » وإن كانت اللام حرف جر ، وكي حرف نصب ، ولم تخرج بذلك عن كونها حرف جر ، فكذلك ها هنا .

فإن قلتم : إن اللام ها هنا دخلت على الاسم الذي هو مصدر ؛ فلم تخرج عن كونها حرف جر .

قلنا : وكذلك اللام ها هنا دخلت على الاسم الذي هو مصدر ؛ لأن « أنْ » المقدرة مع الفعل في تقدير المصدر ؛ فقد دخلت على الاسم ، ولا فرق بينهما .

وأما قولهم « إنها تفيد معنى الشرط فأشبهت إن المخففة الشرطية » قلنا : لا نسلم

أنها تفيد الشرط ، وإنما تفيد التعليل ، ثم لو كان كما زعمتم لـكان ينبغى أن تحمل عليها فى الجزم ؛ فيجزم باللام كما يجزم بإنْ ؛ لأجل المشابهة التى بينهما .

قولهم « إنَّ إنْ لما كانت أمَّ الجزاء أرادوا أن يفرقوا بينهما » قلنا :فهلاَّ رفعوا ؟

قولهم « إن الرفع يبطل مذهب الشرط » قلنا : فـكان ينبغى أن لا ينصب أيضاً ؛ لأن النصب أيضاً يبطل مذهب الشرط !

وقولهم « إن الفعل المضارع يرتفع لخلوّه من حرف الشرط وغـــيره من العوامل النـاصبة [٢٤١] والجازمة » قلنا : قد بينـا فساد ما ذهبوا إليه من ارتفاع الفعل المضارع بتَعَرِّيهِ من العوامل الناصبة والجازمة فى موضعه بمـا يُغْنِي عن الإعادة .

وأما قولهم « إنها لو كانت لام الجر لجاز أن يقال : أمرت بتـكرمَ ، على معنى أمرت بأن تـكرم » قلنا : هذا فاسد ، وذلك لأن حروف الجر لا تتساوى ؛ فإن اللام لها مزية على غيرها ؛ لأنها تدخل على المصادر التى هى أغراض الفاعلين ، وهى شاملة يَحْسن أن يُسْأل بها عن كل فعل فيقال : لم فعلت ؟ لأن لـكل فاعل غرضاً فى فعله ، وباللام يخبر عنه ويسأل عنه ؛ وكى وحتى فى ذلك المعنى ، ألا ترى أنك تقول : مدحتُ الأميرَ ليعطينى ، وحتى يعطينى ، وكى يعطينى ؛ لجاز أن تقدر بعدها « أنْ » وليست الباء كذلك ؛ فلا يجوز أن تقدر .

وقولهم « إنا نسلم أنها من عوامل الأسماء ؛ إلا أنها من عوامل الأفعال فى بعض أحوالها ، بدليل أنها تجزم الأفعال فى قولهم : لِيَقُمْ زَيْدٌ » قلنا : إذا سلمتم أنها من عوامل الأسماء بطل أن تـكون من عوامل الأفعال ؛ لأن العامل إنمـا كان عاملا لاختصاصه ، فإذا بطل الاختصاصُ بطل العمل .

وقولهم « إنها تجزم الفعل » قلنا : لا نسلم أن هذه اللام هى اللام الجازمة ،

فإن لام الجر غير[١] لام الأمر ، والدليلُ على ذلك أن لام الجر لا تقع مبتدأة ، بل لا بد أن تتعلق بفعل أو معنى فعلٍ ، نحو « جِئْتُكَ لِتَقُوم » وما أشبه ذلك ، وأما لام الأمر فيجوز الابتداء بها من غير أن تتعلق بشيء قبلها ، ألا ترى أنك تقول : « لِيَقُمْ زَيْدٌ ، ولِيَذْهَبْ عَمْرٌو » فلا تتعلق اللام بفعل ولا معنى فعل ، فبان الفرقُ بينهما ، والله أعلم .

٨٠ — مسألة

[هل يجوز إظهار « أن » المصدرية بعد « لكى » و بعد حتى ؟][١]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إظهار « أنْ » بعد « كى » نحو «جِئْتُ لكى أنْ أُكرِمكَ» فتنصب « أُكرمك » بكى ، و «أنْ» توكيد لها ، ولا عمل لها . وذهب بعضهم إلى أن العامل فى قولك « جِئْتُ لِكَىْ أن أُكْرِمَكَ » اللامُ ، وكَىْ وأنْ توكيدان لها ، وكذلك أيضاً يجوز إظهار « أنْ » بعد حتى .

وذهب البصريون إلى أنه لا [٢٤٢] يجوز إظهار « أنْ » بعد شيء من ذلك بحالٍ .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز إظهار « أنْ » بعدها النقلُ والقياسُ .

---

(١) فى ر «فإن لام الجزم غير لام الأمر» وليس بشيء ، بل هو خطألأنهماشيءواحد .
(٢) انظر فى هذه المسألة : شرحنا المطول على شرح الأشمونى (٣/١٨٤) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٢/ ١٨ و ٣/٢٥١ وما بعدها) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ١٢٤ و ١٨٢) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٢٢ و٢٢٣) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٢٨)

أما من جهة النقل فقد قال الشاعر :

٣٧٥ — أَرَدْتَ لِكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقِرْبَتِي
فَتَتْرُكَهَا شَنًّا بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ

---

٣٧٥ — هذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٩٢٨) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٣٠٦) وفى أوضح المسالك (رقم ٤٩٢) والأشمونى (رقم ٩٩٩) ورضى الدين فى نواصب المضارع من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٥٨٥) كما شرحه العينى (٤/٤٠٤ بهامش الخزانة) و « ما » فى قوله : « لكيما » زائدة بالإجماع ، وتطير : تسير سيراً سريعاً ، ومعنى تتركها تخلها ، وعلى هذا يكون قوله بعد ذلك «شنا» حالا من الضمير المستتر فى تتركها ، ويجوز أن يكون تتركها بمعنى تصيرها ، وعلى هذا الوجه يكون قوله بعد ذلك « شنا » مفعولا ثانيا لتتركها ، وشنا : أى يابسة متخرقة،والبيداء :الصحراء التى يبيدسالكها،أى يهلك، والبلقع:الخالية

ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « لكيما أن » حيث أظهر الشاعر « أن » المصدرية بعد كى ، وفى هذه العبارة ثلاثة مذاهب للنحاة :

المذهب الأول: مذهب جمهور الكوفيين، وتلخيصه أن « كى» فى جميع استعمالاتها حرف مصدرى ناصب للفعل المضارع بنفسه مثل أن المصدرية الناصبة للمضارع ، فإن جاءت « أن » بعدها كما فى هذا البيت فأن إما زائدة ، وإما بدل من كى ، وإما توكيد لكى ، لأنهما بمعنى واحد، ونختار أنها توكيد ، وإن جاءت اللام بعدها كما فى قول الشاعر :

كى لتقضينى رقية ما وعدتنى غير مختلس

وكما فى بعض الروايات فى الشاهد رقم(٣٤٦)الذى سبق قريباً تكون اللام زائدة، وإن دخلت على« ما » الاستفهامية نحو قولك « كيمه » كانت كى أيضاً مصدرية ، والمضارع المنصوب بها محذوف ، وما الاستفهامية مفعول به للمضارع المحذوف ، فإذا قال لك قائل « أزورك غدا » فقلت له « كيمه » فكأنك قلت : كى أفعل ماذا ؟

المذهب الثانى : مذهب الكسائى ، وحاصله أن كى فى جميع استعمالاتها حرف جر ، دال على التعليل ، وانتصاب المضارع بعدها بأن المصدرية مقدرة ، فإن تقدمت عليها اللام الدالة على التعليل نحو قوله تعالى:(لكيلا تأسوا) فكى بدل من اللام أو توكيدلها ومعناها واحد، وإن تأخرت اللام كما فى البيت الذى أنشدناه والشاهد رقم(٣٤٦) السابق، فاللام حينئذ بدل من كى أو توكيد لها. =

وأما من جهة القياس فلأنَّ « أنْ » جاءت للتوكيد ، والتوكيد من كلام العرب ؛ فدخلت « أنْ » توكيداً لها ، لاتفاقهما فى المعنى و إن اختلفتا فى اللفظ كما قال الشاعر :

٣٧٦ — قَدْ يَكْسِبُ الْمَالَ الهِدَانُ الْجَافِى
بِغَيْرِ لاَ عَصْفٍ وَلاَ اُصْطِرَافِ

= المذهب الثالث: مذهب جمهور البصريين، وحاصله أن« كى » تأتى على ثلاثة أوجه: الأول أن تكون اسما مختصرا من كيف ، والثانى : أن تكون حرف جر دال على التعليل مثل اللام فتدخل على ما الاستفهامية وعلى ما المصدرية ، والثالث : أن تكون حرفا مصدريا مثل أن المصدرية فى المعنى والعمل ، ولتفصيل مواضع كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مكان غير هذا الموضع .

ومثل البيت المستشهد به قول جميل بن معمر العذرى ، وهو من شواهد الرضى وابن هشام فى المغنى :

فقالت : أكل الناس أصبحت مانحا لسانك كيما أن تغر وتخدعا ؟

ومثله أيضا قول الآخر ، وأنشده أبو ثروان :

أردت لكيما أن ترى لى عثرة ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمل ؟

٣٧٦ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد أنشدهما ابن منظور (ص ر ف ـ ع ص ف) ونسبهما فى المرتين إلى العجاج ، وقد روى البغدادى (٣/٥٨٦) ثانيهما عن الفراء ونسبه إلى رؤبة ، ورواهما ابن منظور (ه د ن) باختلاف يسير هكذا :

قد يجمع المال الهدان الجافى من غير ما عقل ولا اصطراف

ونسبهما إلى رؤبة . والهدان ـ بكسر الهاء ـ الأحمق الوخم الثقيل فى الحرب . والجافى : الغليظ ، والعصف ومثله الاعتصاف : الطلب والحيلة ، تقول : عصف فلان يعصف عصفا ـ من مثال ضرب يضرب ضربا ـ واعتصف ، تريد أنه كسب وطلب واحتال وكد ، وتقول : اصطرف فلان فى طلب الكسب ، إذا تصرف وكان ذا حيلة . وقد أنشد المؤلف هذا البيت على لسان الكوفيين ليقرر أن الكلمتين إذا كان معناهما واحداً جاز أن تؤكد إحداهما بالأخرى كما أكد الراجز « غير » بلا فى هذا الرجز أو كما تقع أن المصدرية بعد كى المصدرية فتكون أن توكيدا لكى ، وهذا ظاهر بعد أن ذكرنا مذهبهم مفصلا فى شرح الشاهدالسابق .

فأكد « غير » بلا ؛ لاتفاقهما فى المعنى ، ولهذا قلنا : إن العمل لـكى ، وأنْ لا عمل لها ؛ لأنها دخلت توكيداً لها ، وكذلك أيضاً قلنا : إن العمل للام فى قولك « جِئْتُ لِـكَىْ أَنْ أُكْرِمَكَ » لأن كَىْ وأنْ تأكيدان للام ، ولا يبعد فى كلامهم مثلُ ذلك ؛ فقد قالوا : لا إنْ مارأيتُ مثلَ زيد ، فجمعوا بين ثلاثة أحرف من حروف الْجَحْدِ للمبالغة فى التوكيد ، فـكذلك هاهنا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إظهار « أنْ » بعد « لـكى » لايخلو : إما أن تكون لأنهاقد كانت مقدرة فجاز إظهارها بعد الإضمار ، و إما أن تكون مزيدةً ابتداءً من غير أن تكون قد كانت مقدرة ، بطل أن يقال «إنها قد كانت مقدرة» لأن « لـكى » تعمل بنفسها ، ولا تعمل بتقدير « أن » ولو كانت تعمل بتقدير « أن » لـكان ينبغى إذا ظهرت « أن » أن يكون العمل لأنْ دونها ، فلما أضيف العملُ إليها دل على أنها العامل بنفسها ، لا بتقدير أنْ ، و بطل أن يقال إنها تكون مزيدة ابتداء ؛ لأن ذلك ليس بمَقِيسٍ فيفتقر إلى توقيف عن العرب ، ولم يثبت عنهم فى ذلك شيء ، فوجب أن لايجوز ذلك .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما لم يجز إظهار « أنْ » بعد كى وحتى ؛ لأن كى وحتى صارتا بدلا من اللفظ بأنْ، كما صارت « ما» بَدَلاً عن الفعل فى قولهم : أَمَّا أَنْتَ مُنْطَلِقاً انْطَلَقْتُ مَعَكَ ، والتقدير فيه : أن كنت منطلقاً انطلقت معك ، فحذف الفعل وجعلت « ما » عوضاً عنه ، وكما لايجوز أن يظهر الفعل بعد « ما » لئلا يجمع بين البدل والمبدل ؛ فـكذلك هاهنا .

وأما الجواب [٢٤٣] عن كلمات الـكوفيين : أما البيت الذى أنشدوه فلا حجة لهم فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن هذا البيت غير معروف ، ولا يعرف قائله ؛ فلا يكون فيه حجة[١] .

والوجه الثانى : أن يكون قد أظْهَرَ «أنْ» بعد « كى » لضرورة الشعر ؛ وما يأتى للضرورة لا يأتى فى اختيار الكلام .

والوجه الثالث : أن يكون الشاعر أبدلَ « أنْ »من « كيما » لأنهما بمعنى واحد ، كما يبدل الفعل من الفعل إذا كان فى معناه ؛ قال الله تعالى : (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فـ (يضاعف) بدل من (يَلْقَ) وقال الشاعر :

٣٧٧ — مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِى دِيَارِنَا
تَجِدْ حَطَبًا جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا

(١) لا نرى لك أن تقر هذا — لا فى هذا الموضع ولا فى غيره ، ولا على لسان الكوفيين ولا البصريين — فكم من الشواهد التى يستدل بها هؤلاء وهؤلاء وهى غير منسوبة ولا لها سوابق أو لواحق ، وفى كتاب سيبويه وحده خمسون بيتا لم يعثر لها العلماء بعد الجهد والعناء الشديدين على نسبة لقائل معين .

٣٧٧ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/٤٤٦) ولم ينسبه إلى قائل معين ، ولا نسبه الأعلم . وقد استشهد به الأشمونى (رقم ٨٦٠) وانظر شرح الشاهد رقم ٧٠١ فى خزانة الأدب (٣/ ٦٦) وانظر أيضا شرح الشاهد (رقم ٣٠) فى شرح قطر الندى لابن هشام . وتلمم : مضارع مجزوم من الإلمام وهو الزيارة . وتأججا : مأخوذ من التأجج وهو التوقد والالتهاب ، وهذه الكلمة تحتمل وجهين : الأول أن تكون فعلا ماضيا ، والألف فى آخرها — على هذا الوجه — يحتمل أن تكون ضمير الاثنين — وهما الحطب الجزل والنار — ويحتمل أن تكون الألف حرف الإطلاق ، ويكون فى الفعل ضمير مستتر يعود على النار أو على الحطب الجزل ، فإذا أعدته على الحب الجزل كان الأمر ظاهرا ، وإذا أعدته على النار احتجت إلى أن تسأل : كيف أعاد ضمير المذكر على النار وهى مؤنثة ؟ ويجاب عن هذا بأنه لما كان تأنيث النار مجازيا استباح الشاعر لنفسه أن يؤنث الفعل المسند إليها . والوجه الثانى : أن يكون « تأججا » فعلا مضارعا ، وأصله تتأجج ، فحذف إحدى التاءين ، وعلى هذا الوجه يجب أن تعتبر هذه الألف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة للوقف، والأصل « تتأججن ». ومحل الاستشهاد =

فتلمم : بدل من « تأتنا » وقال الشاعر :

٣٧٨ — إنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَبْخَلُوا لاَ يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِـــينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فيغدوا : بدل من قوله « لايحفلوا » فكذلك هاهنا ، وعلى كل حال فهو قليل فى الاستعمال .

وأما قولهم « إن التأكيد من كلام العرب ؛ فدخلت أنْ للتأكيد » قلنا : إنما جاز التوكيد فيما وقع عليه الإجماع ؛ لأنه قد جاء عن العرب كثيراً متواتراً شائعاً ، بخلاف ماوقع الخلاف فيه ؛ فإنه لم يأت عنهم فيه إلا شاذاً نادراً لايعرج عليه، ولم يثبت ذلك الشاذ النادر أيضاً عنهم ؛ فوجب أن لايكون جائزاً ، والله أعلم .

= بهذا البيت قوله « تأتنا تلمم بنا » فإن قوله « تلمم » بدل من قوله «تأتنا» واسمع إلى سيبويه ، قال : « وسألت الخليل عن قوله « متى تأتنا تلمم بنا ــ البيت » قال : تلمم بدل من الفعل الأول ، ونظيره فى الأسماء : مررت برجل عبد الله ، فأراد أن يفسر الإتيان بالإلمام كما فسر الاسم الأول بالاسم الآخر » اه . وقال الأعلم « الشاهد فى جزم تلمم لأنه بدل من قوله تأتنا وتفسير له ؛ لأن الإلمام إتيان ، ولو أمكنه رفعه على تقدير الحال لجاز » اهـ .

٣٧٨ هذان البيتان من شواهد سيبويه أيضا (٤٤٦/١) وقد نسبهما لبعض بنى أسد ، ولم يزد الأعلم فى نسبتهما على ذلك . وقوله « لا يحفلوا » من قول العرب : ما حفل فلان بكذا ، يعنون أنه ما بالى به ولا أكترث له ، والمرجل : اسم المفعول من الترجيل وهو مشط الشعر وتليينه بالدهن ونحوه ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « لا يحفلوا يغدوا عليك » فإن الفعل الثانى ــ وهو يغدوا ــ مجزوم لأنه بدل من الفعل الأول ــ وهو « لا يحفلوا » ــ وتفسير له . قال سيبويه « ومثل ذلك أيضا قوله أنشدنيهما الأصمعى عن أبى عمرو لبعض بنى أسد «إن يبخلوا أو يجبنوا ــ البيتين» فقوله يغدوا على البدل من قوله لا يحفلوا كما هو ؛ لأن غدوهم مرجلين دليل على أنهم لم يحفلوا بقبيح ما أتوه ؛ فهو تفسير له وتبيين » اهـ.

٨١ — مسألة

[هل يجوز مجىء « كَمَا » بمعنى « كَيْمَا » ويُنْصَب بعدها المضارع ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « كَمَا » تأتى بمعنى كَيْمَا ، وينصبون بها مابعدها ، ولا يمنعون جواز الرفع ، واستحسنه أبو العباس المبرد من البصريين .

وذهب البصريون إلى أن « كَمَا » لا تأتى بمعنى « كيما » ولا يجوز نصب مابعدها بها .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أن « كَمَا » تكون بمعنى « كيما » وأن الفعل يُنْصَب بها أنه قد جاء ذلك كثيراً فى كلامهم ، قال الشاعر وهو [٢٤٤] صَخْرُ الْغَىّ :

٣٧٩ — جَاءتْ كَبِيرٌ كَمَا أُخَفِّرَهَا   وَالْقَوْمُ صِيدٌ كَأَنَّهُمْ رَمِدُوا

---

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب (ص ١٧٦ — ١٧٧) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٣/٢٣٧) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٢٣) .

٣٧٩ — هذا هو البيت السادس عشر من قصيدة لصخر الغى بن عبد الله الهذلى (ديوان الهذليين ٢/٥٧) وكان صخر الغى قد قتل جارا لبنى خناعة من بنى سعد بن هذيل من بنى الرمداء من مزينة ، فحرض أبو المثلم قومه على صخر ليطلبوا بدم المزنى ، فبلغ ذلك صخرا ، فقال فى ذلك هذه القصيدة ، وأخفرها — بتضعيف الفاء — أى أمنعها وأجيرها وأؤمنها ، تقول «خفر الرجل الرجل ، وخفر به ، وعليه ، وخفره تخفيرا » إذا أجاره ومنعه وأمنه وكان له خفيرا ، وقال أبو جندب الهذلى :

ولكننى جمر الغضى من ورائه   يخفرنى سيفى إذا لم أخفر

والصيد — بكسر الصاد — جمع أصيد ، وهو الوصف من الصيد — بفتح الصاد والياء جميعا — وهو داء يأخذ الإبل فى رؤوسها فترفع رؤوسها وتسمو بها ، فإذا كان ذلك فى الرجل كان من كبر وطماحة . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « كما أخفرها » فإن الكوفيين ذهبوا إلى أن « كما » بمعنى كيما وهى مؤلفة من كى الناصبة للمضارع وما =

أَراد « كيما أُخفرها » ولهذا المعنى انتصب « أُخفرها » وقال الآخر :

٣٨٠ — وَطَرْفَكَ إِمَّا جِئْتَنَا فَاصْرِفَنَّهُ
كَمَا يَحْسِبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

= الزائدة ، ويجوز أن تكف «ما» الزائدة كى عن عمل النصب فيرتفع المضارع بعدها ، ويجوز ألا تكفها فينتصب المضارع بكى كما فى هذا البيت ،وقد ذهب إلى هذا المذهب أبو على الفارسى ؛ فزعم أن «كما» أصلها « كيما » فحذفت الياء للتخفيف ، وقال ابن مالك : « كما » مؤلفة من الكاف الجارة ومعناها التعليل ، ومن ما الكافة ، ونصب المضارع بعد « كما » بالكاف الدالة على التعليل حملا لها على « كى » لأن معناها كمعناها ، وهما رأيان متقاربان ، غير أن رأى أبى على الفارسى أدق ؛ فإن كون الكاف ناصبة لكونها بمعنى كى بعيد ، ومما يبعده أن الكاف من عوامل الأسماء فكيف تكون من عوامل الأفعال ؟

٣٨٠ — هذا البيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٢٩٥)والأشمونى (رقم ١٠٠٢) وهو من شواهد شراح الألفية ، وقد شرحه العينى (٤٠٧/٤ بهامش الخزانة) وهو البيت التاسع والخمسون من رائية عمر بن أبى ربيعة الطويلة (د ٨٤–٩٥ بتحقيقنا) وذكر العلامة الأمير فى حواشيه على مغنى اللبيب أنه وجد البيت فى قصيدة لجميل بن معمر العذرى صاحب بثينة .والطرف ــ بفتح فسكون ــ أراد به العين، وإما : مركبة من إن الشرطية ، وما المؤكدة ، واصرفنه : أراد حوله إلى جهة أخرى غير جهتنا ، ومحل الاستشهاد بالبيت هنا قوله « كما يحسبوا » فإن الكوفيين ذهبوا إلى أن « كما » مثل « كيما » ويجوز أن ينصب الفعل المضارع بعدها على تقدير أن « ما » زائدة غير كافة ، ويجوز أن يرفع بعدها على تقدير أن ما زائدة كافة ، وقد جاء هذا البيت بالنصب على الوجه الأول . وقد زعم أبو محمد الأسود فى كتابه المسمى « نزهة الأديب » أن أبا على الفارسى حرف هذا البيت ، وأن الصواب روايته على هذا الوجه :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

ويقول أبو رجاء : إن الرواية فى ديوان عمر بن أبى ربيعة على ما قال أبو محمد الأسود ، ومع هذا لا أرى لك أن تقبل الطعن فى أبى على الفارسى بأنه صحف البيت ليستشهد به ؛ فإن الروايات تكثر فى الشعر العربى ، وكل راو يعتمد إحدى الروايات ويعول عليها ، وقد أسمعناك كلاما مثل كلام أبى محمد فى روايات وردت فى كتاب سيبويه، =

أراد « كيما يحسبوا » وقال الآخر :

٣٨١ — * لاَ تَظْلِمُوا النَّاسَ كَمَا لاَ تُظْلَمُوا *

= وقال العلماء بصدد ذلك: إن سيبويه غير متهم فيما يرويه بعد أن يسمعه من أفواه العرب، وإنه لا بد أن يكون قد سمع الرواية التى حكاها فى كتابه ، والشواهد على هذه المسألة كثيرة ، وقد ذكر المؤلف منها جملة فما يدعو أبا على إلى أن يحرف بيتا ليستشهد به وفى غيره من الشعر الثابت مندوحة ؟ بل إن رواية أبى محمد الأسود وهى رواية ديوان عمر تؤيد المذهب الذى رآه أبو على الفارسى الذى خلاصته أن أصل « كما » هو كيما ، فقد أنبأتك غير مرة أن البيت إذا روى بروايتين أو أكثر ووضعت فى إحدى الروايتين كلمة فى مكان كلمة فى الرواية الأخرى دل ذلك على أن الكلمتين بمعنى واحد، لأن الراوى العارف بالعربية لا يضع الكلمة مكان الكلمة إلا وهو على ثقة من أن معناهما واحد ، لأنه يريد أن يؤدى المعنى الذى فهمه من الكلام ، فاعرف ذلك وكن منه على ثبت .

٣٨١ — هذا البيت من شواهد رضى الدين فى باب نواصب المضارع من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٥٩١ و ٤/٢٨٦) وهو من أرجوزة لرؤبة بن العجاج

ومحل الاستشهاد منه قوله « كما لا تظلموا » فإنه دليل على صحة ما ذهب إليه الكوفيون من أن « كما » يجوز أن ينتصب الفعل المضارع بعدها على أن أصلها كيما حذفت الياء تخفيفا ، ألست ترى قوله « لا تظلموا » منصوبا بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، إذ هو فعل مضارع اتصلت به واو الجماعة ، وقد وافق أبو العباس المبرد على هذا المذهب ورآه ؛ اقتناعا منه بما ورد من الشواهد الدالة على صحته ، وأما البصريون فإنهم امتنعوا من إقرار ذلك ، وذهبوا مذاهب فى هذه العبارة ، فمنهم من أنكر الشواهد أو زعم أن روايتها على غير ما ذكر الكوفيون ، وقد سمعت فى شرح الشاهد السابق رواية تخرجه عن الاستشهاد به ، وقالوا فى البيت الذى نحن بصدد شرحه : إن الرواية فيه

* لا تظلم الناس كما لا تظلم *

بالفعل المضارع المسند إلى ضمير الواحد المخاطب ، وهو مرفوع بالضمة الظاهرة ، وعليه تكون الكاف للتشبيه أو للتعليل، وما: كافة لهذه الكاف عن الاختصاص بالأسماء وعمل الجر الذى هو الاصل فيها، أو ما : مصدرية، وهى مع الفعل الذى بعدها فى تأويل مصدر مجرور بالكاف ، وكأنه قال : لا تظلم الناس لعدم ظلمك ، ومنهم من سلم الرواية التى رواها =

أراد « كيما لاتظلموا » وقال عَدِيُّ بن زيد العِبَادِيُّ :

٣٨٢ — أُسْمِعُ حَــــدِيثاً كَمَا يَوْماً تُحَدِّثَهُ
عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ إِذَا مَاسَائِلٌ ـأَلاَ

=الكوفيون ، وزعم أن الناصب في هذه العبارة هو «ما» التي دخلت الكاف عليها ، وما هذه مصدرية ، والأصل أنها لا تعمل ، لكن العرب شبهت ما بأن المصدريةفنصبت بما كما نصبت بان ، وشبهت أن المصدرية بما المصدرية فأهملت أن كما أهملت ما ، وانظر الشاهد رقم ٣٧٠ السابق ، وهذا كله جدل ولجاج في الخصومة ، والذى ذهب إليه الكوفيون أقرب من جميع ما قالوه .

هذا ، وقد روى سيبويه بيت الشاهد على وجه آخر (١/٤٥٩) وهو :

* لا تشتم الناس كما لا تشتم *

بالإسناد إلى ضمير الواحد المخاطب ، وكذلك أنشده رضى الدين في باب حروف الجر من شرح الكافية ، وشرحه البغدادي (٤/٢٨٦) وكذلك أنشده الأشمونى في نواصب المضارع (رقم ١٠٠٣) وسيذكر المؤلف هــذه الرواية في الرد على كلام الكوفيين .

٣٨٢ — أنشد ابن منظور (ك ى ا) هذا البيت ونسبه إلى عدى كما قال المؤلف ، قال : « كى : حرف من حروف المعانى ينصب الأفعال بمنزلة أن ، ومعناه العلة لوقوع الشيء ، كقولك : جئت كى تكرمنى ، وقال في التهذيب : تنصب الفعل الغابر ، تقول : أدبه كى يرتدع ، قال ابن سيده : وقد تدخل عليه اللام ، وفي التنزيل العزيز (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) وقال لبيد :

* لكيلا يكون السندرى نديدتى *

وربما حذفوا كى اكتفاء باللام وتوصلا بما ولا ، فيقال : تحرز كيلا تقع ، وخرج كيما يصلى ، قال الله تعالى : (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وفي كيما لغة أخرى حذف الياء من لفظه كما قال عدى :

اسمع حديثا كما يوماً تحدثه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا

أراد كيما يوماً تحدثه ، وكى ، وكيلا ، وكيما ، وكما : تعمل في الألفاظ المستقبلة عمل أن ولن حتى إذا وقعت في فعل لم يجب » اهـ كلامه بحروفه ، وضبط المضارع ضبط قلم في بيت عدى بالرفع ، والخطب سهل ؛ فإن الذى يستدل بهذا البيت لا يقول : إن النصب واجب=

وقال الآخر :

٣٨٣ — يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ كَمَا لِأَخَافَهُ   تَشَاوُسَ رُوَيْدَاً إِنَّنِى مَنْ تأَمَّلُ

= كما قررناه فى شرح الشواهد السابقة، فيحتمل أن فى البيت روايتين : الرفع، والنصب، وقد نص ـ فيما نقله عن ابن سيده ـ على أن « كما » تعمل فى الفعل المضارع عمل أن ولن، وإن كان المؤلف قد أنكر رواية النصب، وزعم أن الرواة اتفقوا على أن الرواية فى هذا البيت بالرفع ، وعلى ما رواه الكوفيون فى هذا البيت بنصب « تحدثه » يستدل بهذا البيت على شيئين : الأول أنه يجوز نصب الفعل المضارع بعد « كما » وتخريج ذلك على أن الأصل « كيما » فحذفت الياء تخفيفاً ، وما : زائدة غير كافة ، والثانى : أنه لا يضر الفصل بين « كما » والفعل المضارع بالظرف ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

٣٨٣ — يقال « فلان يتشاوس فى نظره » إذا نظر نظرة ذى نخوة وكبر ، وقال أبو عمرو : هو أن ينظر بمؤخر عينه ويميل وجهه فى شق العين التى ينظر بها ، يكون ذلك خلقة ويكون من الكبر والتيه والغضب . ورويداً : أصله تصغير الإرواد تصغير الترخيم ـ يعنى بحذف حروف الزيادة كلها وهى الهمزة التى فى أوله والألف التى بعد الواو ، ثم إدخال ياء التصغير على حروفه الأصلية وهى الراء والواو والدال ـ وقد قالوا: أرود فلان فى سيره إرواداً ، يريدون أنه تمهل فى سيره وترفق ، وسيبويه يرى أن « رويداً » إنما يستعمل استعمال المصادر التى تنوب عن الأفعال ، تقول « رويد عليا » أى أمهله ، وتكون اسم فعل ، تقول « رويدك » أى أمهل ، ويرى أيضاً أنه قد يقع صفة فتقول : « سار سيراً رويداً » وأنك قد تذكر المصدر الموصوف كما فى هذا المثال ، وقد تحذفه فتقول : « سار رويداً » قال (١/١٢٣) « هذا باب متصرف رويد ، تقول : رويد زيداً ، وإنما تريد أرود زيداً ، قال الهذلى :

رويد عليا ، جد ما ثدى أمهم   إلينا ، ولكن بغضهم متماين

وسمعنا من العرب من يقول : والله لو أردت الدراهم لأعطيتك رويد ما الشعر ، يريد أرود الشعر ، كقول القائل : لو أردت الدراهم لأعطيتك فدع الشعر ، فقد تبين لك أن رويد فى موضع الفعل ، ويكون رويد أيضا صفة كقولك : سار سيراً رويداً ، ويقولون أيضا : ساروا رويداً ، فيحذفون السير ويجعلونه حالا به وصف كلامه ، اجتزاء بما فى صدر حديثه من قوله ساروا عن ذكر السير ، ومن ذلك قول العرب ، ضعه رويدا أى وضعاً رويداً ، ومن ذلك قولك للرجل تراه يعالج شيئاً : رويداً ، إنما تريد علاجا =

أراد «كيما أخافَهُ» إلا أنه أدخل اللام توكيداً ، ولهذا المعنى كان الفعل منصوبا. فهذه الأشياء كلها تدل على صحة ماذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لايجوز النصب بها ؛ لأن الكاف فى « كمَا » كافُ التشبيهِ أدخلت عليها « ما » وجُعِلا بمنزلة حرف واحد كما أدخلت على رُبَّ وجعلا بمنزلة حرف واحد ، ويليها الفعل كربما ، وكما أنهم لاينصبون الفعل بعد ربما فكذلك هاهنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما البيت الأول فلا حجة لهم فيه ؛ لأنه روى « كما أخَفِّرُهَا » بالرفع ؛ لأن المعنى جاءت كما أجيئُهَا ، وكذلك رواه الفرَّاء من أصحابكم ، واختار الرَّفْعَ فى هذا البيت ، وهو الرواية الصحيحة .

=رويداً ، فهذا على وجه الحال ، إلا أن يظهر الموصوف فيكون على الحال وعلى غير الحال » اهـ كلامه بحروفه ،وعلى هذا يكون قول الشاعر فى البيت المستشهد به «رويداً» حالا من الضمير الواجب الاستتار فى قوله « تشاوس » وقوله « إننى من تأمل » أى أنا ذلك الذى تتأمله وتنظر إليه ، ومتى عرفتنى عرفت أنه ليس لك أن تنظر لى نظر الكبر والغضب ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « كما لأخافه» حيث زعم الكوفيون أن الفعل المضارع الذى هو أخافه منصوب بكما التى هى فى الأصل كيما . ونقول : إن هذا البيت لايصلح لاستدلال الكوفيين أصلا،وذلك من عدة وجوه : الأول ما ادعاه المؤلف من أن الرواية على غير هذا الوجه وأنها «لكيما أخافه» وإن كنا لا نقر المؤلف على هذا ، والثانى : أنه بعد تسليم صحة روايتهم يكون النصب باللام فى قوله «لأخافه»لأنها لام التعليل وهى عندهم ناصبة بنفسها ، أو بأن المضمرة بعد لام التعليل على ما هو مذهب البصريين، والقول بزيادة هذه اللام لادليل عليه،والوجه الثالث:أنهم ـ أى الكوفيين ـ يقولون :إن كى لا تكون إلا مصدرية مثل أن ، فمجىء اللام بعدها فى مثل هذا الشاهد ينقض هذه المقالة ؛ لأننا لو جعلنا اللام توكيداً لكى لم يصح لاختلاف معناهما حينئذ ، إذ أن كى مصدرية واللام للتعليل ،ولو جعلنا اللام بدلا من كى كانت كما فى حكم الساقط من الكلام لأن المبدل منه على نية الطرح من الكلام،ويكون العمل للبدل الذى هو اللام،فيتعين عندهم أن تعتبر زائدة ، وهذا ما لم يقم عليه دليل .

وأما البيت الثانى فلا حُجَّةَ فيه أيضاً ؛ لأن الرواية :

* لِكَىْ يَحْسِبُوا أنْ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ * [٣٨٠]

وأما البيت الثالث فلا حجة فيه أيضاً ؛ لأن الرواية فيه بالتوحيد :

* لاَ تَظْلِمِ النَّاسَ كَمَا لاَ تُظْلَمُ * [٣٨١]

كالرواية الأخرى :

* لاَ تَشْتُمِ النَّاسَ كَمَا لاَ تُشْتَمُ * [٣٨١]

وأما البيت الرابع فليس فيه حجة أيضاً ؛ لأن الرواة اتفقوا على أن الرواية [٢٤٥] « كما يوماً تحدثُهُ » بالرفع كقول أبى النجم :

٣٨٤ — قُلْتُ لِشَيْبَانَ : أُدْنُ مِنْ لِقَائِهِ كَمَا تُغَدِّى الْقَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ

---

٣٨٤ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما من شواهد سيبويه (١/٤٦٠) وقد نسبهما إلى أبى النجم الفضل بن قدامة العجلى ، وقد أقر الأعلم هـذه النسبة ، قال سيبويه (١/٤٥٩) : « سألت الخليل عن قول العرب : انتظرنى كما آتيك ، وارقبنى كما ألحقك ، فزعم أن ما والـكاف جعلتا بمنزلة حرف واحد ، وصيرت للفعل كما صيرت ربمـا للفعل ، والمعنى لعلى آتيك ، فمن ثم لم ينصبوا به كما لم ينصبوا بربما ، قال رؤبة :

* لا تشتم الناس كما لا تشتم *

وقال أبو النجم :

قلت لشيبان : ادن من لقائه كما تغدى النـاس من شوائه

وقال الأعلم : « الشاهد فى قوله كما تغدى، حيث وقع الفعل بعد كما لأنها كاف التشبيه وصلت بما وهيئت لوقوع الفعل بعدها كما فعل بربما ، ومعناها هنا لعل ، ومن النحويين من يجعلها بمعنى كى ويجيز النصب بها وهو مذهب الـكوفيين » اهـ كلامه . وشيبان : اسم ابن الشاعر ، وضمير الغيبة فى قوله « لقائه » وقوله « شوائه » يعود إلى ظليم ، يأمر الشاعر ابنه شيبان بأن يتبع هذا الظليم ويدنو منه لعله يصيده فيشوى لحمه ويطعم الناس من هذا الشواء .

وكقول الآخر :

٣٨٥ — أَنِــخْ فَاصْطَبِــغْ قُرْصاً إذَا اعْتَادَكَ الْهَوَى
بِزَيْتٍ كَمَا يَكْفِيكَ فَقْـــدَ الْحَبَائِبِ

ولم يروه أحد « كما يوماً تحدثه » بالنصب إلا المفضل الضبي وحده ، فإنه كان يرويه منصوباً ، وإجماعُ الرواة من نحويّى البصرة والكوفة على خلافه ، والمخالِفُ له أقْوَمُ منه بعلم العربية .

وأما البيت الخامس ففيه تكلف يقبح ، والأظهر فيه :

* يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ لِكَيْمَا أخَافَهُ * [٣٨٣]

على أنه لو صَحَّ ما رَوَوْهُ من هذه الأبيات على مقتضى مذهبهم فلا يخرج ذلك عن حد الشذوذ والقلة ، فلا يكون فيه حجة ، والله أعلم .

٣٨٥ — أنخ : فعل أمر من الإناخة ، تقول « أناخ فلان بعيره ينيخه إناخة » تريد أنه أبركه ، واصطبغ : فعل أمر من الاصطباغ ، وأصله الصبغ ــ بكسر الصاد وسكون الباء ــ وهو مايصطبغ به من الإدام ، ومثله الصباغ ــ بكسر الصاد أيضاً ــ ومنه قوله تعالى : (تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) يعنى بالصبغ دهن الزيتون ، وقال الزجاج : أراد بالصبغ الزيتون ، قال الأزهرى : وهذا أجود القولين؛ لأنه قد ذكر الدهن قبله ، وتقول : صبغ فلان اللقمة يصبغها صبغاً ــ من مثال نصر ــ إذ دهنها وغمسها ، وكل ما غمس فقد صبغ ، والقرص ــ بضم القاف وسكون الراء ــ أراد به الرغيف من الخبز وقد يقال « قرصة » بالتاء ــ إذا كانت صغيرة ، وترك التاء أكثر ، والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « كما يكفيك » حيث ورد الفعل المضارع مرفوعا بضمة مقدرة على الياء بعد كما ، وغرض المؤلف أن يرد بهذا الشاهد على الكوفيين القائلين بجواز نصب الفعل المضارع بعد كما ، لكن هذا الشاهد ومائة شاهد آخر مثله لا يكفى فى الرد على ما ذهب إليه الكوفيون ، وذلك لأن الكوفيين لا يقولون : إنه يجب أن ينتصب الفعل المضارع بعد كما ، وإنما يقولون : إذا وقع الفعل المضارع بعد كما جاز فيه وجهان : أحدهما النصب والآخر الرفع ، وقد أتوا بشواهد جاء فيها النصب ، والذى يرد مذهبهم ألا يكون ثمت شاهد قد جاء بالنصب ، وقد حاول المؤلف أن يرد شواهد النصب ، ولكنه لم يستقم له الرد ؛ لأن الرواة الثقات قد أثبتوها ، فاعرف ذلك ، ولا تكن أسير التقليد .

٨٢ — مسألة

[هل تنصب لامُ الْجُحُودِ بنفسها ؟ وهل يتقدَّمُ معمولُ منصوبها عليها ؟][١]

ذهب الكوفيون إلى أن لام الْجَحْدِ هى الناصبَةُ بنفسها ، ويجوز إظهار « أنْ » بعدها للتوكيد ، نحو « ما كان زيد لأن يدخل دارك ، وما كان عمرو لأن يأكل طعامك » ويجوز تقديمُ مفعولِ الفعلِ المنصوبِ بلام الْجَحْدِ عليها ، نحو « ما كان زَيْدٌ دارَكَ ليدخُلَ ، وما كان عمرو طعامَك ليأكُلَ » .

وذهب البصريون إلى أنَّ الناصبَ للفعل « أنْ » مقدرةً بعدها ، ولا يجوز إظهارها ، ولا يجوز تقديم مفعول الفعل المنصوب بلام الْجَحْدِ عليها .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أنها هى العاملة بنفسها وجَوَازِ إظهار « أنْ » بعدها ما قدمناه فى مسألة لام كى .

وأما الدليل على جواز تقديم المنصوب على الفعل المنصوب بلام الْجَحْدِ ؛ فما قال الشاعر :

٣٨٦ — لَقَدْ عَذَلَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو ، وَلَمْ أَكُنْ
مَقَالَتَهَا مَا كُنْتُ حَيًّا لِأَسْمَعَا

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل لابن يعيش (ص ٩٣٦) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٣٣)

٣٨٦ — هذا البيت من شواهد شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٣٦) وروى صدره « لقد وعدتنى أم عمرو » ورضى الدين فى نواصب المضارع من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٦٢٢) وقال « ولم أقف على تتمته ولا على قائله » ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « مقالتها » فقد وردت الرواية بنصب هذه الكلمة ، وقد اتفق الفريقان الكوفيون و بصريون على ثبوت الرواية ، ولكنهم اختلفوا فى تخريجها ، فقال الكوفيون : مقالتها مفعول به تقدم على عامله وهو الفعل المضارع المقترن =

أراد « ولم أَكُنْ لأسْمَع مقالتها » وقدم منصوبَ لأسمع عليه ، وفيه لام الجحود ، فَدَلَّ على جوازه ، وفيه أيضاً دليلٌ على صحة ماذهبنا إليه من أن لام الجحود [٢٤٦] هى العاملة بنفسها من غير(١) تقدير « أنْ » ؛ إذ لو كانت أنْ هاهنا مُقَدَّرَةً لكانت مع الفعل بمنزلة المصدر ، وما كان فى صلة المصدر لايتقدم عليه .

= بلام الجحود الذى هو قوله «لأسمعا» وجوزوا أن يتقدم معمول المضارع المنصوب بلام الجحود على اللام ، وقال البصريون : لا يجوز أن يتقدم معمول المضارع المقرون بلام الجحود عليه ، وزعموا أن قول الشاعر « مقالتها » مفعول به لفعل مضارع محذوف يدل عليه هذا الفعل المذكور ، وأصل الكلام : ولم أكن أسمع مقالتها ، ثم يبين هذا الفعل المحذوف الذى أضمره بقوله « لأسمعا » والسر فى هذا الخلاف أن الكوفيين يقولون : الناصب للمضارع هو اللام التى للجحود ، والبصريون يقولون : الناصب له هو أن المصدرية مضمرة بعد اللام ، والمضارع صلة لأن المصدرية ، ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول ، ولكن هذه القاعدة منقوضة من أساسها ، وإن كان قد ارتضاها الجمهور من الفريقين ؛ فقد تقدم معمول الصلة على الموصول فى قول العجاج :

ربيته حتى إذا تمعددا ... كان جزائى بالعصا أن أجلدا

فإن قوله « بالعصا » متعلق بقوله « أجلد » وهو معمول لأن المصدرية ، ونظيره قول ربيعة بن مقروم الضبى :

هلا سألت وخبر قوم عندهم ... وشفاء غيك خابرا أن تسألى

فإن قوله « خابرا » مفعول به تقدم على عامله وهو قوله « تسألى » المنصوب بأن المصدرية ، وقد اضطر النحاة لتتم لهم قاعدتهم أن يقولوا : إن « خابرا » منصوب بفعل محذوف يدل عليه الفعل المذكور ، وإن قول العجاج « بالعصا » متعلق بفعل محذوف يدل عليه الفعل المذكور بعده . ومثل هذين البيتين قول الآخر وسيأتى قريبا فى كلام المؤلف (ص ٥٩٦) :

وإنى امرؤ من عصبة خندفية ... أبت للأعادى أن تذل رقابها

وسنعود إلى هذه المسألة مرة أخرى ، غير أنا نبادر فنقرر أنا لانرى مع كثرة الشواهد التى تثبت فى مسألة من المسائل أن نعرض عن الشواهد ثم نتمسك بالتعليل ؛ لأن هذا عدول عن النص إلى القياس ، وذلك لا يجوز ، فاعرف هذا ، ولا تغفل عنه .

(١) فى ر « عن غير » وليس بشىء .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على أن الناصب « أنْ » المقدرة بعدها ما قدَّمْناه فى مسألة لام كى .

وأما الدليل على أنه لايجوز إظهار « أنْ » بعدها فمن وجهين ؛ أحدهما : أن قولهم « ما كان زيد ليدخُلَ ، وما كان عمرو ليأكلَ » جوابُ فعلٍ ليس تقديره تقديرَ اسمٍ ، ولا لفظه لفظ اسم ؛ لأنه جواب لقول قائل «زيدسوف يدخل ، وعمرو سوف يأكل » فلو قلنا « ما كان زيد لأن يدخل ، وما كان عمرو لأن يأكل » بإظهار أنْ لـكنا جعلنا مقابل سوف يدخل وسوف يأكل اسماً ؛ لأنَّ أنْ مع الفعل بمنزلة المصدر وهو اسم ؛ فلذلك[1] لم يجز إظهارها كما لايجوز إظهار الفعل فى قولك « إياكَ وزيداً » والوجه الثانى : أن التقدير عندهم : ما كان زيد مُقَدِّراً لأن يدخل أو نحو ذلك من التقدير الذى يُوجِبُ المستقبل من الفعل ، و « أنْ » توجب الاستقبال ، فاستغنى بما تضمن الـكلام من تقدير الاستقبال عن ذكر « أنْ » .

ومنهم من قال : إنما لم يجز إظهار « أنْ » بعدها لأنها صارت بدلا من اللفظ بها ؛ لأنك إذا قلت « ما كان زيد ليدخل » كان نفياً لسيدخل ، كما لو أظهرت « أنْ » فقلت « ما كان زيد لأنْ يَدْخُلَ » فلما صارت بدلا منها كما أن ألف الاستفهام بدل من واو القسم فى قولهم « أللهِ لأقُومَنَّ » لم يجز إظهارها ؛ إذ كانت اللام بدلا منها فـكأنها مُظْهَرَة .

وأما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قول الشاعر :

. . . . . . وَلَمْ أكُنْ مَقَالتَهَا مَا كُنْتُ حيًّا لِأسْمَعَا [٣٨٦]

فلا حجة لهم فيه ؛ لأ « مقالتها » منصوب بفعل مقدر ، كأنه قال : ولم أكن لأسمع مقالتها ، لا بقوله « لأسْمَعَا » كما قال الشاعر :

---

(١) فى ر « فـكذلك لم يجز » .

٣٨٧ — وإنِّى امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ خِنْدِفِيَّةٍ
أبَتْ لِلأَعَادِى أنْ تَدِيخَ رِقَابُهَا

---

٣٨٧ — هذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (٩٣٦) وابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١/١٣٠) ولم يعزواه، والعصبة: الجماعة من الناس، وخندفية ـ بكسر الخاء والدال بينهما نون ساكنة ـ منسوبة إلى خندف. وهى امرأة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وأصل اسمها ليلى بنت حلوان ـ ويقال : ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ـ لقبت خندف فى قصة مشهورة، وأصل الخندفة الإسراع فى السير ، تقول «خندف الرجل خندفة ـ من مثال دحرج دحرجة » إذا أسرع ، وقالوا « خندف الرجل » إذا انتسب إلى خندف ، وقال رؤبة :

* إنى إذا ما خندف المسمى *

وظلم رجل فنادى : يا لخندف ، فخرج إليه الزبير بن العوام ومعه سيفه وهو يقول : أخندف إليك أيها المخندف ، يريد أسرع إلى نصرتك أيها المعتزى إلى خندف ، وتديخ بالدال المهملة ، وبالذال المعجمة أيضا ـ أى تذل وتخضع ، ويروى « أن تذل رقابها » والاستشهاد بالبيت فى قوله « أبت للأعادى أن تديخ رقابها » فإن ظاهره أن الجار والمجرور ـ وهو قوله « للأعادى » ـ متعلق بقوله « تديخ » المتأخر عنه المعمول لأن المصدرية ، فيكون معمول صلة أن المصدرية قد تقدم على أن ، ولما كان جمهور النحاة قد اتفقوا على أن معمول صلة أن المصدرية لا يجوز أن يتقدم عليها فإنهم جعلوا الجار والمجرور متعلقا بفعل محذوف يقدر قبله ويكون المذكور تفسيرا وبيانا لذلك المحذوف ، وأصل الكلام : أبت أن تديخ رقابها للأعادى ، أن تديخ رقابها ، فحذف أن المصدرية وصلتها وهو ينويهما ، ثم دل على هذا الذى حذفه بذكر أن المصدرية وصلتها ، قال ابن يعيش « وقال الكوفيون : لام الجحد هى العاملة بنفسها ، وأجازوا تقديم المفعول على الفعل المنتصب بعد اللام ، نحو قولك : ما كنت زيدا لأضرب ، وأنشدوا « لقد وعدتنى أم عمرو . . . البيت السابق » ولا دليل فى ذلك ؛ لأنا نقول : إنه منصوب بإضمار فعل ، كأنه قال : ولم أكن لأسمع مقالتها ، ثم بين ما أضمر بقوله لأسمعا ، كما فى قوله « أبت للأعادى أن تذل رقابها » التقدير : أبت أن تذل رقابها للأعادى ، ثم كرر الفعل بيانا للمضمر ، فاعرفه » اهـ كلامه . ويقول أبو رجاء : لقد أصل النحاة قاعدة أن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، واستنبطوا لهذه القاعدة علة حاصلها أن الصلة تكملة وتمام =

فاللام فى قوله « للأعادى » لاتكون من صلة « أن تَدِيخَ » بل من صلة فعل مُقَدَّرٍ قبله ، وتقديره « أبت أن تديخ » وجعل هذا المُظْهَر تفسيراً لذلك المقدر ، وهذا النحو فى كلامهم أكثر من أنْ يحصى ، والله أعلم .

[٢٤٧] ٨٣ — مسألة

[هل تنصب « حتى » الفعل المضارع بنفسها ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن حتى تكون حرف نصب ينصب الفعل من غير تقدير أنْ ، نحو قولك « أطع الله حتى يُدْخِلَكَ الجنة ، واذكر الله حتى تَطْلُعَ الشمس » وتكون حرف خفض من غير تقدير خافض ، نحو قولك « مَطَلْتُهُ حتى الشتاء ، وسَوَّفْتُهُ حتى الصيف » . وذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى إلى أن الاسم يخفض

= للموصول، وهما فى قوة الكلمة الواحدة، وأن المعمول من تكملة العامل، وتقديم المعمول كتقديم عجز الكلمة على صدرها ، ولما كان تقديم عجز الكلمة على صدرها غير جائز كان تقديم ما هو بمنزلة عجز الكلمة على ما هو بمنزلة صدرها غير جائز أيضا ، فيكون تقديم معمول الصلة على الموصول غير جائز ، وفاتهم أن النص مقدم على القياس وعلى التعليل ، وأن تقدير شىء وفى الكلام ما يغنى عنه مما لا يصح ارتكابه ولا اللجوء إليه، ثم إنهم يقولون دائما : إن الجار والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرهما ، فهلا اعتذروا عن تقدم معمول الفعل المعمول لأن المصدرية فى هذا البيت بأن هذا المعمول جار ومجرور ، وأن الجار والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرها . ولكننا نعتقد أن البصريين لما رأوا معمول الفعل المصوب بعد لام الجحود فى البيت السابق (شاهد رقم ٣٨٦) مفعولا صريحا وليس جارا ومجرورا ، وأن حجة الكوفيين قائمة به ، لما رأوا ذلك تغاضوا عن كون المعمول فى هذا البيت جارا ومجرورا وساقوا الكلام مساقا واحدا ، فتنبه لذلك ، وأجل فيه نظرك ، والله يتولاك بعصمته وتأييده

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (٣/٢٥٢) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٢٧ و ٩٣٧) وشرح الكافية للرضى (٢/٢٢٤ ومابعدها)

بعدها بإلى مضمرة أو مظهرة . وذهب البصريون إلى أنها فى كلا الموضعين حرف جَرٍّ ، والفعل بعدها منصوب بتقدير « أنْ » والاسمُ بعدها مجرور بها .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنمـا قلنا إنها تنصب الفعل بنفسها لأنها لاتخلو : إما أن تكون بمعنى كى كقولك « أطع الله حتى يدخِلَكَ الجنة » أى : كى يدخلك الجنة ، وإما أن تكون بمعنى إلى أنْ كقولك « اذكر الله حتى تطلع الشمس » أى : إلى أن تطلع الشمس ، فإن كانت بمعنى كى فقد قامت مقام كى ، وكى تنصب ، فكذلك ما قام مقامَهَا ، وإن كانت بمعنى إلى أن فقد قامت مقام أن ، وأن تنصب ، فكذلك ما قام مقامها ، وصار هذا بمنزلة واو القسم ؛ فإنها لما قامت مقام الباء عملت عملَهَا ، وكذلك واو رُبَّ لما قامت مقامها عملت عملها ، فكذلك ها هنا . وقلنا « إنها تخفض الاسم بنفسها » لأنها قامت مقام إلى ، وإلى تخفض ما بعدها ، فكذلك ما قام مقامها .

وأما الكسائى فقال : إنما قلتُ إنها تخفض بإلى مضمرةً أو مظهرةً لأن التقدير فى قولك « ضربت القوم حتى زَيْدٍ » حتى انتهى ضربى إلى زيد ، ثم حذف « انتهى ضربى إلى » تخفيفاً ، فوجب أن تكون إلى هى العاملة .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الناصب للفعل « أن » المقدرة دون حتى أنا أجمعنا على أن حتى من عوامل الأسماء ، وإذا كانت من عوامل الأسماء فلا يجوز أن تجعل من عوامل الأفعال ؛ لأن عوامل الأسماء لا تكون عواملَ الأفعالِ ، كما أن عوامل الأفعال لا تكون عواملَ الأسماء ، وإذا ثبت أنه لا [٢٤٨] يجوز أن تكون عواملُ الأسماء عواملَ الأفعالِ فوجب أن يكون الفعل منصوبا بتقدير «أنْ» . وإنما وجب تقديرها دون غيرها لأنها مع الفعل بمنزلة المصدر الذى يدخل عليه حرفُ الجرِّ ، وهى أم الحروف الناصبة للفعل ؛ فلهذا كان تقديرها أولى من غيرها .

والذى يدل على أن الفعل بعد حتى منصوب بتقدير « أنْ » لا بها نفسها قولُ الشاعر :

٣٨٨ — دَاوَيْتُ عَيْنَ أَبِى الدَّهِيقِ بِمَطْلِهِ حَتَّى الْمَصِيفِ وَيَغْلُوَ الْقِعْدَانُ

فالمصيف : مجرور بحتى ، ويغلو : عطف عليه ؛ فلو كانت حتى هى الناصبة لوجب أن لا يجىء الفعل ها هنا منصوباً بعد مجىء الجر ؛ لأن حتى لا تكون فى موضع واحد جارةً وناصبةً ، والمعطوف يجب أن يكون على إعراب المعطوف عليه؛

---

٣٨٨ — أبو الدهيق : كنية رجل ، ومطله : مصدر مطله يمطله ــ من باب نصر ــ إذا سوف فى قضاء حاجته ولم يف له ، والمصيف : زمان الصيف ، ويغلو : مضارع «غلا البعير فى سيره غلوا » إذا ارتفع فى سيره فجاوز حسن السير ، والقعدان ــ بكسر القاف وسكون العين المهملة ــ جمع قعود ، وهو من الإبل الذى يقتعده الراعى فى كل حاجة ، يتخذه للركوب ولحمل الزاد والمتاع ، ويقال : القعود من الإبل هو البكر حين يركب ــ أى يمكن ظهره من الركوب ــ وأدنى ذلك أن يأتى عليه سنتان ، يقال للذكر: قعود ، وللأنثى قلوص ، إلى أن يثنيا ، ثم يقال للذكر جمل وللأنثى ناقة،ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ويغلو » فإنه فعل مضارع منصوب ، وقد سبقه اسم مجرور بحتى التى هى حرف غاية وجر ، ولا يجوز أن يكون هذا المضارع منصوبا بحتى لأنها لو كانت هى الناصبة للفعل المضارع لكانت قد عملت الجر فى الاسم والنصب فى الفعل ، ولا نظير لذلك فى العربية ، ولكانت الواو قد عطفت مضارعا منصوبا على اسم مجرور وذلك مما لا يجوز ، وقد ذهب البصريون إلى أن هذا المضارع منصوب بأن المصدرية محذوفة ، والتقدير : أن يغلو القعدان ، وأن هذه مع الفعل فى تأويل مصدر مجرور معطوف على الاسم المجرور بحتى ، وكأنه قال : حتى المصيف وغلو القعدان . قال أبو رجاء : ثم يقال بعد هذا : إن المعروف أن أن المصدرية تقدر بعد حرف من حروف العطف ، وهذا هو مذهب البصريين ، فأين هذا الحرف الذى ستقدر أن بعده ؟وذلك لأن حتى المذكورة قد عملت الجر فى الاسم الذى بعدها ، والذى يخطر لى أنه لتكملة كلام البصريين الذى ذكره المؤلف لا بد من تقدير « حتى » أخرى بعد الواو وتكون أن المصدرية وما عملت فيه فى تأويل مصدر مجرور بها ، وتكون الواو قد عطفت حتى ومجرورها على حتى المذكورة ومجرورها ، وكأنه قد قال : حتى المصيف وحتى يغلو القعدان ؛ فتأمل فى ذلك

فإذا لم يكن قبل « يغلو » فعل منصوب وكان قبله اسم مجرور علمت أن ما بعد الواو يجب أن يكون مجروراً ، وإذا وجب الجر بعد الواو وجب أن يكون « يغلو » منصوباً بتقدير أنْ ؛ لأنّ أنْ مع الفعل بمنزلة الاسم على ما بينا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنها إذا كانت بمعنى كى فقد قامت مقام كى ، وكى تنصب ، فكذلك ما قام مقامها » فالكلام على فساده كالكلام فى مسألة لام كى ؛ فلا نعيده ها هنا .

وأما قولهم « إنها إذا كانت بمعنى « إلى أن » فقد قامت مقام أنْ ، وأنْ تنصب ، فكذلك ما قام مقامها » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه يجوز عندكم ظهور أنْ بعد حتى ، ولو كانت بدلا عنها لما جاز ظهورها بعدها ؛ لأنه لا يجوز أن يجمع بين البدل والمبدل ، ألا ترى أن واو القسم لما كانت بدلا عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما ؛ فلا يقال « بوالله لأفعلَنَّ » وكذلك التاء فى القسم لما كانت بدلا عن الواو لا يقال « تَوَاللهِ لأقومَنَّ » لما كان يؤدى إليه من الجمع بين البدل والمبدل ؟ وأما واو رُبَّ فلا نسلم أنها قامت مقامها ، ولا أنها عاملة ، وإنما هذا شىء تدعونه على أصلكم ، وقد بينا فساده فى موضعه بما يغنى عن الإعادة .

وأما ما ذهب إليه الكسائى من أن الخفض إلى مضمرة أو مظهرة فظاهر الفساد ؛ لبعده فى التقدير ، وإبطال معنى « حتى » . وذلك لأن موضع حتى فى الأسماء أن يكونَ الاسمُ الذى [٢٤٩] بعدها من جنس ما قبلها ، وإنما حتى اختَصَّتْه من بين الجنس ؛ لأنه يستبعد منه الفعل أكثر من استبعاده من سائر الجنس ، كقولك « قَاتَلَ زَيْدٌ السِّبَاعَ حتى الأسَدَ » لأن قتاله الأسَدَ أبعدُ من قتاله لغيره ، وكقولك « اسْتَجْرَأ على الأمير جُنْدُه حتى الضعيفُ الذى لا سلاح معه » لأن استجراء

الضعيف الذى لا سلاح معه أبْعَدُ من استجراء غيره ؛ فلو قلنا إن التقدير فيه : حتى انتهى استجراؤهم إلى الضعيف الذى لا سلاح معه ؛ لأدى ذلك إلى زيادة كثيرة ، وكانت « إلى » فى صلة « انتهى » لا فى صلة « حتى » وذلك خروجٌ عن المتناولات القريبة من غير برهان ولا قرينة ، وذلك لا يجوز ، وإذا قلنا : إنه مجرور بحتى ؛ لم يخرج عن قياس العربية والمتناولات القريبة ؛ لأن حتى قد يليها المجرورُ فى حال وغيرُ المجرور فى حال ، ولها نظائر مما يجر فى حال ولا يجر فى حال ، نحو « مُذْ ، ومُنْذُ » و « حَاشَا ، وخَلاَ » فى الاستثناء ، وإذا ظهر الجر بعدها ولم يدل دليل على إضمار حرف جر — على أن حروف الجر لا تعمل مع الحذف — دَلَّ على أنها هى الجارة .

والذى يدلُّ على أنها هى الجارة قولهم « حَتَّام ، وحَتَّامَهْ » كقولهم « إلامَ ، وإلامَهْ » والأصل فيها : حتى ما ، وما للاستفهام ، فلو لم يكن حتى حرف جر ، وإلا لما جاز حَذْفُ الألف من « ما » لأن مالا يحذف ألفها إلا أن يدخل عليها حرف جر ، على ما بينا فى « كَيْمَهْ ، وفِيمَهْ ، وبِمَهْ ، ولِمَهْ ، وعَمَّهْ » وما أشبه ذلك ؛ فدل على أنها هى الجارة .

والذى يدلُّ على أنه لا يجوز أن تكون إلى مُقَدَّرة بعد حتى أن حتى تقوم مقام إلى ، ألا ترى أنك تقول « أقِمْ حتى يقدم زيد ، وسِرْ حتى تطلع الشمس » فيصلح أن تُقِيم مقامها « إلى » فتقول « أقِمْ إلى أن يقدم زيد ، وسِرْ إلى أن تطلع الشمس » فتقوم « إلى » مقام حتى ، فإذا كانت تقوم مقامها فينبغى أن لا يجمع بينهما ؛ لأن إحداهما تغنى عن الأخرى .

والذى يدلُّ على أن « حتى » فى موضع إلى فى هذا الموضع أنك تقول : أقِمْ إلى قُدُومِ زيد ، وأقِمْ حتى قُدُوم عمرو . وإنما ظهرت « أنْ » بعد إلى ، ولم تظهر

بعد حتّى لأن إلى تلزم الاسم ، وحتى لا تلزم الاسم ، فألزموا إلى أنْ لتظهر اسميةُ ما دخلت عليه ، وقوةُ لزومها الجرّ ، وكذلك أيضاً يحسن ظهور « أنْ » بعد لام [٢٥٠] كى ، ولم يحسن بعد حتى وكى ؛ لأن اللام تلزم الاسم ، بخلاف حتى وكى ، والله أعلم .

٨٤ — مسألة

[عامل الجزم فى جواب الشرط][1]

ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط مجزومٌ على الجِـوَارِ ، واختلف البصريون ؛ فذهب الأكثرون إلى أن العامل فيهما حرفُ الشرطِ ، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه ، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط يعمل فى فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل فى جواب الشرط ، وذهب أبو عثمان المازنى إلى أنه مبنى على الوَقْفِ .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مجزوم على الجِوَار لأن جواب الشرط مُجَاوِر لفعل الشرط ، لازم له ، لا يكاد ينفكُّ عنه ، فلما كان منه بهذه المنزلة فى الجِوَار حمل عليه فى الجزم ، فكان مجزوماً على الجِوَار ، والحمل على الجِوَار كثير ، قال الله تعالى : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) وَجْهُ الدليل أنه قال (وَالْمُشْرِكِينَ) بالخفض على الجِوَار ، وإن كان معطوفاً على (الَّذِينَ) فهو مرفوع لأنه اسم (يَكُنِ) ، وقال تعالى :

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٤/١٣) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٣١٣) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٣٦ وما بعدها) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٤٧ وما بعدها)

(وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وأَرْجُلِكُمْ إلَى الْكَعْبَيْنِ) بالخفض على الجِوَار ، وهى قراءة أبى عمرو ، وابن كثير ، وحمزة ، ويحيى عن عاصم ، وأبى جعفرٍ ، وخَلَفٍ ، وكان ينبغى أن يكون منصوباً ؛ لأنه معطوف على قوله (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ) كما فى القراءة الأخرى ، وهى قراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائى ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب ، ولو كان معطوفاً على قوله (بِرُؤُوسكم) لكان ينبغى أن تكون الأرجل ممسوحةً لا مغسولة ، وهو مخالف لإجماع أئمة الأمة من السلفِ والخَلَفِ ، إلا فيما لا يعدُّ خلافاً ، ثم قال زهير :

٣٨٩ — لَعِبَ الرِّيَاحُ بِهَا وَغَيَّرَهَا بَعْدِى سَوَافِى الْمُورِ وَالْقَطْرِ

---

٣٨٩ — هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى ، وهو البيت التالى للشاهد رقم ٢٣٢ الذى تقدم فى المسألة ٥٤ (وانظر الديوان ٨٦ – ٨٧) ورواية الأعلم « لعب الزمان بها – إلخ» والسوافى : جمع سافية، وتطلق على الريح التى تسفى التراب ، ويقال أيضا على التراب الذى تسفيه الرياح ، أى تذروه وتطيره وتهيجه ، والمور – بضم الميم – هو التراب ، والقطر – بفتح القاف وسكون الطاء – هو المطر ، والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « والقطر » فإنه مجرور بدليل أن روى هذه القصيدة مجرور ، فيسبق إلى الوهم أنه معطوف على « المور » لأنه هو المجرور بإضافة سوافى إليه ، ولو عطف على المور للزم أن يكون معمولا لسوافى، لأن العامل فى المعطوف هو العامل فى المعطوف عليه ، ويلزم أن يكون تقدير الكلام : سوافى المور وسوافى القطر، ومراد الشاعر أن الذى غير هذه الديار شيآن : أحدهما الرياح التى تسفى عليها التراب ، وثانيهما المطر ، وهذا المعنى لا يتأدى إلا بأن يكون « القطر » معطوفا على سوافى مع أنه ليس للمطر سوافى ، فيكون مرفوعا فى التقدير ،وجره لمجاورته المجرور ،فتقول: القطر معطوف على سواف.والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة . والجر على الجوار واقع فى العربية فى بابى العطف والنعت – وزاد قوم فى باب التوكيد أيضا – فأما باب العطف فمنه هذا البيت ، ومنه قول الآخر :

كم قد تمششت من قص وإنفحة جاءت إليك بذاك الأضؤن السود

تقول : تمششت العظم؛ إذا مصصت أطرافه،والقص – بفتح القاف – عظام الصدر،

. . . .

= أو رأس الصدر ، والإنفحة ـ بكسر الهمزة وسكون النون وفتح الفاء ـ كرش الحمل أو الجدى إذا كان لم يأكل ، فإذا أكل فهو كرش ، فقول الشاعر « وإنفحة » لا يجوز أن يكون معطوفا على « قص » لأنه لو كان معطوفا على قص لكان قوله تمششت عاملا فيه ، وقد علمت أن التمشش خاص بمص العظم، والإنفحة ليست عظما ، فوجب أن يكون قوله «إنفحة» مفعولا به لفعل محذوف ، وتقدير الكلام: كم تمششت من عظم وأكلت إنفحة ، ويكون إنفحة منصوبا بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة .

وأما الجر على الجوار فى باب النعت فمن شواهده قولهم « هذا جحر ضب خرب » ـ بجر خرب مع أنه نعت للجحر المرفوع ؛ فخرب مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة ، ونظيره قول امرىء القيس فى معلقته :

كأن ثبيرا فى عرانين وبله   كبير أناس فى بجاد مزمل

ثبير : اسم جبل ، شبهه بكبير قوم مزمل فى بجاد ، فمزمل : نعت لكبير المرفوع على أنه خبر كأن ، والرواية بجر مزمل بدليل روى القصيدة كلها ، فهو مرفوع تبعاً لموصوفه وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة

ونظيره قول دريد بن الصمة :

فجئت إليـــه والرياح تنوشه   كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

فدافعت عنه الخيل حتى تبددت   وحتى علانى حالك اللون أسود

فأسود صفة لحالك اللون ، وأسود مجرور بدليل الروى ، وحالك اللون : مرفوع لأنه فاعل علانى ، ولكنه جر أسود لكونه بجوار اللون المجرور بالإضافة .

وأما الجر للمجاورة فى باب التوكيد فقد ورد منه قول الشاعر ، وهو من شواهد ابن هشام فى الشذور :

يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم   أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

فإن قوله « كلهم » توكيد لذوى الواقع مفعولا به لبلغ، وقد وردت الرواية بجر كل ، وقد علمت أن التوكيد يتبع المؤكد فى إعرابه؛ فكان حق العربية أن ينصب كلا، ولكنه لما وقع مجاورا للزوجات المجرور بالإضافة جره ، فهذا الجر بسبب مجاورة الاسم المجرور .

والنحاة يذكرون أن الجر بسبب مجاورة الاسم المجرور ـ سواء أكان فى النعت أم فى العطف ـ شاذ ، وهو فى باب التوكيد أشد شذوذاً ، لأنهم مختلفون فى مجيئه فى هذا الباب ، وفى اعتباره فيه .

نخفض « الْقَطْرِ » على الجِوَار ، وإن كان ينبغى أن يكون مرفوعا ؛ لأنه معطوف على « سَوَافِى » ولا يكون معطوفاً على « الْمورِ » وهو الغُبَار ؛ لأنه ليس للقَطْرِ سَوَافٍ كالمور [٢٥١] حتى يعطفه عليه ، وقال الآخر :

٣٩٠ — كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ قُدَّامَ أعْيُنِهَا قُطْنًا بِمُسْتَحْصِدِ الأوْتَارِ مَحْلُوجِ

نخفض « مَحْلُوجِ » على الجِوَار ، وكان ينبغى أن يقول « مَحْلُوجاً » ؛ لكونه وَصْفاً لقوله « قُطْناً » ولكنه خفضه على الجِوَار ، وقال الآخر :

٣٩١ — * كَأَنَّ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ *

---

٣٩٠ — القطن — بضم القاف وسكون الطاء — معروف ، و «مستحصد الأوتار» من إضافة الصفة للموصوف ، أى الأوتار المستحصدة ، وتقول : هذا حبل أحصد — كأحمر — وحصد — كفرح — ومحصد — كمكرم — ومستحصد — بكسر الصاد — إذا كان قد أحكم فتله وصنعته ،وهذا اللفظ يقال فى كل ما أحكمت صناعته من الحبال والأوتار والدروع ، وقالوا « هذا رجل محصد الرأى » أى سديد الرأى محكمه ، على التشبيه ، وقالوا : « هــذا رأى مستحصد » أى محكم وثيق ، وهو فى هذا بفتح الصاد ، وقال لبيد :

وخصم كنادى الجن أسقطت شأوهم بمستحصد ذى مرة وضروع

يريد برأى سديد وثيق محكم ، ومحلوج : اسم المفعول من قولهم « حلج القطن يحلجه — من مثال ضرب ونصر » إذا ندفه ، وقطن حليج ومحلوج : مندوف ، أى قد استخرج منه الحب ، وصانع ذلك هو الحلاج كالعطار والقصاب ، وصناعته الحلاجة كالعطارة والقصابة ، والمحلج والمحلجة والمحلاج : الخشبة أو الحجر الذى يندف عليه ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « محلوج» فإن الرواية فيه بالجر مع أنه نعت لقوله « قطنا » المنصوب على أنه مفعول به لقوله « ضربت » وذلك لأن هذه الكسرة ليست الحركة التى اقتضاها العامل ، وإنما هى كسرة المجاورة ، فهو منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة .

٣٩١ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢١٧) وشواهد ابن جنى فى الخصائص (٣/٢٢١) وقدنسبه سيبويه إلى العجاج،وأقر الأعلم =

. . . .

= هذه النسبة، وقد كرر البغدادى ذكره فى شرح الشاهد رقم ٣٤٩ من الخزانة (٢/٣٢١) وبعد هذا البيت قوله:

على ذرى قلامه المهدل سبوب كتان بأيدى الغزل

المرمل ــ بوزن اسم المفعول ــ أى المنسوج، والقلام ــ بضم القاف وتشديد اللام ــ ضرب من النبت، والمهدل أى المسترسل، والسبوب: الشقق أى قطع الكتان. شبه نسيج العنكبوت على ما نبت من القلام حول المنهل بشقق من الكتان بأيدى الغازلات ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله «المرمل» فإنه مجرور بدليل روى الأبيات التى ذكرناها لك مما يليه، وهو صفة لنسج العنكبوت المنصوب لكونه اسم كأن، ومتى كان من المقرر الذى لا يحتمل التردد أن النعت يجب أن يطابق منعوته فى حركة إعرابه كان من المسلم به أن هذه الكسرة التى فى «المرمل» ليست هى الحركة التى اقتضاها العامل؛ لأن العامل يقتضى فتحة، فهو إذاً منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة، قال الأعلم «الشاهد فيه جرى المرمل على العنكبوت نعتالها فى اللفظ لقرب جوارها منه، وكان الخليل رحمه الله لا يجز مثل هذا حتى يكون المتجاوران مستويين فى التعريف والتنكير، والتأنيث والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع، كقولهم: هــذا جحر ضب خرب، وجحرا ضبين خربين، وجحرة ضباب خربة، وسيبويه يجيز الحمل على الجوار وإن اختلف المتجاوران، إذا لم يشكل المعنى، كقولك: هذان جحرا ضب خربين، وهذا جحر ضبين خرب، واحتج ببيت العجاج هذا، لأنه حمل المرمل وهو مذكر على العنكبوت وهى مؤنثة، والمرمل من وصف الغزل فى الحقيقة» اهـ، قال أبو رجاء: وقد قال قوم: إنه ليس فى هذا البيت رد على الخليل، لأن العنكبوت تذكر وتؤنث، فيجوز أن يكون هنا مذكراً، فلا يصلح البيت رداً عليه، ومثله مما ذكروه فى سبيل الرد على الخليل قول الحطيئة، وأنشده ابن جنى (٣/٢٢٠) والرضى لذلك، وشرحه البغدادى (٢/٣٢١):

فإياكم وحية بطن واد هموز الناب ليس لكم بسى

وحية بطن واد: أراد نفسه، يريد أنه يحمى ناحيته ويذود عما يحميه فيجب عليهم أن يتقوه ويحذروا صولته، وهموز الناب: مأخوذ من الهمز وهو الضغط والغمز، وليس لكم بسى: أى ليست مثلكم ولا مستوية معكم، بل فوقكم وأعلى منكم، =

نخفض « الْمُرَمَّلِ » على الجِوَار ، وكان ينبغى أن يقول « المرملا » لكونه وَصْفاً للنسج ، لا للعنكبوت ، ومن ذلك قولهم « جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » نخفضوا خربا على الجِوَار ، وكان ينبغى أن يكون مرفوعاً ؛ لكونه فى الحقيقة صفةً للجحر ، لا للضب ، فكذلك ها هنا : جوابُ الشرط كان ينبغى أن يكون مرفوعاً ، إلا أنه جُزم للجِوَار ، ولهذا إذا حُلْتَ بينه و بين فعل الشرط بالفاء أو بإذا رجع إلى الرفع ، وقال الله تعالى : (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فلا يَخَافُ بَخْسًا ولا رَهَقاً) وقال تعالى : (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سيئة بما قدمت أيْدِيهم إذا هُم يقنطون) .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن العامل هو حرف الشرط

= والاستشهاد به عندهم فى قوله : « هموز الناب » فإن الرواية فى هذه الكلمة بجر « هموز » مع أنها نعت للحية المنصوب على التحذير ، وقد جر الشاعر هذه الكلمة لأنها فى مجاورة كلة مجرورة وهى قوله : « واد » والهموز مؤنثة لكونها صفة للحية والوادى مذكر ، فدل على أنه لايلزم فى الجر للمجاورة أن يكون المتجاوران متساويين فى التذكير والتأنيث كما ذهب إليه الخليل بن أحمد ، بل يجوز مع تخالفهما فى التذكير والتأنيث ، وفى التعريف والتنكير ، وفى الإفراد والتثنية والجمع ، على ما قررناه لك من قبل ، قال ابن جنى « جر هموز لمجاورته الواد مع اختلاف المضاف والمضاف إليه تذكيراً وتأنيثاً ، فإن حية مؤنث وما بعدها مذكر » اﻫ ، وفى هذا الكلام شيآن : الأول : أنه جعل خلاف الخليل وسيبويه فى المضاف والمضاف إليه ، والاعلم يجعله فى التجاورين اللذين هما المضاف إليه وما جر لمجاورته إياه ، ويمكن فى كلام سيبويه أن يحمل على كل واحد من هذين ، لكنى أستبعد أن يكون الخلاف بينهما فى مساواة المضاف والمضاف إليه فيما ذكرنا ، بل ينبغى أن يكون الخلاف بينهما فى المتجاورين على ما فهمه الأعلم ، والثانى أن هذا البيت مثل بيت العجاج ؛ لأن الحية يقال على الذكر وعلى الأنثى ، والعرب تقول : حية ذكر ، فيجوز أن يقال : إنه عنى هنا الحية الذكر ، والبطن مذكر ، فقد اتفق المضاف والمضاف إليه على كلام ابن جنى ، ويجوز أن يقال : إن هموز مذكر لكونه وصفا للحية الذكر ، والوادى مذكر ، فاتفق المتجاوران تذكيراً وتأنيثا على ما هو كلام الأعلم ، فاعرف هذا وتنبه له .

وذلك لأن حرف الشرط يقتضى جواب الشرط كما يقتضى فعل الشرط ، وكما وجب أن يعمل فى فعل الشرط فكذلك يجب أن يعمل فى جواب الشرط .

وأما من ذهب إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فى جواب الشرط فقال : إنما قلنا ذلك لأن حرف الشرط وفعل الشرط يقتضيان جواب الشرط ؛ فلا ينفك أحدهما عن صاحبه ، فلما اقتضياه معاً وجب أن يعملا فيه معاً ؛ كما قلنا فى الابتداء والمبتدأ إنهما يعملان فى الخبر ، فكذلك هاهنا ، غير أن هذا القول وإن اعتمد عليه كثير من البصريين فلا ينفكُّ من ضَعْفٍ ، وذلك لأن فعل الشرط فعل، والأصل فى الفعل أن لايعمل فى الفعل ، وإذ لم يكن للفعل تأثير فى أن يعمل فى الفعل ، و « إنْ » له تأثير فى العمل فى الفعل ؛ فإضافة مالا تأثير له إلى ماله تأثير لاتأثير له .

والتحقيقُ فيه عندى أن يقال : إنَّ « إنْ » هو العامل فى جواب الشرط بواسطة فعل الشرط ؛ لأنه لاينفك عنه ؛ فحرف الشرط يعمل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط ، لابِهِ ، كما أن النار تُسَخِّن الماء بواسطة القدر [٢٥٢] والحطب ؛ فالتسخين إنما حصل عند وجودهما ، لا بهما ؛ لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك ها هنا ؛ إنْ هو العامل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا أنه عامل(١) معه .

وأما من ذهب إلى أن حرف الشرط يعمل فى فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل فى جواب الشرط ، فقال : لأن حرف الشرط حرف جزمٍ ، والحروف الجازمة ضعيفة فلا تعمل فى شيئين ، فوجب أن يكون فعل الشرط هو العامل .

وهذا القول ضعيف أيضاً ؛ لأنه يؤدى إلى إعمال الفعل فى الفعل . وقولهم : « الحروف الجازمة ضعيفة فلا تعمل فى شيئين » باطل ؛ لما بينا من وجه مناسبته

(١) فى ر « إلا أنه عامل معه » ولا يستقيم مع ماقرره

للعمل فى الشرط وجوابه لاقتضائه لهما ، بخلاف غيره من الحروف الجازمة ؛ فإنها لما اقتضت فعلا واحداً عملت فى شيء واحد ، وحرف الشرط لما اقتضى شيئين وجب أن يعمل فى شيئين قياساً على سائر العوامل .

فأما من ذهب إلى أنه مبنى على الوقف فقال : لأن الفعل المضارع إنما أُعْرِب بوقوعه موقع الاسم ، وجواب الشرط لايقع موقع الاسم ؛ لأنه ليس من مواضعه ؛ فوجب أن يكون مبنيا على أصله ، فكذلك فعل الشرط(١)

وهــذا القول ليس بمعتد به عند البصريين ؛ لظهور فساده ؛ لأنه لو كان الأمر على ما زعمتم لكان ينبغى أن لا يكون الفعل معربا بعد أنْ و كَىْ وَ إِذَنْ ، وكذلك أيضاً بعد لم ولما ولامِ الأمر ولا فى النهى ؛ لأن الاسم لا يقع بعد هذه الأحرف ؛ فكان ينبغى أن يكون الفعل بعدها مبنياً ؛ لأنه لم يقع موقع الاسم ، فلما انعقد الإجماع فى هذه المواضع على أنه معرب ، وأنه منصوب بدخول النواصب ومجزوم بدخول الجوازم ؛ دَل على فساد ما ذهب إليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فلا حجة لهم فيه ؛ لأن قوله (والمشركين) ليس معطوفا على (الذين كفروا) وإنما هو معطوف على قوله : (من أهل الكتاب) فدخله الجر لأنه معطوف على مجرور ، لا على الجوار .

وأما قوله تعالى : (فَامْسَحُوا بِرُؤسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) فلا حجة لهم فيه أيضاً ؛ لأنه على قراءة مَنْ قرأ بالجر ليس معطوفا على قوله (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) و إنما هو معطوف على قوله (برؤسكم) على [٢٥٣] أن المراد بالمسح فى الأرجل الغسل ، وقال أبو زيد الأنصارى : المسح خفيف الغسل ، وكان أبو زيد

(٢) الظاهر أن عبارة « فكذلك فعل الشرط » مقحمة إذ لا مؤدى لها .

الأنصارى من الثقات الأثبات فى نقل اللغة ، وهو من مشايخ سيبويه ، وكان سيبويه إذا قال « سمعت الثقة » يريد أبا زيد الأنصاريَّ .

والذى يدل على ذلك قولهم « تَمَسَّحت للصلاة » أى تَوَضَّأت ، والوضوء يشتمل على ممسوح ومغسول ، والسر فى ذلك أن المتوضىء لا يقنع بصب الماء على الأعضاء حتى يمسحها مع الغسل ؛ فلذلك سمى الغسل مسحاً ، فالرأس والرجل ممسوحان ، إلا أن المسح فى الرجل المراد به الغسل لبيان السنة ، ولولا ذلك لكان محتملا ، والذى يدل على أن المراد به الغسل ورود التحديد فى قوله (إلى الكعبين) والتحديد إنما جاء فى المغسول لا فى الممسوح ، وقال قوم : الأرْجُلُ معطوفة على الرأس فى الظاهر ، لا فى المعنى ، وقد يعطف الشىء على الشىء والمعنى فيهما مختلف ، قال الشاعر :

٣٩٢ — إذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ والْعُيُونَا

---

٣٩٢ — هذا البيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٥٨٧) وفى أوضح المسالك (رقم ٢٥٩) وفى شرح شذور الذهب (رقم ١١٦) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤٣٢) وابن عقيل (رقم ٢٩٩) والأشمونى (رقم ٤٤٢) والرضى، وشرحه البغدادى (٣/٩١ و ٤/١٧٣) والبيت من كلام الراعى النميرى ، واسمه عبيد بن حصين ، وبرزن ظهرن، تقول « برز فلان يبرز بروزاً ــ على مثال قعد يقعد قعوداً » إذا ظهر ، وزججن أى دققن ، وتقول : رجل أزج ، وامرأة زجاء ؛ إذا كان كل منهما قد دقق حاجبيه ورققهما فى طول ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « والعيونا » فإن ظاهر الأمر أن هذه الكلمة معطوفة على « الحواجب » مع أن العامل فى المعطوف عليه لا يصح أن يتسلط على المعطوف ؛ لأن العيون لا تزجج ، وإنما تكحل ، مثلا ، ومن أجل هذا لم يرتض المحققون والأثبات من العلماء أن تكون هذه الواو قد عطفت كلمة العيون على كلمة الحواجب مع بقاء معنى كلمة زججن على معناها الأصلى الذى ذكرناه ، بل ذهبوا إلى أحد طريقين : الأول أن يكون قوله « العيونا » مفعولا به لفعل محذوف يناسبه ، وكأنه قال : زججن الحواجب وكحلن العيونا ، وتكون الواو قد عطفت جملة على جملة ، =

فعطف العيون على الحواجب و إن كانت العيون لا تُزَجَّجُ ، وقال الآخر :

تَرَاهُ كَأَنَّ ٱللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ[٣٣٤]

فعطف عينيه على أنفه ، و إن كانت العينان لا تُوصَفانِ بالجَدْع ؛ وقال لبيد :

٣٩٣ — فَعَلاَ فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ وأَطْفَلَتْ بِالجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا ونَعَامُهَا

=والطريق الثانى أن تتوسع فى كلة «زججن» فتجعل المراد بها حسن أو جملن أوما أشبه ذلك مما يصح أن يتسلط على المعطوف والمعطوف عليه جميعا ، وعلى هذا تكون الواو قد عطفت مفرداً على مفرد ، وقد بينا لك ذلك بيانا وافيا فى الكلام على الشاهد رقم ٣٣٤ الذى سبق فى المسألة ٧٠ ومن هنا تعلم أن قول المؤلف إنهم عطفوا الثانى على الأول فى مثل هذا البيت كلام مبنى على الظاهر ، ولاشىء فيه من التحقيق .

٣٩٣ — هذا هو البيت السادس من معلقة لبيد بن ربيعة العامرى (انظر شرح التبريزى على المعلقات العشر ص ١٢٧ ط السلفية) وهو من شواهد ابن جنى فى الخصائص (٤٣٢/٢) ويروى « فغلا فروع الأيهقان » بالغين معجمة ورفع فروع الأيهقان ، ويروى « فاعتم نور الأيهقان » ومن روى « فعلا » بالعين مهملة رفع فروع الأيهقان أو نصبه ، فأما من روى « فغلا » بغين معجمة فرفع فروع الأيهقان ، ومعناه عنده ارتفع وراد ، من قولهم « غلا السعر » إذا ارتفع ، وقولهم « غلا الصبى يغلو » إذا شب ، والمعنى كذلك عند من روى « فاعتم نور الأيهقان » وعند من روى « فعلا فروع الأيهقان » بالعين المهملة مع رفع الفروع ، فأما من روى بنصب الفروع فقد جعل فى علا ضميراً مستتراً يعود إلى السيل ، والمعنى أن السيل قد ارتفع حتى علا فروع الأيهقان وجاوزها ، و لرفع أجود معنى ، لأن الغرض وصف هذه الأرض بالنماء والخصب وأن ما فيها قد عاش ونما ، ولأنه المناسب لما بعده ، وأطفلت : أى صارت ذات طفل أى ولد والفروع : الأعالى ، واحدها فرع ، والجلهتان : جانبا الوادى ، وموطن الاستشهاد من هذا البيت قوله « وأطفلت ظباؤها ونعامها » فإن ظاهره أن قوله « نعامها » معطوف على قوله « ظباؤها » فيكون الفعل الذى عمل فى المعطوف عليه هو العامل فى المعطوف وأهل العربية لا يقولون «أطفلت النعامة» وإنما يقولون فى هذا المعنى أفرخ النعام أو باض النعام ؛ ولهذا يرى أهل التحقيق من النحاة أن العامل فى « نعامها » محذوف ، والتقدير : أطفلت ظباؤها وأفرخت نعامها ، أو أطفلت ظباؤها وباضت نعامها ، وعلى هذا تكون الواو=

فعطف نعامها على ظباؤها ، والنعام لا تُطْفِلُ ، وإنما تبيض ، وقال الآخر :

٣٩٤ — يَالَيْتَ بَعْلَكِ فى الْوَغَى مُتَقَلِّدا سَيْفًا وَرُمْحَا

فعطف « رمحا » على « سيفا » وإن كان الرمح لا يتقلد ، وقال الآخر :

= قد عطفت جملة «وأفرخت نعامها» على جملة « أطفلت ظباؤها» أو يكون الشاعر قد توسع فى معنى « أطفلت » فصيره كقولك « أنتجت » وما يؤدى مؤداه ، وحينئذ يصح تسلطه على كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه ، ويرد على المؤلف ما أوردناه عليه فى شرح الشاهد السابق ، ونظير ذلك أيضا قول لبيد فى المعلقة نفسها :

بطليح أسفار تركن بقية منها فأحنق صلبها وسنامها

الطليح : الناقة التى أعيت وتعبت ، وأحنق : أى ضمر ، والاستشهاد به فى قوله : « أحنق صلبها وسنامها » فإن ظاهره أن قوله « سنامها » معطوف على قوله « صلبها » فيكون قوله « أحنق » مسلطا عليهما جميعا ، وقد قال نقلة اللغة : إنه يقال : « أحنق صلب الناقة » أى ضمر وهزل ، ولا يقال « أحنق سنام الناقة » وإنما يقال: ذهب سنامها فيؤول بأحد التأويلين السابقين ، ومن العلماء من أجاز أن تقول « أحنق السنام » وأغلب ظنى أنه إنما أجازه على تضمين أحنق معنى دق أو فنى أو ذهب أو ما أشبه ذلك.

٣٩٤ — هذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٢٢٤) وكامل المبرد (١/١٩٦ و٢١٨ الخيرية، رغبة الآمل ٣/٢٣٤) وخصائص ابن جنى (٢/٤٣١) وأنشده ابن منظور (ق ل د) وصحة الرواية «ياليت زوجك قد غدا» وهو ـ كما قال الأخفش ـ من كلام عبدالله بن الزبعرى، ومحل الاستشهاد منه قوله «متقلدا سيفا ورمحا» فإن ظاهره أن قوله «رمحا» معطوف على قوله «سيفا» فيكون قوله «متقلدا» مسلطا وعاملا فى المعطوف والمعطوف عليه جميعا، وقد قال علماء اللغة : إنه يقال : تقلد فلان سيفه ، ولا يقال : تقلد رمحه ، وإنما يقال : حمل رمحه ، وقالوا « المقلد » بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام مفتوحة ـ لموضع نجاد السيف من كتف الرجل ، والكلام فى هذا كالكلام الذى ذكرناه فى الشواهد السابقة : إما أن يكون « رمحا » مفعولا لمحذوف ، أى متقلدا سيفا ومعتقلا رمحا، وإما أن يكون «متقلدا» قد ضمن معنى يصح تسليطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعا كحامل ، قال ابن يعيش بعد أن أنشد البيت « يريد متقلدا سيفا ومعتقلا رمحا ؛ لتعذر حمله على ما قبله ، لأنه لا يقال : تقلدت الرمح » اهـ .

٣٩٥ — عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

فعطف ماء على تبنا ، و إن كان الماء لا يعلف ، وقال الآخر :

٣٩٦ — * شَرَّابُ أَلْبَانٍ وتَمْرٍ وَأَقِطْ *

---

٣٩٥ — هذا البيت أنشده ابن منظور (ق ل د) وهو من شواهد ابن جنى فى الخصائص (٤٣١/٢) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٢٥٨) وفى شرح شذور الذهب (رقم ١١٥) وابن عقيل (رقم ١٦٥) والأشمونى (رقم ٤٤١) وابن الناظم فى باب المفعول معه من شرح الألفية ، وشرحه العينى (١٠١/٣ بهامش الخزانة) والسيد المرتضى فى أماليه (٢٥٩/٢ ط الحلبى) وتقول : علفت الدابة أعلفها ــ من باب ضرب ــ تريد أطعمتها ، والتبن ــ بكسر التاء وسكون الباء ــ هو قصب الزرع بعد أن يداس، وهمالة : صيغة مبالغة من قولهم : هملت عين فلان ؛ إذا أرسلت دمعها إرسالا ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « وماء » فإن ظاهره أنه معطوف بالواو على قوله « تبنا » ولو كان معطوفا على التبن لكان الواجب أن يتسلط على المعطوف الفعل العامل فى المعطوف عليه وهو قوله علفتها ، ولكنك تعلم أنه يقال : علفت الدابة تبنا ، ولا يقال : علفتها ماء . ولكن يقال : سقيتها ماء ، ومن أجل هذا وجب واحد من أمرين: الأول أن يكون قوله « ماء » مفعولا به لفعل محذوف ــ والتقدير : وسقيتها ماء ــ وتكون جملة الفعل المحذوف ومعمولاته معطوفة على جملة علفتها تبنا ، والأمر الثانى أن تضمن علفتها معنى فعل يصح أن تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعا مثل أنلتها أو قدمت لها أو ما أشبه هذين ، ونظير هذا البيت والأبيات السابقة قول طرفة بن العبد البكرى:

أعمرو بن هند ما ترى رأى صرمة لها سبب ترعى به المـاء والشجر

والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « ترعى به المـاء والشجر » فإن ظاهره غير صحيح لأنه يقال : رعت الماشية الشجر ، ولا يقال : رعت المـاء ، وإنما يقال : شربت الماء ، ومن أجل هذا يجب أن تقدر فعلا يعمل فى الماء ؛ وكأنه قد قال : لها سبب تشرب به المـاء وترعى الشجر ، وإما أن تضمن ترعى معنى فعل يصح تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعا مثل تتناول، وفى بيت طرفة هذا لطيفة ، وحاصلها أن الذى منع من صحة تسلط العامل المذكور فيه هو المعطوف عليه ، وفى كل الأبيات السابقة كان المانع هو المعطوف ، فتأمل .

٣٩٦ — هذا بيت من الرجز المشطور، وقد أنشده أبو العباس المبرد فى الكامل =

فعطف تمراً على ألبان ، وإن كان التمر لا يشرب ، فكذلك عطف الأرْجُلِ على الرؤوس وإن كانت لا تُمْسَحُ .

وأما قول زهير :

[٢٥٤] * . . . سَوَافِي الْمُورِ وَالْقَطْرِ * [٣٨٩]

فلا حجه لهم فيه ؛ لأنه معطوف على المور وهو الغبار ، وقولهم « لا يكون

=(١/١٩٦و٢١٨ الخيرية، رغبة الآمل ٣/٢٣٤)من غير عزو، ولم يتعرض له الأخفش بشىء، والألبان: جمع لبن، وهو معروف، والتمر: معروف أيضاً ، والأقط ـ بفتح الهمزة وكسر القاف وآخره طاء مهملة ـ وهو طعام يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، وقد يقال : أقط فلان القوم يأقطهم ـ من مثال ضرب يضرب ـ إذا أطعمهم الأقط ، كما يقال « لبنهم » أى أطعمهم اللبن ، و « لبأهم » أى أطعمهم اللبأ ، وحكى اللحيانى : أتيت بنى فلان فخبزوا وأقطوا وحاسوا ، أى أطعمونى الخبز والأقط والحيس ، هكذا حكاه اللحيانى من غير أن تعدى هذه الأفعال . ومحل الشاهد فى هذا البيت قوله « وتمر » فإن ظاهره أن هذه الكلمة معطوفة بالواو على قوله « ألبان » فيكون قوله «شراب» مسلطا على المعطوف والمعطوف عليه، لكن كل من التمر والأقط مطعوم مأكول، لا مشروب، كما هو واضح ، ولهذا خرجه العلماء على أحد وجهين : الأول أن تقدر عاملا للتمر يكون معطوفا على شراب ، والتقدير على هذا : شراب ألبان وطعام تمر وأقط ، والثانى أن تتوسع فى شراب فتضمنه معنى كلة أخرى يصح أن تتسلط على المعطوف والمعطوف عليه جميعا ، والتقدير على هذا : متناول ألبان وتمر وأقط ، وهذا واضح إن شاء الله .

ومن شواهد هذه المسألة ما أنشده ابن جنى (الخصائص ٢/٤٣٢) والمرتضى (الأمالى ٢/٢٥٩) من قول الراجز :

تسمع للأحشاء منه صردا وفى اليدين جسأة وبددا

الجسأة ـ بالضم ـ الصلابة واليبس ، والبدد : التفرق ، وكل من الصلابة و تفرق لا يسمع ، فوجب أن تقدرلها فعلا ، وكأنه قال : وترى فى اليدين جسأة وبددا ، أو تضمن قوله تسمع معنى فعل يصح أن يتسلط على كل من الصرد والصلابة والتفرق ، وكأنه قال : تحس منه .

معطوفا على المور لأنه ليس للقطر سَوَافٍ » قلنا : يجوز أن يكون قد سمى ما تسفيه الريح منه وقت نزوله سوافى كما يسمى ما تسفيه الريح من الغبار سوافى .

وأما قول الآخر :

* كَأَنَّ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ *[٣٩١]

فنقول الرواية « المرمل » بكسر الميم — فيكون من وصف العنكبوت لا النسج ، وإن كانت الرواية التى ذكرتم صحيحة وأنه مجرور على الجوار ، إلا أنه لا حجة فيه ؛ لأن الحمل على الجوار من الشاذ الذى لا يعرج عليه .

وكذلك قوله :

* قُطْنًا بِمُسْتَحْصِدِ الْأَوْتَارِ مَحْلُوجِ * [٣٩٠]

وقولهم « جحر ضب خرب » محمول على الشذوذ الذى يقتصر فيه على السماع لقلته ، ولا يقاس عليه ؛ لأنه ليس كل ما حكى عنهم يقاس عليه ، ألا ترى أن اللحيانى حكى أن من العرب من يجزم بلن وينصب بلم ، إلى غير ذلك من الشواذ التى لا يلتفت إليها ولا يقاس عليها ، فكذلك ها هنا ، والله أعلم .

٨٥ — مسألة

[عامل الرفع فى الاسم المرفوع بعد « إن » الشرطية][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسمُ المرفوعُ بعد « إنِ » الشرطية

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٦١/٢) وشرحنا الكبير على شرح الأشمونى (٢٣٩/٢ وما بعدها) وكتاب سيبويه (٦٧/١ ومايليها) ومفصل الزمخشرى (١٤٩/١ بتحقيقنا) وشرح الرضى على الكافية (٢٣٧/٢)وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٢١٣) .

نحو قولك « إنْ زَيْدٌ أتانى آتِهِ » فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .

وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والتقدير فيه : إن أتانى زيد ، والفعل المظهر تفسير لذلك الفعل المقدر .

وحكى عن أبى الحسن الأخفش أنه يرتفع بالابتداء .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما جوزنا تقديم المرفوع مع « إنْ » خاصة وعملَهَا فى فعل الشرط مع الفصْل لأنها الأصل فى باب الجزاء ؛ فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها ، وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكنى المرفوع فى الفعل هو الاسم الأول ؛ فينبغي أن يكون مرفوعاً به ، كما [٢٥٥] قالوا : « جاءنى الظريف زيد » وإذا كان مرفوعا به لم يفتقر إلى تقدير فعل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يرتفع بتقدير فعل لأنه لا يجوز أن يُفْصَلَ بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعلُ ، ولا يجوز أن يكون الفعل ها هنا عاملا فيه ؛ لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعاً بلا رافع ، وذلك لا يجوز ؛ فدل على أن الاسم يرتفع بتقدير فعل ، وأن الفعل المُظْهَرَ الذى بعد الاسم يدل على ذلك المقدر .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما جوزنا تقديمَ المرفوع مع « إنْ » خاصة لقوتها لأنها الأصل فى باب الجزاء دون غيرها من الأسماء والظروف التى يجازى بها » قلنا : نسلم أن «إنْ» هى الأصل فى باب الجزاء ، ولكن هذا لا يدل على جواز تقديم الاسم المرفوع بالفعل عليه ؛ لأنه يؤدى إلى أن يتقدم ما يرتفع بالفعل عليه ، وذلك لا يجوز ؛ لأنه لا نظير له فى كلامهم ؛ فوجب أن يكون مرفوعاً بتقدير فعل ، ويكون الفعل الظاهر مفسراً له ، بلى لما كانت

« إنْ » هى الأصل اختصت بجواز تقديم المرفوع[1] بتقدير فعل مع الفعل الماضى خاصة ، دون غيرها من الأسماء والظروف التى يجازى بها ؛ لأنها هى الأصل ، وتلك الأسماء والظروف فرع عليها ، والأصل يتصرف مالا يتصرف الفرع ، ألا ترى أن همزة الاستفهام لما كانت هى الأصل فى حروف الاستفهام جاز فيها ما لم يجز فى غيرها من حروف الاستفهام ؟ فكذلك ها هنا .

وأما قول عَدِىّ :

٣٩٧ — فَمَتَى وَاغِلٌ يَنُبْهُمْ يُحَيُّو ... هُ وَتُعْطَفْ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِى

---

(١) محصل هذا الكلام أن إن الشرطية تختص من بين سائر أدوات الشرط بجواز وقوع اسم مرفوع بعدها ، بشرط أن يكون الفعل التالى للاسم المرفوع ماضيا ، وارتفاع هذا الاسم بفعل مقدر عند البصريين أصحاب هذا الكلام ، وليس هو مقدما على عامله كما يقول الكوفيون .

٣٩٧ — هذا البيت من كلام عدى بن زيد العبادى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٤٥٨) وابن يعيش (ص ١٢١٤) ورضى الدين فى باب الاشتغال وباب الجوازم من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٤٥٦ و ٣/٦٣٩) والواغل — بالغين المعجمة — هو الرجل يدخل على الشرب من غير أن يدعوه ، يقال : وغل يغل — من مثال وعد يعد — وغلا فهو واغل وهو أيضاً وغل — بسكون الغين — والذى يدخل على القوم وهم يأكلون من غير أن يدعوه أحد يقال له : وارش ، أو طفيلى ، وينبهم : أى ينزل بهم ، ويروى فى مكانه « يزرهم » ويروى أيضاً «يجبهم» و «تعطف» مضارع مبنى للمجهول ، والكأس : وعاء الخمر ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « متى واغل ينبهم » فإن الشاعر فصل بالاسم المرفوع بين أداة الشرط وفعل الشرط ، وقد خرجه النحاة على أن هذا الاسم المرفوع فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعد ، وتقدير الكلام : متى ينبهم واغل ينبهم ، قال الأعلم « الشاهد فيه تقديم الاسم على الفعل فى متى ، مع جزمها له ، ضرورة ، وارتفاع الاسم بعدها بإضمار فعل يفسره الظاهر ، لأن الشرط لا يكون إلا بالفعل» اهـ. وفى عبارته هذه مؤاخذة ؛ لأنه —وقد=

وقال الآخر :

٣٩٨ — صَعْدَةٌ نَابِتَةٌ فى حَائِرٍ أَيْنَمَا الرِّيحُ تُمَيِّلْهَا تَمِلْ

جعل الاسم المرفوع بعد أداة الشرط معمولا لفعل محذوف يلى أداة الشرط — لا يكون الاسم المرفوع متقدما ، بل هو — على هذا — واقع فى موقعه ، فتنبه لهذا .

٣٩٨ — هذا البيت من كلام كعب بن جعيل بن قمير — بضم أولهما على زنة التصغير — ابن عجرة ، أحد بنى تغلب بن وائل ، وهو شاعر إسلامى كان فى عهد معاوية بن أبى سفيان والبيت من شواهد سيبويه (١/٤٥٨) وشواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢١٤) وشواهد رضى الدين فى باب الاشتغال وباب الجوازم من شرح الكافية وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٤٥٧) وشواهد ابن عقيل (رقم ٣٣٦) والأشمونى (رقم ١٠٦٦) وابن الناظم فى باب الجوازم ، وشرحه العينى (٤/٤٣٤) وقبل هذا البيت مما يبين معناه قوله :

وضجيع قد تعللت به طيب أردانه غير تفل

والصعدة — بفتح فسكون — القناة التى تنبت مستوية ، والحائر : المكان الذى يكون وسطه منخفضا وحروفه مرتفعة عالية ، وإنما جعل الصعدة فى هذا المكان لأنه يكون أنعم لها وأسد لنبتتها ، شبه امرأة بقناة مستوية لدنة قد نبتت فى مكان مطمئن الوسط مرتفع الجوانب والريح تعبث بها وهى تميل مع الريح ، وموطن الاستشهاد من هذا البيت قوله « أينما الريح تميلها » حيث وقع اسم مرفوع بعد أداة الشرط ، ووقع بعد هذا الاسم المرفوع فعل مضارع مجزوم ضرورة ، وقد خرج النحاة ذلك على أن الاسم المرفوع فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل المتأخر ، وهذا الفعل المحذوف هو فعل الشرط ، وقد دعاهم إلى هذا أنهم يرون أدوات الشرط تختص بالأفعال ، ولا يجوز أن تليها الأسماء المرفوعة على الابتداء ، فإن وليها اسم مرفوع فإن كانت الأداة « إن » والفعل المتأخر ماضيا جاز ذلك ، ثم اختلفوا فى رافع هذا الاسم الخلاف الذى ذكره المؤلف ، وإن كانت الأداة غير «إن» أو كان الفعل غير ماض لم يكن ذلك جائزاً إلا أن يضطر إليه شاعر، وحينئذ يكون ارتفاعه على ما ذكرنا . قال سيبويه « واعلم أن قولهم فى الشعر : إن زيد يأتك يكن كذا ، إنما ارتفع على فعل هذا تفسيره ، كما كان فى قولك : إن زيداً رأيته يكن ذلك ؛ لأن إن لا تبتدأ بعدها الأسماء ثم يبنى عليها » اهـ .

وقول الآخر :

٣٩٩ — فَمَنْ نَحْنُ نُؤْمِنْهُ يَبِتْ وَهْوَ آمِنٌ
وَمَنْ لاَ نُجِرْهُ يُمْسِ مِنَّا مُفَزَّعَا

فهو ضعيف لايجوز فى الكلام ؛ لأنه قدر الفعل بعد مَتَى وأينما ومَنْ ، وهى فرع على إنْ ، ولأنه فعل مضارع يظهر فيه عملُ حرفِ الجزمِ ، وذلك [٢٥٦] ضعيف فى إنْ فى الكلام ، فإنما يجوز فى الشعر ، وإذا كان ذلك ضعيفاً فى إنْ وهى الأصل ففيما هو فَرْعٌ عليه أولى ، ولو كان فعلا ماضيا لكان فى هذه المواضع أسْهَلَ ؛ إذ كان ذلك جائزاً فى إنْ فى الكلام دون غيرها ، وهذا كله شىء يختص بالشعر ، ولايجوز فى الكلام .

وأما قولهم « إنه يرتفع بالعائد ؛ لأن المَكْنِيَّ المرفوعَ فى الفعل هو الاسم الأول فينبغى أن يكون مرفوعاً به كما قالوا : جاءَنِي الظريفُ زيد» قلنا: هذا باطل؛لأن ارتفاع زيد فى«جاءنى الظريفُ زيدٌ » إنما كان على البَدَل من الظريف،وجاز أن يكون بدلا

٣٩٩ — هذا البيت من كلام هشام المرى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٤٥٨) ورضى الدين فى باب الجوازم من شرح الكافية ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٦٤٠) وشواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٥٢) ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « فمن نحن نؤمنه » حيث وقع الضمير المنفصل المرفوع بعد أداة الشرط وبعده فعل مضارع مجزوم ، فيظن من لا علم عنده أن هذا المضارع المجزوم قد عملت فيه أداة الشرط المذكورة،ولكن النحاة البصريين لايرون ذلك، ويجعلون الضمير المنفصل فاعلا بفعل محذوف يفسره هذا الفعل المذكور بعده ،وتقدير الكلام : فمن نؤمنه نؤمنه ،فلما حذف فعل الشرط الذى هو الفعل الأول من هذين الفعلين وفيه ضمير مستتر واجب الاستتار تقديره نحن برز هذا الضمير فصار الكلام : فمن نحن نؤمنه ، فهذا الضمير البارز المنفصل المرفوع هو الضمير الذى كان مستتراً فى الفعل المحذوف ، وهذا الفعل المذكور جىء به تفسيراً وبيانا لذلك الفعل المحذوف ، فاعرف هذا ، وكن منه على ثبت .

لتأخر البَدَلِ عن المبدل منه ، فأما هاهنا فلا يجوز أن يكون بدلا ؛ لأنه لا يجوز أن يتقدم البدل على المبدل منه ، وقد بينا بطلان الرفع بالعائد فى موضعه بما يغنى عن الإعادة ها هنا .

وأما ماذهب إليه أبو الحسن الأخفش من أنه يرتفع بالابتداء ففاسد ؛ وذلك لأن حرف الشرط يقتضى الفعلَ ويختص به دون غيره ، ولهذا كان عاملا فيه ، وإذا كان مقتضياً للفعل ولا بُدَّ له منه بطل تقدير الابتداء ؛ لأن الابتداء إنما يرتفع به الاسمُ فى موضع لايجب فيه تقديرُ الفعلِ ؛ لأن حقيقة الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية المظْهَرَة أو المقدَّرة ، وإذا وجب تقديرُ الفعلِ استحال وجودُ الابتداء الذى يرفع الاسم .

وبهذا يبطل قول من ذهب من الكوفيين وغيرهم إلى أن الاسم بعد « إذا » مرفوع لأنه مبتدأ إما بالترافع أو بالابتداء فى نحو قوله تعالى : (إذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) لأن « إذا » فيها معنى الشرط ، والشرط يقتضى الفعل ؛ فلا يجوز أن يحمل على غيره ، والله أعلم .

٨٦ — مسألة

[هل يجوز تقديمُ اسمٍ مرفوع أو منصوب فى جملة جواب الشرط ؟
وما يترتَّبُ عليه(١) ؟]

ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسمُ المرفوعُ فى جواب الشرط فإنه لايجوز فيه الجزمُ ، ووجب الرفعُ ، نحو « إن تَأْتِنِى زَيْدٌ يُكْرِمُكَ » واختلفوا فى تقديم

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الرضى على كافية ابن الحاجب (٢/٢٣٨) .

المنصوب فى جواب الشرط نحو « إن تأتِنِى زيداً أُكْرِمْ » فأباه أبو زكرياء [٢٥٧] يحيى بن زياد الفراء ، وأجازه أبو الحسن على بن حمزة الكسائى .

وذهب البصريون إلى أنَّ تقديم المرفوع والمنصوب فى جواب الشرط كله جائز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز فيه الجزمُ ، وذلك لأن جزم جواب الشرط إنما كان لمجاورته فعلَ الشرطِ ، فإذا فارَقه بتقديم الاسم بطلت المجاورة الموجبة للجزم ، فبطل الجزم ، وإذا بطل الجزم وجب فيه الرفع .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز ، وذلك لأنه يجب أن يقدر فيه فعل كما وجب التقديرُ مع تقديم الاسم على فعل الشرط ؛ لأن حرف الشرط يعمل فيهما ، على ما بينا ، فكما وجب التقدير مع تقديمه على فعل الشرط فكذلك مع تقديمه على جواب الشرط ، ولا فرق بينهما .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما قلنا إنه لا يجوز فيه الجزم ؛ لأن الجزم فى جواب الشرط إنما كان لمجاورته فعل الشرط ؛ فإذا فارقه بتقديم الاسم وجب أن يبطل الجزم» قلنا : قد ذكرنا بطلان كون المجاورة موجِبَةً للجزم فى موضعه وبينا فساده بما يغنى عن الإعادة .

والذى يدل على فساد ماذهب إليه الفراء من مَنْعِ جواز تقديم المنصوب قولُ طُفَيْلٍ الغَنَوِى :

٤٠٠ — وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ ؛ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا
وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الْخَيْرَ تُعْقِبِ

---

٤٠٠ — هذا البيت من قصيدة طويلة لطفيل الغنوى — وهو أحد شعراء قيس الفحول ، وكان يلقب « طفيل الخيل » لكثرة وصفه إياها ، كما كان يلقب « المحبر » لجودة وصفه — وبعد البيت المستشهد به قوله :

وقد كان حيانا عدوين فى الذى خلا ؛ فعلى ما كان فى الدهر فارتبى =

فنصب « الخيرَ » بِتُعْقِبْ ، وتقديره : تعقب الخير ، و « تعقب » مجزوم ، وإنما كسرت الباء لأن القصيدة مجرورة ، وإنما كان هذا فى المجرورة دون المرفوعة والمنصوبة لوجهين ؛ أحدهما : أن الجزم فى الأفعال نظيرُ الجر فى الأسماء ، فلما وجب تحريكه حركوه حركةَ النظيرِ ، والثانى : أن الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل ،

=إلى اليوم لم تحدث إليكم وسيلة ولم تجدوها عندنا فى التنسب
جزيناهم أمس العظيمة ؛ إننا متى ما تكن منا الوثيقة نطلب

وإنما روينا لك هذه الأبيات لتعلم أن روى هذه القصيدة مكسور لأن لذلك مدخلا فى بيان الاستشهاد بالبيت ، والبيت من شواهد رضى الدين فى باب الجوازم ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٦٤٢)وقوله «وللخيل أيام» مبتدأ مؤخر وخبر مقدم ، وقوله : « من يصطبر لها » من اسم شرط ، والفعل بعده مجزوم به على أنه فعل الشرط، وقوله « ويعرف لها أيامها » الفعل معطوف على فعل الشرط ، ولهذا كان مجزوما ، والخير : مفعول مقدم لتعقب ، وتعقب الخير . أى تحدث الخير فى عاقبة أمرها ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « الخير تعقب » فإن قوله تعقب فعل مضارع واقع جواب الشرط الذى هو « من » والدليل على أنه جواب الشرط أنه مكسور للروى ، ولا يجوز أن يكون هذا الفعل مرفوعا ولا أن يكون منصوبا ، لأنهم لا يستسيغون كسر الفعل المضارع لأجل الروى إلا أن يكون مجزوما ، والسر فى هذا يرجع إلى أمرين ، الأول أن الجزم فى الأفعال نظير الجر فى الأسماء ، كل واحد منهما يختص به قبيل منهما ، فالجر يختص به الاسم ، والجزم يختص به الفعل ، فلما وجب تحريك الفعل المضارع المجزوم لأجل الروى حركوه بالحركة التى يختص بها نظيره وهى الكسرة ، والوجه الثانى أن الفتحة والضمة يدخلان الفعل المضارع؛فلو أنهم حركوا المضارع المجزوم بالفتحة أوالضمة حين تدعوهم الحاجة إلى تحريكه لالتبس الأمر فلم يعرف أهذه الحركة أصلية أم عارضة لأجل الروى ، ولكن إذا كسروا آخره للروى وقد علم أن الكسر لا يدخله بالأصالة علم من أول وهلة أن هذه الكسرة طارئة وليست أصلية ،وهذا ظاهر إن شاء الله أبلغ الظهور ، ومتى عرف أن هذا الفعل المضارع مجزوم وقد سبقه أداة شرط وفعل الشرط علم أنه جواب الشرط . وأن كلمة « الخير » مفعول به لهذا الفعل تقدم عليه ؛ فدل ذلك على أنه يجوز تقديم الاسم المنصوب بجواب الشرط مع أن جواب الشرط مجزوم ؛ فهذا إيضاح كلام المؤلف فى هذا الموضوع وبيانه بأوضح عبارة ، والله سبحانه أعلى وأعلم

ولا يدخله الجر ، فلو حركوه بالضم أو الفتح لالتبس حركة الإعراب بحركة البناء ، بخلاف الكسر ؛ فإنه ليس فيه لَبْسٌ .

والذى يدل على فساد ماذهب إليه الفراء من امتناع جواز تقديم المنصوب أنَّا أجمعنا على أن المنصوب فَضْلَةٌ فى الجملة ، بخلاف المرفوع ؛ فينبغى أن لايعتد بتقديمه كتقديم المرفوع ، والله أعلم .

٨٧ — مسألة

[القول فى تقديم المفعول بالجزاء على حرف الشرط][(1)]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديمُ المفعول بالجزاء على حرفِ الشرط ، نحو « زَيْداً إنْ تَضْرِبْ أضْرِبْ » واختلفوا فى جواز نصبه بالشرط ؛ فأجازه الكسائى ، ولم يُجِزْهُ الفراء .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن ينصب بالشرط ولا بالجزاء .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز تقديم المنصوب بالجزاء على حرف الشرط ؛ لأن الأصل فى الجزاء أن يكون مقدماً على « إنْ » كقولك « أضْرِبُ إنْ تَضْرِبْ » وكان ينبغى أن يكون مرفوعاً ، إلا أنه لما أُخِّرَ انجزم بالجوارِ على ما بينا ، وإن كان من حقه أن يكون مرفوعاً .

والذى يدلُّ على ذلك قولُ الشاعر :

٤٠١ — يَا أَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ   إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أخُوكَ تُصْرَعُ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (٢/٢٣٨) فإن كلامه فى هذه المسألة وكلام المؤلف يخرجان من مشكاة واحدة .

٤٠١ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وهما من شواهد سيبويه (١/٤٣٦) وقد نسبه إلى جرير بن عبد الله البجلى ، وأقر الأعلم هذه النسبة ، وهو أيضاً من شواهد =

. . . .

=رضى الدين فى باب المجموع وباب الجوازم من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣٩٦ و ٦٤٣) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٧ ١٢) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٨٠٧) والأشمونى (رقم ١٠٨٣) وابن عقيل(رقم ٣٤٢) وشرحه العينى (٤/٤٣٠) وذكر العينى والبغدادى أن الرجز ينسب إلى عمرو بن خثارم البجلى وأسند العينى ذلك إلى الصاغانى ، والأقرع بن حابس : أحد علماء العرب وحكامهم فى زمانه ، وكان جرير بن عبد الله البجلى قد تنافر إليه هو وخالد بن أرطاة الكلبى ، ويصرع — بالبناء للمجهول — أراد يهلك ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله « تصرع » فإن الرواية فيه بالرفع بدليل البيت السابق عليه ، وقد اختلف تخريج العلماء لذلك ، فأما سيبويه رحمه الله تعالى فقد جعل جملة « تصرع » خبرا لإن المؤكدة ، وهو مؤخر لفظا والنية به التقديم على أداة الشرط ، وكأنه قد قال : إنك تصرع إن يصرع أخوك ، وجواب الشرط محذوف لأن هذا دال عليه ومشير إليه ، قال سيبويه : « وقد تقول : إن أتيتنى آتيك ، أى آتيك إن أتيتنى ، قال زهير « وإن أتاه خليل . . . البيت ٤٠٢ » ولا يحسن : إن تأتنى آتيك ، من قبل أن إن هى العاملة ، وقد جاء فى الشعر ، قال جرير بن عبد الله البجلى * . . . إنك إن يصرع أخوك تصرع * أى إنك تصرع إن يصرع أخوك ، ومثل ذلك قوله :

هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب

أى المرء ذيب إن يلق الرشا ، قال الأصمعى : هو قديم ، أنشدنيه أبو عمرو ، وقال ذو الرمة :

وإنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر

أى ناظر متى أشرف ، فجاز هذا فى الشعر ، وشبهوه بالجزاء إذا كان جوابه منجزما» اهـ كلامه ، وخلاصته أنه إذا كان فعل الشرط ماضيا جاز رفع المضارع الواقع جزاء وهذا هو الذى عبر عنه بقوله « وقد تقول : إن أتيتنى آتيك » وإذا كان فعل الشرط مضارعا مجزوما لم يجز أن ترفع المضارع الواقع جوابا ؛ لأن عمل الجازم قد ظهر فى فعل الشرط ، وهذا هو الذى عبر عنه بقوله « ولا يحسن : إن تأتنى آتيك » لكن إذا وقع مثل هذا فى ضرورة الشعر كان تخريجه على ما ذكر من أن المتأخر دليل الجواب، وليس جوابا ، وأما أبو العباس المبرد فقد جعل المتأخر هو الجواب وتمحل له بأنه على=

والتقدير فيه : إنك تصرعُ إن يُصْرَعْ أخوك ، ولولا أنه فى تقدير التقديم ، وإلا لمـا جاز أن يكون مرفوعاً ، ولوجب أن يكون مجزوماً ، وقال زهير :

٤٠٢ — وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ   يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِى وَلاَ حَرِمُ

= تقدير فاء الربط ومبتدأ تقع جملة المضارع خبرا عنه،وتقدير الكلام على هذا : إنك إن يصرع أخوك فأنت تصرع وجملة المبتدأ والخبر فى محل لجزم جواب الشرط ، والجملة الشرطية فى محل رفع خبر إن ، وتقدير البيت الذى أنشده الأصمعى على كلام المبرد : والمرء عند الرشا إن يلقها فهو ذيب ، وتقدير بيت ذى الرمة على هذا : وإنى متى أشرف فأنا ناظر ، قال الأعلم فى تخريج بيت الشاهد « الشاهد فيه على مذهبه تقديم تصرع فى النية ؛ وتضمنه الجواب فى المعنى ، والتقدير : إنك تصرع إن يصرع أخوك ؛ وهذا من ضرورة الشعر ؛ لأن حرف الشرط قد جزم الأول فحكمه أن يجزم الآخر ، وهو عند المبرد على حذف الفاء » اهـ

٤٠٢ — هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى ، وهو من شواهد سيبويه (٤٣٦/١) ومفصل الزمخشرى ، وشرحه لابن يعيش (ص ١٢٠٦) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٦٧٩) وفى أوضح المسالك (رقم ٥١١) وفى شرح شذور الذهب (رقم ١٧٥) والأشمونى (رقم ١٠٨١) وابن عقيل (رقم ٣٤١) وابن الناظم فى باب الجوازم، وشرحه العينى (٤٢٩/٤ بهامش الخزانة) والقالى فى أماليه (١٩٣/١ ط الدار) وقوله «وإن أتاه خليل» الضمير المنصوب يعود إلى هرم بن سنان المرى، والخليل: الفقير المحتاج؛وأصله الخلة ـ بفتح الخاء وتشديد اللام ـ وهى الفقر، ومن أمثال العرب «الخلة تدعو إلى السلة » أى الفقر يدعو إلى السرقة ، ويوم مسألة : يروى فى مكانه « يوم مسغبة » وقوله « لاغائب مالى » يريد أنه لايعتذر للمحتاج بأن ماله غائب ، وقوله«ولا حرم» هو بفتح الحاء المهملة وكسر الراء ،ومعناه المحروم،وهوعلى تقدير مبتدأ،أى ولا أنت محروم؛ ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « يقول » فإنه فعل مضارع وقع بعد أداة شرط وفعل شرط ماض ؛ وقد جاء هذا المضارع مرفوعا ؛ فأما سيبويه فيرى أن هذا المضارع ليس هو جواب الشرط ، ولكنه دليل على الجواب ، وهو على نية التقديم وإن كان متأخرا فى اللفظ ، فكأنه قال : يقول : لا غائب مالى ولا حرم إن أتاه خليل ، وأما أبو العباس المبرد فيذكر أن هذا المضارع هو نفس الجواب ؛ لكنه على تقدير فاء الربط ، وكأن الشاعر قد قال : إن أتاه خليل يوم مسألة فهو يقول لا غائب مالى ـ إلخ؛

والتقدير فيه : يقولُ إنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مسألة ، ولولا أنه فى تقدير التقديم ، وإلا لما جاز أن يكون مرفوعاً ، وقال الآخر :

٤٠٣ — فَلَمْ أرْقِهِ إنْ يَنْجُ مِنْهَا، وَإنْ يَمُتْ
فَطَعْنَـــــةُ لاَ غُسٍّ وَلاَ بِمُغَمَّرِ

والتقدير فيه : إنْ يَنجُ فَلَمْ أرْقِهِ ، فقدَّمه فى الموضع الذى يستحقه فى الأصل ،

وقد وافق أبو العباس فى ذلك مذهب الكوفيين وأبى زيد ؛ وقد رجحه العلامة موفق الدين بن يعيش ؛ قال « فسيبويه يتأوله على إرادة التقديم ، كأن المعنى : يقول إن أتاه خليل ، وقد استضعف ؛ والجيد أن يكون على إرادة الفاء، فكأنه قال : فيقول » اه .

٤٠٣ — هذا البيت لزهير بن مسعود ، وقد أنشده ابن منظور فى لسان العرب (غ س س) وقد أنشده ابن جنى فى الخصائص (٢/٣٨٨) وأبو زيد فى النوادر(ص ٧) ثانى بيتين ، والغس — بضم الغين وتشديد السين المهملة — الضعيف اللئيم من الرجال ، وجمعه أغساس وغساس — بوزن رجال — وغسوس ، وقال ابن الاعرابى : هم الضعفاء فى آرائهم وعقولهم ، والمغمر — بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة — هو الذى لم يجرب الأمور والناس يستجهلونه ، ومثله الغمر — بفتح أوله وثانيه ساكن أو مفتوح أو مكسور ، وبضم أوله مع سكون ثانيه — وقال ابن سيده : هو من لا غناء عنده ولا رأى ، وقال ابن الأثير : هو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « فلم أرقه إن ينج منها » حيث قدم ما يصلح أن يكون جوابا على أداة الشرط ، ألا ترى أنه لو قال « إن ينج منها فلم أرقه » لصح الكلام ، فتقديم الشاعر ما يصلح أن يكون جوابا يدل على أن هذا هو موضعه من الكلام ، فيكون قول زهير « يقول لا غائب — إلخ » وقول جرير البجلى « تصرع » متقدما فى النية وإن تأخر فى اللفظ ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه سيبويه رحمه الله من أن الفعل المتأخر عن أداة الشرط وفعل الشرط إذا كان غير مجزوم فهو على نية التقديم، من قبل أن هذا هو الموضع الأصلى له ، فاعرف ذلك وتنبه له ، فأما البصريون فلا يرون ذلك ، ويجعلون التقدم دليلا على الجواب ، وليس هو نفس الجواب تقدم ، لأن الجواب مجزوم بالشرط ، وقد تكرر أن عامل الجزم ضعيف ، ومن آثار ضعفه ألا يتقدم معموله عليه .

و إذا ثبت هذا وأنه فى تقدير التقديم ؛ فوجب جوازُ تقديمِ معمولهِ على حرف الشرط ؛ لأن المعمول قد وقع فى موقع العامل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم معمول الشرط والجزاء على حرف الشرط ؛ لأن الشرط بمنزلة الاستفهام ، والاستفهام له صَدْرُ الكلام ، فكما لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله فكذلك الشرط ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال « زَيْدًا أَضَرَبْتَ » ؟ فكذلك لا يجوز أن يقال « زَيْدًا إنْ تَضْرِبْ أضْرِبْ » .

والذى يدلُّ [٢٥٩] على ذلك أنَّ بين الاستفهام و بين الشرط من المشابهة مالا خَفَاء به ، ألا ترى أنك إذا قلت « أَضَرَبْتَ زَيْدًا ؟ » كنت طالبا لما لم يستقر عندك ، كما أنك إذا قلت « إنْ تَضْرِبْ زَيْدًا أضْرِبْ » كان كلاماً معقوداً على الشك ؛ فإذا ثبتت المشابهة بينهما من هذا الوجه ؛ فينبغى أن يُحْمَلَ أحدها على الآخر ؛ فكما لا يجوز أن يتقدم ما بعد الاستفهام عليه ؛ فكذلك الشرط .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنَّ الأصل فى الجزاء أن يكون مقدَّماً على الشرط » قلنا : لا نسلم ، بل مرتبة الجزاء بعد مرتبة الشرط ؛ لأن الشرط سبب فى الجزاء ، والجزاء مُسَبَّبه ، ومحال أن يكون المسبب مقدماً على السبب ، ألا ترى أنك لا تقول « إن أشكرك تُعْطِنِي(١) » وأنت تريدُ إن تعطنى أشكرك ؛ لاستحالة أن يتقدم المسبب على السبب ، و إذا ثبت أن مَرْتَبَةَ الجزاء أن تكون بعد الشرط وجب أن تكون مرتبة معمولهِ كذلك ؛ لأن المعمـــــول تابع للعامل .

وأما قول الشاعر :

* إنك إن يُصْرَعْ أخوكَ تُصْرَعُ * [٤٠١]

---

(١) لكنه لو قال « أشكرك إن تعطنى » كان صحيحا وأفاد المعنى ، وهو موطن الخلاف ، فتامل .

فلا حجة لهم فيه ؛ لأنه إنما نَوَى به التقديم وجَعْلَه خبراً لإنَّ لأجل ضرورة الشعر ، وما جاء لضرورة شعر أو إقامة وزن أو قافية فلا حجة فيه .

وأما قول زهير :

وإنْ أتاه خَلِيلٌ يوم مسألةٍ يقول . . . . . . [٤٠٢]

فلا نُسَلِّم أنه رفَعَه لأن النية به التقديمُ ، وإنما رفعه لأن فعل الشرط ماضٍ ، وفعل الشرط إذا كان ماضياً نحو « إنْ قُمْتَ أقُومُ » فإنه يجوز أن يبقى على رفعه ؛ لأنه لما لم يظهر الجزمُ فى فعل الشرط تُرِكَ الجوابُ على أول أحواله ــ وهو الرفع ــ وهو وإن كان مرفوعاً فى اللفظ فهو مجزوم فى المعنى ، كقولك « يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ » لفظُه مرفوعٌ ومعناه دعاء مجزوم ، كقولهم « لِيغفرِ اللهُ لفلانٍ » .

وأما قولُ الآخر :

* فلم أرْقِهِ إنْ يَنْجُ مِنها . . . * [٤٠٣]

فلا حجة لهم فيه ؛ لأن قوله « فلم أرقه » دليلٌ على جواب الشرط ؛ لأن لم أفعل نَفْىٌ لفعلْتُ ، وفعلْتُ تنوبُ مَنَابَ جواب الشرط المحذوف ، كما [٢٦٠] قال الشاعر :

٤٠٤ — يَا حَكَمُ الْوَارِثَ عَنْ عَبْدِ المَلِكْ
أوْدَيْتَ إنْ لَمْ تَحْبُ حَبْوَ الْمُعْتَنِكْ

---

٤٠٤ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما من أرجوزة لرؤبة بن العجاج يمدح فيها الحكم بن عبد الملك بن بشر بن مروان ، وأولهما من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ١٥) وفى شرح قطر الندى (رقم ٨٧) وثانيهما وحده من شواهد ابن منظور (ع ن ك ــ ح ب ا) وابن جنى فى الخصائص (٢ / ٣٨٩ و ٣ / ٣٣١) وبين البيتين فى أرجوزة رؤبة عدة أبيات ، و « أوديت » أى هلكت ، وتحبو : له معنيان أحدهما أن يكون من الحبو الذى هو الزحف ، وأصله مشى الصبى على يديه ورجليه ، =

. . . .

=والآخر أن يكون بمعنى تمنح وتعطى ، تقول : حباه يحبوه حبوا ، تريد أنه أعطاه ، والمعتنك ـ على زنة اسم الفاعل ـ أصله البعير يـكلف أن يصعد فى العانك من الرمل ، والعانك من الرمل هو ما انعقد منه ، ولايتأتى الصعود فيه إلا مع جهد ومشقة عظيمين والبعير قد يحبو فيه ويبطىء فى سيره ويشرف بصدره ويتلطف حتى يتمكن من صعوده يقول : إنى أهلك إن لم تمنحنى من عنايتك وترفقك بى وتلطفك فى معالجة شؤونى مثل ما يعطيه البعير من ذلك حين يريد أن يصعد فى عانك الرمل . ومحل الاستشهاد من هذا البيت ههنا قوله « أوديت إن لم تحب » فإن قوله « أوديت » فى هذه العبارة دليل على جواب الشرط المتأخر وهو قوله « إن لم تحب » ولا يجيز البصريون أن يكون قوله أوديت هو جواب الشرط ؛ لأن جواب الشرط معمول للشرط ، والشرط عامل ضعيف ومن آثار ضعف العامل : ألا يعمل محذوفا ، ولا متأخرا عن المعمول ، بل لابد أن يكون مذكورا متقدما على معموله ، وقد يجوز حذفه إن قام مقامه شىء ، قال ابن جنى: « أما قوله :

* فلم أرقه إن ينج منها ، وإن يمت *

فذهب أبو زيد إلى أنه أراد : إن ينج منها فلم أرقه ، وقدم الجواب . وهذا عند كافة أصحابنا غير جائز ، والقياس له دافع ، وعنه حاجز ، وذلك أن جواب الشرط مجزوم بنفس الشرط ، ومحال تقدم المجزوم على جازمه ، بل إذا كان الجار ـ وهو أقوى من الجازم ؛ لأن عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال ـ لا يجوز تقديم ما انجر به عليه كان ألا يجوز تقديم المجزوم على جازمه أحرى وأجدر ، وإذا كان كذلك فقد وجب النظر فى البيت ، ووجه القول عليه أن الفاء فى قوله فلم أرقه لا يخلو أن تكون معلقة بما قبلها أو زائدة ، وأيها كان فكأنه قال : لم أرقه إن ينج منها ، وقد علم أن لم أفعل نفى فعلت ، وقد أنابوا فعلت عن جواب الشرط ، وجعلوه دليلا عليه فى قوله :

يا حكم الوارث عن عبد الملك أوديت إن لم تحب حبو المعتنك

أى إن لم تحب أوديت ، فجعل أوديت المتقدم دليلا على أوديت هذه المتأخرة ، فكما جاز إن تجعل فعلت دليلا على جواب الشرط المحذوف كذلك جعل نفيها الذى هو لم أفعل دليلا على جوابه» اهـ . والنحاة يستشهدون بهذين البيتين فى مسألتين أخريين :=

أى : إنْ لَمْ تحبُ أوْدَيْتُ ، فجعل «أوديت» المقدَّمَ دلالَةً على أوديت المؤخر ؛ فكما جاز أن يجعل فَعَلْتُ دليلا على جواب الشرط المحذوف فكذلك يجوز أن يُجْعَلَ نَفْيُهَا الذى هو لم أفْعَلْ دليلا على جوابه ؛ لأنهم قد يحملون الشىء على ضده كما يحملونه على نظيره ، ألا ترى أنهم قالوا « امْرَأَةٌ عَدُوَّةٌ » كما قالوا « صَدِيقَةٌ » وقالوا « مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ » كما قالوا «عَتِيقَةٌ» وقالوا « جَوْعَانُ » كما قالوا « شَبْعَانُ » وقالوا «عَلِمَ» كما قالوا «جَهِلَ» ولهذا قال الكسائى فى قول الشاعر :

٤٠٥ — إذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعْجَبَنِي رِضَاهَا

= أما أولاهما ففى قوله « يا حكم الوارث » فإن قوله «الوارث» نعت للمنادى قبله ، وهذا النعت مقترن بأل ، ونعت المنادى المفرد إذا كان مقترنا بال يجوز رفعه تبعا للفظ المنادى ونصبه تبعا لمحله ، فإن المنادى المفرد العلم مبنى على الضم فى محل نصب ، وأما الثانية ففى قوله « أوديت » فإن هذا الفعل ماض فى اللفظ ، ولكنه مستقبل فى المعنى ، أى إنى أودى وأهلك إن لم تتداركنى ، واستعمل الماضى مكان المستقبل تحتقا لوقوعه وثقة منه بأنه كائن لا محاله ؛ فكأنه يقول : إن الجود منكم واقع متى أريد وواجب متى طلب

٤٠٥ هذا البيت من كلام القحيف العقيلى يمدح حكيم بن المسيب القشيرى ، وهو من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٢٢٥) وفى أوضح المسالك (رقم ٢٩٨) والأشمونى (رقم ٥٥٣) وابن الناظم فى باب حروف الجر من شرح الألفية ؛ وشرحه العينى (٣/٢٨٢ بهامش الخزانة) ورضى الدين فى باب حروف الجر من شرح الكافية ؛ وشرحه البغدادى (٤/٢٤٧) وابن جنى فى الخصائص (٢/٣١١ و٣٨٩) وأبى زيد فى نوادره (ص ١٧٦) وقشير — بزنة التصغير — هو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقوله « لعمر الله » أراد الحلف بإقراره لله تعالى بالخلود والبقاء بعد فناء الخلق ، وقد قالوا : عمرك الله ، وعمرى الله ؛ بنصب عمر على حذف حرف القسم ؛ وبنصب لفظ الجلالة على التعظيم ، وعمر : مصدر أضيف لفاعله الذى هو ياء المتكلم أو كاف المخاطب ، ويجوز رفع العمر على أنه مبتدأ حذف خبره وجوبا : أى لعمرك الله قسمى . ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله «رضيت على» حيث عدى رضى بعلى ؛ =

إنه لما كان « رضيتُ » ضِدَّ سَخِطْتُ ، وسَخِطْتُ تعدَّى بعلى ، فكذلك «رضيت» حملا له على ضِدِّه ؛ فكذلك ها هنا : جعل لم أفعل دليلا على جواب الشرط المحذوف ؛ حملا على فعَلْتُ .

=والأصل فى هذا الفعل أن يتعدى بعن كما فى قوله تعالى(رضى الله عنهم، ورضوا عنه) وللعلماء فى ذلك ثلاثة تخريجات :

الأول: أن الشاعر وضع « على » موضع عن، وزعم من ذهب إلى هذا أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ؛ ومن أمثله ذلك قول دوسر بن غسان اليربوعى :

إذا ما امرؤ ولى على بوده وأدبر لم يصدر بإدباره ودى

يريد إذا امرؤ ولى عنى بوده وجفانى ثم رجع إلى الود لم يرجع برجوعه ودى ؛ فوضع على موضع عن كما فى بيت الشاهد ؛ ومن وضع حرف فى موضع حرف آخر قول عنترة فى معلقته :

بطل كأن ثيابه فى سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يريد أنه طويل القامة فإذا لبس ثيابه فكأنها نشرت على شجرة مشرفة عالية . فوضع فى موضع على ، ومن ذلك قول أعرابى من طيء :

نلوذ فى أم لنا ماتغتصب من الغمام ترتدى وتنتقب

أراد بالأم جبلا من جبال طيء ؛ وما تغتصب : أى أنها منيعة على من أرادها ؛ وقد وضع فى موضع الباء فى قوله « نلوذ فى أم لنا » لأن « لاذ » يتعدى بالباء .

التخريج الثانى : أن يضمنوا الفعل المذكور فى الكلام معنى فعل آخر يتعدى بالحرف المذكور ؛ فيضمنوا « رضى » فى قول القحيف معنى عطف أو أقبل ؛ وكل من عطف وأقبل يتعدى بعلى ، وهكذا .

والتخريج الثالث : أن يحمل الفعل على ضده ؛ فيحمل « رضى » فى بيت القحيف على سخط ، وسخط يتعدى بعلى ، ويحمل « ولى » فى قول الطائى « ولى على بوده » على أقبل ، وأقبل ضد ولى ، وهكذا .

وليس كل كلام يمكن تخريجه على كل واحد من هذه التخريجات الثلاثة ، بل يحمل على مايمكن منها . وفى هذا ما يكفى أو يغنى

وحذف جواب الشرط كثير فى كلامهم إذا كان فى الكلام ما يدلُّ على حذفه ، كقولهم « أنتَ ظَالِمٌ إنْ فَعَلْتَ كَذَا » أى : إن فعلت كذا ظلمت ، فحذف «ظلمت» لدلالة قوله «أنت ظالم» عليه ، والشواهد على حذف جواب الشرط فى كلامهم للدلالة عليه أكثرُ من أن تحصى ، والله أعلم .

٨٨ ــ مسألة

[القول فى « إنِ » الشرطية ، هل تقع بمعنى إذْ ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « إنِ » الشرطية تقع بمعنى إذْ ، وذهب البصريون إلى أنها لاتقع بمعنى إذْ .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن «إنْ» قد جاءت كثيراً فى كتاب الله تعالى وكلام العرب بمعنى إذْ ، قال الله تعالى : (وَإنْ كُنتم فى رَيْبٍ مما نَزَّلْنَا على عَبْدِنا) أى : و إذ كنتم فى ريب ؛ لأن «إن» الشرطية تفيد الشك ، بخلاف « إذْ » ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : « إنْ قامتِ القيامة كان كذا » لما يقتضيه من معنى الشك ، ولو قلت « إذ قامت القيامة » أو « إذا قامت القيامة » كان جائزاً ؛ لأن إذ و إذا ليس فيهما معنى الشك [٢٦١] ، و إذا ثبت أن « إن » الشرطية فيها معنى الشك ؛ فلا يجوز أن تكون ها هنا الشرطية ؛ لأنه لاشك أنهم كانوا فى شك ؛ فدلَّ على أنها بمعنى إذْ ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ) أى : إذ كنتم مؤمنين ؛ لأنه لا شك فى كونهم مؤمنين ؛ ولهذا خاطبهم فى صَدْرِ الآية بالإيمان ، فقال : (يا أيها

---

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ٢٦ بتحقيقنا) وخزانة الأدب للبغدادى (٣/٦٥٦ فى أثناء شرح الشاهد رقم ٦٩٩) وإيضاح القزوينى (٨٨ – ٩٥ بتحقيقنا)

الذين آمنوا) ؛ فدل على أنها بمعنى إذْ ، وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أى : إذ كنتم مؤمنين ، وقال تعالى : (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أى : إذْ ، وقال تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) أى : إذ شاء الله ، وجاء فى الحديث عن الرسول صلوات الله عليه حين دخل المقابر : «سلامٌ عليكم أهل دَارِ قوم مُؤْمِنِينَ ، وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمُ لاحِقُونَ » أى : إذْ ، لأنه لا يجوز الشك فى اللحوق بهم ، وقال الشاعر :

٤٠٦ — وَسَمِعْتَ حَلْفَتَهَا التى حَلَفَتْ إنْ كَانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِى وَقْرِ

أى : إذْ ، والشواهِدُ على هذا النحو أكْثرُ من أن تُحْصَى .

---

٤٠٦ — الحلفة — بفتح الحاء وسكون اللام — واحدة الحلف ، وهو القسم ؛ تقول حلف فلان يحلف — من باب ضرب — حلفا بفتح فسكون أو بكسر فسكون أو بفتح فكسر ؛ ومحلوفا أيضا ؛ وهذا أحد المصادر التى جاءت على زنة المفعول مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور ؛ وقالوا « محلوفة بالله ما فعل كذا » بالنصب : أى يحلف محلوفة بالله ما فعل كذا ؛ وقال امرؤ القيس فى الحلفة :

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا ؛ فما إن من حديث ولاصالى

وقال زيد الفوارس الحصين بن ضرار الضبى :

تألى ابن أوس حلفة ليردنى إلى نسوة كأنهن مفائد

والوقر — بفتح الواو وسكون القاف — ثقل فى الأذن ؛ ويقال : هو أن يذهب السمع كله ؛ وقال الله تعالى (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ، وفى آذاننا وقر) وقال (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى) وقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفى آذانهم وقرا) وقال (ولى مستكبرا كان لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا) ومحل الاستشهاد فى هذا البيت هنا قوله « إن كان سمعك غير وقر » فإن الكوفيين زعموا أن « إن » ههنا بمعنى إذ ؛ والكلام تعليل لقوله « سمعت حلفتها » فإن المراد عندهم : سمعت حلفتها لأن سمعك سليم غير ذى وقر ؛ والذى دعاهم إلى هذا أن الأصل فى الشرط أن يكون مستقبلا؛ لأن القصد تعليق الجواب عليه ، وتعليق الشىء لا يكون على شىء مضى؛لأنه حينئذ لا فائدة فى تعليق وجود الجواب عليه؛ وإنما يكون التعليق =

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن الأصل فى « إنْ » أن تكون شرطاً ، والأصل فى «إذ» أن تكون ظرفاً ، والأصل فى كل حرفٍ أن يكون دالا على ما وضع له فى الأصل ، فمن تمسك بالأصل فقد تمسك باستصحاب الحال ، ومَنْ عَدَلَ عن الأصل بقى مرتهَناً بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على ما ذهبوا إليه .

وأما الجوابُ عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجُهم بقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) فلا حجة لهم فيه ، لأن «إنْ» فيه شرطية ، وقولهم « إنَّ إنِ الشرطية تفيدُ معنى الشك » قلنا : وقد تستعملها العربُ و إن لم يكن هناك شك، جَرْياً على عاداتهم فى إخراج كلامهم مُخْرَجَ الشك و إن لم يكن هناك شك، على ما بينا قبل ، ومنه قولهم « إنْ كُنْتَ إنساناً فأنْتَ تَفْعَلُ كَذَا ، و إن كُنْتَ ابْنِي فأَطِعْنِي » و إن كان لا يشك فى أنه إنسان وأنه ابنُه ، ومعناه أن مَنْ كان إنساناً أو ابناً فهذا حكمه ، فخاطبهم الله تعالى على عادة خطابهم فيما بينهم .

= فيما يأتى من الزمان ؛ فلما وجدوا «إن» تدخل على الفعل الماضى قالوا : إنه لا يراد بها التعليق حينئذ ، وإنما يراد بها التعليل ؛ وخرجوا ما أثره المؤلف من الآيات الكريمة ونحوها على هذا ؛ واستدلوا بجملة أبيات منها هذا البيت الذى أنشده المؤلف ههنا ؛ ومنها قول الفرزدق ؛ وهو من شواهد الرضى فى الجوازم وشواهد المغنى :

أتغضب إن أذنا قتيبة حزتا جهارا ؛ ولم تغضب لقتل ابن خازم؟

ومنها قول الآخر :

أتجزع إن بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع ؟

ومما يؤيدهم أنك تجد « إن » ـ فيما ذكروه من الآيات الكريمة والأبيات ـ لم يذكر بعدها جواب ؛ وأن الآيات قد قرىء فى كل منها بكسر همزة « إن » وقرىء بفتحها ؛ وكذلك الأبيات التى رووها تروى بكسر الهمزة وبفتحها ؛ فهذه ثلاثة أشياء : كون الفعل بعدها ماضيا ، وعدم ذكر جواب ، ورواية فتح الهمزة . وكلها يمنع أن تكون « إن » شرطية . وقد تمحل البصريون فى كل واحد من هذه الثلاثة : أما مضى الفعل فزعموا أنه ـ وإن كان ماضيا فى اللفظ ـ مستقبل فى المعنى ؛ لأنه سبب لما أريد التعليق عليه ، أو لأن المراد : إن يتبين كذا ، وأما عدم ذكر الجواب فقد ادعوا أنه محذوف لدلالة الكلام عليه وهو مراد ، وأما فتح الهمزة فقد أنكروا وروده .

وهذا هو الجواب عن جميع ما استشهدوا به من الآيات ، إلا قوله تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمنِينَ) فإن الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أن [٢٦٢] يكون الاستثناء وقع على دُخُولهم آمنين ، والتقدير فيه : لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرام آمنين إن شاء الله .

والوجه الثانى : أن يكون ذلك على طريق التأديب للعباد ليتأدبوا بذلك ، كما قال تعالى : (وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إلا أنْ يَشَاءَ اللهُ) .

وهذا هو الجواب عن قوله صلوات الله عليه : « و إنا إن شا الله بكم لاحقون» ، لأنه لما أدَّبه الحقُّ تعالى بقوله تعالى : (وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنى فاعل ذلك غَداً إلا أن يشاء الله) تمسَّكَ بالأدب ، وأحال على المشيئة فقال : « و إنا إن شاء الله بكم لاحقون » .

وعلى هذا أيضاً يحمل قول السلف « أنا مؤمن إن شاء الله تعالى » ، و يحتمل أيضاً وجهين آخرين :

أحدهما: أن يكونوا قالوا ذلك تَرْكاً لتزكية النفس، لا للشك ، كما قال تعالى : (فَلاَ تُزَكُّوا أنْفُسَكُمْ) وكما قيل لبعض الحكماء : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثَنَاء الرجل على نفسه .

والثانى : أن يكون قولهم « إن شاء الله » شكا فى وصف الإيمان ، لا فى أصل الإيمان ، والشك فى وصف الإيمان لا يقدح فى أصل الإيمان .

وأما قول الشاعر :

* إنْ كَانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِى وَقْرٍ * [٤٠٦]

فلا حجة فيه ، لأن «إنْ» فيه حَرْفُ شرطٍ ، لا بمعنى إذ ، واستغنى بما تقدم من قوله «وسمعت» عن جواب الشرط ، لدلالته عليه ، على ما بينا فيما تقدم ، والله أعلم .

* * *

٨٩ — مسألة

[القول فى « إن » الواقعة بعد « ما » أنافية مؤكدة أم زائدة ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنَّ « إنْ » إذا وقعت بعد « ما » نحو « ما إنْ زَيْدٌ قائم » فإنها بمعنى ما . وذهب البصريون إلى أنها زائدة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن « إن » تكون بمعنى « ما » وقد جاء ذلك كثيراً فى كتاب الله وكلام العرب ، قال الله تعالى : (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ) أى : ما الكافرون إلا فى غُرُور ، وقال تعالى : (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ) أى : ما أنتم ، وقال تعالى : (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا) أى : ما أنتم ، وقال تعالى : (إِنْ نَحْنُ إلا بَشَرٌ مِثْلُكُم) أى : ما نحن ، وقال تعالى : (بِئْسَمَا يأمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ، إِنْ[٢٦٣] كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أى : ما كنتم مؤمنين ، وقال تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ) أى : ما كان للرحمن ولد ، إلى غير ذلك ؛ فإذا ثبت أنها تكون بمعنى « ما » جاز أن يجمع بينها وبين « ما » لتأكيد النفى ، كالجمع بين إنَّ واللام لتوكيد الإثبات .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها ها هنا زائدة أن دخولها كخروجها ؛ فإنه لا فرق فى المعنى بين قول القول القائل « ما إنْ زَيْدٌ قائم » وبين « ما زيد قائما » فلما كان خروجها كدخولها تنزلت منزلة « من » بعد النفى ، كما قال تعالى : (مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ) أى ما لكم إله غيره ، وكما قال الشاعر :

---

(١) انظر فى هذه المسألة : توضيح الشيخ خالد الأزهرى (١/٢٣٦ بولاق) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٨٢) وشرح الرضى على كافية ابن الحاجب (٢/٣٥٧) .

* . . . وَمَا بالرَّبْعِ مِنْ أحَدِ * [١٥٩]

أى أحد ، وأشبهت « ما » إذا وقعت زائدة ، قال الله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ) أى : فبرحمة ، وقال تعالى : (عَمَّا قَلِيلٍ) أى : عن قليل ، وقال تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) أى : فبنقضهم ، و « ما » زائدة ، فكذلك ها هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنها تكون بمعنى ما » قلنا : نسلم أنها تكون بمعنى « ما » فى موضع ما ، فأما ما احتجوا به فأكثره نقول بموجبه ؛ إذ لا نمنع[1] أن تقع فى بعض المواضع بمعنى ما .

وأما ما احتجوا به من قوله تعالى : (بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مؤمنين) فلا نسلم أنَّ «إنْ» ها هنا بمعنى ما ، وإنما هى ها هنا شرطية ، وجوابه مقدر ، والتقدير فيه : إن كنتم مؤمنين فأى إيمان يأمر بعبادة عجل من دون الله تعالى ؟ وكذلك قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) لا نسلم أيضاً أنها ها هنا بمعنى ما ،وإنما هى شرطية ، وجوابه فأنا أول العابدين : أى الآنفين ، من قولهم « عَبِدَ الرجلُ يَعْبَدُ عَبَداً فهو عَبِدٌ وعابِدٌ » إذا أَنِفَ ، وجاء فى كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه « عَبِدْتُ فَصَمَتُّ » أى أى أنِفْتُ فسكتُّ ، وقال الشاعر :

٤٠٧ — أُولَائِكَ قَوْمِى إِنْ هَجَوْنِى هَجَوْتُهُمْ
وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ

---

(١) فى ر « إذ لا يمنع أن يقع » .

٤٠٧ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ع ب د) ونسبه إلى الفرزدق ، وقد بحثت ديوان الفرزدق فلم أجده ، وإن كان معنى البيت يتكرر كثيرا فى كلام الفرزدق ، كقوله لجرير :

ولست وإن فقأت عينيك واجدا   أبا لك إذ عد المساعى كدارم ＝

. . . .

=وكقوله فى العديل بن الفرخ العجلى :

عجبت لعجل إذ تهاجى عبيدها ... كما آل يربوع هجوا آل دارم

وكقوله، وهو أقرب لبيت الشاهد :

وليس بعدل أن سببت مقاعسا ... بآبائى الشم الكرام الخضارم

ولكن عدلا لو سببت وسبنى ... بنو عبد شمس من مناف وهاشم

وتقول « عبد فلان على فلان يعبد عبدا فهو عبد – من مثال فرح يفرح فرحا فهو فرح » وعابد أيضا : إذا غضب وأنف ، وقد عدى الفرزدق هذا الفعل بنفسه من غير حرف الجر فى قوله :

علام يعبدنى قومى وقد كثرت ... فيهم أباعر ما شاءوا وعبدان ؟

والاستشهاد بالبيت ههنا فى قوله « وأعبد » فإنه فعل مضارع ماضيه « عبد » من باب فرح ، ومعناه أنف وغضب ، وقال ابن أحمر يصف الغواص :

فأرسل نفسه عبدا عليها ... وكان بنفسه أربا ضنينا

قيل معنى قوله « عبداً » أى أنفا ، يقول : أنف أن تفوته الدرة . قال ابن منظور : « وفى التنزيل (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) ويقرأ (العبدين) قال الليث : العبد – بالتحريك – الأنف والغضب والحمية من قول يستحيا منه ويستنكف ، ومن قرأ (العبدين) فهو مقصور ، من عبد يعبد فهو عبد ، وقال الأزهرى : هذه آية مشكلة ، وأنا ذاكر أقوال السلف فيها ، ثم أتبعها بالذى قال أهل اللغة ، وأخبر بأصحها عندى ، أما القول الذى قاله الليث فى قراءة (العبدين) فهو قول أبى عبيدة ، على أنى ما علمت أحدا قرأ (فأنا أول العبدين) ولو قرىء مقصورا كان ما قاله أبو عبيدة محتملا وإذ لم يقرأ به قارىء مشهور لم نعبأ به ، والقول الثانى ماروى عن ابن عيينة أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : معناه إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ، يقول : فكماأننى لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد ، وقال السدى : قال الله لمحمد : قل إن كان – على الشرط – للرحمن ولد كما تقولون لكنت أول من يطيعه ويعبده ، وقال الحسن وقتادة : إن كان للرحمن ولد ، على معنى ما كان ، فأنا أول العابدين : أى أول من عبد الله من هذه الأمة ، وقال الكسائى (إن كان) أى ما كان للرحمن ولد (فأنا أول العابدين) أى الآنفين ، رجل عابد وعبد وآنف وأنف ، أى الغضاب الآنفين من=

أى : آنَفُ ، ومعنى الآية أنا أول الآنفين أن يقال لله ولد ، وقيل : أول العابدين ، أى : أول من عبد الله وحده ، وقيل : المعنى كما أنى لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد ، كما يقال : إن كُنْتَ كاتباً فأنا حاسب ، يريد إنك لست [٢٦٤] بكاتب ولا أناحاسب ، على أنا نقول : ولم قلتم إنها إذا كانت فى موضع ما بمعنى « ما » ينبغى أن تكون ها هنا ؟

قولهم « جمع بينها و بين ما لتوكيد النفى كما جمع بين إنَّ واللام لتوكيد الإثبات » قلنا : لو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يصير الكلام إيجابا ؛ لأن النفى إذا دخل على النفى صار إيجاباً ؛لأن نفى النفى إيجاب[1] ، وعلى هذا يخرج توكيد الإثبات .

= هذا القول ، وقال : فأنا أول الجاحدين لما تقولون ، ويقال : أنا أول من تعبده على الوحدانية مخالفة لكم ، وقال ابن الأنبارى (إن كان للرحمن ولد) ما كان للرحمن ولد ، والوقف على ولد ، ثم ابتدىء (فأنا أول العابدين) له على أنه لا ولد له ، قال الأزهرى : قد ذكرت الأقوال ، وفيه قول أحسن من جميع ما قالوا ، وأسوغ فى اللغة وأبعد من الاستكراه ، وأسرع إلى الفهم ، روى عن مجاهد أنه قال : إن كان لله ولد فى قولكم فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم فيما تقولون ، قال الأزهرى : وهذا واضح ، ومما يزيده وضوحا أن الله عز وجل قال لنبيه : (قل) يا محمد (إن كان للرحمن ولد) فى زعمكم (فأنا أول العابدين) إله الخلق أجمعين الذى لم يلد ولم يولد ، وأول الموحدين للرب الخاضعين المطيعين له وحده ؛ لأن من عبد الله تعالى واعترف بأنه معبود وحده لا شريك له فقد دفع أن يكون له ولد فى دعواكم ، والله عز وجل واحد لا شريك له وهو معبودى الذى لا ولد له ولا والد ، قال الأزهرى : وإلى هذا ذهب إبراهيم بن السرى وجماعة من ذوى المعرفة ، وهو الذى لا يجوز عندى غيره » اهـ كلامه .

(١) هذه مغالطة ظاهرة ، لا يجوز أن تأخذ بها ، ولا أن تجدها صحيحة فى الرد على ما ذهب إليه الكوفيون ، وذلك لأن النفى إذا دخل على النفى لا يكون الكلام إيجابا على الإطلاق ، وبيان هذا أن النفى الداخل على النفى يكون على أحد وجهين ؛ الأول أن يكون المراد به نفى النفى الأول ، وحينئذ يكون الكلام إثباتا وإيجابا ؛ لأن نفى النفى إيجاب ، والوجه الثانى أن يكون المراد بالنفى الثانى تأكيد النفى الأول ، وحينئذ =

فإنه لا يغير المعنى ؛ لأن إثبات الإثبات لا يصير نفيا ، بخلاف النفى ؛ فإنه يصير إيجاباً ، فبان الفرق بينهما ، والله أعلم.

٩٠ ــ مسألة

[القول فى معنى « إنْ » ومعنى اللام بعدها][1]

ذهب الكوفيون إلى أنَّ « إنْ » إذا جاءت بعدها اللام تكون بمعنى « ما » واللام بمعنى « إلاَّ » . وذهب البصريون إلى أنها مخففة من الثقيلة ، واللام بعدها لام التأكيد .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك كثيراً فى كتاب الله وكلام العرب ، قال الله تعالى : (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِن

= يكون الكلام نفيا مؤكدا ،ولا يكون إثباتا أصلا ، وذلك وارد فى التوكيد اللفظى ، فإنه إعادة اللفظ الأول بنفسه أو بمرادفه . مثل قول جميل :

لا ، لا أبوح بحب بثنة إنها أخذت على مواثقا وعهودا

ثم إن المؤلف رحمه الله فى المسألة الثالثة والثلاثين أبطل قول الكوفيين بأن الصفة الصالحة لأن تكون خبرا إذا كان معها ظرف مكرر وجب نصب هذه الصفة حتى يكون أحد الظرفين خبرا والآخر حالا ، إذ لو جوزنا فيها الرفع لكانت هى الخبر ، ويكون الظرفان حالين ؛ فلا تكون فى أحد الظرفين فائدة جديدة ، وحمل الكلام على إفادة فائدة جديدة أولى ، فأبطل هذا الكلام بقوله « هذا فاسد ؛ وذلك لأنه وإن كانت الأولى تفيد ما أفادته الثانية إلا أن ذلك لا يدل على بطلان فائدة الثانية ؛ لأن من مذاهب العرب أن يؤكد اللفظ بتكريره ــ إلخ » فما الذى حدث ههنا حتى ذهل عن أن من مذاهب العرب أن يؤكد اللفظ بتكريره بلفظه أو بمرادفه ؟

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ٢٣٢ وما بعدها) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (١/٢٦٧ وما بعدها) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٢٧٩ وما بعدها) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٢٩)

الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) أى : وما كادوا إلا يستفزُّونك ، وقال تعالى : (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) أى : وما كادوا إلا يزلقونك ، وقال تعالى : (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا) أى : وما كانوا إلا يقولون ، وقال تعالى : (إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) أى : ما كان وعد ربنا إلا مفعولا ، ثم قال الشاعر :

٤٠٨ — شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً كُتِبَتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

أى : ما قتلت إلا مسلماً ، وهو فى كلامهم أكثر من أن يحصى .

٤٠٨ — هذا البيت من كلام عاتكة بنت زيد العدوية ، ترثى فيه زوجها الزبير بن العوام الذى قتله ابن جرموز وهو منصرف من وقعة الجمل ، والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١١٢٨) ورضى الدين فى باب الحروف المشبهة بالفعل من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى ق الخزانة (٣٤٨/٤) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٢٢) وفى أوضح المسالك (رقم ١٤٧) والأشمونى (رقم ٢٧٩) وابن عقيل (رقم ١٠٤) وابن الناظم فى باب إن وأخواتها من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٢٧٨/٢ بهامش الخزانة) وشلت: يبست، وأصل الفعل شالل — من باب فرح — وقوله « كتبت عليك » يروى فى مكانه « حلت عليك » ويروى أيضا « وجبت عليك » ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « إن قتلت لمسلما » فإن الكوفيين ذهبوا إلى أن إن فى هذه العبارة نافية بمعنى ما ، واللام التى فى قوله « لمسلما » استثنائية بمعنى إلا ، وكأن الشاعر قد قال: ماقتلت إلا مسلما، وتجد فى كلام بعض النحاة — منهم الرضى والزمخشرى وابن هشام — مايفيد أن الكوفيين يستدلون بهذا البيت على أنه يجوز أن يقع بعد إن المخففة من الثقيلة الفعل الماضى غير الناسخ ، وهو كلام غير مبنى على التحقيق ، والتحقيق أن جمهور الكوفيين لايقولون بأن إن تكون مخففة من الثقيلة أصلا ، والكسائى يقول : إذا وليها جملة اسمية جاز أن تكون مخففة من الثقيلة ، وإذا وليها فعل فهى نافية واللام بعدها بمعنى إلا ، فإن فى هذا البيت نافية عند الكوفيين كلهم أجمعين ؛ لأن الوالى لها فعل ، وقد تنبه لهذا الشيخ خالد فأنكر كلام ابن هشام ، وأما البصريون فيرون « إن» فى هذا البيت مخففة من الثقيلة، واللام التى بعدها لام فارقة بين الكلام المنفى =

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنمـــا قلنا إنها مخففة من الثقيلة لأنا وجدنا لها فى كلام العرب نظيراً ، وأنا أجمعنا على أنه يجوز تخفيف « إنَّ » وإن اختلفنا فى بطلان عملها مع التخفيف ، وقلنا : إن اللام لام التأكيد ؛ لأن لها أيضاً نظيرا فى كلام العرب ، وكون اللام للتأكيد فى كلامهم مما لاينكر لكثرته فحكمنا على اللام [٢٦٥] بما له نظير فى كلامهم ، فأما كون اللام بمعنى « إلا » فهو شىء ليس له نظير فى كلامهم ، والمصير إلى ماله نظير فى كلامهم أولى من المصير إلى ما ليس له نظير .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بالآيات وما أنشدوه على أن « إنْ » بمعنى « ما » واللام بمعنى « إلا » فلا حجة لهم فى شىء من ذلك ؛ لأنه كله محمول على ما ذهبنا [إليه] من أن « إنْ » مخففة من الثقيلة ، واللام لام التأكيد ، والذى يدل على ذلك أنَّ « إنْ » التى بمعنى ما لا تجىء اللام معها ، كما قال الله تعالى : (إنِ الكافرون إلا فى غرور) وكما قال الله تعالى : (إن أنتم إلا تكذبون) وكما قال الله تعالى : (إنْ هَــذَا إلا إفك افتراه) إلى غير ذلك من المواضع ، ولم تجىء مع شىء منها اللامُ

فأما قولهم « إن اللام فى (ليستفزونك) و (ليزلقونك) و (ليقولون) و (لمفعولا) إلى غير ذلك من المواضع بمنزلة إلا فى هذه المواضع » قلنا : هذا فاسد ؛ لأنه لو جاز أن يقال « إن اللام تستعمل بمعنى إلاَّ » لكان ينبغى أن يجوز « جاءنى القوم لَزَيْداً » بمعنى إلا زيداً ، فلما لم يجز ذلك دل على فساد ما ذهبتم إليه ، وإنما جاءت هذه اللام مع « إن » المخففة من الثقيلة لأن « إن » المخففة

= والكلام المثبت المؤكد، نعنى أنها تدخل الكلام فى حال إهمال إن المخففة لتكون فارقة بينها وبين إن النافية ، وهم يختلفون فى هذه اللام : أهى لام الابتداء التى تدخل لتفيد الكلام زيادة توكيد أم هى لام أخرى ؟ وليس هذا موضع الإفاضة فى هذا الموضوع .

فى اللفظ بمنزلة التى يراد بها النفى ، فلما كان ذلك يؤدى إلى اللبس جىء بها للفرق بينهما ؛ فما جاء للفرق و إزالة اللبس جعلتموه سبباً للبس و إزالة الفرق ، وهذا غاية الجور عن الصواب والحق ، والله أعلم .

٩١ — مسألة

[هل يجازى بكيف ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أنَّ « كيف » يجازى بها كما يُجَازى بمتى ما وأينما وما أشبههما من كلمات المجازاة . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يجازى بها .

أما الكوفيين فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز المجازاة بها لأنها مشابهة لكلمات المجازاة فى الاستفهام ، ألا ترى أن « كيف » سؤال عن الحال كما أن « أيْنَ » سؤال عن المكان ، و « متى » سؤال عن الزمان ، إلى غير ذلك من كلمات [٢٦٦] المجازاة ، ولأن معناها كمعنى كلمات المجازاة ، ألا ترى أن معنى « كيفما تكن أكن » : فى أى حال تكن أكن ، وكما أن معنى « أينما تكن أكن » : فى أى مكان تكن أكن ، ومعنى « متى ما تكن أكن » : فى أى وَقْتٍ تكن أكن ، ولهذا قال الخليل بن أحمد : مخرجها مخرج الجزاء ، و إن لم يقل إنها من حروف الجزاء ، فلما شابهت « كيف » ما يجازى به فى الاستفهام ومعنى المجازاة وجب أن يجازى بها كما يجازى بغيرها من كلمات المجازاة .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنما لم يجز المجازاة بها لأنها لا تتحقق بها ؛ لأنك إذا قلت « كيف تكن أكن » فقد ضمنت له أن تكون على أحواله كلها

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ٢٠٥ بتحقيقنا) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٤/١١)

وذلك متعذر ؛ لأنا نقول : هذا يلزمكم فى تجويزكم « كيف تكون أكون » ؟ لأن ظاهر هذا يقتضى ما منعتموه ؛ فكان ينبغى أن لا يجوز ، فلما أجزتموه دل على على فساد ما ذهبتم إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز المجازاة بها لثلاثة أوجه :

أحدها : أنها نقصت عن سائر أخواتها ؛ لأن جوابها لا يكون إلا نكرة لأنها سؤال عن الحال ، والحال لا يكون إلا نكرة ، وسائر أخواتها تارة تجاب بالمعرفة وتارة تجاب بالنكرة ، فلما قصرت عن أحد الأمرين ضعفت عن تصريفها فى مواضع نظائرها من المجازاة .

والوجه الثانى : إنما لم يجز المجازاة بها لأنها لا يجوز الإخبار عنها ، ولا يعود إليها ضمير ، كما يكون ذلك فى مَنْ وما وأىّ ومهما ، فلما قصرت فى ذلك عن نظائرها ضعفت عن تصريفها فى مواضع نظائرها من المجازاة .

والوجه الثالث : أن الأصل فى الجزاء أن يكون بالحرف ، إلا أن يضطر إلى استعمال الأسماء ، ولا ضرورة ها هنا تلجىء إلى المجازاة بها ؛ فينبغى أن لا يجازى بها ؛ لأنا وجدنا أيًّا تغنى عنها ، ألا ترى أن القائل إذا قال « فى أى حال تكن أكن » فهو فى المعنى بمنزلة « كيف تكن أكن » . غير أن هذا الوجه عندى ضعيف ؛ لأن « أيا » كما تتضمن الأحوال تتضمن الزمان ، والمكان ، وغير ذلك ؛ فكان ينبغى أن يستغنى بها عن متى ما وأينما وغيرهما من كلمات المجازاة؛ فلما لم يستغنوا بها عنها دل على ضعف هذا التعليل .

والتعويل فى الدلالة على أنه لا يجوز [٢٦٧] أن يجازى بها الوجهان الأولان .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنها أشبهت كلمات المجازاة فى الاستفهام ، وإن معناها كمعنى كلمات المجازاة » قلنا : لا نسلم أن

معناها كمعنى كلمات المجازاة ، وذلك لأنه لا تتحقق المجازاة بها ، ألا ترى أنك إذا قلت « كيف تـكن أ كن » كان معناها : على أى حال تـكون أ كون ، فقد ضَمِنْتَ له أن تكون على أحواله وصفاته كلها ، وأحوال الشخص كثيرة يتعذر أن يكون المجازى عليها كلها ؛ لأنه يتعذر أن يتفق شيئان فى جميع أحوالهما ، بل ربما كان كثير من الأحوال لا يدخل تحت الإمكان كالصحة والسَّقَمِ والقوة والضعف إلى غير ذلك ؛ فإن أحدهما لو كان سقيما والآخر صحيحاً أو ضعيفاً والآخر قوياً لمـا كان يمكن السقيم أن يجعل نفسه صحيحا ولا الضعيف أن يجعل نفسه قويا ، فأما متى ما وأينما فإنه تتحقق المجازاة بهما ، ألا ترى أنك إذا قلت « أينما تـكن أ كن » فقد ضمنت له متى كان فى بعض الأماكن أن تـكون أيضاً فى ذلك المـكان ، ولا يتعذر ، وكذلك إذا قلت « متى تذهب أذهب » ضمنت له فى أى زمان ذَهَبَ أن تذهب معه ، وهذا أيضاً غير متعذر ، بخلاف كيف ؛ فإنه يتعذر أن يكون المجازَى على جميع أحوال المجازِى وصفاتها كلها لـكثرتها وتنوعها ، فبان الفرق .

وأما قولهم « إن هذا يلزمكم فى تجويزكم كيف تـكون أ كون بالرفع ؛ لأن ظاهر هـــذا يقتضى ما منعتموه » قلنا : الفرق بينهما أنا إذا رفعنا الفعل بعد كيف فإنما نقدِّر أن هذا الـكلام قد خرج على حال عَلِمَهَا المجـازِى ؛ فانصرف اللفظ إليها ؛ فلذلك صح الـكلام ، ولم يمـكن هذا التقدير فى الجزم بها على المجازاة لأن الأصل فى الجزاء أن لا يكون معلوماً ؛ لأن الأصل فى الجزاء أن يكون بإنْ ، وأنت إذا قلت « إن قُمْتُ قُمْتَ » فوقْتُ القيام غيرُ معلوم ، فلما كان الأصل فى الجزاء أن يكون غير معلوم بطل أن تقدر كيف فى الجزاء واقعة على حال معلومة لأنها تخرج من الإبهام وتباين أصل كلمات الجزاء ؛ فلذلك لم يجز الجزم بها على تقدير حالٍ معلومةٍ ، والله أعلم .

* * *

[٢٦٨] ٩٢ — مسألة

[السين مقتطعة من سوف أو أصْلٌ برأسه][١]

ذهب الكوفيون إلى أن السين التى تدخل على الفعل المستقبل نحو سأفعل أصْلُهَا سوف . وذهب البصريون إلى أنها أصْلٌ بنفسها.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن « سوف » كَثُرَ استعمالها فى كلامهم وجَرْيُها على ألسنتهم ، وهم أبداً يحذفون لكثرة الاستعمال ، كقولهم « لا أدْرِ ، ولم أُبَلْ ، ولم يَكُ ، وخُذْ ، وكُلْ » وأشباه ذلك ، والأصل لا أدرى ، ولم أبال ، ولم يَكُنْ ، واأخذ ، واأكل ، فحذفوا فى هذه المواضع وما أشبهها لكثرة الاستعمال ، فكذلك ها هنا : لما كثر استعمال « سوف » فى كلامهم حذفوا منها الواو والفاء تخفيفا .

والذى يدل على ذلك أنه قد صح عن العرب أنهم قالوا فى سوف أفعل « سَوْ أفعل » فحذفوا الفاء ، ومنهم من قال « سَفَ أفعل » فحذف الواو ، وإذا جاز أن يحذف الواو تارة والفاء أخرى لكثرة الاستعمال جاز أن يجمع بينهما فى الحذف مع تطرق الحذف إليهما فى اللغتين لكثرة الاستعمال .

والذى يدل على ذلك أن السين تدلُّ على ما تدلُّ عليه سوف من الاستقبال ، فلما شابهتها فى اللفظ والمعنى دل على أنها مأخوذة منها ، وفَرْعٌ عليها .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل فى كل حرف يدل على معنًى أن لا يدخله الحذف ، وأن يكون أصلا فى نفسه ، والسينُ حرف يدل على معنًى ؛ فينبغى أن يكون أصلا فى نفسه ، لا مأخوذاً من غيره .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ١٣٨ بتحقيقنا) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ١١٩٩)

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن سوف لما كثر استعمالها فى كلامهم حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال » قلنا : هذا فاسد ؛ فإن الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياسٍ ليجعل أصلا لمحل الخلاف[1]، على أن الحذف لو وجد كثيراً فى غير الحرف من الاسم والفعل فقلَّما يوجد فى الحرف ، وإن وُجِد الحذف فى الحرف فى بعض المواضع فهو على خلاف القياس ؛ فلا يجعل أصلا يقاس عليه .

وأما ما رووه عن العرب من قولهم فى سوف أفعل « سَوْ أفعَلُ » و « سَفَ أفْعَلُ » [٢٦٩] فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن هذه رواية تفرَّد بها بعضُ الكوفيين ؛ فلا يكون فيها حُجَّة .

والثانى : إن صحت هذه الرواية عن العرب فهو من الشاذ الذى لا يُعْبأ به ؛ لقلته .

والثالث : أنَّ حَذْفَ الفاء والواو على خلاف القياس ، فلا ينبغى أن يجمع بينهما فى الحذف ؛ لأن ذلك يؤدى إلى مالا نظير له فى كلامهم ؛ فإنه ليس فى كلامهم حرفٌ حذف جميع حروفه طلباً للخفة على خلاف القياس حتى لم يَبْقَ منه إلا حرف واحد ، والمصير إلى مالا نظير له فى كلامهم مردود .

وأما قولهم « إن السين تدل على الاستقبال كما أن سوف تدل على الاستقبال » قلنا : هذا باطل ؛ لأنه لو كان الأمر كما زعمتم لكان ينبغى أن يستويا فى الدلالة على الاستقبال على حَدٍّ واحد ، ولا شك أن سوف أشَدُّ تراخياً فى الاستقبال من السين ، فلما اختلفا فى الدلالة دَلَّ على أن كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه ، غير مأخوذ من صاحبه ، والله أعلم .

---

(١) ليس هنا قياس ، لأنه قد ورد عن العرب « سوف أفعل » و « سوأفعل » بحذف الفاء ، و « سف أفعل » بحذف الواو ، وأجمعنا على أن الثانى والثالث مقتطعان من الأول ؛ وورد عن العرب أيضا « سأفعل » فقلنا : وهذا أيضا مقتطع من الأول؛ فالمدار على الورود عن العرب، فأين القياس ؟

٩٣ ـ مسألة

[المحذوف من التاءين المبدوء بهما المضارع][١]

ذهب الكوفيون إلى أنه إذا اجتمع فى أول الفعل المضارع تاءان : تاء المضارعة وتاء أصلية ـ نحو « تَتَنَاوَلُ ، وتَتَلَوَّنُ » ـ فإنَّ المحذوف منهما تاء المضارعة دون الأصلية ، نحو « تَنَاوَلُ ، وتَلَوَّنُ » .

وذهب البصريون إلى أن المحذوف منهما التاء الأصلية ، دون تاء المضارعة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه لما اجتمع فى أول هذا الفعل حرفان متحركان من جنس واحد ـ وهما التاء المزيدة للمضارعة والتاء الأصلية ـ استثقلوا اجتماعهما ؛ فوجب أن تحذف إحداهما ؛ فلا يخلو : إما أن تحذف الزائدة ، أو الأصلية ، فكان حذف الزائدة أولى من الأصلية ؛ لأن الزائد أضْعَفُ من الأصلى ، والأصلى أقوى من الزائد ؛ فلما وجب حذف أحدهما كان حذف الأضعف أولى من حذف الأقوى .

وأما البصريون فقالوا : إنما قلنا إن حذف الأصلية أولى من [٢٧٠] الزائدة ؛ لأن الزائدة دخلت لمعنًى وهو المضارعة ، والأصلية ما دخلت لمعنًى ؛ فلما وجب حذف إحداهما كان حذف مالم يدخل لمعنًى أولى .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الزائد أضعف من الأصلى فكان حذفه أولى » قلنا : لا نسلم هذا مطلقاً ؛ فإن الزائد على ضربين : زائد جاء لمعنًى ، وزائد لم يجىء لمعنًى ، فأما الزائد الذى جاء لمعنًى فلا نسلم فيه

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢٩٤/٤ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٤٩٩/٢ بولاق)

أن الأصليَّ أقْوَى منه ، وأما الزائد الذى ما جاء لمعنى فمسلَّم أنه أقوى ؛ ولكن لا نسلم أنه قد وجد ها هنا ، وهذا لأن التاء ها هنا جاءت لمعَنى المضارعة ؛ فقد جاءت لمعنى ، وإذا كانت قد جاءت لمعنى فيجب أن تكون تَبْقِيَتُهَا أولى ؛ لأن فى حذفها إسقاطاً لذلك المعنى الذى جاءت من أجله ، وذلك خلاف الحكمة .

والذى يدل على صحة هذا ثبوتُ التنوين فى المنقوص والمقصور وحَذْفُ حرف العلة منهما لا لتقاء الساكنين وإن كان أصلياً فيهما ، ألا ترى أنك تقول فى المنقوص « هذا قاضٍ ، ومررت بقاضٍ » والأصل فيه « هذا قاضِيٌ ، ومررت بقاضِيٍ » إلا أنهم لمـا حذفوا الضمة والكسرة استثقالا لهما على الياء بقيت الياء ساكنة والتنوين ساكنا فحذفوا الياء لا لتقاء الساكنين وبقوا التنوين ؛ لأن الياء ما جاءت لمعنًى ، والتنوين جاء لمعنًى ؛ فكان تبقيته أولى ، فكذلك أيضاً تقول فى المقصور « هــذه رحاً وعصاً » والأصل فيه « رَحَيٌ وعَصَوٌ » فلما تحركت الياء والواو وانفتح ما قبلهما قلبوهما ألفاً[1] لتحركهما وانفتاح ما قبلهما ، ثم حذفت الألف لا لتقاء الساكنين وبقى التنوين بعدها ؛ لأن الألف ما جاءت لمعنى ، والتنوين جاء لمعنى ؛ فكان تبقيته أولى ، فكذلك ها هنا ، ولهذا كان الواجب فى تصغير منطلق ومغتسل : مُطَيلق ومُغَيسل ، وكذلك التكسير نحو : مَطَالق ومَغَاسل بإثبات الميم وحذف النون من منطلق والتاء من مغتسل ؛ لأن الميم جاءت لمعنى — وهو الدلالة على اسم الفاعل — والنون والتاء ما جاءتا لمعنى ؛ فكان حذفهما أولى من حذف الميم ؛ لأنها جاءت لمعنى ، وكذلك القياس فى كل حرفين اجتمعا فوجب حذف أحدهما ؛ فإن حذف مالم يجىء لمعنى أولى من حذف ما جاء لمعنى ، والسر فيه هو[2] أن الحرف

(١) فى ر « قلبوها ألفا » وليس بذاك .

(٢) فى ر « وهو أن ـ إلخ » والظاهر أن الواو من « وهو » زائدة .

الذى جاء لمعنى قد تَنَزَّلَ فى الدلالة على [٢٧١] معنى بمنزلة سائر الكلمة التى تدل بجميع حروفها على معنى ، بخلاف الحرف الذى لم يجىء لمعنى ؛ فإنه ليس فيه دلالة على معنًى فى نفسه البتة ، فكما يمتنع أن تحذف الكلمة بأسرها لشىء لا معنى له فى نفسه ؛ فكذلك هاهنا : يمتنع أن يحذف الحرف الذى جاء لمعنى لأجل حرفٍ لم يجىء لمعنى ؛ فدل على أن حذف التاء الأصلية أولى من الزائدة على ما بينا ، والله أعلم .

٩٤ ــ مسألة

[هل تدخل نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وفعل جماعة النسوة ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إدخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الأُثنين وجماعة النسوة ، نحو « افْعلَانْ وافْعَلْنَانْ » بالنون الخفيفة ، و إليه ذهب يونس بن حبيب البصرى .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إدخالها فى هذين الموضعين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز ذلك لوجهين :

أحدهما : أن هذه النون الخفيفة مخففة من الثقيلة ، وأجمعنا على أن النون الثقيلة تدخل فى هذين الموضعين ؛ فكذلك النون الخفيفة .

والوجه الثانى : أن هذه النون إنما دخلت فى القَسَم والأمر والنهى والاستفهام والشرط بإمَّا لتوكيد الفعل المستقبل ، فكما يجوز إدخالها للتوكيد على كل فعل

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (١٨٩/٣) وتصريح الشيخ خالد (٢٦١/٢) .

مستقبل وَقَعَ فى هذه المواضع فكذلك فيما وقع الخلاف فيه ، قُصَارَى ما يُقَدَّر أن يقال : إنه يؤدى إلى اجتماع الساكنين الألف والنون ، وقد جاء ذلك فى كلام العرب ؛ لأن الألف فيها فَرْطُ مَدٍّ ، والمد يقوم مقام الحركة ، وقد قرأ نافع ، وهو أحد أئمة القراء (إنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايْ) بسكون الياء من (مَحْيَاى) فجمع بين الساكنين وهما الألف واليـــاء ، فكذلك ها هنا ، وقد حكى عن بعض العرب أنه قال « التقت حَلْقَتَا الْبِطَانِ » بإثبات الألف مع لام التعريف ، وقد حكى عن بعض العرب أيضاً أنه قال « لَهُ ثُلُثَا الْمَالِ » بإثبات الألف ، فجمع بينها و بين لام التعريف وهما ساكنان لِمَا فى الألف من إفراط المـد ، ولذلك أيضاً يجوز تخفيف الهمزة المتحركة إذا كان قبلها ألف نحو هَبَاءَة ، والهمزة المخففة ساكنة .

[٢٧٢] والذى يدل على صحة مذهبنا قراءة ابن عامر (ولا تَتَّبِعَانْ) بنون التوكيد الخفيفة ، والمراد به موسى وهارون ، فدل على ما قلناه .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنما يجتمع حرفان ساكنان فى الوصل ، إذا كان الثانى منهما مدغماً فى مثله ، نحو : دَابَّة ، وتُمُودَّ ، وأُصَيْمّ » لأنا نقول : إن هذا النحو قد يلحقه ما يوجب له الإدغام ؛ نحو قولك « اضربا نُّعْمَانَ ، واضربانِّى » فالنون الأولى فى قولك « اضربا نُّعْمَانَ » نون التوكيد المخففة ، والنون الثانية نون « نعمان » وكذلك النون الأولى فى « اضربانِّى » نون التوكيد المخففة ، والنون الثانية التى تصحب ضمير المتكلم[1] ؛ فينبغى أن تجيزوا هذا الإدغام ؛ لأن الألف تقع و بعدها نونٌ مشددة ، كقوله تعالى : (ولا تتبعانِّ سبيل الذينَ لا يَعلمونَ) فى قراءة من قرأ بالتشديد ، فلما لم تجيزوا ذلك دَلَّ على فساد ما ذهبتم إليه .

(١) هى النون التى سموها نون الوقاية .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز دخول نون التوكيد الخفيفة فى هذين الموضعين ، وذلك لأن نون الاثنين التى للإعراب تسقط ؛ لأن نون التوكيد إذا دخلت على الفعل المعرب أكدت فيه الفعلية فردَّتْه إلى أصله وهو البناء ، فإذا سقطت النون بقيت الألف ؛ فلو أدخل عليها نون التوكيد الخفيفة لم يَخْل : إما أن تحذف الألف ، أو تكسر النون ، أو تُقَرَّ ساكنة ، بطل أن تحذف الألف؛ لأنه بحذفها يلتبس فعل الاثنين بالواحد ، و بطل أن تكسر النون ؛ لأنه لا يعلم هل هى نون الإعراب أو نون التوكيد ، و بطل أن تُقَرّ ساكنة ؛ لأنه يؤدى إلى أن يجمع بين ساكنين مظهرين فى الإدراج ، وذلك لا يجوز ؛ لأنه إنما يكون ذلك فى كلامهم إذا كان الثانى منهما مدغماً ، نحو « دَابَّة ، وضَالَّة ، وتُمُودّ الثوب ، ومُدَيْقّ ، وأُصَيْمّ » وما أشبه ذلك ؛ فبطل إدخال هذه النون فى فعل الاثنين .

وكذلك أيضاً يبطل إدخالها فى فعل جماعة النسوة ، وذلك لأنك إذا ألحقته إياها لم يَخْلُ : إما أن تبين النونين مظهرتين ، أو تدغم إحداهما فى الأخرى ، أو تلحق الألف فتقول « يفعلنان » بطل أن تبين النونين مظهرتين ؛ لأنه يؤدى إلى اجتماع المثلين ، وذلك لا يجوز ، و بطل أن تدغم إحداهما فى الأخرى ؛ لأن لام الفعل ساكنة ، والمدغم كذلك ؛ فيلتقى ساكنان ، وساكنان لا يجتمعان ؛ فيؤدى إلى تحريك [٢٧٣] اللام مع ضمير الفاعل من غير فائدة ، وذلك لا يجوز ، وكان أيضاً يؤدى إلى اللبس ؛ لأنه لا يخلو : إما أن تحرك اللام بالفتح ، أو الضم ، أو الكسر ؛ فإن حركتها بالفتح التبس بفعل الواحد إذا لحقته النون الشديدة ، نحو « تضربَنَّ يا رجل » وإن حركتها بالضم التبس بفعل الجمع ، نحو « تضربُنَّ يا رجال » وإن حركتها بالكسر التبس بفعل المرأة المخاطبة ، نحو « تضربِنَّ يا امرأة » فبطل تحريك اللام، و بطل أن تلحق الألف ؛ لأنه لايخلو : إما أن تكسر النون لالتقاء الساكنين ، أو تترك ساكنَةً مع الألف ، بطل أن تكسر لالتقاء

الساكنين ؛ لأنها تجرى مجرى نون الإعراب ، وذلك لا يجوز ، وبطل أن تترك ساكنَةً مع الألف ؛ لأنه يجتمع ساكنان على غير حَدِّه ؛ لأنه لم ينقل ذلك عن أحد من العرب ، ولا نظير له فى كلامهم ، وذلك لا يجوز ؛ فإذا ثبت هذا فلسنا بمضطرين إلى إدخالها على صورة لم تنقل عن أحد من العرب وتخرج بها عن منهاج كلامهم .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن النون الخفيفة مخففة من الثقيلة » قلنا : لا نسلم ، بل كل واحد منهما أصل فى نفسه ، غير مأخوذ من صاحبه ؛ فالنون الشديدة والخفيفة ، وإن اشتركا فى التأكيد فهما متغايران فى الحقيقة ، وكلتاهما لتأكيد الفعل ، وإخراجِهِ عن الحال ، وإخلاصِهِ للاستقبال ، والثقيلَةُ آكَدُ فى هذا المعنى من الخفيفة .

والذى يدل على أن الخفيفة ليست مخففة من الثقيلة أن الخفيفة تتغير فى الوقف ، ويوقف عليها بالألف ، قال الله تعالى : (لَنَسْفَعاً بالناصية) وقال تعالى : (لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ) أجمع القُرَّاء على أن الوقف فى هذين الموضعين (لَنَسْفَعاً ، وَلَيَكُوناً) بالألف لا غير .

وقال الشاعر :

٤٠٩ — يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَالَمْ يَعْلَمَا شَيْخاً عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا

---

٤٠٩ — هذان بيتان من مشطور الرجز لأبى الصمعاء مساور بن هند العبسى، وهما من شواهد سيبويه (١٥٢/٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٤١) ورضى الدين فى باب نون التوكيد من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٥٦٩/٤) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٤٧٤) وابن عقيل (رقم ٣١٧) وقد زعم الأعلم أن هذين البيتين فى وصف جبل قد عمه الخصب ونما فيه النبات فجعله الراجز كشيخ مزمل فى ثيابه معمم بعمامته ، وأنه خص الشيخ لوقاره فى جلسته وحاجته للاستكثار =

فقال «يَعْلَمَا» بالألف، ولا يجوز أن يكون ها هنا بالنون؛ لمكان قوله «مُعَمَّمَا» بالألف؛ لأن النون لا تكون وصلا مع الألف فى لغة مَنْ يجعلها وصلا، ولا روِيًّا مع الميم إلا فى الإكفاء، وهو عيب من عيوب الشعر، ولو جاز أن تقع روِيًّا معها لما جاز ها هنا؛ لأن النون مقيدة، والميم مطلقة، فإن أتى بتنوين الإطلاق على لغة بعض العرب فقال «مُعَمَّمًا» بالتنوين جاز أن يقول «يَعْلَمَنْ» بالنون؛ لأنهم [٢٧٤] يجعلون فى القافية مكان الألف والواو والياء تنويناً، ولا فرق عندهم فى ذلك بين أن تكون هذه الأحرف أصلية أو منقلبة أو زائدة، فى اسم أو فعل، كما قال الشاعر:

=من الثياب. وليس هذا الكلام بشىء، بل البيتان فى وصف وطب لبن قد علته رغوة اللبن وتكورت فوقه فأشبهت العمامة بدليل أن قبل البيتين قوله:

وقد حلبن حيث كانت قيما مثنى الوطاب، والوطاب الزمما

* وقمعا يكسى ثُماما قشعما *

قيما: هو - بضم القاف وتشديد الياء - جمع قائمة، والقياس أن يقال: قوم - بالواو - لأن عين هذه الكلمة واو، ومثنى الوطاب: أى المتكرر منه، والوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن خاصة، والزمم: جمع زام، وهو المملوء، والقمع - بكسر القاف وفتح الميم - هو شىء يوضع فى فم السقاء ويصب اللبن فيه مخافة أن يقع على الأرض، والثمال - بضم الثاء - ههنا الرغوة، ويحسبه: أى الوطب الذى علاه الثمال، وما فى قوله «مالم يعلما» مصدرية ظرفية: أى مدة عدم علمه، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله «يعلما» والعلماء يستشهدون بهذه الكلمة لشيئين: أولهما أن نون التوكيد تنقلب ألفا فى الوقف، ألا ترى الراجز قد جاء بهذه الكلمة فى آخر البيت بالألف لأن آخر البيت محل الوقف؟ والثانى أن الفعل المضارع المنفى بلم تدخل عليه نون التوكيد تشبيها لم بلا الناهية، وسيبويه يرى أن ذلك لا يكون إلا فى الضرورة، قال الأعلم «الشاهد فيه دخول النون فى قوله لم يعلمن، وليس المضارع بعد لم من مواضع نون التوكيد، ضرورة» اهـ بتوضيح يسير.

٤١٠ — أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَنْ وَقُولِي : إنْ أَصَبْتِ لَقَدْ أَصَابَنْ

وكما قال الشاعر :

٤١١ — وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِياً
عَلَى صِــــيرِ أَمْرٍ مَا يُمِرُّ وَمَا يَحْلُنْ

٤١٠ — هذا البيت من كلام جرير بن عطية بن الخطفى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢٩٨و٢٩٩) وابن جنى فى الخصائص (٢/٩٦) وفى شرح تصريف المازنى (١/٢٢٤) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٥٦٧) وفى أوضح المسالك (رقم ١) والأشمونى (رقم ٤) وابن عقيل (رقم ١) وشرحه العينى (١/٩١ بهامش الخزانة) ورضى الدين فى أوائل شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (١/٣٤) ومفصل الزمخشرى وشرحه لابن يعيش (ص ١٢٣١) وأقلى : فعل أمر من الإقلال ، وهو فى الأصل جعل الشىء قليلا ، وقد يطلق على ترك الشىء بتة ، وهو المراد ههنا ، واللوم : العذل والتوبيخ ، وعاذل : مرخم عاذلة ، وهو اسم فاعل مؤنث من العذل وهو اللوم والتعنيف ، والعتاب : هو مخاطبة الإدلال ومذاكرة الغضب ، والمراد ههنا اللوم فى تسخط ، وأصبت : يروى بضم التاء على أنها ضمير التكلم ، ويروى بكسرها على أنها ضمير المخاطبة المؤنثة . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « العتابن » و« أصابن » حيث لحق التنوين هاتين الكلمتين ، وههنا أشياء لابد أن ننبهك إليها ، الأول : أن هذا التنوين يسمى تنوين الترنم ، وهو غير مختص بالأسماء ، بل يدخل الاسم والفعل والحرف ، ويدخل من الأسماء المتمكن وغير المتمكن والمقرون بأل وغير المقرون بها ، ولو كان مختصا بالأسماء لما دخل غير الأسماء المتمكنة المجردة من أل ، والثانى : أن هذا ضرب من ضروب إنشاد القوافى ، قال سيبويه فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد : « وأما ناس كثير من تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون ومالم ينون ، لما لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نونا ، ولفظوا بتمام البناء وما هو منه ، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد » اهـ . الثالث : أنهم سموا هذا التنوين تنوين الترنم ، مع أنه فى الواقع تنوين المقصود منه ترك الترنم كما سمعت فى عبارة سيبويه ، وقد قال العلماء : إن هذه التسمية على تقدير مضاف ، أى تنوين قطع الترنم ، أو ما أشبه ذلك .

٤١١ — هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى (الديوان ص ٩٦) وهو البيت الثانى من قصيدته التى مطلعها :

=

وكما قال الشاعر :

٤١٢ — قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُـــولِ فَحَوْمَلِ

= صحا القلب عن سلمى، وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

وصحا القلب : أفاق من سكرة حبه ، وأراد قلبه ، يقول : أفاق قلبى من حب سلمى وبعدها عنه ، وقد كاد لا يفيق لشدة تعلقه بها ، وأقفر: خلا ، والتعانيق : أرض ، والثقل يروى بالفاء ، وبالقاف ، ويروى « الثجل » بالجيم — وقد ورد فى معجم البلدان بالثلاثة ، واستشهد بهذا البيت ، والثقل : موضع فى شق العالية ، وصير الأمر — بكسر الصاد — منتهاه وصيرورته ، تقول : أنا من حاجتى على صير أمر ، وعلى صيرورة ، وعلى صمات — بضم أوله — وعلى ثبار — بكسر أوله — إذا كنت على شرف منها ، وقوله « ما يمر » أى ما يكون مرا فأيأس منه وأتخلى عنه ، ويحلو : أى ما يكون حلوا فأرجوه وأتمنى تمامه . ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله « وما يحلن » حيث ألحق هذه الكلمة تنوين الترنم ، أى تنوين قطع الترنم على ما علمت فى شرح الشاهد السابق ، وهذه الكلمة فعل مضارع ، فدل ذلك على أن هذا الضرب من التنوين غير مختص بالأسماء كما بيناه لك آنفا ، والمنشد قد حذف حرف المد وجاء بدله بالتنوين ، ونريد أن ننبهك ههنا إلى أن حرف المد الذى حذفه المنشد من كلمة « يحلو » وأتى بدله بالتنوين، هو من أصول هذه الكلمة لأنه لام الفعل ، أما فى « أصابن » وفى « العتابن » فى بيت جرير السابق فحرف المد الذى يأتى المنشد بدله بالتنوين حرف زائد على أصول الكلمة وإنما يأتى المنشد بحرف المد أيضا إذا قصد الترنم، واستمع إلى سيبويه يقول «أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت» اه ، ونظير هذا البيت إنشادهم بيت رؤبة :

داينت أروى والديون تقضن فمطلت بعضا وأدت بعضن

بالنون فى « يقضن » وحذف ألف « تقضى » وهى لام .

٤١٢ — هذا البيت هو مطلع قصيدة امرىء القيس بن حجر الكندى المعلقة (شرح المعلقات العشر للتبريزى ص ١) وهو من شواهد سيبويه (٢/٢٩٨) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٢٦٩) وفى أوضح المسالك (رقم ٤١٣) وفى شرح قطر الندى (رقم ٢٤) والأشمونى (رقم ٨١٩) وابن الناظم فى باب عطف النسق، وشرحه العينى =

بتنوين الرويّ ، وإنما يفعلون ذلك إذا أرادوا ترك الترنم ؛ لأن التنوين ليس فيه من الامتداد ما فى الألف والواو والياء ؛ فإثبات النون فى « يعلمنْ » فى القافية على هذه اللغة لا يدلُّ على أنه لا يجب أن يوقف عليها بالألف فى سائر الكلام ، وقال الشاعر :

٤١٣ — [وَ إيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لاَ تَقْرَبَنَّهَا] وَلاَتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،وَاللهَ فَاعْبُدَا

= (٤/١٣٠) ورضى الدين فى باب الحروف العاطفة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٣٩٧) وقفا : فعل أمر من الوقوف ، والألف المتصلة به تحتمل وجهين : الأول أن تكون ضمير المثنى المخاطب ، والثانى أن تكون منقلبة عن نون التوكيد ، والأصل « قفن » ثم أبدل النون ألفا للوقف ، ثم عامل الكلمة فى الوصل معاملتها فى الوقف ، ونبك : مضارع من البكاء مجزوم فى جواب الأمر ، والسقط ـ مثلث السين والقاف ساكنة ـ ما تساقط من الرمل ، واللوى ـ بكسر أوله مقصورا ـ المكان الذى يسترق فيه الرمل فيخرج منه إلى الجدد ، والدخول وحومل : موضعان وكان الأصمعى يعيب امرأ القيس فى قوله « بين الدخول فحومل » ويقول : كان ينبغى أن يجىء بواو العطف فيقول « بين الدخول وحومل » لأن كلة بين لاتضاف إلا إلى متعدد ، سواء أكان بلفظ واحد كأن يكون المضاف إليه مثنى أو مجموعا نحو أن تقول : جلست بين الرجلين الكريمين ، أو تقول : جلست بين العلماء ، أم كان تعدده بالعطف وذلك لا يكون إلا بالواو ، وقد اعتذر العلماء عن امرىء القيس بأن غرضه بين أماكن الدخول فأماكن حومل ، فهو من باب التعدد بلفظ واحد . ومحل الاستشهاد بهذا البيت ههنا قوله « ومنزلن » وقوله « فحوملن » حيث ألحق المنشد النون فى الكلمتين ، والقول فيها كالقول فى البيتين السابقين

٤١٣ — ما أنشده المؤلف عجز بيت للأعشى ميمون ، ويروى صدره :

* وذا النصب المنسوك لا تنسكنه *

وهذا البيت هو البيت العشرون من قصيدته التى كان قد أعدها ليمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدته قريش (الديوان ١ ١ — ١٠٣) والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٣٩) وابن هشام فى مغنى اللبيب =

والشواهد على هذا النحو كثيرة جداً ؛ فلو كانت هذه النون مخففة من الثقيلة لما كانت تتغير فى الوقف ، ألا ترى أن نون « إنْ » و « لـكنْ » المخففتين من إنَّ ولـكنَّ الثقيلتين ؛ لما كانتا مخففتين من الثقيلتين لم تتغيرا فى الوقف عما كانتا عليه فى الوصل ؛ فلما تغيرت النون الخفيفة فى الوقف دلَّ على أنها ليست مخففة من الثقيلة ، يدل عليه أن النون الخفيفة تحذف فى الوقف إذا كان ما قبلها مضموما أو مكسوراً ، تقول فى الوصل « هَلْ تَضرِبُنْ زَيْداً ، وهل تَضرِبِنْ عَمْراً » فإن وقفت

=(رقم ٦١٦) وفى أوضح المسالك (رقم ٤٧٧) وفى شرح قطر الندى (رقم ١٤٩) والأشمونى (رقم ٩٦٩) وكل هؤلاء رووا صدره :

* وإياك والميتات لاتقربنْها *

وهو تلفيق بيت واحد من بيتين من أبيات القصيدة ، وقد شرحه العينى (٤/٣٤٠ بهامش الخزانة) وبين انفصال الشطرين ، ويروى :

وذا النصب المنصوب لاتنسكنه   بعاقبة ، والله ربك فاعبدا

والفاء فى قوله « فاعبدا » تحتمل ثلاثة أوجه : الأول أن تـكون زائدة ، والثانى أن تـكون واقعة فى جواب أما مقدرة ، وكأنه قد قال : وأما الله ربك فاعبد ، والوجه الثالث أن تـكون عاطفة ، والمعطوف عليه محذوف ، وكأنه قد قال : تنبه فاعبد الله ربك وعل الاستشهاد بهذا البيت ههنا قوله « فاعبدا » فإن أصل هذه الـكلمة « فاعبدن » بنون توكيد خفيفة ، فلما أراد أن يقف عليها أبدلها ألفا ، قال ابن يعيش بعد أن أنشد البيت « قال لاتقربنها بالنون الشديدة فى النهى ، وقال والله فاعبدا ، فأتى بالنون الخفيفة مع الأمر ، ثم وقف فأبدل منها الألف » اهـ ، ومثل هذا البيت قول الأعشى ميمون صاحب الشاهد الذى نحن بصدد شرحه :

وصل على حين العشيات والضحى   ولا تحمد المثرين ، والله فاحمدا

وقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

وقمير بدا لخمس وعشريـــــن له قالت الفتان : قوما

والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « قوما » فإن هذه الألف لايجوز أن تـكون ألف الاثنين ، لأن الحديث عن واحد ، فوجب أن تـكون منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة للوقف

قلت « هل تَضْرِبُونْ ، وهَلْ تَضْرِبِينْ » فتردُّ نونَ الرفعِ التى كنت حذفْتَهَا للبناء ؛ لزوال ما كنت حذفْتَ النونَ من أجله ، ولو كانت مثل نون « إنْ ، ولكنْ » المخففتين من الثقيلتين لما جاز أن تحذف ، يدل عليه[1] أنَّ النون الخفيفة إذا لقيها ساكن حذفت ، تقول فى « اضْرِبَنْ يا هٰذَا » إذا وصلتها : اضْرِبَ الْقَوْمَ[2] ، فتحذف النون ولا تحركها لا لتقاء الساكنين ، ولو كانت مخففة من الثقيلة مثل « إنْ ، ولكنْ » لما كان يجوز أن تحذف ؛ فدل على أنها ليست مخففة [٣٧٥] من الثقيلة وأنها بمنزلة التنوين ، وإنما وجب حذفها ها هنا ، بخلاف التنوين ؛ لأن نون التوكيد تدخل على الفعل والتنوين يدخل على الاسم ، والاسم أصلٌ للفعل ، والفعل فرعٌ عليه ؛ فجعل ما يدخل على الاسم الذى هو الأصل أقوى مما يدخل على الفعل الذى هو الفرع ؛ فلهذا المعنى حذفت النون لالتقاء الساكنين ولم يحذف التنوين ، على أنه قد قرأ بعض أئمة القراء : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ * اللهُ الصَّمَدُ) فحذف التنوين من (أحد) لا لتقاء الساكنين ، وقرأ أيضاً بعضُ القراء (وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ) فحذف التنوين من (سابق) لا لتقاء الساكنين ، لا للإضافة ، ولهذا نصب (النَّهَارَ) ؛ لأنه مفعول (سابق) ، وقال الشاعر :

٤١٤ — فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ... وَلاَ ذَاكِرِ اللهَ إلاَّ قَلِيلاَ

---

(١) فى ر « يدل عليه وهو أن النون » وواضح أن كلمة « وهو » مقحمة ، وقد نبهنا إلى مثل ذلك فيما مضى .

(٢) ونظيره قول الشاعر ، وقد أنشدناه فى شرح الشاهد رقم ٣٧٣ الذى سبق قريبا فى المسألة ٧٧ ، وهو :

لا تهين الفقير علك أن ... تركع يوما والدهر قد رفعه

٤١٤ — ينسب هذا البيت لأبى الأسود الدؤلى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٨٥) وابن جنى فى الخصائص (١/٣١١) والزمخشرى فى المفصل ، وابن يعيش فى شرحه (ص ١٢٣٥) ورضى الدين فى باب التنوين من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى =

. . . .

=الخزانة (٤/٥٥٤) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٨٠٨) وابن الشجرى فى أماليه (١/٣٤٦) والزمخشرى فى تفسير سورة آل عمران من الكشاف (١/١٥٢ بولاق) وألفيته : أى وجدته ، وانظر شرح الشاهد ٣٧٤ السابق فى المسألة ٧٨ ، ومستعتب: أى طالب العتبى ، وهى الرضا ، والاستشهاد بالبيت يستدعى أن تقدم لك بين يدى بيانه بحثا فى ذكر المواضع التى يحذف فيها التنوين من الاسم وجوبا ، فنقول : إنما يحذف التنوين من الاسم وجوبا فى ثمانية مواضع ؛ الأول : بسبب الإضافة ، نحو قولك : زيد ضارب بكر ، والثانى : بسبب شبه الإضافة ، نحو قولك : لا مال لزيد عندك ، إذا لم تقدر هذه اللام مقحمة ، فإن قدرتها مقحمة كان حذف التنوين بسبب إضافة مال إلى زيد ، فيكون من النوع الأول ، والثالث : بسبب اقتران الاسم بال نحو الضارب والرجل والغلام ، والرابع : بسبب وجود علتين يقتضيان المنع من الصرف نحو فاطمة وأحمد وضوارب ، والخامس : بسبب اتصال الضمير بعامله نحو ضاربك وصاحبك ، إذا قدرت الضمير فى محل نصب على المفعولية، فإن جعلته فى محل جر بالإضافة كان من النوع الأول، والسادس: بسبب البناء،وذلك فى النداء واسم لا نحو يارجل لمعين ولا رجل عندك،والسابع: بسبب كون الاسم علما موصوفا بابن مضاف إلى علم نحو يا زيد بن عمرو ، والثامن : بسبب الوقف فى غير المنصوب ، أما فى المنصوب فإن التنوين يقلب ألفا فى المشهور من لغة العرب ، وربيعة تعامل المنصوب معاملة غيره . إذا عرفت هذا فاعلم أن محل الاستشهاد بهذا البيت قوله « ولا ذاكر الله » والرواية فيه بنصب لفظ الجلالة على التعظيم ، وهو معمول لذاكر ، وكان من حق العربية عليه أن ينون « ذاكر » لكنه حذف التنوين لضرورة الشعر ، وقد كان يمكنه أن يضيف « ذاكر » إلى لفظ الجلالة ؛ فيكون حذف التنوين حينئذ واجبا ، لا ضرورة ، لكنه آثر أن يرتكب الضرورة على حذفه للاضافة لقصد حصول التماثل بين المتعاطفين فى التنكير ، قال سيبويه « وزعم عيسى أن بعض العرب ينشد هذا البيت لأبى الاسود الدؤلى * فألفيته غير مستعتب ، ولا ذاكر الله - البيت * لم يحذف التنوين استخفافا ليعاقب المجرور ، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين كما قال رمى القوم ، وهذا اضطرار ، وهو مشبه بذلك الذى ذكرت لك » اه . وقال الأعلم « الشاهد فيه حذف التنوين من ذاكر لالتقاء الساكنين ونصب ما بعده ، وإن كان الوجه إضافته،وفى حذف تنوينه لالتقاء الساكنين وجهان: أحدهما أن يشبه بحذف=

أراد « ذَاكِرٍ اللهَ » فحذف التنوينَ لا لتقاء الساكنين ، لا للإضافة ، ولهذا نصب « الله » بذاكر ، وقال الآخر :

٤١٥ — تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ ، وَتُبْدِي
عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةُ الْعَذْرَاءُ

═النون الخفيفة إذا لقيها ساكن كقولك:اضرب الرجل ، تريد اضربن،والوجه الثانى: أن يشبه بما حذف تنوينه من الأسماء الاعلام إذا وصف بابن مضاف إلى علم كقولك : رأيت زيد بن عمرو ، وأحسن ما يكون حذف التنوين للضرورة فى مثل قولك : هذا زيد الطويل ؛ لأن النعت والمنعوت كالشىء الواحد ، فيشبه بالمضاف والمضاف إليه » اه.

٤١٥ — هذا البيت من كلام عبيد الله بن قيس الرقيات ، وقبله قوله :

كيف نومى على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٣٦) وقد أنشدابن‌منظور البيتين (خ د م) من غير عزو،وأنشدهما ابن الشجرى فى أماليه (٣٤٥/١) وعزاهما إليه، وتبدى : تظهر ، وعداه بمن فى قوله « وتبدى عن خدام » لأنه ضمنه معنى تكشف ، كما جاء فى قول امرىء القيس فى المعلقة :

تصد وتبدى عن أسيل ، وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل

والخدام ـ بكسر الخاء ـ جمع خدمة ، وهى الخلخال ، وربما سميت الساق نفسها خدمة ؛ لكونها موضع الخدمة . والعقيلة : الكريمة المخدرة من النساء ، والعذراء : البكر ، وجملة « تذهل الشيخ » فى محل رفع صفة لغارة ، والرابط فى هذه الجملة بين الموصوف والصفة الضمير المستتر فى « تذهل » فإنه يعود إلى غارة ، وجملة « وتبدى‌عن خدام » فى محل رفع بالعطف على الجملة السابقة ، ورابط هذه الجملة بالموصوف محذوف ، وأصل الكلام:وتبدى العقيلة العذراء لهاـأى لهذه الغارة،أى‌لأجلهاـ عن‌خدام، أى‌ترفع المرأة الكريمة من شدة هذه الغارة ثوبها طالبة الهرب فيبدو خلخالها ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « خدام » فقدكان من حق العربية عليه أن ينون هذه الكلمة لأنها ليست فى موضع من المواضع الثمانية التى أحصيناها لك فى شرح الشاهد السابق ، ولكنه حذف هذا التنوين للضرورة على نحو ما ذكرناه لك فى شرح الشاهد السابق ، ومن العلماء من يذكر أن الشاعر قد حذف التنوين من هذه الكلمة لأنه قدر إضافتها إلى ضمير العقيلة العذراء ،وأصل الكلام على‌هذا : وتبدى‌عن‌خدامها العقيلة العذراء ،═

أراد « عن خِدَامٍ » فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لا للإضافة ، ولهذا رفع « العقيلةُ » لأنها فاعلُ « تُبْدِى » . وقال الآخر :

٤١٦ — تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِى طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَلَّ بَشَاشَةَ الْوَجْهُ الْمَلِيحُ

= فحذف الضمير وهو ينويه، فلذلك أبقى التنوين محذوفا ، قال ابن منظور «وخدام ههنا فى نية عن خدامها » اه . ومن العلماء من يروى هذا البيت على وجه آخر ليس فيه شاهد ، وهو :

كيف نومى على الفراش ، ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه ، وتبدى عن براها العقيلة العذراء

٤١٦ — يعزى هذان البيتان إلى آدم أبى البشر ، وقد أنشدها ابن الشجرى فى أماليه (٣٤٦/١) وذكر أنه يقولها بعد أن قتل ابنه قابيل أخاه هابيل ، ويروى صدر الثانى « تغير كل ذى حسن وطيب » والبشاشة : طلاقة الوجه . ومحل الاستشهاد من البيت قوله « بشاشة » واعلم أولا أن من العلماء من يروى هذه الكلمة برفع « بشاشة » من غير تنوين ويضيفها إلى الوجه ، فيكون آخر البيت الثانى مجرورا وآخر البيت الأول مرفوعا ، ويكون فى هذين البيتين الإقواء ، وهو تغير حركة حرف الروى ، ومنهم من يروى بنصب « بشاشة » من غير تنوين ، ويرفع « الوجه » على أنه فاعل قل ، ويرفع « المليح » على أنه صفة للفاعل ، وعلى هذا يسلم البيتان من الإقواء ، ولكن يقع فى ثانيهما ضرورة حذف التنوين من الاسم الذى هو بشاشة لغير سبب من الأسباب الثمانية التى ذكرناها فى شرح الشاهد ٤١٤ وقد قرىء فى قوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) برفع ذائقة من غير تنوين ونصب الموت على أنه مفعول به لذائقة ، وحذف التنوين على هذا للتخلص من التقاء الساكنين كما فى بيت الشاهد والبيتين قبله . وحكى أبو سعيد السيرافى قال : « حضرت مجلس أبى بكر بن دريد ، ولم أكن قبل ذلك رأيته ، فجلست فى ذيل المجلس ، فأنشده أحد الحاضرين بيتين يعزيان إلى آدم عليه السلام قالهما لما قتل ابنه قابيل هابيل وهما * تغيرت البلاد — البيتين * فقال أبو بكر : هذا شعر قد قيل فى صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء ، فقلت : إن له وجها يخرجه من الإقواء ، فقال: ما هو؟ قلت :نصب بشاشة، وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين =

أراد « قَلَّ بشاشةً » بالتنوين ؛ فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لا للإضافة، ولهذا رفع « الوجه » لأنه فاعل « قَلَّ » ويروى هذا الشعر لآدم عليه السلام ، وقال الآخر :

٤١٧ — حَيْدَةُ خَالِي ولَقِيطٌ وعَلِي وحَاتِمُ الطَّائِيُّ وهَّابُ الْمِئِي

أراد « حاتمٌ » بالتنوين؛ فحذف التنوين لا لتقاء الساكنين ، وقال الآخر :

٤١٨ — عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

= لا للاضافة ، فتكون بهذا التقدير نكرة منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه وصفته بإسناد قل إليه ، فقال لى : ارتفع ، فرفعنى حتى أقعدنى إلى جنبه »

٤١٧ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما لامرأة من بنى عقيل تفخر بأخوالها من اليمن كذا قال أبو زيد فى النوادر (ص ٩١) وهما من شواهد رضى الدين فى باب العدد وباب الجمع وباب التنوين من شرح الكافية ،وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣٠٤) وقد أنشدها ابن منظور (م أ ى) وأبو زيد فى نوادره (ص ٩١) وابن جنى فى الخصائص (٣١١/١) وحيدة ، ولقيط ، وعلى : أعلام أشخاص ، و« حاتم الطائى » مضرب المثل فى الجود والكرم . ومحل الاستشهاد من هذا الشاهد قوله « وحاتم الطائى» حيث حذف التنوين من حاتم لالتقاء الساكنين،لا لسبب من الأسباب الثمانية التى بيناها لك فى شرح الشاهد ٤١٤،وهذا الحذف ههنا للضرورة ،وكان الأصل أن يحرك التنوين فتنشأ نون يكسرها على ماهو الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين،ولكنه لم يفعل ذلك وحذف التنوين رأسا ، وقد سمعت فى عبارة الأعلم الشنتمرى التى أثرناها لك فى شرح الشاهد ٤١٤ أن الحذف فى « وحاتم الطائى » أخف الضرورات لكون الطائى صفة لحاتم ، والصفة مع موصوفها كالكلمة الواحدة ، وفى البيت شاهد آخر ، وذلك فى قوله « المئى» حيث حذف النون ، وأصله « المئين » لأنها أخت التنوين .

٤١٨ — هذا البيت لمطرود بن كعب الخزاعى ، من كلمة له يمدح فيها هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هاشم يسمى عمرا ، فسموه هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه ويطعمهم فى المجاعات ، وقد روى هذا البيت ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١٣) ونسبه لمطرود بن كعب الخزاعى،ورواه ابن منظور =

وقال الآخر :

٤١٩ — حُمَيْـــدُ الَّذِى أَمَجٌ دَارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ

=(ه ش م) ونسبه إلى ابنة هاشم ولم يسمها ، ثم قال : «وقال ابن برى : الشعر لابن الزبعرى » .وأنشده أبو العباس المبرد فى الكامل (١٤٨/١) ولم يعزه إلى قائل معين ، وأبو زيد فى نوادره (ص ١٦٧)

قال أبو رجاء : والسر فى هذا الاضطراب أن لمطرود بن كعب الخزاعى كلمة على هذا الروى ، ولابن الزبعرى كلمة أخرى على الروى نفسه ، فأما كلمة مطرود بن كعب الخزاعى فرواها السيد المرتضى فى أماليه (٢٦٨/٢) وأما أبيات ابن الزبعرى فرواها ابن هشام فى السيرة ، وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ، وروى السيد المرتضى منها بيتين أولهما بيت الشاهد ، ومما كان من دواعى الاضطراب أن عجز هذا البيت وقع فى الشعرين جميعا : شعر مطرود بن كعب الخزاعى ، وشعر ابن الزبعرى .

والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « عمرو » حيث حذف التنوين منه لغير سبب من الأسباب الثمانية التى فصلناها فى شرح الشاهد ٤١٤ ، وإنما حذفه للتخلص من التقاء الساكنين : التنوين ، وسكون اللام فى « الذى » وليس هذا هو طريق التخلص من التقاء الساكنين الذى اعتاد العرب أن يسلكوه ، وإنما طريقهم أن يحركوا التنوين فتنشا نون مكسورة ، فلما لم يسلك الشاعر طريقهم المعتاد بل حذف التنوين رأسا كان ذلك ارتكابا للضرورة التى يرتكبها الشاعر حين يلجئه إليها ملجىء من إقامة الوزن ونحوه .

٤١٩ — أنشد ابن منظور هذا البيت(أم ج) عن أبى العباس المبرد (الكامل ١٤٨/١ الخيرية) ، ولم يعزه ، وابن الشجرى فى أماليه(٣٤٥/١) وأبو زيد فى نوادره (ص١١٧) وأنشده ياقوت فى معجم البلدان (أمج) ثانى ثلاثة أبيات ، وقال قبل إنشاده : « أمج بالجيم ، وفتح أوله وثانيه ، والأمج فى اللغة : العطش ، من أعراض المدينة ، منها حميد الأمجى ، دخل على عمر بن عبد العزيز ، وهو القائل :

شربت المدام فلم أقلع وعوتبت فيها فلم أسمع
حميد الذى أمج داره أخو الخمر . . . البيت
علاه المشيب على حبها وكان كريما ، فلم ينزع =

وقال الآخر :

٤٢٠ - [٢٧٦] لَتجِدَنِّى بِالأميرِ بَرًّا وبِالْقَنَاةِ مِــدْعَساً مِكَرًّا

* إذَا غُطَيْفُ السُّلَمِىُّ فَرَّا *

أراد « غطيفٌ » بالتنوين ، إلا أنه حَذَفَه لالتقاء الساكنين ، كما حذفت نون التوكيد لالتقاء الساكنين .

= ومن هنا تعلم أن فى بيت الشاهد الإقواء - وهو كما قلنا فى شرح الشاهد رقم ٤١٦ اختلاف حركة الروى فى آخر البيت، فإن حركة الروى فى «الأصلع» الضمة ، وحركته فى بقية الأبيات الكسرة ، إلا أن يكون الرواة يروون « الأصلع » بالجر للجوار ، لأن كلمة « الشيبة » قبله مجرورة بإضافة « ذو » إليها ، وانظر الشواهد ٣٨٩-٣٩١ السابقة فى المسألة رقم ٨٤ . ومحل الاستشهاد بهذا البيت ههنا قوله « حميد » حيث حذف التنوين من هذه الكلمة لغير سبب من الأسباب الثمانية التى ذكرناها فى شرح الشاهد رقم ٤١٤ وكان الأصل أن يحرك هذا التنوين حتى تنشأ نون مكسورة على ماهو الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين اللذين هما سكون التنوين وسكون لام الذى لأن بينهما ألف وصل ولا اعتداد بها فى الدرج ، لكنه حذف التنوين رأسا فى هذا الموضع للتخلص من التقاء هذين الساكنين ، وهذا الحــذف من الضرورات التى لا تقع إلا فى الشعر .

٤٢٠ - هذه ثلاثة أبيات من الرجز المشطور ، وقد أنشد ثلاثتها ابن الشجرى فى أماليه (١/٣٤٥) وابن منظور (د ع س) وأنشد أولها وثانيها (د ع ص) ولم يعزها فى المرتين ، وأنشدها أبو زيد فى النوادر (٩١) مع بيتين سابقين من غير عزو، وتقول: رجل مدعس ، ومدعص - وهو بالصاد أشهر - ومداعس بضم الميم هنا : أى طعان ، وتقول : دعصه بالرمح يدعصه دعصا - من مثال فتح - إذا طعنه به ، وقد يسمى الرمح مدعصا ؛ لأنه آلة الدعص ، وجمعه مداعص - بفتح الميم - ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « غطيف » حيث حذف التنوين لغير واحد من الأسباب الثمانية السابق بيانها ، بل للتخلص من التقاء الساكنين ، وهو ضرورة ، والقول فيه كالقول فى الشواهد السابقة .

والذى يدل على أن نون التوكيد فى الفعل بمنزلة التنوين فى الاسم أنه إذا انفتح ما قبلها أبْدَلْتَ منها فى الوقف ألفاً ،و إذا انضم ماقبلها أو انكسر حذفتها ، كما تُبْدِلُ من التنوين فى النصب إذا وقفت ألفاً ، نحو « رَأَيْتُ زَيْداً » وتحذفه فى الرفع والجر وتقف بالسكون ، نحو « هذا زَيدْ ، ومَرَرْتُ بِزَيْدْ » فدل على ما قلناه .

وأما قولهم « إن هذه النون دخلت لتأكيد الفعل المستقبل ؛ فكما جاز إدخالها فى كلِّ فعلٍ ؛ فكذلك فيما وقع فيه الخلاف » قلنا : إنما جاز هناك لمجيئه فى النقل ، وصحته فى القياس ، وأما ما وقع فيه الخلاف فلم يأت فى النقل عن أحد من العرب ، ولا يصح فى القياس ؛ لأنه لا نظير له فى كلامهم .

وأما قولهم « إن الألف فيها زيادةُ مدٍّ » قلنا : إلا أنه على كل حال لا يخفُّ كل الخفة ، ولا يَعْرَى عن الثقل ، هذا مع عدم نظيره فى النقل وضعفه فى القياس؛ لأن الألف لم تخرج عن كونها ساكنة ، و إذا كانت ساكنة فلا يجوز أن يقع بعدها ساكن إلا مدغماً ، نحو « دَابّةٍ ، وشَابّةٍ » لأن الحرف المدغم بحرفين : الأول ساكن ، والثانى متحرك ، إلا أنه لما نَبَا اللسانُ عنهما نَبْوَةً واحدة ، وصارا بمنزلة حرف واحد وفيهما حركة قد رفع المد فى الألف كأنه لم يجتمع ساكنان .

وأما قولهم « إنه قد جاء فى غير المدغم ، كقوله تعالى : (إنَّ صَلاَتِى ونُسُكِى ومَحْيَاىْ) فنقول : وجه هذه القراءة أنه نَوَى الوقف فحذف الفتح ، و إلاَّ فلا وجه لهذه القراءة فى حال الوصل ، إلا أن يجرى الوَصْلُ مجرى الوقف . وذلك إنما يجوز فى حال الضرورة .

وأما ما حكى عن بعض العرب من قوله « التقتْ حَلْقَتَا البطانِ » وقول الآخر « ثُلثا المال » فغير معروف ، والمعروف عن العرب حذف الألف من « حَلْقَتَا البطانِ ، و ثُلثا المالِ » وما أشبههما ؛ لا لتقاء الساكنين ، و إن صح ماحكيتموه عن أحد من العرب فهو من الشاذ النادر الذى لا يقاس عليه ، ولا يعتد به لقلته .

وأما قولهم « إنه يجوز تخفيف الهمزة فى نحو هَبَاءة ، والهمزة [٢٧٧] المخففة ساكنة » قلنا : لا نسلم أنها ساكنة ، بل هى متحركة ، وسنبين فساد ذلك مستقصى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وأما قراءة ابن عامر : (ولا تَتَّبِعَانْ) بالنون الخفيفة فهى قراءة تفرد بها ، وباقى القراء على خلافها ، والنون فيها للاعراب علامة الرفع ؛ لأن « لا » محمول على النفى ، لا على النهى ، والواو فى « ولا » واو الحال ، والتقدير : فاستقيما غير متبعين ، كما قال الشاعر :

٤٢١ — بِأَيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ
وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ

---

٤٢١ — هذا البيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٥٩٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٢٤٨) وأنشده ابن منظور (ش ى م) وعزاه إلى الفرزدق ، وقد وجدته فى ديوان الفرزدق (ص١٣٩) بيتا مفردا ، وأنشده ابن رشيق فى العمدة (٢/١٧٨ بتحقيقنا) وعزاه إلى سليمان بن قتة فى رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما وذكر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « ويروى للفرزدق » وروى صدره :

* أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم *

ورواه أبو العباس المبرد فى الكامل (١/١٨٠ الخيرية) ولم يشيموا سيوفهم : أى لم يغمدوها ، أى لم يعيدوها إلى قربها ، وقال قوم : المراد لم يسلوها ، أى لم يخرجوها من أغمادها ، فهو على هذا من الأضداد . ومحل الاستشهاد من هذا البيت ههنا قوله « ولم تكثر القتلى » فإن جماعة من العلماء — منهم ابن يعيش وابن هشام — ذهبوا إلى أن الواو فى قوله « ولم تكثر — إلخ » هى واو الحال ، قال ابن هشام « ولو قدرت للعطف لا نقلب المدح ذما » اهـ ، وهذا مبنى على أن معنى « لم يشيموا سيوفهم » لم يعيدوها إلى أغمادها ، يريد أنهم لم يعيدوها إلى أغمادها فى حال عدم كثرة القتلى ، أى انتفت إعادتهم السيوف إلى الأغماد فى حال عدم كثرة القتلى ؛ فيكون الثابت لهم إدخال السيوف فى أغمادها حال كثرة القتلى ، وهذا مدح أى مدح ، وهو مبنى على جعل=

أى : لم يَشِيمُوا سيوفَهم غيرَ كاثرة بها القتلى ، والمعنى لم يَشِيموا سيوفهم[1] إلا فى تلك الحالة ، و إذا كان محمولا على النفى لا على النهى لم يكن لكم فيه حجة .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهبوا إليه أنه لا يجتمع ساكنان فى الوصل إلا إذا كان الثانى منهما مدغماً .

قولهم « إن هذا النحو قد يلحقه ما يوجب له الإدغام ، نحو : اضْرِبَا نُّعْمَانَ واضْرِبَانِّى ، فينبغى أن تجيزوا هذا للإدغام » قلنا : هذا لا يستقيم ؛ لأنا نكون قد رَدَدْنَا النونَ الخفيفةَ مع لزوم حذفها فى حال الوصل والوقف إذا لم يتبعه كلام ، وذلك خطأ . ثم كيف ترده وأنت لو جمعت هذه النون إلى نون ثانية لا عتلت وأدغمت وحذفت فى قول بعض العرب ؟ فإذا كُفُوا مؤنتها لم تكن ليردوها إلى

= الواو للحال، فأما إن جعلت الواو للعطف ــ والمفروض أن معنى لم يشيموا لم يغمدوا ــ فإن المعنى حينئذ انتفت إعادتهم السيوف إلى أغمادها وانتفت أيضا كثرة القتلى ، يعنى أن الثابت لهم شيآن : عدم إغماد السيوف ، وعدم كثرة القتلى ، وهذا ذم شنيع ، ولاشك أنه ليس مراد الشاعر ، وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن الواو فى قوله « ولم تكثر القتلى » يجوز أن تكون للعطف ، وصححوا المعنى على ماأراد الشاعر بأحد وجهين : الأول أن معنى « لم يشيموا سيوفهم » لم يسلوها : أى لم يخرجوها من أغمادها . وهذا وجه نقله مع الوجه الأول ابن رشيق فى العمدة ؛ قال بعد إنشاد البيت : « أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتلى ؛ كما تقول : لم أضربك ولم تجن على ؛ إلا بعد أن جنيت على ، وقال آخرون : أراد لم يسلوا سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتلى ؛ كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك إلا وقد أحسنت إليك ؛ والقولان جميعا صحيحان ؛ لأنه من الأضداد » اهـ . والحاصل أنك إذا فسرت « لم يشيموا سيوفهم » بلم يغمدوها تعين أن تكون الواو للحال ، وإن فسرت « يشيموا سيوفهم » بلم يسلوها جاز أن تكون الواو للعطف وجاز أن تكون للحال ؛ والوجه الثانى من الوجهين : أن مراد الشاعر بقوله « ولم تكثر القتلى » أنهم لم يكثروا من القتل؛ لأنهم لايقتلون كل من قدروا عليه ، وإلا لأفنوا أعداءهم إفناء ، وإنما يقتلون أكفاءهم فى الشجاعة والإقدام على المكاره ، وذلك قليل فى أعدائهم. (١) لعل كلمة « إلا » لا لزوم لها .

ما يستثقلون ، ولو جوزنا هذا فى « اضر با نُعْمَان » ونحوه لوجب إجازته فى قولك « اضْر بَانَ أبا كما » فى قول من لم يهمز ؛ لأن هذا الموضع لم يمتنع فيه الساكن من التحريك ، فتردها إذا وثقت بالتحريك كما رددتها حيث وثقت فى الإدغام ، وكما لا يجوز أن ترد فى هذا وما أشبهه لأنك جئت به إلى شىء قد لزمه الحذف فكذلك ها هنا ، ولو وجب(١) إجازته فى غير ذلك من الأسماء التى لا نُونَ فى أولها ؛ ليكون الحكم فيها واحداً ، وذلك لا يجوز ؛ لأن حمل المدغم على غير المدغم فى الامتناع أولى من حمل غير المدغم على المدغم فى الجواز ، وذلك لأن غير المدغم أعمُّ استعمالا وأكثر وقوعاً ، والمدغم أقل استعمالا وأنْدَرُ وقوعاً ، فلما وجب أن يحمل أحدهما على الآخر كان حمل الأقل الأنْدَرِ على الأعم الأكثر أولى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر ، والله أعلم .

[٢٧٨] ٩٥ — مسألة

[الحروف التى وضع الاسمُ عليها فى « ذا » و « الذى »](٢)

ذهب الكوفيون إلى أن الاسمَ فى « ذَا ، والذى » الذالُ وحدها ، وما زيد عليها تكثير لها . وذهب البصريون إلى أن الذال وحدها ليست هى الاسم فيهما ، واختلفوا فى « ذا » : فذهب الأخفش ومَنْ تابعه من البصريين إلى أن

---

(١) كذا ، وأظن أصل الكلام « ولوجب إجازته »

(٢) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٤٤٤ و ٤٥٦) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (١/١٣٧و١٤٦) وتصريح الشيخ خالد (١/١٥٠ و ١٥٦ بولاق) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٨و٣٧) ولسان العرب لابن منظور (٢٠/١١١و٣٣٠و ٣٣٥) وشرحنا المطول على شرح الأشمونى (١/١٩٤) وأسرار العربية للمؤلف (ص ١٥٠)

أصله : ذَىٌّ ــ بتشديد الياء ــ إلا أنهم حذفوا الياء الثانية فبقى « ذَىْ » فأبدلوا من الياء ألفاً لئلا يلتحق بكَىْ ؛ فإذاً الألفُ منه منقلبة عن ياء ، بدليل جواز الإمالة ؛ فإنه قد حكى عنهم أنهم قالوا فى ذا « ذا » بالإمالة ، فإذا ثَبَتَ أنها منقلبة عن ياء لم يجز أن تكون اللام المحذوفة واواً ؛ لأن لهم مثل « حَيِيتُ » وليس لهم مثل « حَيَوْتُ » ، وذهب بعضهم إلى أن الأصل فى ذا « ذَوَى » بفتح الواو ؛ لأن بابَ « شَوَيْت » أكثر من باب « حَيِيتُ » فحذفت اللام تأكيداً للإبهام ، وقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وأما « الذى » فأجمعوا على أن الأصل فيه « لَذِى » نحو : عَمِى وشَجِى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الاسم هو الذال وحدها أن الألف والياء فيهما يحذفان فى التثنية نحو « قَامَ ذَانِ ، ورأيْتُ ذَيْنِ ، ومررتُ بذَيْنِ ، وقامَ اللَّذَانِ ، ورأيت اللَّذَيْنِ ، ومَرَرت باللَّذَيْنِ » ولو كان كما زعمتم أنهما أصلان لكانا لا يحذفان ، ولوجب أن يقال فى التثنية « الّذِيَان » كما يقال العَمِيَانِ ، والشَّجِيَانِ ، و « الّذِيُونَ » ، كما يقال : العميين ، والشجيين ، وأن تقلب الألف فى تثنية « ذا » ولا تحذف ، فلما حذفت الياء والألف فى تثنية « الذى ، وذا » دل على أنهما زائدان لا أصْلاَنِ ، وأن ما زيد عليهما تكثير لهما كراهية أن يبقى كل واحد منهما على حرف واحد ، وحركوا الذال لا لتقاء الساكنين ــ وهما الذال والألف فى ذا ، والذال والياء فى الذى ــ وفتحوا الذال فى « ذا » لأن الألف لا يكون ما قبلها إلاَّ مفتوحاً ، وكسروها من « الذى » لأن الكسرة من جنس الياء ، فكسروا ما قبل الياء توكيداً لها ، وزادوا اللام الثانية مفتوحة من « الذى » على اللام الأولى ليسلم سكون اللام الأولى ؛ لأن الألف واللام لا [٢٧٩] تدخل على ساكن إلا احتيج إلى تحريك اللام لا لتقاء الساكنين ، كقولهم « الانتظار ، والانكِسار » فلو لم تدخل اللام الثانية لأدى إلى تحريك اللام

الأولى ؛ لأنها ساكنة والذال بعدها ساكنة ؛ فزادوا اللام الثانية لتبقى اللام الأولى على أصلها فى السكون ولا تكسر لالتقاء الساكنين .

والذى يدل على أن الذال أصلُها السكونُ قولُ الشاعر :

٤٢٢ — اللّذْ بأسْفَلِهِ صَحْرَاء وَاسِعَــــةٌ
وَاللّذْ بأعْــــلاَهُ سَيْلٌ مَدَّهُ الجُرُفُ

وقول الآخر :

٤٢٣ — فَلَمْ أرَ بَيْتاً كَانَ أحْسَنَ بَهْجَــةً
مِنَ اللّذْ لَهُ مِنْ آلِ عَــــزَّةَ عَامِرُ

---

٤٢٢ — أنشد المؤلف هذا البيت شاهدا للكوفيين على أن أصل ذال الذى السكون ، ونظيره فى « التى » قول الأقيش بن ذهيل العكلى :

وأمنحه اللت لا يغيب مثلها إذا كان نيران الشتاء نوائما

وقول الآخر ، وأنشده ابن الشجرى فى أماليه عن الفراء ، وأنشده رضى الدين فى شرح الكافية :

فقل للت تلومك : إن نفسى أراها لا تعوذ بالتميم

والتميم : جمع تميمة ، وهى المعاذة ، ولكن ماوجه دلالة ذلك على أن الأصل هو السكون ، خصوصا إذا راعيت أنه قد جاء مع هذه الشواهد شواهد أخرى بكسر الذال ؟ وسيذكر المؤلف هذا الاعتراض وينشد شواهد أخرى تدل للغات أخر فى « الذى » وسنتكلم عليها هناك إن شاء الله .

٤٢٣ — العامر : المقيم فى الدار ، كأنه سمى بذلك لأنه يعمرها . وقد أنشد المؤلف هذا البيت على لسان الكوفيين يستدلون به على أن أصل ذال «الذى» ساكنة ؛ لأنها قد جاءت فى قول الشاعر « من اللذ » ساكنة ، والقول فيه كالقول فى الشاهد السابق فإن أقصى مايدل عليه مجيئها ساكنة فى هذا البيت ونحوه أن يكون سكونها مع حذف الياء لغة من لغات العرب قد جاءت فى هذه الكلمة ، وسنتكلم على ذلك مع الشواهد الأخرى التى جاءت على لغات أخر فى هذه الكلمة .

وقول الآخر :

٤٢٤ — لَنْ تَنْفَعِي ذَا حَاجَةٍ وَيَنْفَعَكْ وتَجْعَلِينَ اللَّذْ مَعِي فى اللَّذْ مَعَكْ

وقول الآخر :

٤٢٥ — فَظَلْتُ فى شَرٍّ مِنَ اللَّذْ كِيدَا كَاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز أن تكون الذال وحدها فيهما هو الاسم ، وذلك لأن « ذا ، والذى » كُلٌّ واحد منهما كلمة منفصلة عن غيرها ؛ فلا يجوز أن يُبْنَى على حرف واحد ؛ لأنه لابد من الابتداء بحرف والوقوف على حرف ؛ فلو كان الاسم هو الذال وحدها لكان يؤدى إلى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركا ، وذلك محال ؛ فوجب أن يكون الاسم فى « ذا » الذال والألف معاً ، والاسم فى « الذى » لذى ؛ لأن له نظيراً فى كلامهم ، نحو

---

٤٢٤ — الاستشهاد من هذا البيت فى قوله « اللذ معى فى اللذ معك » حيث وردت كلمة « اللذ » ساكنة الذال فى الموضعين ، والكلام فيهما كالكلام فى نظائرها من الشواهد السابقة .

٤٢٥ — هذان بيتان من الرجز المشطور، وهما لرجل من هذيل ، وقد أنشدهما ابن منظور (٢٠/٣٤٣) عن الفراء من غير عزو، وقد أنشد ثانيهما رضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٤٩٧) وأنشد ثانيهما أيضا ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٥٧) وتزبى : اتخذ زبية ، والزبية ــ بضم الزاى وسكون الباء ــ حفرة بعيدة الغور تصنع لاصطياد السبع ، إذا وقع فيها لم يستطع الخروج منها ، وفى أمثال العرب : بلغ السيل الزبى ، يقولونه إذا بلغ الأمر منتهاه ، وإنما تتخذ الزبية فى الجبال لأنها موطن الأسود ، ويروى « الربا » بالراء مهملة ، وهو جمع ربوة ، وهى ما ارتفع وعلا من الأرض . وكيد : فعل ماض مبنى للمجهول من الكيد يقول : لقد ظللت فى شر من الذى كدت فى حقه ، فكنت كمن حفر حفرة ليصطاد فيها فإذا هو واقع فيها . ومحل الاستشهاد من هذين البيتين قوله « فى شر من اللذ » وقوله « كاللذ تزبى » حيث وردت كلمة «اللذ» فى الموضعين محذوفة الياء ساكنة الذال ، والكلام فيها كالكلام فيما سبق من الشواهد .

شَجِى وعَمِى ، وهو أقل الأصول التى تبنى عليها الأسماء ، وما نقص عن ذلك من الأسماء التى أوغَلَتْ فى شبه الحروف فعلى خلاف الأصل ، ولا يمكن إلحاقَ « ذا ، والذى » بها ، ألا ترى أن « ذا » كاسمٍ مظهرٍ يكون وصفاً وموصوفاً ؟ فكونه وصفاً نحو قوله تعالى : (اذهبوا بقميصى هـذا) وكونه موصوفاً نحو قوله تعالى : (ما لهذا الـكتاب) وكذلك لا يمكن إلحاق « الذى » بها بان يحكم بزيادة اللام الثانية كاللام التى تزاد للتعريف ؛ لأن زيادة اللام ليس بقياس مطرد ، وإنما يحكم بزيادتها فى كلمات يسيرة نحو « زَيْدَلٍ ، وعَبْدَلٍ ، وأُولالِكَ » ؛ [٢٨٠] لقيام الدليل على ذلك ، كقولك فى معناها : زيد ، وعبد ، وأولاك ، ولم يوجد ها هنا ؛ فبقينا فيه على الأصل .

والذى يدل على أن الألف فى « ذا » والياء فى « الذى » أَصْلِيَّتَان قولُهم : فى تصغير ذا « ذَيًّا » وأصله : ذَيَيًّا ، بثلاث ياءات : ياءان من أصل الـكلمة وياء للتصغير ؛ لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، واستثقلوا اجتماع ثلاث ياءات ؛ فحذفوا الأولى ، وكان حذفها أولى؛ لأن الثانية دخلت لمعنًى وهو التصغير ، والثالثة لو حذفت لوقعت ياء التصغير قبل الألف ، والألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ؛ فكانت تتحرك ، وياء التصغير لا تـكون إلا ساكنة ، ووزنه « فَيْلى » ؛ لذهاب العين منه ؛ وفى تصغير الذى « اللَّذيّا » ولولا أنهما أصليتان ، وإلا لما انقلبت الألف فى « ذَا » ياء وأدغمت فى ياء التصغير ، ولما ثبتت الياء فى « الَّذِى » فى التصغير ؛ لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن هذا يبطل بما إذا سميتم رجلا بهَلْ وبَل ثم صغرتموه ؛ فإنـكم تزيدون فيـه فى التصغير ما لم يكن فيه قبل ذلك » لأنا نقول : إذا سمينا بهَلْ وبَلْ وما أشبه ذلك فقد نقلناه من الحرفية إلى الاسمية ، فإذا صغرناه صغرناه على أنه اسم ؛ فوجب أن نزيد عليه حرفاً توجبه الاسمية ،

بخلاف تصغير « الذى ، وذا » لأنا إنما نصغرهما[1] على معناهما الذى وُضِعا له ؛ فبانَ الفرقُ بينهما .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الألف والياء يحذفان فى التثنية فى نحو ذان واللذان ، فدل على زيادتهما » قلنا : ذان واللذان ليس ذلك تثنيةً على حد قولهم « زيد وزيدان ، وعَمْرو وعمران » وإنما ذلك صيغة مرتَجَلة للتثنية ، كما أن « هؤلاء » صيغة مرتجلة للجمع .

والذى يدلُّ على ذلك أنه لو كان ذلك تثنية على حدّ قولهم « زيد وزيدان ، وعمرو وعمران » لوجب أن يجوز عليه دخولُ الألف واللام كما يقال : الزيدان ، والعمران ، فلما لم يجز عليهما دخول الألف واللام فيقال الذَّان واللَّذَان[2] دلّ على أنه صيغة مرتجلة للتثنية فى أول أحواله بمنزلة « كِلا » وكذلك حكم كل اسم لا يقبل التنكير . وإنما لم يجز تثنيتهما على حد قولهم « زيد وزيدانِ ، وعمرو وعمران » لأن التثنية ترد الاسم المعرفة إلى التنكير ، والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والأسماء المضمرة [٢٨١] لا تقبل التنكير ، إلا أنهم لما قصدوا تثنيتها عاملوها ببعض ما يكون فى التثنية الحقيقية ؛ فأدخلوا عليها حرف التثنية ، فوجود حرف التثنية فى اللفظ بمنزلة تاء التأنيث فى « غرفة ، وقربة » فكما أن التأنيث فى « غرفة وقربة » لفظىٌّ لا معنوى ؛ فكذلك ها هنا : التثنية لفظية لا معنوية .

وقولهم « لو كان الأمر كما زعمتم لكان ينبغى أن لا تحذف الألف والياء من ذا والذى كما لا تحذف الياء من عمى وشجى » قلنا : هذا باطل ، وذلك من وجهين :

---

(١) فى ر « لأنا إنما تصغيرهما على معناهما » تحريف .

(٢) الأول تثنية « ذا » والثانى تثنية « الذى » مقرونين بأل .

أحدهما : أن تثنية عمى وشجى على حد تثنية زيدان وعمران ، بخلاف « ذا ، والذى » على ما بينَّا .

والثانى : أن ياء شجى وعمى يدخلها النصب ، نحو « رأيت عمياً وشجياً » بخلاف الياء فى « الذى » فإنها لا يدخلها النصب ، بل يلزمها السكون أبداً ؛ فبان الفرق بينهما .

وأما قولهم « إن الاسم هو الذال وحدها وما زيد عليها تكثير لها » قلنا : لو كان كما زعمتم لكان ينبغى أن يقتصر فى « الذى » على زيادة حرف واحد ، كما زدتم فى « ذا » فأما زيادة أربعة أحرف فهذا مالا نظير له فى كلامهم ، على أنا قد بينا فساد كونها زائدة .

وأما قولهم « الدليلُ على أن الأصل فيهما السكون نحو قول الشاعر :

فَظِلْتُ فِى شَرٍّ مِنَ اللَّذْ كِيدَا ... كَاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا [٤٢٥]

قلنا : لو جاز أن يستدل بهذه اللغة على أن الأصل فيها السكون لجاز لآخر أن يستدل على أن الأصل فيها الحركة باللغات الأخَرِ ؛ فإن فيها أرْبَعَ لُغَاتٍ : إحداها « الَّذِى » بياء ساكنة وهى أفصح اللغات ، والثانية « الَّذِىّ » بياء مشددة كما قال الشاعر :

٤٢٦ — وَلَيْسَ الْمَالُ فَاعْلَمْهُ بِمَالٍ ... مِنَ الأقْوَامِ ، إلاَّ لِلَّذِىِّ
يُرِيدُ بِهِ الْعَلاَءَ وَيَمْتَهِنْهُ ... لِأَقْرَبِ أَقْرَبِيهِ وَلِلْقَصِىِّ

---

٤٢٦ — هذان البيتان أنشدهما ابن منظور (ل ذ ى) من غير عزو ، وهما من شواهد رضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وقد شرحهما البغدادى فى الخزانة (٢/٤٩٧) وقد رواهما ابن الشجرى فى المجلس الرابع والسبعين من أماليه ، ويروى « ينال به العلاء » ويروى « ويصطفيه » ومعناه يختاره ، ويمتهنه فى رواية المؤلف بمعنى يهينه ، وهو مجزوم بلام أمر مقدرة — أى وليمتهنه — للضرورة ، وقوله «لأقرب» متعلق بيصطفيه أو بيمتهنه، والقصى : البعيد، يقول : ليس المال على وجه=

والثالثة « اللَّذِ » بكسر الذال من غير ياء ، كما قال الشاعر :

٤٢٧ — اللَّذِ لَوْ شَاء لَـكَانَتْ بَرًّا أَوْ جَبَلاً أَصَمَّ مُشْمَخِرًّا

=الحقيقة بمملوك لأحد من الناس إلا لرجل يريد به أن يبلغ أعلى درجات الرفعة وعلو القدر ويختاره ليعطى منه القريب والبعيد من غير تفرقة . ومحل الاستشهاد من البيتين قوله «للذى» حيث وردت هذه الكلمة بذال مكسورة وياء مشددة مكسورة، وكسر هذه الياء كسرة بناء وليست الكسرة التى تقتضيها اللام فى الاسم المعرب، وذلك لأن الموصولات كلها مبنية لشبهها بالحرف شبها افتقاريا ، وتشديد الياء فى «الذى» وفى « التى » لغة من لغات العرب ، وقد مضت لغة أخرى فى الشواهد ٤٢٢ – ٤٢٥ ، وستأتيك لغة أخرى فى الشاهد ٤٢٧ فإذا ضممت هذه اللغات إلى اللغة الأصلية — وهى ثبوت الياء ساكنة — كانت أربع لغات ، والمؤلف بصدد تعدادها .

٤٢٧ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما من شواهد رضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وقد شرحها البغدادى فى الخزانة (٢/٤٩٨) ويروى البيتان هكذا :

والذ لو شاء لـكنت صخرا أو جبلا أشم مشمخرا

وقد قال قوم من العلماء: إن الضمير المستتر فى « لـكانت » فى رواية المؤلف عائد على الدنيا ، وإن البر فى هذه الرواية بفتح الباء ضد البحر ، والمعنى: هو الذى لو شاء أن تكون الدنيا كلها برا لـكانت برا ولو شاء أن تكون كلها جبلا لـكانت جبلا، والأصم بالصاد ، ويروى «أشم» والأشم: العالى المرتفع ، والمشمخر : البالغ الغاية فى الارتفاع ، أو الراسخ . ومحل الاستشهاد من هذين البيتين قوله « اللذ » فقد وردت الرواية فيه بكسر الذال مع حذف الياء ووزن البيت لا يستقيم إلا بتحرك الذال ، ولم ينقل أنها تحرك بغير الكسر ، فدل ذلك على أن من العرب من ينطق بهذه الكلمة على هذا الوجه ، ونظير ذلك فى « التى » قول الشاعر :

شغفت بك اللت تيمتك ؛ فمثل ما بك ما بها من لوعة وغـــرام

قال ابن منظور فى (ل ذ ى) : « الذى : اسم مبهم ، وهو مبنى معرفة ، ولا يتم إلا بصلة ، وأصله لذى ، فأدخل عليه الألف واللام ، ولا يجوز أن ينزعا منه ، وقال ابن سيده : الذى من الأسماء الموصولة ليتوصل بها إلى وصف المعارف بالجمل ، وفيه=

والرابعة « اللَّذْ » بسكون الذال ، و بل أولى ؛ فإن « اللَّذْ » بسكون الذال أقَلُّ فى الاستعمال من « الذى » وغيرها من اللغات ، فإذا لم يعتبر الأكثر فى الاستعمال فأولى أن لا يعتبر الأقل ، والله أعلم .

٩٦ ــ مسألة

[الحروف التى وضع عليها الاسم فى « هو » و « هى »](1)

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم من « هُوَ ، وهِيَ » الهاء وحدها .

وذهب البصريون إلى أن الهاء والواو من « هو » والهاء والياء من « هى » هما الاسم بمجموعهما .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الاسم هو الهاء وحدها

= لغات: الذى ، والذ ــ بكسر الذال ــ والذ ــ بإسكان الذال ــ والذى ــ بتشديد الياء ــ ثم أنشد البيتين رقم ٤٢٦ » اهـ ، وقال كلاما نظير هذا عن التى فى (ل ت ى) وقال ابن يعيش : « أما الذى فيقع على كل مذكر من العقلاء وغيرهم ، وفيها أربع لغات ، قالوا : الذى ــ بياء ساكنة ــ وهو الأصل فيها ، واللذ ــ بكسر الذال من غير ياء ــ كأنهم حذفوا الياء تخفيفا إذ كانت الكسرة قبلها تدل عليها ، فعلوا ذلك كما قالوا : يا غلام ، ويا صاحب ــ بالكسرة اجتزاء بها عن الياء ــ الثالثة : اللذ ــ بسكون الذال ــ ومجازه أنهم لما حذفوا الياء اجتزاء بالكسرة منها أسكنوا الذال للوقف ثم أجروا الوصل مجرى الوقف ، وهو من قبيل الضرورة ، وعند الكوفيين قياس لكثرته ، الرابعة : الذى ــ بتشديد الياء ، للمبالغة فى الصفة ، كما قالوا : أحمرى ، وأصفرى ، وكما قال :

* والدهر بالإنسان دوارى *

وليس منسوبا » اهـ ، وإذا ثبت بالنقل الصحيح أن فى هذه الكلمة عدة لغات وأن العرب قد تكلموا بها كلها لم تكن إحدى هذه اللغات بأن تكون أصلا وغيرها فرعا عنها بأولى مما عداها

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٤١٦) وشرح الرضى على الكافية (٢/٩) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (١/١١٨)

دون الواو والياء أن الواو والياء تُحْذَفَانِ فى التثنية ، نحو « هما » ولو كَانَتَا أصلا لما حذفتا .

والذى يدل على ذلك أنهما تحذفان فى حالة الإفراد أيضاً وتبقى الهاء وحدها ، قال الشاعر ، وهو العُجَير السَّلُولِى جاهلى :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ :
لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلَاطِ نَجِيبُ [٣٣٣]

أراد « بَيْنَا هُوَ » وقال الآخر :

٤٢٨ — بَيْنَاهُ فِى دَارِ صِدْقٍ قَدْ أقَامَ بِهَا
حِينًا يُعَلِّلُنَا وَمَا نُعَلِّلُهُ

أراد « بَيْنَا هُوَ » وقال الآخر :

٤٢٩ — إذَاهُ سِيمَ الخَسْفَ آلَى بِقَسَمْ بِاللهِ لَا يَأْخُذُ إلَّا مَا احْتَكَمْ

---

٤٢٨ — هذا البيت من شواهد سيبويه (١/١٢) ولم يعزه ، ولا عزاه الأعلم ، وقد رويناه لك فى شرح الشاهد ٣٣٣ السابق فى المسألة (رقم ٧٠) وبينا علته عند سيبويه ومن نحا منحاه ، وهو ههنا مروى على لسان الكوفيين ، يستدلون به على أن أصل « هو » الهاء وحدها ، بدليل سقوطها فى هذا الشاهد وأمثاله ، فإن المعروف أن سقوط الحرف من الكلمة دليل على أنه زائد ، وهو كلام غير مستقيم ، لأن « هو » ضمير منفصل مستقل بنفسه يجرى مجرى الظاهر ، فلا يكون على حرف واحد ، ولأن لزوم الحرف وسقوطه إنما يستدل به فى تصريف الكلمات ، وقد عرف أن التصريف لا يدخل الضمائر ونحوها من الأسماء غير المتمكنة .

٤٢٩ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، وقد أنشدهما ابن منظور عن الكسائى (٢٠/٣٦٦) ولم يعزهما إلى قائل معين،والرواية عندهفى صدر الأول «إذاه سام الخسف» وتقول : سام فلان فلانا الخسف ، إذا أراد إذلاله وظلمه ، وقال الأعشى :

إذ سامه خطتى خسف فقال له : اعرض على كذا أسمعهما حار =

. . . .

= وآلى : حلف ، والقسم : اليمين ، ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « إذاه » فإنه أراد أن يقول « إذا هو » فلما لم يتيسر له ذلك حذف الواو ، والكوفيون يستدلون بهذا البيت ونحوه على أن أصل « هو » و « هى » الهاء وحدها ، وأما الواو فى « هو » والياء فى « هى » فحرفان زائدان قصد بهما دعم الهاء ، والبصريون يقولون : إن الواو والياء حرفان وضع كل واحد منهما مع الهاء ليكون كل من « هو » و « هى » ضميرا منفصلا ، وإن حذف الواو من « هو » وحذف الياء من « هى » لا يدل على زيادتهما ، لأن أقصى ما يدل عليه الحذف أن يكون لغة من لغات العرب يلجأ إليها من لا يستطيع أن يأتى بالكلمة على أصلها الذى وضعت عليه عند جمهور العرب، وقد يكون ذلك الذى فعله الشاعر فى هذا البيت ضرورة من ضرورات الشعر، والضرورات لا يستدل بها على أحكام العربية ولا تبنى عليها قواعد تجعل أسسا للكلام المتلئب ، قال ابن منظور « قال الكسائى : هو : أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل أنت ، فيقال : هو فعل كذا ـ أى بتشديد الواو مفتوحة ـ وقد ورد فى قول الشاعر :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقم

ومن شواهد تشديد الياء من « هى » قول الشاعر :

والنفس ما أمرت بالعنف آبية وهى إن أمرت باللطف تأتمر

قال : ومن العرب من يخففه فيقول : هو فعل كذا ، أى بإسكان الواو ـ قال اللحيانى : وحكى الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس : هو فعل ذلك ، بإسكان الواو ، وأنشد لعبيد :

وركضك لولا هو لقيت الذى لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعاديا

قال الكسائى : وبعضهم يلقى الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة ، فيقول : حتاه فعل ذلك ، وإنماه فعل ذلك ، وأنشد أبو خالد الأسدى :

* إذاه لم يؤذن له لم ينبس *

قال : وأنشدنى خشاف * إذاه سيم الخسف . . . البيتين * ثم أنشد الشاهد ٣٣٣ ثم قال : وقال ابن جنى : إنما ذلك لضرورة الشعر ، ولتشبيه الضمير المنفصل بالضمير المتصل فى عصاه وفتاه » اهـ .

أراد « إذا هُوَ » وقال الآخر :

٤٣٠ — * دَارٌ لِسُعْدَى إذْهِ مِنْ هَوَاكَا *

أراد « إذ هِيَ » فحذف الياء ؛ فدل على أن الاسم هو الهاء وحدها ، وإنما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كراهيةَ أن يبقى الاسمُ على حرف واحد ، كما زادوا الواو فى قولهم « ضربتهُو ، وأكرمتهُو » وإن كانت الهاء وحدها هى الاسم ، فكذلك ها هنا .

---

٤٣٠ — هذا بيت من مشطور الرجز ، وقبله :

* هل تعرف الدار على تبراكا *

وهو من شواهد سيبويه (٩/١) ورضى الدين فى باب المصدر وباب الموصول من شرح الكافية ، وقد شرحه البغدادى فى الخزانة (٢٢٧/١و٣٩٩/٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤١٧) وابن جنى فى الخصائص (٨٩/١) وتبراك — بكسر التاء وسكون الباء الموحدة — اسم موضع بعينه . ومحل الاستشهاد قوله « إذه » فقد ادعى الكوفيون أن مجىء الهاء وحدها مرادا بها « هى » يدل على أن الياء فى « هى » زائدة ، وأن أصل الكلمة الهاء وحدها ، والبصريون يردون ذلك ويأبونه ، وهم فى الرد عليهم ينهجون أحد منهجين ، الأول أن يقولوا : إن مجىء الهاء وحدها فى مكان « هى » و « هو » ضرورة من الضرورات التى تباح للشاعر إذا ألجأه قصد إقامة الوزن أو الروى ، أما فى حال السعة والاختيار فلا يجوز ذلك ، وهذا المنحى هو الذى انتحاه شيخ البصريين سيبويه رحمه الله ، ومنهم من حكى فى « هو » و « هى » لغات يتكلم بكل واحدة منها قبيلة أو أكثر من قبائل العرب ، وهذا هو المنحى الذى انتحاه الكسائى فيما نقلناه عن ابن منظور عنه فى شرح الشاهد السابق ؛ وقد ذهب إلى مثل كلامه ابن يعيش فى شرح المفصل (٤١٧) قال : « وذهب الكوفيون إلى أن الاسم الهاء وحدها ؛ واحتجوا لذلك بحذف الياء فى نحو قوله * دار لسعدى إذه من هوا كا * وليس فى ذلك حجة ؛ لأن ذلك من ضرورات الشعر ، وفيها ثلاث لغات : هى بتخفيف الياء وفتحها ؛ وهى بتشديد الياء مبالغة فى تقوية الاسم ولتصير على أبنية الظاهر ؛ وهى بالإسكان تخفيفا ؛ وينبغى أن يكون الحذف فى قوله * إذه من هوا كا * على لغة من أسكن لضعفها ؛ إذ المفتوحة قد قويت بالحركة » ا هـ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الواو والياء أصل أنه ضمير منفصل ، والضمير المنفصل لا يجوز أن يبنى على حرف واحد ؛ لأنه لابد من الابتداء بحرف والوقف على حرف ؛ فلو كان الاسم هو الهاء وحدها لكان يؤدى إلى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً ، وذلك محال ؛ فوجب أن لا تكون الهاء وحدها[1] هى الاسم .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الواو والياء تحذفان فى التثنية نحوهما » قلنا : إن « هُما » ليس بتثنية على [٢٨٣] حد قولك فى زيدٍ زيدان وعمرو عمران ، وإنما هما صيغة مرتجلة للتثنية كأنتما ، ألا ترى أنه لو كان تثنية على حد قولهم « زيدان ، وعمران » لقالوا فى تثنية هو « هُوانِ » وفى تثنية أنت « أنتان » ولكان يجوز أن يدخل عليهما الألف واللام فيقال « الهُوَانِ ، والأنْتَانِ » كما يقال : الزيدان ، والعمران ، فلما لم يقولوا ذلك دل على أنها صيغة مرتجلة للتثنية ، وعلى أنه لو كان الأمر كما زعمتم فليس لكم فيه حجة ؛ لأن الحرف الأصلى قد يحذف لعلة عارضة ، ألا ترى أن الياء تحذف فى الجمع فى نحو قولهم : « قَاضُونَ ، ورَامُونَ » والأصل قاضِيُونَ ، ورامِيُونَ ، فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة عنها ؛ فبقيت الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة ، فاجتمع ساكنان ، وساكنان لا يجتمعان ؛ فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وإن كانت أصلية لعلة عارضة ، فكذلك ها هنا ، والعلة ها هنا فى إسقاطهما أن الواو التى قبل الميم فى التثنية والجمع يجب أن تكون مضمومة ، والضمة فى الواو مستثقلة ؛ فلذلك سقطت ، وإنما وجب أن تكون مضمومة لأنها لو كسرت لكان ذلك مستثقلا من وجهين :

---

(١) فى ر « فوجب أن تكون الهاء وحدها هى الاسم » وهو ظاهر الفساد .

أحدهما : لأنه خروج من ضم إلى كسر ، وذلك مستثقل ، ولهذا ليس فى الأسماء ماهو على وزن فُعِلٍ إلا « دُئِل » اسم دُوَيْبَّة و « رُئِم » اسم للسَّهِ ، وهما فى الأصل فِعْلاَنِ نقلا إلى الاسمية ، وحكى بعضهم « وُعِلٌ » فى الْوَعِل .

والثانى : أن الكسرة تستثقل على الواو أكثر من استثقال الضمة عليها ؛ ولهذا تضم لالتقاء الساكنين فى نحو قوله : (اشْتَرَوُا الضلالة بالهدى) ولا تكسر إلا على وجه بعيد ، ولو بقيت الواو من « هُوَ » كما كانت مفتوحة وقد زيد عليها الميم والألف لَتُوُهِّمَ أنها حرفان منفصلان ؛ فوجب أن تغير الحركة التى كانت مستعملة فى الواحد إلى الضم كما غيرت فى « أنتما » ووجب أيضاً ذلك فى « أنتما » لأنها لو فتحت أو كسرت لجاز أن يتوهم أنها كلمتان منفصلتان ، فاجتلبوا حركة لم تكن فى الواحد لتدل على أنها كلمة واحدة ، وأجْرَوْا جميع المضمر فى التثنية والجمع هذا الْمُجْرَى .

وقيل : إنما ضُمَّتْ التاء فى التثنية حَمْلاً على الجمع ؛ لأنها فى التقدير كأنها وليت الواو فى « أنتمو » و إنما حملت التثنية على الجمع ليشتركا فى ذلك كما اشتركا فى الضمير فى « نَحْنُ » وزيدت الميم فى التثنية [٢٨٤] لوجهين :

أحدهما : أن التثنية أكثر من الواحد ، وفى المضمرات ما هو على حرف واحد ، فكثر اللفظ كما كثر العدد ؛ فلذلك زيد فى التثنية حرف ، وحمل جميع المضمرات عليه .

والثانى : أن القافية فيه إذا كانت مطلقة وحرف الروى مفتوح وُصِلَ بالألف ، ولهذا يسمى ألف الوصل والصِّلَة ، قال الشاعر :

يَا مُــــرَّ يَا بْنَ وَاقِــعٍ يَا أَنْتَا
أَنْتَ الَّذِى طَلَّقْتَ عَامَ جُعْتَا [٢٠٤]

وقال الآخر :

٤٣١ — أَخُوكَ أَخُو مُـكَاشَرَةٍ وَضِحْكٍ
وَحَيَّاكَ الإلٰهُ وكَيْفَ أَنْتَا

فلو لم يزيدوا الميم لالتبس الواحد بالتثنية ؛ فزادوا الميم كراهية الالتباس ، فـكانت الميم أولى بالزيادة لأنها من زوائد الأسماء ، فلذلك كانت أولى بالزيادة .

وأما ما أنشدوه من قول الشاعر :

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ . . . * [٣٣٣]

و * بَيْنَاهُ فِى دَارِ صِدْقٍ . . . * [٤٢٨]

و * إِذَاهُ سِيمَ الْخَسْفَ . . . * [٤٢٩]

و * دَارٌ لِسُعْدَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَا * [٤٣٠]

---

٤٣١ — المـكاشرة : الضحك حتى تبدو الأسنان ، تقول : كشر الرجل يكشر — مثل جلس يجلس — كشرا ، وانـكل ، وافتر — بتضعيف لامها — أى تبسم ، وقال الشاعر :

وإن من الأخوان إخوان كشرة وإخوان كيف الحال والبال كله

الـكشرة — بوزن العشرة والهجرة — مثل المـكاشرة ، نظير الهجرة والمهاجرة والعشرة والمعاشرة . والضحك فى بيت الشاهد بـكسر الضاد وسكون الحاء ، وقوله « وحياك الإله » يريد لفظ الجلالة ، يعنى أن أخاك رجل حسن الصحبة رفيق فى معاملة إخوانه يقبل عليهم بوجه طلق وسن ضاحك يحييهم ، وقوله « فـكيف أنتا » يريد هل أنت على غرار أخيك ؟ وماحالك مع إخوانك ؟ ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « كيف أنتا » حيث ألحق الألف للضمير المنفصل الذى لخطاب الواحد المذكر عند الوقف عليه ، فلو لم نزد الميم قبل الألف فى الضمير المنفصل الذى لخطاب الاثنين واكتفينا بزيادة الألف فقلنا « أنتا » لـكان يلتبس خطاب الواحد بخطاب الاثنين ، لما قلنا فى خطاب المثنى « أنتما » بزيادة الميم قبل الألف ارتفع اللبس

فإنما حذفت الواو والياء لضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

٤٣٢ — فَلَسْتُ بِآتِيــــهِ وَلاَ أَسْتَطِيعُهُ
وَلَٰكِ أُسْقِنِي إنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلِ

أراد « وَلَـٰكِنِ أُسْقِنِي » فحذف النون لضرورة الشعر ، وكقول الآخر :

٤٣٣ — أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ
كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَـــبِيٍّ مُـكَلَّلِ

---

٤٣٢ — هذا البيت من كلمة فى وصف ذئب ، للنجاشى الحارثى ، واسمه قيس بن عمرو بن مالك ، وقد اختار هذه الـكلمة الشريف المرتضى فى أماليه (٢/٢١١) والشريف ابن الشجرى فى حماسته (ص ٢٠٧ ط الهند) والبيت من شواهد سيبويه (١/٩) وابن جنى فى الخصائص (١/٣١٠) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٤٨٥) وفى أوضح المسالك (رقم ١٠٠) والأشمونى (رقم ٢٥٧) والرضى فى باب الحروف المشبهة بالفعل ، وشرحه البغدادى (٤/٣٦٧) وقبل البيت المستشهد به قوله :

وماء كلون الغسل قد عاد آجنا قليل به الأصوات فى بلد محل
وجدت عليه الذئب يعوى كأنه خليع خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له : ياذئب ، هل لك فى فتى يواسى بلا من عليك ولا بخل ؟
فقال : هداك الله للرشد ! إنما دعوت لما لم يأته سبع مثلى

ومحل الاستشهاد فى البيت قوله « ولاك اسقنى » وأصل العبارة « ولـكن اسقنى » فالتقى فيها ساكنان : نون لـكن ، وسين اسقنى ، وكان الأصل فى التخلص من هذين الساكنين أن يكسر نون لـكن ، ولـكن الشاعر حذفها هنا للتخلص من التقاء الساكنين حين اضطر لإقامة الوزن ؛ قال الأعلم « حذف النون من لـكن لاجتماع الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ، وكان وجه الـكلام أن يكسر لالتقاء الساكنين ، شبهها فى الحذف بحروف المد واللين إذا سكنت وسكن مابعدها ، وذلك نحو يغز العدو ، ويقض الحق ، ويخش الله ، ولما استعمل محذوفا نحو لم يك ولا أدر » اه .

٤٣٣ — هذا البيت هو البيت السبعون من معلقة امرىء القيس بن حجر الـكندى (انظر شرح التبريزى ص ٦٩) والبيت من شواهد سيبويه (١/٣٣٥) ولـكنه روى صدره « أحار ترى برقا » وابن جنى فى الخصائص (١/٩٦) ولـكنه روى صدره =

. . . .

= « أعنى على برق أريك وميضه » و « حار » فى رواية سيبويه يريد به « حارث » لحذف الثاء ، و « صاح » فى رواية المؤلف يريد به « صاحبى » لحذف ياء المتكلم وحذف آخر المضاف أيضا ، وترى : يريد أترى — بهمزة الاستفهام — إلا أنه لما كان حرف الاستفهام فى صورة حرف النداء الذى استعمله وهو الهمزة ، وكان حرف النداء يؤدى من التنبيه وتحريك المخاطب مثل مايؤديه حرف الاستفهام اكتفى بحرف النداء والوميض — بفتح الواو — اللمع ، والحبى — بفتح الحاء وتشديد الياء — وهو السحاب المعترض بالأفق ، والمكلل : المتراكب بعضه فوق بعض ، وقوله « فى حبى » متعلق بوميضه . ومحل الاستشهاد فى رواية المؤلف قوله « أصاح » فإن هذه الكلمة مؤلفة من حرف النداء وهو الهمزة ومنادى مضاف لياء المتكلم وقد رخمه الشاعر بحذف ياء المتكلم ، وحذف حرف من أصل الكلمة ، وأصله صاحبى ، ونظيره فى ذلك قول الشاعر :

صاح هل ريت أو سمعت براع　　رد فى الضرع ماقرى فى العلاب

وقول الآخر :

صاح شمر ، ولا تزل ذاكر المو　　ت ؛ فنسيانه ضلال مبين

وجاء على هذا الغرار قول أبى العلاء المعرى :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحــب فأين القبور من عهد عاد ؟

يريد هؤلاء الشعراء « ياصاحبى » لحذفوا ياء المتكلم ، ثم استتبعوا ذلك الحذف حذف الباء التى هى آخر حروف الكلمة الأصلية ، وقد حذفوا مع ذلك حرف النداء وهذا الترخيم شاذ ، ولا يكون مثله عند البصريين إلا فى ضرورة الشعر ، لما علمت (فى المسألة ٤٨) من أنهم لا يجيزون ترخيم الاسم المضاف ، فارجع إلى المسألة التى أحلناك عليها لتعلم حقيقة الأمر .

وأما فى رواية سيبويه فالاستشهاد به فى قوله « أحار » حيث أراد « ياحارث » فرخم بحذف الثاء ، وهو عند سيبويه قليل بالنسبة لترك الترخيم ، قال « واعلم أن الأسماء التى ليس فى أواخرها هاء ألا يحذف منها أكثر ؛ لأنهم كرهوا أن يخلوا بها فيحملوا عليها حذف التنوين وحذف حرف لازم للاسم لا يتغير فى الوصل ولا يزول ، وإن حذفت فحسن ، وليس الحذف لشىء من هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر ، وذلك لأنهم استعملوها كثيرا فى الشعر وأكثروا التسمية بها للرجال » اهـ . =

أراد « صَاحِبِى » فحذف البـاء والياء ؛ فـكذلك ها هنا ، وَبَلْ أوْلى ، وذلك من وجهين :

أحدهما : أن الواو والياء حرفا عــلة ، والنون من « لـكن » والباء من « صاحب » حرف صحيح ، والمعتل أضْعَفُ من الصحيح ؛ فإذا جاز حذف الأقوى لضرورة الشعر فحذفُ الأضْعَفِ أولى .

والثانى : أنه قد حَذَفَ حرفين للضرورة ــ وهما الباء والياء من صاحبى ــ وإذا جاز حَذْفُ حرفين للضرورة فحذفُ حرفٍ واحد أولى .

وأما قولهم « إنهم زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كما زادوا الواو [٢٨٥] فى ضَرَبْتُهُو » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن « هو » ضمير المرفوع المنفصل ، والهـاء فى « ضَرَبْتُهُو » ضمير المنصوب المتصل ، وقد بينَّا أن ضمير المرفوع المنفصل لا يجوز أن يكون على حرف واحد ، بخلاف ضمير المنصوب المتصل ؛ لأن ضمير المرفوع المنفصل يقوم بنفسه ؛ فلا بُدَّ من حرفٍ يبتدأ به وحرفٍ يوقف عليه ، بخلاف ضمير المنصوب المتصل ؛ لأنه لا يقوم بنفسه ، ولا يجب فيه ما وجب فى ضمير المرفوع المنفصل .

والذى يدلُّ على أنها ليست كالواو فى « أكْرَمْتُهُو » أنه لا يلزم تسكينها كما يلزم تسكينها فى « أكرمتهو » ولا يجوز تحريك الواو فى « أكرمتهو » كما يجوز فى « هُوَ قائم » ولو كانا بمنزلة [واحدة] لوجب أن يُسَوَّى بينهما فى الحـكم ، والله أعلم .

= ومن ترخيم حارث ــ غير بيت الشاهد ــ قول مهلهل بن ربيعة :

يا حار لا تجهل على أشياخنا   إنا ذوو السورات والأحلام

وقول الآخر :

يا حار لا أرمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك

٩٧ — مسألة

[القول فى هل يقال « لَوْلَاىَ » و « لَوْلَاكَ » ؟ وموضع الضمائر][١]

ذهب الكوفيون إلى أن الياء والكاف فى « لولاى ، ولولاك[٢] » فى موضع رفع ، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين . وذهب البصريون إلى أن الياء والكاف فى موضع جر بلولا . وذهب أبو العباس المبرد إلى أنه لا يجوز أن يقال « لولاى ، ولولاك » ويجب أن يقال « لولا أنا ، ولولا أنت » فيؤتى[٣] بالضمير المنفصل كما جاء به التنزيل فى قوله : (لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) ولهذا لم يأت فى التنزيل إلا منفصلا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الياء والكاف فى موضع رفع لأن الظاهر الذى قام الياء والكافُ مَقَامَه رَفْعٌ بها على مذهبنا ، وبالابتداء على مذهبكم ؛ فكذلك ما قام مقامه .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « هذا يبطل بعَسَى ؛ فإن عسى تعمل فى المُظْهَر الرفعَ وفى المكنىِّ النَّصْبَ » لأنا نقول : الجواب على هذا من ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أنا لا نسلم أنها تنصب المكنىّ ، وإنما هو فى موضع رفع بعسى ، فاستعير للرفع لفظُ النصب فى عسى ، كما استعير لفظ الجر فى « لولاى ، ولولاك » وإليه ذهب

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٤٣٧) وشرح الكافية للرضى (٢/١٨) وشرحنا المطول على شرح الأشمونى (٣/١٩٢ – ١٩٩) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٢/١٨١)

(٢) ومثل الكاف التى للمخاطب والياء التى للمتكلم الهاء التى للغائب فى نحو « لولاه »

(٣) فى ر « فيأتى »

الأخفش من أصحابكم . والوجه الثانى : أن الكاف فى موضع نصب بعسى ، وأن اسمها مضمر فيها ، وإليه ذهب أبو العباس المبرد من أصحابكم . والوجه الثالث : أنا نسلم[1] أنه فى موضع [٢٨٦] نصب ، ولكن لأنها حملت على « لعلَّ » فجعل لها اسم منصوب وخبر مرفوع ، وهو هاهنا مقدر ، وإنما حملت على « لعلَّ » لأنها فى معناها ، ألا ترى أن « عسى » فيها معنى الطمع ، كما أن لعل فيها معنى الطمع ، فأمَّا « لولا » فليس فى حروف الخفض ما هو بمعناه فيحمل عليه ، فبان الفرق بينهما ، ولأنه لو كان المكنىُّ فى موضع خفض لكنا نجد اسماً ظاهراً مخفوضاً بلولا ؛ لأنه ليس فى كلام العرب حرف يعمل الخفض فى المكنى دون الظاهر ؛ فلو كانت مما يخفض لما كان يخلو أن يجىء ذلك فى بعض المواضع أو فى الشعر الذى يأتى بالمستجاز ، وفى عدم ذلك دليل على أنه لا يجوز أن تخفض اسماً ظاهراً ولا مضمراً ؛ فدل على أن الضمير بعد « لولاك » فى موضع رفع .

يدل عليه أن المكنىَّ كما يستوى لفظه فى النصب والخفض نحو « أكرمتكَ ، ومَررتُ بكَ » فقد يستوى لفظه أيضاً فى الرفع والخفض نحو «قمنا ، ومَرَّ بنا» فيكون لفظ المكنى فى الرفع والخفض واحداً ، وإذا كان كذلك جاز أن تكون الكاف فى موضع « أنتَ » رفعاً .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « لو كان الرفع محمولا على الجر فى لولاك لوجب أن يُفْصَلَ بين المكنىِّ المرفوع والمجرور فى المتكلم كما فصل بين لفظ المكنىِّ المنصوب والمجرور فى المتكلم نحو : أكرمنى ، ومربى » لأنا نقول : النون فى المنصوب لم تدخل لتفصل بين المكنىِّ المنصوب والمكنىِّ المخفوض ، وإنما دخلت النون فى المكنىِّ المنصوب لاتصاله بالفعل ؛ فلو لم يأتوا بهذه النون لأدى ذلك إلى أن يكسر الفعل لمكان الياء ؛ لأن ياء المتكلم لا يكون ما قبلها إلا

(١) فى مطبوعة أوربا « والوجه الثالث أنا لا نسلم ــ إلخ » وزيادة لا واضحة

مكسوراً ، والفعل لا يدخله الكسر ؛ لأنه إذا لم يدخله الجر ــ وهو غير لازم ؛ استثقالا له ــ فلأن لا يدخله الكسر الذى هو لازم استثقالا له كان ذلك من طريق الأولى . وأما المكنىُّ المخفوض فلم تدخله هذه النون لأنه يتصل بالحرف ، والحرف لا يلزم أن تدخل عليه هذه النون ، و « لولا » حرف ؛ فلهذا المعنى لم تدخل عليه هذه النون .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن المكنى فى « لولاى ، ولولاك » فى موضع جر لأن الياء والكاف لا تكونان علامةَ مرفوعٍ ، والمَصِيرُ إلى مالا نظير له فى كلامهم مُحَال ؛ ولا يجوز أن يتوهم أنهما فى موضع نصب ؛ لأن « لولا » حرف ، وليس بفعل له [٢٨٧] فاعل مرفوع فيكون الضمير فى موضع نصب ، وإذا لم يكن فى موضع رفع ولا نصب وجب أن يكون فى موضع جر .

قالوا : فلا يجوز أن يقال « إذا زعمتم أن لولا تخفض الياء والكاف فحروف الخفض لابد أن تتعلق بفعل فبأىِّ فعلٍ تتعلق ؟ » لأنا نقول : قد تكون الحروف فى موضع مبتدأ لا تتعلق بشىء كقولك « بحسبك زيد » ومعناه حَسْبُكَ ، قال الشاعر :

بِحَسْبِكَ فِى الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا ... بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَــنِىٌّ مُضِرّْ [١٠٠]

وكقولهم « هل من أحد عندك » أى هل أحدٌ عندك ؟ قال الله تعالى : (مالكم مِن إلاه غيره) أى مالكم إلاه غيره ، ولهذا كان (غيره) مرفوعا فى قراءة من قرأ بالرفع ؛ فموضعها رفع بالابتداء وإن كانت قد عملت الجر ، وكذلك « لولا » إذا عملت الجر صارت بمنزلة الباء فى « بحسبك » ومن فى « هل من أحد عندك » ولا فرق بينهما .

والصحيح ما ذهب إليه الكوفيون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما قولهم « إن الياء والكاف لا يكونان علامة مرفوع » قلنا : لا نسلم ؛ فإنّه قد يجوز أن تدخل علامة الرفع على الخفض ، ألا ترى أنه يجوز أن يقال « ما أنا كأنت » وأنت : من علامات المرفوع ، وهو ها هنا فى موضع مخفوض ، فكذلك ها هنا ؛ الياء والكاف من علامات المخفوض ، وهما فى « لولاى ، ولولاك » من علامات المرفوع .

والذى يدل على أن « لولا » ليس بحرف خفض أنه لو كان حرفَ خفضٍ لكان يجب أن يتعلق بفعل أو معنى فعل ، وليس له ها هنا ما يتعلق به .

قولهم « قد يكون الحرف فى موضع مبتدأ لا يتعلق بشىء » قلنا : الأصل فى حروف الخفض أن لا يجوز الابتداء بها ، وأن لا تقع فى موضع مبتدأ ، وإنما جاز ذلك نادراً فى حرفٍ زائدٍ دخولُه كخروجه كقولهم « بحسبك زيد ، وما جاءنى من أحد » لأن الحرف فى نية الاطِّرَاحِ ؛ إذ لا فائدة له ، ألا ترى أن قولك « بحسبك زيد ، وحَسْبُكَ زيد » فى معنى واحد ، وكذلك قولك « ما جاءنى من أحد ، وما جاءنى أحَدٌ » فى المعنى واحد ، فأما الحرف إذا جاء لمعنى ولم يكن زائداً فلا بد أن يتعلق بفعلٍ أو معنى فعلٍ ، ولولا : حرف جاء لمعنى ، وليس بزائد ؛ لأنه ليس دخوله كخروجه ، ألا ترى أنك لو حذفتها لبطل [٢٨٨] ذلك المعنى الذى دخلت من أجله ، بخلاف الباء فى « بحسبك زيد » ومن فى قولك « ما جانى من أحد » فبان الفرق بينهما .

ثم لو سلمنا أن الحرف مطلقاً إذا وقع فى موضع ابتداء لا يتعلق بشىء فلا نسلم ها هنا أن الحرف فى موضع ابتداء ، وقد بينا فساد ذلك فيما قبل .

وأما إنكار أبى العباس المبرد جوازه فلا وَجْهَ له ؛ لأنه قد جاء ذلك كثيراً فى كلامهم ، وأشعارهم ، قال الشاعر :

٤٣٤ — وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْلَاىَ طِحْتَ كَمَا هَوَى
بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى

---

٤٣٤ — هذا البيت ليزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى صاحب الشاهد رقم ١١١ السابق فى المسألة ٢٢ من نفس القصيدة التى منها الشاهد المذكور ، وهذا البيت من شواهد سيبويه (٣٨٨/١) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٣٧) ورضى الدين فى باب الضمير من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤٣٠/٢) والمبرد فى الكامل (٢٠٩/٢) وابن جنى فى الخصائص (٢٥٩/٢) والأشمونى (رقم ٥٢٥) وابن عقيل (رقم ٢٠٠) وشرحه العينى (٢٦٢/٣ بهامش الخزانة) وطحت : سقطت وهلكت ، ويجوز فى الطاء الضم والكسر ؛ لأن عين هذا الفعل جاءت بالواو وبالياء وإن كانت الياء أكثر ، تقول : طاح يطوح كقال يقول ، وطاح يطيح كباع يبيع ، وهوى : سقط من أعلى إلى أسفل ، وهو على وزان رمى يرمى ، فأما هوى يهوى بمعنى عشق يعشق فوزانه رضى يرضى ، والأجرام: جمع جرم ، وجرم كل شىء جثته، والقلة ومثلها القنة ــ بضم القاف وتشديد ما بعدها ــ أعلى الجبل ، والنيق ــ بكسر النون ــ أرفع موضع فى الجبل ، والمنهوى : الساقط . ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله «لولاى» حيث وقع الضمير المتصل الذى أصله أن يكون فى محل جر أو محل نصب بعد لولا ، ولولا عند جمهرة النحاة حرف من حروف الابتداء تتطلب اسما ظاهرا مرفوعا كما فى قول الراجز ، وهو عامر بن الأكوع رضى الله عنه:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

أو ضميرا منفصلا مرفوعا كما فى قوله تعالى (لولا أنتم لكنا مؤمنين) وقد اختلف النحاة فى مثل « لولاى » أهو جائز أم لا ؟ فقال أبو العباس المبرد : هو تعبير غير جائز عربية ، فإن وقع فى كلام فهو خطأ ، وقال غيره من العلماء : هو جائز لوروده فى كلام العرب المحتج بكلامهم ، غير أنه ليس بالمنهج المطرد ولا المهيع المستمر ، قال أبو سعيد السيرافى : «ما كان لأبى العباس المبرد أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم ، ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب » اهـ ، ويقول أبو رجاء : وما كان لأبى العباس المبرد أن ينكر ورود مثل هذا التعبير عن العرب ، وهو يروى هذا البيت فى الكامل (٢٠٩/٢ الخيرية)ويروى قبله بيتا فيه هذا التعبير ، وهو قول رجل من الخوارج لم يعينه ، وهو أعشى همدان:

ويوم بجى تلافيته ولولاى لاصطلم العسكر =

. . . .

= وقد ورد فى رجز لرؤبة ، وهو قوله :

* لولا كما قـــد خرجت نفساها *

ورؤبة عنده أفصح العرب ، وهو ممن لاتنـكر فصاحته.

ثم اختلف القائلون بصحة هذا التعبير ، ولهم فيه ثلاثة مذاهب :

فذهب سيبويه رحمه الله تعالى إلى أن هذه الياء فى «لولاى» والـكاف فى «لولاك» والهاء فى «لولاه» فى محل جر بلولا ، ولولا حينئذ حرف جر ، لاحرف ابتداء ، ولاتتعلق بشىء وعنده أن لولا على وجهين : الوجه الأول تـكون فيه حرف ابتداء وذلك إذا وقع بعدها الاسم الظاهر كما فى رجز عامر بن الأكوع ، أووقع بعدها ضمير رفع منفصل كما فى الآية الـكريمة التى تلونا ، والوجه الثانى أن تـكون حرف جر لايتعلق بشىء كما فى هذا البيت ، قال : « هذا باب ما يكون مضمرا فيه الاسم متحولا عن حاله إذا أظهر بعده الاسم . وذلك لولاك ولولاى ، إذا أضمرت فيه الاسم جر ، وإذا أظهرت رفع ، ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت : لولا أنت ، كما قال سبحانه (لولا أنتم لـكنا مؤمنين) ولـكنهم جعلوه مضمرا مجرورا ، والدليل على ذلك أن الياء والـكاف لاتـكونان علامة مضمر مرفوع ، قال الشاعر * وكم موطن لولاى .. البيت * وهذا قول الخليل ويونس » اه كلامه .

والمذهب الثانى : مذهب الأخفش والفراء ، وحاصله أن الياء والـكاف والهاء فى محل رفع بالابتداء ، ولولا حرف ابتداء على حالها ، وليس لها إلا حال واحدة ، ولـكن العرب وضعت ضمير الجر فى موضع ضمير الرفع ، كما عكسوا فوضعوا ضمير الرفع فى موضع ضمير الجر فقالوا : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا .

والمذهب الثالث : مذهب الـكسائى ، وتلخيصه أن الاسم المرتفع بعد « لولا » فاعل بفعل محذوف يدل عليه المقام ، وتقدير الـكلام : لو لم يكن فعلى ، وذلك لأن « لولا » عنده تختص بالفعل ، ولم أجد نصا صريحا عنه يمنع وقوع الضمير المتصل بعد لولا أو يجيزه ، إلا ما ذكره ابن يعيش استنباطا فى شرح مذهبه حيث يقول «وأما الـكسائى فـكان يرى ارتفاع الاسم بعد لولا بفعل مضمر ، معناه لو لم يكن فعلى ، فعلى هذا ينبغى إذا كنى عنه أن تقول : لولا أنا ، ولولا أنت ، لأن الفعل لم يظهر فتتصل به كنايته ، فوجب أن يكون الضمير منفصلا » اه كلامه بحروفه ، وقوله « فعلى هذا ــ إلخ » استنباط من عنده بحسب الأصول والقواعد ، ولعل الـكسائى يجيز وضع الضمير =

وقال الآخر :

٤٣٥ — أَتُطْمِعُ فِينَا مَنْ أَرَاقَ دِمَاءَنَا
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَعْرِضْ لأَحْسَابِنَا حَسَنْ

وقال بعض العرب :

٤٣٦ — [أَوْمَتْ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهَوْدَجِ] لَوْلَاكَ هٰذَا الْعَامَ لَمْ أَحْجُجِ

= المتصل فى مكان المنفصل المرفوع كالأخفش والفراء ، والفرق بينهما هو فى العامل فى الضمير؛ فالأخفش والفراء يريان أن العامل فى الضمير هو الابتداء لأن لولا عندهما لا تكون إلا حرف ابتداء ، والكسائى يرى أن العامل فى الضمير الفعل المقدر ؛ لأن لولا حرف يختص بالفعل فلا يقع بعده إلا الفعل لفظا أو تقديرا ، وارجع إلى المسألة العاشرة .

٤٣٥ — ينسب هذا البيت إلى عمرو بن العاص يقوله لمعاوية بن أبى سفيان فى شأن الحسن بن على ، رضى الله عنهم أجمعين ، وقبل البيت قوله :

معاوى إنى لم أبايعك فلتة وما زال ما أسررت منى كما علن

والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٣٨) والأشمونى (رقم ٥٢٤) وابن عقيل (رقم ١٩٩) وشرحه العينى (٣/٢٦٠ بهامش الخزانة) ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ولولاك » حيث وقع الضمير المتصل الذى حقه أن يكون فى موضع الجر أو موضع النصب بعد لولا ؛ ومجىء هذا الاستعمال فى كلام العرب المحتج بكلامهم يرد أولا على أبى العباس المبرد الذى أنكر مثل هذا الاستعمال ، وللذين يجيزون هذا الاستعمال ثلاث تخريجات ذكرناها مفصلة فى شرح الشاهد السابق ، فارجع إليها إن شئت .

٤٣٦ — هذا البيت من شواهد الزمخشرى فى المفصل وابن يعيش فى شرحه (ص٤٣٨) ونسبه إلى عمر بن أبى ربيعة ، ولا يوجد البيت فى أصل ديوانه ، ولكنه موجود فى زيادات الديوان أول بيتين (انظر الديوان ٤٨٧ بتحقيقنا) ومن شواهد رضى الدين فى شرح الكافية فى باب الضمير ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٢٩) ونسب قوم بيت الشاهد للعرجى — واسمه عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان — وهو مثل عمر بن أبى ربيعة أحد شعراء قريش الغزلين ، وأومت : معناه أشارت ، وأصله أومأت ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا من جنس حركة ما قبلها ، ثم حذف هذه الألف للتخلص =

وأما مجىء الضمير المنفصل بعده نحو « لَوْلاَ أنَا ، ولَوْلاَ أنْتَ » كما قال تعالى : (لَوْلاَ أنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) فلا خلاف أنه أكثر فى كلامهم وأفْصَحُ ، وعدمُ مجىء الضمير المتصل فى التنزيل لا يدل على عدم جوازه ، ألا ترى أنه لم يأتِ فى التنزيل تَرْكُ عمل « ما » فى المبتدأ والخبر نحو « ما زيد قائم ، وما عمرو منطلق » وإن كانت لغةً جائزةً فصيحةً ، وهى لغة بنى تميم ، قال الشاعر :

٤٣٧ — رِكَابُ حُسَيْلٍ أَشْهُرَ الصَّيْفِ بُدَّنٌ
وَنَاقَةُ عَمْرٍو مَا يُحَلَّ لَهَا رَحْلُ
وَيَزْعُمُ حَسْلٌ أَنَّهُ فَرْعُ قَوْمِهِ
وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يَا حُسَيْلُ وَلاَ أَصْلُ

= من التقاء الساكنين معاملة لها معامله الألف الأصلية فى نحو سعت ونهت وسقت وشفت وأبقت وأفنت وتغاضت وتراضت ، وما أشبه ذلك ، والهودج : مركب من مراكب النساء ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « لولاك » حيث وقع الضمير المتصل الذى يكون فى محل الجر أو النصب بعد لولا ، والقول فيه كالقول فى الشاهدين السابقين فلا نطيل الحديث بعد أن فصلنا لك ذلك فيما سبق .

٤٣٧ — الركاب : الإبل ، ولا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها راحلة ، وأشهر الصيف : مركب إضافى صدره منصوب على الظرفية ، والبدن : جمع بادن ، وهو الكثير اللحم العظيم البدن ، ويقال بادن للمذكر والمؤنث ، وربما قيل للمؤنث : بادنة ، وكنى بكون ركابه بدنا عن أنها لا تعمل ولا يؤخذ منها شىء من دم أو لبن ، وقابله بقوله « ما يحل لها رحل » أى أنها على سفر دائما ، وحسل : اسم رجل وأصله ولد الثعلب ، وحسيل : تصغيره . ومحل الاستشهاد من البيتين قوله « وما أنت فرع ولا أصل » حيث أهمل « ما » النافية فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر ، وإهمالها لغة تميم ، وإعمالها لغة أهل الحجاز وهى التى وردت فى القرآن الكريم فى قوله سبحانه (ما هذا بشرا) وقوله جلت كلمته (ما هن أمهاتهم) وقد علمنا أن القرآن الكريم نزل على الرسول الكريم بلغة قومه وهم أهل الحجاز ، فعدم وجود لغة أخرى فيه لا يدل على ضعف هذه اللغة المتروكة ، ولا على أنه لا يجوز التكلم بها ، نعم الافصح فى الاستعمال هو ماجاء فى الكتاب العزيز .

ثم لم يَدُلَّ عدمُ مجيئها فى التنزيل على أنها غيرُ جائزةٍ ولا فصيحةٍ ؛ فكذلك ها هنا ، والله أعلم .

٩٨ — مسألة

[الضمير فى « إياك » وأخواتها][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن الكاف والهاء والياء من « إيَّاكَ ، وإيَّاه ، وإياى » هى الضمائر المنصوبة ، وأن « إيا » عماد ، وإليه ذهب أبو الحسن ابن كَيْسَانَ ، وذهب بعضهم إلى أنَّ «إياك» بكماله هو الضمير . وذهب البصريون إلى أن « إيا » هى الضمير [٢٨٩] والكاف والهاء والياء حروف لا موضع لها من الإعراب . وذهب الخليل بن أحمد إلى أن « إيا » اسم مضمر أضيف إلى الكاف والهاء والياء ؛ لأنه لا يفيد معنًى بانفراده ، ولا يقع معرفَةً ، بخلاف غيره من المضمرات ؛ فخص بالإضافة عوضاً عما مُنِعَه ، ولا يعلم اسم مضمر أضيف غيره . وذهب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أنه اسم مُبْهَم أضيف للتخصيص ، ولا يعلم اسم مبهم أضيف غيره . وذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أنه اسم مظهر خُصَّ بالإضافة إلى سائر المضمرات ، وأنها فى موضع جر بالإضافة . وحكى أيضاً عن الخليل بن أحمد — رحمه الله ! — أنه مظهر ناب مَنَابَ المضمر . وحكى عن العرب إضافته إلى المظهر فى قولهم فى المثل « إذا بلغ الرجل الستين فإيَّاه وإيَّا الشَّوَابِّ » . والذى عليه الأكثرون من الفريقين ما حكيناه عنهما أولا .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن هذه الكاف والهاء

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد الأزهرى (١٢٢/١) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (١١٩/١) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص ٤١٨ وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (١٢/٢)

والياء هي، الكاف والهاء والياء التي تكون فى حال الاتصال ؛ لأنه لا فرق بينهما بوجهٍ ما ، إلا أنها لما كانت على حرفٍ واحدٍ وانفصلت عن العاملِ لم تقم بنفسها فأتى بإيًّا لتعتمد الكاف[1] والهاء والياء عليها ؛ إذ لا تقوم بنفسها ، فصارت بمنزلة حرف زائد لا يحول بين العامل والمعمول فيه .

والذى يدل على ذلك لحاق التثنية والجمع لمـــا بعد « إيا » ولزومها لفظاً واحداً .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن « إيا » هى الضمير دون الكاف والهاء والياء ، وذلك لأنا أجمعنا على أن أحدهما ضمير منفصل ، والضمائر المنفصلة لا يجوز أن تكون على حرف واحد ؛ لأنه لا نظير له فى كلامهم ؛ فوجب أن تكون « إيا » هى الضمير ؛ لأن لها نظيرا فى كلامهم ، والمصير إلى ماله نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير ؛ ولهذا المعنى قلنا « إن الكاف والهاء والياء حروف لا موضع لها من الإعراب » ؛ لأنها لو كانت معربة لكان إعرابها الجرَّ بالإضافة ؛ ولا سبيل إلى الإضافة ها هنا ؛ لأن الأسماء المضمرة لاتضاف إلى ما بعدها ؛ لأن الإضافة تُرَادُ للتعريف[2] ، والمضمر فى أعلى مراتب التعريف ؛ فلا يجوز إضافته إلى غيره ؛ فوجب أن لا يكون لها موضع من الإعراب .

وأما قول من ذهب من البصريين إلى أنه مضمر أضيف[٢٩٠] لأنه لايفيدمعنى بانفراده ، ولم يقع معرفة فجاز أن يخص بالإضافة — فباطل ؛ لأن هذا الضمير ما وقع إلا معرفة ، ولم يقع قَطُّ نكرة .

والذى يدل على ذلك أن علامات التنكير لا يحسن دخولُهَا عليه ، بل فيها إبهام تبينه هذه الحروفُ كالتاء فى « أنت » فإن الضمير هو « أنْ » وهو مبهم ، والتاء تبينه ؛ فإن كانت مفتوحة دَلَّتْ على أنه ضمير المذكر ، وإن كانت

(١) فى ر « لتعمد الكاف - إلخ » .
(٢) فى ر « تزاد للتعريف »

مكسورة دلت على أنه ضمير المؤنث ، فكذلك ها هنا : جُعِلَتْ هذه الأحرف مبينةً لذلك الإبهام مع كونه معرفة لا نكرة ، وكما لايجوز أن يقال « أنْ » مضاف إلى التاء ؛ فكذلك لا يجوز أن يقال إنَّ « إيا » مضاف إلى الكاف والهاء والياء وإذا حصلت الفائدة بهذه الأحرف لا على جهة الإضافة ـ ولها نظير فى كلامهم ـ كان أولى من جعل الضمير مضافا إليها ولا نظيرَ له فى كلامهم .

وهذا هو الجواب عن مذهب مَنْ ذهب إلى أنه اسم مبهم مضاف ؛ لأن المبهم معرفة ، والمعرفة لا تضاف ؛ لأنه استغنى بتعريفه فى نفسه عن تعريف غيره ؛ لأن الكَحَلَ يغنى عن الكُحْلِ .

وأما مَنْ ذهب إلى أنه اسم مظهر فباطل ؛ لأنه لو كان الأمر على مازعم لما كان يقتصر فيه على ضرب واحد من الإعراب وهو النصب ، فلما اقتصر فيه على ضرب واحد من الإعراب وهو النصب دل على أنه اسم مضمر ، كما أنه لما اقتصر بأنَا وأنْتَ وهُوَ وما أشبهها على ضرب واحد من الإعراب وهو الرفع دل على أنها أسماء مضمرة ؛ إذ لا يعلم اسم مظهر اقتصر فيه على ضرب واحد من الإعراب ، إلا ما اقتصر به من الأسماء على الظرفية نحو « ذَاتَ مَرَّةٍ ، وبُعَيْدَاتِ بين » ونوعاً من المصادر نحو « سُبْحَانَ ، ومَعَاذَ ». وليس « إيَّا » ظرفاً ولا مصدرا فيلحق بهذه الأسماء .

وأما ما حكى عن الخليل من قولهم « إِذَا بَلَغَ الرجلُ الستِّين فإياه وإيَّا الشَّوَابِّ » فالذى ذكرهُ سيبويه فى كتابه أنه لم يسمع ذلك من الخليل ، وإنما قال : وحدثنى مَنْ لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابياً يقول: إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهى رواية شاذة لا يعتد بها ، وكأنه لما رأى آخره يتغير كتغير المضاف والمضاف إليه أجراه مجراه .

ثم هذه الرواية حجة على مَنْ يزعم أنه اسم مظهر خص بالإضافة إلى المضمرات ؛ لأنه أضاف [٢٩١] « إيَّا » إلى « الشواب» وهو اسم مظهر .

والذى يدل على أنه ليس باسم مُظْهَر أنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن يجوز أن يقال : ضربت إياك ، كما يقال : ضربت زيداً ؛ فلما لم يجز ذلك دل على أنه ليس باسم مظهر .

فأما قول الشاعر :

٤٣٨ — بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنَتْ
إِيَّاهُمُ الأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَارِيرِ

---

٤٣٨ — هذا البيت للفرزدق همام بن غالب ، من قصيدة له يمدح فيها يزيد بن عبد الملك بن مروان (الديوان ص ٢٦٢ – ٢٦٧) وليس لأمية بن أبى الصلت كما قال ابن جنى، وقبل البيت المستشهد به قوله :

يا خير حى وقت نعل له قدما ... وميت بعد رسل الله مقبور
إنى حلفت،ولم أحلف على فند، ... فناء بيت من الساعين معمور
فى أكبر الحج حاف غير منتعل ... من حالف محرم بالحج مصبور

والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٤٧) وابن عقيل (رقم ١٥) وأوضح المسالك (رقم ٢٣) وابن جنى فى الخصائص (١/٣٠٧ و ٢/١٩٥) ورضى الدين فى باب الضمير من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٠٩) وابن الناظم فى باب الضمير من شرح الألفية ، وشرحه العينى (١/٢٧٤ بهامش الخزانة) ومحل الاستشهاد من البيت قوله « ضمنت إياهم الأرض » حيث جاء بالضمير منفصلا مع أنه فى موضع يمكن الإتيان به متصلا فيقال « ضمنتهم الأرض » والذى صنعه الشاعر فى بيت الشاهد مما لا يجوز إلا فى ضرورة الشعر ، ومثل هذا البيت قول الشاعر ، وينسبونه إلى طرفة بن العبد البكرى ، ولكنه غير موجود فى ديوانه :

أصرمت حبل الوصل؟ بل صرموا ... يا صاح ، بل قطع الوصال هم

وبين هذا البيت والبيت المستشهد به فرق من جهتين : الجهة الأولى أن الضمير فى هذا البيت ضمير رفع منفصل وفى البيت المستشهد به ضمير نصب منفصل ، والجهة الثانية أنه قد فصل بين الضمير وعامله فى البيت المنسوب إلى طرفة واتصل الضمير بعامله من البيت المستشهد به ، وهذا مما يزيد فى قبح الضرورة ، فاعرف ذلك .

وقول الآخر :

٤٣٩ — * إِلَيْكَ حَتَّى بَلَغَتْ إِيَّاكَا *

وقول الآخر :

٤٤٠ — كَأَنَّا يَوْمَ قُرَّى إِنَّمَـــا نَقْتُلُ إِيَّانَا

---

٤٣٩ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وقبله قوله :

* أتتك عنس تقطع الأراكا *

والبيت من شواهد سيبويه (٣٨٣/١) ونسبه الأعلم إلى حميد الأرقط ، ومن شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٢٤) وتعرض البغدادى لشرحه أثناء شرح الشاهد ٣٨٥من شواهدالـكافية ، وهوالشاهد الآتى،وممن استشهدبهابن جنى فى الخصائص (٣٠٧/١ و ٢ / ١٩٤) والعنس — بفتح فسكون — الناقة الشديدة القوية على السير ، وقوله « تقطع الأراك » أراد تقطع الأرضين التى هى منابت الأراك ، والأراك — بوزن السحاب — العود الذى يستاك به . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « بلغت إياك » حيث جاء بالضمير المنفصل فى المكان الذى يكون فيه الضمير المتصل، وكان من حق العربية عليه أن يقول « حتى بلغتك » وكان الزجاج يذهب إلى أن « إياك » فى هذا البيت ليس مفعولا لبلغت ، ولـكنه توكيد لضمير متصل محذوف يقع مفعولا لبلغت ، وأصل الـكلام على هذا « بلغتك إياك » وهو تخلص من ضرورة بالوقوع فى ضرورة أخرى ؛ لأن حذف المؤكد وبقاء التوكيد مما لا يجوز؛ لأنه يفوت الغرض الذى سيق إليه الـكلام

٤٤٠ — قد اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت ، فنسبه سيبويه (٣٨٣/١) إلى بعض اللصوص ولم يعين اسمه ، ورواه فى (٢٧١/١) وقال قبل إنشاده « وحدثنى أبو الخطاب أنه سمع من يوثق بعربيته من العرب ينشد هذا البيت » ونسبه ابن جنى فى الخصائص (١٩٤/٢) لأبى بجيلة ، ونسبه ابن الشجرى فى أماليه (٣٢/١ ط مصر) إلى ذى الإصبع العدوانى ، والبيت بعد ذلك من شواهد رضى الدين فى باب الضمير من شرح الـكافية ، وشرحه البغدادى فى خزانة الأدب (٤٠٦/٢) والزمخشرى فى المفصل ونسبه — كما فى كتاب سيبويه — إلى بعض اللصوص ، وابن يعيش فى شرحه(ص ٤٢٣) ونسبه إلى ذى الإصبع العدوانى ، وقرى — بضم القاف وتشديد الراء مفتوحة — موضع فى بلاد بنى الحارث بن كعب ، وقوله « نقتل إيانا » شبه فيه أعداءهم الذين أوقعوا فيهم القتل بأنفسهم فى السيادة والحسن ، يدلك على هذا قوله بعد بيت الشاهد : =

فهو من ضرورة الشعر التى لا يجوز استعمالها فى اختيار الكلام .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الكاف والهاء والياء هاهنا هى التى تكون فى حالة الاتصال » قلنا : لا نسلم ؛ فإنها وإن كانت مثلها فى اللفظ إلا أنها تخالفها ؛ لأن الكاف والهاء والياء ها هنا حروف وهناك أسماء ، وصار هذا كالتاء فى « أنْتَ » فإنها فى اللفظ مثل التاء فى « قُمْتَ » وإن كانت التاء فى « أنْتَ » حرفاً والتاء فى « قُمْتَ » اسماً ، وكما لا يجوز أن يقال إن التاء

= قتلنا منهم كل فتى أبيض حسانا
يرى يرفل فى بردين من أبراد نجرانا

ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « نقتل إيانا » وقد أراد المؤلف بإيراد هذا الشاهد هنا أن يقول : إنه وضع الضمير المنفصل المنصوب فى موضع الضمير المتصل المنصوب ، وكان عليه — على هذا — أن يقول « إنما نقتلنا » ولكنه لو قال «إنما نقتلنا» لكان خطأ ؛ لأنه لا يجوز أن يكون فاعل الفعل ومفعوله ضميرين لشىء واحد ، لا تقول « ضربتنى » ولا « ضربتك » بتاء المخاطب ، ولا « زيد ضربه » على أن يكون فى ضرب ضمير مستتر يعود إلى زيد ، وتكون الهاء أيضا عائدة إلى زيد ، وإذا أريد هذا المعنى جىء بلفظ النفس فجعل مفعولا به ، فيقال «ضربت نفسى» و«أكرمت نفسى» و « ضربت نفسك » و« أكرمت نفسك » و « زيد أكرم نفسه » ويستثنى من هذه القاعدة أفعال القلوب وفعلان آخران — وهما عدم وفقد — تقول « ظننتنى ، وخلتنى ، وعدمتنى ، وفقدتنى » ، فلو أراد الشاعر أن يأتى بالكلام على الطريق المستعمل فى كلام العرب كان يقول « إنما نقتل أنفسنا » قال الأعلم « وفصل الضمير من الفعل ضرورة ، وكان الوجه نقتلنا ، والأصل فى هذا أن يستغنى فيه بالنفس فيقال : نقتل أنفسنا ، فوضع إيانا موضع ذلك » اه . وأحسن مما قال الأعلم قول ابن يعيش « الشاهد فيه وضع إيانا موضع الضمير المتصل ، إلا أنه أسهل من قول حميد الأرقط * حتى بلغت إياك * وذلك لأنه لا يمكنه أن يأتى بالمتصل فيقول نقتلنا لأنه يتعدى فعله إلى ضميره المتصل ، فكان حقه أن يقول : نقتل أنفسنا ، لأن المنفصل والنفس يشتركان فى الانفصال ويقعان بمعنى ، فلما كان المتصل لا يمكن وقوعه هنا لما ذكرناه ، وكان النفس والمنفصل مترادفين استعمل أحدهما فى موضع الآخر » اه .

فى « أنْتَ » اسم ؛ لأنها مثل التاء فى « قُمْتَ » فكذلك هاهنا [و] كما أن الاسم المضمر فى « أنْتَ » أنْ وحدها والتاء لمجرد الخطاب وليست عماداً للتاء ؛ فكذلك « إيَّا » هى الاسم المضمر وحدها ، وليست عماداً للكاف والهاء والياء .

ثم لو كان الأمر كما زعموا لكان ذلك يؤدى إلى أن يُعْمَد الشيء بما هو أكثر منه ، وأن يكون الأكثر عماداً للأقل وتَبَعاً له ، وهذا لا نظير له فى كلامهم .

والذى يدلُّ على أن هذه الكاف والهاء والياء ليست هى التى تكون فى حالة الاتصال أن هذه الأحْرُفَ ها هنا ضمائر منفصلة ، وتلك ضمائر متصلة ، والضمائر المنفصلة ينبغى أن يكون لفظُها مخالفاً للفظ الضمائر المتصلة ، كما أن لفظ المضمرات المرفوعة المنفصلة مخالف للفظ الضمائر المرفوعة المتصلة ، وليس شىء منها معموداً ، فكذلك ها هنا .

وأما استدلالهم على أن « إيا » [٢٩٢] عماد بلحاق التثنية والجمع لما بعدها فيبطل بأنْتَ ؛ فإنا أجمعنا على أن الضمير منه « أنْ » والتثنية والجمع يلحقان ما بعده وهو التاء ، ولا خلاف أن « أنْ » ليست عماداً للتاء ، وأن التاء ليست هى الضمير ، فكذلك هاهنا ؛ وهذا لأن الحروف إذا زيدت للدلالة على الأشخاص جاز أن تلحقها علامة التثنية والجمع ؛ لأنها لَمَّا كانت دلالة على المخاطب والغائب والمتكلم لم يكن بُدٌّ من لحاق علامة التثنية والجمع بها .

على أنا نقول : إن « إياكما ، وإياكم » ليس بتثنية لمفرد ولا جمع على حد التثنية والجمع ، وإنما « إياكما » صيغة مرتجلة للتثنية ، و « إياكم » صيغة مرتجلة للجمع ، وكذلك « أنتما ، وأنتم » ليس بتثنية ولا جمع على حد التثنية والجمع ، وإنما « أنتما » صيغة مرتجلة للتثنية ، و « أنتم » صيغة مرتجلة للجمع ، وكذلك

حكم كل اسم مضمر واسم إشارة واسم صِلَةٍ . وسنبين هذا فى اسم الصلة مستقصى إن شاء الله تعالى .

وأما مَنْ ذهب إلى أنه بكماله المضمر فليس بصحيح ، وذلك لأن الكاف فى « إياكَ » بمنزلة التاء فى « أنْتَ » .

والذى يدلُّ على ذلك أن الكاف فى « إياكَ » تفيد الخطاب ، كما أن التاء فى « أنْتَ » تفيد الخطاب ، وأن فتحة الكاف تفيد خطاب المذكر ، كما أن فتحة التاء فى « أنْتَ » تفيد خطاب المذكر ، وأن كسرة الكاف تفيد خطاب المؤنث ، كما أن كسرة التاء تفيد خطاب المؤنث ، فكما أن التاء ليست من المضمر الذى هو « أنْ » فى « أنْتَ » وإنما هى لمجرد الخطاب ، ولا موضع لها من الإعراب ؛ فكذلك الكاف ليست من المضمر الذى هو « إيَّا » فى « إيَّاكَ » وإنما هى لمجرد الخطاب ، ولا موضع لها من الإعراب ، وإذا لم تكن الكاف فى « إياكَ » من المضمر كما لم تكن التاء فى « أنت » من المضمر ، واستحال أن يقال إنَّ « أنْتَ » بكماله هو المضمر ؛ فكذلك يستحيل أن يقال إنَّ « إياكَ » بكماله هو المضمر ، والله أعلم .

٩٩ — مسألة

[المسألة الزنبورية][١]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال « كُنْتُ أظُنُّ أن العقرب أشدُّ [٢٩٣] لَسْعَةً من الزُّنْبُورِ فإذا هو إياها » . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يقال « فإذا هو إياها » . ويجب أن يقال « فإذا هو هى » .

(١) انظر فى هذه المسألة : مغنى اللبيب لابن هشام (ص ٨٨ — ٩٢) فقد فصل المسألة وخرج المثال موضع الخلاف تخريجا دقيقا .

أما الكوفيون فاحتجوا بالحكاية المشهورة بين الكسائى وسيبويه ، وذلك أنه لما قدم سيبويه على البَرَامكة ، فطلب أن يجمع بينه و بين الكسائى للمناظرة ؛ حضر سيبويه فى مجلس يحيى بن خالد وعنده وَلَدَاهُ جعفر والفضل ومَنْ حضر بحضورهم من الأكابر ، فأقبل خلف الأحمر على سيبويه قبل حضور الكسائى ، فسأله عن مسألة ، فأجابه سيبويه ، فقال له الأحمر : أخطأت ، ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثة ، فأجابه فيها ، فقال له : أخطأت ، فقال له سيبويه : هذا سُوءُ أدبٍ ، قال الفراء : فأقبلت عليه وقلت : إن فى هذا الرجل عَجَلَةً وحِدَّةً ، ولكن ما تقول فى من قال « هؤلاء أبُونَ ، ومررت بأبِينَ » كيف تقول على مثال ذلك من « وأيت» و « أويت » فقدَّر فأخطأ ، فقلت : أعِدِ النظر ، فقدَّر فأخطأ ، فقلت : أعِدِ النظر ، فقدّر فأخطأ ، ثلاث مرات يجيب ولا يصيب . فلما كثر ذلك عليه قال : لا أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره ، قال : فحضر الكسائى ، فأقبل على سيبويه فقال : تسألنى أو أسألك؟ فقال : بل تسألنى أنت ، فأقبل عليه الكسائى فقال : كيف تقول : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هى ، أو فإذا هو إياها ؛ فقال سيبويه : فإذا هو هى ، ولا يجوز النصب ؟ فقال له الكسائى : لَحَنْتَ ، ثم سأله عن مسائل من هذا النحو نحو « خرجت فإذا عبد الله القائمُ ، والقائمَ » فقال سيبويه فى ذلك بالرفع دون النصب ، فقال الكسائى : ليس هذا من كلام العرب ، والعرب ترفع ذلك كله وتنصبه ، فدفع ذلك سيبويه ، ولم يُجزْ فيه النصبَ ، فقال له يحيى ابن خالد : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما ؟ فقال له الكسائى : هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كل أوْبٍ ؛ ووفدت عليك من كلِّ صُقْعٍ ، وهم فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أهل المِصْرَيْنِ ، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم ؛ فَيُحْضَرُون ويُسْألون ، فقال له يحيي وجعفر : قد أنصفت ، وأمر بإحضارهم ، فدخلوا وفيهم أبو فَقْعَس وأبو زياد وأبو الجراح وأبو ثَرْوَانَ ، فسئلوا عن المسائل

التى [٢٩٤] جرَتْ بين الكسائى وسيبويه ، فوافقوا الكسائى ، وقالوا بقوله ، فأقبل يحيي على سيبويه فقال : قد تسمع ، وأقبل الكسائى على يحيي ، وقال : أصلح الله الوزير ! إنه وَفدَ عليك من بلده مؤملا ، فإن رأيت أن لا ترده خائباً ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج وتوجه نحو فارس ، وأقام هناك ، ولم يعد إلى البصرة .

فوجه الدليل من هذه الحكاية أن العرب وافقت الكسائى ، وتكلمت بمذهبنا ، وقد حكى أبو زيد الأنصاريُّ عن العرب « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها » مثل مذهبنا ؛ فدل على صحة ما ذهبنا إليه .

وأما من جهة القياس فقالوا : إنما قلنا ذلك لأن « إذا » إذا كانت للمفاجأة كانت ظَرْفَ مكانٍ ، والظرف يرفع ما بعده ، وتعمل فى الخبر عمل وَجَدْتُ ؛ لأنها بمعنى وجدت .

وقد قال أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب : إن « هو » فى قولهم « فإذا هو إياها » عماد ، ونصبت « إذا » لأنها بمعنى وَجَدْتُ على ما قدمناه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز إلا الرفع لأن « هو » مرفوع بالابتداء ، ولابد للمبتدأ من خبر ، وليس ها هنا ما يصلح أن يكون خبراً عنه ، إلا ما وقع الخلافُ فيه ، فوجب أن يكون مرفوعاً ، ولا يجوز أن يكون منصوبا بوجهٍ ما ؛ فوجب أن يقال « فإذَا هُوَ هِيَ » فهو : راجع إلى الزنبور لأنه مذكر ، وهى : راجع إلى العقرب لأنه مؤنث .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما رووه عن العرب من قولهم « فإذا هُو إيّاهَا » فمن الشاذ الذى لا يُعْبَأ به كالجزم بلَنْ والنصب بلَمْ وما أشبه ذلك من الشواذ التى تخرج عن القياس ، على أنه قد روى أنهم أُعْطُوا على متابعة الكسائى جُعْلاً ؛ فلا يكون فى قولهم حجة لتطرق التهمة فى الموافقة .

وأما قولهم « إن إذا إذا كانت للمفاجأة كانت بمنزلة وَجَدْتُ » فباطل ؛ لأنها إن كانت بمنزلة وجدت فى العمل فوجب أن يرفع بها فاعل وينصب بها مفعولان كقولهم « وَجَدْتُ زيداً قائماً » فترفع الفاعل وتنصب المفعولين ، وإن قالوا إنها بمعنى وجدت ولا تعمل عملها كما أن قولهم « حَسْبُكَ زَيْدٌ » بمعنى الأمر وهو اسم وليس بفعل ، وكقولهم « أَحْسِنْ بِزَيْدٍ » لفظه لفظ الأمر وهو بمعنى التعجب ، وكقولهم «رَحِمَ اللهُ فلاناً» لفظه لفظ الخبر وهو فى المعنى دعاء ، [٢٩٥] وكقوله تعالى فى قراءة من قرأ بالرفع (لا تُضَارُّ وَالدةٌ بِوَلَدِهَا) لفظه لفظ الخبر والمراد به النهى ، وكقوله تعالى : (فهل أنتم مُنْتَهُونَ) أى : انْتَهُوا ، لفظه لفظ الاستفهام والمراد به الأمر ، وكقوله تعالى : (فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرحمنُ مَداً) لفظه لفظ الأمر والمراد به الخبر ، وكقوله تعالى : (وَالْوَلِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ) أى : ليرضعن ، لفظه لفظ الخبر والمراد به الأمر ، إلى غير ذلك من الأماكن التى لا تحصى كثرة ، فكذلك نقول نحن ها هنا : « إذا » بمعنى وجدت وهى فى اللفظ ظرف مكان ، وظرف المكان يجب رفع المعرفتين بعده ، فوجب أن يقال « فإذا هُوَ هِيَ » .

وإن قالوا « إنها تعمل عمل الظرف وعَمَلَ وجدت ؛ فترفع الأول لأنها ظرف وتنصب الثانى على أنها فعل ينصب مفعولين » فباطل ؛ لأنهم إن أعملوها عمل الظرف بقى المنصوب بلا ناصب ، وإن أعملوها عمل الفعل لزمهم وجود فاعل ومفعولين ، وليس لهم إلى إيجاد ذلك سبيل .

وأما قول أبى العباس ثعلب « إن هو فى قولهم فإذا هو إياها عِمَادٌ » فباطل عند الكوفيين والبصريين ؛ لأن العماد عند الكوفيين — الذى يسميه البصريون الفَصْلَ — يجوز حذفه من الكلام ، ولا يختلُّ معنى الكلام بحذفه ، ألا ترى أنك لو حذفت العماد الذى هو الفصل من قولك « كان زَيْدٌ هُوَ القائِمَ » فقلت « كَانَ زَيدٌ القائِمَ » لم يختلَّ معنى الكلام بحذفه ؛ وكان الكلام صحيحاً ،

وكذلك سائر الأماكن التى يقع فيها العماد الذى هو الفصل يجوز إثباته وحذفه ، ولو حذفته ها هنا من قولهم « فإذا هو إيَّاها » لا ختلَّ معنى الكلام و بطلت فائدته ؛ لأنه يصير « فإذا إياها » وهذا لا معنى له ولا فائدة فيه ؛ فبطل ما ذهبوا إليه . والله أعلم .

١٠٠ — مسألة

[ضمير الفصل][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن ما يُفْصَلُ به بين النعت والخبر يسمى عمادا ، وله موضع من الإعراب ، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما قبله ، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما بعده . وذهب البصريون إلى أنه يسمى فَصْلاً [٢٩٦] لأنه يَفْصِلُ بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعاً لنعت الاسم ليخرج من معنى النعت كقولك « زيد هو العاقل » ولا موضع له من الإعراب .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن حكمه حكم ما قبله لأنه توكيد لما قبله ، فتنزل منزلة النفس إذا كانت توكيداً ، وكما أنك إذا قلت « جاء نى زيد نفسه » كان نفسُه تابعاً لزيد فى إعرابه ، فكذلك العماد ، إذا قلت « زيد هو العاقل » يجب أن يكون تابعاً فى إعرابه .

وأما من ذهب إلى أن حكمه حكم ما بعده قال : لأنه مع ما بعده كالشىء الواحد ؛ فوجب أن يكون حكمه بمثل حكمه .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٤٣٠) وشرح الرضى على الكافية (٢/٢٢) وتصريح الشيخ خالد (١/٢٧٠ ومابعدها) وحاشية الصبان على الأشمونى (١/٢٦٢ بولاق)

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنه لا موضع له من الإعراب ؛ لأنه إنما دخل لمعنى وهو الفصل بين النعت والخبر ، ولهذا سمى فَصْلا ، كما تدخل الكاف للخطاب فى « ذلك ، وتلك » وتثنَّى وتجمع ولا حَظَّ لها فى الإعراب و « ما » التى للتوكيد ولا حظ لها فى الإعراب ؛ فكذلك ها هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه توكيد لما قبله فتنزل منزلة النفس فى قولهم جاءنى زيد نفسه » قلنا : هذا باطل ؛ لأن المكنىَّ لا يكون تأكيداً المظهر فى شىء من كلامهم ، والمصير إلى ما ليس له نظير فى كلامهم لايجوز أن يُصَار إليه .

وأما قولهم « إنه مع ما بعده كالشىء الواحد » قلنا : هذا باطل أيضاً ؛ لأنه لا تعلُّقَ له بما بعده ؛ لأنه كناية عما قبله ، فكيف يكون مع ما بعده كالشىء الواحد ؟ والله أعلم .

١٠١ — مسألة

[مراتب المعارف][(١)]

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المبهم[(٢)] ــ نحو « هذا ، وذاك » ــ أعْرَفُ من الاسم العَلَم ــ نحو « زيد ، وعمرو » ــ وذهب البصريون إلى أن الاسم العلم أعْرَفُ من الاسم المبهم ، واختلفوا فى مراتب المعارف ؛ فذهب سيبويه إلى أن أعْرَفَ المعارفِ الاسمُ المضمرُ ؛ لأنه لا يُضْمَر إلا وقد عُرِف ؛ ولهذا لا يفتقر إلى أن

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (١/١١٠ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/١١٢ بولاق)

(٢) المراد بالاسم المبهم ههنا : اسم الإشارة

يُوصَفَ كغيره من المعارف ، ثم الاسم العلم ؛ لأن الأصل فيه أن يُوضَعَ على شيء لا يقع [٢٩٧] على غيره من أُمَّتِهِ[1] ، ثم الاسم المبهم ؛ لأنه يعرف بالعين و بالقلب ، ثم ما عرف بالألف واللام ؛ لأنه يعرف بالقلب فقط ، ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف ؛ لأن تعريفه من غيره ، وتعريفه على قدر ما يضاف إليه ، وذهب أبو بكر بن السراج إلى أن أعرف المعارف : الاسمُ المبهمُ ، ثم المضمر ، ثم العلم ، ثم ما فيه الألف واللام ، ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف ، وذهب أبو سعيد السيرافى إلى أن أعرف المعارف : الاسمُ العَلَمُ ، ثم المضمر ، ثم المبهم ، ثم ما عُرِّف بالألف واللام ، ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الاسم المبهم أعرفُ من الاسم العَلَم ، وذلك لأن الاسم المبهم يعرف بشيئين : بالعين و بالقلب ، وأما الاسم العَلَم فلا يعرف إلا بالقلب وحده ، وما يعرف بشيئين ينبغى أن يكون أعْرَفَ مما يعرف بشيء واحد .

قالوا : والذى يدل على صحة ذلك أن الاسمَ العلَمَ يقبل التنكير ، ألا ترى أنك تقول « مررت بزيد الظريف وزيدٍ آخَرَ ، ومررت بعمرو العاقل وعمرٍو آخَرَ » وكذلك إذا ثَنَّيْتَ الاسم العَلَمَ أو جمعته نَكَّرْته نحو «زيدان ، والزيدان ،وعمران ، والعمران ، وزيدون ، والزيدون ، وعمرون ، والعمرون » فَتَدْخُلُ عليه الألفُ واللام فى التثنية والجمع ، ولا تدخلان إلا على النكرة ؛ فدل على أنه يقبل التنكير ، بخلاف الاسم المبهم ؛ فإنه لا يقبل التنكير ؛ لأنك لا تَصِفُه بنكرة فى حال من الأحوال ، ولا تنكره فى التثنية والجمع فتدخلَ عليه الألفواللام فتقول : الهَاذَانِ ؛ فدل على أنه لا يقبل التنكير ، وما لا يقبل التنكير أعْرَفُ مما يقبل التنكير ، فتنزل منزلة المضمر ، وكما أن المضمر أعرف من الاسم العلم فكذلك المبهم .

---

(١) أمته : المراد به نوعه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن ٱلأسم العلمَ أعرف من المبهم لأن الأصل فى الأُسم العَلَمَ أن يوضع لشىء بعينه لا يقع على غيره من أمته ، وإذا كان الأصل فيه أن لا يكون له مشارِك أشبه ضمير المتكلم ، وكما أن ضمير المتكلم أعْرَفُ من المبهم فكذلك ما أشبهه .

والذى أذهب إليه ما ذهب إليه الكوفيون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما قولهم « إن الأصل فى الاسم العلم أن يوضع لشىء بعينه لا يقع على غيره » قلنا : وكذلك الأصل فى[٢٩٨]جميع المعارف ، ولهذا يقال : حَدُّ المعرفة ما خص الواحد من الجنس ، وهذا يشتمل على جميع المعارف ، لا على الاسم العَلَمَ دون غيره ، على أنا نسلم أن الأصل فى الاسم العلم ما ذكرتموه ، إلا أنه قد حصل فيه الاشتراك ، وزال عن أصل وَضْعِهِ ، ولهذا افتقر إلى الوصف ، ولو كان باقياً على الأصل لما افتقر إلى الوصف ؛ لأن الأصل فى المعارف أن لا تُوصَفَ ؛ لأن الأصل فيها أن يقع لشىء بعينه ، فلما جاز فيه الوصف دل على زوال الأصل ، فلا يجوز أن يحمل على المضمر الذى لا يزول عن الأصل ولا يفتقر إلى الوصف فى أنه أعرف من المبهم ، والله أعلم .

١٠٢ — مسألة

[« أىّ » الموصولة معربة دائماً أو مبنية أحياناً ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « أيهم » إذا كان بمعنى الذى وحذف العائد من

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (١٦١/١ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (١٦٢/١) وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص ٤٦٢ ومابعدها) وشرح الرضى على الكافية (٥٣/٢ ومابعدها) ومغنى اللبيب لابن هشام (ص ٧٧ بتحقيقنا)

الصلة مُعْرَبٌ ، نحو قولهم « لأضربَنَّ أيَّهُمْ أفْضَلُ » ، وذهب البصريون إلى أنه مبنى على الضم ، وأجمعوا على أنه إذا ذكر العائد أنه معرب ، نحو قولهم « لأضربن أيَّهُمْ هو أفضل » ، وذهب الخليل بن أحمد إلى أن « أيهم » مرفوع بالابتداء ، و « أفْضَلُ » خبره ، ويجعل « أيهم » استفهاماً ، ويحمله على الحكاية بعد قول مقدر ، والتقدير عنده : لأضربن الذى يقال له أيُّهُمْ أفضل ، قال الشاعر :

٤٤١ — وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لاَحَرِجٌ وَلاَ مَحْرُومُ

٤٤١ — هذا البيت للأخطل التغلبى ، وهو من شواهد سيبويه (١/٢٥٩و٣٩٨) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٦٣) ورضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٥٥٣) والحرج — بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين — المضيق عليه ، والمحروم : الممنوع مما يريده . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « لاحرج ولا محروم » فإن سيبويه رحمه الله خرج هذه العبارة نقلا عن شيخه الخليل بن أحمد على أن قوله « لاحرج » خبر مبتدأ محذوف ليس ضمير المتكلم وجملة المبتدأ المحذوف وخبره فى محل نصب على الحكاية بقول محذوف أيضا ، وتقدير الكلام على هذا : فأبيت مقولا فى شأنى : هو لاحرج ولا محروم، قال سيبويه(١/٢٥٩) « وأما قول الأخطل * ولقد أبيت من الفتاة ... البيت * فزعم الخليل أن هذا ليس على إضمار أنا ، ولوجاز هذا على إضمار أنا لجاز « كان عبد الله لا سلم ولا صلح » على إضمار هو ، ولكنه — فيما زعم الخليل — فأبيت بمنزلة الذى يقال له : لا حرج ولا محروم ، ويقويه فى ذلك قوله :

على حين أن كانت عقيل وشائظا وكانت كلاب خامرى أم عامر

فإنما أراد : كانت كلاب التى يقال لها : خامرى أم عامر ، وقد زعم بعضهم أن رفعه على النفى ، كأنه قال : فأبيت لا حرج ولا محروم بالمكان الذى أنا به ، وقول الخليل حكاية لما كان يتكلم به قبل ذلك ، فكأنه حكى ذلك اللفظ ، كما قال :

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر وتحلب

أى بنى من يقال له ذلك . والتفسير الآخر الذى على النفى كأنه أسهل » اهـ كلامه . وقال الأعلم « الشاهد فى رفع حرج ومحروم ، وكان وجه الكلام نصبها على الحال ، ووجه رفعها عند الخليل الحمل على الحكاية ، والمعنى فأبيت كالذى يقال : لا حرج ولا محروم ، ولا يجوز رفعه حملا على مبتدأ مضمر كما لا يجوز كان زيد لا قائم ولا قاعد على تقدير لا هو قائم ولا قاعد ، لأنه ليس موضع تبعيض وقطع ، فلذلك حمله على =

أى : فأبيتُ لا يقال لى هذا حَرِجٌ ولا محروم ، وحَذْف القول فى كتاب الله تعالى وكلام العرب أكثرُ من أن يحصى ، وذهب يونس بن حبيب البصرى إلى أن « أيهم » مرفوع بالابتداء ، و « أفضل » خبره ، ويجعل «أيهم» استفهاماً ، ويعلِّق « لأضربن » عن العمل فى « أيهم » فينزل الفعلَ المؤثر منزلَةَ أفعالِ القلوبِ نحو « علمت أيهم فى الدار » .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه معرب منصوب بالفعل الذى قبله أنه قدجاء ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كل شِيعةٍ أيَّهُمْ أشد[٢٩٩] عَلَى الرحمنِ عتِيًّا) بالنصب ، وهى قراءة هرون القارىء ومُعاذ الهراء ، ورواية عن يعقوب .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن القراءة المشهورة بالضم هى حجة عليكم » لأنا نقول : هذه القراءة لا حجة لكم فيها ، لأن الضمة فيها ضمة إعراب ، لا ضمة بناء ، فإن « أيُّهُمْ » مرفوع لأنه مبتدأ ، وذلك من وجهين :

أحدها : أن قوله (لننزعنّ) عمل فى (مِنْ) وما بعدها ، واكتفى الفعل بما

= الحكاية، كما قال بنى شاب قرناها ، ويجوز رفعه على الابتداء وإضمار الخبر، على معنى فأبيت لا حرج ولا محروم فى المكان الذى أبيت فيه ، ثم حذف هذا لعلم السامع ، وإذا نفى أن يكون مبيته حرج أو محروم فهو غير حرج وغير محروم ، لأنه فى ذلك المكان» اهـ كلام بحروفه ، وقوله « ولا يجوز رفعه حملا على مبتدأ مضمر » ليس على إطلاقه ، بل المراد أنه لا يجوز رفعه على إضمار مبتدأ تقديره : لاأنا حرج ولا محروم ، من غير تقدير حكاية كما هو فى مطلع كلام سيبويه عن الخليل ، وكيف لا يكون على تقدير مبتدأ أصلا والحكاية إنما تقع فى الجمل لا فى المفردات ؟ ولو سلمنا أن الحكاية بالقول تكون فى المفردات فما يكون إعراب لا حرج المرفوع ؟ وكيف كان يقول من يحكى كلامه ؟ وقال السيرافى عن التخريج الثانى الذى ذكره سيبويه وذكره الأعلم أيضا ، وذكر سيبويه أنه أسهل «وهذا التفسير أسهل ؛لأن المحذوف خبر حرج ، وهوظرف ، وحذف الخبر فى النفى كثير ، كقولنا : لا حول ولاقوة إلا بالله ، أى لنا » اهـ .

ذكر معه ، كما تقول « قتلتُ من كل قبيلٍ ، وأكلت من كل طعام » فيكتفى الفعل بما ذكر معه ، فكذلك ها هنا : عمل الفعل فى الجار والمجرور واكتفى بذلك ، ثم ابتدأ فقال : (أيهم أشد) فرفع (أيهم) بأشد كما رفع (أشد) بأيهم، على ماعرف من مذهبنا .

والوجه الثانى : أن الشيعة معناها الأعوان ، وتقدير الآية : لننزعن من كل قوم شَايَعُوا فتنظروا أيهم أشد على الرحمن عتياً ، والنظر من دلائل الاستفهام ،وهو مُقَدّر معه ، وأنت لو قلت « لأنظرَنَّ أيُّهُمْ أشد » لكان النظر معلقاً ، لأن النظر والمعرفة والعِلْمَ ونحوهن من أفعال القلوب ، وأفعال القلوب يسقط عملهن إذا كان بعدهن استفهام ، فدل على أنه مرفوع لأنه مبتدأ .

والذى يدل على صحة ما ذهبنا إليه ما حكاه أبو عُمَرَ الجَرْمى أنه قال : خرجت من الخندق — يعنى خندق البصرة — حتى صرت إلى مكة ، لم أسمع أحداً يقول « اضربْ أيُّهمْ أفضلُ » أى : كلهم ينصبون، وكذلك لم يُرْوَ عن أحد من العرب « اضْرِبْ أيُّهمْ أفْضَلُ » بالضم ، فدل على صة ما ذهبنا إليه .

والذى يدل على فســـاد قول مَنْ ذهب إلى أنه مبنى على الضم أن المفرد من المبنيات إذا أُضيف أعرب ، نحو قَبْلُ وبَعْدُ ، فصارت الإضافة توجب إعراب الاسم ، وأىٌّ إذا أفرِدت أُعربت ، فلو قلنا « إنها إذا أُضيفت بنيت » لكان هذا نَقْضاً للأصول ، وذلك محال .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنـا إنها مبنية ها هنا على الضم ، وذلك لأن القياس يقتضى أن تكون مبنيةً فى كل حال ، لوقوعها موقع حرف الجزاء والاستفهام والاسم الموصـــول كما بنيت « مَنْ ، وما » لذلك فى كل حالٍ ، إلا أنهم أعربوها حمـلا على نظيرها — وهو « بَعْض» — وعلى نقيضها

وهو « كل » ، وذلك على خلاف القياس ، فلما دخلها نقص بحذف العائد ضعفت فردَّتْ إلى أصلها من البناء على مقتضى القياس ، [٣٠٠] كما أن « ما » فى لغة أهل الحجاز لما كان القياس يقتضى أن لا تعمل ، إذا تقدم خبرها على اسمها أو دخل حرف الاستثناء بين الاسم والخبر رُدَّ إلى ما يقتضيه القياس من بطلان عملها ، فكذلك ها هنا : لما كان القياس يقتضى أن تكون مبنية ، لما حذف منها العائدُ ردت إلى ما يقتضيه القياس من البناء ، يدل عليه أن « أيهم » استعملت استعمالا لم تستعمل عليه أخواتها من حذف المبتدأ معها ، تقول : « اضْرِبْ أيُّهُمْ أفضلُ » تريد أيهم هو أفضل،ولو قلت : « اضْرِبْ مَنْ أفضلُ ، وكُلْ ما أطْيَبُ » تريد من هو أفضل وما هو أطيب لم يجز ، فلما خالفت « أىٌّ » أخواتها فيما ذكرناه زال تمكنها ؛ لأن كل شىء خرج عن بابه زال تمكنه ، فوجب أن تبنى إذا استعملت على خلاف ما استعمل عليه أخواتها ، كما أن « يَا أللهُ » لما خالفت سائر ما فيه الألف واللام لم يحذفوا ألفه ، وكذلك « ليس » لما لم تتصرف تصرف الفعل تركت على هذه الحال ، ألا ترى أن أصل « لَيْسَ » لَيِس ، مثل صَيِدَ البعيرُ ، وصَيِدَ البعير يجوز فيه التخفيف فيقال « صَيْدَ البعيرُ » ويجب فى ليس التخفيف ، ولا يجوز أن يؤتى به على الأصل كما جاز أن يؤتى بصَيِدَ على الأصل ؛ لأن ليس لم تتصرف تصرف الفعل ، بخلاف صيد ، ويدل عليه أيضاً أنك لو قلت « صَيِدْتَ يا بعيرُ » لوجب أن ترد الفعل إلى أصله من الكسر ، ولو قلت « لَيِسْتُ » لم يجز رده إلى الأصل ، كلُّ ذلك لمخالفته الفعلَ فى التصرف وخروجِهِ عن مشابهة نظائره ، فكذلك ها هنا : لما خالفت [أىٌّ] سائر أخواتها وخرجت عن مشابهة نظائرها وجب بناؤها ، وإنما وجب بناؤها على الضم لأنهم لما حذفوا المبتدأ من صلتها بَنَوْها على الضم ، لأنه أقوى الحركات .

والذى يدلُّ على صحة هذا التعليل وأنهم إنما بنوها لخلاف[1] المبتدأ أنا أجمعنا على أنهم إذا لم يحذفوا المبتدأ أعربوها ولم يبنوها فقالوا « ضَرَبْتُ أَيَّهُمْ هُوَ فِي الدَّارِ » بالنصب ؛ وإنما حسن حذف المبتدأ من صلة « أىّ » ولم يحسن حذفه مع غيرها من أخواتها لأن « أىّ » لا تنفك عن الإضافة ، فيصير المضاف إليه عوضاً عن حذف المبتدأ ؛ بخلاف غيرها من أخواتها ؛ فلهذا حَسُنَ الحذفُ مع « أى » دون سائر أخواتها .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقراءة من قرأ (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ [٣٠١] مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيَّهُمْ أَشَدُّ) بالنصب ـ فهى قراءة شاذة جاءت على لغة شاذة لبعض العرب ، ولم يقع الخلافُ فى هذه اللغة ، ولا فى هذه القراءة ؛ وإنما وقع الخلافُ فى اللغة الفصيحة المشهورة ، والقراءة المشهورة التى عليها قِرَاءَةُ الأمصار « أَيُّهُمْ » بالضم ، وهى حُجَّة عليهم .

قولهم « إن الضمة فيها ضمةُ إعرابٍ لا ضمةُ بناء ، وإنه مرفوع لأنه مبتدأ ؛ لأن قوله (لَنَنْزِعَنَّ) عمل فى مِنْ وما بعدها ، واكتفَى الفعلُ بما ذكر معه ، كقولهم : قتلت من كل قبيل » قلنا : هذا خلافُ الظاهرِ ؛ لأن قوله (لَنَنْزِعَنَّ) فعلٌ متعدّ ؛ فلا بد أن يكون له مفعول إما مظهر أو مقدر ، و « أَيَّهُمْ » يصلح أن يكون مفعولا ، وهو ملفوظ به مُظْهر ، فكان أولى من تقدير مفعول مقدر .

وأما قولهم « إن تقدير الآيةِ فتنظروا أَيُّهُمْ أشد » قلنا : وهذا أيضاً خلاف الظاهر ؛ لأنه ليس فى اللفظ ما يدل على تقدير هذا الفعل ، وقوله (لَنَنْزِعَنَّ) فعل يصلح أن يكون (أَيُّهُمْ) مفعولا له ، فكان أولى من تقدير فعل لا دليل يدل عليه ولا حاجة إليه .

---

(١) كذا ، وأظن أصل العبارة « لحذف المبتدأ » .

وأما ما حكى عن أبى عُمَرَ الجَرْمى أنه قال : خرجت من الخندق فلم أسمع أحداً يقول ضَرَبْتُ أيُّهُمْ أفضَلُ ، قلنا : هذا يدل على أنه ما سمع « أيهم » بالضم ، وقد سمعه غيره .

والذى يدل على صحة هذه اللغة ما حكاه أبو عمرو الشيبانى عن غَسَّانَ — وهو أحَدُ مَنْ تؤخذ عنه اللغةُ من العرب — أنه أنشد :

٤٤٢ — إذَا مَا أَتَيْتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ

برفع « أيُّهُمْ » فدلَّ على أنها لغة منقولة صحيحة لا وجه لإنكارها .

---

٤٤٢ — هذا البيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٦٣ و ٤٩٠) ورضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٥٢٢/٢) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ١١٩) وفى أوضح المسالك (رقم ٥٠) والأشمونى (رقم ١١٠) وابن عقيل (رقم ٣٣) وشرحه العينى (٤٣٦/١ بهامش الخزانة) والبيت لغسان بن علة بن مرة بن عباد ، ويروى « إذا مالقيت بنى مالك » ومحل الاستشهاد به قوله « على أيهم أفضل » فإن الرواية فى هذه الكلمة بضم « أيهم » على ماحكاه أبو عمرو الشيبانى ، ويلزم أن تكون « أى » فى هذه العبارة موصولة بمعنى الذى ، ويكون « أفضل » خبر لمبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام : فسلم على الذى هو أفضل ؛ ولا يجوز أن تكون « أى » استفهامية مع الضم ، لأنه يلزم على هذا محظوران : أحدهما أن يعلق حرف الجر عن العمل فى لفظ المجرور لأن أى الاستفهامية غير مبنية ، وهذا مما لا يقوله أحد ، والثانى أن يخرج اسم الاستفهام عن الصدارة ، كما لا يجوز أن تكون أى شرطية ، لأن الشرطية لاتبنى على الضم ، وهى تستدعى فعلى شرط وجوابه ، وليس هنا شىء من ذلك ، وإذا لم تصلح « أى » أن تكون استفهامية ولا شرطية تعين أن تكون موصولة ، ولذلك قال ابن يعيش بعد أن أنشد البيت « وهذا نص فى محل النزاع » اهـ . وقد تمحل قوم فقالوا : يجوز أن تكون « أى » فى هذا البيت استفهامية مبتدأ مرفوعا بالضمة الظاهرة ، و « أفضل » خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب مقول لقول محذوف يقع نعتا لمنعوت محذوف ، وهذا المنعوت المحذوف هو المجرور بعلى =

وأما قولهم « إن المفرد من المبنيات إذا أضيف أعرب ، وأىٌّ إذا أفردت أعربت ، فلو قلنا إنها إذا أضيفت بنيت لكان هذا نقضاً للأصول » قلنا : هذا باطل ؛ لأن الإضافة إنما تردُّ الاسم إلى حال الإعراب إذا استحق البناء فى حال الإفراد ، فأما إذا كان المُوجِبُ للبناء فى حال الإضافة لم تردَّ الإضافةُ ذلك الاسمَ إلى الإعراب ، ألا ترى أن « لَدُنْ » فى جميع لغاتها لما استحقت البناء فى حال الإضافة لم تردّها الإضافة إلى الإعراب ؛ فكذلك ها هنا ، وفى « لدن » ثمانى لغات ، وهى : « لَدُنْ ، ولَدَنْ ، ولَدَا ، ولَدُ ، ولَدْنَ ، ولَدْنِ ، ولَدْ ، ولُدْ » وكلها مبنية على ما بينا .

وأما ما ذهب إليه [٣٠٢] الخليل من الحكاية فبعيد فى اختيار الكلام ، وإنما يجوز مثله فى الشعر ، ألا ترى أنه لو جاز مثل هذا لجاز أن يقال « اضْرِبْ الْفَاسِقُ الْخَبِيثُ » بالرفع ـ أى : اُضرب الذى يقال له الفا ق الخبيث ، ولا خلاف أن هذا لا يقال بالإجماع .

وأما قول يونس فضعيف ؛ لأن تعليق « اُضْرِبْ » ونحوه من الأفعال لا يجوز لأنه فعل مؤثر ؛ فلا يجوز إلغاؤه ، وإنما يجوز أن تعلق أفعال القلوب عن الاستفهام ، وهذا ليس بفعل من أفعالِ القلوبِ ؛ فكان هذا القول ضعيفاً جداً ، والله أعلم .

* * *

= وتقدير الكلام على هذا الوجه : فسلم على شخص مقول فيه : أيهم أفضل ، وهذا كلام لا يقضى العجب منه ، وهذه المقدرات الكثيرة ما الدليل على حذفها ؟ ولو أن ثبوت قواعد اللغة ارتكب فى الوصول إليه مثل هذه التمحلات لما ثبتت قاعدة أصلا

١٠٣ — مسألة

[هل تأتى ألفاظ الإشارة أسماء موصولة ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « هٰذَا » وما أشبهه من أسماء الإشارة يكون بمعنى الذى والأسماء الموصولة ، نحو « هذا قال ذاك زيد » أى : الذى قال ذاك زيد .

وذهب البصريون إلى أنه لا يكون بمعنى الذى ، وكذلك سائر أسماء الإشارة لا تكون بمعنى الأسماء الموصولة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) والتقدير فيه : ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم ، فأنتم : مبتدأ ، وهؤلاء : خبره ، وتقتلون : صلة هؤلاء ، وقال تعالى : (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) والتقدير فيه : ها أنتم الذين جادلتم عنهم ، فأنتم : مبتدأ ، وهؤلاء : خبره ، وجادلتم : صلة هؤلاء ، وقال تعالى : (وما تلك بيمينك ياموسى) والتقدير فيه : ما التى بيمينك ، فما : مبتدأ ، وتلك : خبره ، و بيمينك : صلة تلك ، ثم قال ابن مُفَرِّغٍ .

٤٤٣ — عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إمَارَةٌ أَمِنْتِ ، وَهٰذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرحنا المطول على الأشمونى (١/١٨٢ — ١٨٥) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (١/١٥٦ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/١٦٥ — ١٦٦) وشرح ابن يعيش على المفصل (ص٤٩٣) وشرح الرضى على الكافية(٢/٥٥)

٤٤٣ — هذا البيت ليزيد بن مفرغ الحميرى ، وهو من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٩٢) ورضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٥١٤) وابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٧١٥) وفى أوضح المسالك (رقم ٥٥ فى باب الموصول . وفى باب الحال) وفى شرح شذور الذهب (رقم ٦٩) وفى شرح قطر الندى (رقم ٣٣) والأشمونى (رقم ١٠٤) وابن الناظم فى باب الموصول من شرح الألفية ، وشرحه العينى (١/٤٤٢) وعدس : اسم زجر للبغل ليسرع ، قاله الجوهرى وغيره ، ومنه قول بيهس بن صريم الجرمى : =

. . . .

= ألاليت شعرى هل أقولن لبغلتى: عدس، بعد ماطال السفار وكلت

وهومبنى على السكون، وربما أعربه الشاعر إذا اضطر، كما قال بشر بن سفيان الراسبى

فالله بينى وبين كل أخ يقول: أجذم، وقائل: عدسا

وربما سموا البغل نفسه عدس، ومنه قول الراجز:

إذا حملت بزتى على عدس على التى بين الحمار والفرس

* فلا أبالى من غزا ومن جلس *

وقوله فى بيت الشاهد «ما لعباد» أرادبه عباد بن زياد والى سجتان فى عهد معاوية بن أبى سفيان، وكان يزيد قد هجا عبادا، ثم أخذه عبيد الله بن زياد أخو عباد فحبسه وعذبه ورده إلى أخيه عباد، فلما بلغ معاوية ذلك أمر بإخلاء سبيله «إمارة» أى حكم وسلطان «طليق» حر لا يد لأحد عليه؛ لأنه قد أطلق سراحه. ومحل الاستشهاد من البيت قوله «وهذا تحملين طليق» فإن الكوفيين والفراء ينشدون هذ البيت للاستدلال به على أن «هذا» اسم موصول بمعنى الذى، وهو مبتدأ، وجمله «تحملين» لا محل لها من الإعراب صلة الموصول؛ وطليق: خبر المبتدأ، وكأنه قد قال: والذى تحملينه طليق، قال الفراء: «العرب قد تذهب بذا وهذا إلى معنى الذى؛ فيقولون: من ذا يقول ذلك، فى معنى: من الذى يقول، وقال يزيد بن مفرغ * عدس مالعباد البيت * كأنه قال: والذى تحملين طليق» اه كلامه، ولم يمنعهم من اعتبار ذا موصولة اقتران ها التنبيه بها ولا عدم تقدم ما أومن الاستفهاميتين عليها، مع أن المثال الذى ذكر الفراء أن العرب تقوله قد تقدم فيه على ذا من الاستفهامية ولم يقترن بها فيه حرف التنبيه؛ وأنكر البصريون صحة الاستدلال بهذا البيت على ماذهب إليه الفراء والكوفيون، ولهم فى تخريج البيت ثلاث تخريجات؛ الأول أن يكون هذا اسم إشارة مبتدأ، وخبره قوله طليق، وجملة تحملين فى محل نصب حال من الضمير المستتر فى طليق، وكأنه قد قال: وهذا طليق حال كونه محمولا عليك، والثانى: أن يكون هذا اسم إشارة مبتدأ خبره محذوف وجملة تحملين فى محل رفع صفة لذلك الخبر المحذوف، وطليق خبر ثان، وكأنه قد قال: وهذا رجل تحملينه طليق، والثالث: أن يكون هذا اسم إشارة مبتدأ، وله نعت هو اسم موصول محذوف وجملة تحملين لا محل لها صلة، وطليق خبر المبتدأ، وكأنه قد قال: وهذا الذى تحملينه طليق ..

يريد : والَّذِى تَحْمِلِينَ طَلِيق ؛ فدلَّ على أن أسماء الإشارة تكون بمعنى الأسماء الموصولة .

عَدَسْ : زَجْر البغل ، وهو ها هنا اسم لبغلة ابن مُفَرِّغ ، وعَبَّاد : اسم وَالى سِجِسْتَانَ حينئـذٍ ، وكان قد حَبَسَه ثم أطلقه ، فركب البغـلة وجاس ينشد هذا [٣٠٣] البيت . وكان الخليلُ يزعم أن « عدسا » كان رَجُلاً عَنِيفاً بالبغال فى أيام سليمان بن داود ، فإذا قيل لهـا « عَدَسْ » انْزَعَجَتْ ، وهذا مالا يعرف فى اللغة .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل فى « هذا » وما أشبهه من أسماء الإشارة أن يكون دَالاًّ على الإشارة ، و « الذى » وسائر الأسماء الموصولة ليست فى معناها ؛ فينبغى أن لا يحمل عليها ، وهذا تمسك بالأصل واستصحابِ الحالِ ، وهو من جملة الأدلة المذكورة ، فمن أدعى أمراً وراء ذلك بقى مُرْتَهَناً بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على ما ادعَوْهُ .

وأما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قوله تعالى : (ثم أنتم هولاء تقتلون أنفسكم) فلا حجة لـكم فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون « هؤلاء » باقياً على أصله من كونه اسم إشارة ، وليس بمعنى الذى كما زعمتم ، ويكون فى موضع نصب على الاختصاص ، والتقدير فيه « أعنى هؤلاء » كما قال عليه السلام « سَلْمَانُ منا أَهْـــلَ البيتِ » فنصب « أهْلَ » على الاختصاص ، والتقدير فيه « أعنى أهْلَ البيت » وخبر أنتم : هؤلاء تقتلون[1] .

والوجه الثانى : أن يكون « هؤلاء » تأكيداً لأنتم ، والخبر « تقتلون » ، ثم هذا لا يستقيم على أصلـكم ، فإن « تقتلون » عندكم فى موضع نصب ؛ لأنه خبر

(١) كذا ، وأعتقد أن صواب العبارة « وخبر أنتم هو تقتلون » فتنبه .

التقريب ، وخبر التقريب عندكم منصوب ، كقولهم « هذا زيدٌ القائمَ » بالنصب ، و « هذا زيد قائماً » ولو كان صلة لمَا كان له موضع من الإعراب ، وعندنا أنه يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الحال .

والوجه الثالث : أن يكون (هؤلاء) منادى مفرداً ، والتقدير فيه « ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون » و (تقتلون) هو الخبر ، ثم حذف حرف النداء كما قال تعالى : (يُوسُفُ أعْرِضْ عن هذا) وكما قال تعالى : (يُوسُفُ أيُّهَا الصِّدِّيقُ) وحَذْفُ حرف النداء كثير فى كلامهم .

وهذا الذى ذكرناه هو الجواب عن احتجاجهم بقوله تعالى : (هَا أنْتُمْ هٰؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ) .

وأما قوله تعالى : (وَما تِلْكَ بِيَمينِكَ يَامُوسَى) فلا حُجَّةَ لهم فيه ؛ لأن (تلك) معناها الإشارة وليست بمعنى التى ، والتقدير فيه : أيُّ شىء هذه بيمينك و « تلك » بمعنى هذه كما يكون « ذلك » بمعنى هذا ، قال الله تعالى : (الم ذلك الكتاب) أى : هذا [٣٠٤] الكتاب ، ثم قال الشاعر وهو خُفَافُ بن نَدْبَةَ :

٤٤٤ — أقُولُ لَهُ والرُّمْح يأطِرُ مَتْنَهُ : تأمَّلْ خُفافاً ؛ إنَّنِي أنا ذَلِكَا

---

٤٤٤ — هذا البيت من كلام خفاف بن ندبة السلمى ، وخفاف : بزنة غراب ، وندبة : بفتح النون أو ضمها ، وهى أمه ، وأبوه عمير بن الحارث بن الشريد السلمى ، وخفاف ابن عم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد ، وهو يقول هذا البيت وقد قتل مالك بن حمار سيد بنى شمخ بن فزارة ، وقبله قوله :

فإن تك خيلى قد أصيب عميدها فعمدا على عينى تيممت ما لكا

والبيت من شواهد رضى الدين فى باب اسم الإشارة من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٧٠) وقد أنشده ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٣٠٩ مصر) وأبو العباس المبرد فى الكامل (٢/٢٨٥ الخيرية) وابن قتيبة فى الشعراء (ص ١٩٦ أوربة) وأراد بالعميد الذى أصيب معاوية بن عمرو بن الشريد أخا الخنساء ، وتيممت: =

أى : هذا ، والجار والمجرور فى قوله تعالى : (بيمينك) فى موضع نصب على الحال كأنه قال : أى شيء هذه كائنةً بيمينك .

وأما قول الشاعر :

* . . وهذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ * [٤٤٣]

فلا حجة لهم فيه ؛ لأن « تحملين » فى موضع الحال ، كأنه قال : وهذا محمولا طليق ، ويحتمل أيضاً أن يكون قد حذف الاسم الموصول للضرورة ، ويكون التقدير : وهذا الذى تحملين طليق ، وحذف الاسم الموصول يجوز فى الضرورة ، قال الشاعر :

٤٤٥ — لَــكُمْ مَسْجِدَا اللهِ الْمَزُورَانِ وَالْحَصَى
لَــكُمْ قِبْصُهُ مِنْ بَيْنِ أَثْرَى وأَقْتَرَا

أراد مَنْ أَثْرَى ومن أَقْـتَرَ ، فحذف للضرورة ، فـكذلك ها هنا .

= قصدت ، ومالك : هو مالك بن حمار سيد بنى شمخ، ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله «أناذلـكا» أى هذا ، والإشارة فيه قد قصد بها تعظيم المشار إليه، أى أنا ذلك الفارس الذى ملأسمعك ذكره ، نزل بعد درجته ورفعة محله وعظيم منزلته منزلة بعد المسافة ، ولهذا استعمل مع اسم الإشارة اللام التى للبعد ، ومثل هذا قوله تعالى (ذلك الـكتاب)

٤٤٥ — هذا البيت للـكميت بن زيد ، وقد أنشده ابن منظور (ق ب ص) ومسجدا الله : أراد بهما مسجد مكة ومسجد المدينة ، رادها الله تعالى شرفا ،وأراد بالحصى العدد العديد من البشر ، كما ورد فى قول الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنمــا العزة للـكاثر

والسر فى ذلك أنهم كانوا يعدون بالحصى ، والقبص — بكسر الـكاف وسكون الباء وآخره صاد مهملة — أصله مجتمع النمل الـكبير الـكثير ، ثم أطلق على العدد الـكثير من الناس . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « من بين أثرى وأقترا » فإن هــذا الـكلام على تقدير اسم موصول قبل أثرى واسم موصول آخر قبل أقتر ، وأصل الـكلام من بين من أثرى ومن أقتر، فحذف الموصولين وأبقى صلتيهما، ولا يكون الـكلام على =

على أنه يجوز عندكم حذف الاسم الموصول فى غير ضرورة الشعر ؛ ولهذا ذهبتم إلى أن التقدير فى قوله تعالى : (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ) مَنْ يحرفون ، فحذف « مَنْ » وهو الاسم الموصول ، وكذلك ذهبتم إلى أن التقدير فى قوله تعالى : (كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسفاراً) أى : الذى يحمل أسفاراً ، وإذا جاز هذا عندكم فى القرآن ففى ضرورة الشعر أولى ؛ فلا يكون لهم فيه حجة، والله أعلم .

١٠٤ — مسألة

[هل يكون للاسم المحلى بأل صلة كصلة الموصول ؟](١)

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الظاهر إذا كانت فيه الألف واللام وُصِلَ كما يوصل الذى . وذهب البصريون إلى أنه لا يوصل .

= تقدير موصول واحد، لأنه يلزم عليه أن يكون الذى أثرى هو نفس الذى أقتر أى افتقر وهو لا يريد ذلك ، إنما يريد من بين جميع الناس مثريهم وفقيرهم ، ونظير هذا البيت فى حذف الموصول وبقاء صلته قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ؟

التقدير : أمن يهجو رسول الله ومن يمدحه وينصره سواء ؟ ولا يجوز أن تجعل جملة يمدحه وجملة ينصره معطوفتين على جملة يهجو رسول الله؛ لأنه يلزم عليه أن يكون الذى يهجوه والذى يمدحه واحدا ، وهذا غير صحيح، ونظير ذلك قول الآخر :

ما الذى دأبه احتياط وحزم وهواه أطاع يستويان

التقدير : ما الذى دأبه احتياط وحزم والذى أطاع هواه ، وأقول فى لزوم هذا التقدير كالقول الذى ذكرناه فى بيت حسان .

واعلم أن حذف الموصول وإبقاء صلته قد أجازه الكوفيون والأخفش ، واتبعهم ابن مالك فى بعض كتبه ، واشترط فى بعض كتبه لجواز هذا الحذف أن يكون الموصول المحذوف معطوفا على موصول آخر ، وسائر البصريين لا يقرون ذلك ، ويجعلون الحذف من ضرورات الشعر .

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الرضى على الكافية (٢/٣٥ - ٣٦)

أما الكوفيين فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك فى كلامهم واستعمالهم ، قال الشاعر :

٤٤٦ — لَعَمْرِى لأنْتَ الْبَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ
وأَقْعُـــــدُ فى أَفْيَائِهِ بالأصَائل

٤٤٦ — هذا البيت من قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى أولها قوله :

أساءلت رسم الدار أم لم تسائل عن السكن ، أم عن عهده بالأوائل ؟

(انظر ديوان الهذليين ١/١٣٩ — ١٤٥) والبيت من شواهد رضى الدين فى باب الموصول من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٢/٤٨٩) وأنشده المبرد فى الكامل (٢/٥٧ الخيرية) وأكرم : مضارع أكرم، والأفياء : جمع فىء – بفتح فسكون – وهو الظل ، وقوله « بالأصائل » الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت الذى قبل غروب الشمس . ومحل الاستشهاد من البيت قوله «لأنت البيت أكرم أهله » فإن الكوفيين يزعمون أن جملة « أكرم أهله » لا محل لها من الإعراب صلة للبيت ، وعندهم أن الاسم الجامد المحلى بأل مثل البيت والدار والفرس مثل الأسماء الموصولة كالتى والذى وفروعهما فى الحاجة إلى الصلة .

ويقول أبو رجاء عفا الله تعالى عنه : كأنهم أرادوا أن يجعلوا الجملة الواقعة بعد الاسم المحلى بأل صفة لذلك الاسم ، فمنعهم من ذلك أن الجمل نكرات والمحلى بأل معرفة ، فامتنعوا من جعل الجملة صفة لذلك ، ورأوا أن هذه الجملة من تمام الاسم المحلى بأل كما أن الجملة التى تقع صلة من تمام الاسم الموصول ، فقالوا : إن هذه الجملة صلة ، يريدون أنها من تمام الاسم المتقدم عليها . أما البصريون فينكرون ذلك ولا يرتضونه لعدة وجوه .

الأول : أن الاسم المحلى بأل يدل على معنى خاص فى نفسه والاسم الموصول لا يدل على معنى خاص فى نفسه ، وإنما يدل على معنى مبهم ، وهذا المعنى المبهم الذى يدل عليه الاسم الموصول يتضح وتظهر حقيقته بواسطة الصلة ، وإذا كان الأمر كذلك لم يكن الاسم المحلى بال محتاجا إلى الصلة كحاجة الموصول إليها .

والثانى : أن هذا المعنى الذى أرادوه من العبارة المذكورة لا ينحصر الطريق إليه فى جعل الجملة صلة ، بل يمكن الوصول إليه من غير الطريق الذى سلكوه ، وقد ذكر العلماء لذلك طريقين : أحدهما أن تجعل « أنت » مبتدأ ، و« البيت» خبر أول ، وجملة « أكرم أهله » فى محل رفع خبر ثان ، وعلى هذا تكون « ال » الداخلة على=

[٣٠٥] فقوله « لأنْتَ » مبتدأ ، و « البيت » خبرهُ و « أكرم » صلة الخبر الذى هو البيت ، وهذا كثير فى استعمالهم .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأن الاسم الظاهر يدل على معنى مخصوص فى نفسه ، وليس كالذى ؛ لأنه لا يدل على معنى مخصوص إلا بصلة تُوَضِّحه ؛ لأنه مبهم ، وإذا لم يكن فى معناه(١) فلا يجوز أن يُقَام مُقَامه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله :

* لَعَمْرِى لأنْتَ الْبَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ * [٤٤٦]

فلا حجة لهم فيه من وجهين :

أحدهما : أن يكون « البيت » خبر المبتدأ الذى هو « أنْتَ » و « أكرِم » خبر آخر ، كما تقول : هذا حلو حامض ، فحلو : خبر المبتدأ الذى هو هذا ، وحامض : خبر آخر ، والمعنى أنه قد جمع الطَّعْمين ، ونحوه قول الشاعر :

= البيت لاستغراق الصفات ، كالتى فى قولهم : أنت الرجل ، يريدون أنت الجامع لكل صفات الكمال التى فى الرجال ، وكأن الشاعر قد قال : أنت البيت الجامع لكل الصفات المحببة فى البيوت ، ثم أخبر عنه مرة أخرى بقوله « أكرم أهله » والطريق الثانى : أن يكون قوله البيت خبرا لأنت ، وجملة « أكرم أهله » صفة للبيت ، وعلى هذا تكون ال الداخلة على البيت جنسية ، وقد علم أن الاسم المحلى بأل الجنسية قريب من النكرة ؛ فيجوز أن تكون الجمل بعده صفات له ، وذلك نظير ماقالوه فى قول الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فأمر ثم أقول لا يعنينى

والوجه الثالث : سلمنا أن الطريق إلى المعنى الذى أرادوه منحصر فى جعل جملة « أكرم أهله » صلة ، لكن لا نسلم أن هذه الجملة صلة للبيت ، ولم لا تكون صلة لموصول محذوف يقع صفة للبيت ، وأنتم معشر الكوفيين تجيزون حذف الموصول وبقاء صلته ، وكأن الشاعر قد قال : لأنت البيت الذى أكرم أهله ـ إلخ . وفى هذا القدر كفاية .

(١) يريد وإذا لم يكن الاسم المحلى بأل فى معنى الموصول .

٤٤٧ — مَنْ يَكُ ذابَتٌّ فَهذا بَتِّي مُصَيِّفٌ مُقيظٌ مُشَـــتِّي
تَخِذْتُهُ مِنْ نَعَجَاتٍ سِتِّ سُودٍ جِعَادٍ مِنْ نِعَاجِ الدَّشْتِ

فَبَتِّي : خبر المبتدأ الذى هو هذا ، ومصيف : خبر ثان ، ومقيظ : خبر ثالث ، ومشتى : خبر رابع ، وإذا جاز أن يكون له أَرْبَعَةُ أخبار جاز أن يكون له خَبَرَان .

والوجه الثانى : أن يكون « البيت » مبهماً لا يدل على معهود ، و« أكرم » وَصْفٌ له ؛ فكأنه قال : لأنت بيتٌ أكرم أهله ، كما يقال : إنى لآمر بالرجل

٤٤٧ — هذه أربعة أبيات من الرجز المشطور ، وأولها وثانيها من شواهد سيبويه (٢٥٨/١) ولم يعزهما ولا عزاهما الأعلم إلى قائل معين ، وأربعتها من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢١) واستشهد بأولها وثانيها أيضا الأشمونى (رقم ١٦٤) وابن عقيل (رقم ٥٨) وشرحه العينى (٥٦١/١ بهامش الخزانة) وتنسب أربعة الأبيات لرؤبة بن العجاج ، ولكنى لم أجدها فى ديوان رجزه ، ووجدتها فى الزيادات الملحقة به والأول والثانى والثالث فى اللسان (ب ت ت) من غير عزو ، والثالث والرابع فيه (د ش ت) من غير عزو أيضا . والبت — بفتح الباء وتشديد التاء — هو هنا كساء من صوف ، ويقال على ضرب من الطيالسة يسمى الساج يكون مربعا غليظا أخضر ، وقوله « مقيظ مصيف مشتى » يريد أنه يكفيه فى الأزمنة الثلاثة ، والدشت — بفتح الدال وسكون الشين — الصحراء . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « هذا بتى مقيظ مصيف مشتى » حيث أخبر عن المبتدأ الواحد — وهو اسم الإشارة — بأربعة أخبار ، وجعل هذه الأربعة أخبارا لهذا المبتدأ المذكور فى الكلام هو مذهب سيبويه ، وكان شيخه الخليل لا يرى ذلك ، بل كان يرى أنه إذا ورد ما ظاهره تعدد الخبر للمبتدأ الواحد نظر ، فإن كانت هذه الأخبار مجتمعة تؤدى ما تؤديه الصفة الواحدة ، ولا يجوز حذف بعضها وإبقاء بعضها الآخر نحو أن تقول : فلان أعسر أيسر ، وأن تقول : الرمان حلو حامض ، كان الاثنان أو الأكثر خبرين أو أخبارا عن المبتدأ الواحد ، وإلا يكن الأمر كذلك كان أحدها خبرا عن المبتدأ المذكور ، وقدرت لكل واحد مما عداه مبتدأ آخر ، فتقول : هذا بتى ، هو مقيظ ، هو مصيف ، هو مشتى ، ومن العلماء من أجاز تعدد الخبر للمبتدأ الواحد بشرط أن تكون الأخبار كلها متحدة فى الإفراد أو الجملية، فاعرف هذا ، وكن منه على ثبت .

غيرك ، ومثلك ، وخير منك ، فيكون « غيرك ، ومثلك ، وخير منك » — وهى نكرات — أوصافاً للرجل ؛ لأنه لما كان مبهماً لا يدل على معهود فكأنه قال « إنى لآمر برجل غيرك ، ومثلك ، وخير منك » كما قال الشاعر :

ولَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وعَسَاقِلا   ولَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ [٢٠١]

أراد « بنات أوبر » وهى ضَرْبٌ من الكَمْأة ، وقد جاء هذا النَّحْوُ فى كلامهم وأشعارهم .

ويحتمل أيضاً أن يكون التقدير فيه : لأنت البيت الذى أكرم أهله ، فحذف الاسم الموصول للضرورة ، على ما بينا قبلُ .

وإذا كان يحتمل هذه الوجوه من الاحتمالات بطل الاحتجاج به ؛ فلا يكون فيه حجة ، والله أعلم .

[٣٠٦] ١٠٥ — مسألة

[همزة بَيْنَ بَيْنَ متحركة أو ساكنة ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن همزة بَيْنَ بَيْنَ ساكنة . وذهب البصريون إلى أنها متحركة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها ساكنة أن همزة بَيْنَ بَيْنَ لا يجوز أن تقع مبتدأة ، ولو كانت متحركة لجاز أن تقع مبتدأة ، فلما امتنع الابتداء بها دلَّ على أنها ساكنة ؛ لأن الساكن لا يُبْتَدأ به .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ١٣٠٨) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٢٤٩ — ٢٥٣) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٤٦٥— ٤٦٨) وكتاب سيبويه (٢/١٦٣ — ١٧١)

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها متحركة أنها تقع مخففة بَيْنَ بَيْنَ فى الشعر و بعدها ساكن فى الموضع الذى لو اجتمع فيه ساكنان لا نكسر البيتُ كقول الأعشى :

٤٤٨ — أَأَنْ رَأَتْ رَجُلاً أَعْشَى أَضَرَّ بِهِ
رَيْبُ الزَّمَانِ وَدَهْرٌ مُفْسِدٌ خَبِلُ

---

٤٤٨ — هذا البيت هو البيت العشرون فى رواية التبريزى والعاشر فى رواية أبى العباس ثعلب من قصيدة الأعشى ميمون التى يعدها بعض العلماء من المعلقات (انظر شرح التبريزى ص ٢٧٨ ط السلفية، وديوان الأعشى ص ٤٢ ط فينا) والبيت من شواهد سيبويه (١/٤٧٦ و ٢/١٦٧) وشواهد الرضى فى باب الوقف من شرح الشافية ، وشرحه البغدادى (ص ٣٣٢) والأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، ويقابله الأجهر ، وهو الذى لا يبصر بالنهار ، والمنون : المنية أى الموت ، وسميت منونا لأنها مقدرة على كل أحد ، تقول : منى الله الشىء يمنيه ــ بوزن رمى يرمى ــ إذا قدره وهيأ أسبابه ؛ وقيل : سميت منونا لأنها تنقص الأشياء :من منى الشىء يمنيه؛ إذا نقصه؛وفيه لغة منه ــ بتشديد النون ــ ومنه قوله تعالى :(وإن لك لأجرا غير ممنون) أى غير منقوص،وعلى الأول هى فعول بمعنى مفعول،وعلى الثانى هى فعول بمعنى فاعل،والخبل ــ بفتح الخاء وكسر الباء ــ مأخوذ من الخبال وهو الفساد .ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله «أأن»فقد التقى فى هذه الكلمة همزتان أولاهما همزة الاستفهام والثانية همزة أن المصدرية ؛ ولك أن تحقق الهمزتين فتأتى بهما على أصلهما فتقول « أأن » ولك أن تخفف الهمزة الثانية ، وقد ذهب البصريون إلى أنك إذا خففت الثانية جئت بها متحركة وجعلتها حرفا بين الهمزة وحرف العلة ؛ وقال الكوفيون : همزة بين بين ساكنة ،ويرد عليهم مثل هذا البيت ، ووجه الرد أن النون بعد الهمزة الثانية ساكنة ؛ فلو كانت الهمزة ساكنة أيضا لالتقى ساكنان على غير الحد الجائز ، وذلك مما لا يجوز ، وقد روى أن ورشا قرأ فى قوله تعالى (أأنذرتهم) بقلب الهمزة الثانية ألفا ، وقد أنكر هذه القراءة الزمخشرى وزعم أن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين : أحدهما أنه يلزم على هذه القراءة الجمع بين ساكنين على غير الحد الذى يجوز فيه التقاء الساكنين ؛ والثانى أن طريق =

فالنون ساكنة وقبلها همزة مخففة بَيْنَ بَيْنَ ، فعلم أنها متحركة ؛ لاستحالة التقاء الساكنين فى هذا الموضع ، وهذا لأن الهمزة إنما جعلت بَيْنَ بَيْنَ كراهية لاجتماع الهمزتين ؛ لأنهم يستثقلون ذلك ، ولم يأتِ اجتماعُ الهمزتين فى شىء من كلامهم إلا فى بيت واحد أنشده قُطْرُب :

= تخفيف همزة بين بين هو بالتسهيل لا بالقلب ألفا ؛ لأن القلب ألفا هو طريق تخفيف الهمزة الساكنة ، لكن هذا الكلام فيه إلزام الكوفيين بما لم يلتزموه ؛ لأن هذا الذى قاله الزمخشرى فى رد قراءة ورش هو قواعد البصريين التى أصلوها وجعلوها معيارا لأنفسهم ؛ وقد قلنا مرارا : إنه لا يجوز الرد على قوم بمذهب غير مذهبهم ؛ كما قلنا مرة أخرى : إن القراءة سنة متبعة ؛ فليست خاضعة لما يراه فريق من النحاة ؛ والكوفيون يجيزون التقاء الساكنين فى مثل هذا الموضع ، ولعلهم يلتزمون تحقيق الهمزتين فى مثل هذا البيت . ونظيره قول الشاعر ؛ وهو من شواهد ابن يعيش :

أأن زم أجمال وفارق جيرة ... وصاح غراب البين أأنت حزين؟

ونظيره أيضا قول ذى الرمة غيلان :

أأن ترسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم؟

ونظيره أيضا قول ابن هرمة :

أأن تمنت على ساق مطوقة ... ورقاء تدعو هديلا فوق أعواد؟

ونظيره قول مجنون بنى عامر :

أقول لظبى يرتعى وسط روضة: ... أأنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال

ونظيره قول ذى الرمة (كامل المبرد ٢/١٦٨)

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا أأنت أم أم سالم ؟

ونظيره قول الشاعر :

أألخير الذى أنا أبتغيه ... أم الشر الذى لا يأتلينى؟

ونظيره قول عمر بن أبى ربيعة :

أألحق إن دار الرباب تباعدت ... أو انبت حبل أن قلبك طائر؟

ونظيره قول تميم بن أبى بن مقبل :

أأم تميم إن ترينى عدوكم ... وبيتى فقد أغنى الحبيب المصافيا

٤٤٩ — فإنَّكَ لا تَدْرِى مَتَى المَوْتُ جَائِئٌ ولٰكِنَّ أقْصَى مُدَّةِ المَوْتِ عَاجِلُ

٤٤٩ — هذا البيت من شواهد الأشمونى (رقم ٣٨) وروى صدره « لعمرك ما تدرى متى الموت جائى » وحفظى فى عجزه « أقصى مدة العمر » و« لعمرك » ـ بفتح العين هنا وسكون الميم ـ اللام فيه لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف وجوبا ، أى لعمرك قسمى ، أو لعمرك ما أقسم به ، وإذا لم تدخل عليه اللام نصبته نصب المصادر ، كما قال عمر بن أبى ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان ؟

و « تدرى » أى تعلم ، و « عاجل » قريب . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « جائىء » واعلم أولا أن هذه الكلمة تروى بهمزتين وتروى بهمزة فياء متحركة بحركة الإعراب وهى الضمة ، واعلم ثانياً أن الأصل الأصيل فى هذه الكلمة « جايئ » بياء ثم همزة ، لأنه اسم الفاعل من جاء يجىء مثل باع يبيع ، فانقلبت ياؤه همزة لوقوعها عين اسم فاعل فعل أعلت فيه ، أو لكونها بعد ألف زائدة ، فصار « جائىء » بهمزتين والقياس فى مثل ذلك أن تقلب الهمزة المتطرفة ياء لكونها ثانية همزتين فى موقع اللام من الكلمة فيقال « جائى » والنحاة يروونه على هذه الصورة ويحركون الياء بالضمة ، ويقولون : إن الشاعر عامل حرف العلة معاملة الحرف الصحيح ، وبعبارة أخرى : إن الشاعر عاود الأصل المهجور، ورجع إليه، وترك الفرع الذى صار إليه العمل ـ وهو تقدير الضمة والكسرة على الياء أو الواو لثقل كل من الضمة والكسرة على كل من الواو والياء ـ وهذا الرجوع ضرورة من ضرورات الشعر ، ونظيره قول جرير بن عطية يهجو الفرزدق :

وعرق الفرزدق شر العروق خبيث الثرى كابى الأزند

فقد جاء بقوله « كابى » مرفوعاً ، وعامل الياء معاملة الحرف الصحيح فلم يقدر عليها الضمة ، ونظيره قول الآخر :

تراه ـ وقد بذ الرماة ـ كأنه أمام الكلاب عنهم مصغى الخد

الرواية برفع « مصغى » بضمة ظاهرة على الياء على أنه خبر « كأن » . ونظيره قول القطامى :

ما للعذارى ؟ ودعن الحياة كما ودعننى ، واتخذن الشيب ميعادى

محل الاستشهاد قوله « ما للعذارى » فقد جاء بكسر الياء ، والكسرة أخت الضمة =

ولهذا لم يأت فى كلامهم ما عينُهُ همزة ولامُهُ همزةٌ كما جاء ذلك فى الياء والواو نحو «حَيَّة ، وقُوَّة » وكذلك الحروف الصحيحة نحو « طَلَل ، وشَرَر » وما أشبه ذلك ؛ فلما كانوا يستثقلون اجتماع الهمزتين قربوا هذه الهمزة من حرف العلة ،وذلك لا يوجب خروجَهَا عن أصلها من كل وجه ، ولا سَلْبَ حركتها عنها بالكلية .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه لا يجوز أن تقع مبتدأة » قلنا : إنما لم يجز أن تقع مبتدأة لأنها إذا جعلت بين بين اختُلِسَتْ حركتها وقربت من الساكن ، والابتداء إنما يكون بما تمكنت فيه حركته ، وإذا جعلت بين

= كما قلنا ، ونظير ذلك فى الفعل قول الشاعر :

إذا قلت عل القلب يسلو قيضت هواجس لا تنفك تغريه بالوجد

الشاهد فيه قوله « يسلو » فقد جاء الشاعر بهذا الفعل مرفوعاً بضمة ظاهرة على الواو ، ومثله قول الآخر :

فقمت إلى عنز بقية أعنز فأذبحها ، فعل امرىء غير نادم
فعوضنى منها غناى ولم تكن تساوى عندى غير خمس دراهم

الشاهد فى قوله « تساوى » حيث جاء الشاعر بهذا الفعل مرفوعاً بالضمة الظاهرة ولم يبال بأن الضمة ثقيلة على الياء ، من قبل أن الأصل الأصيل هو أن تظهر حركات الإعراب على الحروف متى أمكن أن تظهر عليها .

نقول : إن كل النحاة يروون فى بيت الشاهد « متى الموت جائى » بالياء مرفوعة بالضمة الظاهرة ـ على أن الشاعر ارتكب الضرورة ، والضرورة هى معاودة الأصول المهجورة رغبة فى إقامة وزن أو نحوه ، ولكن قطرب بن المستنير روى هذه الكلمة « متى الموت جائىء» بهمزتين ؛ ليفر من هذه الضرورة،وفاته أنه وقع فى ضرورة أخرى وذلك لأن الهمزتين المتطرفتين إذا تحركتا وانكسرت أولاهما وجب قلب الثانية ياء ، وذلك لأن آخر الكلمة يعرض التسكين للوقف، فتكون الثانية كأنها متطرفة ساكنة إثر أخرى مكسورة ، فبقاء الهمزتين ليس هو المستعمل فى العربية ؛ فيكون ضرورة ، فيصدق عليه المثل « هرب من المطر فوقف تحت ميزاب » .

بين فقد زال ذلك التمكن وقربت من الساكن ، وكما لا يجوز الابتداء بالساكن فكذلك لا يجوز الابتداء بما [٣٠٧] قرب منه .

ألا ترى أنهم لم يخرموا مُتَفَاعلن من الكامل ـ وهو حذف الحرف الأول ـ كما خرموا فَعُولُنْ ؛ لأجل أن متفاعلن يسكن ثانيه إذا أُضْمِرَ ، والإضمار إسكان الثانى ، فكان يبقى مُتْفَاعلن فينقل إلى مُسْتَفْعِلُنْ ، فلو خرموه فى أول البيت لأدّى ذلك إلى الابتداء بالساكن فى حالٍ ؛ فجرى خَرْمه مَجْرى خرم مستفعلن ؛ فلما كان يُفْضِى إلى الابتداء بالساكن رَفَضُوه ، فكذلك ها هنا : لما قربت من الساكن بجعلها بينَ بينَ رفضوا الابتداء بها .

وحكى عن أبى على الفارسىِّ أنه سئل عن الخرم فى مُتَفَاعلن فى حال شبابه ، ولم يكن عنده حينئذٍ مذهب أهل العروض ، فأجاب بهذا الجواب ، وقال : لا يجوز ؛ لأنه يؤدى إلى الابتداء بالساكن من الوجه الذى بيناه ، والله أعلم .

١٠٦ — مسألة

[هل يُوقَفُ بِنَقْلِ الحركة على المنصوب المحلَّى بأل الساكن ما قبل آخره ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال فى الوقف « رأيتُ البَكَرْ » بفتح الكاف فى حالة النصب .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

وأجمعوا على أنه يجوز أن يقال فى حالة الرفع والجر بالضم والكسر ؛ فيقال فى الرفع « هذا البكُرْ » بالضم ، وفى الجر « مررت بالبَكِرْ » بالكسْر .

---

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد الأزهرى (٤٢٧/٢) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (١٧٧/٤ وما بعدها) وشرح المفصل لابن يعيش (ص ١٢٧٢ وما بعدها) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أنه إنما جاز هذا فى المرفوع والمخفوض نحو « هذا البَكْرْ ، ومررت بالبَكِرْ » ليزول اجتماع الساكنين فى حالة الوقف ، وأنهم اختاروا الضمة فى المرفوع والكسرة فى المخفوض لأنها الحركة التى كانت للكلمة فى حالة الوصل ؛ فكانت أولى من غيرها ، كما قال الشاعر :

٤٥٠ — * أنَا ابْنُ مَاوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ *

---

٤٥٠ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وبعده :

* وجاءت الخيل أثافى زمر *

وهو من شواهد سيبويه (٢/٢٨٤) ونسبه لبعض السعديين من غير تعيين ، ولم يزد الأعلم فى نسبته إلى قائله على ما ذكره سيبويه ، وجزم الجوهرى بأنه لعبدالله بن ماوية الطائى ، وذكر ذلك ابن السيد على سبيل الظن ، ونسبه الصاغانى إلى فدكى بن عبدالله المنقرى (انظر لسان العرب ن ق ر) وقد استشهد به ابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥٥٥) . والنقر : أصله ــ بفتح النون وسكون القاف ــ قال ابن سيدة ومعناه أن تلزق طرف لسانك بحنكك وتفتح ثم تصوت ، وقيل : هو اضطراب اللسان فى الفم إلى فوق وإلى أسفل ، وقد نقر بالدابة نقراً ، إذا صوت، وقال الأعلم : « النقر صويت يسكن به الفرس عند احتمائه وشدة حركته . يقول : أنا الشجاع البطل إذا احتمت الخيل عند اشتداد الحرب » اهـ . ومحل الاستشهاد بالبيت قوله « النقر » فإن أصله ساكن القاف متحرك الراء بحركة الإعراب ــ وهى الضمة هنا ــ ولكن الشاعر حين أراد الوقف نقل الضمة من الراء إلى القاف الساكنة قبلها ، قال الاعلم « الشاهد فيه إلقاء حركة الراء على القاف للوقف » اهـ

ونظير ذلك قول الراجز :

تحفزها الأوتار والأيدى الشعر والنبل ستون كأنها الجمر

الشاهد فى قوله « الشعر » وقوله « الجمر » فإن أصل الكلمة الأولى ــ بضم الشين وسكون العين وضم الراء ــ فلما أراد الوقف نقل ضمة الراء إلى العين الساكنة قبلها ، وأصل الثانية بفتح الجيم وسكون الميم وضم الراء ؛ فنقل الشاعر عند الوقف ضمة الراء الإعرابية إلى الميم الساكنة قبلها

وكما قال الآخر :

٤٥١ — أَنَا جَرِيرٌ كُنْيَتِي أَبُو عَمِرْ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَسَعْدٌ فِي الْقَصِرْ

* أَجُبُناً وَغَــــيْرَةً خَلْفَ السِّتِرْ *

وقال الآخر :

٤٥٢ —[٣٠٨] أَرَتْنِيَ حِجْلاً عَلَى سَاقِهَا فَهَشَّ الْفُؤَادُ لِذَاكَ الْحِجِلْ

فَقُلْتُ وَلَمْ أُخْفِ عَنْ صَاحِبِي: أَلاَ بِأَبِي أَصْلُ تِلْكَ الرِّجِلْ

٤٥١ — محل الاستشهاد من هذه الأبيات قوله « عمر » وقوله « القصر » وقوله « الستر » فإن أصل الكلمة الأولى بفتح العين وسكون الميم وكسر الراء ، فنقل حركة الراء الإعرابية إلى الميم الساكنة قبلها للوقف ، وأصل الثانية بفتح القاف وبسكون الصاد وهاتان حركة وسكون البنية ، وبكسر الراء وهذه حركة إعراب ، فلما أراد الراجز الوقف نقل حركة الراء إلى الصاد الساكنة قبلها ، فصار هذا وما قبله كالكتف ونحوه ، وأما الكلمة الثالثة فأصلها بكسر السين وسكون التاء ، وهاتان حركة وسكون البنية ، وبكسر الراء وهذه حركة الإعراب ، فلما أراد الوقف نقل كسرة الراء إلى التاء الساكنة فصار بزنة الإبل والبلز ونحوها .

٤٥٢ — هذان بيتان من المتقارب ، وهما من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٧٢) وابن منظور (ر ج ل) ، والحجل ـ بكسر الحاء وسكون الجيم، وحكى قوم فتح الحاء مع سكون الجيم أيضاً ـ هو الخلخال ، وهو حلية تلبسها المرأة فى رجلها وقالوا للحلقى القيد حجلا ، وقالوا : هذا فرس محجل ، إذا كان فى قوائمه بياض ، على التشبيه . ومحل الاستشهاد من البيتين قوله : « الحجل » فى البيت الأول ، وقوله : « الرجل » فى البيت الثانى ، فإن أصل الكلمة الأولى بكسر الحاء وسكون الجيم كما قلنا ، وهاتان حركة وسكون البنية . وبكسر اللام وهذه حركة الإعراب التى يقتضيها العامل ، فلما أراد الشاعر الوقف نقل كسرة اللام إلى الجيم الساكنة قبلها فصارت بزنة الإبل والإبد والبلز ونحوهن ، وكذلك الكلمة الثانية ، قال ابن منظور « أراد الرجل والحجل فألقى حركة اللام على الجيم ، وليس هذا وضعا ؛ لأن فعلا لم يأت إلا فى قولهم إبل وإطل » اهـ ، يريد أن كسرة الجيم ليست من أصل البنية التى وضعت الكلمتان عليها ؛ لأن فعلا بكسر الفاء والعين جميعا لم يرد إلا فى كلمات قليلة محفوظة ، وليس هاتان الكلمتان من بين ما حفظه العلماء منها .

وقال الآخر :

٤٥٣ — عَلَّمَنَا إخْوَانُنَا بَنُو عِجِلْ   شُرْبَ النَّبِيذِ وَاصْطِفَافًا بِالرِّجِلْ

٤٥٣ — هذان بيتان من الرجز المشطور ، وقد أنشدهما ابن منظور (ع ج ل) وأبو زيد فى النوادر (ص ٣٠) من غير عزو ، وعجل : قبيلة من ربيعة ، وهم بنو عجل ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وهو فى الأصل بكسر العين وسكون الجيم. ومحل الاستشهاد قوله : « عجل » وقوله : « بالرجل » فإن أصل الكلمة الأولى ــ كما ذكرنا لك ــ بكسر العين وسكون الجيم ، وهاتان حركة وسكون البنية التى وضعت الكلمة عليها ، وبكسر اللام ، وهذه حركة الإعراب التى يقتضيها العامل، إلا أن الراجز حين أراد الوقف نقل حركة اللام إلى الجيم الساكنة قبلها ، وكذلك فعل بالكلمة الثانية ، قال ابن منظور « إنما حرك الجيم فيهما ضرورة ، لأنه يجوز تحريك الساكن فى القافية بحركة ما قبلها ، كما قال عبد مناف بن ربع الهذلى :

إذا تجاوب نوح قامتا معه   ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا »

اهـ كلامه بحروفه .

قال أبو رجاء ، عفا الله عنه : وفى قول ابن منظور الذى سمعته مأخذان ما كان يصح أن يقع فيهما على جلالة قدره ، الأول : أنه جعل تحريك الجيم ههنا ضرورة ، وكلام النحاة صريح فى أن الوقف بنقل حركة الإعراب إلى الساكن قبله مما يقولونه فى الكلام عند الوقف ، إلا أن تكون حركة الإعراب الفتحة فهذه موضع الخلاف بين البصريين والكوفيين ، قال سيبويه « هذا باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين ، وذلك قول بعض العرب : هذا بكر ، ومن بكر ، ولم يقولوا رأيت البكر ، لأنه فى موضع التنوين ، وقد يلحق مابين حركته ، والمجرور والمرفوع لا يلحقهما ذلك فى كلامهم ، ومن ثم قال الراجز * أنا ابن ماوية إذ جد النقر* » اهـ كلامه . والثانى أنه جعل بيت عبد مناف بن ربع الهذلى نظير بيت الشاهد وهما متغايران ، كل واحد منهما عكس صاحبه ، ألا ترى أن بيت الشاهد فيه نقل حركة الحرف الآخر إلى الذى قبله ، وبيت الهذلى فيه تحريك الحرف الذى قبل آخر حروف الكلمة حركة إتباع للحرف الذى قبله ، ولم تنقل فيه حركة من حرف إلى حرف ؟ =

وإذا ثبت هذا فى المرفوع والمخفوض ، فكذلك أيضاً فى المنصوب ؛ لأن الكاف فى قولك « رأيت البكر » فى حالة النصب ساكنة كما هى ساكنة فى قولك : « هذا البكر ، ومررت بالبكر » فى حالة الرفع والخفض ، فكما حركت الكاف فى المرفوع والمخفوض ليزول اجتماع الساكنين ، فكذلك ينبغى أيضاً فى المنصوب ليزول اجتماع الساكنين ، وكما أنهم اختاروا الضمة فى المرفوع والكسرة فى المخفوض لأنها الحركة التى كانت للكلمة فى حالة الوصل ، فكذلك يجب أيضاً أن يختاروا الفتحة فى المنصوب ؛ لأنها الحركة التى كانت للكلمة فى حالة الوصل ، ولا فرق بينهما .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك ؛ لأن أول أحوال الكلمة التنكير ، ويجب فيها فى حال النصب أن يقال « بَكْرَا » فلا يجوز أن تحرك العين ؛ إذ لا يلتقى فيه ساكنان كما يلتقى فى حال الرفع والجر ، نحو « هذا بَكْرْ ، ومررت ببَكْرْ » فلما امتنع فى حال النصب تحريك العين فى حال التنكير دون حالة الجر والرفع تبعه حالُ التعريف ؛ لأن اللام[1] لا تلزم الكلمة فى جميع أحوالها ؛ فلذلك روعى الحكم الواجب فى حال التنكير .

والذى أذهب إليه فى هذه المسألة ما ذهب إليه الكوفيون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين : أما قولهم « إن أول أحوال الكلمة التنكير ، فلما امتنع معه فى حال النصب تحريك العين تبعه حال التعريف بلام

= وقد أنشد أبو زيد بيت عبد مناف المذكور فى نوادره (ص ٣٠) ثم قال بعد إنشاده «يريد الجلد — أى بكسر الجيم وسكون اللام — فأتبع الكسرة الكسرة » اهـ ، وهو كلام دقيق ، فتنبه لذلك ، والله المسؤول أن يعصمك ويسددك .

(١) المراد باللام حرف التعريف .

التعريف لأنها لا تلزم الكلمة » قلنا : هذا فاسد ؛ لأن حمل الاسم فى حالة التعريف بلام التعريف على حالة التنكير لا يستقيم ؛ لأنه فى حال التنكير فى النصب يجب تحريك الراء فيه ، فلا يجوز تحريك العين لعدم التقاء الساكنين ، بخلاف ما إذا كانت فيه لام التعريف ؛ فإنه لا يجب تحريك الراء فيه ، بل تكون ساكنة فيه كما هى ساكنة فى حال الرفع والجر ، فكما تحرك الكاف [٣٠٩] فى حالة الرفع بالضم وفى حالة الجر بالكسر ؛ فكذلك يجب أن تحرك فى حالة النصب بالفتح .

وإنما يستقيم ما ذكره البصريون أنْ لَوْ كان الوقف يوجب فيما دخله لام التعريف أن يكون الوقف عليه بالألف فيقال « رأيت البَكْرَا » كما يقال « رأيت بَكْرَا » فلما لم يُقَلْ ذلك لدخول لام التعريف دَلَّ على أن الفرق بينهما ظاهر ؛ فلا يجوز أن يحمل أحدهما على الآخر . على أن من العرب مَنْ يقف عليه مع التنكير فى حال النصب بالسكون فيقول « ضربت بَكْرْ ، وأكرمت عَمْرْو[١] » وإن كانت اللغة العالية الفصيحة أن يُوقَفَ عليه بالألف[٢] ، غير أن العرب وإن اختلفوا فى الجملة فى حال التنكير هل يوقف فيه بالألف أو السكون فما اختلفوا البتة فى حال التعريف باللام أنه لا يجوز الوقف عليه بالألف .

والذى يدلُّ على ذلك أن الألف لا تكاد تقع فى هذا النحو فى القوافى وصلا إلا قليلا ؛ فدل على ما بيناه ، والله أعلم .

* * *

(١) هذه لغة ربيعة ، يقفون على المنصوب المنون بالسكون كما يقف عامة العرب على المرفوع والمخفوض المنونين ، وكما يقفون هم وغيرهم على ذى الألف واللام .

(٢) فى ر « أن يقف عليه بالألف » .

١٠٧ — مسألة

[القول فى أصل حركة همزة الوصل][١]

ذهب الكوفيون إلى أن الأصل فى حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل ؛ فتكسر فى « اِضْرِبْ » إتباعا لكسرة العين ، وتضم فى « اُدْخُلْ » إتباعاً لضمة العين ، وذهب بعضهم إلى أن الأصل فى همزة الوصل أن تكون ساكنةً ، وإنما تحرك لالتقاء الساكنين . وذهب البصريون إلى أن الأصل فى همزة الوصل أن تكون متحركة مكسورة ، وإنما تضم فى « ادْخُلْ » ونحوه لئلا يُخْرَج من كسر إلى ضم ؛ لأن ذلك مستثقل ، ولهذا ليس فى كلامهم شىء على وزن فِعُلٍ بكسر الفاء وضم العين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه لما وجب أن يزيدوا حرفاً لئلا يبتدأ بالساكن ووجب أن يكون الحرف الزائد متحركاً وجب أن تكون حركته تابعةً لعين الفعل طلباً للمجانسة ؛ لأنهم يتوخَّوْنَ ذلك فى كلامهم ، ألا ترى أنهم قالوا « مُنْتُن » فضموا التاء إتباعا لضمة الميم ، وإن كان الأصل فى التاء أن تكون مكسورة ؛ لأنه [٣١٠] من أنْتَنَ فهو مُنْتِنٌ ، كما تقول : أجْمَلَ فهو مُجْمِل ، وأحْسَنَ فهو مُحْسِن ، إلا أنهم ضموها للاتباع ، وكذلك قالوا فيها أيضاً « مِنْتِنٌ » فكسروا الميم إتباعاً لكسرة التاء ، وكذلك قالوا « الْمِغِيرة » فكسروا الميم إتباعاً لكسرة الغين ، وإن كان الأصل أن تكون مضمومةً ؛ لأنه من أغار على العدو إغارة ، وكذلك قالوا « يُسْرُوع » فضموا الياء إتباعاً لضمة الراء ، واليُسْرُوع : دابة حمراء تكون فى الرمل ،

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل لابن يعيش (ص١٣٣٢) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٢٣٣ وما بعدها) وتصريح الشيخ خالد (٢/٤٥٦ ومابعدها) .

وكذلك قالوا « الأسود بن يُعْفُرُ » فضموا الياء إتباعاً لضمة الفاء ، وإن كان الأصل هو الفتح ؛ لأنه ليس فى الكلام على وزن يُفْعُول بالضم ، وكذلك قالوا « هو أخوكِ لِإمك » بكسر الهمزة إتباعاً لكسرة اللام ، قال الله تعالى : (فَلِامِّهِ الثلثُ) فى قراءة من قرأ بكسر الهمزة ، وهما حمزة الزيات والكسائى ، وهما من سادات القَرَأة السبعة ، وعلى ذلك قراءة الحسن (الحمدِ لِلهِ) بكسر الدال ، وقراءة ابن أبى عَبْلة (الحمدُ لُلهِ) بضم اللام ، وإذا كانوا كسروا ما يجب بالقياس ضمه وضموا ما يجب بالقياس كسره للاتباع طلباً للمجانسة فلأن يضموا هذه الهمزة أو يكسروها للاتباع ولم يجب لها حركة مخصوصة كان ذلك من طريق الأولى .

وأما مَنْ ذهب إلى أن الأصل فيها أن تكون ساكنة فقال : أجمعنا على أن همزة الوصل زيادة على بناء الكلمة ، وإذا كانت زيادة كان تقديرها ساكنة أولى من تقديرها متحركة ، وذلك لأنا إذا قدرناها ساكنة كان زيادة حرف واحدٍ مجردٍ عن شىء آخر ، والزيادة كلما كانت أقلَّ كانت أولى ، ثم يجب تحريك الهمزة لالتقاء الساكنين ؛ فلا يؤدى إلى الابتداء بالساكن .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الأصل فيها الحركة وهو الكسر ، وذلك لأن المقصود بزيادة الهمزة أن نلفظ بفاء الفعل ساكنة فى حال الابتداء ؛ لأنه لو لم نَزِد الهمزة لتحركت فاء الفعل الساكنة فى حال الابتداء ؛ لأن الابتداء بالساكن محال ، فإذا كانوا قد زادوا الهمزة لئلا يبتدأ بالساكن ، ولهذا لم يزيدوها فيما تحركت فاؤه ؛ فينبغى أن تزاد متحركة لا ساكنة ؛ لأنه من المحال أن تقصد إلى حرف ساكن وأنت تقصد التخلص من الساكن .

وإنما وجب أن تكون حركتها الكسرة لأنها زيدت على حرف ساكن فكان الكسر [٣١١] أولى بها من غيره ؛ لأن مصاحبتها للساكن أكثر من

غيره ، ألا ترى أنه الأكثر فى التقاء الساكنين ؟ فحركت بالكسر تشبيها بحركة الساكن إذا لقيه ساكن ؛ لأن الهمزة إنما جيء بها توصُّلاً إلى النطق بالساكن ، كما أن الساكن إنما حرك توصُّلاً إلى النطق بالساكن الآخر .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه لما وجب أن يكون الحرف الزائد متحركا وجب أن تكون حركته تابعةً لحركة العين ، طلباً للمجانسة » قلنا : التحريك للإتباع ليس قياساً مطرداً ، وإنما جاء ذلك فى بعض المواضع فى ألفاظ معدودة قليلة جداً ، وذلك الإتباع على طريق الجواز ، لا على طريق الوجوب ، ألا ترى أنه يجوز أن يقال فى مُنْتُن بضم التاء « مُنْتِن » بالكسر فيؤتى به على الأصل ، وأما قولهم « مِنْتِن » بكسر الميم فيحتمل أن يكون من نَتُنَ ؛ لأنه يقال « نَتُنَ الشىء ، وأنْتَنَ » لغتان ؛ فلا يكون الكسر للاتباع . وكذلك قولهم « المِغيرة » يجوز أن يؤتى به على الأصل فيقال فيه « المُغيرة » بالضم . ويحتمل أن يكون من « غَارَ أهْلَه يَغِيرُهُم غَيراً » إذا مَارَهُمْ ، وكذلك يجوز أن يقال فى يُسروع بالضم « يَسروع » بالفتح على الأصل ، وقد قالوا إنه أسروع[1] أيضاً ، وكذلك يجوز أن يقال فى « يُعْفُر » بالضم « يَعْفُر » بالفتح على الأصل ، وكذلك يجوز أن يقال فى قولهم هو أخوكِ لِإمك بالكسر « هو أخُوكَ لِامكَ » بالضم على الأصل ، وأما قراءة من قرأ (الحمدِ لِلهِ) بكسر الدال وقراءة من قرأ (الحمدُ لُله) بضم اللام فهما قراءتان شاذتان فى الاستعمال ضعيفتان فى القياس : أما شذوذهما فى الاستعمال فظاهر ، وأما ضعفهما فى القياس فظاهر أيضاً : أما كسر الدال فإنما كان ضعيفا لأنه يؤدى إلى إبطال الإعراب ، وذلك لا يجوز ، وأما ضم اللام فإنما كان ممتنعاً لأن الإتباع لما كان فى الكلمة الواحدة

---

(١) وقد جاء جمعه فى قول امرىء القيس :

وتعطو بِرَخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

قليلا ضعيفاً كان مع الـكلمتين ممتنعاً البتة ؛ لأن المنفصل لا يلزمُ لزومَ المتصلِ ، فإذا كان فى المتصل ضعيفاً امتنع فى المنفصل البتة ؛ لأنه ليس بعد الضعف إلا امتناع الجواز ؛ لأن حركة الإعراب لا تلزم ؛ فلا يكون لأجلها إتباع ، وإذا كان الإتباع فى كلامهم بهذه المَثَابة دل على أنه ليس الأصل فى حركة همزة الوصل أن تتبع حركَةَ العين .

والذى يدل [٣١٢] على أن حركتها ليست إتباعاً لحركة العين فى نحو « اضرِبْ، وادْخُلْ » أنه لو كان الأمر كذلك لـكان ينبغى أن يقال فى ذهب يذهب « اَذْهَبْ » بفتح الهمزة ؛ لأن عين الفعل منه مفتوحة ، فلما لم يجز ذلك وقيلت بالـكسر عُلِم أن أصلها أن تـكون متحركة بالـكسر ، وإنما ضمت فى « اُدْخُلْ » ونحوه لئلا يخرجوا من كسر إلى ضم لأنه مستثقل ، ولم يفعلوا ذلك فى « اُذْهَبْ » لأن الخروج من كسر إلى فتح غير مستثقل ؛ فجىء بها على الأصل وهو الـكسر .

وأما قول من قال « إن الأصل فيها أن تـكون ساكنة ؛ لأن همزة الوصل زائدة ، وإذا كانت زائدة كان تقديرها ساكنة أولى من تقديرها متحركة ؛ لأن الزيادة كلما كانت أقَلَّ كانت أولى » قلنا : الـكلام على هذا من وجهين :

أحدها : القاصد لِلَّفْظِ بالساكن إذا قَدَّرَ اجتلاب حرف ساكن ـ مع علمه بأنه لا يلفظ به ـ كان تقديره محالا ، ولو جاز أن يقال ذلك لجاز أن يقال : إن الاسم يوضع أولا على سكون الأول ثم يتحرك ؛ لأن الابتداء بالساكن محال ، ثم يلزمه على هـــذا أن لا يثبت حركة فى لفظ إلا لضرورة ، وأن يسكن كل حرف فى أول كل كلمة إذا لم يبتدأ به ، ولا خـــلاف أن مثل هذا لا يرتـكبه أحد .

والوجه الثانى : أن الهمزة إذا زيدت ساكنة ثم تحركت لالتقاء الساكنين لم تكن جاءت لأجل اللفظ بالساكن ؛ فكان حكمها حكم ما يبنى عليه ؛ إذ لو زيدت ساكنة لئلا يبتدأ بالساكن لكان تقدير السكون فيها محالا ؛ لما فيه من العَوْد إلى عين ما يُفَر منه ، وكان يلزم على مقتضى هذا القول أن لا يجوز حذفها بحالٍ ، وأن يقال « يَا زَيْدُ اضْرِبْ وَيَا عَمْرُو ادْخُلْ » بإثبات الهمزة ، وذلك لا يجوز ، والله أعلم .

١٠٨ — مسألة

[هل يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

وأجمعوا على أنه يجوز نقل حركة همزة القطع إلى الساكن قبلها كقولهم « مَنَ أبُوكَ ، وكَمِ ابِلُكَ » .

أما الكوفيون فاحتجوا [٣١٣] بأن قالوا : الدليل على ذلك : النقل ، والقياس .

أما النقل فقد قال الله تعالى : (ألَمَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) فنقل فتحة همزة (الله) إلى الميم قبلها ، وحكى الكسائى قال : قرأ علىَّ بعضُ العرب سورة (ق) فقال : (مَنَّاعٍ لِلخَيرِ مُعْتَدٍ مُرِيبِنَ الَّذِى) بفتح التنوين ؛ لأنه نقل فتحة همزة (الذى) إلى التنوين قبلها ، وحكى أيضاً عن بعض العرب (بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمَ الْحَمْدُ لِلهِ) بفتح الميم ؛ لأنه نَقَلَ فتحةَ همزةِ (الحمدُ) إلى الميم قبلها ، وقرأ أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدنى وهو من سادات أئمة القراء وهو أَحَدُ القَرَأَة

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح المفصل لابن يعيش (ص ١٣٢٠ — ١٣٢٣) .

العشرة (وإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةُ اُسْجُدُوا) فنقل ضمة همزة (اُسْجُدُوا) إلى التاء قبلها ؛ فدل على جوازه .

وأما القياس فلأنها همزة متحركة ؛ فجاز أن تنقل حركتها إلى الساكن قبلها كهمزة القطع فى قولهم « مَنَ اَبُوكَ ، وكَمِ ابِلُكَ » وما أشبه ذلك .

والذى يدل على صحة ما ذكرناهُ أنهم يقولون «وَاحِدِ اثنانْ » فيكسرون الدال من « وَاحِد » وأجمعنا وإياكم على أن كسرة الدال إنما كانت لإلقاء حركة همزة « اثنانِ » عليها لالتقاء الساكنين ، ولا خلاف أن همزة « اُثنانِ » همزةُ وصلٍ ؛ فدل على صحة ما ذكرناه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأن الهمزة إنما يجوز أن تنقل حركتها إذا ثبتت فى الوصل نحو : « مَنَ اُبوكَ » فى « مَنْ أبوكَ » و « كَمِ اُبِلُكَ » فى « كَمْ إبلكَ » فأما همزة الوصل فتسقط فى الوصل ؛ فلا يصح أن يقال إن حركتها تنقل إلى ما قبلها ؛ لأن نقل حركة معدومة لا يتصور ، ولو جاز أن يقال إن حركتها تنقلِ لكان يجب أن يثبتها فى الوصل فيقول : قالَ ألرّجُل ، وَذَهَبَ ألغلامُ ، حتى يجوز له أن يقدر نقل حركتها ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : « أَخَذْتُ عَنْ ألرَّجُلِ » بسكون النون وقطع الهمزة و بفتح النون على نقل الحركة كما يقال : « مَنْ أبوكَ ، ومَنَ اُبوكَ » فلما لم يُقَلْ ذلك بالإجماع دل على فساد ما ذهبتم إليه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقوله تعالى : (ألَمَ اللهُ) فلا حجة لهم فيه ؛ لأن حركة الميم إنما كانت لالتقاء الساكنين ــ وهما الميم واللام من (الله) ــ وزعم بعضهم أن الساكنين هما الميم والياء قبلها ، وهذا عندى باطل ؛ لأنه لو كان التحريك فى قوله (ألم اللهُ) لسكونها وسكون الياء [٣١٤] قبلها لكان يجب أن تكون متحركة فى قوله (ألم ذلك الكتاب) فلما كانت ساكنة دل على

أنها حركت ها هنا لسكونها وسكون اللام بعدها ؛ لا لسكونها وسكون الياء قبلها ، وكانت الحركة فتحةً على خلاف الأصل فى التقاء الساكنين لأن قبلها ياء قبلها كسرة فلو كسر لأدى ذلك إلى اجتماع كسرة قبلها ياء قبلها كسرة ، والياء تعدُّ بكسرتين ؛ فيؤدى فى التقدير إلى اجتماع أربع كَسَرَات متواليات ، وذلك ثقيل جداً فعدلوا عنه إلى الفتح لأنه أخَفُّ الحركاتِ .

وهذا هو الجواب عن احتجاجهم بقراءة بعض العرب (مُرِيبِنَ الَّذِى) فإن الفتحة فى التنوين ليس عن إلقاء حركة همزة (الَّذِى) وإنما حركت لالتقاء الساكنين ــ وهما التنوين ،واللام من (الَّذِى) ــ وكانت الحركة فتحة على خلاف الأصل فى التقاء الساكنين لأن ما قبل التنوين كسرة وقبل الكسرة ياء قبلها كسرة ؛ فالياء تُعد بكسرتين على ما بينَّا ؛ فعدل فى هذه القراءة عن الكسر لئلا يجمع فى التقدير بين خمس كسرات متواليات ، وعدل عنه إلى الفتح لأنه أخف الحركات ، وإذا كانوا قد فتحوا « أَينَ ، وكيفَ » لئلا يجمعوا بين ياء وكسرة مع كثرة الاستعمال ، ولا يوجد فيه من الاستثقال مايوجد ها هنا ، فلأن يفتحوا هاهنا كان ذلك من طريق الأولى ، على أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنه لا إمام لها ، وكذلك ماحكاه عن بعض العرب من فتح الميم من (الرحيمَ الحمدُ لله) لأنها لا إمام لها ، على أنه لا وجه للاحتجاج بها ؛ لأن فتح الميم فتحة إعراب ؛ لأنه لما تكرر الوصف عدل به إلى النصب على المدح بتقدير أعنى ، كما قالت امرأة من العرب[(1)] :

لاَ يَبْعَدَنْ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ   سَمُّ الْعُدَاةِ وآفَةُ الْجُزْرِ [٢٩٥]
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ   وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ

وهذا كثيرفى كلامهم ، وقد بينا ذلك قبل .

(١) هى الخِرْنِقُ أخت طرفة بن العبد لأمه كما تقدم ذكره فى شرح هذا الشاهد (ص ٤٧٦)

وأما قراءة أبى جعفر (وإذْ قُلنَا لِلمَلائِكَةُ اسْجُدُوا) فضعيفة فى القياس جداً والقُرَّاء على خلافها، على أنها لا حجة لهم فيها . وذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الخلاف إنما وقع فى نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها، وها هنا ليس ماقبلها ساكناً، وإنما هو [٣١٥] متحرك؛ لأن التاء من (الملائكة) متحركة، فهذا احتجاج على غير محل الخلاف .

والثانى : أن هذا لا تقولون به؛ فإنه لايجوز عندكم نقلُ حركة همزة الوصل إلى المتحرك قبلها .

والثالث : أنّا نقول : إنما ضمت هذه التاء إتباعاً لضمة الجيم فى (اسجدوا) وذلك من وجهين؛ أحدهما : أن يكون قد نَوَى الوقف فسكنت التاء وضمها تشبيهاً بضمة التاء فى قراءة من قرأ (وقالَتُ اخْرُجْ عليهن) بإتباع ضمة التاء ضمة الراء؛ لئلا يخرجوا من كسر إلى ضم كما ضموا الهمزة، ونحوُ هذا الإتباع قراءة من قرأ أيضاً (جنات وعيونُ ادْخُلوها) بضم التنوين إتباعاً لضمة الخاء من (ادْخُلوها)، وهذا كثير فى كتاب الله تعالى وكلام العرب . والثانى : أنه أتبع الضم الضم، كما أتبع الكسر الكسر فى قراءة الحسن البصرى (الحمدِ لِله) فكسر الدال إتباعا لكسرة اللام، وكقولهم « مِنْتِنٌ » بكسر الميم، والأصل فيه « مُنْتِن » بضم الميم؛ فكسروها إتباعاً لكسرة التاء، ومنهم من يقول « مُنْتُن » بضم التاء، والأصل فيها الكسر، إتباعاً لضمة الميم، كقراءة ابن أبى عَبْلة (الحمدُ لُله) بضم اللام والأصل فيها الكسر إتباعاً لضمة الدال .

وعلى كل حالٍ فهذه القراءة ضعيفة فى القياس، قليلة فى الاستعمال .

وأما قولهم « إنها همزة متحركة فجاز أن تنقل حركتها إلى الساكن قبلها كهمزة القطع » قلنا : قد بينا الفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع بما يغنى عن الإعادة؛ فلا يجوز أن تُحْمَلَ إحداهما على الأخرى .

وأما قولهم «أجمعنا على أن كسرة الدال فى قولهم واحدِ اثنان إنما كان لإلقاء حركة همزة اثنان، وهمزةُ اثنان همزةُ وصلٍ» قلنا : إنما جاز ذلك هاهنا لأن «واحد» فى حكم الوقف كنحوه من العدد ، و « اثنان » فى حكم المستأنَفِ المبتدأ به ، وإذا كان فى حكم المستأنف المبتدأ به كانت همزته بمنزلة همزة القطع ، وإن كانت همزة وصل ؛ لأن همزة القطع وهمزة الوصل تستويان فى الابتداء ؛ ولهذا يقولون « واحد إثنان » فيثبتون فيه الهمزة وإن كانت همزة وصل ؛ لأن «واحد» فى حكم الوقف ، و « إثنان » فى حكم المستأنف ، ولذلك يقولون « ثلاثهَ أربعة » فيحذفون الهمزة من « أربعة » ولا يقلبون الهاءَ من ثلاثة تاء ؛ لأن الثلاثة عندهم فى حكم الوقف والأربعة فى حكم المستأنف ، وهم إنما يقلبون [٣١٦] الهاء تاء فى حالة الوصل، وإذا كانت فى تقدير الوقف بقيت هاء ، وإن ألقيت عليها حركة ما بعدها ، كما تكون هاء إذا لم يكن بعدها شىء ، والله أعلم .

١٠٩ — مسألة

[هل يجوز مد المقصور فى ضرورة الشعر؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز مَدُّ المقصور فى ضرورة الشعر ، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

وأجمعوا على أنه يجوز قَصْرُ المدود فى ضرورة الشعر ، إلا أن الفراء من الكوفيين اشترط فى مد المقصور وقصر الممدود شروطاً لم يشترطها غيره ؛ فذهب إلى أنه لا يجوز أن يمد من المقصور ما لا يجىء فى بابه ممدود ، نحو فَعْلَى تأنيث فَعْلَانَ نحو سَكْرَى

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٩١) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٣٦٨) .

وعَطْشَى ؛ فهذا لا يجوز أن يمدَّ ؛ لأن مذكره سكران وعطشان ، وفَعْلَى تأنيث فَعْلَان لا تجىء إلا مقصورة ، وكذلك حكم كل ما يقتضى القياسُ أن يكون مقصوراً وكذلك لايجوز أن يُقْصَرَ من الممدود ما لايجىء فى بابه مقصور ، نحو تأنيث أفعل نحو بيضاء وسوداء ؛ فهذا لا يجوز أن يُقْصَر ؛ لأن مذكره أبيض وأسود ، وفَعْلَاء تأنيث أفْعَلَ لا يكون إلا ممدوداً ، وكذلك حكم كل ما يقتضى القياسُ أن يكون ممدوداً ، فأما ما عدا ما يوجبُ القياسُ أن يكون مقصوراً أو ممدوداً من المقصور والممدود فإنه يجوز أن يمد منه المقصور ويقصر منه الممدود إذا كان له نظير من المقصور أو الممدود ؛ فيجوز عنده مَدُّ « رَحًى ، وهُدًى ، وحِجًى » لأنها إذا مدت صارت إلى مثال سَمَاء ودُعاء ورِداء ، ويجوز عنده قصر « سماء ، ودعاء ، ورداء » لأنها إذا قصرت صارت إلى مثال رَحًى وهُدًى وحِجًى ، فأما ما لا مثال له من المقصور والممدود إذا مُدَّ وقُصِرَ فلا يخرج عن بابه من المد والقصر ؛ فهذا تفصيل المذاهب .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على جواز مد المقصور أنه قد جاء ذلك عن العرب فى أشعارهم ، قال الشاعر :

٤٥٤ — [٣١٧] قَدْ عَلِمَتْ أُمُّ أبِى السِّعْلَاءِ وَعَلِمَتْ ذَاكَ مَعَ الْجَرَاءِ
أَنْ نِعْمَ مأْ كُولاً عَلَى الْخَواءِ يَالَكَ مِنْ تَمْرٍ وَمِنْ شيشاَءِ
* يَنْشَبُ فى الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ *

---

٤٥٤ — هذه خمسة أبيات من الرجز المشطور ، وقد أنشدها — إلا الثانى — ابن منظور (ل ه ا) وأنشد رابعها وخامسها ابن يعيش (ص ٨٠١) والأشمونى (رقم ١١٥٧) وابن عقيل (رقم ٣٥٣) وقد قال الفراء : إن هذا الرجز لأعرابى من أهل البادية ، ولم يسمه ، وقال أبو عبيد البكرى : هو لأبى المقدام الراجز . والسعلاء — بكسر السين وسكون العين — أصله السعلاة ، قيل : هى الغول ، وقيل : ساحرة الجن ، وتجمع على السعالى ، والعرب تشبه المرأة العجوز بالسعلاة ، قال الراجز :

لقد رأيت عجبا مذ أمسا عجائزاً مثل السعالى خمسا =

والسعلاء والخواء واللهاء كله مقصور فى الأصل ، ومَدَّه لضرورة الشعر ؛ فدلّ على جَوَازه ، وقال الآخر :

٤٥٥ — إنَّمَا الْفَقْرُ وَالْغِنَاء مِنَ اللـــهِ ؛ فهذَا يُعْطَى ، وَهٰذَا يُحَدُّ

فمدّ الغِنَاء وهو مقصور ، فدلّ على جَوَازه ، وقال الآخر :

٤٥٦ — سَيُغْنِينِى الَّذِى أَغْنَاكَ عَنِّى فَلَا فَقْرٌ يَدُومُ وَلَا غِنَاء

= وقال الأعشى :

رب رفد هرقته ذلك اليو م وأسرى من معشر أقتال

وشيوخ حربى بشطى أريك ونساء كأنهن السعالى

والجراء — بفتح الجيم أو كسرها — الفتاء ، تقول : هذه جارية بينة الجراء ، والجراية والجرائية ، والجرى ، أى بينة الصبا والفتاء ، والخواء : الخلاء ، تقول : خوى الربع يخوى ، إذا خلا من أهله ، لـكن الأصمعى حكى فى مصدر هذا الفعل أنه ممدود فى الأصل والشيشاء — بشينين معجمتين أولاهما مكسورة وبينهما ياء — هو الشيص ، وهو أردأ التمر ، وينشب : يعلق ، والمسعل : موضع السعال من الحلق ، واللهاء — بفتح اللام ، وبالمد ، وأصله القصر — جمع لهاة ، وهى هنة مطبقة فى أقصى سقف الفم . ومحل الاستشهاد من هذه الأبيات قوله « السعلاء » وقوله « اللهاء » فإن أصل هاتين الـكلمتين القصر فأصل الأولى السعلاة ، وأصل الثانية اللهاة ، ولـكن الراجز قد مدهما حين اضطر ، وقد زعم المؤلف أن « الخواء » أصله القصر ، ولـكن الراجز مده أيضا ، ولـكن الأصمعى كما حدثناك قد حكى أن أصل « الخواء » ممدود ، والخطب فى ذلك سهل ، فإنه يكفى الاستشهاد بالـكلمتين السابقتين .

٤٥٥ — يحد — بالبناء للمجهول — أى يمنع ويحرم ، والاستشهاد بهذا البيت فى قوله « والغناء » فإن هذه الـكلمة فى الأصل مقصورة ، والغنى — بكسر الغين مقصورا — ضد الفقر ، وفى الحديث « خير الصدقة ما أبقت غنى » وفى رواية « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » وأصله مصدر « غنى يغنى » بوزن رضى يرضى ، وقد مده الشاعر فى هذا البيت حين اضطر لإقامة وزن البيت .

٤٥٦ — هذا البيت من شواهد الأشمونى (رقم ١١٥٦) وأوضح المسالك (رقم ٥٣٧) وشرحه العينى (٤/٥١٣ بهامش الخزانة) وأنشده ابن منظور (غ نى) ومحل =

وقول الآخر :

٤٥٧ — لَمْ نُرَحِّبْ بِأَنْ شَخَصْتَ، وَلَكِنْ مَرْحَباً بِالرِّضَاءِ مِنْكَ وَأَهْلاَ

فهذه الأبيات كلها تدل على جوازه .

= الاستشهاد منه قوله « ولا غناء » فإن أصل هذه الكلمة « ولا غنى » بكسر الغين مقصورا ، ولكن الشاعر مده حين اضطر لإقامة وزن البيت ، وزعم قوم أنه بفتح الغين من قولهم « هذا رجل لا غناء عنده » فيكون ممدودا أصالة ، وزعم آخرون أنه بكسر الغين وأنه مصدر « غانيته أغانيه غناء — مثل راميته أراميه رماء » إذا فاخرته وباهيته فى الغنى بكسر الغين وبالقصر ، قال ابن منظور « وأما قوله * سيغنيني الذى أغناك البيت * فإنه يروى بالفتح والكسر ، فمن رواه بالكسر أراد مصدر غانيت ، ومن رواه بالفتح أراد الغنى نفسه ، قال أبو إسحاق : إنما وجهه ولا غناء — يعنى بفتح الغين — لأن الغناء غير خارج من معنى الغنى ، وكذلك أنشده من يوثق بعلمه » اهـ . وقال ابن هشام « واختلفوا فى جواز مد المقصور للضرورة ، فأجازه الكوفيون متمسكين بنحو قوله * فلا فقر يدوم ولا غناء * ومنعه البصريون ، وقدروا الغناء فى البيت مصدرا لغانيت لا مصدرا لغنيت ، وهو تعسف » اهـ .

٤٥٧ — شخص الرجل يشخص — مثل فتح يفتح — شخوصا ، إذا ذهب من بلد إلى بلد ، والرضاء : ضد السخط ؛ ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « بالرضاء » فإن أصله الرضا مقصوراً ، لكن الشاعر لما اضطر لإقامة الوزن مده، وبهذا يستدل الكوفيون على أنه يجوز للشاعر إذا ألجأته الضرورة أن يمد المقصور ، كما يجوز له عند الضرورة أن يقصر الممدود ، ولكن الأخفش — على ما فى اللسان — حكى أن مصدر « رضى » هو الرضا بالقصر ، ومنه قول القحيف العقيلى :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

والاسم الرضاء بالمد ، فيجوز — إن صح هذا — أن يكون الرضاء فى بيت الشاهد اسما لا مصدرا ، فيكون ممدوداً أصالة ، وبهذا يسقط استدلال الكوفيين بهذا البيت . وقد أنشد الكوفيون للاستدلال على ما ذهبوا إليه قول العجاج :

والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالى وانتقال الأحوال

وهذا البيت من شواهد الأشمونى فى المسألة (رقم ١١٥٥) وإنما يتم الاستدلال لهم بهذا البيت إذا قرىء « بلاء السربال » بكسر الباء ، فإنه يقال : بلى الثوب يبلى بلى =

وأما من جهة القياس فإنما قلنا إنه يجوز مد المقصور لأنا أجمعنا على أنه يجوز فى ضرورة الشعر إشباعُ الحركاتِ التى هى الضمة والكسرة والفتحة فينشأ عنها الواو والياء والألف ؛ فإشباع الضمة كقوله :

* كأنَّ فى أنْيابِهاَ القرَنفُولْ * [٨]

أراد « القَرَنْفُلَ » وإشباعُ الكسرة كقوله :

* لاَ عَهْدَ لِى بِنِيضَالْ * [١٦]

أراد بِنِضالٍ ، وإشباعُ الفتحة كقوله :

* أَقُولُ إذْ خَرَّتْ عَلَى الْكَلْكَالِ [١٠]

أراد الكَلْكَلَ ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى غير هذه المسألة(١) ، فإذا كان هذا جائزاً فى ضرورة الشعر بالإجماع جاز أن يشبع الفتحة قبل الألف المقصورة فتنشأ عنها الألف فيلتحق بالممدود .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز مد المقصور لأن المقصور هو الأصل ، والذى يدل على أن المقصور هو الأصل أن الألف تكون فيه أصلية وزائدة ، والألف لا تكون فى [٣١٨] الممدود إلا زائدة ، والذى يدل على ذلك أيضاً أنه لو لم يعلم الاسم هل هو مقصور أو ممدود لوجب أن يلحق بالمقصور دون الممدود ؛ فدل على أنه الأصل ، وإذا ثبت أن المقصور هو الأصل فلو جوزنا مَدَّ المقصور لأدى ذلك إلى أن نردَّه إلى غير أصل ، وذلك لا يجوز ، وعلى هذا يخرج قصر الممدود ؛ فإنه إنما

= مثل رضى يرضى رضى — وأما إذا فتحت الباء فإنه ممدود أصالة ، قال ابن منظور « بلى الثوب يبلى بلى وبلاء ، وأبلاه صاحبه ... إذا فتحت الباء مددت ، وإذا كسرت قصرت ، ومثله القرى والقراء ، والصلى والصلاء » اهـ .

(١) انظر المسألة الثانية من مسائل هذا الكتاب .

جاز لأنه رَدٌّ إلى أصل ، بخلاف مد المقصور ؛ لأنه رَدٌّ إلى غير أصل ، وليس من ضرورة أن يجوز الرد إلى أصل أنه يجوز الرد إلى غير أصل ، وهذا لا إشكال فيه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قول الشاعر :

* قَدْ عَلِمَتْ أُمُّ أَبِى السِّعْلاَءِ * [٤٥٤]

الأبيات إلى آخرها — فلا حجة فيها ؛ لأنها لا تعرف ، ولا يعرف قائلها ، ولا يجوز الاحتجاج بها ، ولو كانت صحيحة لتأولناها[1] على غير الوجه الذى صاروا إليه .

وأما قول الآخر :

* إنَّما الْفَقْرُ وَالْغِنَاءُ مِنَ اللهِ * [٤٥٥]

وقول الآخر :

* فَلاَ فَقْرٌ يَدُومُ وَلاَ غِنَاءُ * [٤٥٦]

فلا حجة لهم فيه أيضاً ، وذلك من وجهين ؛ أحدهما : أن الإنشاد بفتح الغين والمد ، والغَنَاء ممدود بمعنى الكفاية ، قال طرفة :

٤٥٨ — وَلاَ تَجْعَلِينِي كَامْرِىءٍ لَيْسَ هَمُّهُ كَهَمِّى ، وَلاَ يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي

---

(١) فى ر « لتناولناها » وظاهر أن ذلك تحريف عما أثبتناه .

٤٥٨ — هذا هو البيت الرابع والتسعون من قصيدة طرفة بن العبد البكرى المعلقة (انظر شرح التبريزى ص ٩٦) وقبله قوله :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد

وانعيني : أى اذكرى من أفعالى ما أنا خليق به وأهل له ، وليس همه كهمى : يريد ليس عزمه مثل عزمى ولا طلبه للمعالى مثل طلبى ، ولا يغنى غنائى : أى لا ينفع فى المواطن التى أنفع فيها ولا يسد كما أسد، يريد أنه لا يكون مثله فى المواطن التى تظهر فيها قيم الرجال كمواطن الحرب ومجالس الخصومات والمفاخرات. ومحل الاستشهاد من هذا=

والوجه الثانى : أنا نسلم أن الرواية بكسر الغين ، ولـكن تـكون مصدراً لغانيته : أىْ فاخرته بالغنى ، يقال : غانيته أغانيه غناء ، كما يقول : وَالَيْتُه أُوَاليِهِ وِلاء ، وعاديته أعاديه عِدَاء بمعنى وَالَيْتُهُ ، قال امرؤ القيس :

٤٥٩ — فَعَادَى عِدَاء بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكاً ، وَلَمْ يَنْضَحْ بماء فَيُغْسَلِ

= البيت قوله «غنائى» فإنه بفتح الغين ، وهو ممدود أصالة ، ومعناه النفع والـكفاية ، والمؤلف يريد بإنشاد هذا البيت أن يقول : إنه يجوز أن يكون « الغناء » فى الشاهد رقم ٤٥٥ و « غناء » فى الشاهد رقم ٤٥٦ مثل « غنائى » فى بيت طرفة هذا بفتح الغين وبمعنى الـكفاية والنفع ، وعلى هذا يكون ممدودا أصالة ، ولا يكون فيه شاهدللـكوفيين لأن الشاعر أتى به على أصله ، وقد ذكرنا لك هناك أنهذا الـكلام لا يصح أن يؤخذبه وذكرنا لك كلام ابن هشام فى الرد على هذا الـكلام ، وقال فى آخره : إن تمحلات البصريين فى الرد على الـكوفيين تعسف .

٤٥٩ — هذا هوالبيت السادس والستون من معلقة امرىء القيس بن حجر الـكندى (انظر شرح التبريزى على المعلقات ص ٤٦ ط السلفية) وقد أنشده ابن منظور (عدى) وعزاه إليه ، وعادى: معناه والى بين اثنين فى طلق واحدولم يعرق ، تقول:عادى الفارس بين صيدين ، وبين رجلين ، إذا طعنهما طعنتين متواليتين ، والعداء : مصدر هذا الفعل ، وهو بكسر العين ممدوداً ، ومعناه الموالاة والمتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر فى طلق واحد، ودراكا : أى مداركة ، وهو مصدر فى موضع الحال ، يصف امرؤ القيس فرسه بالسرعة وأنه يدرك الوحش ويمكن راكبه من صيدها من غير أن يظهر عليه أثر الجهد والتعب حتى إنه لا يعرق مع شدة جريه . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « عداء » فإنه بكسر العين المهملة مصدر عادى،وهو ممدود قياسى ، وغرض المؤلف من إنشاد هذا البيت ههنا أن يقول : إنه يجوز أن يكون « الغناء » فى البيتين (رقم ٤٥٥ و ٤٥٦) اللذين أنشدهما الـكوفيون بكسر الغين كما قالوا ، لـكن لا على أنهما مصدر غنى كرضى ، بل على أنهما مصدر « غانى » أى فاخر فى الغنى ، ولست فى حاجة إلى أن نعيد عليك هنا قول ابن هشام « وهو تعسف » وقد وافق الـكوفيين فى هذه المسألة ابن ولاد وابن خروف ، وقد قرأ طلحة بن مصرف فى قوله تعالى (يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار) بمد السنا وأصله مقصور ، فإذا صحت رواية هذه القراءة دل على جواز مد المقصور فى سعة الـكلام ، ولم يقصر الجواز على الضرورة .

فكذلك ها هنا، وهذا هو الجواب عن قول الآخر:

... ... وَلٰـكِنْ مَرْحَباً بِالرِّضَاءِ مِنْكَ وَأَهْلاً [٤٥٧]

لأن «الرضاء» مصدر راضيته مُرَاضاة ورضاء، فلا يكون فيه حجة.

وأما قولهم [٣١٩] «إنه يجوز إشباع الحركات فتنشأ عنها الحروف — إلى آخر ما ذكروه» فنقول: الفرق بينهما ظاهر، وذلك أن إشباع الحركات هناك يؤدِّى إلى تغييرٍ واحدٍ، وهو زيادة هذه الحروف فقط، وأما ها هنا فإنه يؤدِّى إلى تغييرين: زيادة الألف الأولى، وقلب الثانية همزة؛ وليس من ضرورة أن يجوز ما يؤدى إلى تغيير واحد أن يجوز ما يؤدى إلى تغييرين أو أكثر من ذلك.

وأما ماذهب إليه الفراء ـ من اشتراطه فى قصر الممدود أن يجىء فى بابه مقصور ـ فباطل؛ لأنه قد جاء القصر فيما لم يجىء فى بابه مقصور، قال الشاعر:

٤٦٠ — وَالْقَارِحَ الْعَدَّا وَكُلَّ طِمِرَّةٍ مَا إنْ تَنَالُ يَدُ الطَّوِيلِ قَذَالَهَا

---

٤٦٠ — هذا هو البيت السادس والعشرون من قصيدة للأعشى ميمون مطلعها قوله (وانظر ديوانه ص ٢٢ — ٢٧):

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبى عليك، فما تقول بدالها؟

وقبل البيت المستشهد به قوله:

الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا تزجى بينها أطفالها

وأنشد ابن منظور بيت الشاهد (ع د ا) وعزاه إليه، غير أنه روى عجزه «لا تستطيع يد الطويل قذالها» ورواية الديوان كرواية المؤلف، والعوذ — بضم العين — جمع عائذ، وهى الحديثة النتاج، والقارح: أراد به الفرس الذى اكتمل سنه، والطمرة — بكسر الطاء والميم جميعاً مع تشديد الراء — الوثابة، ويقال: هى المشرفة، أى العالية، وهذا هو الذى يتناسب مع عجز البيت، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله «العدا» فإن أصله «العداء» صيغة مبالغة فعلها عدا يعدو، فأصله ممدود قياسى، ولكن الشاعر قصره حين اضطر لإقامة وزن البيت، قال ابن منظور =

فقصر « العَدَّاء » وهو فَعَّال من العَدْو ، وفَعَّال لتكثير الفعل ، نحو « ضَرَّاب وقَتَّال[1] » ولا يجىء فى بابه مقصور ، وقال الآخر :

٤٦١ — وَلٰكِنَّمَا أُهْدِى لِقَيْسٍ هَدِيَّةً بِفِيَّ مِنِ اُهْدَاهَا لَكَ الدَّهْرَ إِثْلِبُ

فقصر « إهْدَاهَا » وهو مصدر أَهْدَى يُهْدِى إهـداء ، ولا يجىء فى بابه مقصور ، ألا ترى أن نظيره من الصحيح أكرم إكراماً وأخرج إخراجاً ، وما أشْبَهَ ذلك ، وقال الآخر :

فَلَوْ أَنَّ الأَطِبَّا كَانُ حَوْلِي وَكَانَ مَعَ الأَطِبَّاءِ الْأُسَاةُ [٢٤٥]

فقصر « الأطِبَّاء » وهو جمع طبيب ، ولا يجىء فى بابه مقصور ؛ لأن القياس يوجب مَدَّه ؛ لأن الأصل فى طبيب أن يجمع على طُبَبَاء على مثال فُعَلَاء ،

« أراد العداء ، فقصره للضرورة ، وأراد لا تستطيع يد الطويل نيل قذالها ، فحذف للعلم بذلك » اهـ . وأراد المؤلف من الاستشهاد بهذا البيت الرد على الفراء الذى اشترط لجواز قصر الممدود أن يكون قد ورد فى بابه مقصور ، ووجه الرد من هذا البيت أن الشاعر قد قصر « العداء » وهو صيغة مبالغة كما قلنا فعلها عدا يعدو ، ولم يأت فى صيغ المبالغة مقصور حتى يحمل هذا عليه .

(١) فى ر « وقفال »

٤٦١ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ث ل ب) ولم يعزه ، وقوله « بفى » أى بفمى ، وهو متعلق بقوله أهدى ، يريد أنه يهديه كلاما ، و « له الدهر إثلب » جملة مستأنفة ، يريد : له الدهر إثلب من إهدائى إياها ، والإثلب : التراب والحجارة ، وقال شمر : الأثلب بلغة أهل الحجاز الحجر ، وبلغة تميم التراب ، وهمزة الإثلب مكسورة أو مفتوحة ، والفتح أكثر . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « اهداها » فإن أصل هذه الكلمة « إهداؤها » لأنه مصدر أهدى إليه هدية يهديها إهداء — مثل أكرمه يكرمه إكراما — فهو ممدود قياسى ، ولم يجىء فى باب مصدر « أفعل يفعل » مقصور حتى يحمل هذا عليه ، فأنت تقول : أعطى يعطى إعطاء ، وأبقى يبقى إبقاء ، وأرضى يرضى إرضاء ، وهلم جرا ؛ وهذا رد على الفراء الذى اشترط لجواز قصر الممدود أن يكون قد جاء فى بابه مقصور ، ووجه الرد ما ذكرنا مثله فى شرح الشاهد السابق .

كشريف وشُرَفَاء وظريف وظُرَفَاء ؛ إلا أنه اجتمع فيه حرفان متحركان من جنس واحد ، فاستثقلوا اجتماعهما ، فنقلوه من فُعَلاَء إلى أفْعِلاَء فصار أطْبِبَاء ، فاستثقلوا أيضاً اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ، فنقلوا كسرة الباء الأولى إلى الطاء ، فراراً من الاستثقال ، وأدغموا الباء فى الباء ، فصار أطِبَّاء ، وكذلك حكم ما جاء على هذا المثال فى جمع فَعِيل من المضاعف ، كقولهم : حَبِيب وأحِبَّاء ، وخَلِيل وأخِلاَّء ، وجَلِيل وأجِلاَّء ، وما أشبه ذلك ، ولا يجوز فى القياس أن يقع شىء من هذا الجمع إلا ممدوداً ، فلما قال « الأطِبَّا » فقصر ما يوجب القياسُ مَدَّه دَلَّ على فساد ما ذهب إليه ، والله أعلم .

[٣٢٠] ١١٠ — مسألة

[هل يُحْذَفُ آخر المقصور والممدود عند التثنية إذا كثرت حروفهما ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المقصور إذا كَثُرَتْ حروفه سقطت ألفه فى التثنية ؛ فقالوا فى تثنية « خَوْزَلَى ، وقَهْقَرَى » : خَوْزَلاَنِ ، وقَهْقَرَانِ ، وذهبوا أيضاً فيما طال من الممدود إلى أنه يحذف الحرفان الآخران ، فأجازوا فى « قَاصعاَء ، وحَاثِيَاء » : قَاصعَان ، وحَاثِيَان .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز حذف شىء من ذلك فى مقصور ولا ممدود .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز ذلك لأنه لما كثرت حروفهما وطال اللفظ بهما ، والتثنية توجب زيادة ألف ونون أو ياء ونون عليهما

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٥٩٨ و ٦٠٠) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٩٤ بولاق) وتصريح الشيخ خالد (٢/٣٧١).

ازدادا كثرة وطولا ؛ فاجتمع فيهما ثقلان : ثقل أصلىّ، وثقل طارىء ؛ فجاز أن يحذف منهما لكثرة حروفهما كما يحذفون لكثرة الاستعمال .

والذى يدلُّ على أن طول الكلمة وكثرةَ حروفها له أثر فى الحذف قولُهم « اشْهَابَّ اشْهِبَابًا ، واحْمَارَّ احْمِرَارًا ، وأصله اشهيبابًا واحميرارًا ، فحذفوا الياء لطول الكلمة وكثرة حروفها ، وكذلك زعمتم أن « كَيْنُونَة » أصلها كَيِّنُونَة بالتشديد ، ثم أوجبتم الحذفَ لطول الكلمة طلبًا للتخفيف ؛ فدلَّ على أن طول الكلمة وكثرة حروفها له أثر فى الحذف ؛ فكذلك ها هنا ، وعلى هذا يخرج مالم يكثر حروفه منهما ؛ فإنه لا يجوز أن يحذف منه شىء لقلة حروفه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنه لا يحذف منهما شىء ؛ لأن التثنية إنما وردت على لفظ الواحد ؛ فينبغى أن لا يحذف منه شىء ، قَلَّتْ حروفُهُ أو كثرت .

والذى يدلُّ على ذلك أن العرب لم تحذف فيما كثرت حروفه ، كما حُذِفَ فيما قَلَّتْ حروفه ، فقالوا فى تثنيــة جُمَادَى : « جُمَادَيَيْنِ » من غير حذف ، قال الشاعر :

٤٦٢ — * شَهْرَىْ رَبِيعٍ وَجُمَادَيَيْنَهْ *

---

٤٦٢ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من شواهد رضى الدين فى باب المثنى من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣٣٨) وذكر أنه لامرأة من فقعس ، وأنشد قبله :

يارب خال لك من عرينه حج على قليص جوينه
* فسوته لا تنقضى شهرينه *

والقليص : تصغير القلوص ، وهى الناقة الشابة ، وجوينة : تصغير جون ، والجون من الإبل ومن الخيل أيضا : الأدهم الشديد السواد ، وقوله « فسوته — إلخ » الفسوة بفتح الفاء وسكون السين — ريح يخرج من البطن من غير صوت ، والكلام على=

وقال الآخر :

٤٦٣ — [٣٢١] * جُمَـــادَيَيْنِ حُسُـــوماً *

= حذف مضاف ، وكأنه قال : نتن فسوته — إلخ ، وشهرينه : منصوب على الظرفية والعامل فيه تنقضى ، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه مثنى ، والهاء فى آخره للسكت ، وقوله « شهرى ربيع » بدل من الشهرين ، وجماديينه معطوف على شهرى ربيع ، والهاء فى آخره للسكت أيضاً . ومحل الاستشهاد هنا قوله «جماديينه » فإنه مثنى جمادى ، والألف فيه خامسة ، وقد قلبها الراجز ياء ، ولم يحذفها ، فيكون رداً على الكوفيين الدين ذهبوا إلى أن الاسم المقصور إذا كثرت حروفه سقطت ألفه فى التثنية، ونحب أن ننبهك إلى أن الكوفيين لم يذهبوا إلى أن سقوط الألف فى تثنية الاسم الذى كثرت حروفه أمر واجب لا يجوز غيره ، بل ذهبوا إلى أنه يجوز أن تسقط ألفه ويجوز أن تذكر وتقلب ياء ، فلا يرد عليهم بأن العرب قد أبقت الألف وقلبتها ياء فى « جماديينه » وفى ألف كلة أخرى ، وقد قالت العرب فى تثنية الخوزلى « الخوزلان » بحذف الألف ، ولو أبقوها لقالوا : الخوزليان ، وقالوا أيضاً : خنفسان ، وقرفصان ، وعاشوران ، فى تثنية خنفساء ،وقرفصاء ، وعاشوراء ، فحذفوا فى التثنية الهمزة والألف التى قبلها ، ولو أبقوا ذلك لقالوا : خنفساوان،وقرفصاوان، وعاشوراوان . وقد استشهد الرضى بالبيت على أن من العرب من يفتح نون المثنى بعد الياء ، وبعد الألف كما فى قول الراجز :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

٤٦٣ — الاستشهاد من هذا الشاهد فى قوله « وجماديين » فإنه مثنى جمادى ، والألف فيه خامسة ، ولم يحذفها الشاعر ، بل قلبها ياء على قاعدة أن الألفات إذا كانت رابعة فأكثر قلبت ياء مطلقا ، وهذا — فيما زعم المؤلف — يرد على مذهب الكوفيين الذين يقولون : إن المقصور إذا كانت حروفه كثيرة جاز حذف هذه الألف عند التثنية ، وإن الممدود إذا كانت همزته بعدحروف كثيرة جازحذفهذه الهمزة والألف التى قبلها، وقدبينا لكفىشرح الشاهد السابقأنهذا الشاهد والكثيرمنأمثالهلايردمذهبالكوفيين من قبل أنهم لا يقولون بوجوب حذف ألف المقصور ولا بوجوب حذف همزة الممدود ، وإنما يقولون : يجوز للمتكلم إذا استطال حروف الكلمة أن يحذف الألف أو الهمزة ويجوز لهأن يأتى بالكلمة على الأصلويقلب الألف ياء ويقلب الهمزة واوا أو يبقيها=

وقال الآخر :

٤٦٤ — * جُمَادَيَيْنِ حَرَام *

فثنوا ذلك على تمام الاسم على الأصل من غير حذف ، والعدولُ عن الأصلِ والقياسِ والنقلِ من غير دليل لا وَجْهَ له .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما قلنا إنه يحذف لكثرة حروفهما وطول ألفاظهما » قلنا : كثرة الحروف لا تكون عِلَّةً موجبة للحذف ، وإنما يوجد ذلك فى ألفاظ يسيرة نُقِلت عنهم على خلاف الأصل والقياس ،

= على تفصيل فى الممدود معروف لك ، وإذا كانوا لا يقولون بوجوب الحذف فمجىء الشواهد العديدة بالإثبات والقلب لا يرد مذهبهم ؛ لأن هذه الشواهد جاءت على الوجه الآخر الذى يجوزونه أيضاً .

٤٦٤ — والاستشهاد بهذا الشاهد فى قوله « جماديين » أيضاً ، والكلام فيه كالكلام فما قبله ، وقول المؤلف بعد إنشاد هذه الشواهد « والعدول عن الأصل والقياس والنقل من غير دليل لا وجه له » غير مسلم له ، فإنهم لم يقولوا ما قالوه من غير دليل ، فقد حكوا أن العرب تثنى الخوزلى والقهقرى على الخوزلين والقهقرين ، بحذف الألف ، وتثنى القاصعاء والحاثياء على القاصعين والحاثيين ، بحذف الهمزة والألف التى قبلها ؛ وقد نقلنا لك زيادة على هذه الكلمات فى شرح الشاهد ٤٦٢ أنهم يثنون الخنفساء والقرفصاء وعاشوراء بحذف الألف والهمزة التى قبلها ، فكيف يقال : إنهم عدلوا عن الأصل والنقل والقياس من غير دليل؟ وإذا كان القياس يثبت بعدد الكلمات فإن كلام الكوفيين أحرى بالثبوت، لأن الكلمات التى ذكروا أن العرب حذفت منها ألف المقصور وهمزة الممدود مما عددناه هنا سبع كلمات ، بينما لم يأت هو لمذهب البصريين إلا بكلمة واحدة ، وهى جمادى على تعدد ما أتى به من الشواهد لهذه الكلمة ، ومع هذا كله نرى لك أن تأخذ بمذهب البصريين ، لا لضعف الحجة التى أتى بها الكوفيون ولكن لأن الأصل أن علامة التثنية تزاد على حروف الكلمة كلها ، وأن الحذف من الكلمة قد يوقع فى اللبس بين الكلمة المراد تثنيتها وكلمة أخرى تشبهها فى الحروف التى أبقيت بعد الحذف ، فإن أمن اللبس كان لكلامهم وجه .

فيجب الاقتصار على تلك المواضع ، ولا يقاس عليها غيرُها ؛ إذ ليس الحذف للكثرة قياساً مطرداً ؛ فإذا وجب الاقتصار على ما نقل من الحذف للكثرة بَطَلَ أن الحذف ها هنا للكثرة ؛ لورود النقل بخلافه .

وأما استشهادهم باشهباب وكَيْنُونة والأصل فيهما اشهيباب وكَيِّنونة بالتشديد فمخالف لما وقع الخلاف فيه ؛ لأن الثقل فيهما لازم فى أصل الكلمة غيرُ عارضٍ ، بخلاف ما وقع الخلاف فيه فإنه غير لازم فى أصل الكلمة ، بل هو عارض ؛ لأن التثنية عارضة وليست لازمة ، ثم أيضاً استشهادهم بكَيْنُونة وأن أصلها كَيِّنونة بالتشديد لا يستقيم ؛ لأنه شىء لا يقولون به ؛ لأن الأصل عندهم فى كينونة كَوْنونة ، فأبدلوا من الواو ياء ، فكيف يستشهدون على صحة مذهبهم بشىء لا يعتقدون صحته ؟ فدل ذلك على صحة ما قلناه ، والله أعلم .

١١١ — مسألة

[القول فى المؤنث بغير علامة تأنيث مما على زنة اسم الفاعل](١)

ذهب الكوفيون إلى أن علامة التأنيث إنما حُذفت من نحو «طالق ، وطامث ، وحائض ، وحامل» لاختصاص المؤنث به .

وذهب البصريون إلى أنه إنما حذفت منه علامة التأنيث لأنهم قَصَدُوا به النَّسَبَ ولم يُجْرُوه على الفعل ، وذهب بعضهم إلى أنهم إنما حذفوا علامة التأنيث منه لأنهم حملوه على المعنى كأنهم قالوا « شىء حائض » .

(١) انظر فى هذه المسأله : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٦٩٥ و ٧٧٣) وشرح رضى الدين على كافية ابن الحاجب (٢/١٥٤) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن علامة التأنيث إنما دخلت فى الأصل للفَصْلِ بين المذكر والمؤنث ، [٣٢٢] ولا اشتراك بين المؤنث والمذكر فى هذه الأوصاف من الطَّلَاقِ والطَّمْثِ والحَيْضِ والحَمْلِ ، وإذا لم يَقَعِ الاشتراكُ لم يفتقر إلى إدخال علامة التأنيث ؛ لأن الفَصْلَ بين شيئين لا اشتراك بينهما بحالٍ محالٌ .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما حُذِفَتْ علامةُ التأنيثِ من هذا النحو لأن قولهم « طالق ، وطامث ، وحائض ، وحامل » فى معنى ذات طَلَاق وطَمْث وحَيْض وحَمْل ، على معنى النسب ، أى : قد عُرِفَتْ بذلك ، كما يقال : رجل رامح ونابل ، أى ذو رُمْح ونَبْل ، وليس محمولا على الفعل ؛ واسم الفاعل إنما يؤنث على سبيل المتابعة للفعل ، نحو ضَرَبَتِ المرأة تضرب فهى ضاربة ، فإذا وضع على النسب لم يكن جارياً على الفعل ولا متبعاً له ، فلم تلحقه علامة التأنيث ، وصار بمنزلة قولهم « امرأةٌ مِعْطَار ، ومِذْكار ، ومِئْنَاث ، ومِئْشِير ، ومِعْطِير ، وصَبُور ، وشَكُور ، وخَوْد ، وضَنَاك ، وصَنَاع ، وحَصَان ، ورَزَان » قال حسان :

٤٦٥ — حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

---

٤٦٥ ـ هذا البيت لحسان بن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه ، يقوله فى أم المؤمنين وصفية رسول الله عائشة بنت الصديق أبى بكر ، رضى الله تعالى عنها وعن أبيها وقد أنشد هذا البيت ابن منظور (غرث ـ ح ص ن ـ رزن ـ ز ن ن) والحصان ـ بفتح الحاء ـ العفيفة ، والرزان ـ بفتح الراء ـ أى ذات ثبات ووقار وعفاف، وهى مع ذلك رزينة فى مجلسها ، وما تزن ـ بالبناء للمجهول ـ أى ما تتهم، والريبة: التهمة وموضع الشك ، وغرثى : وصف المؤنث من الغرث ـ بالتحريك ـ وهو الجوع ، أو أيسره ، أو أشده ، والغوافل : جمع غافلة ، يعنى أنها لا تغتاب أحدا . ومحل الاستشهاد مجىء هذه الصفات ـ وهى حصان ، ورزان ـ من غير تاء التأنيث، مع أنها جارية على مؤنث، وذلك بسبب كونها غير جارية على فعل .

فإن هذه الأوصاف وما أشبهها لما لم تكن جاريةً على الفعل لم تلحقها علامة التأنيث ، فكذلك هاهنا .

والذى يدل على صحة ما ذكرناه أنهم لو حملوه على الفعل لدخلته علامة التأنيث ؛ فقيل : طَلَقَتْ فهى طالقة ، وطَمِثت فهى طامثة ، وحاضت فهى حائضة ، وحملت فهى حاملة ، قال الشاعر ، وهو الأعشى :

٤٦٦ — أَيَا جَارَتَا بِينِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهْ

وقال :

٤٦٧ — تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى ، وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

---

٤٦٦ — هذا البيت مطلع القصيدة الحادية والأربعين من ديوان الأعشى ميمون بن قيس (د ١٨٣ ط فينا) وقد أنشده ابن منظور (ط ل ق) وعزاه إليه ، وأراد بالجارة زوجه ، وبينى : أى فارقينى وابتعدى عنى ، وأصل معنى البين القطع ، ومنه أخذ البين للفراق والبعد ، لأنه قطع ما كان موصولا بين الأليفين ، وقد علل طلبه منها أن تفارقه وتبتعد منه بقوله « فإنك طالقة » وقوله « كذاك أمور الناس غاد وطارقة » أى أن بعض مايعرض للناس يعرض لهم فى وقت الغدو ، وبعضه يعرض لهم فى وقت الطروق وهو الليل ، ومحل الاستشهاد فى هذا البيت قوله « طالقة » حيث أتى بهذا الوصف مؤنثا بتاء التأنيث مع أنه لايوصف به إلا النساء ،والسر فى أنه أتى بهذا الوصف بتاء التأنيث هنا أنه حمله على معنى الفعل ــ وهو الحدوث ــ ألا ترى أن الشاعر يريد أن يقول لامرأته: ابتعدى عنى فإنه قد جرى عليك الطلاق وحدث أو يحدث بعد أن لم يكن؟ قال ابن منظور « وكلهم يقول : امرأة طالق ــ بغير هاء ــ وأما قول الأعشى * أيا جارتا بينى فإنك طالقة * فإن الليث قال : أراد طالقة غدا ، وقال غيره : هى طالقة على الفعل ، لأنه يقال لها : قد طلقت ــ بفتح الطاء ، واللام بعدها ــ فبنى النعت على الفعل » اهـ كلامه .

٤٦٧ — أنشد ابن منظور هذا البيت (ح م ل ــ أ ن ا) ونسبه فى المرة الأولى إلى عمرو بن حسان ، ثم قال : ويروى لخالد بن حق (هكذا) ورواه رابع أربعة أبيات (م خ ض) ونسبها لعمرو بن حسان أحد بنى الحارث بن همام بن مرة ، وأصل معنى تمخض تحرك ، وقالوا : تمخض اللبن ، أى تحرك فى المخضة ، وقالوا : تمخض الولد ، =

. . . .

= أي تحرك في بطن الحامل، وقالوا : تمخض الدهر بالفتنة ، والدنيا تتمخض بفتنة منكرة وتمخضت المنون وغيرها ، كل هذا على المجاز ، والمنون : المنية وهي الموت ، وأنى : أي أدرك وبلغ مداه ، وقوله « ولكل حاملة تمام » تذييل ، يريد أن لكل حمل مدة ينتهي فيها وتتم مدته . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « حاملة » حيث جاء بهذا الوصف متصلا بتاء التأنيث مع أنه خاص بالإناث لا يوصف به غيرهن ، وذلك لأنه جعله وصفا جاريا على الفعل ، على نحو ما ذكرناه في الشواهد السابقة ، قال ابن منظور « وامرأة حامل وحاملة ، على النسب وعلى الفعل (يريد أنه يقال حامل على النسب ، ويقال حاملة على الفعل ، فهو على طريق اللف والنشر) الأزهري : امرأة حامل وحاملة ؛ إذا كانت حبلى ، وفي التهذيب : إذا كان في بطنها ولد ، وأنشد لعمرو بن حسان * تمخضت المنون البيت * فمن قال حامل — بغير هاء — قال : هذا نعت لا يكون إلا للمؤنث ، ومن قال حاملة بناه على حملت فهي حاملة ، فإذا حملت المرأة شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حاملة لا غير ، لأن الهاء إنما تلحق للفرق ، فأما ما لا يكون للمذكر فقد استغنى فيه عن علامة التأنيث ، فإذا أتى بها فإنما هو على الأصل ، قال : هذا قول أهل الكوفة ، وأما أهل البصرة فإنهم يقولون : هذا غير مستمر ؛ لأن العرب قالوا : هذا رجل أيم ، وامرأة أيم ، ورجل عانس ، وامرأة عانس ، على الاشتراك ، وقالوا : امرأة مصبية ، وكلبة مجرية ، مع غير الاشتراك ، قالوا : والصواب أن يقال : قولهم حامل وطالق وحائض وأشباه ذلك من الصفات التي لا علامة فيها للتأنيث ، فإنما هي أوصاف مذكرة وصف بها الإناث ، كما أن الربعة والراوية والخجأة أوصاف مؤنثة وصف بها الذكران » اهـ كلامه ، وهو كلام غير محدود ولا معلل ، وخلاصته أن الأصل أن يكون وصف المؤنث بعلامة تأنيث ، ووصف المذكر بغير علامة ، ولكنهم قد يعكسون فيجعلون وصف المذكر مقترنا بعلامة التأنيث ووصف المؤنث خاليا من علامة التأنيث ، والكلام الدقيق هو ما قاله أبو البقاء بن يعيش في شرح المفصل (ص ٦٩٥) وذلك قوله « اعلم أنهم قالوا : امرأة طالق وحائض وطامث وقاعد للآيسة من الحيض ، وعاصف في وصف الريح من قوله تعالى (جاءتها ريح عاصف) فلم يأتوا فيه بالتاء وإن كان وصفا للمؤنث ، وذلك لأنه لم يجر على الفعل ، وإنما يلزم الفرق ما كان جاريا على الفعل ؛ لأن الفعل لا بد من تأنيثه إذا كان فيه ضمير مؤنث — حقيقيا كان أو غير حقيقي — نحو هند ذهبت ، وموعظة جاءت ، فإذا جرى الاسم على الفعل لزمه الفرق بين المذكر والمؤنث كما كان =

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما حَذَفُوا علامة التأنيث من « طالق » ونحوه لأنهم حملوه على المعنى ، كأنهم قالوا : شيء طالق ، أو إنسان طالق ، كما قالوا : رجل رَبْعَةٌ ، فأنثوا والموصوفُ مذكر على معنى نفس رَبْعة ، وكما جاء في الحديث

= كذلك في الفعل ، وإذا لم يكن جاريا على الفعل كان بمنزلة المنسوب ، فحائض بمعنى حائضي – أي ذات حيض – على حد قولهم : رجل دارع ، أي دارعي – بمعنى صاحب درع – ألا ترى أنك لا تقول درع فتجريه على فعل – كفرح – إنما قولك دارع أي ذو درع ، وطالق أي أن الطلاق ثابت فيها ، ومثله قولهم : مرضع ، أي ذات رضاع ، ومنه قوله تعالى (السماء منفطر به) أي ذات انفطار ، وليس ذلك على معنى حاضت وانفطرت ، إذ لو أريد ذلك لأتوا بالتاء وقالوا : حائضة غدا ، وتطلق غدا ، ومنه قوله تعالى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) وقوله تعالى (ولسليمان الريح عاصفة) وقول الشاعر :

رأيت جنون العام والعام قبله كحائضة يزنى بها غير طاهر

وذلك كله يجرى على الفعل على تقدير حاضت وطلقت، هذا مذهب الخليل ،وسيبويه يتأول على أنه صفة شيء أو إنسان ، والشيء مذكر ، فكأنهم قالوا : شيء حائض ، لأن الشيء عام يقع على المذكر والمؤنث » اه . وخلاصة هذا الكلام أن ما كان وصفا للمؤنث وليس فيه علامة تأنيث كحائض وطالق وطامث لشيوخ البصرة فيه تأويلان: الأول تأويل الخليل ،وحاصله أن هذا الوصف لا يراد به الحدوث ،وإنما يراد به أنه قائم بصاحبه وأن صاحبه منسوب إليه ، فمعنى «امرأة حائض» أنها منسوبة إلى الحيض وإن كانت خالية من دم الحيض حين إطلاق الوصف عليها فعلا، ومعنى« امرأة مرضع »أنها منسوبة إلى الرضاع نعنى أن لها ولدا في زمن الرضاع، ويقال لها مرضع ولو لم تكن ترضع وقت إطلاق الوصف عليها فعلا، فإذا أردت بحائض أن الدم الذى يسمى الحيض يقطر منها أو أردت بمرضع أن ثديها في فم ولدها لم يكن لك بد من أن تلحقهما التاء فتقول حائضة ومرضعة ، وهذا هو الذى يسمونه جاريا على الفعل، والتأويل الثانى تأويل سيبويه، وخلاصته أنه تأول الموصوف بهذه الصفات الخالية من علامة التأنيث بمذكر ، فجعل المرأة بمعنى شيء أو بمعنى إنسان ليصح وصفه بالمذكر ، وقد علمت أن مذهب الكوفيين أنه لا يلزم اقتران علامة التأنيث بالوصف الجارى على المؤنث متى كان هذا الوصف مما لا يوصف به المذكر ، وفى هذا القدر كفاية ومقنع .

« مذ دَجَتِ الإسلام » لأن الإسلام بمعنى المِلّة ، وكما حكى الأصمعى عن أبى عمرو ابن العَلاَء قال : سمعت أعرابياً يمانياً يقول : فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : أتقول « جاءته كتابى » ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ والحملُ [٣٢٣] على المعنى كثيرٌ فى كلامهم ، قال الشاعر :

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ ؟ [٣٢٧]
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال « ذا غربةٍ » ولم يقل « ذَاتَ غربة » ؛ لأن المرأة فى المعنى إنسان .

وقال الآخر :

٤٦٨ — إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمِّنَا قَبْراً بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

---

٤٦٨ — هذا البيت من قصيدة لزياد الأعجم رثى فيها المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة وقد أنشد هذه القصيدة ابن عبد ربه فى العقد (٣/٢٨٨ اللجنة) وأنشدها أكمل منه أبو على القالى فى ذيل الأمالى(ص ٨ ط الدار) وقد أنشد بيت الشاهد ابن هشام فى شرح الشذور (رقم ٧٧) و السيد المرتضى فى أماليه (١/٧٢) والعباسى فى معهد التنصيص (٢٦١ بولاق) والبيت كناية عن ثبوت صفتى السماحة والمروءة للمرثى، ونظيره فى هذا قول زياد أيضاً :

إن السماحة والمروءة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ومحل الاستشهاد من البيت قوله « ضمنا » فإن هذا فعل ماض مبنى للمجهول مسند إلى ضمير غائب هو ألف الاثنين يعود إلى مؤنثتين وهما المروءة والنجدة ، وكان من حق العربية عليه أن يؤنث هذا الفعل ، فيلحق به التاء ، فيقول « ضمنتا » لأن الفعل المسند إلى ضمير المؤنث يجب إلحاق علامة التأنيث به ــ سواء أكان هذا المؤنث حقيقى التأنيث أم كان مجازى التأنيث ــ إلا أن الشاعر ترك التاء بسبب كونه أراد المعنى ، وبيان ذلك أن السماحة قد يطلق عليها الكرم أو الجود أو السخاء ، وأن المروءة قد يطلق عليها كرم الطباع أو الشرف أو السمو ، وكل ذلك مذكر ، فذكر الفعل لأنه أراد بالضمير وصفين من هذه الأوصاف المذكرة ، ونظير ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى (هذا رحمة من ربى) وقوله سبحانه (ولا يزالون مختلفين =

فقال « ضُمِّنَا » ولم يقل « ضُمِّنَتَا » لأنه ذهب بالسماحة إلى السخاء و بالمروءة إلى الـكَرَم ، وقال الآخر :

٤٦٩ — فَإِنْ تَعْهَدِينِى وَلِى لِمَّةٌ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا

=إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم) إذا جعلت اسم الإشارة فى (ولذلك) عائدا إلى الرحمة المستفادة من قوله سبحانه (إلا من رحم ربك) وهو رأى لبعض العلماء فى الآية ألا ترى أنه قد جىء باسم الإشارة الموضوع للمفرد المذكر مشارا به إلى الرحمة ، وذلك لأن معنى الرحمة هو الفضل والإنعام ، فكأنه قيل : ولذلك الفضل أو لذلك الإنعام خلقهم ، وكأنه قيل فى الآية الأخرى هذا فضل من ربى ، ونظير ذلك من الشعر مما لم يذكره المؤلف قول الخنساء :

فذلك — ياهند — الرزية ، فاعلمى ونيران حرب حين شب وقودها

فقد أشارت باسم الإشارة الموضوع للمفرد المذكر فى قولها « فذلك » إلى الرزية وهى مؤنثة لأنها أرادت من الرزية الرزء أو الخطب أو نحو ذلك ، ونظيره قول امرىء القيس بن حجر الـكندى :

برهرهة رؤدة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر

البرهرهة : الرقيقة الجلد ، والرؤدة : الناعمة الرخصة ، والخرعوبة : القضيب الغض والمنفطر: المنشق ، فأنت تراه قد قال « كخرعوبة البانة المنفطر » مع أن الخرعوبة مؤنث اللفظ ، وكان من حقه أن يقول المنفطرة ، إلا أنه لما كان الخرعوبة والغض بمعنى واحد أعاد الصفة على الخرعوبة كما يعيدها على الغض .

٤٦٩ — هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس ، من قصيدة يمدح فيها رهط قيس بن معد يكرب الـكندى ويزيد بن عبد المدان الحارثى (الديوان ١٢٠ — ١٢٢ فينا) وقد أنشده ابن منظور (ح د ث) والبيت من شواهد سيبويه (١/٢٣٩) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٢١٢) والأشمونى (رقم ٣٦٨) وشرحه العينى (٢/٤٦٦ بهامش الخزانه) ورواية سيبويه « فإما ترى لمتى بدلت » ورواية المتأخرين من النحاة « فإما ترينى ولى لمة » وكذلك هى فى اللسان . ورواية المؤلف توافق رواية الديوان . واللمة بكسر اللام — الشعر يلم بالمنكب ، أى يحيط به ، وبدلت فى رواية سيبويه معناه غيرت من السواد إلى البياض ، وأودى بها : ذهب بما كان لها من بهجة وحسن ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « أودى بها » فإن الفعل الذى هو أودى مسند إلى ضمير مستتر=

. . . .

= يعود إلى الحوادث ، والحوادث جمع حادثة ، فهو جمع تكسير مفرده مؤنث، وقد زعم المؤلف تبعا لسيبويه وشراح كلامه أنه كان على الشاعر أن يقول : فإن الحوادث أودت بها ؛ فيؤنث الفعل لكونه مسندا إلى ضمير يعود إلى مؤنث ، ولكنه ترك تاء التأنيث لأن الحوادث يطلق عليها الحدثان ، والحدثان مذكر ، ويسند إليه الفعل بغير تاء كما فى قول شاعر الحماسة :

رمى الحدثان نسوة آل حرب   بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا   ورد وجوههن البيض سودا

قال ابن منظور « فأما قول الأعشى * فأما ترينى ولى لمة — البيت * فإنه حذف التاء للضرورة ، وذلك لمكان الحاجة إلى الردف ، وأما أبو على الفارسى فذهب إلى أنه وضع الحوادث موضع الحدثان كما وضع الآخر الحدثان موضع الحوادث فى قوله * ألا هلك الشهاب المستنير * البيتين الآتيين برقم ٤٧٠ » اهـ .

ولكن خيرا من هذا التخريج أن يقال : إن الحوادث جمع تكسير ، وإن جمع التكسير لكونه لم يسلم فيه بناء المفرد يصح أن يعود إليه الضمير من الفعل والوصف مذكرا أو مؤنثا — سواء أكان مفرده مذكرا أم كان مفرده مؤنثا — وقد تنبه لهذا بعض التنبه الأعلم حيث يقول « الشاهد فيه حذف التاء من أودت ضرورة، ودعا إلى حذفها أن القافية مردفة بالألف ، وسوغ له حذفها أن تأنيث الحوادث غير حقيق ، وهى فى معنى الحدثان » اهـ . وقد قلنا « إنه تنبه بعض التنبه » لأنه تنبه إلى أن تأنيث الحوادث غير حقيق ، ولم يكن تنبهه كاملا لأن جعل ترك التاء فى مثل هذا ضرورة ، ولأنه عاد فقال « وهى فى معنى الحدثان » والصواب أن التعليل لترك التاء ههنا هو أن مرجع الضمير جمع تكسير ، وجمع التكسير يصح أن ينظر إليه على أنه جمع فيكون مذكرا ولو كان مفرده مؤنثا ، وأن ينظر إليه على أنه جماعة فيكون مؤنثا ولو كان مفرده مذكرا ، والوجهان جائزان فى سعة الكلام عند علماء المصرين الكوفة والبصرة فما بالهم قد تركوا هذه القاعدة هنا ، ورجعوا إلى أصل الكلام الأصيل ، وانظر لذلك بحثا وافيا كتبناه فى شرحنا على شذور الذهب (ص ١٧١ — ١٧٤) .

ومما ورد فيه إسناد الفعل إلى جمع التكسير الذى واحده مؤنث من غير أن يلحق بالفعل تاء التأنيث قول الشاعر ، وأنشده القالى (الأمالى ٢/٢٨١ ط الدار) :

فمالك إذ ترمين يا أم مالك   حشاشة قلبي ، شل منك الاصابع =

فقال « أَوْدَى » ولم يقل « أَوْدَتْ » ؛ لأن الحوادث فى معنى الْحَدَثَانِ ، وقال الآخر :

٤٧٠ — أَلاَ هَلَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَنِيرُ وَمِدْرَهُنَا الْكَمِيُّ إِذَا نُغِيرُ
وَحَمَّـــالُ الْمِئِينَ إِذَا أَلَمَّتْ بِنَا الْحَدَثَانُ، والأَنِفُ النَّصُورُ

= ألا تراه قد قال «شل الأصابع» والأصابع جمع إصبع ،والإصبع مؤنثة ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « هل أنت إلا إصبع دميت » وقد جاء الفعل المسند إلى الأصابع مؤنثا فى بيت الفرزدق المشهور :

إذا قيل : أى الناس شر قبيلة ؟ أشارت كليب بالأكف الأصابع

أى أشارت الأصابع إلى كليب مصاحبة الأكف . وقد أثرنا لك فى شرح الشاهد ٤٧٠ كلة لابن يعيش صريحة فى ذلك . وفى هذا القدر كفاية وغناء إن شاء الله تعالى .

٤٧٠ — أنشد ابن منظور هذين البيتين (ح د ث) من غير عزو ، والمدره — بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء — السيد الشريف والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، وقيل : هو رأس القوم والدافع عنهم ، وقيل : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذى يرجعون إلى رأيه ، وكل هذه عبارات متقاربة ، وقال الشاعر :

وأنت فى القوم أخو عفة ومدره القوم غداة الخطاب

والكمى — بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء — الشجاع المتكمى فى سلاحه ، أى المستتر فيه ، وكان من عادة الفرسان إذا كان عليهم ثارات أن يتكموا فى السلاح مخافة أن يأخذهم أحد من ذوى الثارات غدرا ، ونغير: من الغارة وهى الهجوم على العدو وقوله « وحمال المئين — إلخ » وصفه بالكرم بعد وصفه بالشجاعة واللسن ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ألمت بنا الحدثان » حيث ألحق تاء التأنيث بالفعل المسند إلى الحدثان ، مع أن الحدثان مذكر ، لأن الحدثان يطلق عليه لفظ الحوادث ، والحوادث مؤنث لكونه جمع حادثة ، فقد راعى الشاعر معنى الحدثان وألحق به التاء بناء على هذا المعنى ، والواقع فى هذا البيت عكس الواقع فى البيت السابق كما سمعت فى كلام ابن منظور وهذا ظاهر .

ونظيره قول أبى ذؤيب وهو من شواهد سيبويه (١/٢٣٨) :

بعيـــد الغزاة فما إن يزا ل مضطمرا طرتاه طليحا

والشاهد فيه قوله « مضطمراً طرتاه » حيث حذف التاء من الوصف الذى هو =

فقال « أَلَمَّتْ » لأنه ذهَبَ بالْحِدْثَانِ إلى معنى الْحَوَادِثِ ، وقال الآخر :

٤٧١ — إنَّ الأُمُورَ إذَا الأَحْــــدَاثُ دَبَّرَهَا
دُونَ الشُّيوخِ تَرَي فى بَعْضِهَا خَلَلاَ

= مضطمر مع أنه مسند إلى مثنى مؤنث - وهو قوله «طرتاه» - وذلك لأن الطرة يطلق عليها الجانب ، والجانب مذكر ، ونظيره قول الفرزدق ، وهو من شواهد سيبويه أيضا :

وكنا ورثناه على عهد تبع طويلا سواريه شديدا دعائمه

ومحل الشاهد منه قوله « طويلا سواريه » وقوله « شديداً دعائمه » حيث حذف التاء من الوصفين ، مع أن كل واحد من فاعلى الوصفين جمع تكسير مفرده مؤنث فمفرد الدعائم دعامة ومفرد السوارى سارية ، ويجرى فى هذا ما ذكرناه لك فى شرح الشاهد ٤٦٩ .

وقال ابن منظور : « الأزهرى: وربما أنثت العرب الحدثان يذهبون به إلى الحوادث وأنشد الفراء هذين البيتين * ألا هلك الشهاب المستنير — البيتين * قال : وقال الفراء : تقول العرب : أهلكتنا الحدثان » اه .

واستمع إلى كلام ابن يعيش فإنه يقرر ما ذكرناه لك من رأينا فى هذا التخريج ، قال (ص ٦٩٩) « واعلم أن الجموع تختلف ، فما كان من الجمع مكسرا فأنت مخير فى تذكير فعله وتأنيثه ، نحو قام الرجال وقامت الرجال ، من غير ترجيح ، لأن لفظ الواحد قد زال بالتكسير ، وصارت المعاملة مع لفظ الجمع ؛ فإن قدرته بالجمع ذكرته ، وإن قدرته بالجماعة أنثته ، قال الشاعر :

* أخذ العذارى عقدها فنظمنه *

وقال الراجز :

إذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أوصابهـــا تعتادها فهى زروع قددنا حصادها

وما كان منه مجموعا جمع السلامة فما كان منه لمؤنث — نحو المسلمات والهندات — كان الوجه تأنيث الفعل ، وإن كان الجمع للمذكرين بالواو والنون فالوجه تذكير الفعل فيه » اه المقصود منه .

٤٧١ — الأحداث: جمع حدث — بفتح الحاء والدال جميعا — وهو الشاب الفتى السن ، ويجمع أيضا على حدثان — بضم فسكون ، أو بكسر فسكون — وعلى حدثان =

فقال « دَبَّرَهَا » لأنه ذهب إلى معنى الْحَدَثِ ؛ لأن الْحَدَثَ ها هنا يؤدى عن الجمع ، وقال الآخر :

٤٧٢ — هَنِيئاً لِسَعْدٍ مَا اُقْتَضَى بَعْدَ وَقْعَتِي بِنَاقَةِ سَعْدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدُ

= بضم ففتح — والأنثى حدثة ، والشيخ : الرجل الذى استبانت فيه السن.وظهر عليه الشيب (وانظر شرح الشاهد ٤٠٩) وجمعه شيوخ ، وأشياخ ، وشيخان — بكسر الشين — نظير ضيف وضيفان ، ويقال للأنثى : شيخة ، قال عبيد :

باتت على أرم عذوبا كأنها شيخة رقوب

وأصل تدبير الأمر أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته ، تقول : دبر الأمر تدبيرا ، وتدبره تدبرا . والمعنى لو أن الأمور قد وكل تدبيرها إلى الأحداث من الشبان وترك فيه الشيوخ ذوو الرأى والحنكة والتجربة لا ختل نظامها وانفرط عقدها،ومحل الاستشهاد من البيت قوله « إذا الأحداث دبرها » حيث أسند الفعل ـ الذى هو دبر ـ إلى ضمير غيبة يعود إلى جمع تكسير مفرده مذكر ـ وهو الأحداث ـ وجرد هذا الفعل من تاء التأنيث ، وقد بينا لك فيما مضى رأينا فى هذه المسألة ، ودللناك على أننا لم نبتدع هذا الرأى عما أثرناه لك من أقوال العلماء .

٤٧٢ — أنشد الشريف المرتضى هذا البيت فى أماليه (١/٧١ ط الحلبى) من غير عزو، والعشى والعشية ـ بفتح العين وكسر الشين وتشديد الياء فيهما ـ يقال:هو الوقت من صلاة المغرب إلى العتمة ، وتقول: أتيته عشى أمس ، وعشية أمس ، وقال أبو الهيثم: إذا زالت الشمس دعى ذلك الوقت العشى فتحول الظل شرقيا وتحولت الشمس غربية ، وقال الأزهرى : يقع العشى على ما بين زوال الشمس إلى غروبها ، وقيل : العشى من زوال الشمس إلى الصباح . والبرد : ضد الحر ، وبرد الشىء يبرد ـ على مثال قعد يقعد ـ برودة ، وماء برد وبارد وبرود ، وقال الجوهرى : برد الشىء ـ بالضم ـ وبردته أنا فهو مبرود ، وبردته تبريدا . ومحل الاستشهاد من البيت قوله « والعشية بارد » حيث أخبر عن العشية وهى مؤنثة ببارد ،وأسقط تاء التأنيث ، وقد علمنا أن لحاق تاء التأنيث فى مثل هذا الموضع واجب ، سواء أكان المؤنث الذى هو مرجع الضمير المستتر هنا فى الوصف حقيقى التأنيث أم كان مجازى التأنيث،ولكن الشاعر استساغ أن يسقط تاء التأنيث لأن العشية يطلق عليها عشى، فلحظ المعنى ؛ فعامل الفعل كما لو كان مسندا لضمير العشى.

فقال « بارد » لأنه حَمَلَ العشيةَ على معنى الْعَشِيِّ . وقال الآخر :

٤٧٣ — وَإِنَّ كِلاَبًا هٰـــذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ
وَأَنْتَ بَرِىءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرِ

فقال « عشر أبطن » ولم يقل « عشرة » لأن البطن بمعنى القبيلة ، وقال الآخر :

٤٧٤ — وَقَائِعُ فِي مُضَرٍ تِسْعَـــةٌ وَفِي وَائِلٍ كَانَتِ الْعَاشِرَهْ

---

٤٧٣ — أنشد ابن منظور (ب ط ن) هذا البيت من غير عزو ، وهو من شواهد سيبويه (٢/١٧٤) ونسبه إلى رجل من كلاب ، ولم يزد الأعلم فى التعريف بقائله عن ذلك ، وأنشده ابن الناظم فى باب العدد من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٤/٤٨٤) وقال « قائله رجل من بنى كلاب ، يسمى النواح » وأنشده ابن جنى فى الخصائص (٢ / ٤١٧) والأشمونى (رقم ١١٢٦) وأبو العباس المبرد فى الكامل (١/٣٨٨ الخيرية) قال الأعلم « هجا رجلا ادعى نسبه فى بنى كلاب ، فذكر أن بطون بنى كلاب عشرة ، ولا نسب له معلوم فى أحدهم » ا هـ . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « عشر أبطن » والأبطن : جمع بطن ، والبطن مذكر ، فكان ينبغى أن يقول « عشرة أبطن » لأن اسم العدد من ثلاثة إلى عشرة يؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث ، إلا أنه حذف التاء نظرا إلى المعنى ، فإنه عنى بالبطن القبيلة ، بدليل قوله فيما بعد « من قبائلها العشر » والقبيلة مؤنثة ، فاسم العدد معها يكون مذكرا ، قال ابن جنى « وذهب بالبطن إلى القبيلة ، وأبان ذلك بقوله : من قبائلها » ا هـ ، وقال الأعلم « الشاهد فيه تأنيث الأبطن وحذف الهاء من العدد المضاف إليها حملا على معنى القبائل ، لأنه أراد بالبطن القبيلة ، وقد بين ذلك بقوله : من قبائلها العشر » ا هـ ، وقال ابن منظور « فأما قوله * وإن كلابا هذه . . . * فإنه أنث على معنى القبيلة ، وأبان ذلك بقوله من قبائلها العشر » ا هـ .

٤٧٤ — الوقائع : جمع وقيعة ، وهى مثل الموقعة والواقعة والوقعة ، كلهن يطلق على المعركة التى تدور بين فئتين من الناس ، ومحل الاستشهاد من البيت قوله « تسعة » فإنه أنث اسم العدد ، والمعدود به مؤنث ، ومن حق العربية عليه أن يأتى باسم العدد مذكرا فيقول « وقائع فى مضر تسع » إلا أن العرب تطلق على الموقعة « اليوم » ويقولون =

فقال « تِسْعَة » ولم يقل « تِسْعُ » لأنه حَمَلَ الوقائع على الأيام ، يقال : فلان عالم بأيام العرب ، أى بوقائعها ، وقال الآخر ، وهو عمر بن أبى ربيعة :

٤٧٥ — وَكَانَ مِجَنِّى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِى
ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

= أيام العرب » وهم يريدون مواقعها ، فلذلك أنث اسم العدد لأنه أراد بالوقائع الأيام ، والأيام مذكرة . هذا بيان كلام المؤلف وإيضاحه ، ولى فى هذا الموضوع رأى يصير به كلام الشاعر صحيحا من غير حاجة إلى تأويل ولا حمل على المعنى ، وملخص هذا الرأى أنك فى ذكر العدد ومعدوده إما أن تذكرهما على طريقة العدد فتضيف اسم العدد إلى معدوده فتقول : عندى عشرة رجال أولى بأس ، وعندى عشر نساء ذوات خفر ، وفى هذه الحال يجب مراعاة ما قال النحاة فى باب العدد فتذكر اسم العدد مع المعدود المؤنث وتؤنث اسم العدد مع المعدود المذكر كما سمعت فى المثالين ، وإما أن تأتى بالعدد ومعدوده على طريق الوصف فتقول : هؤلاء رجال عشر ، وأولئك نساء عشرة ، وفى هذه الحال يتنازعك أصلان : أحدهما أصل العدد ومعدوده الذى بيناه ، وثانيهما أصل النعت ومنعوته ، وهذا يستلزم تأنيث النعت إذا كان منعوته مؤنثا وتذكير النعت إذا كان منعوته مذكرا ، وأنت بالخيار بين أن تستجيب لأى الأصلين ، نعنى أنه يجوز لك أن تراعى قاعدة العدد والمعدود فتذكر اسم العدد مع المعدود المؤنث فتقول : النساء العشر وتؤنث العدد مع المعدود المذكر فتقول : الرجال العشرة ، ويجوز لك أن تراعى قاعدة النعت مع منعوته فتذكر اسم العدد مع المنعوت المذكر فتقول : الرجال العشر ، وتؤنث مع المؤنث فتقول : النساء العشرة ، وعلى هذا يكون قول الشاعر « وقائع فى مضر تسعة » قد جاء على أحد الطريقين الجائزين له ، وهو طريق النعت مع منعوته .

٤٧٥ — هذا البيت هو السادس والخمسون من رائية عمر بن أبى ربيعة الطويلة (انظر الديوان ٩٢ — ١٠٣ بتحقيقنا) ومنها الشاهد ٣٨٠ الذى سبق فى المسألة رقم ٨١ ، وهذا البيت من شواهد سيبويه (٢/١٧٥) ورضى الدين فى باب العدد من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣١٢) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤١٧) والأشمونى (رقم ١١٢٥) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥٢٤) وابن الناظم فى باب العدد من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٤/٤٨٣ بهامش الخزانة) والمجن — بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون — أصله اسم الآلة من « جنه يجنه » إذ ستره =

فقال « ثلاث » ولم يقل « ثلاثة » لأنه عَنَى بالشخوص نِساءً ، فحمله على المعنى، وقال [٣٢٤] الآخر ، وهو الحطيئة :

٤٧٦ — ثَلاَثَةُ أَنْفُسٍ وَثَلاَثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِى

= وأخفاه ، وسموا الترس مجنا لأنه يستربدن المحارب، والكاعب من النساء : هى الجارية حين يبدو ثديها للنهود والاكتناز ، والمعصر : الجارية أول ما أدركت زمن البلوغ . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ثلاث شخوص » حيث أتى باسم العدد مذكرا مع أنه مضاف إلى معدود مذكر ، ولو أنه أتى به على وفق ما يقتضيه الاستعمال العربى لقال « ثلاثة شخوص » بالتاء ، لما ذكرنا لك من العلة فى شرح الشواهد السابقة ، لكنه لحظ المعنى، ذلك بأنه أراد بالشخوص هنا نساء بدليل تفصيلهن بقوله « كاعبان ومعصر » ولو أنه ذكرها بلفظ النساء لكان يقول « ثلاث نساء » فلما أراد بالشخوص النساء عاملها معاملة ما هو بمعناها ، قال ابن جنى « أنث الشخص لأنه أراد به المرأة » اه . وقال الأعلم « الشاهد فى قوله ثلاث شخوص بحذف الهاء حملا على المعنى؛ لأنه أراد بالشخص المرأة ، فأنث العدد لذلك » اه .

٤٧٦ — هذا البيت من كلام الحطيئة ، وقبله :

أذئب القفر أم ذئب أنيس أصاب البكر ، أم حدث الليالى؟

وهو من شواهد سيبويه (٢/١٧٥) ورضى الدين فى باب العدد من شرح الكافية وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣٠١) والأشمونى (رقم ١١٢٧) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥٢٣) وابن الناظم فى باب العدد من شرح الألفية، وشرحه العينى (٤/٤٨٥ بهامش الخزانة) والذود — بفتح الذال المعجمة وسكون الواو وآخره دال مهملة — هو اسم جمع يطلق على ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل ، وليس له واحد من لفظه ، وفى مثل من أمثال العرب « الذود إلى الذود إبل » يعنون أن القليل يضم إلى القليل فيصير كثيرا ، يضرب فى الحث على التدبير ، والنحاة يستشهدون من هذا البيت فى موضعين :

أما الموضع الاول ففى قوله « ثلاثة أنفس » حيث أتى بلفظ العدد مقترنا بالتاء مع أنه مضاف إلى معدود مؤنث ، وهو الأنفس الذى هو جمع نفس ، والدليل على أن النفس مؤنثة قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) إلا أن النفس قد يطلق عليها لفظ شخص والشخص مذكر، فلحظ الشاعر ذلك وعبر بالأنفس وهو يريد الأشخاص؛ فلذلك أتى =

فقال « ثلاثة أنفس » ولم يقل « ثلاث » حملا على المعنى ، وقال القَتَّالُ الكلابى :

٤٧٧ — قَبَائِلُنَا سَبْعٌ ، وأَنْتُمْ ثَلاَثَةٌ ، وَلَلسَّبْعُ خَيْرٌ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَكْثَرُ

فقال « ثلاثة » ولم يقل « ثلاث » حملا على المعنى ، وقال لبيد :

٤٧٨ — فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا

= باسم العدد كما يأتى به مع المعدود المذكر ، ولو راعى لفظ المعدود الذى ذكره لقال « ثلاث أنفس » قال الأعلم « الشاهد فى تذكير الثلاثة وإن كانت النفس مؤنثة لأنه حملها على الشخص وهو مذكر » اه ، وهذا الموضع هو الذى يعنيه المؤلف هنا من الاستشهاد بهذا البيت .

والموضع الثانى فى قوله « وثلاث ذود » حيث أضاف لفظ العدد إلى اسم الجمع الذى هو الذود ، والأصل أن يضاف اسم العدد إلى جمع تكسير من جموع القلة ، فإن لم يكن للمفرد جمع تكسير من جموع القلة انتقل إلى جمع تكسير من جموع الكثرة ، وأنت خبير أن اسم الجمع ليس له واحد من لفظه ، وبأن الجمع لابد أن يكون على زنة من أوزان الجمع المعروفة ، واسم الجمع لا يكون على إحدى هذه الأوزان غالبا ، وفى الحديث «ليس فيما دون خمس ذود صدقة»ونظيره قوله تعالى (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض) .

٤٧٧ — هذا البيت من شواهد سيبويه (٢/١٧٥) ونسبه إلى القتال الكلابى ، وأقر الأعلم هذه النسبة ، والقبائل : جمع قبيلة ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله «وأنتم ثلاثة» مع أنه يريد أن يقابلهم بنفسه ، فهو يريد أن يقول: نحن سبع قبائل وأنتم ثلاث قبائل ، فكان ينبغى أن يقول : وأنتم ثلاث ، إلا أن القبيلة قد يطلق عليها لفظ البطن كما تطلق القبيلة على البطن ، وقد ذكرنا ذلك فى الشاهد رقم ٤٧٣ ، لذلك جاء الشاعر هنا بلفظ ثلاثة مقترنا بالتاء كما لو كان المعدود مذكراً ، من قبل أنه أراد المعنى فكأنه قال : وأنتم ثلاثة أبطن ، قال الأعلم « الشاهد فى قوله ثلاثة بإثبات الهاء وهو يريد القبائل ، حملا على البطون؛ لان معنى البطن والقبيلة واحد » اه .

٤٧٨ — هذا البيت هو البيت الثالث والثلاثون من معلقة لبيد بن ربيعة العامرى =

فقال « كَانَتْ » لأن الإقدام فى معنى التَّقْدِمة ، وقال الآخر :

٤٧٩ — يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِى مَطِيَّتَهُ
سَائِلْ بَنِى أَسَدٍ : مَا هٰذِهِ الصَّوْتُ ؟

=(انظر شرح التبريزى على القصائد العشر ص ١٤٢ ط السلفية) والضمير المستتر فى « مضى » يعود على حمار الوحش الذى يصفه ، والضمير البارز المتصل فى « قدمها » يعود على الأتان ، يريد أنه مضى وقدمها لكيلا تعند عليه ، وعردت : تركت الطريق وعدلت عنه ، واسم كان هو الإقدام ، وخبرها هو قوله « عادة » ومحل الاستشهاد من البيت قوله « وكانت عادة إقدامها » حيث ألحق بالفعل الذى هو كان تاء التأنيث مع أن المسند إليه وهو الإقدام مذكر ، قال التبريزى « زعم الكوفيون أنه لما أولى كان خبرها وفرق بينها وبين اسمها توهم التأنيث فأنث ، وكان الكسائى يجيز : كانت عادة حسنة عطاء الله ، وكان يقول : إذا كان خبر كان مؤنثا واسمها مذكرا وأوليتها الخبر فمن العرب من يؤنث كأنه يتوهم أن الاسم مؤنث إذا كان الخبر مؤنثا ، وقال غير الكسائى: إنما بنى كلامه على : وكانت عادة تقدمتها ، لأن التقدمة مصدر قدمها ، إلا أنه انتهى إلى القافية فلم يجد التقدمة تصلح لها فقال إقدامها » .

٤٧٩ — هذا البيت لرويشد بن كثير الطائى ، وقد أنشده ابن منظور (صوت) وعزاه إليه ، وأنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٦٩٠) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤١٦) وهو أول ثلاثة أبيات اختارها أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى ١/١٦٤ بتحقيقنا وشرح المرزوقى ١٦٦)والمزجى: اسم الفاعل من أزجى يزجى ، ومعناه السائق ، والمطية : كل ما يركبه الإنسان ، أخذ هذا اللفظ من المطا — بوزن الفتى — وهو الظهر ؛ أو من المطو وهو السرعة ، وجملة « ما هذه الصوت » فى موضع المفعول لسائل ، ويروى « بلغ بنى أسد » ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله « هذه الصوت » حيث جاء باسم الإشارة الموضوع للمفردة المؤنثة وأشار به إلى الصوت وهو مفرد مذكر ، وإنما فعل ذلك لأن الصوت يطلق عليه لفظ « الجلبة » أو « الضوضاء » أو « الصيحة » وكل واحد من هذه الألفاظ مؤنث ، قال ابن جنى «ذهب إلى تأنيث الاستغاثة ، وحكى الأصمعى عن أبى عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول : فلان لغوب ، جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : أتقول جاءته كتابى ؟ فقال : نعم أليس بصحيفة ؟ قلت : فما اللغوب ؟ قال : الاحمق ، وهذا فى النثر كما ترى ، وقد=

فقال « هٰذِهِ » لأن الصَّوْتَ فى معنى الصَّيْحَة ، وقال الآخر :

٤٨٠ — * وَكَانَتْ مِنْ سَجِيَّتِنَا الْغَفْرُ *

= علله » اه . وقال التبريزى « وأراد بالصوت الجلبة أو الصيحة، وهذا الـكلام تهكم ، ويجوز أن يكون المراد بقوله ما هذه الصوت ما هذه القصة التى تتأدى إلى عنكم ؟ يقال ذهب صوت هذا الأمر فى الناس ، أى انتشر ، فكأنه على هذا يوهمهم أنه لم يصح عنده ما يقال ، وأنهم — إن لم يقيموا المعذرة والدلالة على براءة ساحتهم — عاقبهم » اه . وقال ابن منظور « الصوت : الجرس ، معروف مذكر ، فأما قول رويشد بن كثير الطائى * يأيها الراكب المزجى مطيته . .. — البيت * فإنما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة على معنى الصيحة أو الاستغاثة ، قال ابن سيدة : وهذا قبيح من الضرورة — أعنى تأنيث المذكر — لأنه خروج عن أصل إلى فرع ، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير؛ لأن التذكير هو الاصل، بدلالة أن الشىء مذكر، وهو يقع على المذكر والمؤنث؛ فعلم بهذا عموم التذكير وأنه هو الأصل الذى لا ينكر، ونظير هذا الشذوذ قوله وهو من أبيات الـكتاب (كتاب سيبويه ١/٢٥) :

إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

قال : وهذا أسهل من تأنيث الصوت ، لأن بعض السنين سنة ، وهى مؤنثة وهى من لفظ السنين، وليس الصوت بعض الاستغاثة ولا من لفظها» اه . ونظير ذلك قول حاتم الطائى:

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى فى طلابكم العذر

٤٨٠ — هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

أزيد بن مصبوح ، فلو غيركم جنى غفرنا ، وكانت من سجيتنا الغفر

وقد أنشده بتمامه التبريزى فى شرح القصائد العشر (ص ١٤٢ ط السلفية) وأنشد عجزه ابن منظور (غ ف ر) ولم يعزواه ، والسجية — بفتح السين وكسر الجيم وتشديد الياء المثناة — الطبيعة والخليقة والخصلة ، والغفر — بفتح فسكون — أحد مصادر « غفر ذنبه يغفره — من مثال ضرب يضرب » ومغفرة ، وغفرانا ، وغفرا — بضم الغين — وغفورا ، وغفيرة ، وغفيرا ، وقد قال أعرابى يدعو ربه: أسالك الغفيرة، والناقة الغزيرة ، والعز فى العشيرة ، فإنها عليك يسيرة . ومحل الاستشهاد من هذا البيت فى هذا الموضع قوله « وكانت من سجيتنا الغفر » حيث ألحق تاء التأنيث بكان مع أن اسمها مذكر وهو قوله الغفر ، وقد تقدم نظير ذلك فى الشاهد رقم ٤٧٨ وذكرنا هناك أن العلماء يغتفرون مثل ذلك فى كان إذا كان اسمها مذكرا وقد فصل بخبرها بينها وبين اسمها، وقد اختلف العلماء فى تخريج العبارة التى فى بيت الشاهد الذى معنا الآن ، فمنهم من =

أى : الْمَغْفِرَة ، وقال الآخر ، وهو طُفَيْل الْغَنَوِى :

٤٨١ — إذْ هِىَ أَحْوَى ، مِنَ الرِّبْعِىِّ ، حَاجِبُهُ
وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِدِ الْحَارِىِّ مَكْحُولُ

= يسلك الطريق التى سلكها العلماء فى الشواهد السابقة، فيذكر أنه أنث هنا مراعاة للمعنى لأن الغفر يطلق عليه المغفرة والغفيرة، وكل منهما مؤنث اللفظ، ومنهم من يقول: إن خبر كان محذوف ، وهو مؤنث ، وأصل الكلام : وكانت الغفر سجية من سجيتنا ، فلما كان الغفر مخبرا عنه بالسجية كان مؤنثا فلذلك أنث الفعل ، قال ابن منظور « فأما قوله * وكانت من سجيتنا الغفر * فإنما أنث الغفر لأنه فى معنى المغفرة » اه . وقال التبريزى « زعم الكسائى أنه أنث كانت لأنه أراد : كانت سجية من سجايانا الغفر، وقال الذى خالفه : بل بنى على المغفرة ، فلما انتهى إلى آخر البيت والمغفرة لا تصلح له ، فقال الغفر ، لأن الغفر والمغفرة مصدران » اه . قال الفراء : وكل قد ذهب مذهبا ، وقول الكسائى أشبه بمذهب العرب » اه .

٤٨١ — هذا البيت من كلام طفيل الغنوى ، وهو من شواهد سيبويه (١/ ٢٤٠) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٣٦٤) والأحوى: الظبى الذى فى ظهره وجنبتى أنفه خطوط سود ، مأخوذ من الحوة التى هى السواد ، وقوله «من الربعى» أى من الصنف المولود فى زمن الربيع ، وهو أبكر وأفضل ، والحارى: المنسوب إلى الحيرة على غير قياس، والقياس حيرى ، ومحل الاستشهاد ههنا من هذا البيت قوله « والعين بالإثمد الحارى مكحول » حيث أخبر بمكحول وهو وصف مذكر عن العين وهى مؤنثة، وقد علمنا أنه يجب تطابق المبتدأ وخبره فى التذكير والتأنيث ، وقد جعله سيبويه من باب مراعاة المعنى ، وبيان ذلك أن العين يطلق عليها لفظ طرف ، وهو مذكر ، فالشاعر لحظ العين على أنها طرف فأخبر عنها كما يخبر عن الطرف ، وجعل غير سيبويه قوله « مكحول » خبرا عن قوله « حاجبه » ويكون قوله « والعين » له خبر محذوف يدل عليه خبر حاجبه ، وكأنه قد قال : حاجبه مكحول بالإثمد الحارى والعين كذلك ، وجملة « والعين كذلك » معطوفة بالواو على جملة « حاجبه مكحول » والذى رآه غير سيبويه خير مما رآه سيبويه الذى تبعه المؤلف لوجهين : الأول أنه لا يلزم على ما رآه غير سيبويه ارتكاب ضرورة ولا إجراء الكلام على غير المنهج المطرد فى كلام العرب ، والوجه الثانى أنه يجرى على قاعدة ارتضاها النحاة جميعا، وهى أنه إذا دار الكلام بين أن يكون الحذف من الأول لدلالة الثانى على المحذوف =

ولم يقل « مَكْحُولَةٌ » لأن العَيْن فى المعنى عُضْو ، وقال الآخر :

٤٨٢ — أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفاً كَأَنَّمَا
يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

فقال « مُخَضَّباً » لأن الكف فى المعنى عضو .

= ومن الثانى لدلالة الأول على المحذوف كان الأفضل اعتبار الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه ، وانظر شرح الشاهد رقم ٤٦ فى المسألة ١٣ ، نعم يلزم على الأول أن تجىء بالمعطوف قبل تمام المعطوف عليه . قال الأعلم « الشاهد فيه تذكير مكحول ، وهو خبر عن العين وهى مؤنثة ، لأنها فى معنى الطرف ، ويجوز أن يكون خبرا عن الحاجب ، فيكون التقدير : حاجبه مكحول بالإثمد والعين كذلك ، فلا تكون فيه ضرورة ، إلا أن سيبويه حمله على العين لقرب جوارها منه » ه

٤٨٢ — هذا هو البيت الثالث والعشرون من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس (الديوان ص ٨٨ – ٩١ فينا) ومطلعها :

كفى بالذى تولينه لو تجنبا شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

وقد أنشد بيت الشاهد ابن منظور (خ ض ب – ك ف ف – ب ك ى) وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى مجالسه (ص ٤٧) وأبو العباس المبرد فى الكامل (١/ ١٦ الخيرية) وفى الديوان واللسان (خ ض ب) « أرى رجلا منكم » وفى اللسان مرتين والكامل « منهم » كما رواه المؤلف ، والأسيف : الأسير ، قال المبرد : والأسيف يكون الأجير ، ويكون الأسير ، فقد قيل فى بيت الأعشى * أرى رجلا منهم أسيفا .. . البيت * المشهور أنه من التأسف لقطع يده ، وقيل : بل هو أسير قد كبلت يده ، ويقال : قد جرحها الغل ، والقول الأول هو المجتمع عليه » اه . والكشح – بفتح الكاف وسكون الشين وآخره حاء مهملة – من الخاصرة إلى الضلع الخلف ، والكف : اليد ، وهى مؤنثة بدليل قول بشر بن أبى خازم :

له كفان كف كف ضر وكف فواضل خضل نداها

فأعاد الضمير عليها فى قوله « نداها » مؤنثا ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت فى هذا الموضع قوله « كفا مخضبا » فإن الظاهر أن قوله « مخضبا » نعت لقوله « كفا » ومخضب وصف مذكر ، وقد علمت أن من القواعد المقررة التى لا يختلف فيها أحد أن النعت الحقيقى يجب أن يطابق المنعوت فى تذكيره وتأنيثه ، ولهذا قال العلماء فى بيت الشاهد : إنه ذكر النعت حملا على المعنى ، وبيان ذلك أن الكف يطلق عليها لفظ =

والحَملُ على المعنى أكْثَرُ فى كلامهم من أن يُحْصَى ، فكذلك ها هنا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن علامة التأنيث إنما دخلت للفَصْل بين المذكر والمؤنث ، ولا اشتراك بين المذكر والمؤنث فى هذه الأوصاف » قلنا : الجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن هذا يبطل بقوله تعالى : (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) ولو كانت علامة التأنيث إنما تدخل للفصل بين المذكر والمؤنث لكان ينبغى أن لا تدخل ها هنا ؛ لأن هذا وَصْفٌ لا يكون فى المذكر ، فلما دخلت دَلَّ على فساد ما ذهبوا إليه .

والوجه الثانى : أنه لو كان سببُ حذف علامة التأنيث من هذا النحو وجودَ الاختصاص وعدمَ الاُشتراك لوجب أن لا يوجد الحذف مع وجود الاشتراك وعدم الاختصاص فى نحو قولهم « رجل عاشِق ، وامرأة عاشِق » [٣٢٥] و « رَجُل عانِس ، وامرأة عَانِس» إذا طال مُكْثُهما لا يتزوجان ، و « رجل عاقِر ، وامرأة عاقِر » إذا لم يُولَدْ لهما ، و « رأس ناصل من الخضاب ، ولحية ناصل »

= « عضو » والعضو مذكر قال ابن منظور (خ ض ب) : « ذكر على إرادة العضو ، أو على [حد] قوله :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

ويجوز أن يكون صفة لرجل ، أو حالا من المضمر فى يضم ، أو من المخفوض فى كشحيه » اهـ . وقال فى (ك ف ف) : « فأما قول الأعشى * أرى رجلا منهم أسيفا . . . البيت * فإنه أراد الساعد فذكر ، وقيل : إنما أراد العضو ، وقيل : هو حال من ضمير يضم أو من هاء كشحيه » اهـ ، فذكر ما ذكره فى الموضع الأول إلا أن يكون مخضبا وصفا لقوله رجلا ، والخطب فى ذلك سهل ، فإن جعل قوله مخضبا حالا من الضمير المستتر فى يضم أو من الضمير البارز المتصل فى قوله كشحيه مثل جعله صفة لقوله رجلا ، وكل ذلك أضعف من الحمل على المعنى .

و « جَمَل نازع إلى وطنه ، وناقة نازع » و « جمل ضامِر ، وناقة ضامِر » و « جمل بازل ، وناقةٌ بازل » فى كلمات كثيرة ، قال زُهَيْر :

٤٨٣ — فوَقَفْتُ بَيْنَ قُتُودِ عَنْسٍ ضَامِرٍ لَحَّاظَةٍ طَفَلَ الْعَشِيِّ سِنَادِ

وقال الأعْشَى :

٤٨٤ — عَهْدِى بِهَا فى الْحَىِّ قَدْ سُرْبِلَتْ بَيْضَاءَ مِثْلَ الْمُهْرَةِ الضامِرِ

---

٤٨٣ — هذا هو البيت الخامس من قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى (الديوان ٣٣٠ – ٣٣٢ دار الكتب) والقتود : عيدان الرحل ، وواحدها قتد – بفتح القاف والتاء جميعا – والعنس – بفتح العين وسكون النون – الناقة ، والضامر : يقال للذكر والأنثى ، والضمور : لحوق البطن بالظهر ، ولحاظة : صيغة مبالغة من اللحظ ، ومعناه أن هذه الناقة تنظر وتتلفت حين اصفرت الشمس للمغيب ، وهو الوقت الذى تكل فيه الإبل ، وطفل العشى : منصوب على الظرفية ، وهو الوقت قبيل الغروب ، والسناد – بكسر السين – الشديدة ، أو العظيمة ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت ههنا قوله « ضامر » فإنه وصف للعنس ، وقد علمت أن العنس اسم للناقة ، والناقة مؤنثة ، وقد أتى بهذه الصفة من غير تاء ، وذلك لأن هذا اللفظ يقال على الذكر والمؤنث بصيغة واحدة ، فيقال : بعير ضامر ، وناقة ضامر ، ويقال : فرس ضامر ، وجواد ضامر ، قال ابن منظور «وجمل ضامر ، وناقة ضامر – بغير هاء – أيضا ، ذهبوا إلى النسب » اهـ . وقد مضى قولنا فى الوصف الذى يقصد به الدلالة على النسب والذى يقصد به الدلالة على الحدوث ، وأنه حين يقصد به الدلالة على النسب يطلق على المؤنث بدون تاء ، فإذا أريد معنى الفعل وأن ذلك حدث الآن أو يحدث بعد لحقته التاء ، وانظر الشاهد ٤٦٧ وشرحه

٤٨٤ — هذا البيت هو البيت العاشر من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس (الديوان ص ١٠٤ – ١٠٨) ومطلعها قوله :

شاقتك من قتلة أطلالها بالشط فالوتر إلى حاجر

وقد أنشد بيت الشاهد ابن يعيش (ص ٦٩٧) والعهد – بفتح العين وسكون الهاء – الالتقاء ، والمعرفة ، ومن العهد أن تعهد الرجل على حال أو فى مكان ، تقول : عهدى به فى موضع كذا ، وفى حال كذا ، وعهدته بمكان كذا ، وعهدى به قريب . و « عهدى بها » فى بيت الشاهد مبتدأ خبره محذوف ، أى عهدى بها حاصل ، أو عهدى بها قريب =

وقال زُهَيْر :

٤٨٥ — تُهَوِّنُ بُعْدَ الأَرْضِ عَنِّي فَرِيدَةٌ كِنَازُ الْبَضِيعِ سَهْوَةُ الْمَشْيِ بَازِلُ

=أو ما أشبه ذلك ، و «قد سربلت» جملة فى موضع الحال من الضمير المجرور محلا بالباء ، وسربلت ـ بالبناء للمجهول ـ أى ألبسوها السربال . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « المهرة الضامر » حيث وصف « المهرة » وهى أنثى بالضامر من غير أن يؤنث الصفة بتاء التأنيث ، وذلك يدل على أن لفظ الضامر يقال على الذكر والأنثى بصيغة واحدة من غير أن يميز بين الحالين فى اللفظ ، والغرض بهذا الرد على الكوفيين فى قولهم : إن سقوط تاء التأنيث من طالق وحائض وطامث لكون هذه الصفات تختص بالإطلاق على الأنثى ، ووجه الرد أنه قد جاء سقوط التاء من الوصف المراد به المؤنث فى ألفاظ لا تختص بالمؤنث ، بل تطلق على المؤنث وعلى المذكر ، ولو أن ماذكرتموه كان صحيحا لم يقع ذلك فى كلامهم ، قال ابن يعيش بعد أن حكى مقالة الكوفيين : « وهو يفسد من وجوه ، أحدها : أن ذلك لم يطرد فيما كان مختصا بالمؤنث ، بل قد جاء أيضا فيما يشترك فيه الذكر والأنثى ، قالوا : جمل بازل ، وناقة بازل ، وجمل ضامر ، وناقة ضامر ، قال الأعشى * عهدى بها فى الحى قد سربلت . . . البيت * فإسقاط العلامة مما يشترك فيه القبيلان دليل على فساد ما ذهبوا إليه ، وإن كان أكثر الحذف إنما وقع فيما يختص بالمؤنث ، الثانى أنه ينتقض ماذهبوا إليه بقولهم مرضعة بإثبات التاء فيما يختص بالمؤنث ، الثالث أن التاء تلحق مع فعل المؤنث نحو حاضت المرأة وطلقت الجارية ، ولو كان اختصاصه بالمؤنث يكفى فارقا لم يفترق الحال بين الصفة والفعل ، فاعرفه » اهـ كلامه .

٤٨٥ — هذا هو البيت التاسع من قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى يقولها فى سنان بن أبى حارثة المرى ، وكان وهو شيخ كبير ركب بعيرا ببطن نخل فذهب به فهلك (الديوان ٢٩٢ ـ ٣٠٠) ومطلعها قوله :

لسلمى بشرقى القنان منازل ورسم بصحراء اللبيين حائل

والفريدة : التى لا مثل لها ، والبضيع : أراد لحمها ، وهو جمع بضع ـ بفتح فسكون ـ ونظيره كلب وكليب ، ومعنى « كناز البضيع » كثيرة اللحم صلبة ، وسهوة المشى : سهلته ، والبازل : التى بلغت أقصى السن ، وذلك بعد نهاية السنة الثامنة ، وما بعد البزول إلا النقصان ، ومحل الاستشهاد من البيت هنا قوله « بازل » حيث وصف به=

وقال لَبِيدٌ :

٤٨٦ — * تَرْوِى الْمَحَاجِرَ بَازِلٌ عُلْكُومُ *

وقال آخر :

٤٨٧ — * بِبَازِلٍ وَجْنَاءَ أَوْ عَيْهَلٍّ *

كيف والأصمعىُّ قد صنف فى هذا النحو كتاباً ؟ ! .

= الناقة من غير أن يلحق به تاء التأنيث ، وذلك يدل على أن هذا اللفظ يستوى فيه المذكر والمؤنث ، على نحو ما بيناه لك فى شرح الشواهد السابقة .

٤٨٦ — هذا عجز بيت للبيد بن ربيعة العامرى ، وهو بتمامه :

بكرت بهاجرشيةمقطورة ترْوى المحاجر بازل علكوم

وقد أنشد هذا البيت ابن منظور (ق ط ر — ج ر ش — ع ل ك م) والجرشية — بضم الجيم وفتح الراء — المنسوبة إلى جرش ، وهو مخلاف من مخاليف اليمن، ومقطورة: أى مطلية بالقطران ، قالوا : بعير مقطور ، وقالوا : بعير مقطرن ، أيضا ، وقالوا : قطرت البعير والناقة ، أى طليتها بالقطران ، وقال امرؤ القيس :

أيقتلنى وقد شعفت فؤادها كما قطر المهنوءةالرجل الطالى؟

والمحاجر : أراد به الحديقة ، والعلكوم — بوزن العصفور — الشديدة الصلبة ، الناقة علكوم والجمل علكوم ، وكل شديد صلب من الإبل وغيرها علكوم ، وفى قصيدة كعب بن زهير التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

غلباءوجناءعلكوممذكرة فى دفها سعة قدامها ميل

ومحل الاستشهاد من هذا البيت ههنا قوله « بازل » حيث وصف الناقة به من غير أن يلحق به تاء التأنيث وذلك يدل على أن هذا اللفظ يطلق على الذكر والأنثى من غيرتفرقة ، على نحو ما بيناه لك فى شرح الشواهد السابقة، وقد سمعت فى شرح مفردات هذا البيت أن لفظ « علكوم » توصف به الناقة من غير تاء كما يوصف به الجمل، وسمعت بيت كعب الذى أتى فيه بعدة أوصاف للناقة كلها مؤنث بعلامة تأنيث وبينها «علكوم» بغير علامة تأنيث

٤٨٧ — هذا بيت من مشطور الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى ، وربما نسبوا منظورا هذا إلى أمه ، فقالوا : منظور بن حبة ، وقبله قوله : =

والوجه الثالث : وهو أنه لو كان الاختصاص سبباً لحذف علامة التأنيث من اسم الفاعل لوجب أن يكون ذلك سبباً لحذفها من الفعل ؛ فيقال : المرأة طَلَقَ ، وطَمِثَ ، وحَاضَ ، وحَمَلَ ، كما يقال : طالق ، وطامث ، وحائض ، وحامل ؛ فلما لم يجز أن تحذف علامة التأنيث من الفعل دل على أنه تعليل فاسد ، ولا يلزم هذا على قول من حمله على المعنى كأنه قال : إنسان حائض ؛ لأن الحمل على المعنى اتساع يُقْتَصر فيه على السماع ، والتعليل بالاختصاص ليس باتساع ، فينبغى أن لا يُقْتَصر فيه على السماع ، ولا يلزم أيضاً على قول مَنْ حَمَله على النسب بوجه ما ؛ لأنه جعل حائضاً بمعنى ذات

= إن تبخلى ياهند أو تعتلى أو تصبحى فى الظاعن المولى

* نسل وجد الهائم المغتل

وقد أنشد ابن منظور هذه الأبيات (ع ى ه ل) وعزاها إليه ، وأنشدها بزيادة ثلاثة أبيات بعدها أبو زيد فى نوادره (ص ٥٣) والبيت من شواهد سيبويه (٢/٢٨٢) وشواهد ابن جنى فى الخصائص (٢/٣٥٩) ورضى الدين فى شرح شافية ابن الحاجب (رقم ١٢٧) وتبخلى : تمنعى وصلك ، وتعتلى: تتذرعى بالعلل الواهية والأسباب المصنوعة، والظاعن : المفارق ، والمولى : الذى يعطينا ظهره سائرا فى غير طريقنا ، والمغتل : رواه أبو زيد بالغين المعجمة على أنه مأخوذ من الغلة — بضم الغين — وهى فى الأصل حرارة العطش ، وأراد بها حرارة الشوق ، ورواه ابن منظور بالعين المهملة ، ومعناه ذو العلة وهى المرض ، والبازل : تقدم أنه الناقة إذا اكتملت ثمان سنين ودخلت فى التاسعة ، والوجناء : الناقة الشديدة ، والعيهل : أصله بوزن جعفر ، ويقال : ناقة عيهل ، وجمل عيهل ، وربما قالوا : جمل عيهل ، وناقة عيهلة — بالتاء — ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله « يازل » حيث أطلق هذا اللفظ على الناقة بدليل وصفها بالوجناء المؤنث بألف التأنيث ، فيدل ذلك على أن البازل يطلق على المؤنث بغير علامة تأنيث ، والكلام فيه كالكلام فى الشواهد السابقة ، والنحاة يستشهدون بهذا البيت لتشديد اللام فى الوصل ضرورة ، والأصل أن يكون تشديده عند الوقف ليعلم أنه متحرك فى الوصل .

حيض ، والفعل لا يدل على نفس الشىء ؛ فيقال : إن هندا حَاضَ ، بمعنى هند ذات حيض ، و إنما شأن الفعل الدلالة على المصدر والزمان ، فبان الفرق بينهما ، والله أعلم .

[٣٢٦] ١١٢ — مسألة

[عِلَّةُ حذف الواو من « يَعِدُ » ونحوه] (١)

ذهب الكوفيون إلى أن الواو من نحو « يَعِدُ ، وَيَزِنُ » إنما حذفت للفرق بين الفعل اللازم والمتعدِّى . وذهب البصريون إلى أنها حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأفعال تنقسم إلى قسمين : إلى فعل لازم ، و إلى فعل متعد ، وكلا القسمين يقعان فيما فاؤه واو ، فلما تغايرا فى اللزوم والتعدى واتفقا فى وقوع فائهما واوا وجب أن يفرق بينهما فى الحكم ، فبقَّوُا الواو فى مضارع اللازم نحو « وَجِلَ يَوْجَلُ ، ووَحِلَ يَوْحَلُ » وحذفوا الواو من المتعدى نحو « وَعَدَ يعِدُ ، ووزن يَزِنُ » وكان المتعدى أولى بالحذف ؛ لأن التعدى صار عوضاً من حذف الواو .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنهم إنما حذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة » لأنا نقول : هذا يبطل بقولهم « أَعِد ونَعِد وتَعِد » والأصل فيه : أوْعِدُ ونَوْعِد وتَوْعِدْ ، ولو كان حذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة لكان ينبغى أن لا تحذف هاهنا ؛ لأنها لم تقع بين ياء وكسرة ، ولكان ينبغى أن تحذف من قولهم « أوْعَدَ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٢٨٥ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٤٩٣)

يُوعِدُ » بضم الياء فيقال « يُعِدُ » لوقوعها بين ياء وكسرة ، فلما لم تحذف دل على فساد ما ذكرتموه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الواو حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة ، وذلك لأن اجتماع الياء والواو والكسرة مستثقل فى كلامهم ، فلما اجتمعت هذه الثلاثة الأشياء المستنكرة التى توجب ثقلا وجب أن يحذفوا واحداً منها طلباً للتخفيف ، فحذفوا الواو ليخفَّ أمر الاستثقال .

والذى يدل على صحة ذلك أن الواو والياء إذا اجتمعتا وكانا على صفة يمكن أن تدغم إحداهما فى الأخرى قلبت الواو إلى الياء نحو « سَيِّد ، ومَيِّت » كراهية لاجتماع المثلين ، وإذا اجتمع ها هنا ثلاثة أمثال الياء والواو والكسرة ولم يمكن الإدغام لأن الأول متحرك ومن شرط المدغم أن يكون ساكناً ، فلما لم يمكن التخفيف بالإدغام وجب التخفيف بالحذف ، فقيل : يَعِدْ ويَزِن ، وحملوا « أعد ونعد وتعد » على « يعد » [٣٢٧] لئلا تختلف طُرُقُ تصاريف الكلمة ، على ما سنبينه فى الجواب إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنما حذفت الواو من هذا النحو للفرق بين الفعل اللازم والمتعدى ، فبقَّوْا الواو فى اللازم وحذفوها من المتعدى » قلنا : هذا باطل؛ فإن كثيراً من الأفعال اللازمة قد حذفت منها الواو ، وذلك نحو « وكَفَ البيتُ يَكِفُ ، ونَمَّ الذباب يَنِمُ ، ووجد فى الحزن يَجِدُ » إلى غير ذلك . والأصل فيها : وكَفَ يَوْكِفُ ، ونَمَّ يَوْنِمُ ، ووجد يَوْجِدُ ، وكلها لازمة ، ولو كان الأمر على ما زعمتم لكان يجب أن لا تحذف منه الواو ، فلما حذفت دل على أنه إنما حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، ولا نَظَرَ فى ذلك إلى اللازم والمتعدى .

وأما « وَجِلَ يَوْجَلُ ، ووحِلَ يَوْحَلُ » فإنما لم تحذف منه الواو لأنه جاء على يَفْعَلُ بفتح العين ، كعلم يعلم ، فلم تقع الواو فيه بين ياء وكسرة ، وإنما وقعت بين ياء وفتحة ، وذلك لا يُوجِبُ حذفها ، وأما حذفهم لها من قولهم « وَلَغَ يَلَغُ » ، وإن كانت قد وقعت بين ياء وفتحة فلأن الأصل فيه يَفْعِلُ بكسر العين كضرب يضرب ، وإنما فتحت العين لوقوع حرف الحلق لاماً ؛ فإن حرف الحلق متى وقع لاماً من هذا النحو فإن القياس يقتضى أن يفتح العين منه ، نحو : قرأ يقرأ ، وجَبَهَ يَجْبَهُ ، وسَدَحَ يسدح ، وَشَدَخَ يشدخ ، وجَمَعَ يجمع ، ودَمَغَ يدمغ ، إلا ما جاء على الأصل نحو : نطح الكبش ينطح ؛ ونبح الكلب ينبح ، وكذلك أيضاً إذا وقع حرف الحلق عينا فإنه يقتضى فتح العين أيضاً ، نحو : سأل يسأل ، وجهد يجهد ، ونحر ينحر ، وفخر يفخر ، ونعب ينعب ، وفغر يفغر ، إلا ما جاء على الأصل ، نحو : نعق ينعق ؛ فدل على أن « وجل يوجل » لا حجة لهم فيه . وفى وجل يوجل أربع لغات : أحدها تصحيح الواو ، وهى اللغة المشهورة ، واللغة الثانية « يَاجَلُ » فتقلب الواو ألفاً لمكان الفتحة قبلها وفراراً من اجتماع الياء والواو إلى الألف ، واللغة الثالثة قلب الواو ياء نحو « يَيْجَلُ » وذلك على طريقة سَيِّد ومَيِّت وإن لم يمكن الإدغام لتحرك الأول ، واللغة الرابعة « يِيجَلُ » بكسر الياء ؛ لأنهم أرادوا أن يقلبوا الواو ياء فكسروا ما قبلها ليجرى قلبها على سَنَنِ القياس فى نحو مِيعاد ومِيزان ومِيقات [٣٢٨] ، والأصل فيها مِوْعاد ، ومِوْزان ، ومِوْقات ؛ لأنها من الوعد والوزن والوقت ، إلا أن الواو لما سكنت وانكسر ما قبلها قلبوها ياء ، فكذلك ها هنا : لَمَّا لم يمكن الإدغام لِمَا ذكرنا وكانت الواو تقلب فى نحو سيد لإمكانه أحبوا أن يقلبوا الواو بسبب يستمر له القلب وهو كسر ما قبلها .

وأما قولهم « إنها لو كانت قد حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة لكان ينبغي أن لا تحذف من « أعِدُ ، وتَعِدُ ، ونَعِدُ » ؛ لأنها لم تقع بين ياء وكسرة » قلنا : إنما حذفت ها هنا وإن لم تقع بين ياء وكسرة حملا لحروف المضارعة ـ التي هي الهمزة والنون والتاء ـ على الياء ، لأنها أخوات[1] ، فلما حذفت الواو مع أحدها للعلة التي ذكرناها حذفت مع الآخر لئلا تختلف طُرُقُ تصاريف الكلمة ؛ ليجرى البابُ على سَنَنٍ واحد ، وصار هذا بمنزلة « أُكْرِمُ » والأصل فيها « أُأَكْرِمُ » إلا أنهم كرهوا اجتماع همزتين ، فحذفوا الثانية فراراً من اجتماع همزتين طلباً للتخفيف وكان حذف الثانية أولى من الأولى ؛ لأن الأولى دخلت لمعنى والثانية ما دخلت لمعنى فلهذا كان حذف الثانية وتبقية الأولى أولى . ثم قالوا « نكرم ،وتكرم، ويكرم» فحذفوا الهمزة حملا للنون والتاء والياء على الهمزة طلباً للتشاكل على ما بينا .

وأما قولهم « إنه لو كان الحذف لوقوعها بين ياء وكسرة كان يجب الحذف في قولهم « يُوعِدُ » ونحوه » قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أن هذا لا يصلح أن يكون نَقْضاً على « يَعِدُ » لأن الواو ها هنا ما وقعت بين ياء وكسرة ؛ لأن الأصل في « يُوعِدُ » بضم الياء يُؤَوْعِد . كما أن الأصل في يُكْرِم يُؤَكرم ، قال الشاعر :

* فَإِنَّهُ أَهْلٌ لأنْ يُؤَكْرَمَا * [١]

فلما كان الأصل يُؤَوْعِدُ بالهمزة فالهمزة المحذوفة حالت بين الواو والياء لأنها في حكم الثابتة ، كما كانت الياء المحذوفة في قول الشاعر :

٤٨٨ — * وَكَحَّلَ الْعَيْنَيْنِ بِالْعَوَاوِرِ *

---

(١) في ر « ولأنها أخوات » وظاهر أن الواو مقحمة .

٤٨٨ — هذا بيت من مشطور الرجز لجندل بن المثنى الطهوى ، ويروون قبله قوله :
=

. . . .

= غرك أن تقاربت أباعرى وأن رأيت الدهر ذا الدوائر

* حتى عظامى وأراه ثاغرى *

والبيت من شواهد سيبويه (٢/٣٧٤) والزمخشرى فى المفصل ، وابن يعيش فى شرحه (١٤٣١) ورضى الدين فى شرح شافية ابن الحاجب (رقم ١٧٦) وشرحه البغدادى (ص ٣٧٤ بتحقيقنا) وابن جنى فى الخصائص (١/١٩٥ و ٣/١٦٤ و٣٢٦) وعزاه فى المرة الأخيرة إلى العجاج ، وليس ذلك صحيحا ، وابن منظور (ع و ر) والأشمونى (رقم ١٢٢٢) وابن هشام فى أوضح المسالك (رقم ٥٦٦) وتقاربت أباعرى: كنى بذلك عن قلتها ، وأراد أنه غير ذى ثراء ، والدوائر : جمع دائرة ، وأراد بها أحداث الزمان ومصائبه ، وثاغرى : يريد أنه مذهب أسنانه ، والعواور : جمع عوار ـ بوزن رمان ـ وهو وجع فى العين ، جعله كحلا على سبيل التهكم . ومحل الاستشهاد بالبيت هنا قوله « بالعواور » فإن أصله بالعواوير ـ بياء بعد الواو منقلبة عن ألف المفرد كما تقول فى جمع قرطاس : قراطيس ، والواو إذا كانت قريبة من طرف الكلمة بأن تكون قبل آخرها مباشرة تقلب همزة ، وكذلك الياء ،تقول فى جمع أول أوائل ، وفى جمع جيد وسيد وصائد : جيائد ، وسيائد ، وصيائد ، وأصلهن : جياود ، وسياود ، وصوايد ، فإن انفصلت الواو أو الياء من الطرف بياء مفاعيل لم تقلب همزة وبقيت على أصلها نحو طواويس ونواويس، وبحسب الظاهر كان يجب قلب الواو من العواور همزة؛ لأنها غير مفصولة من الطرف ، إلا أنه لما كان مفرد هذا اللفظ هو عوار ، وكان أصل جمعه العواوير ـ بياء فاصلة بين الواو وطرف الكلمة ـ إلا أن الراجز حذف هذه الياء للتخفيف ، وهو يريدها ، فكأنها موجودة، ولذلك لم يقلب الواو همزة ، قال ابن جنى «وصحة الواو فى قوله*وكحل العينين بالعواور*إنما جاء لإرادة الياء فى العواوير وليعلم أن هذا الحرف ليس بقياس ولا منقاد » اهـ . وقال الأعلم « الشاهد فيه تصحيح واو العواور الثانية ؛ لأنه ينوى الياء المحذوفة من العواوير ، والواو إذا وقعت فى مثل هذا الموضع لم تهمز ، لبعدها من الطرف الذى هو أحق بالتغيير والاعتلال ، ولو لم تكن فيه ياء منوية للزم همزها ، كما قالوا فى جمع أول : أوائل ، والأصل أواول » اهـ كلامه.

وقال ابن منظور «فأما قوله* وكحل العينين بالعواور* فإنما حذف الياء للضرورة ، ولذلك لم يهمز، لأن الياء فى نية الثبات ، فكما كان لا يهمزها والياء ثابتة ، كذلك =

فى حكم الثابتة ، ولولا ذلك لما صحت الواو ، وكانت تُقْلَب همزة ؛ لوقوعها قبل الطرف بحرف ؛ لأنهم يجرون ما قبل الطرف بحرف من هذا النحو مَجْرَى الطرف وهم يقلبون الواو إذا وقعت طرفاً وقبلها ألف زائدة[١] همزةً ؛ فهاهنا لما [٣٢٩]صحت الواو دل على أن الأصل فيه « العواوير » بالياء كطَوَاويس ونَوَاويس، وإنما حذفت للضرورة ، وإنما صحت الواو مع تقدير الياء لأنها قبل الطرف بحرفين ، فبعدت عما تُقْلَب فيه الواو إذا وقعت طرفاً ؛ فلم تقلب همزة .

والوجه الثانى : أنهم لمـا حذفوا الهمزة من « يُؤَوْعِد » لم يحذفوا الواو ؛ لأنه كان يؤدى إلى الموالاة بين إعلالين ، وهم لا يوالون بين إعلالين ، ألا ترى أنهم قالوا « هَوَى ، وغَوَى » فأبدلوا من الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ولم يبدلوا من الواو ألفاً وإن كانت قد تحركت وانفتح ما قبلها ، لأنهم لو فعلوا ذلك فأَعَلُّوا الواو كما أعلوا الياء لأدى ذلك إلى أن يجمعوا بين إعلالين ، والجمع بين إعلالين لا يجوز ، والله أعلم .

= لم يهمزها والياء فى نية الثبات» ا هـ . والعوار ــ بزنة رمان أيضاً ــ الجبان ، وجمعوه على عواوير ، وربما قالوا فيه : عواور ، فلم يهمزوا ؛ لأنهم يريدون الياء وينوونها ، قال الأعشى فى العواوير بثبوت اليـاء :

غير ميل ولا عواوير فى الهيـــــجا ، ولا عزل ، ولا أكفال

وقال لبيد يعاتب عمه فى العواوير بحذف اليـاء مع نيتهـا :

وفى كل يوم ذى حفاظ بلوتنى فقمت مقاما لم تقمه العواور

(١) وقوع الواو أو الياء طرفا وقبلهما ألف زائدة يوجب قلب كل منهما همزة ومثال ذلك كساء ورداء ، وأصلهما كساو وردای ، ووقوع الواو والياء قبل الطرف بحرف وقبلهما ألف زائدة يوجب قلب كل منهما همزة ، ومثاله أوائل جمع أول وعيائل جمع عيل ــ بوزن سيد ــ وأصلهما أواول وعيايل ، فإن وقعت الواو أو الياء قبل الطرف بحرفين وقبلهما ألف زائدة لم تقلبا همزة؛ لأنهما بعدتا عن الطرف بعدا حصنهما من القلب ، ومثال ذلك طواويس ونواويس وعواوير ، فاعرف ذلك .

١١٣ — مسألة

[وزن الخماسى المكرر ثانيه وثالثه][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « صَمَحْمَح ودَمَكْمَك » على وزن فَعَلَّلٍ . وذهب البصريون إلى أنه على وزن فَعَلْعَلٍ .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه على وزن فَعَلَّلٍ ، وذلك أن الأصل فى « صَمَحْمَحٍ ودَمَكْمَكٍ » صَمَحَّحٌ ودَمَكَّكٌ ، إلا أنهم استثقلوا جَمْعَ ثلاث حاءات وثلاث كافات ، فجعلوا الوسطى منها ميما ، والإبدال لاجتماع الأمثال كثير فى الاستعمال ، قال الله تعالى : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) والأصل كُبِّبُوا ؛ لأنه من « كَبَبْتُ الرَّجُلَ عَلَى وَجْهِهِ » إلا أنهم استثقلوا اجتماع ثلاث ثلاث باءات فأبْدِل من الوسطى كاف ، وقال الفرزدق :

٤٨٩ — مَوَانِعُ للأَسْرَارِ إلاَّ لأَهْلِهَا وَيُخْلِفْنَ مَاظَنَّ الْغَيورُ الْمُشَفْشَفُ

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٢١٠و٢١٤ —٢١٥) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢/٤٤٨ — ٤٤٩)

٤٨٩ — هذا البيت هو التاسع من قصيدة للفرزدق همام بن غالب (الديوان ٥٥١ والنقائض ٥٤٨ ليدن) ومطلعها قوله :

عزفت بأعشاش ، وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وقد أنشده ابن منظور (ش ف ف)

وقوله « موانع للأسرار » معناه أنهن لا يتزوجن إلا أكفاءهن ، والأسرار : جمع سر ، وهو الزواج ، من قوله تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) والمشفشف — بصيغة المفعول — الذى كأن به رعدة واختلاطا ، وذلك من شدة الغيرة والإشفاق على حرمه ، وقال الأصمعى : هو الذى تشف الغيرة فؤاده ، وهو السيىء الظن ، وذلك من إشفاقه على أهله ، قال : وإنما أراد المشفف فكرر الشين ، كما قالوا : دمع مكفكف ، وقد تجفجف الشىء من الجفوف وأصله تجفف ، وهذه ثلاثة أحرف من جنس واحد=

والأصل فى الْمُشَفْشَفِ الْمُشَفَّفُ لأنه من « شَفَّتْه الغيرة ، وشَفَّه الْحُزْنُ » إلا أنه استثقل اجتماع ثلاث فاءات ، فأبدل من الوسطى شيئاً ، وقال الآخر ، وهو الأعشى :

٤٩٠ — وَتَـبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ الْعَرُو س بالصَّيْفِ رَقْرَقْتَ فِيهِ الْعَبِيرَا

= يكره جمعها ، ففرقوا بينها بحرف من الكلمة، وهو فاء الفعل، وربما قرئ المشفشف بزنة اسم الفاعل ، ومعناه المنقر والمفتش عن المساوى . هذا كلام شارح النقائض بحروفه ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « المشفشف » فإن الكوفيين زعموا فى هذه الكلمة ونظائرها أن أصلها المشفف — بثلاث فاءات — فأبدلوا من الفاء الثانية حرفا من جنس فاء الكلمة — وهى الشين — فصار المشفشف ، فهذه الشين لام أولى للكلمة لأنها بدل من لا مها الأولى ، وعلى هذا يكون المشفشف على وزن المفعلل ، والذى يدل على ذلك الاشتقاق ، فإنا رأينا العرب يقولون : شف جسم فلان ؛ إذا هزل ونحل من الوجد والهم ، وقالوا : شفه الوجد والهم يشفه — من مثال مده يمده — إذا أضعفه وهزله، ومن ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى :

فهن عكوف كنوح الكريـــــم قد شف أكبادهن الهوى

ثم رأيناهم يقولون فى هذا المعنى نفسه : شفشفه الهم والحزن ، فعلمنا أنهم أرادوا أن يضعفوا العين على مثال قطع وهذب ، فاجتمع عندهم ثلاث فاءات ، وهم يكرهون اجتماع ثلاثة أمثال ، ففروا من ذلك إلى إبدال الثانية حرفا آخر ، ووجدوا أن أحسن ما يفعلون أن يبدلوه حرفا من جنس فاء الكلمة .

[illegible] — هذا هو البيت الثامن عشر من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس (الديوان [illegible]) ومطلعها قوله :

[illegible] غشيت لليلى بليل خدورا وطالبتها ونذرت النذورا

[illegible]شد البيت ابن منظور (ر ق ق) والزمخشرى فى أساس البلاغة (ر ق ق) [illegible]ستشهاد من هذا البيت قوله « رقرقت » فإن الكوفيين يزعمون أن أصل [illegible] فعل رققت بثلاث قافات ، لأنه فى الأصل رق بقافين ، من قولهم رق الثوب [illegible]ق ، وقالوا : أرقه ، كما قالوا : أمده ، وقالوا : رققه ، كما قالوا : مدده ، والرق — بكسر الراء وتشديد القاف — نبات له عود وشوك وورق أبيض، وقالوا : رقرقت الثوب =

[٣٣٠] والأصل فى رَقْرَقْتَ رَقَّقْتَ ؛ لأنه من «الرِّقَّةِ» فأبدل من القاف الوسطى راء ، وقال الآخر :

٤٩١ — * بَاتَتَ تُكَرْكِرُهُ الْجَنُوبُ *

والأصل فى تكركره تكرره ؛ لأنه من « التكرير » فأبدل من الراء الوسطى كافاً ، وكذلك أيضاً قالوا « تَمَلْمَلَ على فراشه » والأصل تملل لأنه من

=بالطيب ، يريدون أجريت الطيب فيه،وأصله رققت بثلاث قافات،فلما استثقلوا اجتماع الأمثال أبدلوا من ثانيها حرفا من جنس فاء الكلمة ، على مثال ما ذكرنا فى شرح الشاهد السابق ، ولو تأملت فى هذا البيت وجدت الاشتقاق مستصعبا فى هذا البيت أكثر من استصعابه فى البيت السابق ، فيمكن أن يقال : إن تقارب كلتين فى اللفظ وفى المعنى لا يدل على أن إحداهما أصل للأخرى ، حتى إنه لا يكفى أن يتقارب اللفظان ويتحد المعنيان ، بل لا بد من أشياء وراء ذلك من الاشتقاق ومن الاستعمال ، وكيف يكون تقارب اللفظين وتقارب المعنيين دليلا على أن إحدى الكلمتين أصل للأخرى وفى اللغة العربية المترادف والمشترك ؟

٤٩١ — أنشد الجوهرى هذه الجملة فى الصحاح (ك ر ر) ولم يتم البيت ، ولم ينسبه ، ولم يتمه صاحب اللسان ، ولا ابن برى ، وقال الزمخشرى فى الأساس (ك ر ر) « وباتت السحابة تكركرها الجنوب : تصرفها » اه‍ . قال الجوهرى : « والكركرة : تصريف الريح السحاب ، إذا جمعته بعد تفرق ، وقال * باتت تكركره الجنوب * وأصله تكرره من التكرير » ه‍ وقال ابن منظور « والكركرة: تصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفرق ، وأنشد * تكركره الجنائب فى السداد * وفى الصحاح * باتت تكركره الجنوب * وأصله تكرره من التكرير ، وكركرته : لم يمض ، قال أبو ذؤيب :

تكركره نجدية وتمده مسفسفة فوق التراب معوج

وتكركر هو : تردى فى الهواء ، وتكركر الماء : رجع فى مسيله » اه‍ ، ووجه الاستشهاد من هذه العبارة قوله « تكركره » فقد ذكر الكوفيون أن أصل هذه الكلمة تكرره — بثلاث راءات — والكلام فيهــا كالكلام الذى ذكرناه فى الشواهد السابقة .

« المَلَّة » وهو الرماد الحارُّ ، إلا أنهم أبدلوا من اللام الوسطى ميما ، وكذلك قالوا « تَغَلْغَلَ في الشيء » والأصل تغلل ؛ لأنه من « الغَلَل » وهو الماء الجارى بين الشجر ، فأبدلوا من اللام الوسطى غيناً ، وكذلك قالوا «تكمكم» والأصل تَكَمَّمَ لأنه من « الكُمَّة » وهى القَلَنْسُوَة ، فأبدلوا من الميم الوسطى كافاً ، وكذلك قالوا « حَثْحَث » والأصل حَثَّثَ لأنه من « الحَثِّ » إلا أنهم أبدلوا من الثاء الوسطى حاء كراهية لاجتماع الأمثال ، فكذلك ها هنا : الأصل فيه « صَمَحَّح » إلا أنهم أبدلوا من الحاء الوسطى ميما كراهية لاجتماع الأمثال ، وكانت الميم أولى بالزيادة لأنها من حروف الزيادة التى تختص بالأسماء . وقلنا « إنه لا يجوز أن يكون وزنه فَعَلْعَل» بتكرير العين ؛ لأنه لو جاز أن يقال ذلك لجاز أن يقال إن صَرْصَرَ ، وسَجْسَج وزنه فعفع لتكرير الفاء فيه ؛ فلما بطل أن يكون صرصر على فعفع بطل أيضاً أن يكون صمحمح على فعلعل .

قالوا : ولا يلزم على كلامنا ، نحو « احْقَوْقَفَ الظَّبْىُ ، واغْدَوْدَنَ الشَّعْرُ » وما أشبه ذلك ، فإنه على وزن افْعَوْعَلَ ؛ لأنا نقول : إنما قلنا إنه على وزن افْعَوْعَلَ ؛ لأنه ليس فى الأفعال ما هو على وزن « افْعَلَّلَ » فقلنا : إن وزنه على افْعَوْعَلَ ، بخلاف ما هنا ؛ فإن فى الأسماء ما هو على وزن فَعَلَّلٍ ، نحو «سَفَرْجل ، وفَرَزْدَق » وكذلك لا يلزم على كلامنا نحو «خُلَعْلَع» وهو الجُعَلُ ، و «ذُرَحْرَح» وهو دويبة ، فإنه على وزن فُعَلْعَلٍ ؛ لأنا نقول : إنما قلنا إنه على وزن فُعَلْعَل ؛ لأنه ليس فى الأسماء ما هو على وزن فُعَلَّل ـ بضم الأول ـ وإذا خرج لفظ عن أبْنِيَة كلامهم دَلَّ ذلك على زيادة الحرف فيه .

والذى يدلُّ على ذلك أنهم قالوا فى ذُرَحْرَح : ذُرَّاح ، فأسقطوا أحد المثلين ، ولو كان خماسياً لم يأت منه ذُرَّاح على وزن فُعَّال ، نحو : كُرَّام ، وحُسَّان ؛ فبان الفرق بينهما .

[٣٣١] وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن وزنه فَعَلْعَل؛ لأن الظاهر أن العين واللام قد تكررتا فيه ؛ فوجب أن يكون وزنه فَعَلْعَلَ ، ألا ترى أنه إذا تكررت العين فى نحو « ضَرَّب وقَتَّل » كان وزنه فَعَّل ، أو تكررت اللام فى نحو « احْمَرَّ واصْفَرَّ » كان وزنه افْعَلَّ ؛ فكذلك ها هنا: لما تكررت العين واللام فى نحو « صَمَحْمَح ودَمَكْمَك » يجب أن يكون وزنه فَعَلْعَل لتكررهما فيه ، هذا حكم الظاهر ، فمن ادَّعى قلباً بقى مرتهناً بإقامة الدليل .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الأصل صَمَحَّحٌ ، ودَمَكَّكٌ » قلنا : هذا مجرد دَعْوَى لا يستند إلى مَعْنًى ، بل تكرير عين الفعل ولامه كتكرير فاء الفعل وعينه فى مَرْمَرِيسٍ وهى الداهية ، ومَرْمَرِيتٍ وهى القَفْر ؛ لأنهما من⁽¹⁾ المَرَاسَة والمَرْتِ ، وأما تلك المواضع التى استشهدوا بها على الإبدال لاجتماع الأمثال ؛ فهناك قام الدليل فى رَدِّ الكلمة إلى أصلها ، وذلك غير موجود ها هنا .

وقولهم « لو جاز أن يقال إن وزنه فَعَلْعَلٌ ـ بتكرير العين ـ لجاز أن يقال : صرْصَر وسَجْسَج ، وَزْنُه فَعْفَع لتكرير الفاء فيه » قلنا : هذا باطل ، وذلك أن الحَرْفَ إنما يجعل زائداً فى الاسم والفعل إذا كان على ثلاثة أحْرُفٍ سواه ، وهى فاءُ الفعل وعينهُ ولامُه ، وصَرْصَر وسَجْسَج لم يُوجَدْ فيه ذلك ؛ فلو قلنا إن وزنه فَعْفَع لأدَّى ذلك إلى إسقاط لامه ، وذلك لا يجوز ، بخلاف صَمَحْمَح ودَمَكْمَك ؛ فإنه قد وجد فيه ثلاثة أحْرُف فاء وعين ولام ، فلما لم يؤد ذلك إلى إسقاط لامه كان ذلك جائزاً ، وصار هذا كما تجعل إحدى الدالين فى اُسْوَدَّ زائدة ، ولا تجعل إحدى الدالين فى ردّ ومدّ زائدة ؛ لأنا لو جعلنا

(١) فى ر « لأنها فى المراسة »

إحداهما زائدة لأدَّى ذلك إلى إسقاط لام الفعل أو عينه ، وذلك لا يجوز ؛ فكذلك ها هنا ، والله أعلم .

١١٤ — مسألة

[هل فى كل رباعى وخماسى من الأسماء زَيادة ؟][(1)]

ذهب الكوفيون إلى أن كل اسم زادت حُرُوفه على ثلاثة أحْرُفٍ ففيه زيادة ؛ فإن كان على أربعة أحرف نحو جعفر ففيه زيادة حرف واحد ، واختلفوا [٣٣٢] فذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى إلى أن الزائدَ فيما كان على أربعةِ أحْرُفٍ الحرفُ الذى قبل آخره ، وذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء إلى أن الزائد فيما كان على أربعة أحرف هو الحرف الأخير ، وإن كان على خمسة أحرف — نحو « سَفَرْجَل » — ففيه زيادة حرفين . وذهب البصريون إلى أن بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة ، وأنهما من نحو جعفر وسفرجل ، لا زائد فيهما البتة .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنا أجمعنا على أن وزن جعفر فَعْلَل ، ووزن سفرجل فَعَلَّل ، وقد علمنا أن أصل فَعْلَل وفَعَلَّل فاءٌ وعينٌ ولامٌ واحدة ؛ فقد علمنا أن إحدى اللامين فى وزن جعفر زائدة ،واللامان فى وزن سفرجل زائدتان ، فدلَّ على أن فى جعفر حرفاً زائداً من حرفيه الأخيرين ، وأن فى سفرجل حرفين زائدين ، على ما بينا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : لا يخلو الزائد فى جعفر من أن يكون الراء أو الفاء أو العين أو الجيم ؛ فإن كان الزائد هو الراء فيجب أن يكون وزنه فَعْلَر ؛

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (ص ٩٠٠)

لأن الزائد يُوزَنُ بلفظه ، وإن كان الزائد الفاء فوجب أن يكون وزنه فعفل ، وإن كان الزائد العين فوجب أن يكون وزنه فعّل ، وإن كان الزائد الجيم فوجب أن يكون وزنه جَعْفَل ، وكذلك يلتزمون فى وزن سفرجل ، وإذا كان هذا لا يقول به أحد دَلَّ على أن حروفه كلها أصول .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن إحدى الدالين من قَرْدَد ومَهْدَد زائدة ووزنه عندكم فَعْلَل ؛ فقد وزنتم الدال الزائدة باللام ، وكذلك صمحمح ووزنه عندكم فَعَلْعَل ، وإحدى الميمين وإحدى الحاءين زائدتان ، ولم تَزِنُوهُماَ بلفظهما فتقولوا : وزنه فعلمح ، ووزنتموهما بالعين واللام فقلتم : فعلعل ، وكذلك مَرْمَرِيس ومَرْمَرِيت ، ووزنه عندكم فعفعيل ، ولم تَزِنُوا فيه الزائد بلفظه فتقولوا : فعمريل ، ووزنتموه بالفاء والعين فقلتم : فعفعيل » لأنا نقول : إنما وَزَنَّا الزائد بلفظ اللام دون لفظ الدال ، وذلك لأن إحدى الدالين لام الفعل والدال الأخرى — وإن كانت زائدة — فهى تكرير لام الفعل بلفظها ، فَوَزَنَّا باللفظ الذى وُزِنَ به لامُ الفعلِ ، وكذلك صمحمح : الميمُ عينُ الفعلِ ، والحاء لامه ، ثم [٣٣٣] أُعِيدَتَا تكثيراً لها ؛ فصار المعاد زائداً ، غير أنه من جنس الأول ، فأعيد بلفظ الأول ؛ فجعلت عيناً ولاماً معادتين ، كما جعلت الميم والحاء الأولتان عيناً ولاماً ، وكذلك نقول فى مرمريس ومرمريت .

والدليل على أن فاء الفعل وعينه فى « مَرْمَرِيس ، ومَرْمَرِيت » زائدة مُكَرَّرَة أنه مأخوذ من المَرَاسَة والمَرْتِ ، ألا ترى أن « مَرْمَرِيس » اسم الداهية و « مَرْمَرِيت » اسم القفر .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه إذا كانت إحدى اللامين فى وزن جَعفر زائدة دَلَّ على أن فيه حرفاً زائداً ، وكذلك إذا كانت اللامان فى وزن سَفَرْجَل زائدتين دَلَّ على أن فى سَفَرْجَل حرفين زائدين » قلنا : هذا غلط وجهل بموضع وزن الأسماء وتمثيلها بالفعل دون غيره ، وذلك أن التمثيل

إنما وقع بالفعل دون غيره ليعلم الزائد من الأصلىّ ، وذلك أنا إذا جئنا إلى جعفر فمثَّلْناه بفَعْلَل علمنا بالمثال أنه لم يدخله شيء زائد ، وإذا جئنا إلى صَيْقَل فمثلناه بفَيْعَل فقد علم بالمثال أن الياء زائدة ، واختاروا الفعل ؛ لأنه يأتى وهو عبارة عن كل شيء من الألفاظ التى تتصرف ، ألا ترى أنك تقول لصاحبك : قد ضَرَبْتَ زيداً ، أو خاصمته ، أو أكرمته ، أو ما أشبه ذلك ، فتقول : قد فعلت ، وكان الثلاثى أولى بذلك من قِبَلِ أن أقلّ الأسماء والأفعال بناتُ الثلاثةِ وفيها بنات الأربعة والخمسة ؛ فلو وقع التمثيل بشيء على أربعة أحرف أو خمسة لبطل وزنُ الثلاثى به إلا بحذف شيء منه ، ونحن نجد بنات الثلاثة تُبْنَى على أربعة أحرف بزيادة حرف نحو ضيغم ، وهو من الضَّغْمِ وهو العَضُّ ، وعلى خمسة أحرف بزيادة حرفين نحو سَرَنْدَى ، وهو من السَّرْدِ ، ولم يعلم أنه بنى شيء من بنات الأربعة والخمسة على ثلاثة أحرف ، فلما كان الأمر على ما ذكرنا ووجب التمثيل بالفعل واحتجنا إلى تمثيل رباعى وخماسى زِدْنَا ما يلحقه بلفظ الرباعى والخماسى ؛ فهذا الذى نزيده على الفعل زائدٌ ، وإن كان الممثل به أصليا ؛ لأن الضرورة ألجأت إلى أن نزيد على الفعل ليلحق الممثَّلُ بالممثَّلِ به ؛ فدل على صحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم .

[٣٣٤] ١١٥ — مسألة

[وزن « سَيِّد ومَيِّت » ونحوها][١]

ذهب الكوفيون إلى أن وزن « سَيِّدٍ ، وَهَيِّنٍ ، وَمَيِّتٍ » فى الأصل على فَعِيلٍ ، نحو سَوِيد وَهَوِين وَمَوِيت .

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح ابن يعيش على المفصل (٦٦٣ و ١٤١٠ و ١٤٣٢) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤/٢٦٣) وكتاب سيبويه (٢/٣٧١) .

وذهب البصريون إلى أن وزنه فَيْعِلٌ ـ بكسر العين ـ وذهب قوم إلى أن وزنه فى الأصل على فَيْعَلٍ بفتح العين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن أصله فَعِيلٌ نحو : سَوِيد وهَوِين ومَوِيت لأن له نظيراً فى كلام العرب ، بخلاف فَيْعَل ؛ فإنه ليس له نظير فى كلامهم ، فلما كان هذا هو الأصل أرادوا أن يعلُّوا عين الفعل كما أعلت فى « سَادَ يَسُودُ » وفى « مَاتَ يَموتُ » فقدمت الياء الساكنة على الواو فانقلبت الواو ياء ؛ لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والسابقُ منهما ساكنٌ قلبوا الواو ياء وجعلوهما ياء مشددة .

ومنهم من قال : أصله سَوِيد وهَوِين ومَوِيت ، إلا أنهم لما أرادوا أن يعلوا الواو كما أعلوها فى « سَادَ وَمَاتَ » قلبوها ، فكان يلزمهم أن يقلبوها ألفاً ، ثم تسقط لسكونها وسكون الياء بعدها ، فكرهوا أن يلتبس فَعِيل بفَعْل ، فزادوا ياء على الياء ليكمل بناء الحرف ويقع الفرق بها بين فَعِيل وفَعْل ويخرج على هذا نحو سَوِيق وعَوِيل ، وأنه إنما صح لأنه غيْرُ جارٍ على الفعل .

وأما البصريون فقالوا : إنما قلنا إن وزنه فَيْعَل ؛ لأن الظاهر من بنائه هذا الوزن ، والتمسك بالظاهر واجب مهما أمكن .

والذى يدل على ذلك أن المعتل يختص بأبنية ليست للصحيح ؛ فمنها فُعَلَة فى جمع فاعل نحو قاض وقُضَاة ، ومنها فَيْعَلُولة نحو كَيْنُونة وقَيْدُدَوة ، والأصلُ كَيَّنونة وقَيَّدُودة .

والذى يدلُّ على ذلك أن الشاعر يردُّه إلى الأصل فى حالة الاضطرار ، قال الشاعر :

٤٩٢ — قَدْ فَارَقَتْ قَرِينَهَا الْقَرِينَهْ وَشَحَطَتْ عَنْ دَارِهَا الظَّعِينَهْ
يَا لَيتَنَا قَدْ ضَمَّنا سَفِينَهْ حَتَّى يَعُودَ الْوَصْلُ كَيَّنُونَهْ

---

٤٩٢ — هذه أربعة أبيات من الرجز المشطور ، وقد أنشدها ابن منظور (كون) وقال قبل إنشادها « قال أبو العباس : أنشدنى النهشلى » اه . وشحطت : بعدت ، والظعينة : أصلها المرأة ما دامت فى الهودج ، ثم جرد من بعض معناه فصار يطلق على المرأة مطلقا ، وقوله « ياليتنا قد ضمنا » الذى فى اللسان « ياليت أنا ضمنا » ومحل الاستشهاد من هذه الأبيات قوله « كينونه » فإن البصريين ذهبوا إلى أن الأصل فى هذه الكلمة هو ما ورد فى هذه الأبيات بفتح الكاف وتشديد الياء مفتوحة ـ وأن الأصل الأصيل فى هذه الكلمة كيونونة — بفتح الكاف وسكون الياء وفتح الواو فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما وهى الياء بالسكون فقلبت الواو ياء ، ثم أدغمت الياء فى الياء ، وذلك لأنها أحد مصادر كان يكون كونا ، ونظير ذلك هيعوهة وديمومة وقيدودة ، لأنها من هاع يهوع هواعا — بضم ففتح — وهيعوعة ، أى قاء ، ومن دام يدوم دواما — بفتح الدال — وديمومة، ومن قاد الفرس يقوده قوداً ومقادة وقيدودة ، كل هذا أصله بياء ساكنة فواو مفتوحة ، بدليل الاشتقاق ، ثم قلبت واو الجميع ياء لما ذكرنا ، ثم أدغمت الياء فى الياء ، وهذا الوزن قليل فى واوى العين كثير فيما كانت عينه ياء ، نحو طار يطير طيرانا وطيرورة ، وحاد يحيد حيودا وحيدة وحيدودة ، كل هذا أصله بتشديد الياء مفتوحة ، ثم خففوه بحذف إحدى الياءين ، فصار بياء ساكنة ، وذلك نظير تخفيفهم سيدوميت وطيب وهين ، فإن الأصل فى هذه الألفاظ تشديد الياء كما فى قول الشاعر :

وإن بقوم سودوك لحاجة إلى سيد لو يظفرون بسيد

وكما فى قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وكما فى قول الراجز :

بنى إن الجود شىء هين المنطق الطيب والطعيم

ثم قد يجيئون بها مخففة بياء ساكنة كما فى قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت إنمـا الميت ميت الأحياء

وكما فى قول الآخر :

هينون لينون أيسار ذوو كرم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

قال ابن منظور : « وتقول : كان كونا ، وكينونة أيضا ، شبهوه بالحيدودة والطيرورة =

إلا أنهم خففوه كما خففوا رَيْحان ، وأصلة رَيِّحان ـ بالتشديد ـ على فَيْعَلَان ، وأصل رَيِّحان « رَيْوَحَان » فلما اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن قلبوا الواو [٣٣٥] ياء وجعلوها ياء مشدودة ، وكما خففوا سَيِّد وهَيِّن ومَيِّت ، إلا أن التخفيف فى نحو سيد وهين وميت جائز ، والتخفيف فى نحو كَيِّنُونة وقَيِّدُودة واجب ، وذلك لأن نهاية الاسم بالزيادة أن يكون على سبعة أحرف وهو مع الياء على سبعة أحرف ، فخففوه كما خففوا اشهيباب ، فقالوا : اشهباب .

وإذا جاز الحذف فيما قَلَّت حروفُه نحو سَيِّد وهَيِّن ومَيِّت لزم الحذف فيما كثرت حروفه نحو كَيِّنونة وقيِّدودة . وإذا جاز أن يختص المعتل بأبنية ليست للصحيح كان حمل سَيِّد وهَيِّن ومَيِّت على الظاهر أولى من العدول عنه إلى غيره .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إن الأصل أن يقال فى جمع قاض : قُضَّى . كما يقال : غازٍ وغُزَّى ، فاستثقلوا التشديد على غير الفعل ، فحذفوا ، وعوَّضوا من حذف المحذوف هاء ، كما قالوا : عِدَة ، فعوضوا من الواو المحذوفة هاء ، وأما كَيْنُونة وقَيْدُودة فالأصل كُونونة وقُودودة على فُعْلُولة نحو بُهْلُول وصُنْدُوق . إلا أنهم فتحوا أوله لأن أكثر ما يجىء من هذه المصادر مصادر ذوات الياء ، كقولهم طار طَيْرورَةً وصار صَيْرورة وسار سَيْرورة وحاد حَيْدودة ، ففتحوه حتى

=من ذوات الياء ، ولم يجىء من الواو على هذا إلا أحرف : كينونة، وهيعوعة ، وديمومة وقيدودة ، وأصله كينونة — بتشديد الياء — فحذفوا كما حذفوا من هين وميت » اهـ ثم قال بعد كلام غير ظاهر : « قال ابن برى : أصله كيونونة، ووزنها فيعلوله ، ثم قلبت الواو ياء فصار كينونة ، ثم حذفت الياء تخفيفاً فصار كينونة ، وقد جاءت بالتشديد على الأصل ، قال أبو العباس : أنشدنى النهشلى ، ثم أنشد أربعة الأبيات ، قال : والحيدودة أصل وزنها فيعلولة وهو حيودودة ، ثم فعل بها ما فعل بكينونة » اهـ ، وفى الذى ذكره عن ابن برى فى وزن حيدودة نظر .

تسلم الياء[1] ؛ لأن الباب للياء ، ثم حملوا ذوات الواو على ذوات الياء ؛ لأنها جاءت على بنائها ، وليس للواو فيه حظ ؛ لقربهما فى المخرج واشتراكهما فى اللين ، فقلبوا الواو ياء فى نحو كَيَّنُونة وقَيَّدُوده . كما قالوا الشِّكَاية وهى من ذات الواو لقولهم : شكوت أشكو شكواً ؛ لأنها جاءت على مصادر الياء نحو الدِّرَاية والرِّوَاية والسِّعَاية والرِّمَاية فكذلك ها هنا » لأنا نقول : أما قولكم « إن الأصل أن يقال فى جمع قاض قُضًّى كما يقال غازٍ وغُزًّى » قلنا : هذا عدول عن الظاهر من غير دليل ، ثم لو كان أصله قُضًّى كغاز وغُزًّى لكان ينبغى أن لا يلزمه الحذف لقلة حروفه ، وأن يجوز أن يؤتى به على أصله ؛ فكان يقال فيه : قضًّى وقُضَاة كما قالوا : غُزًّى، وغُزَاة ؛ لأن فُعَّلاً ليس بمهجور فى أبنيتهم ، وهو كثير فى كلامهم ، فلما لزم الحذف ولم يلزم فى نظيره مع قلة حروفه دل على أن ما ذكرتموه مجرد دعوى لا يستند إلى معنى .

وأما قولهم « إن كينونة فُعْلُولة » قلنا : هذا باطل ؛ لأنه لو كان الأمر كما زعمتم لكان يجب أن يقال « كُونُونة وقُودُودة » ؛ لأنه لم يوجد ها هنا ما [٣٣٦] يوجب قلب الواو ياء ، وقولهم « إنهم غَلَّبُوا الياء على الواو ؛ لأن الباب للياء » فليس بصحيح ؛ لأن المصادر على هذا الوزن قليلة ، وما جاء منها من ذوات الواو نحو ما جاء منها من ذوات الياء ، كقولك : كينونة ، وقيدودة ، وحيلولة، وديمومة ، وسيدودة ، وهيعوعة ــ من الهُوَاع وهو القيء ــ فليس جَعْلُ الباب لذوات الياء أولى من جعله لذوات الواو ؛ فحمل أحدهما على الآخر لا وجه له .

والذى يدلُّ على صحة ما صرنا إليه أن فَيْعَلُولا بناء يكون فى الأسماء والصفات ، نحو : خَيْتَعور ، وعَيْطَموس ، وفَعْلُول لا يكون فى شيء من الكلام ، ولم يأت إلا فى قولهم « صَعْفُوقُ » قال الراجز :

(١) إذ لو بقيت الضمة لوجب قلب الياء واوا ؛ لسكونها بعد ضمة كما قلبوها فى موسر اسم الفاعل من أيسر

٤٩٣ — مِنْ آلِ صَعْفُوقٍ وَأَتْبَاعٍ أُخَرْ   الطَّامِعِينَ لاَ يُبَالُونَ الغُمَرْ

٤٩٣ — هذان بيتان من مشطور الرجز ، من رجز للعجاج بن رؤبة يمدح فيه عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان قد ولى حرب الخوارج الذين كان يقودهم أبو فديك فى عهد عبد الملك بن مروان فنال منهم ، وقد أنشده الجاربردى والرضى فى شرح الشافية ، وشرحه البغدادى (ص ٤ بتحقيقنا) والجوهرى فى الصحاح ، وابن منظور فى اللسان (صع ف ق) وقد روى البغدادى مما يتصل بالشاهد :

فهو ذا ؛ فقد رجا الناس الغير   من أمرهم على يديك والثؤر
من آل صعفوق وأتباع أخر   الطامعين لا يبالون الغمر

وقوله « فهو ذا » أى الأمر هو هذا الذى ذكرته ، و « الغير » معناه أن الناس قد رجوا وأملوا أن يتغير أمرهم ويتحول حالهم على يديك من فساد وفوضى إلى صلاح ونظام ، وذلك بنظرك فى أمرهم وتدبير حالهم ودفع غوائل الخوارج عنهم ورم ما أفسدوه ورتق ما فتقوه ، والثؤر — بضم الثاء وفتح الهمزة — جمع ثؤرة ، وهى الثأر ، وآل صعفوق : أصلهم خول — أى خدم وأتباع — باليمامة ، وقال ابن الأعرابى : هم قوم من بقايا الأمم الخالية باليمامة ضلت أنسابهم ، وقيل : هم الذين يشهدون الأسواق ولا بضائع لهم فيشترون ويبيعون ويأخذون الأرباح ، وعلى كل حال فإن العجاج يريد فى هذا الموضع أرذال الناس وضعا فهم الذين لا قديم لهم يردعهم عن إتيان المنكرات . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « صعفوق » فقد رواه نقلة اللغة بفتح الصاد وسكون العين وضم الفاء ، وقالوا : إن وزنه فعلول ، وإنه لم يجىء فى كلام العرب على وزن فعلول غير هذه الكلمة ، وقوم ينكرون هذا الوزن بتة ، ومن هؤلاء المنكرين من رووه بضم الفاء ومنهم من قال : هذا لفظ أعجمى ، قال الجوهرى « بنو صعفوق : خول باليمامة ، قال العجاج :

من آل صعفوق وأتباع آخر   من طامعين لا يبالون الغمر

وهو اسم أعجمى ، لا ينصرف للعجمة والمعرفة ، ولم يجىء على فعلول شىء غيره ، وأما الخرنوب فإن الفصحاء يضمونه أو يشددونه مع حذف النون ، وإنما يفتحه العامة » اهـ . وقال الأزهرى « كل ما جاء على فعلول فهو مضموم الأول مثل زنبور وبهلول وعمروس وما أشبه ذلك ، إلا حرفا جاء نادرا وهو بنو صعفوق لخول باليمامة ، وبعضهم يقول صعفوق بالضم » وقال ابن برى « رأيت بخط أبى سهل الهروى على حاشية كتاب =

وهم خَوَلٌ باليمامة ، ولا ينصرف للتعريف والعجمة ؛ فما صرنا إليه له نظير فى الأسماء والصفات ، وما صاروا إليه لا نظير له فى شىء من كلام ، ثم ألزموا – مع حمله على شىء لا نظير له فى كلامهم – قَلْباً لا نظير له فى أقيسة كلامهم .

وأما من قال « إن أصله فَيْعَلَ – بفتح العين – » فاحتجَّ بأنه وجد فَيْعَلاً بفتح العين له نَظِيرٌ فى كلامهم ، ولم يجدوا فَيْعِلاً بكسر العين فجعله فيعلا بفتح العين ثم كسر الياء كما قالوا فى بَصْرِىّ : بِصْرِىّ ، وكما قالوا فى أُمَوِى : أَمَوِى ، وكما قالوا « أختٌ » والأصل فيها الفتح ، لأن أصلها أَخَوَة ، وكما قالوا « دُهْرِى » بالضم للرجل المسن الذى قد أتى عليه الدَّهْر ، والقياس الفتح ، وقد جاء فى بعض هذا المعتل فَيْعَل ، قال الشاعر :

٤٩٤ – * ماَ بَالُ عَيْنِى كالشَّعِيبِ الْعَيَّنِ *

= جاء على فعلول – بفتح الفاء – صعفوق ، وصعقول لضرب من الكمأة ، وبعكوكة الوادى لجانبه ، أما بعكوكة الوادى وبعكوكة الشر فذكرها السيرافى وغيره بالضم لا غير، أى بضم الباء ، وأما الصعقول لضرب من الكمأة فليس بمعروف ، ولو كان معروفا لذكره أبو حنيفة فى كتاب النبات » اهـ .

٤٩٤ – هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من أرجوزة لرؤبة بن العجاج (انظر أراجيز رؤبة ص ١٦٠) وقد استشهد به سيبويه (٢/٣٧٢) ورضى الدين فى شرح الشافية ، وشرحه البغدادى (ص ٦١ بتحقيقنا) والجوهرى فى الصحاح وابن منظور (ع ى ن) وابن جنى فى الخصائص (٢/٤٨٥ و ٣/٢١٤) وبعد بيت الشاهد قوله :

وبعض أعراض الشجون الشجن   دار كرقم الكاتب المرقن

* بين نقا الللق وبين الأجون *

وقوله « ما بال عينى » أى ما حالها وما شأنها ، والشعيب – بفتح الشين وكسر العين – المزادة الصغيرة، والعين – بفتح العين وتشديد الياء مفتوحة – المتخرقة التى فيها عيون فهى لا تمسك الماء ، ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « العين » وللعلماء فى هذه الكلمة مذهبان ، الاول – وهو رأى سيبويه وأتباعه – وخلاصته أن هذه الكلمة على وزن فيعل – بفتح الفاء وسكون الياء وفتح العين – وأنه من معتل العين =

فدل على أنه فَيْعَل بفتح العين ، والشَّعِيب : المَزَادة الضخمة ، والعَيَّن : المتعينة ، وهى التى يصب فيها الماء فيخرج من عيونها : أى خُرَزها ، فينفتح السير فينسد موضع الخرز ، ومنه يقال « عَيِّنْ قِرْبَتَكَ » أى صُبَّ فيها الماء حتى ينسد آثار الخَرْزِ .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن وزنه فَعِيل إلا أنهم أعَلُّوا عين الفعل وقدموا وأخروا وقلبوا » قلنا : هذا باطل ؛ لأن هذا التقديم والتأخير لا نظير له فى الصحيح ، لأن ياء فَعِيلٍ لا تتقدم على عينه فى شىء من [٣٣٨] الصحيح ، وإذا جاز أن يختص المعتل من التقديم والتأخير بما لا يوجد مثله فى الصحيح جاز أن يختص ببناء لا يوجد مثله فى الصحيح .

وأما قولهم « إنا حذفنا الألف وعوضنا الياء مكانها لئلا يلتبس فعيل بفَعْل » قلنا : وهذا أيضاً باطل ؛ لأنه لو كان الأمر على ما زعمتم لكان ينبغى أن لا يجوز

= وزيدت عليه ياء بين الفاء والعين، وقالوا : إن هذا الوزن جاء كثيراً فى صحيح العين نحو حيدر وصيرف وجيأل ، ولم يأت منه فى معتل العين سوى هذه الكلمة ، وذلك لأنهم خصوا المعتل بوزن فيعل — بكسر العين — نحو سيد وهين ولين وصيب وبيع؛ فتكون هذه الكلمة خارجة عن نظرائها وأمثالها ، وكان القياس فيها أن تكون بتشديد الياء مكسورة لا مفتوحة ، قال الأعلم « الشاهد فيه بناء العين على فيعل بالفتح ، وهو شاذ فى المعتل ، لم يسمع إلا فى هذه الكلمة ، وكان قياسها أن تكسر العين فيقال عين كما قيل سيد وهين ولين ونحو ذلك ، وهو بناء يختص به المعتل ولا يكون فى الصحيح كما يختص الصحيح بفيعل مفتوحة العين نحو صيرف وحيدر ، وهو كثير » اهـ ، والرأى الثانى ما ذهب إليه ابن جنى ، وذلك فى قوله « وكذلك ما أنشده من قول رؤبة *مابال عينى كالشعيب العين* حملوه على فيعل مما اعتلت عينه، وهو شاذ ، وأوفق من هذا عندى أن يكون فوعلا أو فعولا حتى لا يرتكب شذوذه ، وكأن الذى سوغهم هذا ظاهر الأمر وأنه قد روى العين بكسر العين » اهـ .

فيه التخفيف فيقال : سَيْدومَيْت وهَيْنٌ ؛ لأنه يؤدى إلى الالتباس ، فلما جاز ذلك فيه بالإجماع دل على فساد ما ذهبتم إليه .

وأما قول من قال « إن أصله فَيْعَل بفتح العين إلا أنه كسر العين كما كسر الباء فى بِصْرِىّ » قلنا : هذا باطل ، وذلك لأنه لو كان فَيْعَلاً لكان ينبغى أن يقال سَيَّد وهَيَّن ومَيَّت — بالفتح — ولم يغير إلى الكسر ، كما قالوا : عَيَّن وتَيَّحان ، وهَيَّبان — بفتح العين — والتَّيَّحَان : هو الذى يعترض فى كل شىء ، والهَيَّبَان : الذى يهاب كل شىء ، فلما كسر دَلَّ على فساد ما ذهبتم إليه .

وأما قولهم فى النسب إلى البصرة بِصْرِى — بكسر الباء — وكذلك جميع ما استشهدوا به فعلى خلاف القياس ؛ فلا يقاس عليه ؛ على أنهم قد قالوا : إنما كسرت الباء لأن البصرة فى الأصل الحجارة الرخوة ، فإذا حذفت التاء كسرت الباء فقيل بِصْر ، فلما نسبت إلى البصرة حذفت تاء التأنيث لياء النسب فكسرت الباء لحذف التاء ، فلذلك قيل : بِصْرِىّ ، بكسر الباء .

وقولهم « إنه لم يوجد فَيْعِل فى كلامهم » قلنا : قد بينا أن المعتل يختص بأبنية ليست للصحيح ؛ فلا حاجة إلى أن تجعل فَيْعَلا مثل عيّن مع شذوذه وندوره فى بابه ، وقد وجدنا سبيلا إلى أن تجعل فَيْعِلا على لفظه ، ولو جاز أن يعتد بقولهم عَيَّن — بفتح العين — مع شذوذه وندوره لجاز أن يعتد بما حكى الأصمعى ، قال : حدثنى بعضُ أصحابنا قال : سمعتهم يقولون جاءت الصَّيْقِل — بكسر القاف — وإذا امرأة كأن وجهها سيف ، فلما رأتنا أرْخَتِ الْبُرْقُعَ فقلت : يرحمك الله ! إنا سَفْر ، وفينا أجْرٌ ، فلو منحتنا من وجهك ، فانصاعت فتضاحكت ، وهى تقول :

٤٩٥ — وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً
لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِى لاَ كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ
عَلَيْهِ ، وَلاَ عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

[٣٣٨] فَصَيْقِل — بكسر العين — فى الشذوذ فى الصحيح بمنزلة عَيِّن فى المعتل ، وكما لا يُعتَدّ به فى الصَّيْقِل لشذوذه فكذلك فى عَيِّنٍ ، والله أعلم .

* * *

٤٩٥ — هذان البيتان قد أنشدهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٤/٢٢) مع نفس القصة التى حكاها المؤلف ههنا ، ولم يعز البيتين إلى قائل معين ، ولم ينشد المؤلف البيتين للاستشهاد بهما على قاعدة من قواعد النحو ولا لبيان معنى كلمة غريبة ، ولكنه أتى بهما لأنهما وردا فى القصة التى يحكيها وفيها أن الصيقل سمع من بعض العرب بكسر القاف ، وفى ذكر قصة الفتاة وإنشاد البيتين إشارة من الأصمعى إلى أنه متثبت من رواية الصيقل بكسر القاف ، ووجه هذه الإشارة أنه يذكر الظروف والملابسات التى أحاطت به وتقول : صقل السيف وغيره يصقله صقلا — مثل نصره ينصره نصرا — وصقالا ، فهو مصقول وصقيل — تريد جلاه ، والصاقل : الذى يجلوه ويشحذه ، وجمعه صقلة على مثال فاجر وفجرة وكافر وكفرة ، ويقال لشحاذ السيوف وجلائها : صيقل — بفتح الصاد وسكون الياء وفتح القاف — وجمعه صياقل وصياقلة ، وقد حكى الأصمعى فى هذه القصة أنه سمع من بعض أصحابه أن قوما من العرب يقولون صيقل بكسر القاف ، وهو شاذ ؛ لأن هذا الوزن لم يجىء فى صحيح العين كما سمعت فى شرح الشاهد ٤٩٤ وإنما يجىء كسر العين فى معتل العين ، والخلاصة أن العرب قد خصت معتل العين المزيد فيه بعد الفاء بالمجىء على زنة فيعل بكسر العين كسيد وميت وهين وبين ولين وصيت وخصت صحيح العين بالمجىء على وزن فيعل بفتح العين نحو صيرف وحيدر وجيأل وبيطر وصيقل ونيرب بمعنى الشر والنميمة ، وهذا هو الأصل الذى جرى عليه كلامهم ، ولكنهم ربما جاءوا بالكلمة من المعتل على الوزن الذى خصوا به الصحيح مثل كلمة « العين » التى وردت فى الشاهد ٤٩٤ وقد بينا لك أمرها هناك ، وربما جاءوا بكلمة من الصحيح على الوزن الذى خصوا به المعتل مثل كلمة الصيقل التى حكاها الأصمعى فى هذه القصة ، وهذا وذاك شاذان ، فاعرف ذلك .

١١٦ — مسألة

[وزن « خَطَايَا » ونحوه][١]

ذهب الكوفيون إلى أن « خَطَايَا » جمع خطيئة على وزن فعَالَى ، وإليه ذهب الخليلُ بن أحْمَدَ .

وذهب البصريون إلى أن « خَطَايَا » على وزن فَعَائِلَ .

أما الكوفيُّون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن وزنه فَعَالَى ، وذلك لأن الأصل أن يقال فى جمع خطيئة « خطايِء » مثل خطايع ، إلا أنه قُدِّمَتِ الهمزة على الياء ؛ لئلا يؤدى إلى إبدال الياء همزة كما تبدل فى صحيفة وصحائف وكتيبة وكتائب لوقوعها قبل الطرف بحرف ؛ لأنهم يجرون ما قبل الطرف بحرف من هذا النوع مجرى الطرف فى الإبدال ، وهم يبدلون من الياء إذا وقعت طرفاً وقبلها ألفٌ زائدةٌ همزةً ، فلو لم تقدم الهمزة على الياء فى خطايِء لكان يؤدى إلى اجتماع همزتين ، وذلك مرفوض فى كلامهم ، ولم يأت فى كلامهم الجمع بين همزتين فى كلمة إلا فى قول الشاعر :

فَإِنَّكَ لا تَدْرِى مَتَى المَوْتُ جائِئٌ
وَلَكِنَّ أَقْصَى مُدَّةِ المَوْتِ عَاجِلُ [٤٤٩]

ولهذا قال الخليل بن أحمد : جائِيَة مَقْلُوبة ، ووزنه فالعة ، فصارت خطائى مثل خطاعى ، ثم أبدلوا من الكسرة فتحة ومن الياء ألفاً ، فصارت خطاءا ، مثل خطاعا ، فحصلت همزة بين ألفين ، والألف قريبة من الهمزة ، فقلبوا

---

(١) انظر فى هذه المسألة : تصريح الشيخ خالد الأزهرى (٢ / ٤٦٣ وما بعدها) وشرح الأشمونى بحاشية الصبان (٤ / ٢٤٤ — ٢٤٦) وشرح رضى الدين على الشافية (١/٢٥ و ٣ / ٥٩ و ٦٢ و ١٨١ بتحقيقنا)

من الهمزة ياء فراراً من اجتماع الأمثال ، فصار خطايا على وزن فَعَالَى ، على ما بينا .

ومنهم من قال : إنه على فَعَالَى ؛ لأن خطيئة جمعت على ترك الهمز ؛ لأن ترك الهمز يكثر فيها ، فصارت بمنزلة فعيلة من ذوات الواو والياء ، وكل فَعِيلة من ذوات الواو والياء نحو وَصِيَّة وحَشِيَّة فإنه يجمع على فَعَالَى دون فعائل ؛ لأنه لو جمع على فعائل لا ختلَّ الكلام وقلَّ ، فجمعت على فَعَالَى ، فقالوا : وَصَايَا ، وحَشَايَا ، [٣٣٩] وجعلت الواو فى حَشَايَا على صورة واحدها ؛ لأن الواو صارت ياء فى حَشِيَّة ، فدل على أن خطايا على وزن فَعَالَى على ما بينا .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن وزنه فعائل ، وذلك لأن خطايا جمع خطيئة ؛ وخطيئة على وزن فعيلة ، وفعيلة يجمع على فعائل ؛ والأصل فيه أن يقال « خطايىء » مثل خطايع ؛ ثم أبدلوا من الياء همزة ؛ كما أبدلوها فى صحيفة وصحائف ؛ فصار خَطَائِىء مثل خطاعع ؛ وقد حكى أبو الحسن على بن حمزة الكسائى عن بعض العرب أنه قال : اللهم اغفر لى خطائئيه ؛ مثل خطاععيه ؛ فاجتمع فيه همزتان ، فقلبت الهمزة الثانية ياء لكسرة قبلها ، فصار خطائى مثل خطاعى ، ثم أبدلوا من الكسرة فتحة ومن الياء ألفاً فصار خطاءا مثل خطاعا ، فاستثقلوا الهمزة بين ألفين فأبدلوا منها ياء فصار خَطَايَا .

وكأنَّ الذى رَغَّبهم فى إبدال الفتحة من الكسرة والعَوْد من خطائَىَ إلى خطاءا أن يقلبوا الهمزة ياء فيعودوا بالكلمة إلى أصلها ؛ لأن الهمزة الأولى من خطائىء منقلبة عن الياء فى خطيئة ، ولا يلزمنا على ذلك أن يقال فى جائى « جايا » لأن الهمزة فى جاء منقلبة عن عين الفعل ، والهمزة فى خطايا منقلبة عن ياء زائدة فى خطيئة ، ففضلوا الأصلىَّ على الزائد ؛ فلم يلحقوه من التغيير ما ألحقوا الزائد .

وكذلك أيضاً قالوا فى جمع هِراوة « هَرَاوَى » وإداوة « أدَاوَى » وكان الأصل هَرَائو وأدائو مثل هَراعِو وأداعِو على مثل فعائل كرسالة ورسائل ؛ لأنهم أبدلوا من ألف هِراوة وإداوة همزة كما أبدلوا فى رسائل من ألف رسالة همزة ، ثم أبدلوا من الواو فى هرائو وأدائو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، فصار هرائى وأدائى مثل هراعِى وأداعِى ، ثم أبدلوا من الكسرة فتحة ومن الياء ألفاً فصار هراءا وأداءا مثل هَراعا وأداعا ، فاستثقلوا الهمزة بين ألفين ، فأبدلوا من الهمزة واوا ليظهر فى الجمع مثلُ ما كان فى الواحد طلبا للتشاكل ؛ وذلك لأن الجمع فَرْعٌ على الواحد ؛ فلا بأس بأن يطلب مشاكلته له .

والذى يدل على أنهم فعلوا ذلك طلباً للمشاكلة أن ما لا يكون فى واحده واو لا يجىء فيه ذلك ، فدل على ما قلناه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الأصل أن يقال فى جمع خطيئة خطايىء مثل [٣٤٠] خطايع وإنما قدمت الهمزة على الياء » قلنا : ولِمَ قلتم بالتقديم وهو على خلاف الأصل والقياس ؟

قولهم « لئلا يؤدى ذلك إلى اجتماع همزتين ، وهو مرفوض » قلنا : ولِمَ قلتم إنه موجود ها هنا ؟ وهذا لأن الهمزة الثانية يجب قلبها ياء لانكسار ما قبلها ، فالكسرة توجب قلبَ الهمزة إلى الياء ، كما توجب الفتحة قلبها إلى الألف فى نحو آدم وآخر ، فلم يجتمع فيه همزتان ، وإذا كان جمله على الأصل يؤدى إلى أن يجتمع فيه همزتان يزول اجتماعهما على القياس كان حمله عليه أولى من حمله على القلب بالتقديم والتأخير على خلاف القياس الذى هو الفرع .

وأما « جائية » فلا نسلم أنها مقلوبة ، وأن وزنه فَالِعَة ، وإنما هو على أصله ، ووزنه فاعلة من جاءت فهى جائية ، وأصلها جايئة مثل جايعة ، فأبدلوا

من الياء همزة فصار جائئة مثل جاععة ، فأبدلوا من الهمزة الثانية ياء لا نـكسار ما قبلها .

وأما الخليل فإنما قَدَّرَ فيه القلبَ لئلا يجمع فيه بين إعلالين ؛ لأنه إذا قدم اللام التى هى الهمزة إلى موضع العين الذى هى الياء وأخّر العين التى هى الياء إلى موضع اللام التى هى الهمزة لم يجب قلبُ الياء همزةً فلا يكون فيه إلا إعلال واحد ، و إذا أتى بالـكلمة على أصلها من غير قلب جمع فيه بين إعلالين ، وهما : قلب العين التى هى ياء همزة ، وقلب اللام التى هى همزة ياء ، وهذا التقدير غير كافٍ فى تقدير القلب ؛ لأن الهمزة حرف صحيح ؛ فإعلالها لا يعتدُّ به .

والذى يدل على ذلك أن الهمزة تصح حيث لا يصح حرفُ العلة ، ألا ترى أن حرف العلة إذا تحركـ وانفتح ما قبله وجب إعلاله نحو عَصَوٌ ورَحَىٌ ، والهمزة إذا تحركت وانفتح ما قبلها لا يجب إعلالها نحو كَلأ ورَشَأ ، و إذا كانت الهمزة كذلك كان قلبها بمنزلة إبدال الحروف الصحيحة بعضها من بعض ، كقولهم فى أصيلان «أُصَيْلاَل» فلا يعتد به ، و إنما يعتد بإعلال حرفِ العلة ، لأنه(١) الأصل فى الإعلال ، و إذا كان قلب الهمزة غير معتد به لم يكن ها هنا إجراؤه على الأصل يؤدى إلى الجمع بين إعلالين .

وأما قولهم « إنما جمعت على تركـ الهمز » قلنا : هذا باطل ؛ لأن تركـ الهمز خلافُ الأصلِ ، والأصل أن يجمع على الأصل ، خصوصاً مع أنه الأكثر فى الاستعمال .

وقولهم « إنه يكثر [٣٤١] الهمزة فيها فصارت بمنزلة فَعيلة من ذوات الواو والياء وهى تجمع على فَعَالَى » قلنا : لا نسلم ، بل الأصل أن يقال فى جمع فعيلة « فعائل »

(١) فى ر « إلا أنه الأصل » تحريف .

إلا أنه يجب قلب الياء همزةً لوقوعها قبل الطرف بحرف؛ لأنهم يُجرون ماقبل الطرف بحرفٍ من هذا النوع مُجْرَى الطرفِ فى الإبدال ، وهم يُبدلون من الياء إذا وقعت طرفاً وقبلها ألف زائدة همزةً ، فعلى هذا يكون الأصل فى جمع نحو حَشِيَّة حشائِىَ على فعائل على لفظ الْمُضِيفِ إلى نفسه الْحَشَا إذا مَدَّ، ثم أبدلوا من الكسرة فتحة ، ومن الياء ألفاً فصار حشاءا ، فاستثقلوا الهمزة بين ألفين فقلبوا الهمزةَ ياء على ما بينا فى خَطَايَا ، والله أعلم .

١١٧ — مسألة

[وزن « إنسان » وأصل اشتقاقِهِ](١)

ذهب الكوفيون إلى أن « إنْسَان » وزنه إفْعَان ، وذهب البصريون إلى أن وزنه فِعْلَان ، وإليه ذهب بعضُ الكوفيين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل فى إنْسَان إنْسِيَان على إفْعِلَان من النِّسْيان ، إلا أنه لما كثر فى كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا منه الياء — التى هى اللام — لكثرته فى استعمالهم ، والحذفُ لكثرة الاستعمال كثيرٌ فى كلامهم ، كقولهم « أيْشٍ » فى أى شىء ، و « عِمْ صَبَاحاً » فى انْعِمْ صَبَاحاً ، و « وَيْلُمِّهِ » فى وَيْلَ أُمِّهِ ، قال الهذلى :

٤٩٦ — وَيْلُمِّهِ رَجُلاً تأبَى بِهِ غَبَناً إذَا تَجَرَّدَ ، لاخَالٌ ، وَلاَ بَخَلُ

(١) انظر فى هذه المسألة : صحاح الجوهرى ولسان العرب ومفردات غريب القرآن للراغب الأصبهانى (أ ن س — ن و س — ن س ى) .

٤٩٦ — هذا هو البيت الخامس من قصيدة للمتنخل الهذلى (ديوان الهذليين ٢/٣٣ — ٣٧) ومطلعها قوله : =

وقال الآخر :

٤٩٧ — وَيْلُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ إِذَا أُلْقِيَ فِيهَا وَعَلَيْهِ الشَّلِيلْ

= ما بال عينك تبكى دمعها خضل كما وهى سرب الأخرات منبزل ؟

السرب ـ بفتح السين وكسر الراء ـ السائل ، يكون ثمة وهى فينسرب الماء منه ، والأخرات : جمع خرت ـ بفتح فسكون وآخره تاء ـ وهو الثقب ، ويروى « الأخراب » بباء موحدة ـ وهو جمع خربة ، وهى العروة ، وويل أمه رجلا : كلة يتعجب بها ، ولا يراد بها الدعاء ، والخال : المخيلة ، أى الخيلاء ، والبخل ـ بفتح الباء والخاء هنا ـ مثل البخل بضم فسكون . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ويلمه » فإن أصل هذه الكلمة « ويل أمه » بهمزة قطع من أصول الكلمة ، والأصل أن تتوفر حروف الكلمة بحيث لا يحذف شىء إلا لعلة تقتضى هذا الحذف ، لكنهم لما كثر استعمالهم لهذه الكلمة وترددت على ألسنتهم كثيرا التمسوا فيها التخفيف فحذفوا الهمزة بقصد التخفيف فيما يكثر استعماله ، وهذا خلاف الأصل والقياس الذى أشرنا إليه . ولذلك لا يجوز أن نقيس على هذه العبارة عبارة أخرى مماثلة لها مثل « ويل أبيه » أو « ويل أخته » لأن من شأن الخارج عن القياس أن يقتصر عليه ولا يقاس عليه غيره .

والخطيب التبريزى يرى أن أصل «ويلمه» ويل لأمه فالمصدر مبتدأ ، والجار والمجرور بعده خبر ، وقد حذف شيآن : اللام من ويل ، والهمزة من أم ، قال « لفظة ويل إذا أضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب ، فتقول « ويل زيد » والمعنى ألزم الله زيداً الويل ، فإذا أضيفت باللام فقيل « ويل لزيد » فحكمه أن يرفع فيصير مابعده جملة ابتدىء بها ، وهى نكرة ، لأن معنى الدعاء منه مفهوم ، والمعنى الويل ثابت لزيد ، كأنه عده محصلا ، كما يقال : رحمه الله زيداً ، فتجعل رحمه الله خبراً ، وإذا كان حكم ويل هذا وقد ارتفع فى قوله *ويلم لذات الشباب* فحذف من أم الهمزة ، واللام من ويل ، وقد ألقى حركة الهمزة على اللام الجارة فصار ويلم — بضم اللام — وقد قيل : ويلم — بكسر اللام — كما قيل : الحمد لله ، والحمد لله — الأولى بضم الدال وضم اللام إتباعا لها ، والثانية بكسر الدال إتباعا لكسرة لام الجر بعدها — وقصده إلى مدح الشباب وحمد لذاته ، وانتصب معيشة على التمييز » اه ، وهو يتحدث عن بيت الحماسة الذى سنأثره لك مع شرح الشاهد الآتى ٤٩٧

٤٩٧ — أصل المسعر — بزنة المنبر — والمسعار : ما أججت به النار ، أو ماتحرك به النار من حديد أو خشب ، وقالوا : فلان مسعر حرب ، إذا كان يؤرثها ، وفى =

والذى يدل على أن « إنْسَان » مأخوذٌ من النِّسْيان أنهم قالوا فى تصـــــغيره « أُنَيْسِيان » فردُّوا الياء فى حال التصغير ؛ لأن الاسم لا يكثر استعمالُه مصغراً كثرَةَ استعمالِهِ مُـكَبَّراً ، والتصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها ، فدلَّ على ما قلناه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن وزنه فِعْلَان لأن «إنسان» مأخوذ من الإنس ، وسمى الإنس إنساً لظهورهم ، كما سمى الجِنُّ جناً [٣٤٢] لاجتنانهم أى استتارهم ، ويقال « آنَسْتُ الشىء » إذا أبصرته ، قال الله تعالى : (آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً) أى : أبْصَرَ ، وكما أن الهمزة فى الإنس أصلية ولا ألف ونونْ فيه موجودتان ؛ فكذلك الهمزة أصلية فى إنسان ، ويجوز أن يكون سمى الإنس

= حديث أبى بصير « ويلمه مسعر حرب لو كان له أصحاب » يصفه بالمبالغة فى الحرب والنجدة ، ومنه حديث خيفان « وأما هذا الحى من همدان فأنجاد بسل ، مساعير غير عزل » والشليل — بفتح الشين — الغلالة التى تلبس فوق الدرع ، وقيل : هى الدرع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة ، وقيل : ما يجعل تحت الدرع من ثوب أو غيره ، وقيل: هى الدرع ما كانت ، وجمعها أشلة ، قال أوس بن حجر :

وجئنا بها شهباء ذات أشلة لها عارض فيه المنية تلمع

وقد اشتقوا من الشليل فعلا فقالوا : شل الدرع يشلها — من مثال مد الحبل يمده — إذا لبسها . ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « ويلمه » والكلام فيه كالكلام فى نظيره من البيت السابق .

ومثل هذا البيت والذى قبله قول ذى الرمة، وهو من شواهد الرضى فى باب التميز:

ويلمها روحة والريح معصفة والغيث مرتجز ، والليل مقترب

ومثل ذلك قول علقمة بن عبدة ، وهو من شعر الحماسة (التبريزى ٣/١٨٦ بتحقيقنا) ومن شواهد الرضى فى باب التميز :

ويلم أيام الشباب معيـــشة مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندى

ومثل ذلك قول امرئ القيس يصف عقابا ، وهو من شواهد سيبويه (١/٣٥٣) :

ويلمها فى هواء الجو طالبــة ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

ومثل ذلك قول الهذلى ، وأنشده فى اللسان (ب ز ز) وفى الاساس (ع ر ز) :

فويلم بزجر شعل على الحصى ووقر بز ما هنالك ضائع

البز : السلاح ، وشعل : لقب تأبط شرا ، ووقر : صدع وفلل .

إنساً لأن هذا الجنس يُسْتَأنس به ويوجد فيه من الأنس وعدم الاستيحاش ما لا يوجد فى غيره من سائر الحيوان ، وعلى كلا الوجهين فالألف والنون فيه زائدتان ؛ فلهذا قلنا إن وزنه فِعْلاَن .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الأصل فى إنسان إنْسِيَانٌ ، إلا أنهم لما كثر فى كلامهم حَذَفُوا منه الياء لكثرة الاستعمال ، كقولهم أيش فى أى شىء وعم صباحاً فى انعم صباحاً وويلمه فى ويل أمه » قلنا : هذا باطل ؛ لأنه لو كان الأمر كما زعمتم لكان يجوز أن يؤتى به على الأصل ، كما يجوز أن تقول : أىُّ شىء ، وانْعَمْ صباحاً ، وويل أمه ـ على الأصل ؛ فلما لم يأت ذلك فى شىء من كلامهم فى حالة اختيارٍ ولا ضرورةٍ دل على بطلان ما ذهبتم إليه .

وأما قولهم « إنهم قالوا فى تصغيره أُنَيْسِيَان » قلنا : إنما زيدت هذه الياء فى أنيسيان على خلاف القياس ، كما زيدت فى قولهم « لُيَيْلية » فى تصغير ليلة ، و « عُشَيْشية » فى تصغير عَشِيَّة ، وكقولهم على خلاف القياس « مُغَيْربان » فى تصغير مَغْرِب ، و « رُوَيجل » فى تصغير رَجُل ، إلى غير ذلك مما جاء على خلاف القياس ؛ فلا يكون فيه حجة ، والله أعلم .

١١٨ ـ مسألة

[وزن أشياء][1]

ذهب الكوفيون إلى أن « أشْياء » وزنه أفْعاء ، والأصْلُ أفْعِلاَء ، وإليه

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح رضى الدين على الشافية (١/٢٨ ـ ٣١ بتحقيقنا) ولسان العرب وصحاح الجوهرى (ش ى أ) .

ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين . وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنه أفْعَالٌ .

وذهب البصريون إلى أن وزنه لَفْعاء ، والأصْلُ فَعْلَاء .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن وزنه أفْعَاء لأنه جمع شَيْء على الأصل . وأصْلُ شَيْء شَيِّء مثل شَيِّع ؛ فقالوا فى جمعه أشْيِئَاء على أفْعِلَاء ، كما قالوا فى جمع لَيِّن : ألْيِنَاء ؛ إلا أنهم حذفوا الهمزة التى هى اللام طلباً للتخفيف ، وذلك لأمرين[٣٤٣] ؛ أحدهما : تقارب الهمزتين ؛ لأن الألف بينهما حرف خفى زائد ساكن ؛ وهو من جنس الهمزة ، والحرف الساكن حاجز غير حصين ؛ فكأنه قد اجتمع فيه همزتان . وذلك مستثقل فى كلامهم . وإذا كانوا قد قالوا فى سَوَائية « سَوَاية » فحذفوا الهمزة مع انفرادها فلأن يحذفوا الهمزة ها هنا مع تكرارها كان ذلك من طريق الأوْلى . والآخر : أن الكلمة جمع ، والجمع يستثقل فيه ما لا يستثقل فى المفرد ، فحذفت منه الهمزة طلباً للتخفيف .

والذى يدل على أنه يستثقل فى الجمع ما لا يستثقل فى المفرد أنهم ألزموا خطايا القَلْبَ ، وأبدلوا فى ذوائب من الهمزة الأولى[1] واواً ، كل ذلك لاستثقالهم فى الجمع ما لا يستثقل فى المفرد .

وأما أبو الحسن الأخفش فذهب إلى أنه جمع شَيْء بالتخفيف ، وجمع فعْل على أفْعِلَاء كما يجمعونه على فُعَلَاء ، فيقولون : سَمْح وسُمَحَاء ، وفُعَلَاء نظير أفْعِلَاء ، فكما جاز أن يجىء جمعُ فَعْلٍ على فُعَلَاء جاز أن يجىء على أفْعِلَاء لأنه نظيره .

والذى يدل على ذلك أنهم قالوا : طَبِيبٌ وأطِبَّاء ، وحَبِيب وأحِبَّاء ، والأصل فيه طُبَبَاء وحُبَبَاء ، نحو : ظريف وظُرَفاء ، وشريف وشُرَفاء ، إلا أنه لما اجتمع فيه حرفان متحركان من جنس واحد واستثقلوا اجتماعهما فنقلوه عن فُعَلَاء إلى أفْعِلَاء ،

(١) أصل ذوائب « ذآئب » لأن مفرده « ذؤابة » وانظر ص ٨١٥ الآتية

فصار أطْبِبَاء ، فاجتمع فيه أيضاً حرفان متحركان من جنس واحد ، فنقلوا حركة الحرف الأول إلى الساكن قبله فسكن فأدغموه فى الحرف الذى بعده ، فقالوا : أطِبَّاء ، فنقلوه من فُعَلاَء إلى أفْعِلاء ، فدلَّ على ماقلناه .

وأما من ذهب إلى أن وزنه أفعال فتمسك بأن قال : إنما قلنا إن وزنه أفعال لأنه جمع شَيْء ، وشَيْء على وزن فَعْل ، وفَعْل يجمع فى المعتل العين على أفعال ، نحو : بَيْت وأبيات وسَيْف وأسياف ، وإنما يمتنع ذلك فى الصحيح ، على أنهم قد قالوا فيه : زَنْد وأزناد ، وفَرْخ وأفراخ ، وأنْف وآناف ، وهو قليل شاذ ، وأما فى المعتل فلا خلاف فى مجيئه على أفعال مجيئاً مطرداً ؛ فدل على أنه أفعال ؛ إلا أنه منع من الإجراء تشبيهاً له بما فى آخره همزة التأنيث .

والذى يدل على أن أشياء جمع وليس بمفرد كطَرْفاء قولهم : ثلاثة أشياء . والثلاثة وما بعدها من العدد إلى العشرة يضاف إلى الجمع لا إلى المفرد . ألا ترى [٣٤٤] أنه لو قيل « ثلاثة ثوب وعشرة درهم » لم يجز ، فلما جاز ها هنا أن يقال « ثلاثة أشياء ، وعشرة أشياء » دلَّ أنها ليست اسماً مفرداً وأنه جمع .

والذى يدل على ذلك أيضاً تذكيرهم ثلاثة وعشرة فى قولهم : « ثلاثة أشياء ، وعشرة أشياء » ولو كانت كطَرْفاء مؤنثة لما جاز التذكير فيقال « ثلاثة أشياء » وكان يجب أن يقال : ثلاث أشياء ؛ كما كنت تقول مثلا : ثلاث غرفة ؛ لو جاز أن يقع فيه الواحد موقع الجمع ، وفى امتناع ذلك دليل على أنه جمع وليس باسم مفرد .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن أشياء على وزن لَفْعَاء لأن الأصل فيه شَيْئَاء بهمزتين على فَعْلاَء كطَرْفَاء وحَلْفاء ، فاستثقلوا اجتماع همزتين وليس بينهما حاجز قوى ؛ لأن الألف حرف زائد خفى ساكن والحرف الساكن حاجز غير حصين ؛ فقدَّموا الهمزة التى هى اللام على

الفاء؛ كما غيروا بالقلب في قولهم : قِسِيّ في جمع قَوْسٍ ، والأصل أن يقال في جمعها : قُوُوسٌ ؛ إلاَّ أنهم قلبوا كراهية لاجتماع الواوين والضمتين ؛ فصار قُسُوو ؛ فأبدلوا من الضمة كسرة[1] ؛ لأنهم ليس في كلامهم اسم متمكن في آخره واو قبلها ضمة ؛ فانقلبت الواو الثانية التي هي لام ياءً ؛ لانكسار ما قبلها ؛ لأن الواو الأولى مدة زائدة فلم يعتد بها كما لم يعتد بالألف في كِساء ورداء لأنها لما كانت زائدة صار حرف العلة الذى هو اللام في كساء ورداء كأنه قد ولى الفتحة كما وليته في عَصًى ورَحًى ؛ فكما وجب قلبه في عصًى ورَحًى ألفاً لتحركه وانفتاح ما قبله ، فكذلك يجب قلب الواو الثانية ها هنا ياء لانكسار ما قبلها ؛ فصار : قُسُوىٌ ، وإذا انقلبت الواو الثانية وجب أن تقلب الواو التي قبلها ياء لوقوعها ساكنة قبل الياء ؛ لأن الواو والياء متى اجتمعتا والسابق منهما ساكن وجب قلب الواو ياء ، وجُعِلت ياء مشددة فصار قُسِيّ ، وكسروا أوله لما بعده من الكسرة والياء ، فقالوا قِسِيّ كما قالوا عِصِيّ وحِقِيّ ، وما أشبه ذلك ، وكما غَيَّرُوا أيضاً بالقلب في ذَوَائب وبالحذف في سَوَاية ، وبَلْ أَوْلَى ؛ لأنهم إذا أزالوا التقارب في ذوائب وأصله ذأائب بأن قلبوا الهمزة واواً فقالوا ذوائب ، وحذفوها من سَوَائية فقالوا سَوَاية ؛ فلأن يزيلوا التقارب بأن يقدموا الهمزة إلى أول الكلمة مع بقائها كان [٣٤٥] ذلك من طريق الأولى ، وإذا كانوا قد قلبوا من غير أن يكون فيه خِفَّة فقالوا « أَيِسَ » في يئس ، و « بِئْرٌ مَعِيقَةٌ » في عميقة ، و « عُقَابٌ عَبَنْقَاة وبَعَنْقَاة » في عَقَنْباة ، و « مَا أَيْطَبه » في ما أطيبه ، وما أشبه ذلك ، مما لا يؤدى إلى التخفيف ، فكيف فيما يؤدى إليه ؟ فلهذا قلنا وزنها لَفْعاء .

---

(١) في هذا الكلام تكلف ، والواو المتطرفة تقلب ياء بغير هذا التكلف ، وكيف تبقى الواو الأولى مدة بعد انكسار ما قبلها ؟ لقد كانت أولى أن تقلب ياء .

والذى يدلُّ على أنه اسم مفرد أنهم جمعوه على فَعَالَى فقالوا فى جمعه « أشَاوَى » كما قالوا فى جمع صحراء « صَحَارَى » والأصل فى صَحَارَي صحاريٌّ بالتشديد، كما قال الشاعر:

٤٩٨ — لَقَدْ أَغْــــدُو عَلَى أَشْـــقَرَ يَغْتَـــالُ الصَّحَارِيَّا

---

٤٩٨ — ينسب هذا البيت للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وقد راجعت ديوانه فوجدته فيه (ص ٥٦) بيتا مفرداً، وهذا البيت من شواهد رضى الدين فى باب التأنيث من شرح الكافية، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٣/٣٢٤) وشواهد الرضى أيضاً فى شرح الشافية (١/١٩٤ بتحقيقنا) وشرحه البغدادى مرة أخرى (ص ٩٥ بتحقيقنا) وشواهد ابن جنى فى سر الصناعة (١/٩٧) وأغدو: أذهب — أو أخرج، أو أسير — فى وقت الغدوة، والغدوة — بضم فسكون — الوقت ما بين الصبح وطلوع الشمس، والأشقر: الذى لونه الشقرة، وهى فى الخيل الحمرة الصافية، وفى الإنسان حمرة يعلوها بياض، وعنى هنا بالأشقر فرسا، ويغتال: أصل معناه يهلك، واستعاره هنا لمعنى يقطع المسافة الطويلة فى سرعة فائقة، والصحارى: جمع صحراء، وهى الأرض الواسعة. ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله « الصحاريا » بتشديد الياء — وهذا هو الأصل فى جمع هذه الكلمة وما أشبهها، وبيان ذلك أن فى صحراء وبيداء وبطحاء وأسماء ألف مد قبل آخرها كألف قرطاس ومصباح، وآخرها همزة منقلبة عن ألف التأنيث، فإذا أرادوا جمع هذه الكلمات على صيغة منتهى الجموع قلبوا ألف المد التى قبل آخرها ياء كما قلبوا ألف مصباح وقرطاس فقالوا: مصابيح وقراطيس فإذا انقلبت هذه الألف ياء تبعها أن تنقلب ألف التأنيث التى هى الهمزة ياء أيضاً، فتصير صحارى وبيادى وبطاحى وأسامى بياءات مشددة فى أواخرها — ومع أن هذا هو الأصل وما تقتضيه صناعة التصريف الجارية على مقتضى كلام العرب لم يستعمله العرب فى كلامهم استثقالا له، بل جرت عادتهم أن يحذفوا إحدى الياءين، ثم لهم بعد حذف إحدى الياءين طريقان؛ أولهما أن يبقوا كسرة الحرف الذى بعد ألف التكسير على حالها فتبقى الياء على حالها ويعاملونها معاملة ياء المنقوص، وثانيهما أن يقلبوا كسرة الحرف الواقع بعد ألف التكسير فتحة، وحينئذ تنقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وبكل واحد من هذين الوجهين جرى استعمالهم، فقال امرؤ القيس بن حجر الكندى فى معلقته:

=

فالياء الأولى منقلبة عن الألف الأولى التى كانت فى المفرد ؛ لأنها سكنت وانكسر ما قبلها ، والياء الثانية منقلبة عن ألف التأنيث التى قلبت همزةً فى المفرد لاجتماع ألفين ، فلما زال هذا الوصف زالت الهمزة لزوال سببها ، فكانت الثانية منقلبة عن ألف فى نحو حُبْلَى ، لا منقلبة عن همزة ، ثم حذفت الياء الأولى طلباً للتخفيف ؛ فصار صَحَارِى مثل مَدَارِى ، ثم أبدلوا من الكسرة فتحة ؛ فانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها كما فعلوا فى مَدَارَى فصارت صَحَارَى ، وكذلك « أَشَاوَى » أصلها أشَايِىُّ بثلاث ياءات الأولى عين الفعل المتأخرة إلى موضع اللام ، والأخريان كالياءين فى صحارىّ ، ثم فعل به ما فعل بصحارىّ فصار أشَايَا ، وأبدلوا من الياء التى هى عين واواً فصار أشَاوَى ، كما أبدلوا من الياء واواً فى قولهم « جَبيتُ الخراجَ جِبَاوَةً ، وأتيته أُتْوَةً » والأصل فيه جباية وأُتْيَةً ، وليس فى إبدال الواو خروج عن الحكمة ؛ فإنهم إذا كانوا يبدلون الحروف الصحيحه بعضها عن بعض نحو أُصيلال فى أُصيلان ، وإن لم يكن هناك استثقال فلأن يبدلوا الياء واواً لأجل المقاربة وإن لم يكن ما يوجب قلبها مثل أن تكون ساكنة مضموماً ما قبلها نحو مُوسر ومُوقِن كان ذلك من طريق الأولى ، فلما جمع على فَعَالَى فقيل أَشَاوَى دل على ما قلناه .

= ويوم عقرت للعذارى مطيتى فيا عجبا من كورها المتحمل

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

فجاء به بفتح ما قبل الياء ، وقال النابغة الذبيانى :

لجب يظل به الفضاء معضلا يدع الإكام كأنهن صحارى

فجاء به بكسر ما قبل الياء .

والتحفيف بحذف إحدى الياءين فصيح فى الاستعمال وإن لم يكن هو القياس، وإثبات الياءين هو القياس ، وربما رد بعض الشعراء الكلمة إلى القياس عند الضرورة فيكون قد رجع إلى الأصل المهجور كما فى بيت الشاهد ، وكما فى قول الآخر :

إذا حاشت حواليه ترامت ومدته البطاحى الرغاب

جمع بطحاء على القياس ؛ فجاء بالياء المشددة فى آخره .

والذى يدل على ذلك أيضاً أنهم قالوا فى جمعه أيضاً « أشْيَاوات » كما قالوا فى جمع فَعْلاء فَعْلاوات نحو صَحْراء وصَحْرَاوات ، وما أشبه ذلك ، فدل على أنه اسم مفرد معناه الجمع ، وليس بجمع على ما بينا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إنه فى الأصل على أفعِلاَء لأنه جمع شَيِّء على الأصل كقولهم لَيِّن وأليناء » قلنا : قولكم إن أصل شىء شَيِّء مجرد دعوى لا يقوم عليها دليل ، ثم لو كان كما زعمتم لكان يجىء ذلك فى شىء من كلامهم ؛ ألا ترى أن نحو سَيْد وهَيْن ومَيْت لما كان مخففاً من سَيِّد وهَيِّن ومَيِّت جاء فيه التشديد على الأصل مجيئاً شائعاً ، فلما لم يجىء ها هنا على الأصل فى شىء من كلامهم ـ لا فى حالة الاختيار ، ولا فى حالة الضرورة ـ دل على أن ما صرتم إليه مجرد دعوى .

وقولهم « إن أشْيَاء فى الأصل على أفْعِلاَء » قلنا : هذا باطل ؛ لأنه لو كان كما زعمتم لكان ينبغى أن لا يجوز جمعه على فَعَالَى ؛ لأنه ليس فى كلام العرب أفْعِلاَء جمع على فَعَالَى ، فلما جاز هاهنا دل على بطلان ما ذهبتم إليه .

وهذا هو الجواب عن قول الأخفش « إنه جمع شَيْء بالتخفيف وإنهم جمعوه على أفْعِلاَء كما جمعوه على فُعَلاَء لأنه نظيره نحو سَمْح وسُمَحاَء » فإن فَعْلاً لا يكسر على أفْعِلاء ، وإنما يكسر على فُعُول وفِعَال ، نحو فلُوس وكِعَاب .

والذى يدل على أنه ليس بأفْعِلاَء أنه قال(١) فى تصغيرها أشَيَّاء ، وأفعلاء لا يجوز تصغيره على لفظه ، وإنما كان ينبغى أن يُرَدَّ إلى الواحد ويجمع بالألف والتاء ، فيقال « شُيَيْئَات » وإنما لم يجز تصغير أفْعِلاَء على لفظه لأن أفعلاء من أبنية الكثرة ، والتصغير عَلَمُ القلة ، فلو صغرت مثالا موضوعا للكثرة لكنت قد جمعت بين ضدين ، وذلك لا يجوز .

(١) كذا ، ولعل الأوفق « أنهم قالوا فى تصغيرها — إلخ » .

وأما قول من ذهب إلى أنه جمع شَيْء وأنه جمع على أفعال كبَيْت وأبيات فظاهر البطلان؛لأنه لوكان الأمر على مازعم لوجب أن يكون منصرفاً كأسماءوأبناء .

وأما قوله « إنما منع من الإجراء لشبه همزة التأنيث » قلنا : فكان يجب أن لا تُجْرَى نظائره نحو أسماء وأبناء وما كان من هذا النحو على وزن أفعال ؛ لأنه لا فرق بين الهمزة فى آخر أشياء و بين الهمزة فى آخر أسماء وأبناء .

وأما قولهم « الدليل على أن أشياء جمع وليس بمفرد قولهم : ثلاثة أشياء ، والثلاثة وما بعدها من العدد إلى العشرة يضاف إلى الجمع ، لا إلى المفرد ، فلا يقال : ثلاثة ثوب ، ولا عشرة درهم » قلنا : إنما لا يضاف إلى ما كان مفرداً لفظاً ومعنى ، وأما إذا كان مفرداً لفظاً ومجموعاً معنى فإنه يجوز إضافتها إليه ، ألا ترى أنه يجوز أن تقول : ثلاثة رَجْلَة — و إن كان مفرداً لفظاً — لأنه مجموع معنى ، وكذلك قالوا : ثلاثة نَفَر ، وثلاثة قَوْم ، وتسعة رَهْطٍ ، قال الله تعالى : ﴿ وكَانَ فى المَدِينَةِ تسعة رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فى الأرضِ ﴾ وأضيف العددُ إلى هذه الأسماء — و إن كانت مفردة لفظاً — لأنها مجموعة معنى ، فكذلك ها هنا : أشياء مفردة لفظاً ، مجموعة معنى كطَرْفَاء ، وحَلْفَاء ، وقَصْبَاء ؛ فجاز أن يضاف اسم العدد إليها .

وأما قولهم « إنها لو كانت كطَرْفَاء لما جاز تذكير ثلاثة[1] ، فيقال ثلاثة أشياء ، وكان يجب أن يقال : ثلاث أشياء » قلنا : إنما جاز تذكير ثلاثة أشياء » ــ و إن كانت أشياء مؤنثة لوجود علامة التأنيث فيها ــ لأنها اسم لجمع شيء ، فتنزلت منزلة أفْعَالٍ من حيث إنه جمع شيء فى المعنى ، لا لأنه مفرد أقيم مقام جمع بمنزلة درهم فى قولهم: مائة درهم ، ولو كان كذلك لوجب أن يقال «ثلاث أشياء»

(١) المراد بتذكير ثلاثة الإتيان بلفظه كلفظ عدد المذكر ، وتأنيثه : الإتيان بلفظه كلفظ عدد المؤنث ، وأنت خبير أن لفظ ثلاثة يقرن بالتاء إذا كان معدوده مذكرا ، ويجرد منها إن كان معدوده مؤنثا .

كما ذكرتم ، وإذا كانت أشياء اسماً لجمع شىء عَلِمْتَ أن أشياء فى المعنى جمع شىء ؛ فصارت إضافة العدد إليها بمنزلة إضافته إلى جمع ثوب وبيت فى قولهم « ثلاثة أثواب ، وعشرة أبيات » وما أشبه ذلك ، والله أعلم .

* * *

قال أبو البركات كمال الدين الأنبارى :

فهذا منتهى ما أردنا أن نذكره فى كتاب « الإنصاف ، فى مسائل الخلاف »
واقتصرنا فيه على هذا القـدر من القول مع تَشَعُّب أنحائه ،
لتوفر رغبة الطلبة فى سرعة إنهائه ، وكثرة الشواغل
عن استقصائه ، فالله تعالى يعصمنا فيـه
من الزَّلَلِ ، ويحفظنا فيه من الخطأ
والخَطَل ، ويوفقنا وإياكم
لصالح القول والعمل
بمنه ولطفه

وُجِدَ فى بعض النسخ زيادة ثلاث مسائِلَ
ونحن نذكرها هاهنا

١١٩ ـــ مسألة

[علام ينتصب خبر « كان » وثانى مفعولى « ظننت » ؟][1]

ذهب الكوفيون إلى أن خبر « كان » والمفعول الثانى لـ « ظننت » نصب على الحال . وذهب البصريون إلى أن نصبهما نصب المفعول ، لا على الحال .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن خبر « كان » نصب على الحال أن « كان » فعل غير واقع ـ أى غير متعدّ ـ والدليل على أنه غير واقع أن فعل الاثنين إذا كان واقعاً فإنه يقع على الواحد والجمع نحو : ضَرَبَا رجلا ، وضَرَبَا رجالا ، ولا يجوز ذلك فى « كان »، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : كانا قائما ، وكَانَا قياماً ، ويدل على ذلك أيضاً أنك تَكْنِي عن الفعل الواقع نحو « ضَرَبْتُ زيداً » فتقول : فَعَلْتُ بزيد ، ولا تقول فى كنت أخاك : فعلت بأخيك ، وإذا لم يكن متعدياً وجب أن يكون منصوباً نَصْبَ الحالِ ، لا نصب المفعول ؛ فإنا ما وجدنا فعلا ينصب مفعولا هو الفاعل فى المعنى ، إلا الحال ، فكان حمله عليه أولى ، ولأنه يحسن أن يقال فيه « كان زيد فى حالة كذا » وكذلك يحسن أيضاً فى ظننت زيداً قائما « ظننت زيداً فى حالة كذا » فدل على أنه نصب على الحال.

---

(١) انظر فى هذه المسألة : حاشية الصبان على الأشمونى (١/٢١٨ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٢٢٠ بولاق) .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « إنه لو كان نصباً على الحال لما جاز أن يقع معرفة فى نحو : كان زيد أخاك ، وظننت عمراً غلامك ، والحال لا تكون معرفة » لأنا نقول : إنما جاز ذلك لأن « أخاك ، وغلامك » وما أشبه ذلك [٣٤٩] قام مقام الحال كقولك : ضربت زيداً سَوْطاً ، فإن «سَوْطاً » ينتصب على المصدر ـ وإن كان آلةً ـ لقيامه مَقَامَ المصدر الذى هو ضَرْبٌ(١) ، وكذلك ها هنا . على أنه قد جاءت الحال معرفة فى قولهم :

٤٩٩ — [فـ] ـأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ [وَلَمْ يَذُدْهَا
وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَغَصِ الدِّخَالِ]

---

(١) ر « الذى هو ضربه » .

٤٩٩ — هذا البيت من كلام لبيد بن ربيعة العامرى ، وهو من شواهد سيبويه (١٨٧/١) ورضى الدين فى باب الحال من شرح الكافية ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٥٢٤/١) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٢٤١) وابن عقيل (رقم ١٨٠) وشرحه العينى (٢١٩/٣ بهامش الخزانة) والبيت فى وصف حمار وحش وأتنه ، وقال الأعلم : وصف إبلا أوردها الماء مزدحمة . والعراك : الازدحام ، والنغص ـ بفتح النون والغين المعجمة جميعا ـ مصدر نغص ـ من باب فرح ـ تقول «نغص الرجل » إذا لم يتم شربه ، والدخال ـ بكسر الدال المهملة ـ أن يدخل الرجل بعيره الذى شرب مرة مع الإبل التى لم تشرب من قبل ليشرب معها ، وذلك إذا كان البعير كريما . ومحل الاستشهاد من هذا البيت هنا قوله « العراك » فإن هذه الكلمة حال من الضمير المنصوب فى قوله « أرسلها » وهى معرفة ، والأصل فى الحال أن تكون نكرة ، ومصدر ، والأصل فى الحال أن تكون وصفا ، وذلك لأن هذا المصدر المعرف فى تأويل وصف نكرة ، فكأنه قال : فأرسلها معتركة . قال سيبويه « وهذا ما جاء منه فى الألف واللام ، وذلك قولك: أرسلها العراك، قال لبيد بن ربيعة * فأرسلها العراك ولم يذدها . ــ البيت* كأنه قال : اعتراكا ، وليس كل المصادر فى هذا الباب يدخله الألف واللام » اهـ ، وقال الأعلم « الشاهد فيه نصب العراك وهو مصدر فى موضع الحال ، والحال لا يكون معرفة وجاز هذا لأنه مصدر ، والفعل يعمل فى المصدر معرفة ونكرة ، فكأنه أظهر فعله =

وطلبته جَهْدَكَ ، وطاقَتَكَ ، ورجع عَوْدَه على بدئِهِ ، إلى غير ذلك ؛ فدل على صحة ما ذهبنا إليه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنَّ نَصْبَهما نَصْبُ المفعول لا على الحال لأنهما يقعان[1] ضميراً فى نحو قولهم « كُنَّاهم ، وإذا لم نكنهم فمن ذَا يَكُونُهُمْ ؟ » قال الشاعر :

٥٠٠ — دَعِ الْخَمْرَ يَشْرَبْهَا الْغُوَاةُ ؛ فإنَّنى
رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِياً بِمَكَانِهَا
فَإِنْ لاَ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بلبانِهَا

= ونصبه به ووضع ذلك الفعل موضع الحال فقال : أرسلها تعترك الاعتراك، ولو كان من أسماء الفاعل لم يجز ذلك فيه (يريد لم يجز تعريفه) نحو أرسلها المعتركة » اهـ .

(١) فى ر « أنهما يقعون » تحريف .

٥٠٠ — هذان البيتان ينسبان لأبى الأسود الدؤلى ، وثانيهما من شواهد سيبويه (٢١/١) ورضى الدين فى باب الضمير ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤٢٦/٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٤٢٧) والأشمونى (رقم ٥١) وكان لأبى الأسود مولى يحمل تجارته إلى الأهواز ، وكان هذا المولى إذا مضى بالتجارة تناول شيئا من الشراب فاضطرب أمره وفسد أمر التجارة ، فقال أبو الأسود فيه هذين البيتين ، وقوله « فإلا يكنها » أى فإلا يكن أخو الخمر هو الخمر ، وقوله « أو تكنه » أى أو تكن الخمر هى أخاها ، فاسم « يكن » الأولى ضمير مستتر يعود على الأخ ، والضمير البارز المتصل هو خبر يكن ، وهو عائد إلى الخمر ، واسم « تكن » الثانية ضمير مستتر عائد إلى الخمر ، والضمير البارز المنصوب العائد إلى الأخ هو خبرها ، ومحل الاستشهاد من هذا الشاهد ههنا قوله « يكنها أو تكنه » حيث جاء بخبر تكن ضميراً متصلا ، وأصل القياس أن يكون خبرها ضميراً منفصلا ، كما فى قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، وهو من شواهد الرضى وابن يعيش :

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد ، والإنسان قد يتغير =

أراد بقوله « أخاها » الزبيبَ ، وجعله أخا الخمر لأنهما من شجرة واحدة .

وقال الآخر :

٥٠١ — تَنْفَكُّ تَسْمَـــعُ مَا حَيِيـــتَ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونَهْ

= وكما فى قول العرجى فى خبر ليس ، وهو من شواهد سيبويه :

ليت هـــذا الليل شهر لا نرى فيه عريبـــا

ليس إياى وإيا ك ولا نخشى رقيبـــا

ولو أن أبا الأسود قد جاء بالكلام على ما يقتضيه القياس لقال : فإلا يكن إياها أو تكن إياه فإنه أخوها ، قال سيبويه « وتقول : كناهم ، كما تقول : ضربناهم ، وتقول : إذا لم نكنهم فمن ذا يكونهم ؟ كما تقول : إذا لم نضربهم فمن ذا يضربهم ؟ قال أبو الأسود الدؤلى *فإن لايكنها أو تكنه فإنه أخوها ... البيت *» اه كلامه. وقال الأعلم « أراد سيبويه كان لتصرفها تجرى مجرى الأفعال الحقيقية فى عملها ، فيتصل بها ضمير خبرها اتصال ضمير المفعول بالفعل الحقيقى فى نحو ضربته وضربنى وما أشبهه » اه .

ومن مجىء خبر ليس ضميراً متصلا قول رؤبة بن العجاج ، وهو أيضاً من شواهد الرضى وابن يعيش :

عهدى بقومى كعديد الطيس إذ ذهب القوم الكرام ليسى

وليس ـ كما تعلم ـ فعل ليس متصرفا ، بل هو فعل جامد ، ومن النحاة من يذهب إلى أنه حرف .

٥٠١ — هذا البيت من كلام خليفة بن براز ، وهو شاعر جاهلى ، وبعده قوله :

والمرء قد يرجو الحيا ة مؤملا ، والموت دونه

والبيت من شواهد الرضى فى باب الأفعال الناقصة ، وشرحه البغدادى فى الخزانة (٤/٤٧) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٠١١) وابن الناظم فى باب كان وأخواتها من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٢/٧٥ بهامش الخزانة) والنحاة يستشهدون بهذا البيت فى عدة مواضع، أولها فى قوله « تكونه » حيث جاء بخبر كان ضميرا متصلا وهو الذى من أجله جاء المؤلف بهذا البيت هنا ، وقد بينا ذلك فى شرح الشاهد السابق والثانى فى قوله « تنفك » ولهم فى هذه الكلمة شاهدان : أحدهما أن الشاعر قد استعمل الفعل المضارع من انفك ، ولما لم يحفظ النحاة من هذا الفعل غير الماضى والمضارع حكموا بانه فعل متصرف تصرفا ناقصا ، ومن مجىء المضارع قول الشاعر : =

وكذلك قالوا أيضاً « ظَنَنْتُه إيَّاه »[1] والضمائر لا تقع أحوالا بحال ؛ فعُدِمَ شروطُ الحال فيهما ؛ فوجب أن ينتصبا نَصْبَ المفعولِ ، لا على الحال .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم « إن الفعل إذا كان واقعاً فإن فعل الاثنين يقع منه على الواحد والجمع ، نحو : ضربا رجلا ، وضربا رجالا ولا يجوز ذلك فى كان ؛ فإنه لا يقال كانا قائما وكانا قياماً » فنقول : إنما لم يجز فى « كان » كما جاز فى ضرب ؛ لأن المفعول فى « كان » هو الفاعل فى المعنى ، ولا يكون الاثنان واحداً ولا جماعة ، وإنما كان المفعول فى « كان » هو الفاعل

= ليس ينفك ذا غنى واعتزاز كل ذى عفة مقل قنوع

وقول ذى الرمة :

قلائص لا تنفك إلا مناخة على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا

والشاهد الثانى من هذه الكلمة أنها جاءت فى هذا البيت غير مسبوقة بالنفى أو مايضاهيه ، وذلك شاذ ، والقياس ذكر نفى أو نهى قبل زال وبرح وفتىء وانفك . ومثل هذا البيت فى الإتيان بواحد من هذه الأفعال من غير أن يسبقه نفى أو نهى قول خداش بن زهير :

وأبرح ما أدام الله قومى بحمد الله منتطقا مجيدا

وهم يغتفرون أن يسقط الشاعر حرف النفى إذا كان الفعل مسبوقا بالقسم كقول امرىء القيس :

فقلت : يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وقول عبيد الله بن قيس الرقيات (د ١٨٩) :

والله أبرح فى مقدمة أهدى الجيوش على شكتيه
حتى أفجعهم بإخوتهم وأسوق نسوتهم بنسوتيه

وقول الآخر :

لعمر أبى دهماء زالت عزيزة على قومها ما فتل الزند قادح

(١) ومن ذلك قول الشاعر :

أخى حسبتك إياه وقد ملئت أرجاء صدرك بالأضغان والإحن

فى المعنى ؛ لأنها تدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ [بمنزلة الفاعل، والخبرُ][1] بمنزلة المفعول ، وكما يجب أن يكون الخبر هو المبتدأ فى المعنى نحو « زيد قائم » ؛ فكذلك يجب أن يكون المفعول فى معنى الفاعل ؛ فلهذا امتنع فى « كان » ما جاز فى « ضرب » لا لما ادعيتم ، على أنا لا نقول إنَّ كان بمنزلة ضرب ، فإن ضرب فعل حقيقى يدل على حَدَث وزمان ، والمرفوع [به] فاعل حقيقى ، والمنصوب به مفعول حقيقى ، وأما « كان » فليس فعلا حقيقياً ؛ بل يدل على الزمان المجرد عن الحدث ، ولهذا يسمى فعلَ [٣٥٠] العبارةِ ، فالمرفوع به مشبه بالفاعل والمنصوب به مشبه بالمفعول ؛ فلهذا سمى المرفوع اسماً ، والمنصوب خبراً ، ولهذا المعنى من الفرق لما كان ضرب فعلا حقيقياً جاز إذا كنى عنه ــ نحو « ضربت زيداً » ــ أن يقال : فعلت بزيد ، ولما كانت « كان » فعلا غير حقيقى ، بل فى فعليتها خلاف ؛ لم يجز إذا كنى عنها نحو « كنت أخاك » أن يقال : فعلت بأخيك .

وأما قولهم « إنه يحسن أن يقال : كان زيد فى حالة كذا ، وكذلك يحسن أيضاً فى ظننت زيداً قائما : ظننت زيداً فى حالة كذا ؛ فدل على أن نصبهما نصب الحال » قلنا : هذا إنما يدل على الحال مع وجود شروط الحال بأسْرِهاَ ، ولم يوجد ذلك ؛ لأنه من شروط الحال أن تأتى بعد تمام الكلام ، ولم يوجد ذلك فى « كان » الناقصة التى وقع فيها الخلاف ، دون التامة التى بمعنى وَقَعَ ، ولم يوجد أيضاً فى المفعول الثانى لظننت التى بمعنى الظن أو العلم التى وقع فيها الخلاف ، لا التى بمعنى التُّهَمَة ، وكذلك من شروطها ألا تكون إلا نكرة ، وكثيراً ما يقع خبر كان والمفعول الثانى لظننت معرفة ، ولو كانا حالا لما جاز أن يقعا إلا نكرة ؛ فلما جاز أن يقعا معرفة دل على أنهما ليسا بحال .

---

(١) زيادة لا يتم الكلام إلا بها .

قولهم « إنما جاز ذلك لأن المعرفة أقيمت مقام الحال ، كما أقيمت الآلة مقام المصدر فى قولهم : ضربت زيداً سوطاً » قلنا : الفرق بينهما ظاهر ، وذلك أنه إنما حَسُنَ أن يُنْصَب « سَوْطاً » على المصدر ؛ لأنه نكرة قام مقام نكرة ، فأفاد فائدته ، فحسن أن ينصب بما نصب به لقيامه مقامه ، وأما هاهنا فلا يحسن أن يقوم المعرفة مقام الحال ؛ لأن الحال لا تكون إلا نكرة ، وهو معرفة ؛ فلا يفيد أحدهما ما يفيده الآخر ؛ فلا يجوز أن يقام مقامه ؛ فلا يجوز أن ينصب بما نصب به .

وأما قولهم « إن الحال قد جاء معرفة فى قولهم : أرسلها العِرَاكَ ، وطلبته جَهْدَك ، ورجع عَوْدَه على بَدْئِهِ » قلنا : هذه الألفاظ مع شذوذها وقلتها ليست أحوالا ، وإنما هى مصادر دَلَّتْ على أفعال فى موضع الحال ، فإذا قلت « أرسلها العِرَاكَ » فالتقدير فيه : أرسلها تعترك العراك ، على معنى تعترك الاعتراك ، فأقاموا « العراك » مقام الاعتراك ، كما قال تعالى : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ثم حذفوا « تعترك » وهو جملة فى موضع [٣٥١] الحال ، وأقاموا المصدر دليلاً عليه ، كما تقول « إنما أنت سَيْراً » أى تسير سيراً ، وكذلك قولهم « طلبته جَهْدَك ، وطاقَتَكَ » كأنهم قالوا : طلبته تجتهد اجتهادك ، ثم حذفوا « تجتهد » وهو جملة فى موضع الحال ، وأقاموا المصدر دليلا عليه ، وهكذا التقدير فى قولهم « رَجَعَ عَوْدَه على بَدْئِهِ » ، وقد ذهب بعض النحويين إلى أن « عوده » منصوب برجع نصب المفعول لا نصب المصدر ؛ لأن « رجع » يكون متعديا كما يكون لازماً ، قال الله تعالى : (فإن رَجَعَكَ الله إلى طائفة منهم) فعدَّى رجع [إلى] الكاف ؛ فدلَّ على أنه يكون متعدياً ، والأكثرون على الأول ، وإنما أقاموا هذه المصادر مُقَامَ الأفعال فى هذه المواضع ؛ لأن فى ألفاظ المصادر دلالة على الأفعال ، على أن هذه الألفاظ شاذة لا يقاس عليها ؛ فكذلك كل ما جاء

من المصادر والأسماء بالألف واللام فى موضع الحال ؛ فإنه شاذ نادر لا يقاس عليه ، والله أعلم .

١٢٠ — مسألة

[القول فى تقديم التميز إذا كان العامل فعلا متصرفاً] (١)

اختلف الكوفيون فى جواز تقديم التميز إذا كان العامل فيه فعلا متصرفاً نحو « تَصَبَّبَ زيد عرقاً ، وتَفَقَّأَ الكبش شحماً » : فذهب بعضهم إلى جوازه ووافقهم على ذلك أبو عثمان المازنى وأبو العباس المبرد من البصريين . وذهب أكثر البصريين إلى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليلُ على جواز التقديمِ النقلُ والقياسُ .

أما النقل فقد جاء ذلك فى كلامهم ، قال الشاعر :

٥٠٢ — أَتَهْجُرُ سَلْمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا
وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ ؟!

---

(١) انظر فى هذه المسألة : شرح الأشمونى (٣/١٥٩ بتحقيقنا) وشرح الأشمونى مع حاشية الصبان (٢/١٧٧ بولاق) وتصريح الشيخ خالد الأزهرى (١/٤٨٠ بولاق) وأسرار العربية للمؤلف (ص ٧٩) .

٥٠٢ — قد اختلف الرواة فى نسبة هذا البيت ؛ فنسبه قوم إلى المخبل السعدى واسمه ربيع بن ربيعة بن مالك، ونسبه آخرون إلى أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله (انظر الصبح المنير ص ٣١٢ فينا) ونسبه ابن سيده لقيس بن معاذ المعروف بمجنون ليلى . والبيت من شواهد الأشمونى (رقم ٥١٤) وابن عقيل (رقم ١٩٤)وابن الناظم فى باب التميز من شرح الألفية ، وشرحه العينى (٣/٢٣٥ بهامش الخزانة) وابن جنى فى الخصائص (٢/٣٨٤) ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله « وما كان نفسا بالفراق تطيب » فإن اسم كان ضمير شأن محذوف وخبرها جملة تطيب ، ونفسا : تميز نسبة ، والعامل فيه هو قوله تطيب ، وقد تقدم التميز على عامله ، وهذا غير جائز فى =

وَجْهُ الدليل أنه نصب « نَفْسًا » على التميز ، وقَدَّمه على العامل فيه وهو « تَطِيبُ » [٣٥٢] لأن التقدير فيه : وما كان الشأنُ والحديثُ تطيب سلمى نفساً ؛ فدلّ على جوازه .

= سعة الكلام عند البصريين ، وقد أجازه الكوفيون واستدلوا بهذا البيت ونحوه مما سنرويه لك بعد على أنه جائز لأنه وارد فى كلام العرب المحتج بكلامهم . قال ابن جنى فى الخصائص « ومما يقبح تقديمه الاسم المميز ، وإن كان الناصبه فعلا متصرفا ، فلا نجيز شحما تفقأت ، ولا عرقا تصببت ، فأما ما أنشده أبو عثمان وتلاه فيه أبو العباس من قول المخبل * أتهجر ليلى للفراق حبيبها . . . البيت * فنقابله برواية الزجاجى وإسماعيل بن نصر وأبى إسحاق * وما كان نفسى بالفراق تطيب * فرواية برواية ، والقياس من بعد حاكم ، وذلك أن المميز هو الفاعل فى المعنى ، ألا ترى أن أصل الكلام : تصبب عرقى ، ونفقأ شحمى ، ثم نقل الفعل فصار فى اللفظ لى ، فخرج الفاعل فى الأصل مميزا ، فكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل فكذلك لا يجوز تقديم المميز — إذا كان هو الفاعل فى المعنى — على الفعل » اهـ كلامه .

ومما جاء فيه تقديم التميز — سوى هذا البيت الذى وجدوا فيه رواية أخرى يتمسكون بها — قول ربيعة بن مقروم الضبى :

ردت بمثل السيدنهد مقلص　　كميش إذا عطفاه ماء تحلبا

وقول الآخر :

إذا المرء عينا قر بالعيش مثريا　　ولم يعن بالإحسان كان مذمما

وقول الآخر :

ضيعت حزمى فى إبعادى الأملا　　وما ارعويت ، وشيبارأسى اشتعلا

وقد اقتنع بهذه الشواهد أبو عثمان المازنى وأبو العباس المبرد والكسائى وأبو عمر الجرمى فذهبوا إلى جواز تقدم التميز على عامله إذا كان هذا العامل فعلا متصرفا .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم ، وأعز وأكرم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اللهم إنى أحمدك أحب الحمد إليك، وأطيب الحمد عندك، وأشكرك شكرا يوالى نعمك ويكافىء مزيدك ، وأبتهل إليك أن تتقبل عملى ، وتجعله لديك فى سجل الحسنات ، إنك سميع قريب مجيب الدعاء ، يارب العالمين ، آمين .

وأما القياس فلأن هذا العامل فعل متصرف ؛ فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى أن الفعل لما كان متصرفاً – نحو قولك : « ضَرَبَ زيد عمراً » – جاز تقدُّمُ معموله عليه نحو « عمراً ضَرَبَ زيدٌ » ولهذا ذهبتم إلى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها إذا كان فعلا متصرفاً نحو « راكباً جاء زيد » .

قالوا : ولا يجوز أن يقال « تقديمُ الحال على العامل فيها لا يجوز عندكم ولا تقولون به ، فكيف يجوز لكم الاستدلال بما لا يجوز عندكم ولا تقولون به ؟ » لأنا نقول : كان القياس يقتضى أن يجوز تقديمُ الحالِ على العامل فيها إذا كان فعلا متصرفاً ، إلا أنه لم يجز لدليل دل عليه ، وذلك لما يؤدى إليه من تقديم المضمر على المظهر على ما بينا فى مسألة الحال ، فبقينا فيما عداه على الأصل ، وجاز لنا أن نستدل به عليكم وإن كنا لا نقول به ؛ لأنكم تقولون به ؛ فصلح أن يكون إلزاما عليكم .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز تقديمُه على العامل فيه ، وذلك لأنه هو الفاعلُ فى المعنى ، ألا ترى أنك إذا قلت « تَصَبَّبَ زيد عرقا ، وتفقأ الكبش شحماً » أن المتصبب هو العرق والمتفقىء هو الشحم ، وكذلك لو قلت « حَسُنَ زيد غلاما ، ودابة » لم يكن له حظ فى الفعل من جهة المعنى ، بل الفاعل فى المعنى هو الغلام والدابة ؛ فلما كان هو الفاعل فى المعنى لم يجز تقديمه كما لو كان فاعلا لفظا .

قالوا : ولا يلزم على كلامنا الحالُ حيث يجوز تقديمها على العامل فيها نحو « راكباً جاء زيد » فإن راكبا فاعل فى المعنى ومع هذا يجوز تقديمه ؛ لأنا نقول : الفرق بينهما ظاهر ، وذلك لأنك إذا قلت « جاء زيد راكباً » فزيد هو الفاعل لفظا ومعنى ، وإذا استوفى الفعل فاعله من جهة اللفظ والمعنى صار

« راكبا » بمنزلة المفعول المختص لاستيفاء الفعل فاعلَه من كل وجه ؛ فجاز تقديمه كالمفعول نحو « عمرا ضرب زيد » بخلاف التمييز ؛ فإنك إذا قلت « تصبب زيد عرقاً ، وتفقأ الكبش شحماً ، وحسن زيد غلاما » لم يكن زيد هو الفاعل فى المعنى ، بل الفاعل فى المعنى هو العرق والشحم [والغلام] ، فلم يكن عرقا وشحما وغلاما بمنزلة المفعول من هذا الوجه ؛ لأن [٣٥٣] الفعل استوفى فاعله لفظا لا معنى ، فلم يجز تقديمه كما جاز تقديم الفاعل[1] ، وكذلك قولهم « امتلأ الإناء ماء » فإنه وإن لم يكن مثل « تصبب زيد عرقا » لأنه لا يمكن أن تقول « امتلأ ماء الإناء » كما يمكن أن تقول «تصبَّب عرقُ زيدٍ » إلا أنه لما كان يملأ الإناء كان فاعلا على الحقيقة .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما ما استدلوا به من قول الشاعر :

أَتَهْجُرُ سَلْمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيَبهاَ وَمَا كاَنَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ [٥٠٢]

فإن الرواية الصحيحة :

* وَمَا كاَنَ نَفْسِي بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ * [٥٠٢]

وذلك لا حجة فيه ، ولئن سلمنا صحة ما رويتموه فنقول : نصب « نفسا » بفعل مقدر ، كأنه قال أعني نفسا ، لا على التمييز ، ولو قدرنا ما ذكرتموه فإنما جاء فى الشعر قليلا على طريق الشذوذ ؛ فلا يكون فيه حجة .

وأما قولهم « إنه فعل متصرف فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة — إلى آخر ما قرروه » قلنا : الفرق بينهما ظاهر ، وذلك لأن المنصوب فى « ضَرَبَ زيد عمراً » منصوب لفظاً ومعنى ، وأما المنصوب فى نحو « تصبب زيد عرقاً » فإنه وإن لم يكن فاعلا لفظا فإنه فاعل معنى ، فبان الفرق بينهما .

---

(١) كذا ، وهو خطأ وصوابه « كما جاز تقديم الحال » .

وأما احتجاجهم بتقديم الحال على العامل فيها فلا حجة لهم فيه ؛ لأنهم لا يقولون به ، ولا يعتقدون صحته ، فكيف يجوز أن يستدلوا على الخصم بما لا يعتقدون صحته ؟ ! قولهم « كان القياس يقتضى أن يجوز تقديم الحال عَلَى العامل فيها ، إلا أنه لم يجز عندنا لدليل دل عليه ، وهو ما يؤدى إليه من تقديم المضمر على المظهر » قلنا : وكذلك نقول ها هنا : كان القياس يقتضى أنه يجوز تقديم التميز على العامل فيه ، إلا أنه لم يجز عندنا لدليل دل عليه ، وهو أن التميز فى المعنى هو الفاعل ، والفاعل لا يجوز تقديمه على الفعل على ما بينا ، وإذا جاز لكم أن تتركوا جواز التقديم هناك لدليل جاز لنا أن نتركه ها هنا لدليل ، على أنا قد بينا فساد ما ذهبتم إليه وصحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم .

[٣٢٠] ١٢١ — مسألة

[القول فى « رُبَّ » اسمٌ هو أو حَرْفٌ ؟ (١)]

ذهب الكوفيون إلى أن « رُبَّ » اسم . وذهب البصريون إلى أنه حرف جر .

أما الكوفيون فإنهم احتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه اسم حَمْلاً على « كم » لأن « كم » للعدد والتكثير ، و « رُبَّ » للعدد والتقليل ، فكما أن كم اسم فكذلك رُبَّ .

والذى يدل عَلَى أن رُبَّ ليست بحرف جر أنها تخالف حروف الجر ، وذلك فى أربعة أشياء ؛ أحدها : أنها لا تقع إلا فى صدر الكلام ، وحروف الجر لا تقع فى صدر الكلام ، وإنما تقع متوسطة ؛ لأنها إنما دخلت رابطة بين الأسماء والأفعال . والثانى : أنها لا تعمل إلا فى نكرة ، وحروف الجر تعمل فى النكرة والمعرفة . والثالث : أنها لا تعمل إلا فى نكرة موصوفة ،

(١) انظر فى هذه المسألة : أسرار العربية للمؤلف (ص ١٠٤ وما بعدها) وشرح الرضى على الكافية (٢/٣٠٧) وخزانة الأدب للبغدادى (٤/١٨٤ بولاق)

وحروف الجر تعمل فى نـكرة موصوفة وغير موصوفة ، والرابع : أنه لا يجوز عندكم إظهار الفعل الذى تتعلق به . وكونه على خلاف الحروف فى هذه الأشياء دليل على أنه ليس بحرف .

والذى يدل دلَالَةً ظاهرةً على أنه ليس بحرف أنه يدخله الحذفُ فيقال فى رُبَّ « رُبَ » قال الله تعالى : (رُبَمَا يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قرىء بالتخفيف كما قرىء بالتشديد ، وفيها أربع لغات : رُبَّ ورُبَ ورَبَّ ورَبَ — بضم الراء وتشديد الباء وتخفيفها ، وفتح الراء وتشديد الباء وتخفيفها — فدل على أنها ليست بحرف .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليـــل على أنها حرف أنها لا يحسن فيها علامات الأسماء ولا علامات الأفعال ، وأنها قد جاءت لمعنى فى غيرها كالحرف ، وهو تقليل ما دخلت عليـــه نحو « رُبَّ رَجُـلٍ يفهم » أى ذلك قَلِيلٌ .

وأما الجواب عن كلمات الـكوفيين : أما قولهم « إنما قلنا إنها اسم حملا على كم ؛ لأن كم للعدد والتـكثير ورُبَّ للعدد والتقليل » قلنا : لا نسلم أنها للعدد ، وإنما هى للتقليل فقط ، على أن « كم » إنما حكم بأنها اسم لأنه يحسن فيها علامات الأسماء ، نحو [٣٥٥] حروف الجر ، نحو بـ « كم رَجُلٍ مررت » وما أشبه ذلك . وجواز الإخبار عنه ، نحو « كم رجلاً لاَحَاكَ » وهذا غير موجود فى «رُبَّ» فدل على الفرق بينهما .

وأما قولهم « إنها تخالف حروف الجر فى أربعة أشياء : أحدها أنها لا تقع إلا فى صَدْرِ الـكلام » قلنا : إنما لا تقع إلا فى صدر الـكلام لأن معناها التقليل ، وتقليل الشىء يُقَارب نَفْيَه ، فأشبهت حَرْفَ النفى ، وحرف النفى له صَدْر الـكلام .

وقولهم فى الثانى « إنها لا تعمل إلا فى نكرة » قلنا : لأنها لما كان معناها التقليل ـ والنكرة تدل على الكثرة ـ وجب ألا تدخل إلا على النكرة التى تدل على الكثرة ؛ ليصح فيها معنى التقليل .

وقولهم فى الثالث : « إنها لا تعمل إلا فى نكرة موصوفة » قلنا : لأنهم جعلوا ذلك عوضاً عن حذف الفعل الذى تتعلق به ، وقد يظهر ذلك الفعل فى ضرورة الشعر .

وقولهم فى الرابع : « إنه لا يجوز إظهار الفعل الذى تتعلق به » قلنا : فعلوا ذلك إيجازاً واختصاراً ، ألا ترى أنك إذا قلت « رُبَّ رجل يعلم » كان التقدير فيه : رب رجل يعلم أدركْتُ ، أو لَقِيتُ ؛ فحذف لدلالة الحال عليه ، كما حذفت فى قوله تعالى : (وأدخل يدك فى جيبك) إلى قوله تعالى : (إلى فرعون وقومه) ولم يذكر مرسلا ؛ لدلالة الحال عليه . والحذف على سبيل الوجوب والجواز لدلالة الحال كثير فى كلامهم .

وأما قولهم « إنه يدخله الحذف ، والحذف لا يدخل الحرف » قلنا : لا نسلم ؛ فإنه قد جاء الحذف فى الحرف ؛ فإن « أنَّ » المشددة يجوز تَخْفِيفُهَا ، وهى حرف ، وكذلك حكى أبو العباس أحمد بن يحيى من أصحابكم فى « سَوْفَ » [سَفَ أفْعَلُ ، و(١) سَوْ أفْعَلُ »] فحذفتم الواو والفاء ، وإذا جاز عندكم حذف حرفين فكيف يجوز لكم أن تمنعوا جواز حذف حرف واحد ؟ والله أعلم .

* * *

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

يقول المعتز بالله تعالى وحده ، أبو رجاء محمد محيي الدين بن عبد الحميد :

الحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

وبعد ؛ فقد أتممت — بحمد الله تعالى ومَعُونَته — مراجعة كتاب « الإنصاف ، فى مسائل الخلاف ، بين النحويين الكوفيين والبصريين » الذى صَنَّفه الإمام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى ، النحوى ، المولود فى عام ٥١٣ ، والمتوفى فى عام ٥٧٧ من الهجرة ، وهو كتاب فريد فى بابه ، لم ينشر للناطقين بالضاد كتاب آخر فى موضوعه ، وإن يكن لأسلافنا رضى الله عنهم فى هذا الموضوع عدة مصنفات كلها حَرِىٌّ بالإخراج والذيوع .

وقد يسر الله تعالى لى - بعد أكثر من خمسة عشر عاماً من إخراجهِ لأول مرةٍ ، وبعد أن نُشِرَ الكتاب ثلاث مرات - أن أنجز بعض ما وعدت به قراء العربية أن أخرج لهم مع هذا الكتاب شرحاً يبين غوامضه ، ويجلِّى فرائده ، ويترَصَّدُ مسالكه ومَسَاربه ، ويكون فَيْصَلاً على أحكامه : يقر صحيحها ، وينقض ما جانب فيه الجادة ، وقد تضخَّم بذلك حجم الكتاب فصار ضعف الأصل أو يزيد ، وإن كان فى الأجل بقية وفى القوس مَنْزَع عُدْت إليه فأضَفْتُ ونقحت وهذبت ، والله سبحانه المسئول أن يتولانا بفضله ، وينفعنا بتأييده وتوفيقه ؟

فهارس كتاب

« الإنصاف ، فى أسباب الخلاف » للأنبارى

ا — فهرس الموضوعات الواردة فى الجزء الثانى

ب — فهرس الشواهد مرتبة قوافيها على حروف الهجاء

فهرس الموضوعات

الواردة فى الجزء الثانى من كتاب « الإنصاف ، فى أسباب الخلاف » للأنبارى
وكتاب « الانتصاف ، من الإنصاف »

تمت فهرس الموضوعات

والحمد لله ذى الجلال ، وصلاته وسلامه على نبيه وصحبه والآل

فهرس الشواهد

الواردة فى كتاب « الإنصاف ، فى مسائل الخلاف » للأنبارى

حرف الهمزة

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٣٣١	٥١١	أنا أبو دهبل وهب لوهب	من جمح ، والعز فيهم والحسب
٣٣٣	٥١٢	فبيناه يشرى رحله قال قائل :	لمن جمل رخو الملاط نجيب ؟
٣٣٧	٥١٦	فماله من مجد تليد ، وماله	من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا
٣٨٥	٥٩٢	أخ فاصطبغ قرصا إذا اعتادك الهوى	بزيت كما يكفيك فقد الحبائب
٣٨٧	٥٩٦	وإنى امرؤ من عصبة خندفية	أبت للأعادى أن تديخ رقابها
٤٠٠	٦٢١	وللخيل أيام فمن يصطبر لها	ويعرف لها أيامها الخير تعقب
٤١٠	٦٥٥	أقلى اللوم عاذل والعتابا	وقولى إن أصبت : لقد أصابا
٤٦١	٧٥٣	ولكنما أهدى لقيس هدية	بفى من اهداها لك الدهر إثلب
٤٦٩	٧٦٤	فإن تعهدينى ولى لمة	فإن الحوادث أودى بها
٤٨٢	٧٧٦	أرى رجلا منهم أسيفاً كأنما	يضم إلى كشحيه كفا مخضبا
٤٩١	٧٩٠	. . . .	باتت تكركره الجنوب
٥٠٢	٨٢٨	أتهجر سلمى بالفراق حبيبها	وما كان نفسا بالفراق تطيب ؟

حرف التاء المثناة

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
١٩	٤١	رحم الله أعظما دفنوها	بسجستان طلحة الطلحات
٢١	٥٩	يرى أرباقهم متقلديها	كما صدىء الحديد على الرماة
٧٠	١١٩	يا لعن الله بنى السعلاة	عمرو بن يربوع شرار النات
١٣٦	٢٢٠	على صروف الدهر أو دولاتها	تدلننا اللمة من لماتها
١٩١	٣٠٩	كلف من عنائه وشقوته	بنت ثمانى عشرة من حجته
		يامر يابن واقع يا أنتا	أنت الذى طلقت عام جعتا
٢٠٤	٣٢٥	حتى إذا اصطبحت واغتبقتا	أقبلت معتاداً لما تركتا
		* قد أحسن الله وقد أسأتا *	
٢٣٩	٣٧٩	بل جوز تيهاء كظهر الحجفت	[قطعتها إذا المها تجوفت]
٢٤٤	٣٨٤	فإن الماء ماء أبى وجدى	وبئرى ذو حفرت وذو طويت
		فلو أن الأطبا كان حولى	وكان مع الأطباء الشفاة
٢٤٥	٣٨٥	إذا ما أذهبوا ألما بقلبى	وإن قيل الشفاة هم الأساة
٢٩١	٤٦٢	وقلت لها : ياعز كل ملمة	إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٤٢١	٦٦٧	بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم	ولم تكثر القتلى بها حين سلت
٤٣١	٦٨٣	أخوك أخو مكاشرة وضحك	وحياك الإله ، فكيف أنتا ؟
٤٤٧	٧٢٥	من يك ذات فهذا بتى	مصيف مقيظ مشتى
		تخذته من نعجات ست	سود جعاد كنعاج الدشت
٤٧٩	٧٧٣	يأيها الراكب المزجى مطيته	سائل بنى أسد ما هذه الصوت

حرف الثاء المثلثة

رقم الشاهد	ص	الشاهد
٣٠٥	٤٨٣	ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث

حرف الجيم

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
١٦٨	٢٨٤	[نحن بنى ضبة أصحاب الفلج]	نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
٢٧١	٤٣٣	كأن أصوات من إيغالهن بنا	أواخر الميس أصوات الفراريج
٣٧٧	٥٨٣	متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا	تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
٣٩٠	٦٠٥	كأنما ضربت قدام أعينها	قطنا بمستحصد الأوتار محلوج
٤٣٦	٦٩٣	أومت بعينها من الهودج	لولاك فى ذا العام لم أحجج

حرف الحاء المهملة

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٩	٢٥٥	وأنت من الغوائل حيث ترمى	ومن ذم الرجال بمنتزاح
٢٨	٦٦	فتى ما ابن الأغر إذا شتونا	وحب الزاد فى شهرى قماح
١٤٥	٢٣١	دأبت إلى أن ينبت الظل بعدما	تقاصر حتى كاد فى الآل يمصح
		وجيف المطايا ثم قلت لصحبتى	ولم ينزلوا : أبردتم فتروحوا
٢٣٠	٣٦٧	من صد عن نيرانها	فأنا ابن قيس لا براح
٢٨١	٤٤٦	فكلتاهما قد خط لى فى صحيفة	فلا العيش أهواه ولا الموت أروح
٣٠١	٤٧٨	بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى	وصورتها ، أو أنت فى العين أملح
٣٦٥	٥٤٥	وطرت بمنصلى فى يعملات	دوامى الأيد يخبطن السريحا
٣٧١	٥٦٦	[ربع عفاه الدهر طولا فامحى]	قد كاد من طول البلى أن يمصحا
٣٩٤	٦١٢	ياليت زوجك قد غدا	متقلداً سيفاً ورمحاً

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٤١٦	٦٦٢	تغيرت البلاد ومن عليها	فوجه الأرض مغبر قبيح
		تغير كل ذى طعم ولون	وقل بشاشة الوجه المليح
٤٦٨	٧٦٣	إن السماحة والمروءة ضمنا	قبرا بمرو على الطريق الواضح

حرف الخاء المعجمة

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٨٩	١٤٩	إذا الرجال شتوا واشتد أكلهم	فأنت أبيضهم سربال طباخ
١٥٤	٢٥٥	ألا ياغراب البين قد هجت لوعة	فويحك خبرنى بما أنت تصرخ
		أبالبين من لبنى ؟ فإن كنت صادقا	فلا زال عظم من جناحك يفضخ
		ولا زلت من عذب المياه منفرآ	ووكرك مهدوم ، وبيضك يشدخ
		ولا زال رام قد أصابك سهمه	فلا أنت فى أمن ولا أنت تفرخ
		وأبصرت قبل الموت لحمك منضجا	على حر جمر الناريشوى ويطبخ
٢٣١	٣٦٨	والله لولا أن تحش الطبخ	بى الجحيم حين لا مستصرخ

حرف الدال المهملة

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
١٧	٣٠	ألم يأتيك والأنباء تنمى	بما لاقت لبون بنى زياد
٢٧	٦٦	بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا	بنوهن أبناء الرجال الأباعد
٣٤	٧٣	قالت أمامة لما جئت زائرها :	هلا رميت ببعض الأسهم السود
	٧٤	لا در درك إنى قد رميتهم	لولاحددت ، ولا عذرى لمحدود
٤٩	٩٦	على مثلها أمضى إذا قال صاحبى :	ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
٨٢	١٣١	قدنى من نصر الخبيبين قدى	ليس الإمام بالشحيح الملحد
١٠١	١٧٠	وقفت فيها أصيلانا أسائلها	أعيت جوابا ، ومابالربع من أحد
١٢٩	٢٠٩	[يلومونني فى حب ليلى عواذلى]	ولكننى من حبها لعميد
١٥٦	٢٦٦	شدخت غرة السوابق فيهم	فى وجوه إلى اللمام الجعاد
١٥٩	٢٦٩	وقفت فيها أصيلالا أسائلها	أعيت جوابا ، ومابالربع من أحد
		إلا الأوارى لأيا ما أبينها	والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد
١٦٥	٢٧٨	ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه	وما أحاشى من الأقوام من أحد
١٧٣	٢٩١	أزمان من يرد الصنيعة يصطنع	فينا ، ومن يرد الزهادة يزهد

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
١٩٤	٣١٤	رعيتها أكرم عود عودا	الصل والصفصل واليعضيدا
		والخازباز السنم المجودا	بحيث يدعو عامر مسعودا
٢٠٧	٣٣٢	معاوى إننا بشر فأسجح	فلسنا بالجبال ولا الحديدا
		أديروها بنى حرب عليكم	ولا ترموا بها الغرض البعيدا
١٢٠	٣٣٥	ألا حى ندمانى عمير بن عامر	إذا ماتلاقينا من اليوم أو غدا
٢٢٢	٣٥١	هذيلية تدعو إذا هى فاخرت	أبا هذليا من غطارفة نجد
٢٢٣	٣٥٢	أودى ابن جلهم عباد بصرمته	إن ابن جلهم أمسى حية الوادى
٢٤٧	٣٨٧	وأخو الغوان متى يشأ يصرمنه	ويكن أعداء بعيد وداد
٢٦٥	٤٢٧	فزججتها بمزجة	زج القلوص أبى مزاده
٢٧٤	٤٣٩	فى كلت رجليها سلامى واحده	كلتاهما قد قرنت بزائده
٢٨٥	٤٥٢	إذا القعود كر فيها حفدا	يوما جديداً كله مطرداً
٢٩٠	٤٦١	حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة	شلاكما تطرد الجمالة الشردا
٣٠٢	٤٧٩	قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا	إلى حمامتنا ، أو نصفه فقد
٣١٨	٥٠٠	وقائلة : مابال دوسر بعدنا	صحا قلبه عنآل ليلىوعنهند ؟
٣٢٣	٥٠٤	لو شهد عاد من زمان عاد	لا بتزها مبارك الجلاد
٣٢٤	٥٠٥	علم القبائل من معد وغيرها	أن الجواد محمد بن عطارد
٣٢٦	٥٠٦	غلب المساميح الوليد سماحة	وكفى قريش المعضلات وسادها
٣٢٨	٥٠٨	لقوم فكانوا هم المنفدين	شرابهم قبل إنفادها
٣٦٦	٥٤٦	كنواح ريش حمامة نجدية	ومسحت باللثتين عصف الإثمد
٣٦٨	٥٦٠	ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى	وأنأشهداللذاتهلأنتمخلدى؟
٣٧٠	٥٦٣	ياصاحبي فدت نفسى نفوسكما	وحيثما كنتما لاقيتما رشدا
		أن تحملا حاجة لى خف محملها	وتصنعا نعمة عندى بها ويدا
		أن تقرآن على أسماء ويحكما	منى السلام ، وألا تشعرا أحداً
٣٧٩	٥٨٥	جاءت كبيركما أخفرها	والقوم صيد كأنهم رمدوا
٤٠٨	٦٤١	شلت يمينك إن قتلت لمسلما	حلت عليك عقوبة المتعمد
٤١٣	٦٥٧	وإياك والميتات لا تقربنها	ولا تعبد الشيطان ، والله فاعبدا

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٩٤	١٥٦	حراجيج ما تنفك إلا مناخة	على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا
١٠٠	١٧٠	بحسبك فى القوم أن يعلموا	بأنك فيهم غنى مضر
١٠٢	١٧١	ألا هل أتاها والحوادث جمة	بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا
١٠٣	١٧٤	إن امرأ غره منكن واحدة	بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور
١٠٥	١٧٧	لا تتركنى فيهم شطيرا	إنى إذن أهلك أو أطيرا
١٠٩	١٨٢	فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى	ولكن زنجى عظيم المشافر
١١٢	١٨٧	غداة أحلت لابن أصرم طعنة	حصين عبيطات السدائف والخمر
١٣١	٢١١	يا أبا الأسود لم خليتنى	لهموم طارقات وذكر ؟
١٣٢	٢١٥	فهياك والأمر الذى إن توسعت	موارده ضاقت عليك المصادر
١٣٩	٢٢٣	تربص بها الأيام، على صروفها	سترمى بها فى جاحم متسعر
١٤٩	٢٤١	تفاقد قومى إذ يبيعون مهجتى	بجارية ، بهرا لهم بعدها بهرا
١٥١	٢٤٤	ولما رأيت الخيل تترى أثائجا	علمت بأن اليوم أحمس فاجر
١٥٢	٢٥٣	وإنى لتعرونى لذكراك نفضة	كما انتفض العصفور بلله القطر
١٦٤	٢٧٦	الناس ألب علينا فيك ليس لنا	إلا السيوف وأطراف القنا وزر
١٧٤	٢٩١	على حين من تلبث عليه ذنوبه	يجد فقدها ، وفى المقام تدابر
١٨٩	٣٠٦	تؤم سنانا ، وكم دونه	من الأرض محدودبا غارها ؟
١٩٨	٣١٧	باعد أم العمرو من أسيرها	حراس أبواب على قصورها
٢٠١	٣١٩	ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا	ولقد نهيتك عن بنات الأوبر
٢٠٨	٣٣٣	كشحا طوى من بلد مختارا	من يأسة اليائس أو حذارا
٢١١	٣٣٦	فيا الغلامان اللذان فرا	إيا كما أن تعقبانا شرا
٢١٨	٣٤٧	خذوا حظكم يا آل عكرم واحفظوا	أواصرنا ، والرحم بالغيب تذكر
٢٣٢	٣٧١	لمن الديار بقنة الحجر	أقوين من حجج ومن دهر
٢٣٨	٣٧٨	مثلك أو خير تركت رذية	تقلب عينيها إذا طار طائر
٢٤٦	٣٨٦	إذا ما شاء ضروا من أرادوا	ولا يألو لهم أحد ضرارا
٢٤٩	٣٨٨	ليس تخفى يسارتى قدر يوم	ولقد يخف شيمتى إعسارى
٢٥٧	٤٠٠	إن الذى أغناك يغنينى جير	والله نفاح اليدين بالخير

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٢٦٠	٤٠٤	إن امرأ خصنى عمدا مودته	على التنائى لعندى غير مكفور
٢٦٤	٤٠٧	وقدذ كروالى بالكثيب مؤالفا	قلاص سليم أو قلاص بنى بكر
		فقال فريق القوم لما نشدتهم:	نعم ، وفريق : ليمن الله ماندرى
٢٦٦	٤٢٨	تمر على ما تستمر ، وقد شفت	غلائل عبد القيس منها صدورها
٢٧٣	٤٣٧	وقرب جانب الغربى يأدو	مدب السيل ، واجتنب الشعارا
٢٧٨	٤٤٣	كلا ثقلينا واثق بغنيمة	وقد قدر الرحمن ماهو قادر
٢٩٥	٤٦٨	لا يبعدن قومى الذين هم	سم العداة وآفة الجزر
		النازلون بكل معترك	والطيبين معاقد الأزر
٢٩٨	٤٧٣	أكل امرىء تحسبين امرأ	ونار توقد بالليل نارا
٣٠٤	٤٨٢	بالله يا ظبيات القاع قلن لنا :	ليلاى منكن أم ليلى من البشر؟
٣٠٩	٤٩٠	فلتأتينك قصائد [وليدفعن	جيشا إليك قوادم الأكوار]
٣١٠	٤٩٣	طلب الأزارق بالكتائب إذهوت	بشبيب غائلة النفوس غدور
٣١٢	٤٩٥	إذا قال غاو من تنوخ قصيدة	بها جرب عدت على بزوبرا
٣١٤	٤٩٧	أؤمل أن أعيش وإن يومى	بأول أو بأهون أو جبار
		أو التالى دبار ، فإن أفته	فمؤنس أو عروبة أو شيار
٣١٥	٤٩٧	فأوفضن عنها وهى ترغو حشاشة	بذى نفسها ، والسيف عريان أحمر
٣٢٧	٥٠٧	قامت تبكيه على قبره	من لى من بعدك ياعامر؟
		تركتنى فى الدار ذا غربة	قد ذل من ليس له ناصر
٣٣٢	٥١٢	أخشى على ديسم من بعد الثرى	أبى قضاء الله إلا ما ترى
٣٣٤	٥١٥	تراه كأن الله يجدع أنفه	وعينيه ، إن مولاه ثاب له وفر
٢٣٥	٥١٦	له زجل كأنه صوت حاد	إذا طلب الوسيقة أو زمير
٣٣٦	٥١٦	أو معبر الظهر ينأى عن وليته	ما حج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا
٣٣٩	٥١٧	وأيقن أن الخيل إن تلتبس به	يكن لفسيل النخل بعده آبر
٣٤١	٥١٨	لأعلطنه وسما لا يفارقه	كما يحز بحمى الميسم البحر
٣٥٣	٥٣٣	من كان لا يزعم أنى شاعر	فيدن منى تنهه المزاجر
٣٥٤	٥٣٥	ولأنت أشجع من أسامة إذ	دعيت نزال ، ولج فى الذعر

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٣٦٢	٥٣٩		حذار من أرماحنا حذار
٣٦٣	٥٤٠		نظار كى أركبها نظار
٣٦٧	٥٤٤	فأبت إلى فهم ،وما كدت آئبا ،	وكم مثلها فارقتها وهى تصفر ؟
٣٨٠	٥٨٦	وطرفك إما جئتنا فاصرفنه	كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
٣٨٩	٦٠٣	لعب الرياح بها ، وغيرها	بعدى سوافى المور والقطر
٤٠٣	٦٢٦	فلم أرقه إن ينج منها ، وإن يمت	فطعنة لاغس ولا بغمر
٤٠٦	٦٣٣	وسمعت حلفتها التى حلفت	إن كان سمعك غير ذى وقر
٤٢٠	٦٦٥	لتجدنى بالأمـــبر برا	وبالقناة مدعسا مكرا
		* إذا غطيف السلمى فرا *	
٤٢٣	٦٧١	فلم أربيتا كان أحسن بهجة	من الذ له من آل عزة عامر
٤٢٧	٦٧٦	الذ لو شاء لكانت برا	أو جبـــلا أشم مشمخرا
٤٣٨	٦٩٨	بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت	إياهم الأرض فى دهر الدهارير
٤٤٥	٧٢١	لكم مسجدا الله المزوران والحصى	لكم قبصه من بين أثرى وأقترا
٤٥٠	٧٣٢	أنا ابن ماوية إذ جد النقر	وجاءت الخيل أثابى زمر
٤٥١	٧٣٣	أنا جرير كنيتى أبو عمر	أضرب بالسيف وسعد فى القصر
		* أجبنا وغيرة خلف الستر *	
٤٧٠	٧٦٦	ألا هلك الشهاب المستنير	ومدرهنا الكمى إذا نغير
		وحمال المئين إذا ألمت	بنا الحدثان ، والأنف النصور
٤٧٣	٧٦٩	وإن كلابا هذه عشر أبطن	وأنت برىء من قبائلها العشر
٤٧٤	٧٦٩	وقائع فى مضر تسعـــة	وفى وائل كانت العاشره
٤٧٥	٧٧٠	وكان مجنى دون من كنت أتقى	ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
٤٧٧	٧٧٢	قبائلنا سبع ، وأنتم ثلاثة	وللسبع خير من ثلاث وأكثر
٤٨٠	٧٧٤	[أزيد بن مصبوح فلو غيركم جنى	غفرنا] وكانت من سجيتنا الغفر
٤٨٤	٧٧٨	عهدى بها فى الحى قد سربلت	بيضاء مثل المهرة الضامر
٤٨٨	٧٨٥	[حنى عظامى ، وأراه ثاغرى]	وكحل العينين بالعواور
٤٩٠	٧٨٩	وتبرد برد رداء العرو	س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٣٢٠	٥٠١	وممن ولدوا عامـــــر	ذو الطول وذو العرض

حرف الطاء المهملة

٦٦	١١٥	حتى إذا جن الظلام واختلط	جاءوا بضيح هل رأيت الذئب قط
٢٤٠	٣٨٠	لحور قد لهوت بهن عين	[نواعم فى المروط وفى الرياط]
٣٩٦	٦١٣		شراب ألبـان وتمر وأقط

حرف العين المهملة

٧	٢٤	هجوت زبان ثم جئت معتذراً	من هجو زبان ، لم تهجو ولم تدع
٣٢	٧١	أبا خراشة أما أنت ذا نفر	فإن قومى لم تأكلهم الضبع
٩١	١٥١	يقول الخنى،وأبغض العجم ناطقا	إلى ربنا صوت الحمار اليجدع
	١٥٢	ويستخرج اليربوع من نافقائه	ومن جحره بالشيخة اليتقصع
١٠٦	١٨٠	فلو أن حق اليوم منكم إقامة	وإن كان سرح قد مضى فتسرعا
١٢٤	٢٠٣	عبأت له رمحا طويلا وألة	كأن قبس يعلى بها حين تشرع
١٣٧	٢٢١	ولا تهين الفقير ، علك أن	تركع يوما والدهر قد رفعه
١٤٧	٢٣٣	فلا تكثرا لومى ؛ فإن أخاكما	بذكراه ليلى العامرية مولع
١٧٥	٢٩٢	على حين عاتبت المشيب على الصبا	فقلت : ألما تصح والشيب وازع؟
١٨٦	٣٠٣	كم بجود مقرف نال المنى	وشريف بخله قد وضعه
١٨٧	٣٠٤	كم فى بنى بكر بن سعد سيد	ضخم الدسيعة ماجد نفـاع
٢٨٧	٤٥٥		قد صرت البـكرة يوما أجمعا
٣٠٦	٤٨٥	ليت شعرى عن خليلى ، ما الذى	غاله فى الحب حتى ودعه؟
٣٠٧	٤٨٦	فسعى مسعاته فى قومه	ثم لم يبلغ ، ولا عجزاً ودع
٣١٧	٤٩٩	فما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس فى مجمع
٣٢٢	٥٠٤	تمد عليهم من يمين وأشمل	بحور له من عهد عاد وتبعا
٣٣٨	٥١٧	فإن يك غثا أو سمينا فإننى	سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

رقم الشاهد	ص	الشاهد	

حرف القاف

١١	٣٦	إذا العجوز غضبت فطلق	ولا ترضاها ولا تملق
٢٠	٥٨	وإن امرأ أسرى إليك ودونه	من الأرض موماة وبيداء سملق
		لمحقوقة أن تستجيبي دعاءه	وأن تعلمي أن المعان موفق
٣٠	٦٨	من يلق يوما على علاته هرماً	يلق السماحة منه والندى خلقا
٣٥	٧٥	فما الدنيا بباقاة لحي	ولا حي على الدنيا بباق
١١٤	١٩٠	وإلا فاعلموا أنا وأنتم	بغاة ما بقينا في شقاق
١٢١	٢٠٠	أما والله أن لو كنت حراً	وما بالحر أنت ولا العتيق
١٢٧	٢٠٥	فلو أنك في يوم الرخاء سألتني	طلاقك لم أبخل وأنت صديق
١٣٣	٢١٥	ياخال هلا قلت إذ أعطيتني	هياك هياك وحنواء العنق
١٤٠	٢٢٥	حتى يقول الجاهل المنطق	لعن هذا معه معلق
١٤٨	٢٣٣	أفنى تلادى وما جمعت من نشب	قرع القواقيز أفواه الأباريق
١٨٤	٢٩٩	....	لواحق الأقراب فيها كالمقق
٢٣٣	٣٧٢	حسبت بغام راحلتي عناقا	وما هي — ويب غيرك — بالعناق
٢٥٠	٣٨٨	لا صلح بيني — فاعلموه — ولا	بينكم ، ما حملت عاتقي
		سيفي ، وما كنا بنجد ، وما	قرقر قمر الواد بالشاهق
٢٥٨	٤٠١	رضيعي لبان ثدى أم تحالفا	بأسحم داج عوض لا نتفرق
٢٨٦	٤٥٣	زحرت به ليلة كلها	فجئت به مؤيداً خنفقيقا
٢٩٤	٤٦٦	هلا سألت بذى الجماجم عنهم	وأبى نعيم ذى اللواء المحرق
٣٤٧	٥٢٧	فلتكن أبعد العداة من الصلـ	ـح من النجم جاره العيوق
٣٩٧	٦١٧	فمتى واغل ينبهم يحيو	ه وتعطف عليه كأس الساقى
٤٤٣	٧١٧	عدس ، مالعباد عليك إمارة	أمنت وهذا تحملين طليق
٤٦٦	٧٦٠	أيا جارتا بيني ؛ فإنك طالقه	كذاك أمور الناس غاد وطارقه

حرف الكاف

٢	١٥	والله أسماك سما مباركا	آثرك الله به إيثاركا
١٣٨	٢٢٢	[تقول بنتي : قد أنى أناكا]	يا أبتا علك أو عساكا

حرف اللام

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
٢٥٩	٤٠٢	أليس قليلا نظرة إن نظرتها	إليك ؟ وكلا ليس منك قليل
٢٦٢	٤٠٥	طرن انقطاعة أوتار محظربة	فى أقوس نازعتها أيمن شملا
٢٦٣	٤٠٦		يأتى لها من أيمن وأشمل
٢٧٠	٤٣٢	كما خط الكتاب بكف يوما	يهودى يقارب أو يزيل
٢٨٨	٤٥٧	فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى	بنابطن خبت ذى قفاف عقنقل
٢٩٩	٤٧٥	قلت إذ أقبلت وزهر تهادى	كنعاج الملا تعسفن رملا
٣٠٠	٤٧٦	ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه	مالم يكن وأب له لينالا
٣٠٨	٤٨٩	ممن حملن به وهن عواقد	حبك النطاق فشب غير مهبل
٣١١	٤٩٤	نصروا نبيهم وشدوا أزره	بحنين يوم تواكل الأبطال
٣١٦	٤٩٩	قالت أمامة : ما لثابت شاخصا	عارى الأشاجع ناحلا كالمنصل ؟
٣٢٥	٥٠٥	ولسنا إذا عد الحصى بأقلة	وإن معد اليوم مود ذليلها
٣٤٠	٥١٨	أنا ابن كلاب وابن أوس، فمن يكن	قناعه مغطيا فإنى مجتلى
٣٤٢	٥١٩	لى والد شيخ تهضه غيبتى	وأظن أن نفاد عمره عاجل
٣٤٤	٥٢١	ما أنت بالحكم الترضى حكومته	ولا البليغ ولا ذى الرأى والجدل
٣٤٨	٥٢٧	لتبعد إذ نأى جدواك عنى	فلا أشقى عليك ولا أبالى
٣٥٠	٥٣٠	محمد تفد نفسك كل نفس	إذا ما خفت من أمر تبالا
٣٥٦	٥٣٦	فدعوا نزال فكنت أول نازل	وعلام أركبه إذا لم أنزل
٣٥٩	٥٣٨	نعاء أبا ليلى لكل طمرة	وجرداء مثل القوس سمح حجولها
٣٦٠	٥٣٨	نعاء ابن ليلى للسماحة والندى	وأيدى شمال باردات الأنامل
٣٦١	٥٣٩	نعاء جذاما غير موت ولا قتل	ولكن فراقا للدعائم والأصل
٣٦٤	٥٤٥	فما وجد النهدى وجداً .وجدته	ولا وجد العذرى قبل جميل
٣٦٩	٥٦١	فلم أر مثلها خباسة واجد	ونهنهت نفسى بعد ما كدت أفعله
٣٧٨	٥٨٤	إن يغدروا أو يجبنوا يغدوا عليك مرجلين كأنهم	أو يبخلوا لا يحفلوا لم يفعلوا
٣٨٢	٥٨٨	اسمع حديثا كما يوما تحدثه	عن ظهر غيب إذا ماسائل سألا
٣٨٣	٥٨٩	يقلب عينيه كما لأخافه	تشاوس رويدا؛ إنى من تأمل

حرف الميم

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
١٥٠	٢٤٣	لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى	فنمت ، وما ليل المطى بنائم
١٥٣	٢٥٥	ألا يا سيالات الدحائل بالضحى	عليكن من بين السيال سلام
		ولا زال منهل الربيع إذا جرى	عليكن منه وابل ورهام
١٦٦	٢٨٠	حاشى أبى ثوبان ؛ إن به	ضنا عن الملحاة والشتم
١٨٣	٢٩٩	يا أسدى لم أكلته ؟ لمه ؟	لو خافك الله عليه حرمه
		* فما قربت لحمه ولا دمه *	
١٩٢	٣١١	سلام الله يا مطر عليها	وليس عليك يا مطر السلام
١٩٥	٣١٥	يا خازباز أرسل اللهازما	إنى أخاف أن تكون لازما
٢٠٠	٣١٨	أما ودماء مائرات تخالها	على قنة العزى وبالنسر عندما
		وماسبح الرهبان فى كل بيعة	أبيل الأبيلين المسيح بن مريما
		لقد ذاق منا عامر يوم لعلع	حساما إذا ما هز بالكف صمما
٢٠٣	٣٢١		فإن الأولاء يعلمونك منهم
٢٠٥	٣٣٠	قالت بنو عامر : خالوا بنى أسد ،	يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام
٢١٤	٣٤١	إنى إذا ما حدث ألما	أقول : يا اللهم يا اللهما
٢١٥	٣٤٢	وما عليك أن تقولى كلما	صليت أو سبحت يا اللهم ما
		* اردد علينا شيخنا مسلما *	
٢١٦	٣٤٣		غفرت أو عذبت يا اللهما
٢١٧	٣٤٥	هما نفثا فى فى من فمويهما	على النابح العاوى أشد رجام
٢٢١	٣٥٠	بكل قريشى عليه مهابة	سريع إلى داعى الندى والتكرم
٢٢٤	٣٥٣	ألا أضحت حبالكم رماما	وأضحت منك شاسعة أماما
٢٢٥	٣٥٤	إن ابن حارث إن أشتق لرؤيته	أو أمتدحه فإن الناس قد علموا
٢٢٩	٣٦٣	أقول وما قولى عليكم بسبة	إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم
		حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر	وركضة جبريل على عهد آدم
٢٣٥	٣٧٣	كانت فريضة ما تقول كما	كان الزناء فريضة الرجم
٢٤٨	٣٨٧	كفاك كف لا تليق درهما	جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما
٢٦٨	٤٣١	فأصبحت بعد خط بهجتها	كأن قفراً رسومها قلما
٢٦٩	٤٣٢	لما رأت ساتيدما استعبرت	لله در اليوم من لامها
٢٧٢	٤٣٤	هما أخوا فى الحرب من لا أخا له	إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

رقم الشاهد	ص	الشاهد	
١٥٨	٢٦٨	وكل أخ مفارقه أخوه	لعمر أبيك إلا الفرقدان
١٦٧	٢٨٢		وأن تبأبان وأن تفدين
١٧٦	٢٩٢	على حين انحنيت وشاب رأسى	فأى فتى دعوت؟ وأى حين؟
١٧٨	٢٩٤	ولا ينطق المكروه من كان منهم	إذا جلسوا منا ولا من سوائنا
١٨٢	٢٩٦	وابذل سوام المال إن	سواءها دهما وجونا
١٩٣	٣١٣	تفقأ فوقه القلع السوارى	وجن الخازباز به جنونا
٢١٢	٣٣٦	فديتك ياالتى تيمت قلبى	وأنت بخيلة بالود عنى
٢٢٨	٣٥٧	فلو أنا على حجر ذبحنا	جرى الدميان بالخبر اليقين
٢٥٤	٣٩٠	فلست بمدرك مافات منى	بلهف، ولا بليت، ولا لوانى
٢٥٥	٣٩٤	لاه ابن عمك، لاأفضلت فى حسب	عنى، ولا أنت ديانى فتخزونى
٢٦٧	٤٢٩	يطفن بحوزى المراتع لم ترع	بواديه من قرع القسى الكنائن
٢٨٣	٤٤٩		وصانى العجاج فيما وصنى
٣٤٦	٥٢٥	لتقم أنت يا ابن خير قريش	فتقضى حوائج المسلمينا
٣٥١	٥٣١	فقلت: ادعى وأدع؛ فإن أندى	لصوت أن ينادى داعيان
٣٨٨	٥٩٩	داويت عين أبى الدهيق بمطله	حتى المصيف ويغلو القعدان
٣٩٢	٦١٠	إذا ما الغانيات برزن يوما	وزججن الحواجب والعيونا
٤٣٥	٦٩٣	أتطمع فينا من أراق دماءنا؟	ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسن
٤٤٠	٦٩٩	كأنا يوم قرى إنـــما	نقتل إيانا
٤٦٢	٧٥٥	[فسوته لا تنقضى شهرينه]	شهرى ربيع وجماديينه
٤٩٢	٧٩٧	قد فارقت قرينها القرينة ياليتنا قد ضمنا سفينه	وشحطت عن دارها الظعينة حتى يعود الوصل كينونه
٤٩٤	٨٠١	ما بال عينى كالشعيب العين دار كرقم الكاتب المرقن	[وبعض أعراض الشجون الشجن بين نقا الملقى وبين الأجؤن]
٥٠٠	٨٢٣	دع الخمر يشربها الغواة؛ فإننى فإلا يكنها أو تكنه؛ فإنه	رأيت أخاها مغنياً بمكانها أخوها غذته أمه بلبانها
٥٠١	٨٢٤	تنفك تسمع ماحييـــت	بهالك حتى تكونه

حرف الهاء(١)

٥	١٨	إن أباها وأبا أباها	قد بلغا فى المجد غايتاها

(١) وضعنا فى هذه القافية الأبيات التى آخرها هاء ـ وإن لم تكن الهاء حرف =

= الروى الذى بنيت عليه الكلمة ـ تيسيراً على من لا إلمام لهم بعلم القافية ، ووضعناها مرة أخرى فى موضعها اللائق بها .

تمت فهرس الشواهد

والحمد لله ذى الجلال والكبرياء ، وصلاته وسلامه على صفوة الأنبياء